سيرة

عنترة بن شداد



المجلد السادس

التزام مكتبة الجمهورية العربية

سيرة

عنترة بن شداد

وهو الفارس المشهور . والبطل الجسور . سيد الشجعان . وقاهر الأقران عنترة بن شداد من شعراء الطبقة الأولى — وكان من أحسن الشعراء شيمة . وأعلاهم همة وأعزهم نفسا وأقواهم بطشا وفتكا . وكان مع هذه الشجاعة التى ضربت بها الأمثال لين العريكة سهل الأخلاق شديد النخوة . رقيق الشعر وقد عمر تسعين سنة ومات مقتولا — وفى سيرته من آثار البطولة وآيات الشجاعة ما لا يندثر بل يبقى على مر الأيام وتدوم سيرته مادامت العصور — وفيها يجد القارىء من الوقائع والحروب معارك مسترسلة فى ميادين القتال

الجزء الخامس والثلاثون

يطلب من

مكتبة الجمهورية المصرية

لصاحبها: عبد الفتاح عبد الحميد مراد

شارع الصنادقية بجوار الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما إلى يوم الدين (قال الراوى) فقال قيس لا بأس فيما تقول فقال انهض يا ربيعة إلى عندها وأسمع ماتقول من لفظها فقال ربيعة السمع والطاعة فنهض فى تلك الساعة وكان أسبل ذوائبه على أكتافه ودخل على هند وكان سيفه فى يده ودخل به فى الخيام فسلم بأحسن سلام فردت عليه هند بأحسن كلام وقالت له فيما إذا أتيت يا ربيعة لأنى أرى عودتك إلينا سريعة ألم أقل لك لا حاجة لنا فيك وأن أنت عملت فعلا فعلينا نكافيك فقال لها ربيعة أنا عدت أطلب النجاح أريد القرب من هؤلاء الوجوه الصباح فقالت مالى إلى هذا سبيل وليس لى عن الحرب مقيل وما أريد إلا الطعن فى الميدان والمبارزة بين الشجعان فاذا أردت ذلك أشهد عليك ابن الملك قيس وأبطال بنى شيبان ومن معك من قبيلتك ودونك والحرب والطعان فقال لها ربيعة أنى أجبت إلى ذلك فدونك والميدان لأجل ما يبان الك الشجاع من الجبان فمن قهر منا صاحبه وأخذ أسير يحكم فيه بما يريد وما يفعل به من التدمير فقالت على هذا الشرط فيكون غدا تخرج إلى الميدان وتخرج معنا من قوى ومن قومك جماعة من الفرسان لأجل ما يشهدوا علينا بما وقع بينى وبينك بما كان وما يكون فإذا أنا أسرتك فى الميدان طحنتك الحنطة والشعير أربع سنين وبعد ذلك أجز ناصيتك ثم أطلقك ومن ضرب كاس المنية أعتقك فقال ربيعة بهذا الشرط رضيت بما وقع بيننا من الاتفاق عليه ثم أنه وثب قائما على قدميه وسيفه كان موضوعا على ركبتيه فتأملته هند ونظرت إليه وهو كأنه غصن بان أو قضيب خيزران ونظرت إلى ذوائبه وهى تدق من خلفه إلى كعبيه ولم تكن رأتهم أول مرة لما أتى إليها ودخل إلى خيمتها لأن ذوائبه كانت مخبآت تحت عمامته وكان مضيق اللثام إلا أنه يحاكى البدر التمام فقالت له ربيعة من يربى الذوائب مثل النساء وبات الحجال كيف أنه يلتقى الفرسان فى مجال الحرب والنزال فقال لها يا هند نحن قوم أشراف تنسب إلى عبد مناف فقالت له هند هيهات هيهات أنا أجزها بالمرهف اليمانى وأخذها بعد ما أقهرك فى الميدان فقال ربيعة يا هند لم أخذ جازها من الفرسان فى حومة الميدان فكيف أن تجزها النسوان قال الراوى ثم أنه طلع من عندها ولكن قد أبهرها جماله وحيرها ما سمعت من أقواله وقالت

لجوارها وخدامها والله ما هو إلا طلق اللسان جرىء الجنان يفوق الأقران فاقسم بالله تعالى أنه فارس الفرسان ولا بد أن يجرى لى عجائب تشيب منها الولدان وتذكر عنا إلى آخر الزمان وعاد ربيعة وقد ضربت له خيمة إلى جانب الخيام وأتى إليها هو والأربعون فارسا الذى أتوا معه فنزلوا فى تلك الخيام واستقر قرارهم وباتوا عند ربيعة ليلتهم وما فيهم من يقول يا ترى من الذى يقهر صاحبه ويثبت لطعنه ومضاربه وقد علموا أن هندا لا بد لها عند الصباح أن تخرج إلى الميدان وتبين شجاعتها بين الفرسان (قال الراوى) وكان ربيعة قبل دخوله إلى خيمته مضى إلى الملك قيس وأعلمه بما قالت ابنته فقال له الملك قيس أما قلت لك يا ابن الكرام أنها نظرت على نفسها فى الأحكام أن لا يملكها إلا الذى يقهرها فى مقام الحرب والصدام وقد فعلت ذلك مع كثير من الفرسان الكرام وجزت نواصيهم بالحسام أما لو كانت ممن ترغب فى الرجال كانت أخذت ابن عمها هانىء بن مسعود من دون الأبطال فانه من جملة خطابها وهو أحق بها لاتصال النسب وأيضا خطبها دريد بن الصمة وهو شيخ مشايخ العربان فعايرته بكبره وعاد بالخيبة والحرمان وكذلك خفاف بن ندبه ودثار بن روق والعباس بن مرداس وكذلك عامر بن الطفيل وجمع كثير من الناس فنهم من تأسر فى الميدان ومنهم من تأبى عن نفسه براز ها لكون أنها حرمة من جملة النسوان فتأخر عن الضراب والطعان ثم أنه يحتج بالعار فى براز البنات الأبكار وإن أردت أن أشرح لك من أسرت من الأبطال لكان طال عليك المطال واتسع عليك المقال وأنت الآخر فلا يكون عليك عار فى ذلك وعتاب ولا ملام إذ هى قهرتك أو أسرتك فى محل العراك والصدام قال فلما سمع ربيعة من الملك قيس من ذلك المقال قال لقد خابت تلك الرجال وفجعت تلك الأبطال الذى أسرت عذراء من ربات الحجال ولكن غداة غد تنظر ابنتك وتعلم من يكون فارس عصره وفريد زمانه ودهره وأنى وحق الملك الديان إن أنتم غادرتمونى بعد قهرها فى الميدان وأدتم تكونوا لها ناصرين لا بد لى أن أبذل سيفى فيكم أجمعين وأخذها مسبية بين الخدم (قال الراوى) هذا ما كان من ربيعة وأما ما كان من هند فانها دخلت على أمها وهى من الغيظ فى حال شنيع وأخبرتها بما سمعت من غليظ المقال من ربيعة وقال لها يا أماه إن قهرنى فارس فى الميدان فما يقهرنى غير هذا الفارس المنصان فانه والله فريد فى هذا الزمان فلله دره ما أنصفه وما أرجحه وأقوى علا وأفصحه فقالت له أمها بنتى هذا ربيعة بن المكدم ولقد كان أبوه فى قومه معظم ولقدتم لأبيه فى أيام حرب البسوس أمور عجيبة وأحوال غريبة وقد طلع هذا الفارس لأبيه وأعلى شجاعته ومعانيه وقهر الفرسان وعجزت

عنه الأقران وبالأدس غار على أمواله عمرو بن معد يكرب سيد بنى زبيد والتقاه ربيعة وخاص منه أمواله وقهره فى وسط البر والبيدا ومدحه عمرو بقصيدة وذكر فى النظم ما جرى له وما تم والتقى فارس بنى غنعم أنس بن مدركة فكسرهم وأسرهم ونهب أموالهم وأما ملاعب الأسنة وعامر بن الطفيل أيضاً قهرهم وأخذ ديتهم وأطلقهم فبالله عليك يا بنتى إلا ما نعمتى له بالزواج من غير توقف والاحتجاج فقالت لها والله يا أماه أنا ما املك نفسى إلا لمن يقهرنى فى الحرب الميدان ومقام الحرب والطعان فقالت لها امها انت وشأنك ياست الملاح فما تم ذلك الكلام حتى أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على الروابى والبطاح وركبت الفرسان الملاح وتهيأت للحرب والكفاح فبادرت العبيد فى فرسان بنى شيبان فجاءت الفرسان من كل جانب ومكان ووركبت الأبطال المشهورة والفرسان المذكورة وساروا جميعاً إلى الميدان وايضاً وكبت هند على ظهر الحصان فتقدم الملك قيس إلى ربيعة وقال يا اخا بنتى كنانة اركب جوادك واعتد بعدة جلادك فقال سمعاً وطاعة فغاب فى الخيام وبعد ذلك ركب ربيعة وطلع إلى الأسواء وعليه قميص خام ابيض يلعب به الهواء وهو فى الجولاز وتعمم بعمامة ريحانية ولم يخشى من نزول القضية فلما رآه الفرسان وهو على ذلك الأمر والشأن فقالوا بعضهم لبعض كان ربيعة يظن انه ماضى إلى بعض الدعوات حتى انه خرج فى هذه الصفات وعليه كسوة الكتان التى من ملابس النسوان ثم ان بعض الفرسان تقدم اليه وكان فارسا عظيم الشأن فى بنى شيبان وقال له ماهذة الفعال يا حامى بنى كنانة اما تعلم بهذا العمل مخاطر على نفسك بالإهانة قال فلما سمع ربيعة ذلك القول تبسم تبسم العجب وقال احمل على يا فارس بنى شيبان وانظر العجب قال فلما سمع ذلك الفارس هذا المقال علم أنه ما خطر له على بال فغضب وحمل عليه وقال له احترز على نفسك يا حامى بنى كنانة وضربه بالسنان الذى فى يده وقال خذها يا فارس الفرسان وكان هذا الفارس معجبا بنفسه فى بنى شيبان قال فلما رأى ربيعة ذلك منه وراى تحكم السنان التوى وبقى حزام الحصان فراحت ضربته خائبة بعد ما كانت صائبة وبعد ذلك هجم عليه ربيعة وضربه براس السنان فأخذ عمامته من على راسه وحذفها فى الهواء وبقى ذلك الفارس عريان الراس فى الميدان ضحكت عليه فرسان بنى شيبان وهو ينادى ويقول يا بنى شيبان ما مسكت هند وحق رب الناس وهو منزعج الحواس ومنكس الراس وهو ينادى بهذا النداء وهو فى اسوا حال فلما نظر الملك إلى ذلك الفارس

وماجرى له بين الفرسان قال يبرز اليه فارس من الفرسان ويكون عظيم النخوة فى ملاقاة الفرسان قال فبرز اليه بسطام حامية بنى شيبان فلما صار فى الميدان صال وجال ولعب على أربعة أركان المجال ونظرت اليه الفرسان حتى تحيرت منه ومن فعله الأقران وبعد ذلك قال له ارحم نفسك وجوادك يا أخا بنى كنانة فقال له ربيعة ماهذا القول يا فارس بنى شيبان فاضرب ماشئت من الطعان فأنت برىء من دمى قدام هذه الفرسان قال فلما سمع بسطام من ربيعة هذا المقال وهو فى الجولان غضب غضباً شديداً ماعليه من مزيد كيف أن ربيعة يقول له هذا المقال قدام الفرسان وهو حامى أرض بنى شيبان فجرد سيفه من غمده وقبض على رمحه وهزه وهمز حصانه وحاه هذا وربيعة ينظر اليه ولكن ثابت فى سرجه وينظر إلى خصمه يعرف دخله من خرجه هذا وهند قد قبلت كأنها اللبوة رأت أخاها قد قارب بالطعنة إلى صدر ربيعة فلما رأته بهتت اليه وظنت الرمح بطلع من بين كتفيه فعند ذلك وثب ربيعة من سرجه إلى وجه الأرض كأنه عقاب إذا انقض فمضت الطعنة خائبة بعدما كانت صائبة وعاد ربيعة إلى سرجه كأنه الريح الهبوب وعطف على بسطام كأنه الماء المسكوب من ضيق الانبوب وانقض عليه خطفه من بحر سرجه وشاله على يمينه وزنده وجال به ساعة فى الميدان وبعد ذلك إلى ظهر حصانه. ده قال فلما رأت العرب إلى ذلك انذهلت وتعجبت مما عاينت ونظرت ثم أن بسطام رجع إلى أبيه قد تحير من ربيعة وما فعل فيه قال لأبيه يا أبتاه زوج ابنتك لربيعة فاهو لها كفؤ غيره والسلام قال فعند ذلك تقدم الملك قيس إلى ابنته وقال لها ارجعى إلى مضربك فبهذا الفارس يرتفع قدرك قالت له وحياتك يا أبتاه لا بدلى أن أبرز اليه وآخذ روحه من بين كتفيه هذا وربيعة يصول ويجول وهو ينشد ويقول :

مثلى إذا ما قال قولا قد فعل ... وتم حتى يلحق القول بالعمل

ولو لم يكن قولى مبتذل ... تخفتم سطوتى ولو طال الأجل

قال وكان للملك قيس رجل طويل القامة كأنه عبد دعامة وكان يصد الوحش على قدميه فلما كان ذلك اليوم أقبل مولاه وقال له ياسعد أريد أن تخرج إلى ربيعة فلما سمع العبد كلام سيده بادر من ساعته وركب على ظهر جواده وحضر إلى الميدان وانطبق على ربيعة كأنه البرق الغمام فالقاه ربيعة وهو كالاسد الهجام أو كالهزبر إذا فقد الأشبال وزعق فيه زعقة ارتجت لها الجبال وأخر السنان الرمح إلى وراء طعنه بعقبه فرماه على الأرض ثم بعد ذلك قام العبد وهو ينفض من على رأسه التراب مما حصل عليه من الارتياب وربيعة يصول ويجول وهو ينشد ويقول

أنا الذى أسود الحرب تخشانى … وتتقى صولتى فى الحرب أقرانى
وصار مى يقطع الهامات متجردا … يبرى الرؤس ولا يخشى لانسان
ولا أفارق هندا دون ما آخذها … مسبية من بنى زهل وشيبان

قال الراوى فلما عاينت هند ربيعة وقتاله وسمعت نظمه ومقاله أمرت عبيدها أن يحضروا لها جوادها فأسرع العبيد وأحضروا الجواد وكان من الخيول السوابق وهو من الخيول العتاق المنسوبة وقد لبست درعا تاما قصير الأكمام لا يقطعه حسام من ملابس الكرام وجعلت على رأسها بيضة عادية ململمة مجلية رفى أعلاها شرابة خضرا تلعب بها الرياح وخرجت إلى محل الضرب والكفاح وجالت بين الفريقين واشتهرت بين الصفين إلى أن ليثت عريكة الحصان وعطفت على ربيعة فى الميدان وأنشدت تقول :

يا للرجال أتاكم كريم معلم … خافى الحقيقة فى الغبار المظلم
يبغى الذى أعيا الفوارس فى الوغى … ويروم شهد من لسان الأرقم
أبشر بضربة صارم ذى رونق … من كف ملتف الاصابع مكرم
خضعت لى الأبطال عند نزولها … ولقيتهم بكل فارس ضيغم

قال فلما سمع منها ربيعة ذلك الشعر والنظام تبسم غاية الابتسام وأجابها على عروض شعرها يقول :

أيا هند قولى ما عليك ملامة … فصارمى يوم الوغى يتلم
أغراك من لاقاك يفتل رمحه … والقلب مرعوش والفؤاد مكلم
يبقى الفخار وكل فخر باطل … ما لم يبين حال الشجاع الضيغم
وكفاك علما فخرك زائل … فى حضرة الليث الشجاع المقدم
فان كنت ما تدرى بأنك مالك … لجمال هند وأن لا فاعلم
أنى أنا الليث المجرب فى الوغى … مردى ليوث الحرب أين المكدم

قال الراوى فلما فرغ ربيعة من ذلك الشعر والنظام قال لها ألم أقل لك يا هند أنى لا أملكك إلا بالسيف المخدم وها أنا ربيعة بن المكدم وشهرتى بين العرب الكنانى واليوم أزيكى حربى وطعانى وقلت البغى فدونك واللقا وتنظر العرب من يتعب ومن يشقى ثم أنهما حملا بعضهما بعض واتسعا فى جنبات تلك الأرض وتطاعنا طعناً وثيقاً جر من نيران الحريق وقد انبهرت منها أعين النظار وقد حجبهما عن أعين الناس الغبار وقدحت حوافر الخيل شرار النار إلا أنه ما كانت غير ساعة من النهار حتى سمع لها ضرب على الدرق وكانت

القلوب منها أن ترهق وتكل كلاعنهم بالحدق وجوادهما بالعرق وزاد بينهما القلق وأحست هند من جوادها بالتقصير وعرف ربيعة منها ذلك معرفة خبير فقالت يافارس كنانة يامن هو أهل التقى والامانة قد عرفت من حوادث التعب والملال هل لك أن تصبر على إلى ساعة حتى أركب غيره وأعود اليك في عاجل الحال فقال لها ربيعة الامر اليك فانى مجيب فى جميع ما تريديه من السؤال فعند ذلك نادت إلى بعض عبيدها وقالت له ائتنى بحجرتى الدهما وتكون مسرجة ملجمة فاتى اليها بها فى الحاو وقدمها بين يديها وكانت حجرة سابقة سابقة مليحة رايقة كالقنديل وعرفتها سابلة كالمنديل فركبتها وهزتها فطارت من تحتها حتى قاربت ربيعة وهى فى جميع أفعالها مطيعة ثم أنها قالت ياأبا الفارس النفس والبطل الدعيس دع طرق الجهل والهزل وأسلك طريق الجد والفضل وأنظر منى طعنا يذهل الانسان ويحير الاقران ثم أنها بعد ذلك تقول :

يافارس الهيجا ياذا النجب ... دع الطراد فهو شبه اللعب
واستعمل الجد وخذ فى الحرب ... حتى ترى طعنى وقوة ضرب

قال الراوى فلما سمع ربيعة شعر هند وما أبدت به من الكلام قال لها ياهند هذا شعر مستقيم ومتى رأيتى فى الحرب لعب أو مزاح وهو مقام تلاف الارواح ثم أنه مد رمحه اليها وهو بغير سفان وحمل عليها حملة الأسد الغضبان فصدمه هند وحملت عليه ومدت سنان رمحها اليه وقد تحيرت فى أمرها عند سماع كلامها وقاربته حتى صارت قدامه وطاردته حتى طلع عليهما الغبار وقد احتجبا عن الأبصار وقد دار ربيعة يتاخر إلى وراه ويستجرها ويحايد الطعن عن صدره فلما علم ربيعة أنها أبعدت عن قومها وقد تمكن منها وعلم مهما أراده فعله بها فى يومها فابطلها عنه وعلمت هى أن الطعنة ما تمكنت منه فردت اليه واطلقت لحجرتها العنان وقد قدمت بين آذانها السنان وطعنته طعنة ثانيه وقالت فى نفسها أنها تكون عليه قاطية فابطلها بحسن خبرته وعاد اليها بعزمه وهمته وثبتت لها حتى طعنته طعنه ثالثة فانقلب والتوى وصار تحت بطن جواده فلما علم أن الطعنة جاوزته انقلب وصار على ظهر جواده كعادته ثم بعد الثلاث طعنات حمل عليها حملة صادقة كالبرق اللامعة وعاد اليها اسرع وسكن روعها وحضر عقلها لها فمد يده إلى جانبها الايمن أخرج منه سنان أزرق وكان له لمعان وروفق ثم أنه حذفه إلى الهوى وتلقاه برأس السنان فنزل عليه بالتحرير والاستوى ودق بعقبه إلى الأرض فصار كانهما التحما بعضهما ببعض هذا وقـــد

زاغت عينيه فى أم رأسه وانزعجت سائر حواسه وقال لها ياهند وحق البيت العتيق للطهر ومن حج إليه واعتمر إذا نزلت عن جوادك وتنقادى بشكيمته إلى بين يدى أبيك لاشك هذا السنان فى فؤادك وافنى بعد ذلك عشيرتك وأجنادك ولوكنت أحسن أهل زمانك ثم انقلبت عيناه فى أم رأسه فضاقت من شدة الغضب انفاسه وصارت كأنها عيون الأسد المسلوب شبله وقال فى نفسه لابدما أهلها فدخل هند الفزع والارتعاد والجزع وابصرته وهو على غاية الحلة عليها وصوب سنان الرمح اليها فنادت وقالت لا تعجل على ياسيد كنانه ياصاحب العهد والتقى والامانه فاننى لك مسلمة فخذنى إلى بين يديك أخذ الأمة فلما سمع ذلك منها قد رفع الرمح عنها وقال لها ترجلى عن جوادك وامشى إلى عند اهلك واجنادك فقالت له اشهد على انى رضيت بك أن تكون لى بعلا وأكون لك أهلا فعد إلى الحى قدام الرجال حتى انى انعم لك بزواجى وأشهد على السادات والأبطال فقال لها ربيعه لاوحق الكعبه الغرا وجبل أبى قبيس وجرى لابد لى من ذلك ولكن بعد ما تنزلى وتنقادى بجوادك وتمشى بين يدى على أقدامك والافقد عجلت هلاكك وأسقيك فى هذه الساعة حمامك ثم مد رمحه إلى صدرها وجول وقد تلملمت فى بعضها البعض فرد ربيعة رمحه إليه وساقها قدامه أسيرة ويدها فى شكيمة جوادها وقد لحقها البهتة والحيرة فلما وصلوا إلى الحى وعاينت العرب ذلك الحال فعظم فى اعينهم ربيعه لما فعل تلك الفعال فعند ذلك حذفوا بنى كنانه عمايمهم فى الهوى من على رؤسهم واطمأنت بذلك نفوسهم وطلبت هند مضربها وربيعة خلفها إلى أن اوصلها إلى بين يدى ابيها وذلك بحضرة جماعة من اقاربها وذويها ثم أنه تقدم إلى بين يدى الملك قيس بن مسعود وقال يا كريم الاباء والجدود انى قد جئت خاطب وفى كريمتك راغب فلما سمع الملك قيس من ربيعة هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقد تحير من فعاله وجميع الفرسان هابت أعماله فقال انى ما رأيت أحدا من الفرسان يخطب النسوان فى حومة الميدان الا انت ياحامى بنى كنانه الشجعان وهو معتقل بالسيف والسنان فما تقولين يابنتى فى هذا المقتضى فقالت هند ياابتاه هو الرضى وفوق الرضى قال الراوى فلما استقر به الحال نزل ربيعة عن جواده وقد تقـــدم بين ايادى تلك الرجال وقال ياشيد بنى شيبان هـا أنا بين يديك الأشياء تعجز عنه أهـــل الافاق فقال الملك قيس وحق الملك الخـــلاق الذى قدر الآجال والارزاق لاأطلب منك مال ممدود ولاصداق محدود ومهما شئت فافعل فان الامر منك ممتثل فقال ربعية وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لآتيك

بمال تذكرنى به على ممر الليالى والأيام وتعجز عنها السادات وتحير عن وصفها الألسن الوصفات قال الراوى فلما انقضت تلك الإشارات تفرقت الناس إلى مضاربهم والخيام وهم يتعجبون من فعال ربيعة فبقى كل منهم بكلام والملك قيس أكرام ربيعة غاية الاكرام فبات هو وجماعته فى مضربه الذى كان له بين تلك الخيام ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح قام ربيعة وحوله جماعة من رجاله على الملك قيس وهو جالس بين أقياله وأبطاله والمجلس قد حفل بالعرب فصبحهم وسلم عليهم بحسن ودادثم أنه أطلق لسانه وثبت جنانه وجعل يثنى فى مكارم الملك قيس بن مسعود وبعد ذلك صار يصف أخلاق آباه وأجداده وذكر شرفه وحسبه وافتخاره على سائر العرب ثم أنه لما فرغ من ذلك المقال خطب ابنته منه بين تلك الرجال فزوجه بها فى عاجل الحال وجعل يصف محاسنه ومحاسن أبيه ويصف الشجاعة التى كانت فيه وبعدها أرتفعت الأصوات من العرب بتمام السرور واشتد الفرح وضربت السرادقات لحضر فيها كل سيد محتشم وفى تلك الليلة ضربت قبة الزفاف وتم الأمر فما يقى خلاف فوقفوا فى الأكرام الخاص منهم والعام قال الراوى وما زالوا على ذلك الحال إلى تمام ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع زفت هند على ربيعة وأقبلت اليه كانها القمر المنير وهى مسرعة لأنها كانت قد أفرغت فى قالب الجمال وكملت محاسنه بالحسن والأعتدال فالقضيب من قدها والورد من خدها بقدرة الله ذى الجلال فهى كما قال فيها عمرو بن هلال يقول :

مليحة ثبت الأيام بحسنها ... تمشى فيرعد خصرها من اطنها
أمسيت من حركاتها متظلما ... منها تظلم خصرها من ردفها
عربية لعب الجمـــال بعطفهـا ... وبطر فها فاهتز لين قوامهـا
نادت محاسنهـــا إلى عشاقهـا ... لا تجهلوا وتعلقوا بذمامهـا

قال الراوى نخلا بها ربيعة من ساعته فبلغ منها المرام وقعد عندها فى المضرب عشر أيام فلما كانت الليلة الحادية عشر نهض ولبس آلة حربه وخرج من المضرب فركب جواده وأخذ أصحابه وطلب بهم إلى ناحية بلاده فلما كان الغد دخلت أم هند إلى عندها فوجدتها جالسة على السرير فقالت لها أين بعلك فقالت لها خرج ومضى من عند وقت السحر بعد ما لبس عدة جلاده وأخذ أصحابه وطلب بلاده فعادت أمها إلى أبيها وأعلمته بالخبر من قبل ربيعة وما كان من حالته فقال لها أظن أنه مضى فى بعض أشغاله قال الراوى ثم ان الملك قيس

قام من وقته وساعته ودخل على هند ابنته وقال لها ويلكي يا ابنتي لا تكوني كلمتيه بكلام صعب عليه منه فقالت له يا أبت معاذالله أن أكلمه بكلام يشق عليه والله يا أبي ما كنت له بين يديه إلا مثل أمة التي في الخدمه بين يديه فقال الملك قيس لعله يكون مضى إلى الصيد والقنص ويرجع إلى الآثر ثم أنه أنفذ خلفه بعض الرجال فلم يجدله أثر قال الراوي وسمعت بذلك فرسان بني شيبان فتحدثوا بعضهم البعض بالهزيان وقالوا أن ربيعة قد قضى من هند وطره ومضى عنها وما أحد عرف له خبر وأقاموا يتحدثون بحديث في مثل هذا وغيره في أمر هند وبعلها إلى أن بلغ الملك قيس هذا الكلام فاحط على قلبه شيء من ذلك الأوهام قال الراوي هذا ما كان من هؤلاء وما دار بينهم من الاحكام وأما ما كان من أمر ربيعة الفارس المقدام فانه سار من ديار بني شيبان وهو لا يدري ما يكون له من الشأن لأنه خرج وهو عازم على نهب أموال العربان لكن لما سار وتبطن في البر والقفار فجعل يترنم ويقول :

ألا فاسألي عني فاني فتى العلا كنانة قومي من أعلى المراتب
وليس لنا عيب سوى أن جودنا نجود به للناس من كل جانب
أبانا أبي لو كان للناس مثله لما عدمت أهلي وقد كان صاحب

قال الراوي فبعد انشاده هذا الشعر صار يقطع الروابي والاكام لانه لم تسمه مرؤته أن يطلب زوجته ويمضي بها إلى أهله من غير صداق محدود وكان يخاف لا يركبه بتلك الفعلة العار ويقال عنه في الاقطار ان ربيعة بن المكدم أخذ زوجته بلا صداق مقدم ففعل تلك الفعال وخرج من عندها يريد امهرا ودعه يكون من أرض العراق أو من اليمن أو من أي الآفاق ثم أنشد وجعل يقول :

ولو قبل بكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فكان الفضل للمتقدم

قال الراوي ثم انه لم يزل سائرا في البراري بعدما وصل رفيقه إلى تلك النواح فلم يكن معه عبده مفتاح فقال له العبد إلى أين تقصد من الاماكن فقال ربيعة اقصد بعض الملوك أصحاب المدائن والامصار فقال العبد يا مولاي ان اردت مكانا تأخذ منه الاموال فعليك بمدينة الحيرة وإن كنت ما تقصد مدينة الحيرة فاقصد إلى الشام التي حاكمها الحارث سيد بني غسان وإذا اردت أن تقصد إلى أرض اليمن فسر من هنا إلى مكة وجدة ثم بعدها إلى بني زيد

وعدن فقال ربيعة يا عبد الخير أيهما أقرب فقال ان أرض اليمن قريبة وفيها كثير من الأموال والمكاسب فقال ربيعة اقصد بنا مدينة عدن لعل بقربها ننجوا من المصائب والمحن فقبل العبد ماشار به اليه وسار يسعى بين يديه وربيعة خلفه يجد المسير وهو يطلب حلة ينهبها أو قافلة يقطع عليها الطريق ولم يزالوا سائرين يقطعون البرارى والاكام حتى مضى عليهم عشرة أيام ثم بعد ذلك طلبوا المسير إلى أرض اليمن ولم يزالوا على ماهم عليه حتى قربوا مدينة تسمى مدينة عدن فقال العبد يا مولاى هذه المدينة من المدن الكبار اليها تورد القوافل والسفار فان كنت تملكها أو تقدر عليها تأخذ منها ماتختار فقال اقصد بنا اليها فقال سمعا وطاعة ثم انهم ساروا حتى أشرفوا عليها فرأوها كأنها الحمامة البيضاء فقربوا منها وكان الوقت قد مضى وربيعة كان سيفه فى يده وله قلب مثل الصخر فقال للعبد امض وائتنى بالأخبار فقال له العبد ياسيدى أعلم أنه قد صار آخر النهار فاصبر حتى يصبح الله بالصباح وتخرج أموال اصحابها وتبقى لك مباح فبعد ذلك يبقى الأمر فى يدك أما انك تسوق الأموال وتكتفى بها أو انك تهجم على المدينة وتاخذ غرضك منها فقال ربيعة هذا هو الصواب وكان ذلك الوقت وقت الغياب قال ثم انهما أكمنوا وباتوا إلى وقت السحر وإذا هما يروا ضوء نور من بعيد وعليهما قد ظهر فصبروا اليه حتى قرب منهما وتبينوه وإذا هى قافلة وفيها أموال كثيرة وكان ذلك آخر الليل قال الراوى واعجب ماجرى انها كانت ليلة سوداء معتمة وغيابها مظلمة لايعرف فيها الصديق صديقة فصار ربيعة بن المكدم قاعد منتظر الفرج من الخلاق الذى قدر الاجال والارزاق وعبده مفتاح واقف بين يديه فقال ربيعة إلى عبده مفتاح هل أنت ناظر مثل ما انظر أنا فى جنح ذلك الليل العاكر فقال له العبد أعلم يا مولاى إنى كلما وقعت عيناى إلى جهة الخلاء والمحاجر أرى من بعيد صفة قافلة وفيها اناس مسافرين ولا أعلم أن كان نظرى صحيح وإلا هذه قبائل أوصفات عربان متنقلة فان إذنت لى يا مولاى سرت إلى هذا السواد المقبل وأعود إليك بجلية الاثر فقال ربيعة هاهم الينا واردون فما تم كلامه إلا والقوم اليهما قاصدين وإلى مدينة عدن داخلين فقال لعبده امضى وائتنى بخبر هذه القافلة لعلنا نكتفى بها نكون من أن أهل السعاده فنهض العبد كانه ذكر النعام إلى أن وصل عندهم سلم عليهم فردوا عليه السلام وتقدم اليه بعض الرجال الذين من القافلة وقال له من تكون يا غلام فقال لهم مفتاح أنا عبد ابن المكدم فمن انتم وما معكم من الأموال والانعام فقالوا معنا أموال كثيرة ومعنا أسير يسمى الملك همام ومعنا

شيء كثير من الحطام فقال العبد مفتاح وأين صاحب هذه القافلة وهذه الأموال فقالوا ها هو وراءنا هو وغلمانه فى هذا البر والبقاع فلما سمع العبد ذلك فرح فرحا شديداً وعاد إلى مولاه وأعلمه بذلك الأمر المزيد وقال له ها أنت يا مولاى قد بلغت ما تريد فلما سمع ربيعة ذلك وثب على ظهره جواده وغاص فى عدة جلاده وحمل عليهم وصاح فيهم وقال يا ويلكم يا أنذال العرب اين تمضون بهذه الأموال انزلوا عن هذه الجمال قبل ما يحل بكم هذا البلا ثم أنه انطبق عليهم وطعن واحد منهم قتله وثانى جندله وثالث أرداه ورابع أهواه فوصل الخبر إلى مقدم القرم بما جرى عليهم من ذلك الفارس وكيف أوصل البلاء عليهم فصاح فى غلمانه الذين وصلوا اليه فلم ير أحدا منهم يقدر عليه ويرجع إلى ربيعة ولا يقف بين يديه بل انهم قالوا لصاحب القافلة الحق أموالك فقد ملكت وهى تحت يد ذلك الفارس وقد أخذت فلما سمع صاحب القافلة من عبيده ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقد ركب فى عاجل الحال على جواده وساقه حتى وصل إلى ربيعة وحمل عليه فصار بينهم حرب ما نظرت الأعين إلى مثله واختلف بينهما طعنتان فطعنة صاحب القافلة فانها مضت باطلة وأما طعنة ربيعة فانها كانت ماضية سريعة فجاءت فى صدره خرجت تلمع من ظهره قال الراوى فلما رأوا رجال القافلة إلى هذا الحال لم يتعرض أحد منهم لقتال بل انهم ولوا الأدبار فساروا إلى أهاليهم طالبين وبنجاة انفسهم فرحين واحتوى ربيعة على الأموال والجمال وما عليها من الأحمال وكانت سبعين جمل حملة من أشغال مصر ومن عمل دمياط والأسكندرية وفيها فاحتوى ربيعة على الجميع وعاد راجعا من تلك الأرض وقد اقرن الجمال بعضها فى بعض وقد وجد عليها أموالا كثيرة ونعمة غزيرة ثم أنه سار يقطع البر الأقفر والسهل وهو ينشد ويقول

أنا ربيعة أسد الغاب تخشانى	وتتقى صولتى فى الحرب أقرانى
وصار من يقطع الهامات مضربه	يبرى الرخ يوى الضارب الجانى
ولقد ملكت لهند ظبية شرفت	على البنات من ذهل وشيبان

قال الراوى ولما فرغ ربيعة من ذلك الشعر سار يقطع البر وعبده مفتاح تولى سوق الجمال فبينما ربيعة سائر وإذا بغبار قد ثار وسد الأقطار فالتفت خلفه ربيعة ينظر الأغبار وإذا به قد انكشف عن اثنين فارس كرار وهم ينادون إلى أين تذهبون يا مذلولين ... لكم لاحقين فقد أتكم المنية والأمور المنضية قال فلما رأى ربيعة إلى الخيل وقد

أقبلت عليه لم يفتكر بهم ولم خطروا له على بال إلا أنه جرد حسامه وألوى رأس جواده
اليها وزعق فى وجوههم ونادى وقال الفارس الهمام والبطل المعظم أنا ربيعة بن المكدم
قال الراوى لهذا الكلام وكان المقدم على القوم الذين أقبلوا هو صاحب مدينة عدن لأنه
كان قد خرج عند فتوح المدينة وكان ذلك عند الصباح ليلتقى القافلة لأن أخبارها كانت قد
وصلت اليه فالتقى عند خروجه من الباب الصياح من الرجال الذين سلموا من الواقعة
وتقدموا بين يديه وحكوا له على ما تم عليهم وأنالهم من الردى وعظموا القصة زيادة على
ما جرى قال فلما أن سمع ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وغضب غضبا شديدا وقال
الخيل يا أرباب الخيل فقد أتاكم الحرب والويل فعند ذلك ركب معه الفين فارس كرار
فسار فى مقدمتهم وقد انعقد عليهم الغبار حتى وصل إلى مكان المغمعة فرأى القتلى على وجه
الأرض مطروحة فلما أن عاين ذلك وتحقق الأمر والحال ونظر إلى ربيعة فرآه وحده
ولم عنده منهم خبر وهو مستعد لهم فى هذا البر وهو واقف لهم فى الاقطار قال الراوى فلما
نظر صاحب المدينة إلى ربيعة وما معه صاحب ولا رفيق ضحك ضحكا زائدا حتى انه استلقى
على قفاه وقال وافضيحتاه بين العربان لأننا خرجنا فى هذا الجمع الزائد على فرد نفر واحد
وهو صبى لا نبات بعارضيه ولو أنى كنت أعلم ذلك لكنت أنفذت اليه بعض أصحابى أتونى
به أسير ذليل حقير او كانوا تركوه على الأرض مجندل عفير ثم أنه زعق وقال يا آل قحطان
دونكم وهذا الشيطان أسقوه كاس الحمام واجعلوا عليه هذا اليوم من أشأم الأيام ثم انه أمر
بعض أصحابه بالحملة على ربيعة فحمل اليه وصار معه وأراد أن يحول عليه فلم يمكنه من ذلك
ربيعة بل أنه استقبله بطعنة فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره قال الراوى فلما نظر القوم
إلى ذلك الحال أخذهم الانذهال وتعجبوا من تلك الفعال ومن شجاعة ربيعة على صغر سنه
وكيف أخذ القافلة فعند ذلك أحاطوا به فصار ربيعة كلما حمل عليه فارس قتله وعجل إلى المقابر
مرتحله إلى أن أباد ساداتهم وأهلك حماتهم فامتنعت عنه الأبطال فنادى وقال يا رجال أخرجوا
إلى القتال لأنى من أمرى على استعجال وليس يمكن الامهال قال فلما سمع القوم كلامه وعرفوا
مرامه حملوا عليه بجملتهم وتوجهوا اليه بكليتهم فتلقاهم ربيعة بقلب لا يخاف الأهوال وقد
بدد جمعهم وفرق شملهم يمين وشمال فلما رأوا الفرسان ذلك الحرب والطعان تأخروا
عن القتال وقال والله ما هو انسان وانما شيطان أو مارد من مردة الجان وقد
ظهر فى هذا المكان قال الراوى فلما سمع المقدام هذا الكلام ونظر إلى تقصيرهم فى الصدام

قال لهم يا ويلكم قد تأكد عندى معرفة هذا الغلام الذى قد نشأ وشاع ذكره فى هذه الأيام هذا ربيعة بن المكدم فارس من بنى كنانة الذين يتفاخرون بالخصال الحسنة وقد بلغنى أنه ماتم له من العمر عشرين سنة فان نحن هربنا منه ركبنا العار وإن نحن قاتلناه أفنانا عن آخرنا وقطع أعمارنا بالأسمر الخطار ولكن أنا له فأنا أبرز إليه وآخذ روحه من كتفيه واقطع رأسه وأخمد أنفاسه ثم أنه بعد ذلك ركب جواده واعتد بعدة جلاده ونزل إلى الميدان وصال وجال وهدأ أشمت الحصان يقول :

أنا الفارس الندب الهمام الغضنفرى ... أبيد أبطال الهياج بأسمر
واضرب بالسيف الصقيل بعزمة ... يقصر عن أدراكها كل مخبر

قال الراوى فلما أن فرغ من شعره حمل على ربيعة كأنه الغول القتال فتلقاه ربيعة بقلب لايخاف الأهوان وهمة قد تعودت ملاقاة الرجال وحمل عليه وأراد ان ينزل الأذيه إليه فاستقبله صاحب البلد وقد أظهر الصبر والجلد وقال له ويلك يا ابن الأمة اللخنا استسلم وإلا حل بك الفنا فقال له ربيعة لما أن رأى شماتله ويلك أنت صاحب مدينة عدن ما الذى تطلبه يا وغد قومك وأخس عشيرتك ولكن أشير عليك أن تمضى أنت ومن معك بالسلامة من قبل أن يحل بك الهلاك والندامة فان أنت أتيت ذلك أسرتك وإلى الملك قيس بن مسعود قدمتك ليأخذ مهر ابنته منك قال الراوى فلما سمع صاحب مدينة عدن ذلك الكلام قال له ويلك يا ابن اللئام أنت ما وجدت أن تأخذ مهر هند إلا منى من دون الانام لكن أبشر بقرب الأجل والموت المعجل ثم أنه بعد ذلك الكلام حمل على ربيعة باهتمام وصوب الطعنة إلى صدره فجاءت خالية لأن ربيعة لما رأى تلك الطعنة مقبلة إليه التوى وصار على الأرض مثل الهوى حتى جاوزته الطعنة وصارت خالية فعاد قفز إلى جواده مثل ما كان أول وحمل إلى المقدام ليسقيه كأس الحمام فنظر المقدام إلى سنان الرمح قد فاجأه وكان أن يعدمه الحياة فسبح الطعنة على رواق الدرقة بحسن صناعته وأستلام مهجته فجاوزته وسلم منها بمعرفته بعد ما كانت واصلة إليه وبعدها تطاعنوا ساعة زمانية حتى علا عليهما الغبار وغاب عن الأبصار وقال الراوى يا سادة يا كرام فعند ذلك زعق ربيعة على خصمه أدهشه وانطبق عليه فأرعشه فتخلل فى بعضه ببعض وبعد ذلك قلب الرمح وطعنه فى جانبه قلبه وعلى وجه الأرض كركبه ثم صرخ على عبده مفتاح فاقبل عليه مثل هبوب الريح وفى عاجل الحال شد كتاف وقوى منه السواعد والأطراف قال الراوى فعند ذلك حملت فرسان بنى قحطان بهمة سريعة وأقبلوا عليه كلهم يريدون هلاك ربيعة وكان قد تقدم عليهم فارس مهول

وبطل بهلول يسمى رأس الغول فحمل على ربيعة وهو ينادى ويقول يا ابن الأرذال جاءك البطل الحلاحل ثم أنه فاجاه بطعنة سريعة فزاغ عنها ربيعة ثم عطف عليه بضربة كأنها الصاعقة فالتقاها رأس الغول فى الطارقة فقطعتها نصفين ورمتها إلى الأرض شطرين ونزلت على هامه فارمت رأسه قدامه فلما نظرت الرجال إلى رأس الغول وهو على الأرض مقتول ورأوا المقدام صاحب مدينة عدن أسير فعلموا أنهم مالهم على حربه طاقة فرجعوا على أعقابهم يولون الأدبار وركنوا الهزيمة والفرار وكان ربيعة قد أسر منهم عشرين فارس أخيار وأحتوى على الأموال والحمول وشد الأسارى على ظهر الخيل وأراد المسير بهم إلى أرضه والطلول * فعند ذلك صاح المقدام صاحب مدينة عدن على ربيعة فاقبل اليه وهو مثل النجمة الباهرة فقال له المقدام الصنيحة يا فارس كنانة أريد منك أن تعلمنى إذا أنت حملتنى إلى بلادك ما الذى تطلب منى من أحوالك فقال له ربيعة أطلب منك الفداء والمال الذى جرت به عادات الأبطال إذا وقعوا فى الشد والاعتقال فقال له المقدام أطلب ماشئت يا فارس الأنام وأطلق بعض قومى ليأتيك بالفداء ويذهب عنى لومى فقال ربيعة أنى على عجل من أمرى وذلك يكون إذا وصلت إلى مكانى وينشرح صدرى مع أخونى وبعد ذلك ابيعك نفسك فلا تخف وطيب قلبك مانك ما أنت أهل الجهل فلك الأمان من القتل ثم أن ربيعة ساق الأموال بين يديه وسار وهو فرحان مسرور بما ناله وجعل يترنم ويقول :

منازل هند بين ديقار فى الفلا	إلى علم الدهنا من ذات سربال
إلى الربوة العليا بارض مرابض	بها هند تمسى بادلال
إذا ما مشت بين العذار عشية	تراها بدر تم نوره عالى
ألا استخبروا عنى وشرحى وقصتى	ولست بكذاب وحق العلى العالى
ولى فخار بين أهل عشيرتى	مناقب فاقت ذر مجدها العالى
فقالت لقد عديت طورك يافتى	دع العجب لا تمشى كمضية مختال
فلو ملكت كفاك هند حليلة	لها شرف بالفجر والجود والمال
كريمة قيس ومسعود جدها	كريم من السادات وأحسن بمفضال
فو البيت والرب القديم محققا	لساحة هند الأسود قتال
يخوفنى منها زياد بن معبد	فلم يلمنى عنها مقال عزال
وسرت على مهر أغر محجل	سليم الشظا يقد الصخر متمال
قالت لى أمى يابنى انتسب فما	أنت من قوم دناة أرذال

وانك من قوم كرام أعزة … تكنى بهم مابين عم وخالك
فسرت بعزم صادق وحمية … أروم التى فى وصفها زاد بلبالى
فلما وصلنا إلى الحى ناديت معلنا … إلا أن قيس قال حالى وما حالى
فقلت له انى أتيتك خاطبا … فكن راغبا فى فلست بجهال
فانزلنى وبعد انتسابى أجابنى … إلى ظبية ذات أرداح ومكسال
أقالت من الذى اجاد خاطبا … فقلت لها انى لذو الهمة العال
انا خير من ساق المطايا كلها … أنا ابن كريم الجد والعم والخال
قالت أمن كهلان قلت وحق من … فقالت أمن ذبيان أم من فحل منهال
فقالت تخوض الحرب قلت وحق من … على السبع إن الحرب يامند أشغال
فقالت إذا رمت البنات وأخذها … فدونك والميدان خذنى بادلال
فحاربتها حتى رأيت ذل عزمها … وطاعت لسيفى واستقالت لاهوال
وجئت بها قهرا وقد حار قومها … فزوجنيهـــا أبوها باجلال
وفارقتها أبغى لها المهر طالبا … إلى أن قطعت الأرض سهلا واجبال
ووافيت ليلا أرض جدة غائرا … وإذا بصوت ركبان وضجة اجمال
وفيهم ملوك الهند معهم تجارة … تباع وتشترى فى البلاد باموال
فبادرتهم منى بزعقة ضيغم … واردبت مولاهم بطعنة عسال
وسقت الغنائم نحو من أبغى وصلها … فادركنى الذين على أجود جوال
فقدت الفتى المقدام رغما وسقته … إلى نحو نحو أهل بالغنيمة والمال
وعدت باسراهم وخيل أقودها … ضوامر جرد فى الوغا غير جهال
فهذا وما وافيت عشرين حجة … وإن زدتها خمسا ستعظم أهوال

قال الاصمعى وأبو عبيدة وجهينه بن غلام اليمن وابو حازم المكى وهم المصنفين لهذا الكلام صلوا على البدر التمام إلا أن ربيعه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام سار عدة ليالى وأيام إلى أن أشرف على ديار بنى شيبان فاقبل عند ذلك على عبده هفتاح وقال له سر وبشر القوم بقدومى وما فتح به علينا الملك الفتاح فشمر العبد أذياله للريح وطلب البر الفسيح وما زال سائرا حتى وصل إلى ديار القوم ، ورأى تلك المعالم والهنود وفى الحال قصد إلى مضرب الملك قيس ابن الملك سعود الكريم الآباء والجدود وبشره بقدوم مولاه ربيعة بن المكدم وكان الملك قيس قد أيس منه وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم وسمعت هند بقدومه فنادت باعلى صوتها إلى أخت ربيعة وقالت لها هاقد قدم أخوك بهمة صريمة وقد عاد سالم ومعه أموال

وغنائم (قال الراوى) وكانت أم ربيعة لما طال عليها غيبته أخذت ما كان بقى لها من الزمان من أخوته وطلبت منازل بنى شيبان ووادى ذى قار وتلك الكثبان والرمال وصارت إلى تلك البلاد وهى بلاد بنى شيبان تلقاها هند وفرحت بها وأنزلتها فى أعز مكان وأقامت بينهم هى وأولادها فى عز واطمئنان إلى أن أتى ربيعة وركبت لاستقباله جميع الفرسان وكذلك ركب الملك قيس بن مسعود فى عساكره والجنود وخرجوا إلى لقاء ربيعة وكان لهم يوم مشهود ونزلوا لما أتى معه من ذلك المدد ودنا إلى تلك العبيد وهى تسوق الجمال بما عليها من الأحمال والأموال فترجل الملك قيس إليه وحيى ما كان قد اعتراه من همومه وغمومه عليه وأقبل بعده الأمير بسطام حامى بنى شيبان وسلم عليه وجعل يده فى يده وسار هو وإياه حتى أدخله فى مضربه فوجد فيها أمه وأخته فزادت بذلك فرحته فأقادوا إليه وسلموا عليه وجعلوا له أنواع الرضى ونحو ذلك ثم إن العبيد حطت الأحمال من على ظهور الجمال ورأوا ما فيها من الجواهر وتلك الأموال ففرحوا بذلك غاية الفرح ورجع ربيعة إلى الملك قيس بعد ما سلم على أمه وأخته وشبع من الحديث معهم فقال ربيعة للملك قيس يا ملك تكفيك هذه الأموال الذى سلمتها لى بدل ملك المتعال مهر ابنتك ذات الحسن والجمال أو آتيك بأكثر منها من عند فحول الرجال فقال له الملك قيس والله يا ولدى لو لم تكن آتيت بشىء من ذلك ما كنت طلبت منك لا قليل ولا كثير ولا عرضك إلى ظهورها المهالك وأما الذى جئت فهو مال كثير وخير غزير (قال الراوى) فبينما هم فى الكلام وإذا قد أقبل عليهم خيل عند طلوع الفجر مثل السحاب فى الليل وعلى ظهورها فرسان يجروا فى أيديهم قطع الرماح وهم قد استعدوا للحرب والكفاح وقد انقلبت من كثرة الضجيج الروابى والهضاب قال فعند ذلك أخبر الملك قيس المهاب بمن قد أتى إليهم يطالب الحرب والكفاح فلما علم الملك قيس بذلك الخبر استند فى فرسان بنى شيبان وظهر هو مثل الأسد الكاسر وينظر ما دهاهم بذلك الأمر الغاشم فلما وإذا برايات قد خفقت وأعلام قد سطعت والبيض قد لمعت والدروع قد تشعشعت فلما نظر إلى الأمر واشتد أمر قومه بنى شيبان أن يحصنوا المال والعيال فى أحانف الجبال فقالوا السمع والطاعة وفى عاجل الحال حصنوا ما أمرهم به الملك قيس قال فبعد ما اصطفت الصفوف وتقدمت الأثاث والألوف تطالب الحرب والقتال وتقدمت للقاء الأهوال وفى أوائلهم بسطام فارس بنى

شيبان لأن ربيعة كان غايب فى الصيد والقنص هذا والخيل الغائرة قد احتاطت فى بنى شيبان فهم كذلك وإذا بفارس قد أقبل من بين تلك الخيول وهو ينادى يا بنى شيبان أنا رسول فاذنوا لى بالدخول على الملك قيس فاذنوا له تلك الفرسان بالدخول فدخل وحيا وسلم فردوا عليه السلام وسألوه ما الذى جاء به من الكلام فقال يا سادات بنى شيبان



إن الذى أقبل عليكم الريس والفارس العنتريس الملك فياض بن علقمة ملك زاوية اليمن وسيد بنى كلاب وقد بلغه أن الملك قيس بن مسعود له بنت يقال لها هند وهى أحسن أهل زمانها وقد اشتغل بها قلبه وقد اقسم بالنار التى تضرم لابد له منها ويأخذه غصبا وقد سار اليكم بهذا الجيش العرمرم وان أخالفتموه فى ذلك فانه يلقاكم ويبيد اقصدكم وادنا كم وان انتم زوجتموه بها فى الحال افاض عليكم بالمال والنعم وان منعتموه من اخذها اخذها منكم رغما عنكم بحد السيف وقد أقسم على نفسه إذا ما اجبتموه إلى ذلك لايملكها إلا مسبية ولم يترك لكم بقية ولا نعمة ظاهرة ولا مخفية قال الراوى فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام المهول امر بنى شيبان أن ينتفوا اسباله ويحرقوا به غاية الاحتراق فصنعوا به مثل ما امر الملك قيس من الاحتراق وردوه على صاحبه وهو مشرف على الهلاك والنكال قال فلما نظره الملك فياض وهو فى ذلك الحال اخذه الحنق وكاد من الغيظ أن يتمزق ومن شدة ما جرى عليه قام وقعد وارعى وازبد وطال من عينيه الشرر ولم يتمالك من نفسه

دون أن نادى فى أبطاله وفرسانه باخذ الأهبة للقتال وملاقاة الأهوال وقد عزم على هلاكه من أخراق رسوله ورده على ذلك الحال قال فعند ذلك اصطفت الصفوف واشتهرت السيوف فعند ذلك أقبل فياض وكان فارس شديد وقرم عنيد لم يكن فى تلك الأرض من يساويه ولا فى فرسانهم من يضاهيه قال فلما زاد به الأمر عزم على الشر قفز إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وعلى جسده درع تام طويل الأكمام على رأسه بيضة عالية ململمة مضية تحته جواد عال من أصائل الخيل أسود مثل ظلام الليل فى يده رمح مكعب له سنان يتلهب ثم أنه طلب البراز وسأل الانجاز ونادى وقال ابرزوا إلى كلكم يا بنى شيبان ولم تتأخروا عن الضرب والطعان قال الراوى فلما أن سمع بسطام منه هذا الكلام فعند ذلك حمل عليه وصال معه فى الميدان وأخذ فى الضرب والطعان حتى علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار تطاولت إليهما الأعناق وشخصت نحوهما الأحداق بعد ساعة من النهار وقد ضاقت بالطائفتين الإنتظار وهم منتظرين ما يكون من ذلك الفارسين الثقيلين العيار وإذا بالملك فياض قد خرج من تحت الغبار كأنه البعير فتبينته الفرسان وإذا به يقود بسطام فى يده أسير قال فلما نظرت القبائل إلى ذلك ماجت واضطربت وحملت الفرسان من بنى شيبان يطلبون خلاص ابن ملكهم من يد ذلك الشيطان فحملت أيضاً عساكر الملك فياض ليعينوه على من حملت عليه من الفرسان فعند ذلك تقابلت الأبطال واختلفت أرياح المنايا يمين وشمال تقدم الشجاع وأيقن الجبان بحلول الذل والوبال وعملت الصوارم الثقال وعظم الوبال والكرب والخبال ودنت من الطائفتين الآجال قال الراوى ولم يزالوا على تلك الحال إلى أن قرب الليل بالانسدال وافترقت الطائفتين والحرب والقتال عادوا إلى مضاربهم والخيام فلما نزلوا استقر بهم المقام فأمر فياض باحضار بسطام لأنه قد سلمه إلى جماعة من العبيد العظام فلما حضر بين يديه سارت قومه عن يمينه وشماله ناظرين إليه فهدد بسطام بالقتل أن لم يزوجه باخته هند قال ففزع بسطام على مهجته خاف على نفسه من الهلاك وأيقن بحلول الارتباك فقال له بسطام أن هذا الأمر ليس لى فيه شيء قال الراوى فعند ذلك أرسل فياض إلى الملك قيس يقول له إذلم تفد ولدك بابنتك وإلا قتلته وأحرقت عليه مهجتك وأسقيك كأس الحمام وأحل بقومك الذل والإرغام فلما سمع الملك قيس من الرسول ذلك الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام قال الرسول عد إليه قل له أن هذا شيء تقدر عليه ولو فى المنام أن قتلت ولدى فقد قتلت سيد كريم رئيس عظيم وإن كان أجله على لم

يهديك يقض الله ما هو قاض أما ابنتى التى قد جئت فى طلبها قال لها بعلا عظيم له نسب كريم وشرف عميم وهو يذب عنها بسيفه وسنانه ويحميها بشجاعته فى ميدانه وهو يقال ربيعة ابن المكدم صاحب الحسام المهدم فارس من بنى كنانة الذى ذكره شايع بين العرب بالتقوى والامانة وأنه غير عاجز عنك فى لقاه فدونك وإياه قال فعاد الرسول إليه أعلمه بما قال له الملك قيس من الكلام فسكت قلب فياض لما كان قد عزم أن يسقى بسطام كأس الحمام فصبر حتى أصبح الله بالاصباح قال فعندها تبادرت الفرسان إلى الميدان تروم الحرب والطعان وقد جردت السيوف واصطفت الصفوف وفى ذلك الوقت قدم ربيعة من الصيد والقنص فرأى هذه الأحوال المرعبة فالتقاه الملك قيس وأعرض ربيعة هذا الفارس ربيعة فلما سمع ربيعة هذا الكلام فلم يرتفع لذلك ولم يلحقه اهتمام ولما نظر ربيعة إلى ذلك الأمر المنكر لم يلحقه تهاون ولم يتأخر بل أنه قفز إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين صال وجال وترنم وقال :

إذا زاحمتنى فى القتال بنو كلب	يرون أتلافى وذاك بلا ذنب
فاحمل عليهم تحت ظل وقسطل	بسيف صقيل المتن مشتهر الغضب
ولست أبالى أن تكاثر جمعهم	سأجعلهم رمما على أغيب الترب
فدونك فياض كم خضت قسطلا	بعزم رب الناس كالحجر الصلب
أصبح على الفرسان هل من مبارز	ومن كان لى خصما سأرديها من حربى
إذا نادت الفرسان فى الحرب من لها	وقد عزمت نفس الجبان على الهرب
أن دار كأس الموت بالسيف والقنا	أكون له ممن يبادر للشرب
ولا أنثنى حتى أخلى لحومكم	طعاما لوحش البر والطير والذئب

قال الراوى وأبو عبيدة وهم المتصفون لهذا الكلام فبعد سمع ربيعة والنظام طلب البراز وسأل الانجاز نادى وقال لم يبرز لى إلا الملك فياض الذى يروم عناق ست الملاح لأجل أن ينظر ما لونها من الحرب والكفاح لأجل ما يطمئن فؤاده ويرتاح قال فلم يتم كلامه حتى صار فياض قدامه وهو راكب على جواد من الخيل الجياد متقلد بسيف من السيوف الحداد معتقل برمح من الرماح المداد عليه درع طويل الا كام حسن النظام مليح الهندام يمنع من ضرب الحسام ولما صار فى الميدان أراد أن يبدى شمت الحصان فجال وصال وطلب من ربيعة الحرب والقتال فحمل كل واحد على صاحبه والتقى طعنه ومضاربه وتطاعنا طعنا وافيا وتضاربا ضربا شافيا حتى علا عليهما الغبار وغابا عن الابصار ساعة من النهار ثم أن ربيعة انطبق على خصمه وصاح وامتدت بينهما عوامل الرماح وتسكافحا أشد كفاح حتى أنهما

اذهل العقل الصحاح وان الحمام ارسل بينهما سهام وملك الموت على رؤسهما حسام واختلف بينهما الطعن ودام وطلع عليهما غبار وقتام وكثر بينهما الدمدمة والكلام قال وكان فياض عرق لا يلين فلان وابصر من ربيعة طعناً ما يبصره من الفرسان فاظهر الصبر والجلد حتى كاد قلبه ان يتفتت منه الكبد وداما على ذلك الرواح حتى تقصفت من ايديهما الرماح وتقاتلا بالصفاح التى هى اعجل لقبض الأرواح ودام بينهما الأمر على هذا الحال وهما فى اشد ما يكون من الحرب والقتال حتى اعتدلت الشمس فى قبـــة الفلك وتعجب كل منهما وهلك وكان اكثرهما تعبا وملا فياض لأنه بلى من قتال ربيعة لأنه رآه عليه فاض ورآه بحر لا يخاض وحس أن مفاصله قد تفصلت وان سهام المنايا قد ارسلت وكان قد بلغ فى فروسيته المنتهى وبلغت منزلته إلى احد السها فخاف ان تنحط منزلته عند قبايل العرب من فرسان اليمن يقال عنه انه اسره صبى صغير قريب العهد من رضاع اللبن فعندها رمى ما فى يده من السلاح ووقف ونادى يا حامية بنى كنانة اننى رايت منك حربا ما رايته من احد من فرسان اليمن ولا فرسان صنعاء وعدن وقد اوهنت منى ما فيه التى فى البدن وانى اريد منك الصنيعة لأن مثلى لا يضيع عنده العهد ولا الأمانة الصدق عند العاقل اجن المطالب والانصاف فى دعوى المروءة اعلا المراتب لأنى انا وحق ذمة العرب اصدق فى نفسى ولا اتخلق بأخلاق من كذب لأننى قد قل منى الحيل والقوى وانسد فى عينى مناقس الهوى ورايت منك مالا رايته من احد من العباد إلا ان يكون من فارس بنى عبس الادهم الذى يسمى عنتر بن شداد الذى شاع ذكره فى سائر البلاد واريد منك يا فارس الفرسان ان تستر حالى بين هذه الفرسان ولا تظهر لأحد ما نحن فيه من الكرب اراك من اهل العقل والفطانة لا يخفى عليك حلول الفتنة وافعل ما اقول لك من التحقيق واجعلنى لك عدة عند كل شدة وضيق وبعد ذلك ترى ما افعل معك من الفعال التى تفعلها الصديق وترى ما يصل إليك من الهدايا والمال إن انت قبلت منى هذا المقال اتركنى اعود من بين يديك سالم واريد منك ان تقاتلنى ساعة وتعود عنى وتظهر السادات بنى شيبان انك طلبت الإقالة منى واعود انا الآخر كذلك ولا يكون واحد منا هالك تكون عودتى عودة المذلول فى مثل الرايح المسبول وترى بعد ذلك ما يصل اليك من الأنعام وما اقول فى حقك فى محل الكرام وإن كنت ما تثق بهذا الكلام ولا اعمل معك ولا ادخل فى اذنك ها انا اسلم اليك والسلام وابقى سير بين يديك حتى يسبب الله تعالى من يخلصنى بالمال والحرب والقتال وتفوتك صداقة

مثل إذا ماسمعت قولى وانتظرت فعلى قال الراوى فلما سمع ربيعة من فياض هذا الكلام أخذه الانبهار وصار من الحياء كأنه ألجم بلجام ورغب فى مصادقة ذلك البطل الهمام وأراد أن يبنى له بذلك مجدا ويكسب بهذا الفعل شكراً وحمداً فقال له ربيعة ياملك افعل ما بدا لك وإن كنت طلبت الافادة فان الله أقالك لأن مثلى لايعب أو يخيب مقالك ولا يردسؤالك ولا يخالف أمثالك على أنى وحق من خلق مايشاء كما يشاء وهو الكريم الرزاق الذى خلق النهار أبيض والليل أسود ولو أردت قتلك من ضحى النهار لجعلتك رزقا لوحش البر والقفار لأنى أردت أسرك فى هذا المقام حتى أنى أفدى بك صهرى الامير بسطام فلما أن سمع فياض من ربيعة ذلك الكلام قال له أنا ما أحوجك إلى هذا المرام بل أنى أطلق لك بسطام وأرحل عنك بسلام لأنى والله ما أبصر مثلك فى سائر الأنام قال فرجع ربيعة وعفا عنه بعد أن كان أراد أن يسكنه رمسه قال فطلع وهو بهذه الخلع وسار حتى أنه وصل إلى أبيه وقومه بنى شيبان فلما إليه أبوه قيس فرح به لما رآه سلم عليه وبعد ذلك صنع الملك قيس وليمة عظيمة لهاقدر وقيمة وفرح بولده وخلاصه من يد قناصة ونحروا النحور وسكبوا الخمور صارت الكاسات عليهم تدور وكان ذلك بحضور فرسان بنى كلب وملكها فياض وقد امتزجت بينهما الخمر والحياض فأكلوا ولذوا وطربوا وحضر فيها أيضاً كبار بنى شيبان فلما كان الغد خلع على الملك قيس خلعة عظيمـــــة من ملابس الملوك العظام خلع على قدمه ورحلوا من عنده وهم فى غاية الفرح والمرام وهم طالبين أرضهم وبلادهم بسلام هذا وربيعة قد أعجبته نفسه وافتخر بما قاله من العلى على أبناء جنسه فجعل يترنم بهذه الابيات :

هلا سألت الخيل عند مجالها ... فى القاع يوما والرجال بمشهد
والطاعنين من الكماة عليهم ... خلع الحديد وكان أملد أجرد
أى الفوارس كان أشجع فى الوغا ... لما تجادلنا بحد سيف مهند
وقد التقيت بقرنها فجعلته ... فى البر ملقى وهو يبحث باليد
هذا مقامى والخيول زواحف ... يوم الهياج وليس لى من مسعد

قال الراوى ولما كان من الغد قضوا يومهم فى الأفراح وتناول أقداح الراح هذا وقد فرحت أم ربيعة وإخوته بما ناله من الفرسان من هيبته وبما قاله من علو منزلته واجتمعت الفرسان بحضرة الملك قيس وشكروا ربيعة على فعله وكيف عجزت عنه الشجعان وما وصل اليه من الخبر

والاحسان فعندها وثب ربيعة قائما على الأقدام فتقدم فى الحال إلى قيس وقبل يديه فقام الملك وترحب فهناه بما أنعم الله عليه من الشجاعة التى أوصلها إليه ثم أن ربيعة بعد ذلك الحال قال يا ملك أنى عزمت على الارتحال فأسير وا إلى أهلى لأنه قد طالت عنهم غيبتى فأذن له الملك بالارتحال فأنعم عليه ثم أنه جمع جهاز بنته لحمله على سبعين ناقة وأضاف عليه شيئا كثيرا من الخيام وقدم له عبدين عنيدين بأيديهما السيوف الصقال فدقت الاماء بين أيديهم الدفوف وركبت المقدمون من بنى شيبان ثم اصطفوا صفوفا فركب الملك قيس فولده بسطام وفعلوا حتى ربيعة ما يجب من الاكرام وطلعت هند إلى هودجها ولم يكن هناك من يحاجبها نخفت بها الاماء والجوار فتبطنوا فى تلك البرارى فسار القوم وصحبتهم الملك قيس معهم ثلاثة أيام فبعد ذلك حلهم ربيعة وردهم باحسن ما يكون من الكلام ما قبل يد الملك قيس فقبله الآخر فى رأسه وبين عينيه وبعد ذلك أخذ ابنته فانفرد بها بعيد عن الناس فصار يوصيها بما يكون فيه الصلاح وأنها تلين المعشرة فتبدى له الانشراح وقال لها يا بنتى أنك عن قليل عائدة الينا فان بعلكى ما يسلم من العدا لان نفسه ما تتركه يذل لاحد من الانام فاذا وصل إليك نعيه فلا تشق عليه جيب ولا تجزى شعراً ولا تلطمى خدا ولا تخمى وجها عــلى عودى إلى أهلك فاحمى نفسك وجميع ما لك وإذا وصلت إلى حلتك فاندبى كما تريدى وافعلى ما تشتهى فاوصيكى أن تخى فى صحبته فلا تردى فى وجهه كلمته فافهمى يا بنتى وصيتى فلا تخالفى كلمتى فقالت هذا السمع والطاعة يا أبت وأما الاخرى أوصتها بما أوصاها أباها قال فودعوا بعضهم البعض فسار ربيعة يطلب أحياء بنى كنانة فهند قد شغفت به أكثر مما شغف بها فزادت محبتها إلى بعضهما بعض فساروا على حالة الوحدة والانفراد فقد عاد الملك قيس ومن ورائه بنى شيبان قاصدين الديار والاوطان هذا وربيعة سار فالعبيد سايرين قدامه تسوق الجمال والمال فتطوى البرارى والقفار وهند تحادثه فتناشده الأشعار وهو يلاطفها فى الـكلام إلى أن وصلوا إلى وادى الأحرام (قال الراوى) وإذا بنواصى خيل قد طلعت عليهم من تلك الروابى والآكام على متونها فرسان كأنهم العقبان على أكتافهم عوامل الأسنان ففى أوائلهم فارس كأنه النمرود بن كنعان هو فى تقاطيع الأسود فالأشطان فهو فى سيره غير منهان والخيل التى تتبعه من بنى هوازن الشجعان فالمقدم عليهم عالى الهلة دريد بن الصمة صاحب المقامات المعروفة بين العربان الموصوفة براحات الحرب ومفرجها من كل أمر صعب فكان كما قدمنا من وصف شجاعته فى هذا الديوان تقدمه على سائر العربان ودخول القبائل تحت طاعته وذكرنا أيضاً من

صفته أنه كان فارسا طويل القامة عظيم الهامة غليظ الساعدين فهو فارس كرار فبطل مغوار كان من جملة المعمورين فى تلك الأيام قد بلغ من العمر أربعمائة وخمسين عاما لم ينقص عليه شىء بل هى عليه تمام إلا أنه لما عرفته هند وعرفت من معه من تلك الأقوام صاحت قائلة والهفى عليك يا ربيعة وعلى نفسى هذا دريد بن الصمة قد وقف لنا بهذا المكان معترض لنا من دون الشجعان أنه هو الليث الغضبان الليث الجبان القامع لجميع الشجعان الذى بشجاعته فى العرب أبلاه بلامه فأفعاله قد بلغت إلى خيل تهامه لأنه كان قبل الآن خطبنى فنعت روحى عنه وخجلته فعايرته بكبر سنه فرديته خائبا لما كان له طالب فإن قلبه من الغليظ ما تخافه من أن يفضحنا بين العرب فأنا أعلم أنه أن ظفر بنا قتلنا فيشتى ما بقلبه منى ثم أنها أسبلت دموعا على وجنتيها فلما سمع ربيعة كلامها نظر إلى جريان دموعها ضحك حتى استلقى على قفاه فتمايل على سرجه فعجب بنفسه من بين أبناء جنسنا فقال لها طيبى قلبك فاسرحى خاطرك فسوف ترين أقوده بين يديك أسيرا فاتركه على الأرض مجندلا عفيرا فافرق هذا الجيش الذى معه فى الأقطار ولو أنه بعدد رمل القفار فطيبى نفسا فلا يلحقك عما قد اعتراك شيئا فما هينا أمر يوجب الخوف والفزع فسوف ترين هذا اليوم من ينصرع فيقع فقالت له يا ربيعة أريد منك قبل حملك عليهم وتصدك اليهم أن تقضى لى حاجة قد عرضت إلى وتكون ثمن بها على فقال لها ربيعة ما هى حاجتك ياروح الأرواح فيا شمس الضحى والصباح فقالت له هند ما هو أن تسلم لى هذا الخنجر الذى معك يكون لى بدى أن ظفرت به ظفرت به على نفسى من شره فمكره وإن ظفر بك فغدرك عندها أضرب بهذا الخنجر صدرى أخرجه يلمع من ظهرى فلا يمكن بعدك أحد فلا ينتهك عرضى بين الرجال ولا أرى بعينى أن أكون صبية بعد ما كنت أميرة محمية على أننى إذا قضى الله تعالى على بأمر ما أقدر أمنعه عن نفسى لكن ما أحب أننى أنفضح مع قوم غير أبناء جنسى (قال الراوى) سادة يا كرام فلما سمع ربيعة كلامها أعطاها الخنجر فناهب للحيل كأنه الأسد الغضنفر هذا والخيل قد طلعت فانشكف الغبره عن ربيعة فمن رؤسهم انقشعت فنظروا إلى الهودج مدبج بالذهب ساير فى ذلك البر فالسبب ليس معه سوى فرد فارس واحد لكن للفروسية عليه علايم فشواهد فرأوا تلك العبيد بين أيديهم فعليهم تلك الثياب المصبغات بأيديهم تلك السيوف المهندات (قال الراوى) كان هذا دريد كما قالت هند هو على مقدمة الجيش كان لم يلحقه فى ذلك العمر الطويل لا دهش ولا ذهل فانظر إلى ذلك الهودج على تلك الناقة فرأى تلك الخيرات التى معهم منساقه فلم يعرف من أى القبايل فأراد أن يعرفهم لأنه

لا يليق على نفسه أن يحمل على امرأة فى هودجها فيسبيها من غير معرفة بها فلم يرمها أحد يحميها فلم يرمها سوى فرد فارس وا حد سار فى تلك القفار فلم يأخذه فى سيره هدو و لا قرار فاراد أن يخوفهم ويرسل اليهم الاعذار فالانذار فزعق فى واحد من قومه فكان ذلك الفارس بن عمه فقال له أخرج يا ابن العم إلى هذه العصابة اليسيرة التى انفردت بنفسها فى هذه القيعان فامرهم أن يتركوا ما معهم من الاموال فيسلموا الظعن بما فيه فينجوا بانفسهم سالمين قبل أن يمسوا نادمين أنظر المقدم عليهم من يكون قبل أن يحمل عليهم (قال الراوى) فلم يشعر ربيعة إلا والفارس أقبل عليه فصال معه وفاجاه فصاح قائلا اخلى ما معك يا غلام ما معك من هذا الحطام وانجو بنفسك بسلام قبل أن تحل بك المنية فتحط بك الرزية فهذه فرسان بنى هوزان المذكورة فابطالها المشهورة والمقدم عليهم دريد بن الصمة العالى العزيمة فالهمة المسمى براحات الحرب عند وقوع الضرب فالطعن فالعارس المغوار فالبطل الكرار قال فلما سمع ربيعة من الفارس ما أبداه من مرامه زعق فيه قائلا ارجع أيها المغرور بنفسه العادم عقله بين أبنا جنسه أنا الفارس المذكور فالبطل الجسور فقال له من أنت يافتى من العرب ومن نعرف من السادات من ذوى الرتب ومن هى صاحبة هذا الهودج العالى المكان المكلل بالذهب فقال له هذه هند بنت الملك قيس بن مسعود الكريم الآباء والجدود فاما أنا فانى الفارس الضيغم فالبطل القشعم ربيعة بن المكدم (قال الراوى) فلما سمع الفارس تلك الصفة حقق القول بالمعرفه لعب لعب على سرجه فرحا فاهتز مرحا فعاد يخب بالجواد حتى لحق بدريد بن الصمة فاخبره بذلك فكاد قلبه أن ينشق من الفرح لابن عمه عد اليه فقل له ينجو بنفسه فيخلى فيخلى عنه الترح ويخلى محبوبة قلبه هند فى هذا المطرح فيعود سالم قبل أن يعدم فيصير عادم فان هو عصى عليك فلم يسلك نفسه اعدم حسه فأتنى برأسه فاخمد أنفاسه فعاد الفارس إلى ربيعة مثل البرق حتى صار معه فبلغه رسالة دريد بن الصمة وما قال من الكلام فلما سمع ربيعة منه ذلك اسودت الدنيا فى عينيه فلم يعرف ما بين يديه فتغيرت أحواله فحمل على ذلك الفارس فصاح وقال له تتهددنى يا ابن اللئام بهذا الكلام ثم أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

دع عنك ذكر الحرة البديعة لانك تلقى دونها ربيعة
فى كفه خطية منيعة تنظرها فى طعنها سريعة

قال الراوى ثم انه حمل على الفارس فزعق فتلاحما افتصادما فارتفع غبارهما حتى صار بين الأرض والسماء فبعد ذلك صرخ فيه ربيعة فابهره وحمل عليه فاضجره فطعنه فى صدره

فاطلع السنان يلمع من ظهره فمال جديل وانصرع قتيل فاخذ ربيعة فسلمها إلى بعض العبيد ووقف مكانه البرج المشيد فكان ذلك عند إقبال الجيش فدنا اليهم قائلا هل مبارز اليوم يوم الهزام فقفز اليه فارس ثانى غائص فى الحديد فالزرد النضيد فصاح فيه وقال ويلك يابن اللئام خل عن الطعن فانجو بنفسك مالم انت برىء من دم ابن عمنا المقتول فدمه الك مطلول فلما سمع منه ربيعة ذلك متنبله بطرف السنان وقال له ياابن اللئام نسل الشيطان كيف أخلى عن السيدة المخدرة هند البديعة فدونها الفتى ربيعة فى كمية غصب ضربته سريعة مريعة ثم أنه حمل عليه فضايقه فلاصقه فاكزبه فطعنه بالسنان فقلبه بعد ذاك صاح ربيعة على عبده الفتاح فأخذ ما عليه سلبه ووقف ربيعة على متن الجواد ينظر من يخرج اليه من الفرسان الشداد يقول ياهند أبشرى بفناء الأعمار من هؤلاء الانذال الاشرار فما يجرى عليهم من الذل فالدمار ثم جال وصال فنادى فقال يامعاشر الفرسان دونكم فالميدان أخرجوا إلى محل الطعن والمجال فلما رأى ذلك ودريد بن الصمة احترق فؤاده عليه فاراد ان يخرج اليه فسبقه فارس ثالث سار بهمة سريعة حتى صار بين أيدى ربيعة قال له اعلم انى لك ناصح فعدأنت رابح قبل أن تبقى بجندل فى الصحاصح فلم يرد ربيعة عليه دون حمل عليه فطعنه فى صدره أخرج السنان فلمع من ظهره فالحقه بأصحابه ثم نادى قائلا يابنى الزوانى لايبرز إلى فارس منصاد فقد حان فروع آجالكم وفلع آثاركم فى هذا المكان فتعجب دريد منه ومن شجاعته فقال يابنى عمى مافيكم من يبرز اليه فيأخذ روحه من بين جنبيه أو يأخذه أسيرا فيرحله من على جواده ذليل حقير فاتم كلامه حتى برز اليه ابن عم له رابع كان يقارب دريد فى الشجاعة فالامتناع كان قوى القراع فهو عالم بابواب الصراع يقال له همام بن دفاع فلما نظر اليه دريد دو إلى وثبته اليه قال همام دونك فلقاء هذا الغلام فخذ منه بالثار واكشف عن بنى عمك العار فقفز همام مثل الأسد الضرغام فعول على الصدام فتضاربا حتى طلع عليهما القتام فارتفع الغبار حتى غيبهما عن أعين الطائفتين فلما اختفيا عن أعين النظار اختلف بينهما طعنتين قاتلتين فكان السابق بالطعنة ربيعة فجاءت بين ثدييه فطلع السنان يلمع من بين كتفيه فالحقه بمن تقدم قبله ثم خرج اليه خامس فسادس وكان الجواد فى بطنهما داعس فسابع جعل المقابر مرتخله فثامن من قطع من الحياة أمله فتاسع على وجه الأرض جندله فعاشر عن فرسه وجله قال فلما نظر دريد إلى بنى عمه وقد أحاطت بهم الرزية أدخلته الحمية الجاهلية فتحركت فى رأسه النخوة العربية فلم يجد له صبر دون أن خرج اليه راكب على حصان يسبق الطير فى الجريان فصاح به وهزه ودق على جقبيه بكعبيه فكان جواد أبرش لايلم به رعش ولا يلحقه دهش فخرج من تحته كالبرق إذا

يبرق أو السهم إذا مرق فجال دريد على ظهره وصال فانشد يقول :

سل الأبطال عنى فى قراعى | وكم أرديت من بطل شجاع
وكم قرن تركت دماه تجرى | وقد نزلت بـــه هم التداعى
وكم قطعت الليـــل فيه | وغابات الأسود لهـــا أساعى
كم جيش صددت بصدر المهر | وسيف يلمـــع كالشعـــاع
ورمحى فى أعاليـــه سنان | يفرق بطعنه لذع الأفاعى
فكم قرن ملات حشاه طعنا | وبدد فى الثرى ماقى الأماعى
ولى عادات الأسد يوم حرب | ولكن لا يرى لهـــا اندفاعى
وأن لم تنج فسوف تذوق حربا | يشيب الطفل فى زمن الرضاع
يلاقى فى الحروب لها راحات | تدار بها النفوس على القراع

فلما رآه ربيعة باردا اليه وعلى حربه عول علم أنه ذو بأس فاستقبله برمح مديد وقلب أقوى من الحديد فقابه وناداه وحمل عليه فاجأه واجابه على عروض شعره يقول :

أتت هند وقد أبدت بدمع | يذيب القلب من خوف القراع
فقلت لها وقد كففت الدمع عنها | نواصى الخيل ويلك لاتراعى
فسيفى قاطع فيه دوا يداوى | الرأس من ألم الصداع
ورمحى فى أعاليه سنان | يفوق بطعنة سم الافاعى
فكم قربا ملات حشاه طعنا | يلوح كمثل ثار فى بقاع
وما مثلى يروع خوفا يوم حرب | ولا أنا مقعد ان لاح داعى
فكم جيش تفرق يوم طعنى | وكم ذاق المذلة فى السماع
وكم من ساداتهم فى الارض صرعا | وقد قامت بهم نعى النواعى
وقفت لها وكم نادى المنادى | من الابطال فى كل البقاع
أهند لو سالت بقاه يـوم | على الأجل المقدر ان تطاعى

قال الأصمعى رحمة الله تعالى عليه فلما فرغ ربيعة من نظامه ونثره صدام إلى دريد بن الصمة بصدره وكانت صدمة صادقة وأراد أن يجعلها إلى عمر ماحقه فابطلها عليه بشدة باسه وقوة مراسه وحمل عليه بعظم أختلاسة فجرى بينهما مالا بكل الوصف عن حدقياسه وخاطر كل واحد منهما بروحه وأجتهد فى الحرب حتى ضاقت أنفاسه وتهدم فى الصدام أساسه فكل دريد واضمحل وأستطال عليه ربيعة لما رآه من الحرب قد مل فاقلب الرمح إلى وراه وطعنه فى صدره أراده على الأرض القاه فانقض عليه عبده وشده كتاف وقوى منه

السواعد والاطراف ثم أن ربيعة انقض على بقية أصحابه فاجاد فيهم بطعانه ففرقهم فى السحر ليس فيهم من يسمع ولا يرى وكان ذلك الوقت قد صار آخر النهار فنزل ربيعة لاكل الطعام وأخذ الراحة وعزم على المبيت فى تلك الساحة ثم طلب دريد إلى بين يديه فنداذله الاسر الذى حصل إليه فقام ربيعة إليه وحل كتافه وأطلقه من وثاقه وقال له يا أبا النظر لا يدخل على قلبك شىء من هذا الاسر لانكم أنتم الذين أبليتمونى بقتالكم فانت شيخ العرب عليهم مقدم فاأشتهى أن يقال مثلك أسره ربيعة بن المكدم لان ظهور هذه المقالات شنيعة فلاجل هذا السبب أبقيت عليك وإن كنت أوصلت الاذية إليك فهذا جزاء لك فشكره دريد وأثنى عليه ولم يؤاخذ بما وصل منه إليه فقال له دريد نحن الذى تعدينا عليه يا ربيعة فاردنا أن ناخذ زوجتك هند من بين يديك ونوصل الأذية إليك فعاد بغينا علينا وجازانا الله تعالى بما لاقينا وكان ذلك لاجل أقوام تدانته أعمارهم فقتلوا أوحل بهم وبالهم والمثل فى ذلك يقول الخير بالخير والبادى أكرم والشر بالشر والبادى أظلم ثم أن ربيعة بعد ذلك الكلام قدم لدريد جوادا من الخيول الجياد وأمره بالركوب والعودة إلى أصحابه قبل أن يمضوا إلى قومهم ويخبروهم بما أصابه فركب دريد ولحق قومه وكان قومه قد وقفوا حتى ينظروا ما يجرى على دريد مع ربيعة لانهم خافوا من عتبه عليهم فوصل اليهم وهو مهمة مربعة وأخبرهم بما فعل معه ربيعه فتعجبوا من ذلك وقالوا له والله انه فعل الصنيعة فى حقك ولم أحدا غيره يفعل كفعله ثم انهم ساروا يطلبون ديارهم والاوطان. ودريد يمدح ربيعة وما فعل معه من الخير والاحسان وهو ينشد هذه الابيات :

ما أن سمعت ولا رأيت بمثله ... حامى الصنيعة فارس لم يغفل
أرى فوارس لم يكونوا بمثله ... ثم استمر بمثلى كانه لم يفعل
متهللا تبــدو بشاشة وجهه ... مثل الحسام جلاه كف الصيقل
يحمى حليلته ويسحب رمحــه ... متوجها بجــوداه للمــنزل
لمــا رآنى كالهــزبر واننى ... القى الزمان إلى الغزال الاكحــل
أتى نحــوى مبادراً مستقبلا ... كالليث يحمى عرين الاشبــل
فحمدته لمــا رأيت صنيعه ... وعلمت أنى قد أتيت بباطــل
ياليت شعرى من أبوه وأمه ... ياصاح مثل ربيعة لايمــاثــل

قال الراوى هذا كان من دريد بن الصمه فانه لما سار فى البرارى والآكام بعد ما جرى له مع ربيعة وأصحابه من الحرب الصدام وسار هو وزوجته هند والعبيد من ورائهما يسوقون الجمال والاحمال وهم طالبين ديار قومهم والاوطان قد بلغ من وصال زوجته هند الآمال

وأزال ما بقلبها مما سمع من عبيده عند قومه الا تعجب بنفسه قال له الرجال ما قال فتذكر ما جرى له وهو لاقى في سفره من بلوغ مراده وقدومه إلى العرب فأنشد يقول :

حميت حلائلي والخيل تجري وقد عقدت أسواقها بغبار

أسرت فوارساً من آل بكر مع الجشمي دريد ذي الفخار

ونادى أخو دريد حين ولى وسيفي والسنان شرار نار

ترفق بي فذاك الناس مني بنصل مثلك يا فارس حذار

عفوت ولم يُر فضلي عليه ولو ذاك أضحى في القفار

قتيلا تنهب الأطيار منه عيونا طال ما بذلت شرار

قال الراوي ولما فرغ ربيعة من ذلك الشعر والنظام وقد تبطن تلك البراري والقفار وهو طالب أهله والديار وكانت أمه وأخته وزوجته في هوادج على الجمال قال فما سار بعد ذلك إلا شيء يسير وكان ذلك الوقت وقت القائلة والهجير وإذا بغبرة من بين أيديهم قد طلعت وتزوبعت وإلى الجو ارتفعت وإليهم قد أقبلت ولما قاربت انقشعت وانكشف من تحتها فارس وهم أبو شهواس ما منهم إلا كل مدرع ولابس نال الأصمعي فلما رأى ربيعة إلى ذلك الغبار الذي قد أتى إليهم فعند ذلك أمر في الحال عبده مفتاح أن يضم المال ويجمع أطرافها إلى بعضها بعض كما جرت بين العربان العادة وبجيدها فعل كما أمره مولاه وقال له بعد ذلك أتاني بخبر هؤلاء القوم فسار العبد حتى قرب منهم ولم يشرلو ونادى وقال يا معاشر العرب الواردين من أين أتيتم وإلى أين أنتم سائرون ومن يقال لكم من العرب أصحاب النسب قال فبادر اليه منهم فارس همام وبطل ضرغام وناداه وقال ويلك يا عبد اللئام نحن من بني عبس وعدنان الكرام الضاربين بالحسام المسمون بفرسان المنايا والموت الزؤام فقال له مفتاح من هو مقدمكم والحاكم عليكم فقال له العبسي ويلك يا ابن اللئام مقدمنا الفارس الجواد الثابت يوم الجلاد الطاعن بالرماح الصعاد الضارب بالسيوف الحداد دالمالك بين العرب الأجواد فقال له أنا مفتاح وقومنا بنو كنانة أصحاب الوفاء والأمانة ومقدمنا وفارسنا المقدم والبطل المعظم والفارس المكرم المسمى بربيعة بن المكرم فقال العبسي ويلك ارجع اليه يا ابن الأنذال وقل له يتخلى من الأموال وينجو بنفسه وإلا صيحت قتيلا على وجه الأرض مجندل قال الراوي ثم عاد العبد إلى سيده ربيعة وقال له يا مولاي هذه الأقوام الذي أتوا اليه من هذا البر والآكام هم عربان الأنام فرسان المنايا والموت الزؤام الذي ذلت لهم العرب وافرسانهم بنو عبس الأجواد الذئاب الضامرون وقد هم الفرسان أو نادهم

من الأموال والجمال وذمة العرب يامولاى اليوم يحل بنا الوبال وتقع فى الهلاك وسوء الارتباك لأن يا مولاى معهم عنتر بن شداد فارس الزمان الذى قهر جميع الفرسان وأباد الأقران وذل له فى الميدان كل بطل جواد وفاق عليهم فى الطعان والطراد ومن جملتهم أسر أبيك المكدم فى أول سفرته وفرق قومه وأطلقه بعد أن جز ناصيته قال باسناده يا كرام فقال له ويلك كيف أسر أبى مع فرسان العرب أطلعنى على هذا القضية والسبب فقال له مفتاح اعلم يا مولاى أن بنى عبس فرقة يقال لها بنو زياد فعادوا عنتر بن شداد وفى بعض الأيام وقع بينهما فتنة وكياد فرحل عنتر بن شداد إلى جبال الردم ووادى الرمال فى عشائر بنى قراد وجمع عليه الملك النعمان جمع كثير من قبائل العرب فسطا عليهم وكسرهم وأخذ أبوك زيد المكدم وجملتهم ولما وقع الصلح بينهم جز ناصيته وأطلقه من قبضته وهذا جملة ما عندى من حديث والخبر وقد أطلعتك على جلية الأثر فقال له ربيعة يا مفتاح أن كان عنتر قد قطع شعر أبى وجز ناصيته فأنا اليوم أقبض عليه وأقطع رقبته وأبيد أهله وعشيرته ثم أنه فى ساعة الحال لبس ملابس عدة جلاد واشتمل بلامته وقفز إلى الميدان جال على ظهر الجواد وطلب الحرب والطعان فبرز إليه فارس من بنى عبس الأشاوس فلما نظر ربيعة إلى ذلك الفارس قاصد إليه ساق جواده وحمل عليه ولا أمكنه أن يفتل فى الحسام ولا يجول بين يديه حتى طعنه فى صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره قال الراوى وكان المقدم على القوم فى هذا اليوم غصوب ابن عنتر وكان لذلك خبر سوف يذكر فلما نظر إلى ربيعة عرف منه تلك الهمة السريعة أمر فارساً ثانى بالخروج إليه فما كان غير قليل حتى خرج إليه ذلك الفارس وأراد أن يجول معه فما أمهله ربيعة دون أن أدار الرمح فى يده طعنه بعقبه فى صدره ألقاه على ظهره فانقبض عليه عبده مفتاح مثل هبوب الرياح وشده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف فبرز إليه فارس ثالث فقتله ورابع جندله ولم يزل يبرز إليه فارس بعد فارس وهو يقتل ويأسر فلما نظر غصوب إلى ذلك الأمر المكروب فلم يمهله دون أن يبرز إليه كأنه البلاء المصبوب فالتقاه ربيعة بصدر منشرح وقلب القتال غير منطرح وجرى بينهما حرب شديد وقتال عنيد وتصادما صدمات الأسود إذا تصادمت واختلط اختلاط البحار إذا تلاطمت قال وقد داما فى صدام ولزام وتجريع الموت الزؤام حتى انعقد عليهما الغبار والقتام بعد ذلك أضجر ربيعة لغصوب وأهله وانحط عليه السيل فى هدوء الليل ولم يمهله حتى أنه قبض على أزياقه وجذبه وعن سرجه رجله وهو قابض عليه حتى أقبل عبده مفتاح وهو يهف مثل هبوب

الرياح وعاون سيده عليه حتى شده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وساقه إلى عند العبيد فأخذوه وأوثقوه الوثاق الشديد الذى ما عليه من مزيد قال فلما نظر أخوه ميسرة إلى ذلك الحال حل به الوبال ولحقه الاندهال وحمل على ربيعة كأنه الليث الرئبال يروم خلاص أخيه غصوب فالتقاه ربيعة كأنه الأسد الوثوب وتطاعنا طعنا أحر من الجمر وأمر من الصبر فعند ذلك وقع بميسرة الفشل والخبل فعرف ربيعة منه فهم به وعرق فى طلبه وقد أدار الرمح إلى وراه وطعنه فى جانبه فدق ضلعه وعن جواده كركبه وبعد ذلك صال وجال وحمل على فرسان بنى عبس وعدنان فرآه ميسرة وهو مشتغل عنه بالفرسان فعاد على عقبه فالتقاه بنو عبس وهو فى حالة النكس والتعس فقال له عمه مازن ما الذى رأيت فقال رأيت الموت فى سنانه والمنية فى بنانه وأنه فارس مداعس وهمام على الأعداء مارس ولو أنه أراد قتلى لكان قتلنى بل أنه ركزنى برأس السنان فدق لى ضلعان فقال مازن ما هو الاعلام وبطل صنديد فقال ميسرة وعيشك أنه أصلب من الحديد فلله دره من فارس فما أجله فى الحرب وما أقواه فى الطعن والضرب ثم وقع بعد ذلك مغشيا عليه فعندها تبادروا إليه وقلموا الدرع من عليه فرأوا أضلاعه اندقت فشدوه وقد تحيروا لما رأوه (قال الراوى) وأن ربيعة بعد هرب ميسرة عاد إلى مقامه ونادى يا بنى عبس هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم هزاهز فقال مازن من فيكم يبرز إليه فلم يجبه أحد فزعا من هيبته وقد فرحت هند بما ظهر لها من شجاعته يصول ويجول كأنه أسد كول فقال مازن أخرجوا إليه وطاولوه فى البراز حتى يلحقنا أخى عنتر قال فخرج إليه منهم فارس عضنفر فلم يمهله ربيعة دون أن أخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه إلى عبده فأخذه وأضافه إلى غصوب وعاد ربيعة إلى زوجته وهو كالأسد المهوب فقالت له يا ابن العم ما لقيت من هؤلاء القوم فقال والله يا ابنة العم أنهم أسود الشرى وليوث البيداء وقد هدمت ركنهم ولولا هجوم الليل كنت أخذت من غنائمهم فقال له عبده مفتاح يا مولاى أن هؤلاء الأقوام ينتظرون قدوم الفارس الهمام والبطل الدرغام وهو أبو هذا الأسير الذى عندك وكأنك به وقد أشرف عليك ويخلص الأسارى من بين يديك لأنه يا مولاى فارس منصور وعلى فرسان العرب قدور بما قهره مارس ولا روعه ممارس وهو الذى قهر عمرو ابن معد يكرب الزبيدى وذو الخمار الحميرى وعامر الطفيل وملاعب الأسنة والعباس بن مرداس وعمر بن ود العامرى وشهدت له العرب بالشجاعة والبراعة فكن منه على حذر وتجنبه فإنه بطل قسور فقال له ربيعة سوف ترى من مولاك ما يقر به عيناك أن جمعتنا المقادير أنا وإياه فى ساحة الميدان ومحل الضرب والطعان ثم عاد إلى هند فالتقته وقبلته وقالت له مثلك

حماك الله الحي الباري وبك تفتخر القبائل وأنت القمر الزاهر أبيع الماهر فلا خلت من طلعتك
ولا عدمت رؤيتك (قال الراوي) وكان السبب في لقائهم بربيعة وهذا المكان الذي سلم من
أصحاب عمرو بن معد يكرب فسار إلى أرض الشربة وأهل السعدي ودخل على عنتر
ابن شداد وحدثه بما جرى على عمرو بن معد يكرب من الانكسار على يد ربيعة بن
زيد المكدم وكيف أوثقهم قبل أن يؤسر وقال لنا كل من سلم منكم يوصل
خبري إلى عنتر الفارس المعلم فقال لعنتر وها أنا قد أتيتك وقصصت خبره عليك
(قال الراوي) فلما سمع هذا المقال ركب من وقته وساعته وسار طالباً ديار بني كنانة وقد
صحب بني جماعة من فرسانه وأولاده وأخيه مازن وعروة بن الورد ورجاله فقربوا طريقهم
على بني يشكر فغاروا عليهم وساقوا أموالهم وأولادهم وجمالهم وسلمهم عنتر إلى أصحابه
وسيرهم في المقدمة ووقف هو وعروة بن الورد حامية لهم كأنهما أسود الريبال ولما ساروا
فيمن معهم من الأموال قربت الخيل وفي مقدمتها جياش بن طالب اليشكري وكان شيطان
العرب وقد حضر حرب البسوس ولقي الحارث بن عباد ولحق عنتر بن شداد وصاح به يا ابن
الأنذال اللئام اليوم أحلت بك العار وأورثك الذل والعنا وآخذ منك الأموال يا ابن الأموات
الأرذال ثم إنه ركب أسه في ربوص مرجه وحمل على عنتر وضربه بالسنان فالتقاه عنترة
الفرسان ودار بينهما الحرب والطعان وخرج منهما طعنتان قاتلتان واصلتان فكان السابق
بالطعنة جياش إلى عنترة فجاءت على دائر درقته حتى سار بطالها وأما طعنة عنتر فجاءت على أصول
شفه فطيرت رأسه من على جسده وبعد ذلك حمل على أصحابه هو وعروة بن الورد في دون ساعة
قتل منهم خمسين فارس أسود وابس وولوا الباقين منهزمين إلى النجاة طالبين وعاد عنتر
من ورائهم وحوى جميع الأسلاب وحازموا أنهم وباتوا ليلتهم إلى أن عولوا على المسير
والرواح وإذا بخبر التقاهم وأتى النذير اسألوهم عما هو فيه فأخبرهم بما جرى على
أولاده من ذلك الأمر واستبرخوا أن سمع الأمير عنتر الفارس التحرير ما أصاب أولاده وما
حل بهم جرى في ذلك الوقت والساعة وركب جواده وركض وسار إلى خلاص أولاده وجرير
بين يديه يقص عليه الأثر وهو يتنفر من على جواده وهو سائر في تلك الأرض والمهاد
(قال الراوي) وأما ربيعة فإنه لم يبارز بني عبس حتى أسر منهم خمسة عشر من الأبطال
وكان آخر من برز إليه البطل ابن أخت الأمير عنتر الفارس الكرار ووقف لحربه من ربيعة

التعب والنصب فاراد ربيعة أن يرجله من على جواده وإذا بزعقة صدر البرية كأنها الرعد القاصف فارتاعت لها الخيل وقلت من أجلها الخيل فالتفتت نحوها الفرسان ومدوا إليها العينان وإذا بالصائح ينادى ويقول أبشروا بالأسد والبطل الأمجد والصارم المهند عنتر بن شداد البطل الأمجد فتواثبوا بنو عبس وحذفوا عمايمهم فى الهواء فرحا بأبى الفوارس البطل الضيغم هذا وربيعة بن المكدم مشتغل بخصمه ولم يلتفت إلى قدوم عنتر بل أنه انقض على الهطال وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وأوثقة كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وأقرانه إلى رفقته من بنى عبس وعاد ربيعة وقال لعبده ويلك أبصر من الفرسان فغاب ثم عاد وقال يامولاى هذا عنتر بن شداد فخذ لنفسك منه الحذر وقال فلما سمع ربيعة من عبده ذلك الكلام قال له ياابن اللئام قدلى جوادى الأصغر فقدمه له مسرجا ملجما وناوله درقته وكانت من جلود الحيتان وتقلد بسيفه كأنه البرق وأطلع له رمحا من ح يدفا وثق كعابه فى التركيبه وكان ذكر فى أنثى وأنثى فى ذكر مز ركب على رأسه سنان يخطف الأبصار وأفرغ على جسده درعين ودرع ثالث سليمانى قدكمل المعانى وركب على رأسه بيضا عادية ململمة بجليه ومن فوقها سلوك حديد وفوقها شملية من البولاد تدور عند مضربها مثل اللولب فى الدوران ورق فى عدة كاملة قال وكان عنتر قد التقى بقومه وقد فرحوا بقدومه وعلم بما فعل ربيعه فعظم فلبس درعه ولبس من فوقه درعا سابورى وركب البيضاء على رأسه بسيفه وركب على جواده وبرز مثل الأسد وهو يترنم بهذه الأبيات ويقول :

يا أيها الجان الينا ساقك حتفك والفخر الينا قادك
فدونك تلقى فارسا لك ضيغما فى خوض ديجاتها معاركا

قال الراوى فلما سمع ربيعة شعر عنتر أجابه يقول :

ها أنا قد جئتك مشابكا بطعنة تبقى بها هالكا
فاستلمها قبل أن تتداركا السباع بكرة تتهاشكا

قال الراوى ثم أنهما بعد ذلك النظام حملا على بعضهما البعض فى تلك الآكام وقد أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة والتقيا فى الميدان بأبواب حسان وتطاردا إلى أن على عليهما الغبار غابا عن الأبصار وستراهما النقع المواز وحل عليهما الغضب وعلاهما البلاء والكرب وتطاعنا شديدا وتضاربا ضربا وافيا وأخذا فى الكر والفر والصيد والرد والهزل والجد

وفتحا لها فى الحرب أبواب حسان حتى ضاق بهما الميدان وكلما فتح أحدهما باباً سد له الآخر ستراً وحجاب لأنهما كانوا فارسين الدهر وشجاعين العصر ولم يزالا كذلك ثم أن تنصف النهار وافترقا على سلامة وما منهما من وصل إلى صاحبه بضربة ولا بطعنة فعند ذلك وقفا ساعة فى الميدان حتى أخذ لهم راحة الأبدان وعادا بعد ذلك حملا على بعضهما البعض وتطاعنا بالرمح الكعوب إلى أن دنت الشمس للغروب وافترقا على سلامة وما بلغ أحد من صاحبه بعد أن قال ربيعة لعنتر يا أسود الجلد يا وضيع الأب والجد الخيل من تحتنا ملت من الجولان وكلت من الانطباق فى الميدان ونحن الآخرين قد عجزت زنودنا من الطعان والجولان فهل لك راحة من التعب ولجوادك من الجرى والخبيب وعند الصباح نعود إلى ما كنا عليه من الحرب والقتال وكل من نصر على صاحبه كان ذلك من سعادته فقال عنتر أجبتك إلى ذلك فعاد عنتر وكان ذلك الكلام الذى قال له ربيعة اليه كان غاية مناه لأنه قاسى من ربيعة يوماً ما قاسى مثله مع سائر البشر وأيضاً كان جواده قد تعب وقصر قال فالتقوه بنو عمه وهنوه بالسلامة وسألوه عن خصمه فقال عنتر والله ما رأيت قط مثله على صغر سنه قال وأما ربيعة بن المكدم فإنه قد قدم عليه عبده مفتاح وقال له يا مولاى ما كان من من خصمك يا فارس البطاح فقال له أنه فارس العصر ونخبة الدهر فله دره ودر والدته فقد رأيته فارس وأى فارس ماله مثيل ولا مقايس ولقد رأيته شجاعاً عظيماً وبطلاً كريماً وقد مضى لى اليوم معه أبواب فى الحرب طاشت لها أولوا الألباب قال الراوى بعد ما جرى لربيعة ابن المكدم وأما من فارس الزمان عنتر البطل المعظم فانه لما استقر عند قوله حدثه بما جرى له من ربيعة بن المكدم فى يومه وهنوه بالسلامة وسألوه عنه فقال فارس همام عمرك تطارده ما قدرت عليه ولا وصلت اليه لأنى نظرته كلما هممت بالطعنة وتكون محكمة إلى صدره فيلتوى على ظهر الجواد ويكون على ظهر الأرض والمهاد وإذا ضربته ثانى فيكون على الضربة متوانى وتارة يا أخى انظره صار لجواده حزام وتارة يكون تحت بطن الجواد وهذا يا ابن الأم صفة للفرسان الأجواد فقال عنتر إذا هو فعل ذلك قلنا مثله وأكثر منه وما ندعه يصل إلينا ثم أنهما باتوا على مثل ذلك إلى الصباح فركبوا الجرد القداح وتضاربا بالرماح حتى تقصفت وبالسيوف حتى تثلمت وهما فى قتال ونزال وهزل وجد ورد وصد وبعد وقرب حتى أنهما كلا واضمحلا وافترقا عن بعضهما بعض ليأخذوا الهمة واحدة مقدار ساعة من النهار وإذا بربيعة بن المكدم زعق على عنتر وقال له يا أبا الفوارس احمى

نفسك وجوادك واجتهد فى ضربك وجلادك وأطعنى ثلاث طعنات فان دمى يكون لك عند ضربك مباح وإن سلمت منهم فاطعنك طعنة واحدة وبعدها لم أطعنك ثانى وأسلمك روحى قال فلما سمع عنتر من ربيعة هذا الكلام مع صغر سنه صار الضياء فى عينيه ظلام فاجتهد وشجع نفسه وأوسع فى مجاله ومسك الرمح وهزه حتى بان الموت من فرنده وزعق على ربيعة وقال له خذ هذه الضربة بالرمح وضربه بهمة وغضب فالتوت ربيعة على الجواد وصار له خبب ثم قفز فبقى على ظهر الجواد بعدما راحت الضربة على الارض والمهاد وقد سارت بطالة خائبة فقال ربيعة الثانية يا فارس الحرب فلما نظرت عنتر إلى ضربته وقد راحت بطالة ولم تؤثر فيه فازورت عيناه وابيضت شفتاه وبقى عبرة لمن اعتبر وقال له خذ الثانية يا ابن الزانية ثم ضربه بشدة فالتوى ربيعة وبقى لجواده حزام وقفز فبقى على ظهر جواده مثل السبع الهمام وقال له الثالثة يا فارس الأنام بعدما راحت الضربة فى الهواء فلما نظر إلى ذلك الغلام وما رآه خاف منه ولا انذعر فضمم اليه بضربة مثل الحجر وقال خذ هذه الثالثة فإنها تكون إلى روحك هالكة وضربة بشدة وحرض فالتوى ربيعة على سرجه إلى الأرض وقفز فبقى على ظهر جواده مثل السهام إذا انقتض بعدما راحت الأخرى وصارت كأنها ما كانت فقال ربيعة لعنتر الثلاث طعنات راحوا خائبات وسلمنى منهم رب الارض والسموات فاحترز لنفسك يا ابن السادات حتى أنى أطعنك طعنة واحدة فتكون لروحك مبددة وبعدها لم أطعنك غيرها لأنى شرطت ذلك على نفسى ذلك فقال عنتر أنا فى الحرب منصف أفعل يافتى ما بدا لك فقال ربيعة قف يا عنتر مكانك والزم عنانك ثم أنه طلع من ساق فى خفه حرير بيضاء وأطلع منها سنانا كأنه القضاء والقدر وحذفه فى الهوى والتقاه على رأس الرمح فنزل محرر كأنه ملحوم بلحام وما هو مؤخر فمسكه وصوب به إلى صدر عنتر فاجت بنو عبس واضطربت فقال شيبوب أريد أن أتقدم إليهما وأنظر إلى فعلهما فقالوا له افعل ما بدا لك فسار شيبوب فلما وصل إليهما قال أخوه عنتر إلى أين يا ابن الأم فقال له على ماذا عولت يا أبا الفوارس فقال له أنى أناصفه على نفسى كما هو أنصفنى على نفسه فقال له وتثبت له حتى يطعنك فقال له نعم أطيعه وإذا قتلنى حاموا عن أنفسكم فانا أعلم أنكم ما ثبتوا اقدامه فهم عروة أن يكلمه فما ابن عنتر من ربيعة الحملة عليه لحمل ربيعة وهو بهمة مرعبة فقال عنتر ويلك يا ربيعة فقال لماذا يا أبا الفوارس فقال له حتى استوى على سرجى واحترز على نفسى فقال ربيعة أجبتك إلى ذلك قال الراوى فعند ذلك أطلع رجليه من الركاب وقام قائما على قدميه ووضعهما

فى وسط السرج فبقى كانه النخلة السوق فقال له ربيعه تروم تفعل مثل فعلى إذا وافتك الطعنه تقفز إلى الأرض ما أنت بهذا خبير ولا على مثله تر و فقال عنتر معاذ الله أن أنزل من على سرجى إلا كرها فقال ربيعة فما أردت بهذه الفعال فقال عنتر أنا أعلم أن طعنتك التى تطعنها إلى تجىء واصلة صادقة إلى صدرى فاذا جاءتنى وأنا متمكن من سرجى تنفذ من بدنى وإذا كنت قائماً قلعتها من غير أن تخالط السنان بدنى وقد عرفت الطعنة من قبل أن تطعنها فافعل ما بدالك يا فتى لم أحول من قبالك فلما سمع منه ذلك الكلام ضار الضيا فى عينيه ظلام وقال له احم نفسك يا عنتر كما تقول فان طعنتى لا تحول فحمل ربيعه على عنتر وبقى عليه وزمجر وهو الرمح فى يده فالتوى كأنه ثعبان وزعق فى ضربته وقال خذها يا أبا الفوارس قال فلما نظر عنتر الضربة وهى واصلة اليه قصر رجليه فى الركابين والصق صدره إلى القربوص ورأسه بالعناد الذى للجواد فسبح السنان على البيضة وعبر على أكتافه بين الدروع والثياب فهم ربيعة أن يقلع الرمح منه فمد عنتر يده بقوة ومسك صفحة السنان وجذبه فانفك الذكر من الأنثى وحصل نصف الرمح مع عنتر ونصفه الآخر مع ربيعة وبعد ذلك اقتلع عنتر رمحه من الأرض واقترب وألوى رجله إلى الركاب وضرب به ربيعة وهو مثل العقاب فالتوى ربيعه عن سرجه وجانب حسامه وضرب به رمح عنتر أبراه كما يبرى الكاتب القلم فمد عنتر يده إلى الضامى وسحب وهجم عليه وساراه فى الحرب ثم تضاربا بالسيوف حتى خرس منهما اللسان وذهل الجنان إلى آخر النهار وافترقا على سلامة ولم يبلغ أحد من صاحبه مرامه وعاد ربيعة إلى قومه فهنوه بالسلامة وقالوا له كيف خصمك فقال قد شاب رأسى وقد تجرعت بهذه النوبة كاس عناقى وأحاطت بى الزوبة لأنه فارس لا يلتقى وقد بقى لى معه فرد باب واحد من الأبواب فاذ ظفرت به وإلا أنا من الهالكين فقالت له زوجته هند اعلمنى وما ذلك الباب حتى تعقله وانظر فى هذه الأسباب وانظر إلى هذا الباب فقال إنكشف له حتى يدخل على بما أتقنت له من التدبير فاذا ضربنى فأخذ الضربة على درقتى وهى من الحديد الصين فينكسر سيفه فأخذه أسير وأقوده ذليلى حقير فقال له يا مولاى أن هذا الباب صحيح وأن الذى دبرته هو قول صحيح مليح قال الراوى هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان عنتر وأصحابه فانهم تلقوه وهنوه بالسلامة وقال له ما الذى لقيت من خصمك يا أبا الفوارس فقال لهم عنتر لعن الله الكذب والله أنه فارس ما عاد ينتج بمثله ولقد لقيت فرسان وشجعان وجبابرة عظام فما رأيته

مثله فى هذا الزمان وكلما فتحت له بابا من الحرب سده على بستر وحجاب فوالله ما له نظير بهذا الزمان وما بقى معى غير فرد باب واحد من أبواب الحرب والطعان فان ظفرت بهذا الباب والا أنا من الهالكين فقال عروة بن الورد وشيبوب ماهو هذا الباب فقال لهم إذا التقيت أنا وإياه الميدان وهجم على بالحسام ليضربنى أنكشف له حتى يضربنى فالقاه بالدرقة فان حسامه ينكسر فعند ذلك آخذه أسير فقال له شيبوب وإذا ماتم لك هذا الباب كيف تفعل فقال له عنتر أطلبوا انتم لانفسكم النجاة قال ثم أنهم باتوا إلى أن أصبح الصباح وعادوا القوم يطلبون الحرب والكفاح إلى أن زهقت منها الارواح ودام بينهما الطراد وأشلعت نار يطلبون الحرب والكفاح إلى أن زهقت منهما الاحقاد وانعقدت عليهما الغبرة وزاد عليهما النقع البوار وقدحت سنابك الخيل شرر النار والتقى الفرسان فى تلك النهار وتلمت فى أيديهما السيوف من عزم ما وقع من الضرب بين بعضهما بعض فى تلك الحتوف فكان ذلك عما فى قلوبهما من الحقد فتارة ويكونا فى الميمنة وتارة يكونا فى الميسرة وهما فى أخذ ورد وصد وبعد وقرب حتى انهما أفترقا عن بعضهما بعض ووقف كل منهما فى ناحية قومه وصار ينظر إلى صاحبه وخصمه وعيناها تتوافد شررا ويرمقه حذرا قال فلما كان منهما ما كان قال ربيعة يا فارس عبس أعلم أن الخيل من تحتنا قد كلت وملت فهل لك أن تنزل بنا إلى وجه الأرض وتتضارب عليها ونحن رجال نتحاول عليها طولا وعرضا لعل أحدنا يبلغ أمله من الآخر ويزول ما فى قلوبنا من ذلك الضرر فقال عنتر رأى وأبيك ماكنت فى الحرب إلا منصف وما أنا فى السلم إلا مسعف قال الراوى ثم انهما اخرجا رجليهما من الركابين وقفزوا الاثنين فبقى على وجه الأرض مثل الشهابين فانحط أبو الفوارس على ربيعه سريعة ثم أنشد يقول

قد علمت حنا سادة عبس ... انى غداة الحرب غير نكس
أحمى لقومى وأعز نفسى ... بصارم مثل شعاع الشمس

قال الراوى فلما سمع ربيعة منه ذلك الكلام خطى إلى نحوه واهتمامه ثم أجابه على عروض شعره يقول :

خذ ضربة تعلوك فوق الرأس ... بسيف يقسمها كالمقياس
أنا ربيعة من خيار الناس ... وصارمى يضىء كالمقياس

ثم إن ربيعة بعد ذلك صاح صيحة منكرة وقال خذ لنفسك الحذر وعلى ما يأتيك من

الفارس المشتهر ثم أنه حمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة واصلة بقوة ومقدرة قال إنها تكون عليه القاضية فانكشف له أبو الفوارس وتلقى ضربته على قبة الدرقة كانت الدرقة من جلد فيل القبة من فوقها كانت حديد يا لها من صاعقة وكان وزنها سبعة أرطال يا وزان ذلك الزمان فوقع السيف فى الدرقة فاندق من مسماره وكان قد تقطع من طرف الدرقة نثره فعند ذلك أيقن ربيعة بالهلاك وحلول المذلة والارتباك وبقى منتظر البلاء وحلول القضاء بين ذلك الملأ قال الراوى فلما نظره عنتر ورأى سيفه قد انكسر ورآه قد اندهل وتحير فقال له عنتر لاتخف يا فارس البدو والحضر ولا يأخذك على روحك أسف ولا حذر فانى ما أبغى عليك ولا أوصل شيء من الأذية اليك لأن علامة الشجاعة الانصاف وقلة الجور والاسراف ولكن خذيا فتى سيفى هذا وعد إلى الحرب والقتال ولا يأخذك فى ذلك توانى ولا أمهال ثم أن عنتر أخذ سيف الركاب وسلمه لربيعة فانحطر ربيعة إلى نحو أبى الفوارس عنتر وأخذ السيف من يده وهزه حتى برق ولمع ودب الموت من فرنده وقد تعجب من كرم عنتر وانصافه وحسن شيمته وقلة جوره وإسرافه ثم أنه فى الحال تقدم إلى عنتر وسار بين يديه وباس السيف وحمله على رأسه وأومأ به إليه وقال له حرام على أن اقاتلك بسيفك وسلاحك يا فارس الزمان وفريد العصر والأوان وسيد الشجعان ثم أنه فى عاجل الحال سعى اليه وقبل صدره ويديه وشكره وأثنى عليه وقال لله درك يا فارس الفرسان فانك والله شمس العربان وإنسان عين هذا الزمان وأنك والله غاية الشرف لمن بالصدق والوفاء قال الراوى فلما سمع عنتر من ربيعة ذلك الكلام صار كانه الجم بلجام وانعقل لسانه عن النثر والنظام ومشى الآخر إليه وجعل يقبل صدره وبعد ذلك اعتنقا اعتناق الأحباب وتواددا موادة أصحاب وتصاحبا على اتصال الوداد وقد توافيا قال الراوى فصارت الفريقان تنظر إليهما وتتعجب بما جرى عليهما وبعد ذلك ترجلت القوم وهم بنو كنانة وبنو عبس على وجه الأرض واعتنق بعضهما بعض وتصافيا بالوداد وكان لهم يوم مثل يوم الأعياد ثم قال عنتر لربيعة امض إلى أنت أمك وأختك وزوجتك لأن قلوبهن متعلقة من أجلك ومن قلة عودتك إليهم وهذا سيفى المفنى قد وهبته منى إليك لا يكن عندك إلا ما تقربه عينيك قال الراوى فاخذ ربيعة السيف من عنتر وعاد إلى قومه على الأثر وهو لا يصدق بسلامة مهجته فرأى أمه وهى قد بسطت كفها إلى السماء وهى تدعو الله سبحانه وتعالى وتطلب لولدها النصر والحمى فاقبل عليهما وحدثه بما جرى له من عنتر كيف انكسر سيفه وكيف أن عنتر عطاه سيفه المفنى الابتر ثم أنه أرر افلأمه وزوجته فشمدوا أن ما

على وجه الأرض مثله فارس آخر ولا أشجع ولا أكرم منه وفرحت بذلك أمه وأخته وزوجته من المهالك قالت له أمه والله ياولدى هذا الرجل يجب أن يخدم ويتخذ صديق عند كل شدة وضيق قال فبينهاهم فى هذا الكلام وإذا بشيبوب قد أتى اليه وتقدم قدامه وقبل يديه وقال بسم الله ياأمير ربيعه كلم أخى عنتر وكان السبب فى إرسال شيبوب له على الأثر أننا قد ذكرنا فيما تقدم ماوقع لدريد بن الصمة مع ربيعة بن المكدم وماوقع له من العتاد وكيف تصافيا ووقع بينهما الوداد وكيف افترقوا وسار كل واحد منهما فى تلك البرارى والقفار وبعد افتراقهما التقى ربيعة بعنتر بن شداد وكان من جملة الاتفاق الذى يكتب ويسطر فى الأوراق أن رجلا من أصحاب دريد قد انماق وانماقت فرسه فتأخر هنالك حتى بقى مشاهد تلك الأمور التى جرت والأحوال التى طرقت فلحق دريدا علمه بالخبر وحكى له على ماجرى بين ربيعة وعنتر فقال دريد من الواجب عودتنا اليهما والمبالغة فى السلام عليهما ثم أنه عاد على أثره راجع لينظر ماجرى من تلك الوقايع وكانت عودته من ناحية عنتر فتلقاه وترحب به وهناه دريد بن الصمة بالنصر والظفر وقد ذكرنا ما كان بين دريد وعنتر من الوداد وكان عنتر عند دريد أعز ممن كان له من الأخوات والاولاد فلما اجتمع دريد وعنتر أرسل شيبوب إلى ربيعة يعلمه بالخبر وقال له كما ذكرنا بسم الله كلم أخى عنتر واعتذر اليه من الفعال القباح كذلك أمه قالت لشيبوب السعى لأخيك على العين والرأس قم ياولدى كلم فارس البطاح فقام ربيعه قائما على الأقدام وهو بغير سلاح فسار إلى أن وصل إلى أبى الفوارس فرأى عنده دريد بن الصمة وبما فعل مع دريد ثم أن ربيعة قد حلف بالإقامة ثلاثة أيام فقال عنتر وجب علينا يا ابن الكرام ثم ان ربيعة أمر العبيد أن يذبحوا لهم الذبائح ويروجوا لهم الطعام ويروقوا المدام وكان المدام لايفارقهم لافى ليل ولا فى نهار دائما معهم على الجمال فضربوا الخيام للحريم وكان قد راج لهم الطعام فانت به العهد والخدام هذا وربيعة قد شد وسطه بمنديل ووقف فى خدمة عنتر فقام اليه وحلف عليه واليه اعتذر واقعده بينهما وفرح به دريد بن الصمة وأيضا فرحوا بذلك اليوم كل من حضر ولم يزالوا فى أكل الطعام وشرب مدام إلى تمام ثلاثة أيام وتآخاوى عنتر وربيعة على يد دريد ابن الصمة واصطلحوا وغاية الاصطلاح وقد زادت بينهما المسرة والافراح ولما كان ثالث يوم عند الصباح تقدام عنتر ربيعة وقبل الأرض قدامه بحضور دريد ومن معهما من الفرسان وقال يا أبا الفوارس أنا قد اخترتك أن تكون لأختى بعلا وهى تكون لك أهلا

فإنى أريد ذلك حتى يتصل بيننا النسب ويكون لنا واك خلطة وحسب قال فلما سمع الأمير عنتر ذلك الكلام اختشى ولم قدر أن يتكلم فاجابه إلى ماطلب وقال لدريد الواجب أن ترغب فيمن فيك راغب قال وتم الكلام وصفت نية الأمير عنتر على الزواج وفى عاجل الحال حط يده فى يده وعقدوا عقد النكاح وبعد ذلك زفت أخت ربيعة فى ذلك المقام ودخل عليها عنتر الفارس المقدام فرأى لها وجها مثل البدر التمام فازال بكارتها وقعدوا مع بعضهما تمام السبعة أيام وقد تمتع بتلك العروسة المليحة التى كانها كوكب الصباح أودرة المصباح وقد بات تلك الليالى يكاس من العشا إلى الصباح وبعد ذلك أتى إلى ربيعة وقبله بين عينيه وهو الآخر قبله فى صدره وأثنى عليه وزادوا فى مدح بعضهما وقد أخذت الفوارس حظهم والبعض تكلم فى حق عبلة من الابرام قال وقد زاد ربيعة فى مدح عنتر وصماله الوداد فرمى عنتر نفسه عليه وقد صفا له وداده ومدحه الآخر فقال ربيعة لقد وصفتنى وأنت أولى بالصفات قال عنتر أنا مايقال لى إلا عبد وأنت سيد من السادات وأنت أوفى العرب نسب وأعلاهم حسب وأنت ليس لك فى الحرب مقاوم ولم يقدر أحد يقابلك لا برمح ولا بصارم تعجب دريد من مدحهما * ومما قال ربيعة من الشعر والنظام وهو يقول :

ولقد لقيت الأسد فى الأكم ... وفقت منها كل ليث ضيغم
وطعنت بالخطى كل متوج ... من فارس بطل وليث غشمشم
وضربت بالهندى كل غضنفر ... ورميت مهرى فى وسط بحر غرمرم
وفلقت هامات الملوك بصارمى ... وتركتهم طعم النسور الحوم
وقتلت من قحطان كل مسدود ... وهزمت شيبانا وعصبة ملجم
وأن قصدى من بلوغ إلى ادتى ... الشجاع ربيعة ابن المكدم
ولقد ظننت بأن ربيعة فى الورى ... نهبا لقسم فوارسى والمغنم
وطلبت أخذ حريمه فوجدته ... يدلى إلى سفك الدم
ورأيته كأنه لذى البراز صيدعا ... والآخذ فى ضربه كالمهدم
لله در ربيعه بن المكدم ... من ليث غاب فى الهزاهز قشعم
ضرباته فى الحرب سهم عاجل ... وطعناته فى الجسم سم الأرقم

(قال الراوى) ثم أن دريد لما نظر إلى ذلك تعجب من فعالهما وأعجبه لما اثنوا على بعضهما فقام ربيعة ومشى إلى عند الأمير عنتر وضمه إلى صدره وبعد ذلك قبل يدين دريد بن الصمه

فقام دريد وقبل ربيعة بين عينيه وقال له وذمة العرب الكرام لقد عاركتك بالحرب وعاركتني والآن قد مضى من عمري مدة ربعمائة وخمسين عام فما رأت عيني أحدا يزيد عليك إلا أن يكون هذا الفارس الضرغام فلله دره قبيلته والآن أريد بحضرة هذا الفتى عنتر بن شداد أن أصافي بينك وبين قومي الوداد وأحمل دية من قتل من أصحابي إلى أهاليهم لكن بشرط أن يكون بيني وبينك فقال ربيعة وماذا يكون الشرط مني إليهم فقال دريد بن الصمه هو أن تسير أنت وعنتر إلى حلتي وأجمع أنا وإياكم عند أهلي وتجبروا بخاطري وتقضوا حق ضيافتي فاجابه إلى ماطلب وفرحوا أصحاب دريد بن الصمه ورغبوا في العافية وغب وصاروا الجميع حتى وصلوا إلى حلتهم فتلقوهم المقيمون وكان وصلهم ماقد جرى لهم مع ربيعه واستقبلوهم بأحسن استقبال وخرجوا إلى لقائهم النساء والرجال ودقت بالدفوف المولدات ورقصت العبيد والأموات وكان لهم يوم مثل أيام الأعياد لأنهم عارفون ما بين دريد وعنتر من الصداقة وحسن الكلام وبعد ذلك دخلوا إلى الخيام وفي عاجل الحال روجوا لهم الطعام ورقوا لهم المدام ودارت عليهم الكاسات وغنت لهم المولدات وبعد أن فرغوا من أكل الطعام وشرب المدام فنادى دريد في قومه وبني عمه وأعطى لهم دية من قتله ربيعة وأهدى لكل واحد منهم عبد وجاريتين وجرى لهم من المودة والاحسان مالا يوصف بشفة ولا بلسان قال الراوي وأقاموا عنده ثلاثه أيام في أعز مايكون الاعزاز والاكرام وفي آخر ليلة بعد طلوع المسير والرواح فتعانق دريد وعنتر وكذا فعل بربيعة بن المكدم بعدما سأله الأمير عنتر في خلاص عمرو بن معدي فاجابه بالسمع والطاعة إلى ذلك ولا يبدي ولا يعيد ووعده أنه ساعة وصوله إلى حلته يطلقه ويز في أكرامه لأجل خاطره فشكره الأمير عنتر بن شداد وأثنى عليه وقبله في صدره وبين عينيه ثم إن ربيعة ودعهم وسار يطلب البراري والقفار طالب أرض قومه والديار وعاد بعد ذلك دريد بن الصمة إلى توديع عنتر الفارس القهار بعدما سأله دريد في خلاص صهره ذو الخمار فقال له الأمير عنتر وما كان مرادي أن أطلقه من الاعتقال بل كنت أن أصلبه على العلم السعدي لأجل ما فعل معه وتعاون هو واليهودي على قتل أبي فقال له دريد يافارس الانام العفو من شيم الكرام فقال له عنتر لاجلك ياأبا النظر أطلقه ولو كان فعل مهما فعل فجازه دريد خيرا وزاد في أكرامه وودعوا بعضهما وسار كل منهما في ناحية من الارض طالب أهله والديار هذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهما من الأمر المحكم. أما ما كان من ربيعة

ابن المكدم فانه لما فارق عنتر وسار هو وزوجته هند فى الطريق حكى لها على ما جرى له مع عنتر وكيف انكسر سيفه وكيف أعطاه الأمير عنتر سيفه المفنى وكيف عفا عنه بعد مقدرته عليه ثم جعل يتذكر ما جرى له مع عنتر فعند ذلك ترنم وجعل يقول :

إلا بلغـــا عنى أمـــورى ... وأخبـارى إلى الملك الخطير
إلى قيس بن مسعود المكنى ... بفيض البحر من كف غزير
أنى سرت عنه وفى فؤادى ... لأجل فراقه نار السعـــير
أجوز الأرض والأقطار جمعا ... بلا خوف هناك ولا نكير
وقد جرت الحدة ونحن نسرى ... وأنى لست أخشى من مغيرى
فانظر إلى الغداة وإلى بخيل ... تلوح لنـا كأمثـــال الصقور
وادى الأجرم المعروف حقا ... أتتنا الخيل تدعو بالنشور
وفيها خمسمائة شجاع ... ومقدمهم دريد كالبعير
فانفذ نحونا رجل شجاعا ... يخوفنا ملاقات الخطير
يقول دعوا الظعن وانجو ... بانفســــكم من القيل الأشير
فلم أسمع لهم مقالا لكن ... حملت عليه كالأسد الهضير
وباذرته بضرب ذاق منه ... ومن صارمى الغضب البتير
وما زالوا يوافونى فألحق ... أوائلهم بكاسات الأخـــير
فهاج دريد من فعلى ... ووافانى كما الكلب العقور
وجال على جولة ذى حفاظ ... يهز الرمح شبه المستشير
فعطلت القناة بصدر مهرى ... وليس الجهل يوما كالخبير
وجلت عليه بالرمح الرديني ... فغادرته أسيراً مع حقير
وكانت طعنتى فى الصدر منه ... بعقب الرمح طعنة فتى جسور
وأنى بعد ذاك عفوت عنه ... وجدت عليه من كرم وخير
ووهبت له جرعة بفضـــلى ... وقد أيقنت بالفخر الكبير
وسرنا سالمين فعـــارضونا ... بنو عبس كأمثال الصقور
وأموا أخذنا فرأوا غلاما ... يحامى دون ربات الخدور
وأسرت الفتى أعـــنى غصونا ... وميسرة ولم يحدو نصير
ووانى بعـــد أسرهموا هزبر ... ثبوت فى ملمات الأمور
فذاك أبو الفوارس ليس تخفى ... فضائله على أمد العصور

شجاع ما فى الحرب مثل ... إذا عد الفارس فى النظير
فمارکنی وعارکته بجهد ... فلم أر مثله أبد الدهور
وطاردنی وجاولنی ملیا ... وعوقنی ثلاثا من مسير
ورمى سيفه نجوی ونادی ... أتم الضرب بالسيف البتور
فقبلت الحسام وقلت كلا ... لقد هزم الفجور على الفجور
فانت أخى ومولاى وخلى ... تعز على الأقارب والعشير
وعدنا فى نعيم واغتباط ... وفى فرح وفى أهنى سرور
فلم أر مثل عنتر فى زمانى ... وليس يساوى بالنظير

فلما سمعت هند ذلك الشعر حكمت لعنتر بالفروسية على كل من طلب الحرب وفرحت بما وقع بينهما من الصداقة وسار ربيعة وهو سالم غانم يطلب ديار قرما هذا ما كان من أمر ربيعة وأنشاده عند رجعته وأما ما كان من أمر أبا الفوارس وماجرى له فى عودته فانه سار طالبا ديار بنى عبس وأرض الشربة والعلم السعدى وهو يتفكر بماجرى له مع ربيعة بن المسكدم ويتعجب من تصاريف الزمن وما تبدى به الأيام والدهور من الحدثان فعند ذلك أشار يمدح ربيعة فى غيبته يقول :

خبرى بنبيك يا عبلة حالتى ... ولتعلمنى ما قد جرى ببيان
وأنى صدوق الحديث ولم أكن ... أعود بالكذب القبيح لسانى
قومى أسالنى عن بكر بن وائل ... وكل فتى كالليث يوم رهان
لما أتانى بالنفير مبادرآ ... فعدت اليهم مسرعا بحصان
وقاتلهم حتى تركت جموعهم ... كاعجاز نخل فى أخس مكان
فكم من فتى أرديته بمهند ... وكم فارس جندلته بسنان
إلى أن تولوا هاربين بذلة ... وجياش أرديته بسيف يمان
وعدنا وعاد الماء يسعى أمامنا ... يخب الخياف فى هنا وأمان
جرير احم المال من خوف لاحق ... ينادى سريعاً للحروب مدان
وجرير أتى يشير بسيفه ... إلى بدمع سائل الهملان
فقلت له ماذا وراك فقال لى ... مصوب أسير فى أخس مكان
ومعه أسارى من آل عبس تسعة ... وبعضهم بالبعض مقترنان
ومیسرة قد دق بعض ضلوعه ... ولم يك فى الوغا بجبان
فاسرعت كالليث القفيد لشبله ... وقد ساء قلبي فى قوله وشجانى

فوافيت أصحابه وأهلي مبادرا ... أحث اليهم مسرع السيران
فقلت لهم ماذا دهاكم تكلموا ... فقالوا فتى يسمو على الفتيان
ولولم توافينا لكان أبادنا ... وكان يوم التلاحم فاني
فقلت ما يسمى وما ينسب له ... فقالوا نسبة الغلام كناني
ربيعة من نسل المكدم فارس ... وفي كل حرب لايمل طعاني
ولا أرى غلاما للطعان مثله ... شهير يروم حروب حين يراني
فبادرته للحرب أبغي قتاله ... فابصرت منه في الحروب معان
بصير بابواب الحرب مجرب ... بقوة قلب في الوغا وبلان
ثلاثة أيام بليث بضيغم ... لامثاله يوم الوغا أنسان
وأبصرت لايمس الرمح جسمه ... ولايمل معصمه حديد يمان
وأبصرني ليث حرب مجرب ... ولست بمرتاع ولا بجبان
كانما خلقنا من أديم وأننا ... سواء كان فرسان رهان
فلو أنه ممن يلوى الوبته ... ولو أنني ممن النوى الواني
ولو أنه ممن يرتمى لرميته ... ولو أنني عـــ أ تمى لرماني
فلاقت الفرسان مثل ربيعة ... ولا أبصرت عيني بطول زماني
فصيرته لما رأيت فعاله ... أخي وخليلي دون كل أنسان
فهذا لم يبلغ عشرين حجة ... من العمر عشرا بعدها ثماني
وأن عاش ساد العالمين باسرهم ... وما مثله في العصر بوجد ثاني
فقد حاز في كل الأمور معانيا ... شجاعة أسد مع سخاء بناني
عليك سلام الله ياابن مكدم ... سلام خليل بالمودة عاني
فيكفيك يانسل المكدم مدحتي ... وشكري مدى دهري وطول ماني

ثم ان عنتر بعد أنشاده سار يقطع البراري والقفار بعدما أوصى ربيعة على اخته ففرح ربيعة بمقام أخته عنده لاجل لم ينقطع حضور ابي الفوارس من عنده لانه فرح بصاهره وقر به منه وكان عنتر قد أشتاق إلى الديار وأخذه بذكر عبلة الافكار وجعل ينشد الاشعار وكلما عبر على حلة بسوق هواها فيقتل رجالها وأبطالها لانهم كما ذكرنا كانوا عرب جاهلية لا يفرقون بين الحلال والحرام ولم هو ومن معه سائرين إلى أن وصلوا إلى ديار بني عبس ورتلك الأطلال ونزل في الديار واستقر به القرار وتلقته عبلة بالفرح والاستبشار فبعد ذلك سأل اخاه جرير عن ذي الخمار فقال له عندي في الشد والاشد قال فهو يطحن الحنطة والشعير فقال له ياابن الام حل قيده لاجل الله

تعالى وضهره دريد بن الصمة لأنه سألنى فيه فقال يا أخى لماذا لا تصلبه فوق الجبال لأجل فعلته التى فعلها معنا فقال أطلقه لأنى أوعدت صهر دريد بإطلاقه وإن وقع فى يدى ثانى مرة أفعل به ما أحب فسار إليه جرير فأطلقه بعد أسره فأخذ فى وشه وطار فلم يلتفت إلى عنتر فلما نظر عنتر منه ذلك قال إلى حيث القت رحلها أم قشعم بعد ذلك سأل عن الملك قيس فقالوا له فى الصيد والقنص فبينما هو ومن معه فى هذا الكلام وإذا بالملك قد أقبل فتلقاه بالتحية والإكرام وسلموا على بعضهما فمرشوا لهما البسط وجلسوا على الأرض فسأله الملك قيس عن سفرته وما جرى لهفى غيابه فحدثه عنتر على ما جرى له مع ربيعة وكيف أنهما تعاركا كيف أنهما بعد العراك تصافيا على الوداد وكيف التقى بهما دريد بن الصمة فأخذهما إلى عنده فى الديار بعد ما حلف عليهما وكيف سار عنتر فى إطلاق ذى الخمار فأخبره بالقصة التى جرت من أولها إلى آخرها فتعجب الملك قيس من هذا الكلام وقال له لله درك من بطل نجيب والله لقد حدثنى بأمر غريب فقال يا مولاى وحياة تربية مولاى الملك زهير ما حدثتك عن هذا الفارس إلا ببعض ما رأيت من الشجاعة والخبرة ولقد رأيته شديدا على الأبطال خبير بممارسة الأقيال وحاربت من الرجال ما رأيت أثبت من ربيعة فى المجال الله دره لأنه أوحد عصره وفريد دهره (قال الراوى) ثم أنه بعد ذلك أحضر الغنائم التى جلبها بين يديه وأعطاه منها الذى يصلح إليه وسأله القبول فقبلها منه وشكره فأثنى عليه ثم أن الملك بعد ما أخذ من الغنيمة قيمة مضى به وهو فرحا بما رأى من عنتر وما اعتدال حاله وأما عنتر فإنه قسم باقى الغنيمة على رجاله وساوى بين الكبير والصغير من أبطاله بعد ما خرج منها القسم الواتر إلى عبلة فساوها برجاله حتى أنها كانت فى الجملة فاستقر به القرار وأمنت به أهل الديار (قال الراوى) هذا ما كان من عنتر الفارس الكرار (وأما) ما كان من أمر ربيعة نسل الأخيار فإنه سار يقطع البر الاقفر ولسانه يكل من الشكر لأبى الفوارس عنتر فيصف كرمه وإحسانه وعلوه على الفرسان وعظم شأنه وعلم أنه قد سأله زمانه وهو على ذلك دائما لم يقطع تذكاره إلى أن قرب من دياره فانفذ عبده إلى الحلة يبشره بقدومه فسار العبد من وقته حتى أنه وصل إلى حلته فبشر بقدوم مولاه فلما سمعت أهل الحلة ذلك فرحوا بقدومه وخرجوا إلى أهله فقدومه وجميع السادات فالموالى فالتقوه وهنوه بالسلامة فالعودة وهنوه بزواجه إلى هند بنت الملك مسعود الكريم الآباء والجدود فحكى لهم على ما جرى له عن زواجها وما لاقى من أجلها حتى أنه أخذها وسار بها مع أمه واخته فى البر الأقفر وكيف التقى بدريد وبعده الأمير عنتر وحكى له على ما جرى معه وهو عائد فى البر الأقفر وكيف أنهم جرى لهم

تصالحوا وصار بينهم الوعاد وكان ذلك الكلام لمقدم القبيلة وكان يسمى قتاده لأنه لما سمع بقدومه ركب فى جميع قومه فسار حتى التقاه وفرح له بما أعطاه الله من النصر وزواجه بابنة الملك مسعود وبما وصل معه من الخيرات وبما بلغ من السؤال فلما دخلوا إلى الديار فقر به القرار صنع له عرس ثانى فابتهجت به الاطلال وأهل المقال فرقصت الأماه وغنت الاغانى وقضت بنى كنانة كانت لهم أحلام وأمن ربيعة فى دياره وقرقراره وعلا شانه فهابته بنى كنانه وعلا ذكره بين الرجال وضربت بشجاعة ربيعة الأمثال فى سائر الأطلال واتفق فى بعض الأيام أنه قال لأمه يا أماه قد اشتقت لزيارة صهرى أبى الفوارس عنتر فقالت أمه ما بهذا الامر من باس ولا يذمه أحد من الناس يا ولدى زيارة الاخوان مشكورة خصوصا صهرك الذى له علينا الفضل عن جميع الناس قال الراوى فعند ذلك عزل ربيعة هدية حسنة من الأموال فالمعادن الثمينة فالعبيد فالأموات فالذخاير المفتخرات ثم أنه عزم على المسير وسرعه الجد والتشمير فقالت له زلجته هند يا مولاى خذنى معك فى الجملة حتى انظر إلى عبلة وإلى محاسنها البهية فاتعرف بنسوان الحلة لأننى يا سيدى مالى عنك صبر ولا سلوان فلا يطيب قلبى بعدك عن الأوطان قال الراوى فعند ذلك قال ربيعه العبيد أن تشد الهوادج على الجمال ويجلوها بثياب الديباج من فوق ظهور الجمال فاخذ أمه وأخته وبعض رجال من أكابر عشيرته فزوجته فتقدم هو أمام القوم فسار وجعل يقطع البرارى فالقفار نا لسهول فالاوعار حتى أنه أشرف على العلم السعدى وتلك الديار فارسل عبده مفتاح يعلم أبا الفوارس عنتر بقدوم سيده اليه فسار العبد إلى أن وصل اليه فاعلمه بقدوم ربيعة سيده اليه قال فلما سمع عنتر من العبد ذلك الكلام ركب فى عاجل الحال فصار مع بعض رجاله وأولاده فالتقاه وسلم عليه وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وفرح بقدومه اليه فبعد ذلك ساروا إلى أن وصلوا إلى الديار فانزله فى أعز مكان ونهللوا بالفرح والاستبشار ففى ساعة الحال أمر عنتر بذبح الأغنام وترويج الطعام ويروقوا بواطى المدام وفى ذلك الوقت حضر الملك فاخوته فأعمامه فسادات عشيرته فلما حضروا فى ذلك المكان قدمت لهم العبيد الطعام فاكلوا حتى اكتفوا فبعد ذلك قدموا لهم المدام فشربوا وطابت لهم الاوقات واغتنموا اللذات فغنت لهم الأماه فالملذات وكان لهم يوم عظيم مثل أيام الاعياد وكان ربيعة بن المكدم بين الملك قيس وبين أبى الفوارس عنتر وقد فرح به كل من كان فى ذلك المقام حضر (قال الراوى) فلما رأى ربيعة ما حصل له من ذلك الاكرام وثب قائما على الاقدام فاشار إلى عنتر بمدحه بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول :

أقول وحادى العيس يوما قد حدى … وعرض على أرض الشربة واعتدا
أنخ بها وابرز بوصولك ساعة … على العلم السعدى سعيت إلى الهدا
بهـا سادوا على كل سـادة … وجودهمو سار على طول المدا
ولولا ابن شداد لما شيد البنا … ولابنى العز الرفيع مؤبدا
هو السيد المولى الذى قد بنى … له المجد بيتا فى البقاع مشيدا
به عرفت عبس وباتت أمينه … ولولا حماه ما استقرت من العدا
شجاع إذا يلقاك شخص واحد … ولكنه جيش يعد ويعتدا
اليك أتينا يا ابن شداد نرتجى … ذمامك فانقذنا من الباس والردا
فانت الذى ترجى لكل ملمة … وأنت الذى تردى الظلوم إذا اعتدا
فان قلت سيفا كان أقوى عزيمة … وان قلت بحرا كان أهدى وارشدا
فخذ ذرة من نظم بن مكدم … بمدحك قد أهدى لنا الرشد واهتدا
ومن عجب الأشياء هداة ذرة … لبحر محيط حاز درا منضدا

فلما فرغ ربيعة من إنشاد هذه الأبيات طربت منها بنو عبس السادات وما فيهم إلا من شكره على أفعاله الكرام وما قال من الكلام فقام اليه عنتر على الاقدام وضمه إلى صدره فقبله بين عينيه وقال له والله يا ربيعه لقد حويت كل فن مليح وتكلمت بكلام من لسان فصيح قد حتنا وأنت أولى بالشكر والمديح أشار يقول

هلا وسهلا بالذى … مازلت اليه بالمودة شائقا
أخباره جاءة الينا مغربا … وجود كفه صيرته مشارقا
ماسكت بنانه عواتقا … إلا غدت من كفه طوالقا
ظل الغمام من يديه ساكبا … ينظره وبالرعود شاهقا
ما أن رأينا قبله ولا يرى … له نظير وعد بالأمانى صادقا
مكارم كفيه فى دوحه المجـد … قد غرس الشكر له موافقا
من عاش كان ناطقا بمدحه … ومن نوى أودعه المهارقا
إن قلت ما حسبته شمائلا … قلت وما أكرمه خلائقا
منتدب بالمكرمات قائلا … بكاسها مصطبحا وغابقا
لايحسن المديح فى غيره … ولا تراه لسـواه لائقا
جدد فى سبيل المعالى طرقا … وجاز من طرق الندا طرائقا
فتارة يصدعهم فوارسا … وتارة يجعلهم حدائقا

إن لم تكن حضوره الحرب لما … كان اسربال العجاج خافقا
لولاك ما كان الحسام قاطعا … يوم الوعى ولا السنان خارقا
إذا الكرام لبسوا دروعهم … قطعت من أعاديها علائقا
لو هز فى يمينه مخاصرا … أرحلها يوم الوعى صواعقا
لا يقتنى إلا حساماً قاطعا … ولا يعيد الضرب إلا ما حقا
إن شئت إن تعلم ما فعاله … فاستجبر الضلوع والعواتقا
لا حطت الأيام منك رتبة … ولا أراك الدهر إلا سابقا
تدوم ما دام الزمان آمرا … وناهياً وفاتقاً وراتقا

فلما فرغ عنتر من كلامه لم يبق أحد الاطراب من نثره ونظامه وأقاموا بعد ذلك على شرب المدام وزادوا الربيعة الاكرام وكانت عبلة بنت مالك قد فعلت بهند زوجة ربيعة رأمه كذلك وقد أكثرت لهن من موائد وأدارت عليهم كاسات المدام وتخاودت هند وعبلة بحضور نساء الحلة وخلعت على هند وعلى من معها من أكابر القوم ما كان يدخره عنتر من الخلع العظام وأهدت لهم شيئاً كثيراً من الذهب والجوهر ولم يزالوا القوم على مثل ذلك الكلام وهم فى أكل طعام وشرب مدام مدة عشرة أيام فعند ذلك طلب ربيعة الإذن من عنتر على أنه يرجع منزله الاطلال فأذن له الأمير عنتر بعد ان قدم له من الهدايا شيئاً كثيراً يكل عنه الوصف سار معه إلى الوداع ثلاثة أيام هم فى فرح واستبشار بعد أن خلا بزوجته أخت ربيعة أربع ليال وأوصاه بها غاية الوصية فنزل ربيعة وقبل أقدام عنتر وحلف عليه فرجع بعد أن ودعه وودع الملك قيس ومن معه من الفرسان فسار كل منهم طالب أهله وسار ربيعة لكنه عن شكر عنتر وإحسانه لم يفتر عن ذكره لا فى ليل ولا نهار وهم سايرين أرضهم والديار (قال المصنف) لهذه الأخبار بعد الصلاة والسلام على النبى المختار هذا ما كان من عنتر الفارس الغشمشم (أما) ما كان من ربيعة بن المكدم فانه بعد فراقه للأمير عنتر طالبا ديار أهله وقومه وهو فرحان إلى أن يبقى بينه وبين الديار نصف نهار قال الراوى وإذا بغبرة عليهم قد طامت وعجاجة قد ارتفعت وتزوبعت فلم تكن إلا مقدار ساعة حتى تقطعت وظهرت وبان من تحتها نواصى الخيل وهم كأنهم قطع الليل وقد ملأت البر والقفار وانتشرت فى السهل والأوعار وكان عدتهم خمسة آلاف فارس كأنهم الجن الأبالس وهم راكبين على الخيول الصوافن معتدين بالسيوف والرماح يقدمهم فارس جحجاح طويل القامة عريض الهامة غليظ المناكب عريض الاكتاف فوى السواعد والأطراف وهو غاطس بالزرد النضيد كأنه سد من حديد أو قطعة

من قطع الجلاميد ومن حوله تلك الفرسان وهم على خيولهم كأنهم العقبان وفى أكفافهم عوامل الأشطان قال إلا أنهم أشرفوا على ربيعة زعقوا عليه زعقة مريعة وصاحوا المنى منهم وقالوا ياويلكم يا مغرورين إلى أين تذهبون وراءكم المنية وأحاطت بكم الرزية أجمعين. فخلوا ما بأيديكم من الظعن بالكلية واذهبوا إلى طريق سبيلكم قبل أن تحل بكم المنية قال فلما سمعوا أصحاب ربيعة ذلك الازعاق نظروا إلى ذلك الجمع المقبل عليهم من الآفاق فقالوا لربيعة هذا أمر عظيم فقال لهم ربيعة لا تخافوا من ذلك بل أنتم احموا ظهرى ودعونى أناو اياهم قال فلما سمعوا مقاله أجابوه على سؤاله وتقدم ربيعة إليهم كأنه الاسد الغضبان وقد اشتهى أن يعلم من هم الفرسان قال المصنف وكانت تلك الفرسان من عرب يقال لهم بنو ضبية والمقدم عليهم فارس نجيب يقال له نبشه بن حبيب وكان ذلك الفارس من أبطال العرب المذكورة إلا أنه مكار غدار يعد بألفى فارس فى مقام الاخطار قال الراوى وكان السبب فى مجيئه إلى هذا المكان وملاقاته بالامير ربيعة فى تلك الوديان أنه فيما مضى وتقدم كان خطب هند بنت الملك قيس وبارزها فى هذا الميدان فقهرته فى الحرب والطعان فلما أن صار له ذلك تركها ومضى عنها وهو فى الذل والمهالك إلى أن صار فى وطنه وتلك الدكادك وهو قاعد فى دياره يقاسى الوجه والغرام وبعد أيام وردت عليه الاخبار أن ربيعة بن المكدم تزوج بهند بعد أن صار وأخذها إلى منزله والديار وقعد معها برهة من الايام وبعد ذلك أخذها صحبة أمه وأخته وبعض من قومه وصار قاصدا بنى عبس إلى صديقه عنتر بن شداد الفارس الريبال قال فلما سمع نبشة ذلك المقال فى الحال اعتد إلى الحرب لقتال وزعق فى فرسان بنى ضبية فتبادرت إليه الابطال وتواثبت من حوله الرجال إلى أن تكامل عنده خمسة آلاف فارس ما فيهم إلا كل مدرع ولابس فأخذهم وسار يقتفى من ربيعة الآثار إلى أن يخرج من عند الفارس القمبار ويلتقيه ويدعى أنه غريمه والثانية من حرقته على هند وما فعلت معه وهو من ذلك الامر حيران فلم يزل سائر يقطع المقفار حتى يطلب أرض الحجاز إلى أن خرج من مياه بنى قحطان إلى مياه عدنان حتى أنه أشرف على بنى كنانة الشجعان وسأل عن ربيعة فأخبروه أنه عند أبى الفوارس عنتر بن شداد فطاب قلبه بذلك وعاد يدبر فى مصائبه ودواهيه ثم أنه أكمن هو وفرسانه فى كمين من المكامن الذى لا يعرف أن ربيعة لابد له من العبور عليه ويحاربه إلى أن تصل يده اليها قال الراوى

إلا أنه لما أكمن فى ذلك المكان فجعل يقتفى الأخبار ويسأل الطراق والوراد الذين هم سائرين عليه إلى أشرف عليه غبار من ناحية بنى عبس وانكشف عن أبطال تركض فى تلك البرارى فتبينوا الفرسان وإذا بأوائل الخيل ربيعة بن المكدم وهو سائر قدام قومه فرحان بما كان بينه وبين أبى الفوارس وما أعطاه من العطاء فما يشعر حتى قفزت اليه نواصى الخيل وأحاطت به الأبطال قال فلما نظر ربيعة إلى ذلك الامر لا خاف ولا انذعر بل أنه جرد حسامه الابتر وهجم على القوم وقد زاد عنده الوساوس فطعنهم وأكثر فيهم التداعس فلم يجىء عليه نصف النهار حتى قتل منهم مائة فارس فلما نظر نبيشة إلى فعاله انذهل مما رأى من أهواله فنادى فيمن كان معه الرجال وقال لهم اقصدوا بالطعن جواده لعلكم تقتلوه من تحته قال فلما سمعوا القوم من نبيشة ذلك الكلام هجموا عليه كأنهم رسل المنايا وأطلقوا نحوه الأعنه وقوموا عليه الأسنة وقد علا منهم ضجة ورنة فلما نظر ربيعة إلى حماتهم زعق فى جواده وهجم عليهم فكان لهم ساعة شاب من هولها المولود مما وقع بينهم من الضرب الأكيد وذلك من كثرة المحاربة وتجريع الموت الزؤام فكانوا تارة يفرقهم يمين ثم تارة يفرقهم شمال إلى أن حارت منهم الابصار فهو كذلك وإذا بواحد منهم ضربه بالحربة التى كانت فى يده وإذا هى وقعت فى الجواد ولما يريده الله سبحانه وتعالى شب به الجواد ركبا به وعن ظهره أرماه إلى أرض المهاد فلما نظر نبيشة ذلك زعق وانطبق على ربيعه من قبل أن يثور لأجل إنفاذ الله المقدور وعلم أن قام وركب غيره جواده وحمل عليهم وأعدمهم الرشاد فاغتنم هو الفرصة وقد تقدم منهم وفاجاه وطعنه فى خاصرته أعدمه الحياة ثم شق جوفه وخرق أمعاه وخرجت مصارينه من أحشاه قال الراوى إلا أنه من حلاوة الروح تعلق ببعض الخيل الشاردة وقفز على حجرة فركبها ولم يرض لنفسه أن يكون على الأرض طريحا ومال على الخيل فطحنها ثم أهلك من كان فوقها وقتل عشرة وعلى الأرض سطحهم وبعد ذلك طلب أمنه ويده على كبده وهو يرد أمعاه إلى جوفه وقد قلى صبره وجلد وكثر على نفسه حسنه وكمده قال فلما نظرت أمه وزوجته إلى ما داه أرادوا أن يرموا أنفسهم إلى الارض فقال لهم لا تفعلوا تلك الفعال لانها قد دانت لوفاة باذن الواحد المتعالى فلما سمعت أمه وأخته ذلك المقال علموا أن نزلوا سبتهما الرجال ونهبتهما الأبطال وما منهما بمانع عن نفسه غير هند زوجته والكركم جهة ما تسكون وقد حكم عليهما بذلك من يقول للشىء كن فيكون فقال لهم إن فعلتم ذلك سبتكم الرجال وبقى

لى قدرة على خلاصكما وأنا فى هذا الحال فاموت بحسرتكما ويبقى على فى ذلك عار وبعد ذلك صاح بعبده مفتاح وقال الله ويلك سوق الاموال والجمال وخذ ستاتك وسير بهما قبل أن يملكها العدا فسير بهما وأنا أحميكم مادمت راكب على ظهر جوادى فلما سمعت منه أمه ذلك القول عضت على زندها وكذلك أخته وزوجته قد أيقنوا بالسبى بعد فرقته (قال) فلما رأى أن الخيل قد أدركتهم وهم يريدون ذبحهم عاد اليهم عودة الأسد القتال ووقف قدامهم وفى يديه رمحه العسال إلى أن ساروا قومه وتبطنوا فى الرمال وأمه تقول لله درك ياولدى ودر أبيك ويفجع من الجمنى فيك وسارت تنادى واسبياه لقد تخلى ربيعة عن فـداه فلما سمع ذلك النداء من أمه فرجع اليهما بعد أن ابعدعنهم العدا وقال لها والله ياأماه ماتخليت عنكم حتى تدرج الطير حولى وأن ذلك والله يعز على لكن حكم الله به على ثم أنه بعد ذلك بكى وأن واشتكى وصار يتحسر على نفسه وكيف ترمى جثته فى تلك البرارى والقفار فانشد يرثى نفسه بهذه الأبيات :



يا أمى قد دنت الوفاة فعجلى ... سيرا فانى للمنون أجرع

وإذا وصلت الحى فابكى فارسا ... أكبوا حما واحشاه تتقطع

ياهند بعلكى عاجلته منية ... سنان رمح للقلوب يروع

لما أتى الموت المروع للورى ... مضت الشجاعة والبراعة أجمع

يا أم عنترة الفوارس فاطلبى ... منه المعونة فهو ليث صميدع

قولي له عني بان ربيعة يدعوك لاخذ الثار لا تتمنع
دارت عليه الفرسان من كل جانب باسنه مثل الكواكب طلع
وأحشاؤه تبدى إليه وكفه ليردها والعين منه تدمع
والآن قد خلفته وسط الفلا والطير عاكفة عليه وترتع

قال الراوي فلما سمعت منه أمه ذلك الشعر والنظام بكت وكذلك أخته وزوجته وجعلت أمه تعدد عليه وتقول:

واوجده يابدر تم ما أكتمل حتى انخسفا وقضيب بان ماس حتى التوى وانقصفا
ياولدى تغيرت مودة الزمان بعد الصفا وانهدر كنى وبان لى منك البعد والجفا
ولا بقى لى فيك أبداً عودة لى ولا وفا

قال الراوي وبعد ذلك مسكت أحشاه وخمشت خداها وأكلت لحم زنودها وأيقنت أن مابقى لها بعد ولدها إلا المحاق وصارت تتأمله وتتوجع عليه وهو على ظهر الجواد فضاقت عليها تلك الأرض والوهاد وأخته وزوجته لما رأوا ذلك لطموا على الخدود وشقوا ما عليهم من الثياب وأجروا من أعينهم الدمع المسكوب ونادت أمه وقالت أين شفقتك علي يامولاى وحشاشة كبدى فقد قل بعدك صبرى وجلدى يا ابن المنقطعة الثكلى ياغريبا عن الأوطان يابقية الأهل والخلان يامن إذا حضر الحرب يجود الضرب والطعان يافارس الفرسان يامذل الأقران والشجعان ثم أنها بعد ذلك أشارت تقول:

أبكى عليك إذا عز البكا وأنوح إذا ناح الحمام وشجع
أنى لا أزال طول عمرى حزينة إذا ضمتك الأرض والبلقع
والله لا كحل الرقاد لناظرى ليلا وأهجر الفراش والمضجع
ياواحد أحل المصائب لفقده فدلنى ولدى كيف أنى أصنع
فسقى الله قبرا حواك سحائب منهلة أبدا تسيح وتهمع

قال الراوي فلما سمع ربيعة من أمه هذه الأبيات أنهلت من مدامعه العبرات وقال لهم أذهبوا فان أهلنا منا بقريب وأنا أحميكم وأطلب المعونة من القريب المجيب هذا وربيعة مصاب بنه إلى جوفه وعصب فؤاده وهو فى كرب النزاع ثم نادى وقال يامفتاح سوق الهوادج والجمال فساق العبد الجمال والهوادج وهو فى بكاء ونواح وعاد ربيعة إلى الخيل والهم يمارس ويطعن فيهم إلى أن قتل منهم عشر فوارس وبعد ذلك طلب الحرم حتى أنه لحقهم فرأى

أخته تصيح واحرباه وزوجته تنادي وافضيحتاه أمه تنادي أمامن نصير أمامن مجير فصاح بهم ربيعة وطيب قلوبهم وسكتهم عن البكاء وقال ياأماه اسقنى شربة من الماء لأنى أحس على كبدى نارا تتلظى فاسقته أمه وقالت له ياولدى أن الماء فى مثل هذا الوقت ليس بنافع قال فلما سمع ربيعة من أمه بكى وأشتكى وعاد إلى الخيل عودة الأسد الادرع ولكن حضور الأجل ليس له عن صاحبه مدفع ولم يكن على تلك الأخطار حتى نزل إلى وسط القفار ولكن لم يجد له على ماهو فيه معونة ولا أنصار قال الراوى فلما رأت الرجال بوده وولت من قدامه وطلبوا الأنساع وكان الحريم لما نظروا إلى حملتة إلى أعداه طلبوا اعرض البر الفلا وساروا حتى أنهم غابوا عن أعين الناظرين ومفتاح يسوق الجمال بالخبر والأهانه حتى أنهم وصلوا إلى ديار بنى كنانه قال أما ربيعة فانه لما رأى الفرسان وولت من قدامه فلم يرله قدرة على أتباعهم لانه رأى روحه خفت وضاقت وقطع من نفسه الأياس ووجد طعم الموت وحلول الآفات فاستند على رمحه ومات وفارقت الروح الجسد باذن صاحب المعجزات وهو راكب على ظهر الجواد والخيل تنظر اليه وترمقه ولم يقدروا على أن واحد منهم يدنوا منه خوفا من سطوته هذا كله يجرى منهم وهو واقف على ظهر فرسه لكن الروح فارقت جسده وأنقطع منه نفسه قال الراوى فطال عليهم المطال وهم ينظرون إلى ذلك الحال فقالوا لبعضهم البعض أرموه بالنبال قال فتقدم واحد منهم وأخذ قوسه ومكن فيه نبلة وزوجها اليه فجاءت فى صدر الجواد فشب الجواد فسقط ربيعة من فوقه أرتمى على الأرض والمهاد فعند ذلك تقدموا اليه وهم متعجبون مما جرى عليه ووقف نبيشة على رأسه ومصرعه وتأسف على فواته الحريم الذى كان معه فقال له ثكلتك أمك وعدمتك قومك وأهلك فانك على ماحل بك من النائبات حميت الحريم فى الحياة وبعد الممات ثم أنه بعد ذلك نزل اليه وأخذ سلبه وعدته وعاد هو ومن معه طالب أهله وعشيرته قال الراوى هذا ما كان من نبيشة وماجرى له فى سفرته وأما ما كان من ربيعة وأخته وزوجته فانهم لما وصلوا إلى بنى كنانة أشاعوا فى الحى بقتله فانفجعت الرجال والسادات وتحسرت عليه النساء والبنات وأقامت عليه الاحزان حتى أن كلا منهم تفارق روحه الابدان قال وبعد ذلك تجردت منها مائه فارس من الأبطال القناعس ومضوا اليه وقد غمهم ماجرى عليه فساروا طالبين محل المعمعة فرأوه وهو ممدد فى الأرض التى قاتل فيها الفرسان الارازل فاخذوه وحملوه على جمل بازل عال وكان لمدخوله على الحلة يوم عظيم هائل فندبت عليه النوادب وصهلت الخيل والجنائب ثم أنهم أتوا به

إلى نشر عالى وحفروا له قبرا أنزلوه فيه وبعد ذلك بنوا من فوقه قبة عظيمة وبيضوها فصارت تلوح من بعيد فيستدل فيها الناظرين قال الراوى ودامت أمه واخته عليه بالبكاء وكان من جملة ماقالت أمه عليه من أنشد الاشعار تقول :

مابال عينيك منها الدمع مهراق سبحا فلا غارقا فيها ولا راق
ابكى على فارس الوادى فاورثنى بعد التفرق حزنا دائما باق
لوكان يرجع حيا لافتديت به أبى وأمى من شوقى واحرق
لكن سهام المنايا قد نصبن له فلم ينجه منها طب ولاراقى
فاهب بذمينك الله من رجل لاقى كل حى مامثله لاقى
سا بكيك مانا حت مطوقة تبكين اليفها حزنا وأشواقى

قال فلما سمعت بنى كنانه من أمه تلك الابيات فاضت من أعينهم العبرات ومامنهم الا من تحسر وبكى وأن واشتكى وداموا على البكاء والنحيب والقهر فقامت عند ذلك هند ووقفت بجانب القبر ونادت واأسفاه عليك ياليث العرب وحامى الجار ثم أنها بكت بكاء شديدا ثم أنشدت ترثى ربيعة بهذه الابيات تقول :

تبكى ربيعة هند اليوم إذا فقدت لفارس وجهه كالكوكب السار
كانهم حين رموا عليه بجمعهم فراوه هزبرا على أقرانه ضار
أروى العدا حربا فى وسط بلقعه لاانس فيها ولاجن ولا جار
به أشكوا ماحل الزمان به فالموت حتم على كل الورى قهار

قال الراوى فلما سمعوا من هند ذلك الكلام تحيروا ولحقهم الاندهال فاثارت فى هند الشجون وابدت احزان وأشارت ترثيه أيضا تقول :

على جرى صرف الزمان وجوره وصيرنى الدهر المفرق بالغدر
زمانى زمانى بالتفرق عامدا واستلب روحى من فؤادى ولم أدر
وحياتى انى لا أراك حزينة أقلى بعد فقدك على الجمر

قال الراوى فلما أنشدت تلك الابيات وقالت تلك المقالات فلا بقى قلب إلا جرعته ولافؤاده الا صدعته وأقاموا على الندب والعويل زمان طويل ولبست أمه واخته السواد وداموا على البكاء والتعداد ولم يبق أحد فى الحى إلا شق على ربيعة أثوابه وعلامة وا بتحابه إلا هند فانها لم تفعل شيئا من ذلك فعاتبوها قومه وقالوا لها ما كنا نظن فيك أن تفعلى ذلك فقالت لهم هند والله لاشقيت عليه جيبا ولا مزقت عليه ثوبا حتى أنى أخذله بالثار وأكشف

عنه العار وصارت تنشد عليه الأشعار وتنثر من عينيها الدموع الغزار ثم انها بعد ذلك لبست لبس الفرسان وركبت جوادها واعتدت بعدة جلادها وأرادت المسير نحو بلادها وأمرت العبيد أن تحمل الاحمال على ظهر الجمال وسارت قدامهم فى البر الاقفر وهى لا تمل من البكاء ولا تفتر حتى أنها وصلت إلى أهلها وذواويها ودخلت اليهم فتلقتاه أمها وأبيها فرأوها على غير ذلك الحال فسألوها عن أمرو ما جرى لها فلم تبد أمرا ولا أجابت لهما مقال بل أنها جذبت سيفها وقد زادت بها الأحزان فقطعت أطناب الخيام وردمتهم فى تلك الاكام وبعد ذلك جذبت شعرها وقطعت قلائد نحرها وهشمت خدودها ولم تدع شيأ من أمر الحزن يفوتها حتى كادت أن تأكل لحم زنودها ثم انها نادت واحزناه وأعزاه وأفله ناصراه يابنى عمى اثار الثار لعل أن أكشف عنى العار ثم أنها أخبرتهم بقتل ربيعة أوما نزل به من تلك الامور الشنيعة (قال الراوى) فلما سمعوا من هند ذلك الكلام فملا منهم البكاء والأحزان وتناحت لذلك الرجال والنسوان وسائر بنى شيبان بكا أكثرهم أحزان الشيوخ والشباب وداموا على الأحزان شهر من الزمان ثم ان هند بعد ذلك تدرعت وتجلببت وبأخيها بسطام استنجدت وقوت عزمها على الحرب والقتال وساروا طالبين أرض بنى ضبة ليأخذوا بثارهم ويكشفوا ما نزل بهم من تلك البلية (قال الراوى) هذا ما كان من هند وما دبرته من الامر والمرام وأما ما كان من أم ربيعة فانها طال عليها المطال فى الحلة والمقام وهى تندب الليل والنهار ولم يأخذها من ذلك هدو ولا قرار وأقامت على ذلك الحال أربعون يوم تمام وقد حرمت على على عينها لذيذ المنام وكان أشار يرثى نفسه بهذه الابيات يقول :

يا أم عنترة الفوارس اطلبى ... منه المعونة فهو ليث أروع

قولى له عنى بأن ربيعة ... يدعوك لاخذ الثار لا تتمنع

(قال الراوى) فعند ذلك أمرت العبد مفتاح ان يشد لها على راحلة عند الصباح ويضع عليها أجلال السواد ففعل العبد ما قالت وعند الصباح ركبت عليها وسارت قاصده إلى ناحية ديار بنى عبس وتلك البلاد وهى ذاهبة العقل والفؤاد إلى أن أشرفت عليها وقربت منها ونزلت عن المطية وجرت ذوائبها ولطخت بالدم غالب بدنها وجعلت تنادى وتقول واولداه واثمرت فؤاده وحشاشه كبداه واربيعة وما حل به وامصيبتاه فتلدت على هذا النداء وهى سائرة فى البر الاقفر إلى ان وصلت أبيات الأمير عنتر والناس خلفها يقتفوا الاثار ويتعجبوا من ذلك الامر الشنيع المنكر وهى واقفة على أبيات عنتر قال فسمع ذلك الضجة والضجه فسأل عن الحال عن ذلك الخبر فقالوا له ياحامية عبس يوم الصدام هذه أم ربيعة بن المكدم

أقبلت على ذلك الحالة وهي لابسة السواد وهي باكية العين ومقروحة الفؤاد ويراها مهرولة وناشرة ذوائبها قال الراوى فلما سمع ذلك الخبر فأسرع وخرج إليها وهو فى حال منكر فرآها وهى فى حالة الذل والعبر فقال لها ما بالك أيتها الأميرة قصى على ماقد جرى لك من الأمور الخطيرة لأنك قد أجريت دموعى وما أراك إلا قد زودت أحزانى قال فعند ذلك أعلمه بالقصة والخبر وقالت له أخوك ربيعة قد قتل وانقبر وقال لى عند موته ياأم اقصدى عنتر وأعلميه بالخبر وما وقع لى من الأمر المنكر قال وما فرغت من كلامها والمقال حتى وقع الأمير عنتر مغشيا عليه من هذا السؤال فاتوا إليه أهل قبيلته فى هذا الوقت والحال قال الراوى فلما أفاق من غشوته بكى بكاء شديدا حتى ابتلت لحيته فامر باحضار أم ربيعة فاستعادمنها القول ثانى مرة فقصت القصة عليه وأخبرته بان نبيشة بن حبيب وبنى ضبية اجتمعوا على ولدها وبعد مضيه من عندك أبلوه بتلك البلية وكانوا خمسة آلاف فارس مامنهم إلا كل مدرع ولابس ولولا كبا به الجواد لما كانوا قدروا عليه قال الراوى فلما سمع عنتر من أم ربيعة ذلك الكلام نادى وأسفاه عليك يا ربيعة بين الرجال الكرام فوالله ماكنت إلا أسد ضرغام وبطل قمقام وليث لايرام ثم أنه تاسف عليه وبكى وأن واشتكى وجعل ينشد ويقول :

لما سمعت بمصرع الدرغام	جرت العيون مدامعا كغمام
أن المنايا لا تزال سهامها	ترمى الكرام وتتقى اللئام
سهام المنون رمت لا درع ماجد	ليث الحروب وفارس قمقام
ما كان وقاعا قد اشتجر القنا	بل ضاربا بمهند صمصام
فلا تركته ثاويا فى مهمة	طعم الطيور بدابلى وحسامى
يا بنى ضبية قد أتاكم عنتر	ليث يصول على العدا هجام
لهفى عليك ربيعة بن مكدم	وسقى قبرا حواك هطل غمام

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات بكت السادات وتصايحت لفقد ربيعة العبيد والأموات لما رأوامنه لما حضر عندهم من المكرمات فاقسم الأمير عنتر ليقتلن من بنى ضبية وتميم كل جبار اثيم ثم أنه بعد ذلك صاح رجاله وإخوانه وأمرهم بهدم المضارب والخيام والأبيات وصهلت الخيل وأخرجوا الرماح والنصول واصطفت الفرسان فى تلك المناهل وحزن على ربيعة كل قاعد وقائم وعملت أمه ماتم وكانت عليهم لكثرة مادهاهم الفقد المقيم وأقاموا على هذه الحال سبعة أيام لم يهجعوا بمنام ولم يلتذوا باكل طعام قال الراوى

ولما كان بعد سبعة أيام نصبوا الخيام وروجوا الطعام وعزموا على المسير لأخذ الثار من بنى ضهية وحلف عنتر أنه لا يبقى منهم بشرثم ركب هو وجماعته هذا وقد ركبوا الخيل الجياد واعتقلوا بالرماح المداد وساروا فى خمسمائة فارس جياد يقدمهم أبو الفوارس عنتر بن شداد ومن حوله جميع بنى قراد وهم غائصون فى الحديد والزرد النضيد وفى أوائلهم عنتر بن شداد وهو ينشد هذه الأبيات :

حزنى عليك ربيعة بن مكدم   حزنى يكاد له الفؤاد يزول
وإذا ذكرت شبابه ومصابه   هطلت لذكراه الدموع تسيل
سبقت له يوم المجال منية   والناس فيهم هالك وقتيل
كيف الهدر ولا تزال حزينة   تبكى ربيعة أربعا وطلول

فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات سمعوها منه إلا من تجسر على لقى بنى ضهية حتى أنهم ينزلوا بهم كل بلية ويحلوا بهم كل رزية قال فلما رأى منهم ذلك العزم الشديد بكى بكاء شديد ماعليه من مزيد وتمادى فى المسير وقد أسرع فى الجد والتشمير وهو يرثى ربيعة بهذه الأبيات يقول :

جدوا المسير وأسرعوا الترحال   وابكوا على همام فارس ريبال
وأبكو ربيعة كان قوماً فارساً   بطلا يروع عدوه بنبال
قد كان شجاعا إذا اشتبكا القنا   يردى الكماة ويقطع الآصال
فلأفنين ضهية وتميمها   ولا شتتن نساءها برمال
ولأضربن بصارمى فى جمعها   ضربا يقد فوارساً ورجال
أبكوا ربيعه إن رأيتم جحفلا   قد أصبحت فيه السيوف نصال

قال الراوى ولم يزلوا سائرين بقلوب قوية حتى أشرفوا على ديار بنى ضهيه فعند ذلك استدعى عنتر اخيه شيبوب وقال له أريد منك أن تكشف لى خبر القوم اللئام فعند ذلك سار شيبوب ودخل الحى بالليل فوجد الحى يموج باهله والنيران قدام البيوت مشعولة والسيوف معلقه مسلولة فعندها طاف شيبوب الحى جميعه وفعل ما أمره به أخوه فوجد أربعه آلاف بيت مجتمعه يطلع من كل بيت الاثنين والثلاثة والبعض يطلع أربعه وبعد ذلك شيبوب إلى عنتر وأعلمه بما عاين من الخبر فقال له عنتر ويلك يا ابن السودة هو أنا جئت أخاف من كثرة الأعداء ما أنا جئت إلا التقى كل من يعترضنى من الأعداء والشجعان أفنى بنى ضهيه وتميم وبنى قحطان قال وكان بالاتفاق وصول الأمير عنتر عندما سرحت الأموال وتعبتها

الرعيان فاعترضها عروة بن الورد وسبيع اليمن بن مقرى الوحش وهيسرة فى مائة فارس من الفرسان وأكمن عنتر فى مائة فارس من الشجعان فوقع الصوت عندما هجمت الفرسان وأخذت ما كان من الرعيان المال قال فعند ما سمعت أبطال بنى ضبيعة ذلك خرجت وهى فى أسوأ حال ونبيشة فى أوائل الرجال فلما رأى ذلك حمل والتقى الأبطال وورد الخيل فسارت تتمثر يمين ويسار وعروة بن الورد يقاتلهم هو ورجاله حتى طلعت عليهم الشمس فعند ذلك التحم القتال وتتابعت الخيل وانصبت على وجهها وعلى بعضها انصباب السيل وحمل ميسرة لما رأى تلك الأمور المنكرة وكذلك سبيع اليمن حمل وأنزل على القوم المصائب والمحن فبينما هم على ذلك الحال وقد دارت راحات الحرب يمين وشمال وإذا بعنتر قد طلع عليهم بالمائة فارس الذين معه وهو ينادى بالثارات ربيعة بن المكدم والله أنى اليوم آخذ بثاره من هؤلاء القوم ثم أنه حمل وانزعق فانذهلت لصوته تلك الفرق لأنه عليهم قد انطبق وتلاحقت به بقية بنى عبس الأجواد وطعنوا فى بنى ضبيعة بالرماح المداد وضربوا فيهم بالسيوف الحداد فارموهم إلى المضارب والخيام وقددوا منهم الركاب ووضعوا فيهم الحسام وبلغوا منهم المراد وأشفوا ذلك الوقت منهم الفؤاد هذا والأمير عنتر قد زاد وقود الحرب لهيبا وإيقاد ودمدم وزمجر وزاد فى حملته حتى ارتجفت من أفعاله الشجعان وفرق المواكب يمين وشمال وجندل الأقران وفضح الفرسان وصبغ بادم بهم الأرض حتى عادت كلون الأرجوان وحير بالخوف قلوب الجمعان ثم زعق بملء رأسه وقال أنا أسد البطحان وحاوى قصب الرهان أنا حية طن الوادى أنا قادح الزناد أنا الرفيع العماد أنا عنتر بن شداد قال ولم يزل يحمل فيهم ويزعق وبنو عبس تفعل كفعله وتحمل عليهم مثله حتى انهزموا منهم ورجعوا إلى الأبيات ولم يبقى لهم بين أيديهم ثبات وقد قتلوا منهم سبعمائة فارس وما منهم إلا كل مدرع ولابس وكل مداعس وجرحوا منهم أكثرهم ونفروا من بين أيديهم خوفا من المهالك وداستهم بنو عبس بسنابك الخيل وأم ربيعة كانت معهم فصارت تحرضهم على القتال والنزال إلى الثلث الأول من الليل وعاد الأمير عنتر ومعه من بنى ضبيعة مائتين أسير وكان قد بقى من الليل شىء يسير وعادوا وهم يهنوا بعضهم البعض وقد فرحوا بما رأوا من تلك القتلى التى كانت على وجه الأرض هذا ما كان من بنى عبس وما فعلوا من الفعال (وأما) ما كان من بنى ضبيعة فانهم لما أشرفوا على الهلاك والوبال وقد وقعوا فى الويل والإرتباك واجتمعوا مع نبيشه وقالوا له لا جزاك الله عنا خيرو لا رزقك إلا الضير لأنك تسببت لنا برجل ناره لا تطفى وجمره لا يخفى فقال لهم يا بنى عمى كان الذى كان وإذا

فشلنا طمعوا فينا وسبوا حريمنا والشجعان وأنا في غداة غد أخرج إلى مقام البراز وأقتل لكم عنتر بن شداد وألحقه برفيقه وأخيب لكم قصده وطريقه وأقتل فرسانه وأولاده قال وقد طلعت مشايخ بني ضبيه وبني خثعم وانفذت تستنجد بقبائل العرب وتوعدهم بالمال والفضة والذهب ليعينوهم على قتال بني عبس قال الراوي ولما كان عند السحر ركب الأمير عنتر بن شداد وأمر رجاله بالركاوب فدخلوا في عددهم وهم يصيحون يا لعبس يا لعدنان يا لثارات ربيعة ابن المكدم مبيد الاقران وطلع بنو سليم وبنو ضبيه فتلقاهم عنتر وغصوب وميسرة وانقضوا عليهم مثل النار المسعرة غائصين في الحديد وقد كشفوا رؤسهم ووطنوا على الهلاك نفوسهم وطحنوا الرجال وكردسوا الأبطال وقطعوهم ثلاث وأرباع وعنتر بهمهم كانه جمل هائج وقد أحمرت أحداقه وظهر الزبد على أشداقه ونبيشه يصيح في أصحابه ويحرضهم على القتال ويردهم إلى الحرب والنزال وملاقاة الأهوال قال فاعترضه عروة بطعنة عظيمة فخرج منها سالم وتقاتل معه ساعة زمانية وبعد ذلك طعن نبيشة إلى عروة في فخذه فجرحه وقد انغرز السنان فيه فتأخر عنه وإذا بام ربيعة في عرصات الميدان ورأسها مكشوف وهي بقلب ماهوف وقد أخرجت يدها من جلابيب ذراعها إخراج المسلوب وهي ترثي ولدها وتقول :

فقلت لها سابكيكم بليث … هجوم عند مشتبك القناء
فيردى كل ليث من تميم … ويحمى العذارى والنساء
وسبي كل خوذات روادح … ومن عانده حل به البلاء

قال الراوي لحارت العرب من أمر ربيعة ومن إنشادها وهي ترثي ولدها ربيعة وعاينت نبيشة حين طعنه عروة فرمت روحها عليه من عدم حرقها وطعنته فارتد عليها نبيشة وطاردها وأضجرها فكاد أن يملكها وإذا بميسرة قد طلع عليه كانه الأسد الادرع وأبصر أم ربيعة وقد ظهر عليها نبيشة وطعنها وقد جرحت من طعنته وأراد أن يثني عليها وميسرة حمل عليه وجرى بينهما حرب شديد ولم يزل في قتال حتى تنصف النهار فولت بني تميم الأدبار وهم منهزمين وافترق نبيشة من ميسرة وبنو عبس تعلل في أقفيتهم وقد ألهبوهم بالطعن في صدورهم وفي ظهورهم وحيروهم في أمورهم وطعنوا فيهم في النحور واللبات حتى أدخلوهم الأبيات فعادوا بنو عبس ومعهم مائة أسير فافرنوهم مع المائتين الأول وشهد عنتر بنعال ولده ميسرة وفعال أم ربيعة وباتوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وقد ركب الأمير عنتر على جواده الأبجر وتقدم إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وقد تعجب

من فعاله كل من نظره بالعين فانشد يقول :

وبالعوالى سقينا الموت صاحبه — بنى ضبية فى نهب العشائر
لمـــا أتيناهم والليل معتكر — عند الظلام وجردنا البواتر
والخيل سابحة فى البر حافلة — لثار ابن المكدم العدل فى الجور
فلم تكن ساعة حتى أضربهم — طعن القنا بين مسلوب ومأسور
قد كان بطلا ربيعة خير من حملت — سوابق الخيل مكدوم ومشهور
أنا عنتر العبسى خير فتى — أخى ربيعة فى الهيجاء مأمور
لا تحزنى على قبر حواه فقد — يرى نبيشه فوق القبر معقور

(قال الراوى) ثم أن عنتر لما فرغ من ذلك الشعر نادى وقال لبنى تميم لا يبرز لى إلا فارسكم نبيشه بن حبيب فلما سمعت العرب من عنتر ذلك قالوا لنبيشه انك جلبت لنا الاذى فابرز الى خصمك ان كان فيك كفاية لدفع العدى فلما سمع نبيشة ذلك الكلام لم يأخذه بينهم قرار بل برز فى عاجل الحال إلى الميدان وصار مع الأمير عنتر فى الميدان وقال له يا اسود يا زنيم يا لئيم اليوم ألحقك بصديقك ربيعة وأترك بنى عبس عليك فجمعه قال فلما سمع عنتر من نبيشه ذلك الكلام قفز اليه وناداه ويلك يا ابن اللئام أنت أذل وأحقر من أن تقتل كلبا ينبح على باب ربيعة ولولا انكم تكاثرتم عليه واغتلته أنت غدر عندما كبا به الجواد والا من أين تقدر عليه أو تصل يدك اليه ثم بعد ذلك حمل عليه حملة منكرة وتقاتلا حتى هجم عليهما الظلام وقد كل نبيشه من الحرب وقد رأى صورة الموت قدامه فقال له عنتر إلى أين يا ابن الزانية تريد الهربه وأنا وراءك فى الطلب فقال نبيشة قد هجم علينا الليل وخيم الظلام فقال له عنتر وقد علم أنه قد تعجب فقال له يا أبدل العرب فوحق فالق الاصباح ما بقى لنا براح حتى بطلع الصباح فقال يا عنتر عد إلى قومك وأعود أنا إلى قومى وغدا أنا وأنت من أول النهار نخرج إلى الميدان فقال عنتر ما نبرح من ههنا إلا بالانفصال فقال نبيشة أريد من إحسانك وتربة ربيعة صديقك أن تمهل إلى وبعد ذلك نعود إلى الحرب والقتال قال فلما سمع عنتر منه ذلك المقال وحلف له بتربة ربيعة أجابه إلى ذلك فعاد إلى قومه وأسرع إلى عشيرته وقال لهم ويلكم أسرعوا بنا إلى السرب وإلا وقعنا فى العطب واحلوا بنا على بعض أحياء العرب نستجير بهم وندخل إلى ملوكها وساداتها نستعين بحماتها وقاداتها قال فاجابوه إلى ذلك وفى الحال رفعوا الاموال والنساء والرجل وركبوا من ليلتهم وولوا هاربين وإلى النجاة طالبين وما زالوا

سائرين فى الليل وهم منهزمين حتى انهم نزلوا على بنى تميم واستجاروا بأميرهم جندلة بن الحجاف التميمى وكان ذلك الفارس شديد اليأس وكان فارس صنديد وكان له على بنى عبس دم وثأر فأسرع نبيشة إليه وإلى قومه واستجار بهم فلما سمعوا منه ذلك وأنه يستنجدهم بهم على بنى عبس وعدنان فأخذهم وأنزلهم فى أعز مكان بعد ما حكى لهم على ماجرى لهم مع عنتر ابن شداد فاحترمهم ووعدهم أن يحاربوا معه إذا قدموا عليه قال الراوى هذا ماجرى من نبيشة (وأما) ماكان من بنى عبس فانهم أقاموا فى محنهم إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح والطعان وبان الضيا ولاح وتقدم الأمير عنتر بالحرب والكفاح وقدم إلى محل الضرب والطعان فلم ير فى الحى أحدا من الفرسان ونبيشة قد قلع الحى بمافيه وهربوا كلهم بالليل وتركوا الديار والأوطان قال فلما رأى ذلك عنتر أقبل على قومه وأخبرهم بما فعل نبيشة فى الليل وقال لهم سيروا بنا حتى نلحقهم قبل أن يذهبوا فأجابوه إلى ذلك وركبوا فى الحال بنو عبس الاقيال والأمير عنتر أمامهم وساروا إلى ضحوة النهار فأشرفوا على بنى تميم وهم على ذلك المنهال العظيم وقد نظروهم بنو تميم فنبهوا فارسهم جندلة وأخبروهم بمارأوا من بنى عبس وأنهم يريدون قتاله فعندها أسرع اليهم وركب وركبت أبطاله معه يريدون الحرب فلما رأى منهم أبو الفوارس عنتر وحملت بنو عبس وراءه وقال أنا حية بطن الواد أنا عنتر ابن شداد الآخذ بثأر ربيعة بن الأجواد فعند ذلك تصادمت الرجال بالرجال والأقيال بالأقيال وحملت الأبطال وكان لهم يوم عبوس تطايرت فيه الرؤس وشربوا من المنية كؤوس وتخطفت منهم النفوس وكثر الفزع والبؤس ولم ترى فى ذلك اليوم إلا رأس معكوس وبطل فى الدما مغموس وضرب السيف والدبوس وعظم القلق وجرى منهم من خيولهم العرق وتقطفت من ضرب السيوف الدرق وعلا عليهم الغبار وتسردق قال فعند ذلك ظهر جندلة إلى الحرب وسال الانجار وطلب عنتر فارس الحجاز وقال أين ابن شداد نسل الأوغاد حتى أنني أذيقه الوبال فلما سمع عنتر كلامه حمل عليه وضربه ضربة فارس جبار فنزلت الضربة على رأسه وكانت من ساعد قوى فقسمه نصفين وأرمته إلى الأرض قطعتين فلما رأوا ذلك بنو تميم حملوا كلهم عن بكرة أبيهم وصاحوا عليه فرسانها وذواويها وبعد ذلك تقدموا إلى نبيشة فلاموه وعنفوه وقالوا له أنت جئت الينا حتى إننا عدمنا سيدنا وفرساننا وتأخرت أنت إلى ورائنا وما نراك تتقدم إلى أخصامك وتحاربهم فهذا شىء ما جرى لأحد من الفرسان تريد أن تفنى باقى أصحابنا وأنت سالم وتبليتك

بهذا العبد الظالم فلما سمع نبيشه منهم هذا الكلام قال لهم غدا أخرج اليه وأقدم بكليتي عليه وأفضل لكم أمره وأعدمه عمره وأكفيكم مؤنته وشره هذا والأمير عنتر قد عاد إلى أصحابه مسرور القلب وفؤاده أشفاه بالطعن والضرب وكان أخذ منهم مائة أسير وقال لهم أقرنوهم إلى بقية الأسارى حتى نبصر آخر هذه العبارة لأن ما بقى لهم محامى ولا مجير ولا نصير فدعوهم إلى عدو أبذلوا فيهم السيوف واسقوهم شراب الحتوف قال الراوى هذا ما جرى من عنتر عند المغيب وأما ما كان من نبيشه بن حبيب فانه لما هجم الليل تقدم إلى جواده كأنه يسقيه فأخذه وأبعد به عن المضارب فركبه وسار فى جنح الليل الظلام وولى هارب وإلى النجاة طالب وهو فرحان بنفسه من حلول المعاطب وسار طول الليل إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح ومازال يركض فى الروابى والبطاح حتى وقع فى أرض بعيدة وأمن على نفسه من هذه المصيبة قال وأما بنو ضبة فانهم انتبهوا مما هم فيه وسألوا عن نبيشة فلم يجدوه فعلموا أنه قد هرب وسار فى أول الليل خائف من العطب وأن قاتلوا بنى عبس حل بهم الويل والعطب فدخلوا إلى منازلهم وركبوا خيولهم وساروا إلى بنى عبس فدخلوا على أبى الفوارس سيد الفرسان وسألوه الصلح والأمان بعدما أخبروه بما فعل نبيشه وكيف أخذ حصانه وهرب فى الليل خوفا منك يافارس الزمان فلما سمع الأمير عنتر منهم ذلك ورآهم قد دخلوا عليه وطلبوا منه فاعطاهم الأمان ورفع عنهم الضرب والطعان فعند ذلك طلبوا منه أساراهم الذين أخذوهم منهم فقال لهم عنتر أما الأسارى ما أعطيكم منهم أحد لأنهم طلبوا قتلى بغير سبب ولكن وذمة العرب وحرمة شهر رجب لو قتلت منكم كل يوم عشرة آلاف مقدم ما كانوا بثار صديقى ربيعة بن المكدم قاو فلما سمعوا منه ذلك وأنه لم يعطيهم من أساراهم ولا واحد فداروا به من كل جانب وضيقوا عليه المذاهب وقالوا لبعضهم البعض ياويلكم قطعوه باسيافكم قطع واحملوا عليه من كل موضع فلما رأى منهم ذلك حمل حملة منكرة وحملت عليهم بنو تميم بقوة وزمجر عنتر فى أوساطهم كأنه الأسد الحتوف والزبد طار على أشداقه وهو يكردس منهم الصفوف ويسقيهم كاس الحتوف قال الراوى فهم كذلك وإذا هم بصيحات عاليات وضجات مرتفعات ينادون ياآل سيبان وهم فى جيش جسيم وخلق عظيم يقدمهم بسطام بن الملك قيس واخته هند زوجة ربيعة بن المكدم فاحتاطوا ببنى تميم وأخذوهم عن بكرة أبيهم ولم ينفلت منهم ولا عقال وأخذوا اغنامهم والأسارى وضافوهم إلى من معهم من الرجال وهدا الحرب والقتال وبعد ذلك تقدمت هند إلى عند أبى الفوارس عنتر بن شداد وقبلت يديه وشكرته بين العباد وأثنت عليه ومدحته وقالت له ما

عدمتك من فارس جواد فارس بنى عبس يوم الطراد ما عولت أن تصنع بنبيشه ابن الأوغاد فقال لها عنتر اتبعه وأقتله ولو أنه تعلق بالملك كسرى أو قيصر حاربتهما بالسيف البتار وأخذه منهما وأذبحه على قبر ربيعة حتى أنى أكشف عن بنى كنانة العار وأخذ لهم منه بالثار وعاد الأمير عنتر وبنو شيبان وبنو كنانة هنوا بعضهما البعض والجميع أثنوا على الامير عنتر وهنوه بالسلامة هذا ماكان من الأمير عنتر وبنو عبس وأما ما كان من نبيشه كلما أراد أن ينزل على قوم يطردوه بعد ما يخبرهم بما جرى له مع الأمير عنتر من خوفهم هذا بنو عبس وكنانة وشيبان لم يزالوا سائرين فقد أجهدوا أنفسهم فى سببه وكان ذلك أيام متصلة وليالى غير منفصلة حتى أشرف بهم شيبوب على مرج أفيح وعيون تسرح وغزلان تمرح والزهر من حوله قد فتح وكان هذا المرج كثير المياه والمرعى والأرض قد طهرت أزهارها وفاحت روائح خزامها وأعطارها فقد تزينت بشقائق النعمان والارض مفروشة بالسوسان وقد تبهرجت من جميع الألوان من أبيض وأسود فاحمر فاخضر فاصفر كالزعفران وكل ذلك صنعة مكون الاكوان وملون الألوان فعند ذلك أمرهم الأمير عنتر بالنزول فى تلك الأرض وان يتفرقوا بها طولا وعرض فنزلوا فى ذلك المكان ونحروا البحائر وأضرموا النيران وملوا القدور من لحم الفصلان الأغنام فاقاموا فى ذلك المكان ثلاثة أيام هذا وعنتر متفكر فى أمر نبيشة بن حبيب وفى أمره متحير ولم يعلم أين هو مضى ولا بمن استجار من عرب الصحراء فقال عنتر إلى بسطام مالنا لا نرسل رجال فى الطرقات يدوروا عليه فى جميع القبائل فيستخبروا عن نبيشة بمن استجار فقال نعم ما أشرت يا أبا الفوارس فعند ذلك استدعى بفارسين من بنى عبس وفارسين من بنى كنانه وفارسين من بنى شيبان وقال لهم سيروا وأخفوا أنفسكم ولا تطلعوا أحد على قصتكم فاستخبروا عن نبيشة أين مضى وبمن استجار من أهل البيدا وأين أستقر به القرار حتى نسير اليهم ونقدم بجمعنا عليهم (قال الراوى) فعند ذلك سارت الفرسان كل واحد منهم إلى مكان فتزيوا بزى العربان وساروا يقطعون البر وكل مار أو أحد فى طريقهم يسألونه عن خبر نبيشه فانه علم أنه مطلوب بثار ربيعة وان عنتر ما يتخلى عنه فسار ولم يأخذه عدو والاقرار ولم يركن إلى ديار حتى وصل إلى بنى وائل وكان لهم فارس جبار وبطل مغوار يسمى سيار الوائلى وكان نازل فى جبل المها وعيون الظبا فعند ذلك تقدم نبيشه واستجاب به وجعل معوله عليه بعد ما شرح له قصته وأطلعه على أمره وبليته وقال له ما خوفى إلى من عبتر بن شداد فارس الحرب والجلاد

وأنه سائر على أثرى ويقتفى خبرى ويروم أخذ الثار منى قال فلما سمع ذلك سارين خالد من نبيشة هذا الكلام التهب قلبه وصارت الدنيا فى عينه ظلام وقال له طب نفسا وقر عينا فلا تخف يا وجه العرب فانت مجار من كل أحد ومن عنتر بن الفجار ومن سائر الخلق والامم عرب كانت أو عجم لانى اعلم ان عنتر إذا سمع أنك نازل فى جوارى فانه لم يقدر أن يجيء الينا ولا يطامع نفسه بالمسير إلى عندنا ولم يتعلق بالهجوم إلى حينا وازرمنة المقادير وجاء إلى عندنا او حق ذمة العرب لاجعله موعظة بين الانام حتى يعتبر به الخاص والعام وأنت تنظر بعينك ما يجرى له ولقومه أبشر أنت يا غلام بالنصر الشامل والعز الكامل قال الراوى فلما سمع ذلك نبيشة فرح بهذا الكلام وقال له جزاك الله خيرا أيها الملك والامير زادك عز ورفعة ثم أنه نزل هو وقومه الذين تبعوه وهم آمنين بذلك الكلام الذى سمعوه منه وسرحوا أموالهم فى تلك البلاد وتلك الارض ونصبوا خيامهم ولكن لزقوا البيوت إلى بعضها البعض وتحالفوا هم وبنو وائل على قتال عنتر بن شداد وركبوا لهم خيل مجدة وفرسان معده وجعلوها لهم طلائع وخيل اخر تركوها لهم دبادبة وأرصاد وأنفذا لهم جواسيس تتجسس لهم الاخبار قال الراوى ثم انهم وطنوا أرواحهم وأظهروا للحرب سلاحهم هذا وسيار بن خالد ينظر اليهم ويضحك عليهم وعلى فعالهم وقال لنبيشة كل هذه الفعال فزعا من عنتر بن شداد نسل الانذال فقال نبيشة لا تحتقر به أيها السيد فانه محنة عظيمة ومصيبة دهما فقال له سيار وحق العزيز الجبار وخالق الليل والنهار وان أتى إلى هذه الديار لا تطعن رأسه وأبيد غارته هذا ما كان من هؤلاء وما اتفقوا عليه من الوداد وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه بعد نزوله هو ومن معه على الغدير الذى ذكرناه وكان قد أرسل الرسل الذى ذكرهم فواحر لاساكن حتى أتت الرسل الذى أنفذها إلى سائر الاماكن وأخبروا أن نبيشة بعد هروبه استجار بفار بنى وائل سيار وانه قد أجاره وقد تحالفوا على تلك والقوم يا حامية عبس فى جمع كثير ولهم طلائع تاخذ لهم الاخبار قال الراوى فلما سمع عنتر منهم هذا الكلام قال سوف يعلمون إذا اطلعت عليهم ووقعت العين على العين والناس بالناس فذلك الوقت لهم يكن لهم ملجأ من شر لا الموت ولا خلاص ولم ينجد هم أحد من الناس ثم أنه بعد ذلك أمر الفرسان بالاستعداد للمسير وقال لهم أسرعوا فى الجد والتشمير فغاصوا فى الحديد والزرد النضيد ونادوا يا آل كنانة يا آل شيبان وآل عبس وعدنان وساروا فى خمسة آلاف فارس

{ تم الجزء الخامس والثلاثون ويليه الجزء السادس والثلاثون }

الجزء السادس والثلاثون

من سيرة عنتر بن شداد

مثل الأسود العوابس وهم في جيش عرمرم وهم بالدروع والجواشن والبيض والكنائن وفيهم مثل أسد بن ماجد وبسطام بن مسعود وأبو الفوارس عنتر وغيرهم من الفرسان وقد أكثروا من الزرد النضيد وكان عنتر راكبا على جواده الأبجر وسار في أول العسكر وتبعته الثلاث قبائل من خلفه وكان يدق الأرض دقا وأخرج يده من جلباب درعه خروج المسلوب على ربيعة وهو حزين وسائر بهمة سريعة وينشد ويقول :

يا عبيلة قد ذهب التصابى	وأنى اليوم ودعنى شباب
وقد نزل المشيب ولاح يوما	بمفرق لمتى مثل الشهاب
ألا بلغ عبيلة شوقى والتحية	وحى بعلها ذاك المهاب
فان رجعت لها سليما كان فخراً	وإلا تلم بها حدق المصاب
ألا بلغ لديك جموع فهر	فانى وارد لها ورد السحاب
وإنى طالب لأخذ الثار حقا	لأشفى القلب من ألم المصاب
ولم أعجز ولم أنكل ولكن	تجدنى حازما فى كل باب
ونعدل بى على الكثبان قولى	على خيل أحد من الذئاب
ولم أرجع على الجيشين حتى	أخلى ديارهم منهم خراب
وإنى عنتر العبسى حقا	أبيد اليوم فرسان الضراب

(قال الراوى) وسار عنتر بجد السير مع قومه الأخيار إلى أن وصل عند سيار بن خالد الوائلى ونبيشة بن حبيب فأخبرهما الفرسان الذين أرسلهما إلى كشف الأخبار بمجيء عنتر بن شداد ومعه بنى شيبان وبنى كنانة قال فلما سمع سيار ونبيشة من قومه ذلك الكلام فى الحال تأهبوا للحرب والقتال وغاصوا فى الدروع والمغافر وتقلدوا بالسيوف البرار وركبوا الخيل الضوامر وسيار بن خالد فى أوائلهم كأنه الأسد الكاسر والرايات على رأسه ونبيشه إلى جانبه وقد انزعجت حراسه وهما على الحروب عازمين وعلى القتال مقدمين فهما كذلك وإذا بنواصى الخيل قد طلعت عليهما وتبادرت من كل جانب وناحية إليهما والفوارس قد أطلقت الأعنة وقومت الأسنة وعلت منهم الضجة والرنة

وتبادر فى خيل بنى شيبان يقدمهم الأمير بسطام وركب سيار بن خالد هو وأصحابه وانتخب فرسانه هذا والغبار قد طلت وضربتها الرياح فتمزقت ولاحت عوامل الدوابل وبدت نواصى الخيل الصواهل وأبو الفوارس عنتر فى أوائلها كأنه الأسد الباسل وحمل وهو ينادى يا آل عبس يا آل عدنان الاجواد أنا حية بطن الواد أنا الطويل النجاد وأنا العالى العماد أنا بدر الدولة عنتر بن شداد هذا وبنو شيبان وبنو كنانة قد تبعته فعند ذلك اشتد القتال وعظم النزال واشتدت الأهوال وتأخرت الأندال وتقدمت الأبطال وتكنى البطل وصال ولم يزالوا على ذلك المنهال من طلوع الشمس إلى وقت الزوال فعند ذلك افترقوا الناس لما هجم الظلام وباتوا على ذلك الإيضاح لما طلع الصباح وقد اصطفت العسكران فبرز فارس من فرسان سيار ونادى الأمير عنتر وقال له ويلك يا أسود يا زنيم أتطمع نفسك أن تصل إلى نبيشة بن حبيب وأنه قد سار اليوم فى جوار الملك سيار البطل الغضنفر أتظن أنه مثل مالاقيت من الفرسان أو مابارزت من الشجعان ولقد ساقك القدر إلى جزاع أنفك وضرع حتفك يتعرضك الأسد فى غابه وسترى طعانه وضرابه فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقال له يا بن اللئام أتظن أن نبيشه يقتل ابن أبن المكدم ويلتجىء إليكم ويسلم وهو يحسب أنى أقعد عن ثاره فان أنتم أبعدتموه عن جواركم وأخرجتموه من أرضكم فقد حقنتم الدماء وان لم تفعلوا ذلك أبشروا بالدمار وخراب الديار وقطع الآثار من الفارس الكرار الذى لا يصلى بنار ولا يضام له جار وبعد ذلك حمل عنتر عليه وطعنه فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره وبعدها صال وجال كأنه الأسد الرئبال وقد حملوا بعضهما بعض وتدكدكت من حوافر الخيل الأرض وكان أول من طلع إلى الميدان وموقف الضرب والطعان ميسرة بن عنتر الفرسان وهو كأن الأسد الولهاز وهو غائص فى الحديد وغارق فى الزرد النضيد وجال وصال وقال أين الليوث والأقيال أين الشجعان والأبطال هلموا إلى الحرب والنزال ابرزوا إلى وأسرعوا قضاء الأشغال من غير مطال وهو ينشد ويقول

ألا فاجنحوا للسلم يا آل وائل	وإلا دونكم ضرب الكفاح
فانا الذى لا أنثنى عن ضيغم	أو فارس يوم الوغا جحجاح
أنا الذى ألقى الأسود بصولتى	واسمى حقيقاً قابض الأرواح
فلا تركن رجالكم فى مهمة	تبكيهم النساء كل صباح
فاستيقنوا أن المنية قد دنت	بسرادق الاحزان والاتراح

(قال الراوى) ثم أنه بعد ذلك الشعر والنظام نادى بعلو صوته هل من مبارز هل من مناجز هذا يوم الهزاين أين فرسانكم الوائلون أين أبطالكم المحامون فان كنتم حافظين الجار وكاشفين العار فدبروا أنفسكم قبل نزول المنية فخرج إليه فارس يقال له عبدالله ابن سنان الوائلى ثم أنه زعق على ميسرة أبسريا ابن الزانية بالخذلان فدونك إلى صول إلى حارنا ضرب اليمان وطعن الأسمر المران فاجابه يقول صلوا على طه الرسول

أثبت لليث ضيغم وغنفر لا يثنى عن موقف الكفاح
ليث يصول على العبـــدى بمهند وينكس الأبطال بالأرماح
بطل تذل له الفوارس جضعا ويردى أعاديه ببيض صفاح
يحمى حمى أبناء وائل بالقنا وله مضارب تخطف الارواح

قال الراوى ثم أنه بعد ذلك الشعر والنظام حمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من شدة طعنه ومضاربه وجالا طويلا واعتركا ميلا إلى أن عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وانكشفت عن الفارسين الغبرة ومافيهم أحد وصل إلى صاحبه بمضرة فلما نظر الوائلى إلى شدة ميسرة وقوته فى الحرب والجولان زعق عليه وقال يا ابن الزانية أطلت معى فى المجال وثبت بين يدى فى القتال فابشر بالارتحال ودنو الآجال فلما سمع ميسرة كلامه وفهم مراده دمدم وحمل عليه حملة بطل فالتقاه الوائلى فكان كانهما طودان باسقان وعاين ميسره طول مقامه مع خصمه فهجم عليه وزعق فيه زعقة الأسد القشعم وبادره بطعنة صادقة فوقعت فى صدره فخرج السنان يلمع من ظهره ثم نادى وقال يالثارات ربيعة بن المكدم فوقع إلى الأرض سريعاً يمج علقمها ونجيعا والتفت بنو عبس إلى نحو الغبار وإذا بميسره ينادى يالعبس يالعدنان وأنشد يقول

قومى لهم شرف المنازل فى وقت ضائقـــة العوان
ردف الضعيف قويهم كيلا يزول عن الأمكان
كم من رئيس كتيبة ماض على عزم الجنان
أرديته تحت السنابك مستهلكا لما دعانى
وسقيته كاس الردى ملان من رأس السنان

قال الرواى ثم حمل بعد شعره على الميمنة قلب بعضهما على بعض ثم قصد مقلب وقتل منه فارسين وعاد كانه نار محرقه أو صاعقة مبرقة فجاءت بنو وائل من فعاله وقتاله هذا وميسرة يقول أين الأبطال المشهورة والفرسان المذكورة هلموا إلى الحرب والطعن

والضرب فتقدموا إلى فناء أعماركم وقطع آجالكم فزعقت بنو وائل إلى سيار بن خالد وقالوا له ما ساق لنا هذا البلاء إلا أنت باجارتك لنبشه نسل الأوغاد فلما سمع سيار هذا الكلام وثبت وثبة الأسد واستدعى بجواده فركبه .زعق فى عساكره وبرز على الجواد الموصوف وكان بين خيل العرب موصوف فلما أتى به إلى الميدان ومحل الضرب والطعان مد السنان إلى نحو بنى عبس وعدنان فأشار إليهم ينشد ويقول :

أرحموا أشجوا أخا قلب مذاب ... وقالوا لومكم لى بالخطاب
أعطنى السيف اليمانى فقد ... ألفت به ضرب الرقاب
تركونى وبنى عبس خذا حو ... مة الحرب أشبعهم ضرابى
يا بنى عبس أفيقوا سرعة ... قرب الموت كاسات العذاب
من يد ليث قسور همام ... بسيف يلمع من تحت الضراب
سوف أرديكم بارض بلمع ... وتعودوا شتاتا فى الروابى
وأخلى أهلكم تبقى بعدكم ... نائحات بعويل وانتحاب
فانهلوا من رأس رمحى جرعا ... تجعل اللتت فى الأرضين كابى

قال الراوى ثم أنه بعد شعره نادى بأعلى صوته وقال يا لعبس يالعدنان يا آل كنانة يا آل شيبان من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فا بى خفا أنا أعرفه بنفسى أنا سيار بن محارب الوائلى أنا الذى أجرت نبيشة بن حبيب وهو جارى اليوم وتربلى وأنتم قد أتيتم اليوم وتريدون قتله ومن دون ذلك ضرب يقد وطعن يهد لأننا قوم نعرف بحفظ الجار وأعطاء الذمام ولن تقدروا أن تصلوا وفينا نفس يخفق وفى كل شعرة من شعرى جز العلاصم وها أناقد خرجت أطلب البراز فلم يخرج لى إلا عنتر ابن شداد أسود بنى عبس حتى أريح العرب من شره فقد تعرض إلى قصف عمره وسكن رمسه فلما سمع أبو الفوارس عنتر بن شداد ذلك الكلام غضب غضبا شديدا ما عليه من مزيد وانقلبت عيناه فى أم رأسه وازورت أدواجه وارتجفت جميع حواسه وما ملك نفسه دون أن ضرب جنب الجواد بالمسوط الذى له وهو الجواد الأبجر الذى لم يحتاج إلى ذلك فلكزه بالمهاميز فانذعر وخرج من تحته مثل البرق إذا برق أو السحاب إذا تمزق وسحب وصار يخصمه فى الميدان وجال معه فى مقام الحرب والطعان وقال له ياويلك ياسيار من الذى أشار عليك أن تجير غريمنا وتعطيه الذمام وتصير لنا من الأخصام أما علمت باننا بنو عبس وعدنان والآن قد صفحت عنك ما أجرمت ووهبت لك ما أسأت فابق عليك نفسك كيف نسكها رمسك وأبعد نبيشة عنك حتى أننا نرحل من ديارك وتقر أنت امصارك

ويحقن الدماء بيننا وتعفو عن الأموال والنساء قال الراوى فلما سمع سيار هذا المقال قال له ويلك ياعنتر هكذا تفعل إن استجار بك إنسان تسلمه إلى من بعدمه لروح أو بقتله بين الفرسان لكن وحق العرب الكرام وأسلافى العظام دون تسليم جارى ضربا بهد وطعنا يقد فقال له عنتر إذا أنت ما قبلت نصح الناصح فدونك والقتال فلما سمع سيار كلامه حمل عليه فتلقاه الأمير عنتر وأخذ معه فى القتال وكل منهما حمل على صاحبه وتلقى طعنه فاطلق عنانهما وقوما سنانهما وذهب عقلهما عند مدر ماحيهما وتطاعنا بالاسمرين وتجالدا على ظهور خيلهما وأظهر فى الحرب أبوابا حسان حتى حارت العقول وكانا فى الحرب أسود وفى القتال وجالا فلله درهما من بطلين شديدين فارسين عظيمين فلم يزالا فى طعن يقد وضرب يهد من طلوع الشمس إلى الغروب فوقف كل واحد منهما ينظر صاحبه شزرا ويرمقه حذرا ساعة زمانية حتى ارتاحت الخيل من كثرة المجال فعادوا إلى ما كانوا عليه من القتال فلما نظرت بنى وائل قتال سيار مع أبى الفوارس عنترة الفرسان فقالوا النبيشة أيها السيد اعلم أن الملك سيار نفسه دونك وقد عرض روحه من أجلك والآن أخرج وتحمل معونته وأكشف عنه شدته فاجابهم إلى ذلك فركب جواده وكب رأسه فى قربوس سرجه ففعلت بنى وائل مثل فعله وحملت صحابه مثله فعند ذلك حملت بنى عبس وبنى كنانة وجميع الفرسان فاشتد الأمر وعظم الصبر فقد بذلوا المجهود وطعنوا طعنا يفتت الكبود والحرب قد قام على قدم وساق فشربوا كاسهم كاس المحاق واحمرت الأحداق وعملت السيوف فى الرقاق والرماح والرماح الدقاق وطارت الأعناق ونزلت على بنى ضبية وبنى وائل العكوس وحالت الدما واشتد الظما وأظلمت الأرض والسما وحل بالقوم العنا فوقع فيهم الموت والقنا ونثرت الجماجم وتثلمت الصوارم وعضت الخيل على الشكائم قال الراوى هذ وعنتر وسيار فى حرب شديد وقتال عنيد والناس مختلطون فى عرضه الميدان وقد طاب لهم الجولان وعنتر يطارد سيارا فلم يمكنه من الهوب وقد قطعه عنتر عن العرب وقال له ويلك يا ابن اللئام أبشر بالويل والدمار وخراب الديار ثم أنه بعد ذلك ضربه بالسيف الضامى فلم يجد له ناصر ولا محامى فوقع السيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه فوقع على الأرض صريعا يخبط علقا بدمه فوقع عنتر رأسه على رمحه وزعق فى صفوف بنى وائل وقال لهم عمن تقاتلون وعمن تحاربون فهذا رأس سيدكم سيار بن ألف ملعون وقد عجلت له الموت والمنون وأخليت عليه الديار

وأنتم عليه تأسفون قال فلما نظرت بنو وائل إلى رأس سيدهم سيار وما فعل به الفارس المغوار حيث أكيادهم وماجت وزادت أحقادهم وأتوا من كل شعب وواد وقالوا لبعضهم البعض دونكم وعنتر بن شداد نسل الاوغاد فعند ذلك حمل نبيشة وأصحابه الأبطال ورمى روحه على الحرب والقتال والتفت الرجال بالرجال وكثرت الأهوال وكشف البيضه عن رأسه وأخر يده من جلابيب درعه وأعطى السيف حقه والطعن مستحقه والضرب صدقه فاختلطت المواكب بالمواكب وتصادمت الكتائب وزمجرت الليوث الغوالب وحملت بنو وائل وهمهمت الخيول والجنائب وأيقن الجبان أنه عاطب هذا والحروب مثل اللهايب والضرب فى ذلك اليوم بالصوارم والرماح الطوال كأنهم الاجام وفقدت الكرام وقل العتاب والكلام وتقدمت الكرام وفرت اللئام فدارت عليهم كؤس الحمام وضعف الفارس من حمل الحسام والناس فى حرب سكارى كأنهم نيام من غير شرب مدام هذا وعنتر كأنه أسد ضرغام وميسرة كأنه الصقر إذا حام فحارت فى ذلك الافهام وزلزت الاقدام ومازن كأنه أسد همام فينادى يقول أين اللئام ونبيشة قد ثبت فى باقى بنى وائل من الانهزام وقاتل فى ذلك اليوم قتال الاسد فى الاجام فصار يضرب كل ليث همام إلى أن هجم عليه الظلام وطلبت بنى وائل الانهزام ولحقتها بنو ضبيه اللئام ونبيشه قدامهم ينادى لقد حان الحمام ولم يزالوا على ذلك فى الويل الهائل حتى وصلوا إلى بنى وائل فاستقبلهم المستقبلون وسألوهم عن حالهم فاخبروهم أن سيار قد قتل فاجتمعت عليهم العرب من كل جانبه ومكان هذا وبنو عبس لم يفارقوهم وعنتر ينادى عليهم ويقول أهركوهم فوحق البيت الحرام والرب الكريم المتعال لا رجعت حتى أقتل نبيشة ابن اللئام وأتركه فى دمه مثل الارجوان والحقه بقومه وعشيرته أولاد الحرام قال الراوى فلما أظلم عليهم الظلام رجعت بنى عبس فنزلوا فى الخيام وأضرموا فى مضاربهم النيران وتحارس من بعضهما بعض الفريقان والعسكران وقوى قلب نبشة بمن قد أتى له من الرجال وصار يوعدهم بانه ياخذلهم بالثار ويكشف عنهم العار فلما نظروا أن بنى عبس لا يفارقونهم وأنهم طالبونهم وانهم عليهم مثل النار الحية على المقلة فقالوا لنبيشة ويلك يقتل سيدنا سيار وأنت تعيش بعده دونك والحرب والا قبضنا عليك وسلمناك إلى ابن شداد فاجابهم إلى ذلك المقال ثم أنهم باتوا تلك الليلة يتحارسون عليه إلى أن أصبح الله الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح جمعوا بنو وائل بعضهم البعض وهم غائصون فى الحديد

والورد النضيد فالدروع الداوية فالخوذ المجلية هم فى خلق كثير لا يحتاجون إلى مدد فتر تبت عند ذلك الصفوف فتعدات الالوف بنو عبس فعلت مثل فعالهم فتأهبت الحرب فالقتال فقد تحيرت من كثرة الأبطال وعنتر بن شداد قد علم ماعندهم من العزم فالهمة فعند ذلك صاح فى قومه قال لهم ويلكم مالى أرا كم فشلين وجلين ومن الموت جازعين هل هى إلا موته واحدة وإلا أكثر من ذلك أين الهمة العربية فالنخوة العبسية أما علمتم أن كل ما كثرت الغنم قرت عين الذئب و لأسد فوالله ما بينكم وبينهم إلا حملة من حملاتى فضربة من ضرباتى فطعنة من طعاتى ترون هذه القبائل كأنها قد نفرت فى القيعان فهاجت على وجوهها فلم يبق لها آثار وتفارق : يارها والانصار فلا يلتفت بعضها إلى بعض ولم يعرفوا الطول من العرض فهذا ما كان أمر هؤلاء فاما ما كان من نبيشه فانه لما رأى الفرسان حوله كثيرة وبقى فى جمع غزير برز إلى الميدان وحل الطعان وهو يصول فيجول فى الميدان عرضا وطولا فينشد ويقول

لقد علمت عدنان أنى أبيدها ... إذا التقينا بالحسام المهندا
فكم فارس جندلته فى حومة الوغا ... وخلفته فى القاع يبحث باليد
ولا كنت رعدا إذا الخيل أقبلت ... ولا أنا طياش ولا رعش اليد
ولا أنا عند معترك القنا ... أبعد العدا فى فقور وفدفد

قال الراوى فلما سمع عنتر ذلك الكلام من نبيشه ولعنه زعق على ما حصل منه سابقا فلما سمع نبيشه من عنتر سبه ولعنه عليه زعقة مزعجة وقال له يا ابن المنتنة الا بطين الواسعة الشدقين أنت تروم إنك تأخذ لربيعة بالثار وتنكشف عنه العار فان هذا من غاية الفضول ومن قلة العقول فلقد حدثتك نفسك بالاباطيل وقد قادك الحين إلى فراغ عمرك ورغم أنفك حتى تصير قيل ثم أنه بعد ذلك انطبق عليه فقوم رأس السنان اليه فلما رأى ذلك عنتر لم يمهله دون أن حمل عليه حملة الغضب فالتقاه بقلب قوى لا يخاف الوجل ولا يخشى حلول الأجل فتطاعنا فالاسل وتضاربا بالصوارم على المقل فركضت الخيل من غير مهل فثار عليهم الغبار وتقسطل وزاد بينهما الأمر عن حد القياس والمثل وجرى لها مالم يجر للجبابرة الأول حيث طار عليهما طائر الأجل واختطمت منهما الاحداق فتزاعقت بنو وائل من خوفها على نبيشه أن يقتل وتيقنت أنه لم يخلص ذلك اليوم من عنتر ولم يبق له حظ فى المعيشة فتقدموا إلى مكان المعمعة والحرب فلما نظر ميسرة بن عنتر زعق فى قومه وتقدم الآخر للطعن والضرب وتقدمت الطائفتين فلم يبق منهما أحد إلا ومد سنانه ونظر بعينيه لما يجرى بين الفارسين البطلين تحت الغبار والمرتفعة فلم يزالا فى عراك وصدام فسكر وفر فقرب وبعد حتى سكر نبيشه

من غير مدام وهما متضايقان متلاصقان وعنتر يطاوله ويحاوله فكان يريد بذلك أسره حتى أنه على قبر ربيعة ينحره فلم يزل حتى أتعبه وأكر به وطعنه بعقب الرمح فى صدره كركبه على وجه الارض فانقض عليه شيبوب وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وهو فى حالة الويل وخرج من تحت الغبار وهو يخب بالجواد فينادى أنا عنتر بن شداد ثم أنه سلمه إلى بنى كنانة وأوصاهم بالحرص عليه فاوثقوه كتاف فقال لهم احملوه مع الاسارى حتى نذبحه على قبر فارسكم ربيعة بن المكدم وناخذ له بالثار فنكشف عنه العار فلما رأت بنو فهد إلى نبيشه وأخذه عنتر أسير أرادت تخلصه من العذاب الاليم فحملت عند ذلك بنى فهد فبنى شيبان وقد أيقنت بالحرب والخذلان فعظم بينهما الحرب والجولان والقت عليهما خلف البطاز فلما نظر ذلك عنتر زعق فى بنى عبس فحملت وهى كانها رسل المنايا إذا أرسلت وحمل بسطام فى بنى شيبان فيسره فخصوب فى بنى عبس فهجموا على الافراز وحملت هند فى بنى كنانة الصابل فبذلوا القواضب فى بنى ضبية وبنى وائر ففعلوا فيهم بئس الفعايل فارأو لهم بذلك طاقة فعند ذلك ولوا الادبار فركنوا إلى الهرب والفرار فخلفوا الحريم والعيال فالنوق فالجمال فالاموال (قال الراوى) فبعد ذلك نادى عنتر فى قومه من الرجال فقال لهم يابنى عمى لا تسبوا الحريم ولا تنهبوا الاموال لا رغبنا أخذناه وتحكمنا فيه فالعلهم دم حتى إننا نسبى حريمهم ونستوفى منهم قال فرجعت الناس عما كانوا عازمين عليه من نهب الاموال وهتك العيال فكان ذلك بمشورة عنتر ابن شداد سيد الابطال الذى ما يتسبب فى هتك الحريم ولا العيال ولا يتعدى على جار ثم أنهم نادوا بالرحيل فسرعة الجد والتحويل وقد أخير والاسار معهم وفيهم نبيشه بن حبيب فكان الجميع سبعماية أسير فساروا وجدوا فى المسير وهم يقطعون الروابى والاكام حتى وصلوا الى قبر ربيعة بن المكدم ثم أنهم نزلوا عليه فالقوا نبيشة من فوقه وكان فى أول المأسورين وكان فى رقبته حبل طويل وفى يده سلسله من حديد وهو يقاد مع بعض العبيد ثم أن عنتر أخذه من العبيد وتقدم إلى القبر ومن حوله تلك الخلايق والامم ثم أنه أوقفه على رأس القبر فصارت الناس تنظر اليه حتى أنه ينحره على قبر ربيعة قال الراوى فقد أقبلت نساء بنى كنانة بالدفوف والمزاهر مخلقين بالزعفران وهى فى أيدى النسوان والمولدات فالغلمان وفى أيديهم أم ربيعة وقد فرحت أخذ الثار من نبيشة بن حبيب الغدار وقد انطفت بذلك نار كبدها ولم تزل تشق الخلايق حتى انها تقربت من عنتر بن شداد وخلقته بالزعفران وخلقت أيضا صدر جواده الابجر فنادت وقالت جزيت خيرا يا أبا الفوارس يا حامية عبس ويا أوحد من طلعت عليه الشمس والله لقد افتخرت بك بنى عبس

وبنى عدنان على سائر الفرسان فعند ذلك أوقفها بين يديه وقدم نبيشة حتى صارت هى وجميع من حضر ناظر اليه فمدده على القبر وسل حسامه وذبحه أول البداية فبعده صار شيبوب يقدم الاسارى وهو يذبحهم حتى ذبح الستمائة ثم أنه بعد ذلك أشار إلى القبر يرثى ربيعة بنشد يقول

ولو نبشوا المقابر عن أخينا ربيعة ما تركت عليك عار
وقد أرويت قبرك من دماهم وأطلقت اليتامى والعذارى
فقد فقدت كنانة فارسها كريما وكان لها حامى مدارى

فقال الأصمعى هذا والناس يتعجبون من فعل عنتر بن شداد فصفو ووداده ويسمعون شعره ونظامه وصارت بنى كنانة المتخلفين يتعجبون من فعل عنتر فصاروا يأتون اليه فيهنوه بكمال سيرته فكذلك أم ربيعة وأخواته تقدمن اليه يقبلن يديه وصرن يشكرنه فاستقبلهن وردسلامهن مبالغ فى تحياتهن فأكرمهن وقال لهن أخذت لكم بالثأر من الظالم الغدار ثم أنه أقام على قبر ربيعة عشرة أيام وهو مداوم البكاء والاحزان وكذلك زوجته هند وأخوته وجميع أقاربه وعشيرته ثم أن عنتر بنى على قبر ربيعة قبة عالية فزخرفها بالبياض فصارت منورة متلألئة ولها خبر عجيب يسمعه كل عاقل لبيب فان العرب كانت إذا عبرت على تلك القبة وزارت القبر تسلم عليه وترثيه من الشعر وما ينتسب اليه قال الراوى فان من جملة من جاز عن قبر ربيعة بن المكدم حسان بن ثابت شاعر النبى ﷺ كان راكبا على ناقة فأشار إلى قبره ورثاه بشىء من شعره الذى كان يتكلم به ثم أنه زعق على الناقة وأراد العبور على قبره حتى أنه يتقدم اليه مجملا الناقه من قبره ومن القبة فلم تتقدم اليها فقال لها حسان رضى الله تعالى عنه ويلك يا قطيعة النخاع تجفلين من قبر ربيعة بن المكدم فوالله لولا أنى فى حاجة إلى رسول الله ﷺ وقد أرسلنى إلى مكان مالى قدرة على المشى إليه لنزلت عنك ونحرتك ثم أنشد يقول

لا تبعدن ربيعة بن المكدم وسقى الغوادى قبره بصبيب
نفرت قلوصى من حجارة قبره انثنت هربا على الركوب
لا تنفرى يا ناقتى من جزعا واقدمى خير الفوارس ليثها المرهوب
تالله لولا أن بعد مسافتى لا تركتك هنا نحرا على العرقوب

قال الراوى فلما بلغ الخبر إلى سادات بنى كنانة فقالوا والله وحق ما بين العرب من العهد والأمانة لو نحر حسان ناقته على قبر ربيعه لا عطيناه عوضا عنها خمسمائه ناقة من بعده (قال الراوى) ثم نرجع إلى سياق الكلام الأول ونصلى على النبى المفضل وان عنتر لما كان بعد العشرة أيام الذى أقامها على القبر بالتمام والكمال استقرت القلوب على الحالة التى جرت

فرحت بنو كنانة بأخذ الثار فبعد ذلك أراد عنتر المسير إلى دياره بعد ما بردت ناره فاقسم عليه بنى كنانة أن يسير معهم إلى ديارهم برهة من الأيام فاجابهم عنتر وسار منهم لأجل جبر قلوبهم فلما وصلوا إلى الحى رقعت بقدومهم الأفراح وزالت الأتراح فنحرت النحائر من الجمال والأغنام وعملت الولائم فاقام عندهم فى أحسن اكرام تمام العشرة أيام ثم بعد ذلك وثبت أم ربيعة إلى الأمير عنتر وأقبلت عليه فشكرته وأثنت عليه وقبلت يديه وقالت حييت يا أبا الفوارس ويازين المجالس وياصاحب النخوة المنيعة والهمة العالية الرفيعة لقد افتخرت بقوة بأسك على أبناء جنسك وجميع قومك وأناسك فانتصرت بك المواكب على ماش فراكب ويهنيك النصر الأعظم أيها البطل الغشمشم ملكت نواصى العدا فرفعت عن بنى كنانة السوء والردى وأصبحت لاياديك شاكرة وخضعت لديك ملوك الأكاسر فليس لك فى جميع القبايل مثيل ولا لك فى المحافل عديل ثم أنها بعد بعد ذلك أشارت اليه تنشد وتقول

يافريد الزمان فى كل وقت	وأوحد العصر والمنى والأمانى
بك سادت بنى عبس وعدنان	على أهل الورى من الثقلان
زادك الله رفعة وعلو قدر	وثنان يحويه كل لسانى
عنترا لابرحت فى طيب عيش	دايما فى المنى وكثرة التهانى

قال الراوى فلما فرغت أم ربيعة من كلامها قامت أخته ففعلت مثل فعالها فقبلت الأرض بين يديه وقالت له ياحامية عبس أدام الله لك العز الشامل والنصر الكامل وعلت بك القبايل والكتايب فافتخرت بك المواكب من كل ماش فراكب فجعلت تمدحه وتقول

سيدى أنت الرجاء والمرتجا	اذا ثار عجاج فى الدجى متسربلا
شتت أبناء وايل وضميه	بمهند عند التاصل مفرقا
التقى الجمعان واشتهر القنا	والهام من وقع الحسام مفلقا
وقتلت كبش القوم وهو عميدهم	ولحقت أكثرهم بضرب ما حقا
واضحى تبيشه فى التراب مضمخا	والوجه منه بالدما مخلقا
وسنان رمحك فى الصدور تخاله	نجما تلالا فى الظلام الاغسقا
لا زلت ما بقى الزمان مخلدا	فى نعمة غيث بالخير تتدفقا

قال الراوى وكان لربيعة أخت يقال لها سعاد وهى تحاكى الشمس بجمالها وهى وأحسن أهل زمانها وأوانها وفريدة عصرها فاقبلت على عنتر بوجه كانه القمر وقالت له حييت أيها السيد الكبير والفارس النحرير كاشف الكروب ومجلى الخطوب يا من قتلت نبيشه وشيار فخليت منهما الديار فأخذت لنا منهما بالثار لجلوت عن بنى كنانة العار واغنيت الايتام

والأرامل فتركت حسامك فى أعداك عامل فتركت الفرسان نهبا للوحوش فالعقبان فسكل عن وصف مناقبك اللسان فلا زلت أبد الدهر منصور وأنت فى فرح وسرور وفبطة وحبور فلما سمع وأبو الفوارس عنتر مقالها شكرها على فعلها ثم أنه بعد ذلك ودعهم وسار طالبا الأهل فالديار وأما أم ربيعة فزوجته فاخوته فانهن مكثين وهن مواظبات القبر يبكين عليه مقدار شهر كامل وكان ذلك شهر ربيع فماتت أمه فزوجته فاخوته الجميع وبنى كنانة يشاهدون ذلك عيا فعندها جهزوهن فادرجوهن فى الأكفان فدفنوهن بجنب قبر ربيعة فكانت لهم ساعة مريعة ونحروا عليهم الفخاير فلم يتأخر بعدهن إلى أخت ربيعة زوجة عنتر ففى بعض السياقات لها حديث يذكر فهذا ما كان من أمرهن فاما ما كان من حامية عبس عنتر فانه بعد وداعه لهن سار طالب دياره وأهله وعشيرته بعدما وهب لزوجته أخت ربيعة مالا كثير مما كان معه من تلك الأموال البديعة فاما عبد ربيعة مفتاح فانه هام على وجهه فبح البطاح وتاه فى القفار وما عاد بعد مولاه الديار أما عنتر فانه هام لما وصل إلى الديار فرحت به بنى عبس فكان له يوم عظيم بملتقاهم بحاميتهم عنتر فسلموا عليه فعاد بغداد بعد ذلك أبياته فتلقته عبلة وفرحت بقدومه فقبلت صدره ويديه فازالت عنه همومه فاقام عندها يومه يقضى أيام السرور فالهنا فالحبوب فشرب كاسات الخمور ثم بعد ذلك قام تمشى إلى الملك قيس فدخل عليه فقام له واقفاه وكل من كان حواليه فاجلسه إلى جانبه فسأله عن سفرته وما فعل فى نبيشه وأهل حلته فاخبره بما فعل فى نبيشه وسيار وكيف أنزلبهما من الهلاك والبوار ففرح بذلك الملك قيس وشكره الحاضرون الذين كانوا معه وحضروا افعاله وما عمل من أعماله ثم إن عنتر بن شداد عاد إلى منزله فاقام فى أوطانه برهة من الزمان وقد بعدت عنهم طوارق الحدثان وهم فى أمان من ريب الزمان إلى كان يوم من الايام خرج عنتر يطلب البر والاكام ومعه عروة بن الورد فرجاله أصحاب العزمات فساروا طالبين اصيدا فانقضوا وسعوا فى البر لأجل انتهاب الفرص قال وإذاهم بغبرة من بين أيديهم قد طلعت فصاحت قد ارتفعت فكان أقبالهم من ناحية أرض العراق ملات بغبارها الافاق فلما نظر إلى ذلك عنتر قال لعروة بن الورد يا ابن العم ارسل أحدا من رجالك الشداد ياتينا باخبار هذه الغبرة وما تحتها من الرجال فعندها صاح عروة برجل لك من رجاله قال انطلق إلى هذا الغبار وانظر واتتنا بما تحته من الأخبار وعد الينا على الآثار فسار الفارس إلى أن وصل إلى ذلك الغبار فغاب ساعة وعاد على الاثار ووجهه يتلالا بالفرح والاستبشار فقال عروة ماوراءك وما أوجب هذا الفرح الذى قد علاك فقال له ياابن الأبيض ورائى الخير والسلامة هذه هدية من الملك كسرى قادمة إلى أبى الفوا

ثم فعندها عاد عروة إلى الأمير عنتر فأعلمه بذلك الخبر وقال له يا ابن العم الرسم الذى لك على الملك قد أرسل اليك فها هو قادم عليك ففرح عنتر ثم تقدم إلى القوله فلاقاهم فسلم عليهم وحمد الرب الكريم القديم الذى له البقاء والدوام ما أنعم عليه من جزيل الأنعام حيث جعل أكابر الملوك تهاديه فسار عنتر مع القوم وهم فى قبال متتابع فأخذهم إلى الديار وهم مسرعون فرأى معهم خيولا وغلمانا وجوار حسان يقدمهم حاجب من حجاب الملك كسرى فلما رأى عنتر ترجل وترجل كل من معه فاعتنق بعضهم بعضا فقبل عنتر يد الحاجب وسلم عليه فشكره وقال له يا حامية عبس الملك كسرى يسلم عليك وهو مطلع على أخبارك ويسمع بمحاربه ولدك غصوب وشجاعته التى تنشرح منها القلوب فانه يشتهى أن يراه فيسمع خطابه فيجربه فى الميدان بمبارزة الفرسان فينظر إلى طعانه فى حومة الميدان حتى أنه يشرفه ويحمله بالهدية من الخيرات كما جرت بذلك عادت الملوك إلى العرب كما هو من قدم الزمان قال فلما سمع الامير عنتر هذا المقال قال له السمع والطاعة للملك العادل فى هذا الزمان ثم انه فى الوقت والساعة دعا للدولة الكسروية بالبقاء فالدوام على ممر السنين والأعوام فسار بين أيديهم إلى الحى فضرب لهم القباب العالية فالمضارب النامية وقام بضيافتهم ثلاثة أيام وهم فى أكل طعام وشرب مدام فلما انقضت أيام الضيافة استدعى الأمير عنتر بولده غصوب وقال ياولدى تجهز إلى خدمة الملك العادل وسر مع الوزير العاقل فابصر ما أمامك وانظر ما قدامك لأنه ملك الأرض فى طولها والعرض ثم أنه أكرم الرسول فخلع عليه خلعة عظيمة وقاد بين يديه الجنائب من الخيول العربية وأعطاه أوفى عطية من الايرادات اليمانية فالنوق الحجازية ورجع من عنده شاكرا ولا عامه ذاكرا وكان قد سار مع غصوب ثلثمائة فارس من أبطال بنى عبس الاشاوس فلم يزالوا فى كد وجد فسير فطرد حتى وصلوا إلى المدائن فدخل الحاجب إلى الايوان واستأذن بالدخول لابن أبى الفوارس غصوب ومن معه من الفرسان فدخل وقبل الأرض وخدم ودعا الدولة الكسروية بدوام النعم ففرح به الملك كسرى وأمره أن يجلس فجلس هو ومن معه من الفرسان وأمر الغلمان أن يأتوا بالطعام فأتوا به الخدام فمدوا السماط الخاص فالعام فلما اكتفوا من الطعام دخل أولاد السهاجة بآنية المدام العتيق الذى صنعته المجوس وخزنته لاصلاح النفوس فروقته من أصول الزمان فصفى وراق وصار أسنى من دموع العشاق فدارت به السقاة على الندماء فغنت الأغانى وفرح كسرى وطاب فخلع على غصوب ومن معه من بنى عبس الانجاب وبعد ذلك ساله الملك عن أبيه عنتر وقال له لماذا قطع أخباره عنا ولأى شىء لم يات إلى ديارنا فباس غصوب الأرض وخدم ودعا

الدولة الكسروية بالدوام والنعم وقال له أيها الملك من كثرة الحروب واختلاف العرب فهذه أسباب قطيعته عن زيارتك فاعذره فى التقصير أيها الملك الكبير وبعدها أقام غصوب عند الملك فى المدائن مدة من الزمان يأكل ويشرب وينزل إلى الميدان ويعود منه بالخلع والاموال إلى أن كان يوم من بعض الأيام وما هم عليه من المسرة والانعام وإذا ببعض الحجاب دخل على الملك كسرى ومعه كتاب فباس الأرض وناوله اليه ففتحه وقرأه فغضب لما علم معناه وكاد الدم أن يخرج من أنفه ففزع كل من كان حوله وكان هذا الكتاب قد وصل من أرض الشام من عند الملك قيصر ملك الروم ولما نظر غصوب إلى ما حل بالملك كسرى من الغضب خاف على نفسه من العطب وعلى من معه من سادات العرب ولما نظر الموبذان ما حل بغصوب من العجب فزع أن يعمل عملا من المصائب فى الايوان تقدم هو إلى الملك كسرى وسأله عما فى الكتاب فقال له يا أبى إن الملك قيصر كما تعلم يحمل الينا الخراج والتعاد فى كل عام وفى هذا العام قد أنفذه الينا كما جرت له العادة فلتقاه فى طريقه جماعة من رعاع العرب فاخذوا المال وقتلوا الرجال فما ترى من الرأى أيها الأب الكبير فقال الموبذان أنها الملك أننا نرسل خلف هؤلاء الرعاع عسكرا يخلصوا لنا المال منهم ويأسرون الرجال ويحضرونهم بين يديك فاذا ظفرت بهم أصلبهم على الايوان فقال كسرى عساكرنا مالهم خبرة ولا يدرون بسلوك الأرض التى هم بها ساكنون والرأى عندى أن أنفذ الاسود غصوب بن عنتر ومن معه من الرجال ونمده بمن أراد من الافيال يسير بهم ويخلص لنا الاموال ويأسر الرجال وإذا فلح ورد الغنيمة والمال أقلده ولاية العرب وأعزل أياس بن قبيصة قال وكان أياس فى تلك الايام عند الملك كسرى مقدما على العرب وهم عرب اليمن وهاتيك الاطلال والدمن كما كان الأسود مقدما على بنى شيبان وما يليهم من العربان فلما سمع الملك كسرى من الموبذان هذا الكلام تقدم إلى غصوب وأعلمه بما قاله الموبذان من التدبير والكلام فقال غصوب أيها الملك أنا وأصحابى نسير ونخلص لك الأموال ولو أنها فى سد اسكندر ولا أحتاج إلى من يساعدنى ولا يعيننى ففرح الملك كسرى بذلك وأمر وزيره أن يسير بهم ويعطيهم ما يحتاجون من السلاح والعدد والرماح والخيول والزرد ففعل ذلك الموابذن وسيرهم على هذا المثال (قال الراوى) وكان ذلك الكتاب الذى وصل إلى الملك كسرى له حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أن الملك كسرى كان يأتيه حمل الخراج والعداد من عند الملوك وكان الملك قيصر فى هذا العام أرسل ما جرت العادة

عليه مع رجال بنى غسان من أصحاب الحرب والهواش مع مقدم يقال له غراش بن مهراش وكان فارسا لا يطاق وعلقما مر المذاق فأخذ رجاله وسار إلى أن وصل إلى وادى السيل وهم أن يجوزه ويعبره وإذا قد لاح لهم بطن الوادى سبعون فارسا أسودا عوابس كأنهم الجن والأبالس يقدمهم فارس أسود كأنه العمود فى تقاطيع الأسود وعليه ودرع من الزرد ضيق لا محمل فقه الصارم المهند وكان يقال لهذا الفارس الغضبان بن عمرو بن و قد السكنانى (قال الراوى) وكان هذا العبد قد نشأ أقوى من العبيد باسا وأقواهم مراسا فلما رأى مولاه الملك عمرو وعزم شجاعته وعاين من براعته فرفعه على سائر العبيد وأنعم عليه وحياه ولما كان فى بعض الأيام رحل الملك عمرو إلى بنى عامر وبعد رحيله بثلاثة أيام صحبتهم خيل من بنى يربوع مع فارس يقال مالك بن السويد اليربوعى وكان معه خمسمائة فارس فهجموا على أموال بنى كنانة وساقوها عن بكرة أبيها وأخذوا ما معهم من الأموال ولما نظر مالك أنه ما خرج اليه أحد من رجال الحلة علم أنها خالية من الفرسان عندها هجم على البيوت وحمل مالك بن سويد فى أوائل قومه وكبس الخيام وعندها علا الصياح وركبت صبيان الحى إلى رد الأموال وأعانهم على ذلك العبيد فى القتال وطلبوا أن يردوا الخيل الغائرة فانقض عليهم مالك بن سويد وهمز بجواده إلى أن وصل اليهم وهم حول البيوت فعندذلك كثر البكاء والنحيب من البنات والنسوان وقد استغاثت الحرائر من الهتيكة ومن الافتضاح قال وكان الغضبان فى ذلك اليوم فى بعض المراعى فبلغ اليه الخبر من العبيد بنهب الحلة وهتك البنات والنسوان فلما سمع ذلك قام وركب بعض الخيل وكان جواد أدهم أسود من الليل وطلب القتال وهو كأنه الأسد الرئبال وقد استلب رمحا من الطوال وكان فى يده مشـــل الفضاء المنزل فلما رأى ذلك الفرسان زعق عليهم زعقة اهتزت لها القلوب وكادت الأرواح من زعقة أن تنقطع وتذوب ونادى وقال أنا الغضبان قاهر الزجعان وحامى النساء والصبيان ثم أنه حمل فى وجوه الخيل وانصب عليهم انصباب السيل ومازال معهم فى حرب وقتال حتى أنه أخرجهم من البيوت بقوة واقتدار وساعدته على ذلك العبيد والاحرار حتى أنهم أخرجوهم عن الأطان وطحنوهم بأعمـــدة البيوت وبقى كل واحد منهم مبهوت فلما رأى مالك بن سويد هذا الأمر ورأى قومه مهججين فى القيعان ورأى وراءهم الغضبان هجم عليه وقال له يا بن اللئام ويا أنذل العربان اليوم أذيقك كأس الحمام ثم أنه صاح على بنى عمه وقال لهم ارجعوا اليه وإلا أبادركم بالحسام

واجعلكم موعظة بين الأنام فعندها عادت الخيل إلى الغضبان وارادت أن تقاتله فى حومة الميدان فتلقاهم هو برأس السنان وطعن فيهم طعن الفتى الحردان واستقبل أول الواصلين اليه أقلبه والثانى كركبه والثالث بنار الحرب كواره والرابع أرداه ومازال على ذلك الحال حتى طرح منهم عشرة من الفرسان الافيال فتوقفت عنه الخيل وعاد النهار مثل الليل ورأى مالك بن سويد ذلك من الغضبيان لخاف على باقى قومه من الذل والهوان فتقدم هو اليه ولكن دارت به الشجعان وثارت به الاشجان وهجم على الغضبان وأراد أن يبارده فى الحرب والطعان فلما رأى الغضبان منه ذلك استقبله برأس السنان وما أمهله أن يفتل العنان دون أن طعنه طعنة الخنق فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره فمال عن الجواد يخور فى دمه ويضطرب فى عندمه ثم بعد ذلك صال وجال وأنشد وقال :

لو كان جمع الكنانيين شاركنا ... فى حرب يربوع احطام الشرف
لما أتوا فى جمعهم والليل منسدل ... والخيل تصهل والارواح تخطف
ومالك بن سويد فى كتائبه ... وكل قرن تراه ضيغم خرف
فرددتهم وقتام النقع معتكر ... بصارم ليس متلاما ولاتلف
ونسوة الحى من السبى فى قلق ... وهن من هول ماصار فى رجف
وصلت بالسيف فى الهيجا مقتحما ... أقطع رؤسهموا فى الحى مختطف
وإن يعاب سوادى فهو لى شرف ... كدرة قد حواها البحر فى صدف

قال الراوى فلما نظرت بنو يربوع سيدهم مالك بن سويد صار على وجه الأرض مفجوع ورأوه من الغضبان على صغر سنه كل فارس منه يروغ فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار فتبع الغضبان آثارهم ساعة من النهار ثم جمع الاسلاب والخيل وفعل فعل الرجل الكريم قال وفى تلك الأيام وصل مالك بن عمرو فأخبروه النساء بما فعل الغضبان وما بان من شجاعته فى حومة الميدان وكيف خلص السبى والمال قال فلما سمع الملك عمرو ذلك فرح وفى الحال استدعى به وأدناه ورفعه من زمرة العبودية وأمره على مائة فارس صناديد نصار يشن الغارات ويكثر من الغزوات والغارات على بعض العربان فهابته العرب من بعد منها واقترب وأغنى مولاه الملك عمرو من الفضة والذهب قال الراوى وأعجب ماروى من أحاديث العربان أن الفتى الغضبان كان جالسا يوما بعض الأيام على باب السرادق وإذا هو بعبيد من العبيد

له الحظ الأوفر والقسم الأكبر فقال له قل لى عليها و خذ منها ما تريد فقال له العبد أعلم أن الملك قيصر ملك الروم أرسل الحمل والخراج الذى يرسله للملك كسرى فى كل عام وهو ملك الأعجام وهى خزينة ملآنة من الأموال والاحمال وأقمشة غوال وأمتعة وأسباب على ظهور البغال ومعهم جوار روميات حسان وعبيد وغلمان ومعهم الف فارس من بنى غسان وهم دائرون بها يمينا وشمال قال فلما سمع الغضبان بوصف هذه الخزينة من عبده قال له باى طريق هم سائرون فقال له بطريق وادى السيل فقال الغضبان لا بد من لحاقهم فى الحال ركب على جواده وتقلد بعده جلاده وركبت معه سبعون فارسا صناديد مسربلة بالحديد والزرد النضيد وساروا على متون الخيل وجدوا فى الترحال حتى وصلوا وادى السيل فنظرهم الغضبان سائرون ذو الخزينة فى أوساطهم وهم دايرون بها كاوصف العبد فزعق عليهم وقال لهم فوتوا المال وانجوا بانفسكم قبل أن تذوقوا الموت فقالوا الم تقدر أن تتعرض لهذه الخزينة لانها مرسلة إلى الملك كسرى ملك الاعجام وهى من عند الملك قيصر ملك الاروام والرأى أن لا تتعرض لهذه الأموال ولم تجعل لك فيها مطمع ولا منال فلما سمع الغضبان منهم ذلك غضب وزعق وقال لهم فى است أمكم واست أم الملكين معكم فلما أحق بها منهم فلما سمعوا من الغضبان هذا الكلام وأنه سبهم وسب الملكين معهم أخروا الخزينة وكلوا بها العبيد ثم تقدموا اليه يريدون الحرب وهم يقولون أى شىء هذا الكلام يا عبد اللئام ثم أنه حمل عليه الألف فارس حملة واحدة فزعق فيهم الغضبان ثم حمل عليهم بصدر الحصان ومد اليهم رأس السنان وأدرك أول فارس فطعنه فى صدره خرج السنان يلمع من ظهره فتعجب كل من طعنته ثم أن الغضبان صاح فيهم وقال لهم اذلكم الله من دون العربان يا ويلكم الف فارس صناديد تحمل على عبد من دون العبيد وانتم تزعمون أنكم فرسان صناديد أما علمتم أن الانصاف من شيم السادات قال فلما سمع بنو غسان كلام الفتى الغضبان فعند ذلك زعق عليهم خداش بن مهراش قال تاخروا عنه كلكم قال فخرج اليه فارس فى الحديد غاطس راكبا على جواد يهمز على الأرض مثل الغزلان وهمز وصار بين الصفين وطلب الغضبان من غير شعر ولا كلام وحمل عليه الغضبان طعنه فارس قلبه محرق فجاءت فى صدره طلعت تلمع من ظهره فبرز اليه اخو المقتول فعاجله الغضبان وما تركه يوسع فى الميدان بل طعنه فى فاه أخرج الرمح من قفاه وقتل الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع فوقفت عنه الجيش بعد ما كانت مقبلة عليه ولم يزل كذلك حتى قتل منهم عشرين بطلا فزاد بهم الفزع والوجل

فتوقفت عنه الأبطال وهابت الخروج اليه الشجعان عندها صال الغضبان وجال وزعق في الرجال وأنشد يقول

أرى الخيل تنظرني كأن عيونها ... بها رمد ودمعـــا يتدفق
وأن برزوا يخشون لينا إذا بدا ... تذل له الأبطال خوفا وتفلق
من مبلغ عنى سراة رجالها ... بأنى أرد الخيل والضرب مطلق
وأنى إذا عاينت في الحرب جحفلا ... أرى كلا في دماء مخلق
فكم نقع ليل خضته بمهند ... وسيفى في العجاجة يبرق
وتحتى جواد أدهم الليل حالك ... تراه يطير في الرياح مخنق
وكم من غبار خضته وهو مطبب ... يحاكى فسطاس الحرور مسردق
فاطفيت جمر القوم منى بذابل ... سنان له كالنجم في الليل يشرق
وحولى من أبناء كنانة فوارس ... وجوههموا مثل الاهلة تشرق

(قال الراوى) فلما فرغ الغضبان من شعره وسمع خداش مقدم بنى غسان مقاله ورأى فعاله وما قتل من فرسانه قفز بالجواد اليه وحمل عليه وصاح به وقال يا عبد السوء ويا زنيم ويا وغد يا لئيم أرجع لا أم لك ولا أب فانا خداش بن مهراش صاحب الحروب والهواش فلم يعبأ به الغضبان والتقاه بضرب شديد وجرى بينهما مايشيب الوليد فلما رأى الغضبان طول مقامه وسرعة أقدامه عبس وقطب وانقض عليه انقضاض السبع إذا غضب وطعنه بالسنان في فاه أخرجه يلمع من نقرة قفاه ولما رأى بنو غسان إلى صاحبهم قد وقع من على الجواد زادت الأحقاد وطلبوا الغضبان بالرماح المداد فحملوا وفي أيديهم السيوف الحداد عندها صاح الغضبان في رجاله وأبطاله فحملت على بني غسان مثل العقبان وثار الغبار إلى العنان وتغيرت الوجوه الحسان وتقطعت الرؤس عن الابدان وعثرت الخيل في رؤس الفرسان من عمل السيف اليماني في نواعم الابدان وظهر السر وإعلان وعادت الزيادة بينهم نقصان والرابح فيهم خسران وعملت فيهم الرماح وزاد الضرب بالصفاح فلما رأيت بنو غسان وما حل بهم من الغضبان وفرسانه من ذلك الويل والهوان ألووا رؤوس خيولهم وطلبوا الفرار والهرب من قدام هذه الفوارس الذين لا يخشون الموت ولا الارب وينادون بعضهم البعض ويقولون الفرار في هذه القفار

فتبعهم الغضبان حتى أنه أبعدهم عن هذه الديار ورجع من ورائهم وهنأ أصحابه بالسلامة وأخذ الخزينة وما فيها من أموال وفرح فرحا شديدا بتلك الخزينة رجعت رجاله خيول القتلى وأسلابهم وعادوا إلى الديار بالفرح والاستبشار فهذا ما كان من الغضبان وأما ما كان من بنى غسان فانهم طلبوا أرض المدائن ودخلوا على أياس بن قبيصة وأعلموه بما جرى (قال الراوى) فلما سمع أياس بن قبيصة منهم هذا الكلام قامت عليه القيامة وقام وقعد وأرغى وأزبد وصاح فى طى وركب فى الحال وخرج إلى ظاهر الخيام واجتمع حوله الفرسان فقال لهم اعلموا أن الإنسان ما ينال الفخر إلا بالمشقة وهذه محنة قد طرقتنا من أسود بنى كنانة والرأى أننا ندركه ونقتله ونأخذ منه الأموال قبل أن يسمع بذلك الملك كسرى ويرسل فى طلبه عساكره لا سيما وقد وصل اليه فى هذه الأيام عصوب بن عنتر وصحبته ثلاثين فارس من بنى عبس ليوث عوابس وربما ينفذه إلى ذلك العدو ونصير عنده فى أحسن حال فلما سمع قومه ذلك تجهزوا وساروا وهو فى أوائلهم بعدما وصل إلى الملك كسرى كتاب يعلمه بهذه الأسباب فوصل اليه الكتاب وغصوب بن عنتر عندهم وهم جالسون على الشراب وسيره الملك كسرى إلى حرب الغضبان وأما أياس بن قبيصة فانه ساو وسلك البرارى والقفار وما زال كذلك حتى وصل إلى الفرات وأدرك الغضبان ورفقاه وهم عائدون إلى الديار وعندها التفت الغضبان إلى ورائه فرآهم وهم مقبلون عليه وفى الحال عاد اليهم فى جماعة من رفقائه الأعيان وترك باقيهم مع الغنيمة يحفظونها من الوبال والعربان ثم أنه وقف على رأس الدروب حتى أقبلت مواكب أياس بن قبيصة وهم يقولون يامخذولون يامدلولون هل تظمنون أنكم تنفذون بأموالنا التى سائرة إلى الملك كسرى وتمضون مناوأنتم سالمون ونحن ورائكم طالبون فلما سمع الغضبان منهم هذا الكلام تقـــدم قدام الفرسان وقال ويلكم يا كلاب العرب وأخس من البيدا دق طنب لمثلى يهدد بعسكر كسرى أنو شروان وأنا الغضبان سيد الأقران ومبيد الشجعان يوم الحرب والطعان ولما رآه أياس وقد خرج للبراز أمر فرسانه بنى طى أن تخرج اليه وأن يأخذوا روحه من بين جنبيه قال فخرج إليهم فارس فى الحديد غاطس وهو كأنه الأسد العابس وهو أن الغضبان ما أمهله دون أن طعنه بالسنان فى صدره أخرجه يلمع من ظهره فخرج إليه الثانى جندله والثالث رجله والرابع عجل مرتحله وما زال يقتل فارسا بعد فارس حتى قتل منهم خمسين من الأعيان الأشاوس وقد أقبل

الظلام وخفيت مواضع الأقدام وقد رجع الغضبان بعد ما جرعهم كؤس الهوان وقال لأصحابه سيروا بنا فى ظلام بلا ضجة ولا جلبة وإذا طلع النهار وتلاحقوا بنا فى القفار انزل بهم الذل والدمار ثم أنهم ساروا ليلا بالغنيمة حتى أصبح الله بالصباح ولما تضاحى عليهم النهار طلعت عليهم نواصى الخيل وقد اقتفت آثارهم بالليل فقال الغضبان ويلكم يا أولاد الزنا أنتم تابعون آثارنا وعاد إليهم وقاتلهم حتى أنه قتل منهم مائة فارس من كل رامح وتارس وعاد إلى أصحابه وقال لهم امكثوا أنتم فى أماكنكم ولا تتركوا علينا اسم الهزيمة وتكسب المذمة والشتيمة وعند الصباح أريكم ما أفعل فى هذا القوم الأوقاح عند الحروب والكفاح قال ولما طلع النهار خرج الغضبان وركب الحصان وقفز إلى حومة الميدان طلب البراز وصال الانجاز فصار كل من يخرج إليه يقتله حتى قتل منهم خمسين بطلا كراما فلما نظر ذلك اياس ابن قبيصة حار وأخذه الانذهال من ذلك الفارس الريبال وقال وحق ذمة العرب الكرام أن دام على حربنا هذا الفارس لم يبق هنا إنسانا فاحملوا عليه بجمعكم دعونا نلبس العار ثم أنه بعد ذلك نادى فى قومه وقال ويلك يا غضبان سلم لنا الأموال والرجال ولك الأمان فقال له الغضبان وأى أمان لك يا ذليل يا مهان قال فلما سمع أياس ذلك الكلام امتلأ قلبه على الغضبان وقام وقعد وأرغى وأزبد الجراد وأراد الخروج إليه فمنعه فارس من عسكره يقال له جابر بن مفرج الشيبانى وكان لهذا الفارس شجيع عصره ونجيبه دهره وكان هو المقدم على فرسان إياس بن قبيصة فقفز بين الصفين واشتهر بين الفريقين بعد ما قال للملك أياس بن قبيصة أنا أخرج إليه وآخذ روحه من بين جنبيه ولا أخلى مثلك يخرج إلى هذا الصعلوك فانا له ولامثاله قردة إلى بين يديك ذليلا واتركه على وجه الأرض عفيرا وما كان قعودى عنه وعن مجاولته إلا احتقارا به وبامثاله حتى بأن لى منه ما بان فلا بدلى من مجاولته ولو البس العار ثم أنه قفز بجواده كما قدمنا واشتهر كما وصفنا ونادى إلى الغضبان ومد إليه السنان وقال يا أسود يا زنيم ويا وغد يا لئيم قد ـ لست لنفسك وبالها ولا تشفق على حالها فلما سمع الغضبان مقاله نفر إلى حاله وفعاله هجم عليه له ويلك يا قرنان وابن ألف قرنان ثم أنه زعق فيه دهشه وقد خبله وضربه عند دهشة طير رأسه مع البيضة فوقع إلى الأرض صريعا يبح على قبار نجيعا فاضطربت جيش العراق لقتله لأنه كان له عدة عند كل نائبة وشدة وهو فارسهم وحاميتهم وكان أياس بن قبيصة هاج فى قومه وأراد أن يخرج إلى الغضبان فبينما هم ذلك وإذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وفى الجو تعلقت وبعد ساعة انكشفت

وبانت للنظار عيانا رآها الغضبان وقف عن الجولان واشتغل بالنظر اليها رآها أيضا اياس بن قبيصة فقال لمن حوله من الفرسان انظروا ما تحت هذه الغبرة من العربان اكشفوا عنها الاخبار فتجارت اليها جماعة من عساكره وغابوا وما مكثوا أكثر من ساعة عادوا وهم فرحون وقلوبهم مرتاحة وقالوا له يا ملك البشرى اعلم أن العساكر التى هى مقبلة علينا قد أتت من عند الملك كسرى والمقدم عليها غصوب بن عنتر وصحبته جماعة من بنى عبس الغر قال فلم تكن إلا ساعة من النهار حتى انكشفت الفرسان وبانت للابصار إذا هم ثلثمائة فارس لبوس عوابس وبالحديد غواطس يقدمهم غصوب بن عنتر وهو كانه الاسد القصور وهم ينادون يا لعبس يا لعدنان لما نظروهم حققوهم بالعيان فقالوا هذا غصوب بن عنتر النار المحرقة والصاعقة المبرقة واليوم ترون الحرب حقا والطعن والضرب صادقا وهو يجلى عنا الغمة ويزيل الظلمة قال فلما وصلت تلك الفرسان وضربت مضاربها فى القيعان تقدم غصوب ابن الامير عنتر الفرسان وسلم على أياس ملك العربان فترحب به وورد سلامه وزاد فى اكرامه ورفع مقامه وحدثه بحديث الغضبان وبما فعل وبما قتل فى الميدان وأنا رأيت منه حملات مثل حملات عنتر أبيك بل أن ذلك أشجع وإذا بلى بكثير من الشجعان لم يفزع بل يجبابرة العربان يفرقهم بحملاته فى القيعان وأنى أرجوا الفرج على يديك فلما سمع غصوب ذلك الكلام فقال يا ملك البشر ابشر بما يسرك وامنع عنك ما يضرك ثم أنه بعد ذلك تقدم إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وجال بجواده وصال ونادى وقال ياويلكم هلموا إلى القتال أن كنتم كما زعمتم أنكم فرسان وأقيال فلما سمع ذلك الفتى الغضبان من غصوب ذلك المقال انطبق عليه انطباق الغمام وزعق عليه قال له ويلك يا ابن الفرتان أنت الذى ضمنت قتل الملك كسرى أنوشروان لكن ابشر بالذل والهوان عندما استقبله غصوب وهو مثل ريح الهبوب أو البلاء المصبوب قال له ويلك يا أسود الجلد ويا وضيع الآباء والجد ما بقى لك من يدى خلاص ولا من قتلك مناص لانى ابن عنتر غصوب كاشف كل شدة وكروب فقال الغضبان ويلك يا ذليل يا مهان تعايرنى بسوادى وهو أقوى لحربى وجلادى لاسيما أنت اغمق منى فى السواد بياضك الرايق المفاف المعتاد فلاخير فيك ولا فى ابيك عنتر بن شداد واستقبله بقلب قد من الحجر وصال وجال وأنشد وقال

اغرك من سوادى واننى	كما المسك لا يخفى لمن هو ناشقه
وماضر اثوابى سوادى وتحتها	قميص من العلياء ترهوا بوائقه

قال الراوى ثم أن الغضبان بعد شعره والنظام قال له يافتى أنت تعايرنى بالسواد وأنت مافى قولك أنصاف لأنك قد نظرت نفسك أعجبك بياضك الشفاف ألم تعلم أنى فارس كنانة أصحاب العهود والأمانة وأنا فارس الفرسان فى طابق الجولان ثم أنهما بعد ذلك اصطدما اصطدام الفرسان وتقاتلا فى الميدان وزاد بينهما الأمر وكثر الشر وزاد الوسواس واشتكت من الفزع الأضراس لانهلا من المنية أعظم كاس ونادى ملك الموت فى وجوههم بالاعباس وكثر منهم الحنق ولمع صارم الموت فى أكفهم وبرق وصار النار كالغسق وحمل كل واحد منهما على صاحبه وانطبق هذا وهم فى حرب شديد وطعن أكيد وتحيرت من فعالها الفرسان الصناديد وهم فى كر وفر وقرب وبعد وعجله ومستقر هذا وغصوب زعق على الغضبان وقوم إلى السنان وضربه بالرمح الذى كان فى يده ضربة رجل جبار وقال له خذها يا ابن الآلاف قربان فطلع الرمح من يده كأنه نار محرقة أو صاعقه بارقة فلما نظر ذلك الغضبان ففى الحال جرد حسامه الهندوان وضرب رمح غصوب أبراه كما يبرى الكاتب القلم وطير أعلاه وبعد ذلك هجم عليه مهاجمة الأسد وزعق فيه ارعشه وصاح فيه أدهشه ومكن يده من أطواقه وعصر عليه كاد أن يخنقه ويعجل محاقه وجذبه أخذه أسيراً وصاح وقال يا آل كنانة ثم أنه طلب به قومه وهو مثل الأسد الجوعان فأخذوه وشدوه وكتاف وقووا منه السواعد والإطراف ويقول له لعن الله كلباً نسلك ما أفرسك وما أقوى مراسك والله أنت قد اتبعتنى فى قتالك وحربك ونزالك ثم بعد ذلك غير الجواد وعاد إلى مقام الحرب والطراد ولم يزل يطعن فى الفرسان بطرف السنان بطنا وظهراً حتى بددهم قوة وقهراً وبدعس فيهم إلى أن وصل إلى اياس ابن قبيصة وهو تحت الأعلام فزعق فى الخيل التى حوله ففرقها ونثر بسيفه شجعان ومحقها وانقض على اياس أخذه أسيراً جذبه ذليلا حقيراً وعاد به إلى قومه فلما نظرت ذلك فرسانه وأجناده عجبت عليه وهم راكبون الخيل واندفقت عليه اندفاق السيل فصاح فيهم الغضبان وقال يا آل كنانة الشجعان لحملت معه السبعون فارساً حملة واحدة فأخذوه منه وأقربوه إلى غصوب ووكل منهم عشرين فارساً لحفظهم وحمل على القوم وهو بالخمسين فارسا والتفوا بعسا كر العراق من الشمال ومن اليمن انزلوا بهم الذل فى الجبين وزعق عليهم غراب البين وصال وجال فيهم الغضبان ونكس الأبطال والفرسان وأجرى دماء الأفيال وكبكبهم فى رؤس التلال ولم يزل على ذلك الحال حتى أنه وصل إلى صاحب العلم طعنه قلبه وأخذ العلم سلمه إلى بعض أصحابه

وعاد إلى الفرسان وطعن فيهم وفى صدورهم وبلبل شجعانهم وجندل أقرانهم فلما رأت منه عساكر اياس بن قبيصة هذه الفعال علموا أنه مالهم به من طاقة ولا لحربه استطاعة ورأوا ملكهم قد أسر وبعد عزه قد قهر فطلبوا الديار وعادوا على أعقابهم مدبرين فى القفار تبعهم الغضبان وأصحابه إلى الليل وعاد وقد بنى له فى العلابيتا رفيع العماد ولما وصل إلى الخيام تلقوه أصحابه وهم قيام ولما أنه جلس جلست حوله فرسان الشجعان استدعى بغضوب بن عنتر وإياس بن قبيصة بين يديه أراد أن يضرب منهم الرقاب فقالوا له أصحابه ماهذا صواب نحن الآن فى بلاد بعيدة وما ندرى مايكون من الأمور المشكولات الرأى أنك تدعهم عندنا فى الشد والاعتقال حتى أننا نصل إلى الديار ونضرب هناك رقابهم ونريح منهم القلوب والأفكار وبعدها أفعل ماتحب وماتختار فعند ذلك استدعى بعبد من عبيده يقال له الخذروف وكان ذلك العبد بلية من البليات وآفة من الآفات سلال خيل هو من رجال الليل يصطاد الوحش بيديه ويصطاد الوحوش وهو على رجليه يسبق الغزال بالجرى على قدميه فقال له الغضبان ويلك ياخذروف خذهؤلاء إلى عقدك احترص عليهم جهدك وأنه عدموا فى الطريق اسكنك رمسك فقال له يا مولاى من الذى يقدر يخلصهم من يدى والجن تخاف منى وتفزع من صورتى ثم أنه سدهم بالحبال تولى حفظهما فى القفار ليلا ونهار قال وبعد ذلك جمعوا أسلاب القتلى وساقوا الجمال والبغال والغنيمة والأموال فقال أياس يا غضبان أما تعلم الذكر الجمال للفارس النبيل وأن حلى معك لا يفيد لانى أنا أملك العرب فارفق سبيلى واحذر غيظ الملك كسرى واطف نيرانا يزيد وقودها على العربان فاجعلنى لك صاحبا معينا تلتجىء إليه ويكون لك معول عليه قال الراوى فلما سمع الغضبان ذلك الكلام ضحك ضحكا عاليا شديداً عجبا بنفسه وقال له أوهبتك ياشيخ نفسك قم وسر إلى أهلك ولا بقيت تعارضنى فنهلك ثم أنه فرج عنه وأطلقه ثم أقبل على غصوب قال له وأنت يا ابن الزانية كيف تضمن للملك كسرى قتلى وأخذ المال من يدى فقال غصوب ينجينى منك طيبة أصلك ولو قدرت فضحك الغضبان من كلامه وقال له والله لو لا حسنك وبياضك وهذا جمالك الفتان لقطعت أنفك والآذان وهديت منك الاركان ثم نادى ويلك ياخذروف حل وثاقه وأطلقه وأمن عليه بروحه وإعتقه فقال له الخذروف يامولاى وتطلق سراح هذا العبد الاسود ابن الأمة بعدما أوقد علينا هذه النيران المضرمة فقال غصوب خايذروف بحق نفسك الزكية ونسبك العالى المنتهى إلى عدنان أخلى سبيل وأطلقنى حتى

أعدو فى القمان فضحك الغضبان من مقاله وأطلق سبيله قال وكانت وصلت الأخبار إلى كسرى فاعلموه بأن أياس بن قبيصة قد أسر وبعد ذلك اعتقه العرب وأطلقوه كذلك غصوب عدم الرشاد وما قدر أحد أن يرد خراج الملك قيصر والعداد قال الراوى وكان الذى كاتب الملك كسرى بهذا الكتاب الملك الأسود ولما قرأ الملك كسرى ذلك الكتاب الذى قرأه وزير الموبذان عندما سمع الملك كسرى آخر الكتاب قام وقعد وارغى وازبد وانقلبت عيناه فى أم رأسه فقال الوزير اعلم أيها الملك أنى قد استخبرت عن هؤلاء القوم فقيل لهم أنهم من أرض السواد وهم من خلف مكة من أرض الحجاز وهى بلاد معطشة وجبال وعرة الوهاد صعبة التناد وإن سيرنا اليهم عساكر يهلكون فى تلك البرارى والوهاد وفى ذلك خرق لهيبتك ولم نبلغ ما نريد فقال الملك كسرى وكيف ذلك وما عندك من الرأى السديد فقال الوزير الرأى أن تنفذ إلى عنتر بن شداد وتندبه إلى هذا الايراد ولا تعرف الأموال إلا منه والسلام أيها الملك الهمام قال هذا ما كان أمره الغضبان فإنه جد فى سيره ليلا ونهارا وهو يقطع الفيافى والأوعار طالبا قومه وعشيرته بين الملاحى حتى وصل إلى أرض يقال لها أرض الكلا وهى أرض مقفرة مخيفة يفزع الإنسان من مسالكها تخاف الجن من دكا كها وتفاق من كثرة الوهاوية فيها كل خاطر ويهلك فيها كل خبير شاطر كثيرة الالتهاب وحشة المصاب لا يرى فيها شخص ولا علم بل يتجاوب فيها اليوم والرخم ما فيهم مجيب لداعى ولا مسلك لساعى نعيمها سموم وريحها حموم وماؤها معدوم ولا يرفرف فيها نعام ولا يفرخ فيها حمام قد القت الشمس اليها شعاعها ومدت المنايا اليها باعها وهى كما قيل فيها :

لا يعرف الإنس إذا بدا فيها بالغسق ... موحشة مدهشة لمن طرق

شهب الشموس ترى بالودق ... وليلها أنواره شهب الغسق

قال الراوى وهم سائرون فى أطرافها وطالبون الخلاص من سعيرها وزفيرها إذا بأسد أغبر من عتيق أصفر كأنه البعير أو قطعة من حجر كبير ضيغم له أنف أجرم وصدغ أضخم شدو ق شدقم هو سر شدشم ظهره قصير أنيابه قاتلة عيناه باسلة لما رأته الرجال خافته وهابته وأما الغضبان فلما رآه أرمى روحه عليه من على ظهر الحصان وأخذ سيفه وجحفته وخطا إلى نحو الأسد وطلبه وساراه وقاربه فانتشب الأسد فى الأرض مخالبيه وضرب به بيديه واجتمع بالوثبة إليه وهجم مثل البرق عليه فاستقبله الغضبان بسيفه اليمان وضربه بين عينيه خرج السيف يلمع من فخذيه فوقع شطرتين وصار على الأرض قطعتين فسح

الغضبان سيفه فى جلد الأسد بعد ما بلغ منه المراد عظم فى أعين الفرسان وسار عندهم فى أعلى مكان ولما رأى نفسه على هذا الحال ترنح فى سرجه وأنشد وقال :

فخر الرجال فى العجاج ثباتها ... وقبض أرواح الأسد من غاباتها
فهل مبلغ عنى كنانة قومنا ... كذا بنو الضحاك فى أبياتها
جلبت مال كسرى بهمتى ... وآل غسان قد أذللتها
بسنان رمح فى العجاج تخاله ... ضوء النجوم إذا صفت أوقاتها
وبحد سيفى كما أبدت فارساً ... ولسكم عداد فى الفلا أفنيتها
جاؤا بنى طى بجيش حافل ... تبغى الغنائم بعد أن أحرزتها
فتركتهم جزر السباع تنوشهم ... وحش الفلا والطير فى قفراتها
كذا غصوب قد أتى ليقتلنى ... يبغى المعالى ونيل درجاتها
طاعنته وأسرته بتجلدى ... وأرى الكرام العفو من عاداتها
أطلقته بالعفو منى تكرما ... وكذا أناس كان من ساداتها
أنى أنا الغضبان قرن صادق ... يوم اللقا أحمى لظا هيجاتها
نجمى علا فوق السما وهمتى ... تحكى بها الأبطال عند كماتها

قال الراوى فلما سمعت أصحاب الغضبان أبياته عاينوا ضرباته للأسد تحيروا واندهلوا وأتوا إليه وهنوه بالسلامة وازدادوا به فرحا وسرورا وساروا يقطعون الأرض فى طولها والعرض حتى وصلوا إلى منازلهم والديار ونزلوا فيها وقربهم اقتربوا نظر أهل الحى إلى ما أتى به الغضبان من الأموال فلحقهم الاندهال وتعجبوا من تلك الحال وفرحت به النساء والرجال ثم أن الغضبان على حاله حتى وصل إلى بيت مولاه عمرو وصار يعطى ويهب ويفرق الفضة والذهب ويسأل عن مولاه فقال له أنه وصل إلى بنى تميم ليغزوهم لأن له عليهم ثارا من قديم فقال الغضبان كأنه ما قنع بغزواتى حتى سار بنفسه لأجل المكسب من أحياء العرب ثم أنه قعد ينتظر قدومه ليسلم عليه ويعطيه الأموال والغنائم وأقام ذلك اليوم والثانى وإذا قد أقبلت بنو كنانة وقد فنى منهم جماعة كثير وبنو أعلموا الأمير الغضبان بقتل مولاه عمرو بعد ما هلكت أرواحهم بكت الجوار والعبيد وبقى عليه كل فارس وبطل صنديد فعند ذلك برزت زوجته ونادت دونكم يا بنى الأخيار وأخذ الثار حتى تنكشف العار فقال لها الغضبان يا ستناه أقيمى أنت فى الخبا حتى أريك أفعل وبعد ذلك ركب الغضبان وتبعته بنو كنانة سار فى البرارى والقفار وبنى تميم لم يعلموا بهذه الأخبار وإذا بالغضبان أقبل عليهم بمن معه

من الشجعان وقد دهمهم وقتل منهم الرجال وأهلك الابطال وساق النوق والجمال وأظهر فيهم شجاعته وأفناهم بحملته فعند ذلك ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وبعدما أهلك الغضبان منهم الكبار وأهل الاقتدار ولا أبقى منهم على رأس ولا ذنب واجتمعت فرقة من بني تميم ودخلوا على كبراء بني كنانة وقالوا لهم نحن نريد أن نكون تحت ذمامكم وننزل في دياركم ونطلب بسيف حاميتكم أسود الشمائل أبيض الخصائل فلما سمعت بنو كنانة هذا الكلام عادوا إلى الغضبان وأخبروه أن الاقوام يطلبون منك الذمام فقال الغضبان كيف يكون لهم ذمام وأنا عبد لكم وأنتم الموالي الكرام وإنما وصلنا الذمام لكم وأنا من جملة أتباعكم فان أردتم فاعطوهم الذمام وأنا على حمايتهم من جميع الأنام فشكروه وأمروا للغضبان عليهم وصاروا مع بني تميم على العهد والامانة فهذا ما جرى للغضبان وأما ما كان من غصوب فانه لم يزل سائراً حتى وصل إلى بني عبس ودخل على أبيه عنتر وحكى له على ما رأى من الغضبان وكيف أنه أسر أياس بن قبيصة وقتل حاميه بني طي ثم قال والله يا أبتاه أني ما أرى له مثيلا سواك ولم يثبت بين يديه إلا أباك فضحك عنتر وقال له يا غصوب الدنيا هكذا وأنا أحمد الله على سلامتك ولكن إذا جمعني الله وإياه في الميدان يظهر الرابح من الخسران قال وكانت عبلة جالسة بجانبه تسمع هذا الكلام فقالت له يا ابن العم أنا خائفة أن تكون العقاب الذي قد جاءك في المنام أن يكون هذا هو الغضبان وأنا أقسم بحق البيت الحرام أن تجتنبه ولا تسير اليه وتحاربه فانا قد سمعت أنه قد شاعت أخباره في سائر الاقطار وقد ذلت له ملوك العراق قال وسمع الربيع بن زياد بذلك الكلام ففرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال هذا الذي نريده لعله أن يهلك هذا الاسود الزنيم والوعد اللئيم قال الراوي وأما الغضبان فانه كان خرج في بعض الايام يطلب الصيد والقنص واغتنام اللهو واللذات فمر على أبيات جيرانه فوقف ينظر إلى مضاربهم وإذا قد خرجت من البيوت جارية مليحة القوام كأنها البدر التمام بخد أسيل وردف ثقيل وريق سلسبيل وهي تتمايل في مشيتها وتتعاجب في خطواتها فلما نظرها طلبها لنفسه واشتهاها وتقرب إلى عجوز كانت بالقرب منها وسلم عليها ثم قال لها من تكون هذه الجارية ومن أبوها فقالت له هذه دعد ابنة المهال سيد هذه القبيلة وتلك الاطلال فلما سمع الغضبان كلام العجوز زاد لهيبه وعظم تفكره وناداها يا دعد على رسلك وتمشي على مهلك فلما سمعت دعد ذلك وقفت والتفتت فقالت لها البنات والنسوان يا دعد ما قد دعاك فارس بني كنانة الغضبان الذي أباد عسكر كسرى أنو شروان صاحب التاج والايوان فالتفت

دعدا وانثنت كأنها قضيب بان وغازل عطشان فأعاد النظر إليها الغضبان فاعتراه الهوى والهيمان مضى مثل السكران وكتم ما عنده من لواهج الجوى والنيران فلم يقدر عليه فطلب الصيد والقنص ولكن ظن أن الدنيا قد انطبقت عليه وعاد آخر النهار وهو غارق في بحر الأفكار فقال له عبدها الخذوف ما الذى دهاك ومن بشره رماك فقال له اعلم أن هذه دعدا بنت المنهال قد عذبت قلبي بعذاب الجفا وفي قلبي منها نار لا تطفى وما بقى لى من هواها مخلف وصرت كأنني طير في قفص وقد جرت في أمرى وانتهك بحسنها سترى فقال له الخذروف أن قبلت مني يا سيدى ما أشير به عليك وأنفذ علها بعض العجايز تأخذ لك خبرها على أى الحالات أن كان عندها مثل ما عندك من الهوى فاخطبها من أبيها قال فلما سمع الغضبان كلام الخذروف رآه صواب واحضر بعض اموات الحى ثم أمرها ان تمضى إلى دعدا وتسألها فى ذلك الحال فمضت العجوز وأعلمت دعدا ما قال الأمة فقالت امضى إليه وقبلى لى يديه وقولى له أنى إليه على كل ما يريد ولكنه يخطبنى من أبى فعادت الجارية وأعلمت الغضبان بذلك ففرح فرحا شديداً ما عليه من مزيد وطاب قلبه بذلك القول المفيد وبعد أيام قلائل أقبلت إلى الغضبان أمة من أموات دعدا تقول لك أخرج إلى تل الأراك حتى تقابلك هناك فلما سمع الغضبان ذلك الخطاب أنعم وأجاب قال الراوى ولما طلعت دعدا إلى تل الاراك رأت الغضبان في انتظارها وكان معها جماعة من النساء والأحرار والبنات والأبكار فسلم عليهم فردت السلام وقامت اه على الأقدام وقالت له يا غضبان كم مرة أقول لك تخطبنى من أبى لأنى سمعته مرار عنك يقول لو أن له حسب ونسب لساد على سادات العرب فقال الغضبان فقال لا بد لى من ذلك حتى أبلغ أنا وأنت الأرب قال الراوى وبلغ الخبر إلى أبيها فمنعها عن الدخول والخروج وأقام الغضبان مده أيام لم يراها ولا تراه فضاق صدره وزاد صبره ولكن كتم سره على تعليل وبعد أيام قلائل أرسلت له دعدا وقالت له أريد أن تقابلنى على ظهر الخيام من خلف الأبيات فأتى إليها وسلم عليها فلما رأته ترحبت به وقالت له اعلم أن أبى لما علم بأنك تتكلم معى فمنعنى عنك فقال لها الغضبان والله يا دعدا ما لى عنك صبر ولا سلوى وقلبى يتقلى بحبك على لهيب النيران وأنا بحبك مشغول ثم أنه صعدى وأبدى لوعته وأنشد يقول صلوا على طه الرسول .

أخلى بذكركى لا أريد حديثا ... وكفى بذكركى نعمة وسرورا
يا دعدا ما ذا العبد كيف يكون لى ... صبراً ونيرانى تزيدنى تسعيرا
الشوق والهجران اقلق مقلتى ... ومدامعى فوق الخدود غزيرا

أبكي فيؤلمني البكاء وتارة يأتي المنام بطيفكي فيزورا
وإذا رأيت الطيف أشكي حالتي فيرق لي وأنا اليه شكورا
وإن أضاء الصبح فرق بيننا فيذوب قلبي لوعة وزفيرا

قال الراوي ثم أنه ودعها وفرح بمودتها ونظرتهما أمة من أموات أبيها وسمعت مادار بينهما من الأمور والأسباب فاعلمت أباها بذلك الخطاب فاغتاظ غيظا شديداً ماعليه من مزيد وقال والله أن الغضبان قد تعلق بابنتي ومرامه أن يفضحني بنظمه ونثره بين أهل قبيلتي فعند ذلك بلغ الخبر إلى الغضبان فسار إلى أبي دعدا وسلم عليه ولما رآه أبو دعدا عاتبه على ذلك الشأن فقال له الغضبان ياهذا وحق من طاف بالبيت وسعى ولبى ودعا ماتعرضت لابنتك لأجل خيانة ولازنا ثم قام الغضبان وفارقه ودخل مضربه وإذا بامة من الأموات اللاتي لدعدا قد أقبلت من عندها ودخلت على الغضبان وقالت له ستي تسلم عليك وتخبرك أن أباها قد أتاه رجل من بني مازن يخطبها ويجعلها زوجته وأبوها عول على إجابته قال الراوي فلما سمع الغضبان ماقالت دعدا هدر وزمجر وطار من عينيه الشرر وخرج من بين المضرب وكاد عقله أن يسلب واحترق على عدا فؤاده فركب جواده ولبس آلة حربه وجلاده واقبل على المازني وهو قادم على بيت المنهال وقال له ياوغد قومه ولئيم عشيرته وحق الكعبة الغرا وأبي قبيس وحراء لئن تعرضت إلى دعدا بنت المنهال لاقطع منك الأوصال فقال له المازني ياأسود يازنيم ومن أنت حتى تمنعني عن خطبتي وتجادلني في طلبتي فقال له الغضبان ياويلك ياانذل العرب تعايرني بسوادي وهو أقوى جلادي ولكن إذا كنت تريد العروس فدونك والقتال باطراف الرماح الطوال فان أنت قتلتني فلايبقى لك معاند ولا يردك حاسد وأن قتلتك أرغمت أنفك واسكنتك رمسك ثم أن الغضبان قفز إلى الميدان وكذلك المازني حمل على الغضبان واوسعا في الميدان وتصادما البطلان واعتركا على وجه الأرض والصحصحان ونظر الغضبان إلى طول مقدمه مع ذلك الانسان فخاف أن تراه دعدا بعين النقصان فانحط عليه واتعبه وأكربه وادار سنان رمحه إلى وراءه طعنه بعقب الرمح ارماه الفلاة رجل اليه وشده كتاف قوي منه السواعد والاطراف وبعد ذلك هم الغضبان أن يضرب رقبته قدام الفرسان فتقدمت اليه مشايخ بني كنانه وقالوا له أطلقه من أجلنا فانه أكل طعامنا وبقي في ديارنا فقال الغضبان جزء الاسود بكل أمر عنيد ومنعني عن زواج ابنتي وقد عظمت منه مصيبتي فقالت لها زوجته أم دعدا والله ماهو إلا كوف كريم ونحن لم نجد فارس مثله في كل الاقاليم ولما كان ثاني الايام

* ارسلت دعدا إلى الغضبان تحثه على خطبتها من أبيها ولم يتوانى عن ذلك فقال السمع والطاعة وطار قلبه من الفرح وأراد يقوم يخطبها من أبيها قال الراوى وفى تلك الساعة دخلوا عليه أصحابه الذى كانوا يسيرون معه فى الغزوات ويلقى بهم الأمور الهائلات وقالوا له يا غضبان اشتغلت بدعدا عنا حتى أن الفقر اشتد بنا ثم شكوا اليه قلة المعاش والمكسب فقال لهم يا بنى عمى خذوا أهبتكم للمسير ونتوكل على اللطيف الخبير ثم أن الغضبان غاص فى عدته وغرق فى لامته وركبوا بنى كنانه فى صحبته وساروا والغضبان أمامهم ومازالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى وصلوا إلى حلل بنى كهلان ودار بهم من كل جانب وما كان وساقوا الأموال ولما وقع الصياح خرجوا اليهم الرجال ولحقوهم فى البرارى والبطاح فعاد الغضبان فى جماعة من الفرسان وسلم مغنيمه إلى عشرة رجال شجعان وعاد إلى من لحقه من الخيل وأنزل بركابها الذل والويل وهو يطعن ويعمل فى ظهورهم وجنائبهم فولوا الأدبار وركنوا إلى الهرب والفرار وعاد بعد ذلك الغضبان وهو فرحان طالب دياره والأوطان قال الراوى ولما وصل إلى ديار فوجد النساء باكيات والبنات صارخات ناديات فسأل عن الخبر فقيل له ان دعدا قد سبيت فقال وما الذى سباها قال الراوى وكان السبب فى ذلك المانى الذى كان خطبها سابقا وقهره الغضبان وكان اسمه منازل المازنى فانه جمع فرسان قومه وسادات عشيرته وهجم على مضرب دعدا وأخذها وطلبت دياره وترك الحرب يعمل بين بنى كنانه وبين مازن ولما هدأ الحرب وأخذ ارتفع الطعن والضرب وساروا بعرض البر فلما سمع الغضبان ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه فعند ذلك سار ودخل على أبوها وشكى الغضبان مصيبته وكيف سبيت دعدا إبنته فقال له الغضبان ياشيخ تزوجنى ابنتك وتشهد عليك العشيرة حتى أخلصها من أعداها وأنقذها من أسرها وبلاها فقال له المنهال ياولدى افعل ماتريد فابنتى لك أمة وأنا لك من جملة العبيد والخدمة فقال الغضبان اطلب مهرها منى كما تريد حتى أحضره بين يديك وأزيد أوفى مزيد فقال له ياولدى مهرها خلاصها من يد قاسمها فأشهد عليه الغضبان مشايخ الحلة وأكابر القبيلة بالجملة قال الراوى وأما منازل فانه قد جد فى مسيره إلى أن وصل إلى قومه وحدثهم بما فعل فلاموه على فعاله وقبحوه على أعماله ثم قالوا له والله أن جاء الغضبان فما يترك منا ولا إنسان ونحن ما نطاوعك على هذه الفعال فسمع ذلك الكلام زادت به الوجد والغرام ورحل عنهم ونزل على بنى كنده ودخل على ملكه وكان يقال له سعيد بن عامر واستجار به فأجاره الزمام قال الراوى وأما ما كان من

الغضبان فانه لما زوجه أبو دعدا بها ركب فى سبعين فارسا من قومه وسار طالبا ديار منازل من يومه حتى وصل اليها فركبت بنو مازن وتقدموا اليه وترجلوا بين يديه ودعوا له وأثنى عليه وأعلموه بما فعلوا مع مازن وكيف أنهم أبعدوه من عندهم طردوه وأنه ونزلوا على بنى كندة وأجابوه وقالوا له فى آخر الكلام لا تؤاخذنا بذنب غيرنا ولا تؤاخذ البرىء بالسقيم فان كنت تريد أن تسير يديك فما نحن نبخل بأرواحنا عليك فشكرهم الغضبان وتركهم وأمنهم فى أوطانهم وسار من عندهم ونزل على بنى كندة فلما وصل وضع الضرب فى الرعيان وساق أموال العربان فثارت بنو كندة من كل جانب ومكان وركبت جميع الفرسان وركب الملك سعيد بن عامر فيمن له من العساكر وتبعه خمسة آلاف فارس وكان منازل ركب معهم لانه أصل هذه المحنة التى طرقتهم ولا بقى يمكنهم أن يسلموا جارهم ولما ركبت هذه الجموع ونظر اليهم الغضبان فلم يعتن بهم بل أنه صاح عليهم وقال لهم سلموا إلى منازل قبل أن أخلى منكم المنازل فقال لهم ملكهم سعيد شيلوه هو وجماعته على أطراف القنا فانطبقوا على الغضبان من كل جانب ومكان قد حمل عليهم حملة الأسد الرئبال وصار يصول فيهم يمينا وشمال ويقطع منهم الجماجم والأوصال وارتفعت عليهم الزوابع ونثر رؤسهم بالحسام القاطع حتى أمسى الليل بستور الظلام وافترقوا عن ضرب الحسام وقد قتل بنى كندة ثلثمائة فارس نهم فقالت بنو كندة والله يا ملك ما هو إلا فارس موصوف وبطل لا يهوله كثرة الصفوف فقال لهم قولكم صحيح ولكن يا بنى عمى هل رأيتم أحد يسلم فى الجار ويرضى بالفضيحة والشنار وأن نحن سلمنا فى جارنا ركبنا العار وصارت الشنيعة لنا فى سائر الأقطار ولا يبقى لنا قيمة ولا مقدار وإنما ركب الغضبان وجال فى الميدان وصال ولعب برمحه العسال وأنشد وقال :

وظن الذى بفراقهم أتوقع ... ونعى بينهم الغراب الابقع
ما زال ينعق بالشتت بيننا ... حتى غدا شمل الحبيب مبضع
يا ليته أن يفرخ بيضه ... أبدا ويصبح واحد يتفجع
أن الذين نعوا إلى فراقهم ... قد ساهروا طرفى ولا يتجع
هـذا وكم خيل رددت سواتهم ... وولت فرارا فى الفلا والبلقع
شتتهم ورددتهم عن نسوة ... أجسامهن كأنهن الخروع
وعرفت أن منيتى أن تأتنى ... لم ينبغى منها الفرار المانع

يا آل كندة بادروا عند اللقاء ... وتقدموا نحوا القتال وساعوا
فأنا الذى تخشى الفوارس سطوتى ... وتذل عند المجال وتخضع

قال الراوى فما أتم الغضبان كلامه حتى برز إليه من بنى كندة فارس عليه لامة مانعة فلما برز إلى الغضبان جال وصال وأراد أن ينقلب على ظهر الحصان فما تركه الغضبان أن يفتل العنان بل ضربه بالسيف اليمان وشطره نصفين فبرز اليه ثان وقتله وثالث ورابع جندله وعجل المقابر مرتحله وكان آخر من برز اليه فارس يقال له طارق بن بارق وهو على جواد سابق متقلد بسيف ماحق وعلى عاتقه رمح خارق وكان من الفرسان المشهورة والأبطال المذكورة ولما برز إلى الميدان صال وجال وأنشد يقول :

أنا فارس الفرسان أدعى بطارق ... أجندل أعدائى ببعض بوارق
أكر على الفرسان فى حومة الوغا ... وأقطع بسيفى درعهم والطوارق
فان تبتغى حربى فانى صميدع ... وأسق سنان الرمح دم العلائق
حميت بنى كندة طول مدتى ... وجعلتهم عالين رؤس الخلائق
وكم من جيوش قد قحمت جموعها ... وفرقتهم فى غربها والمشارق
أسقيتهم كأس المنون بصارمى ... وأردتهم ضربا بحق الصواعق
وصلت عليهم صولة ذى حمية ... جعلت الدما منهم على الأرض تدفق

قال الراوى هذا وقد حمل الغضبان وانطبق كل واحد منهم على صاحبه وأجاد فى طعنه وضرابه وطلع عليهما الغبار وغابا عن الأبصار وحكم بينهم الصارم التيار فسطا عليه الغضبان وضربه بين وريده أطاح رأسه من بين كتفيه فلما رأت بنو كندة فعال الغضبان انقطعت ظهورهم وحاروا فى أمرهم ونظر ملك بنو كندة فعال الغضبان فداخله الفزع واعتراه الجزع وأرسل إلى الغضبان يقول له اعلم يا فتى أننى لم أقدر أن أخرق حشمتى بين أهلى وعشيرتى وأتركهم يقولون عنى أنه خرج إلى قتال فارس أسود معلول النسب وهو عبد من عبيد الملوك فقير صعلوك فامض أنت إلى حال سبيلك وأنت برىء من دم القوم الذين قتلتهم فسر واطلب أهلك وديارك فقد وهبناك ذنبك وأنت أبيت برزت إليك وقطعت رأسك من بين كتفيك وها أنا قد نصحتك وأشفقت عليك قال الراوى فلما سمع الغضبان ذلك الكلام زاد به الغضب وعبس وجهه وقطب وأراد أن يضرب الرسول أو يقتله فاستقبح شأن الأدب فقال له يا شيخ عد إلى من أوسلك وقل له كيف أخلى دعد ابنة المنهال مأسورة عندك يا ابن الأندال وأنا أصيد الاسد من غاباتها فى ظلمة الليالى ولا بد من طعن يقد وضرب

يهدحتى ينظروا الناس فعالكم من فعالى ولكن امض يا شيخ بهذه الرسالة اليه وقل له يترك هذا المقال ويخرج إلى الحرب والقتال والطعن والنزال وإن اراد أن يخلص من هذه الفعال يسلمنى منازل حتى أعرفه قدره وما فعل من الفعال فساد الرسول ولا يصدق بالسلامة وهو يقول وحق ذمة العرب ماصدقت أن أسلم من يد هذا الشيطان الأسود والوغد الانكد وإن ارسلت اليه ثانى مرة فاكون ابن أمة لاحرة ثم عاد إلى طريقه قاصدا بنى كندة قال الراوى هذا والغضبان عينه رامقه اليه حتى وصل إلى مولاه وأخبره بما قال الغضبان من الكلام فزاد به الوجد والغرام وقد خاف من الغضبان وفزع ووكف طرفه ودمع وقال للرسول عد اليه وقل له هل تقنع إذا تركنا لك الجارية ونعيش تحت المذلة والعار ونصبح مثلا على ألسنة البوادى والحضار فقال الشيخ والله يا ملك ما بقى لى جسارة أقدر أن أسير اليه ولا أقف بين يديه لاننى فى هذه النوبه ما أظن أن أسلم من ضرب الرقبة وان عدت اليه ثانيا برساله قتلنى لامحالة وما أنا عنى عن عمرى قدع عنك الاطالة قال الراوى فبينما هم فى الكلام وإذا ضجة قد ارتفعت والفرسان قد مالت واضطربت ومالت الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وعادت الفرسان متألمة وسمعوا صيحات عالية منحصرة وزاغ من الشجعان بصره وعادت الرؤس منتشرة والأعلام منكسرة فقال ماهذا الخبر فاجابوه بان الغضبان قد كسر المواكب وأباد الأبطال والشجعان فقال الرسول من هذا كنت خائفا ياملك الزمان قال الراوى وكان السبب فى ذلك وهو أن الشيخ لما عاد بالرسالة أقبل الغضبان على أصحابه وقال لهم ماهذه الاطاله ابن عزمات الرجال أين نخوات الابطال التى بها يخاص العيال وأنا أعلم أننا لانكسر بنى كندة إلا إن أسرنا ملكهم أو قتلناه فاحملوا بنا حملة واحدة واجعلوها وقعة الانفصال وأنا وحق الرب القديم الكبير لاأعود إلا وملك بنى كندة معى أسيرا أو أجعله على التراب عفيرا فلما سمعت أصحابه منه هذا الكلام قالوا له افعل مابدا لك فكلنا تابعون مقالك ولاتبخل عليك بارواحنا فافعل مايريح بالك فلما سمع منهم ذلك المقال حمل على الأعداء وحملت خلفه الرجال فعند ذلك التقتهم بنى كندة الأبطال وسطا عليهم الغضبان بهمته ومال عليهم بفروسيته وشدته فقتل فرسانهم وأباد أقرانهم وما كان غير ساعة حتى قتل الأبطال ولعب السيف والسنان فى نواعم الابدان ومازال الغضبان يخوض الصفوف ويسقى الأبطال كاس الحتوف حتى أنه قارب الأعلام التى تحتها ملك بنى كندة فضرب حامل العلم قتله وضرب آخر جندله وما كان غير قليل حتى قتل تحت الأعلام

عشرين قتيلا ولما نظر باقى الفرسان اليه تفرقوا من حواليه فعند ذلك أدرك ملك بنى كنده وهو سعيد بن عامر وهاجمه الأسد ومد له يدا كرقبة البعير الأســود وقبض على شناقه مع الزرد وضرب جنب جواده برجل مثل العمد فخر الجواد من تحته وشرد ثم أنه ألقاه على الخذروف فشده كتافا أورثه به النكد ثم أنه بعد ذلك حمل الغضبان على بنى كنده فانزل بهم كل بلية وشدة فايقنوا بالفناء والذهاب والوبال والعذاب فعند ذلك اجتمعت المشايخ منهم والشباب وأتوا إلى منازل فارس بنى مزن وقالوا له أنت الذى جلبت لنا هذه الرزية وسقت لنا هذه البليه والآن نخيرك بين حالتين أما أن تبرز إلى الغضبان وتكفينا شره وأما أن ناخذ دعدا ونسلمها إليه ونفدى ملكنا بها بين يديه فلما ذلك منازل قال أنا فى غداة غد أخرج إليه وآخذ روحه من بين جنبيه وكفيكم شره واصرم لكم عمره فاطمأنوا بقوله واتكلوا عليه كان عند الصباح برز الغضبان إلى محل الضرب والكفاح وبرز إليه منازل المزنى فى محل القتال فعندها مال عليه الغضبان واتعبه وأكربه وكزه بعقب الرمح أقلبه فانقض عليه الخذروف عبد الغضبان شده كتاف وأخذه أسيرا وساقه ذليلا حقيرا وعاد بعد ذلك الغضبان إلى حرمة الميدان ومال على بنى كنده فأورثهم الذل والهوان ودام الأمر كذلك إلى آخر النهار وعاد الغضبان إلى أصحابه وأحضر منازل وقال له أطلق دعدا يا ابن الانذال والا أقطع رأسك بهذا الحسام الفصال فقال منازل ياغضبان تسلمها إليك فهل تمن على وعلى ملك بنى كندة بالاطلاق من هذا الاسر والهوان فاطلقهما قال الراوى وفى الحال أحضر دعدا وهى معززة مكرمة وأحضر ملك بنى كندة هدايا إلى الغضبان ومن معه من الفرسان وهى الف ناقة وجمل وخمسين جوادا من الخيل الجياد ومائة ثوب ديباج وسأل الغضبان فى قبولها فقبلها وعاد الغضبان وهو بالنصر والظفر فرحان وسارت من الحى وشاهدا أمامه من المال والنعم زاد بأهل الحى الفرح والسرور وترجلوا إلى الغضبان وهنوه بالسلامة من زوال النقم هذا وأبو دعدا قد اندهش عما رأى من كثرة تلك الأمور وهنا قال الغضبان وابشر ياعماه بما يسرك ثم أنه حدثه بكل ما جرى له من بنى كندة وكيف أسر ملكهم وأطلقه وكيف أهداه بهذه الأموال والنعم وقال تسلم ابنتك وتسلم هذه الأموال ثم فرق منها على الرجال الذين كانوا مع الغضبان وأرضاهم بالخير والاحسان قال الراوى ولما كان من الغد قام الغضبان وجمع مشايخ العشير وخطب دعدا من أبيها على رؤس الاشهاد وتيقن أبه بلغ المراد فقام أبو دعدا على قدميه وشكر الغضبان وأثنى عليه وقال له يا أخى من

يكون أحق بها منك غير أني أريد أن ترفع قدرها حتى انها تفتخر على بنات العرب والسادات من ذوي الرتب فقال الغضبان وما الذي تريد ياعماه قل لي حتى أبلغك اياه وأزيدك على ما تطلب أوفي مزيد فقال له المنهال أريد منك جارية يقال لها عبلة بنت مالك بن قراد زوجة عنتر بن شداد لتكون خادمة لزوجتك دعدا وتبلغ رتبة المعالي والسعد فقال له الغضبان سمعا وطاعة ولكن هل من حاجة أخرى حتى تتم حاجتك فقال ما أريد بعد ذلك غير سلامتك ياليث الصدام فشكره الغضبان على ذلك الكلام وعلم المنهال أنه أوقعه على شرب كاس الحمام فبات الغضبان تلك الليلة لم يذق المنام ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح قام الغضبان وركب جواده واعتد بعدة جلاده وسار قاصدا حي بني عبس ليقضي إلى أبي دعدا مراده فلم يتبعه من بني كنانة إلا ثلاثون فارسا ليوثا عوابس فقال لهم ما حالكم وأين باقي أصحابكم فقالوا له والله يا غضبان ما قدروا أن يتبعوك إلى تلك البلاد خوفا من عنتر بن شداد فلما سمع الغضبان تلك المقال حلف بمن أرسى شوامخ الجبال وقدر الارزاق والآجال أن يسير في هذه النوبة إلا وحده ولم يتبعه أحد من الأبطال غير عبده ارجعوا أنتم إلى دياركم وأنا وحق من رفع السبع الشداد لم أرجع إلى هذه البلاد إلا بعبلة بنت مالك بن قراد ورأس عنتر بن شداد ولا بد أن اخلي أهلهم يضجون بالنوح والتعداد ثم انه سار وحده في البراري والمهاد ولما طال عليه الطريق أنشد يقول

أسير على جرد بقفر بقلع	وعقلي رهين والفؤاد المبضع
واطلب نيل المجد بالسيف عنوة	فقلبي أسير المحبة والسمي
أيا دعدا لا تنس المودة بيننا	فمن شد الأحزان سالت ادمعي
لك الخير والبشرى بقية فاعلمي	حقيقا بأني قائل الحق فاسمعي
مكانك عندي فهو خير ذخيرة	وحبك في الاحشا توسط أضلعي
سأسقي بني عبس كؤس حمامها	واتركهموا صما عدام المسامع
وان كانت الأخرى وأصبحت قاويا	وعاجلني صرف الزمان بمصرع
فلا تندبي يادعدا بعدي تأسفا	علي ولا تبكي ولا تتوجع

(قال الراوي) وسار الغضبان طالبا أرض الشربة والعلم السعدي ولم يزل يجد المسير إلى أن وصل إلى بني عبس فرآها حللا متفرقة فحار واندهل وصار متفكرا على أي فرقة يحمل فبينما هو كذلك وإذا قد ظهر من بين الحلل فارس وقدامه ناقة وعليها هودج وزمام الناقة

بيد الفارس وهو يحدث صاحبه الهودج وينشد لها شعر الملك قيس الذى قاله يوم حفر الهبات يوم قتل بنى فزارة وهو يقول .

أن يوم الهبات أورثنى الذل فأصبحت ظالما مظلوما
يوم قتل سراة بدر وكانوا لعيون الناظرين نجوما
كان قتلى لهم جزاء على البغى بما قد جنــوا ذنوبا قديما

(قال الراوى) وما لحق الفارس أن يتم ذلك الشعر حتى صدمه الغضبان وقال له ترجل ياشيخ عن جرادك وسلم لى عرة جلادك وخل الظعينة وانج سالما فعندذلك حمل عليه العبسى وطعنه فضرب الغضبان رمحه ابراه وصرخ فيه وحاذاه ومد يده فى أطواقه فاقتلعه من سرجه وجلد به الأرض رض عظامه وشده كتاف وقال له ويلك من تكون أنت من فرسان بنى عبس يا ابن الاوغاد فقال الشيخ أنا الربيع بن زياد أخو عمارة القواد فقال الغضبان بخ بخ أنت طلبتى وبك أقضى حاجتى وبغيتى فعندذلك رمت زوجته وابنته بأرواحهما من الهودج إلى الأرض وتقدمتا إلى الغضبان وقالتا له بحق عينيك يا فتى لا تقتله ولا تذيقنا فقده فانا حرمة وليس لنا أحد سواه ثم تقدمت بنت الربيع واشارت تمدح للغضبان بهذه الابيات وهى تقول

يافارس الخيل يوم الطعن بالسمر وضارب الهام بالهندية الذكر
يامن إذا قلت هذا القول تشهد لى كل البرية من بدو ومن حضر
إن كنت تطلب يا مولاى قتلته فأرجوك أن تعفو عفو مقتدر
وأرحم لذل التى أضحت بلا سند وأرحم بكائى فقد زادت بى العبر
فقد هتكت لوجه طال ما حجبت عنه الفوارس بالخطية السمر
أطلق فديتك شخصا قل ناصر عند المشيب وقل السمع والبصر
لا زال سيفك فى الاعداء مغمدة ونجم سعدك فوق الشمس والقمر

(قال الراوى) هذا والغضبان قدتانبهر بمارأى من حسنها وجمالها وفصاحه مقالها فرق قلبه لها وفرج عن أبيها الربيع من أجلها وردعليه جواده وقال ياشيخ قم ردحريمك وبنتك إلى هودجها وأنت إن وضيتنى أكون لابنتك بعلا وهى لى أهلا حتى أحكمك فى جميع أموال العربان واجلب المال والمكسب من الفضة والذهب (قال الراوى) وكان الغضبان ابهره حسن بنت الربيع وجمالها البديع ووقع حبها فى قلبه وتمكن من مجامع لبه فلما سمع الربيع مقاله وعلم أنها قتلته فقال له أيها البطل الحلاحل والقرم المنازل أنت المطلوب وبك تزول عنى

الكروب ولكن أنت من تكون سادات العرب الفتيان أهل الفضل والأمانة فقال له اعلم أني أنا الغضبان فارس بني كنانة فقل ما تريد من مهرها فقد أعجبني حسنها وجمالها وعذوبة مقالها واحلف لي أنك إذا طلبت شيئاً مني وأعطيتك إياه لم تغدرني وأن غدرت إلى أملك وترجع إلى كرم أصلك فقال الربيع لا وحق من يقول للشيء كن فيكون أنا فيك راغب وأريد أن استنجد بك على عدوي في بني عبس الاوغاد فانك قد تركت بفروسيتك في قلبي حرارات وزفرات فقال له الغضبان ومن يقال لهذا العدو الذي أنت طالبه من العرب الاوغاد فقال له الربيع هو عنتر بن شداد فقال الغضبان وحق اللات والعزى أنا جئت له محارب ولزوجته عبلة طالب ثم أن الغضبان حدث الربيع عن سبب مجيئه إلى ديار بني عبس وعدنان وكيف كان الاتفاق في ذلك المكان فعند ذلك اعطاه الربيع يده على الوفا واخذه وسار به إلى دياره وانزله بين عشيرته وضرب له مضرب في وسط مضارب اخوته وانفذ له الطعام ولم يزل عنده في الضيافة والاكرام مدة ثلاثة أيام وانفذ الربيع إلى اخوته ودعاهم إلى حضرته وما فيهم إلا من ضاف الغضبان واكرمه غاية الاكرام وفي اليوم الرابع قال الربيع للغضبان اعلم يا ولدي اني كنت البارحة مع زوجتك في حديثك فقالت زوجتك وحق اللات والعزى ما يدخل على بعلي الغضبان واسلم إليه روحي بامكان حتى يأتيني برأس عنتر بن شداد فقال الغضبان يا مولاي أوقع عيني عليه حتى اعرفه واقطع رأسه من بين كتفيه فقال له الربيع لك علي ذلك فقد ظن الربيع أنه يقتل عنتر ويقلع منه الاثر وقال لأخيه عمارة وحق ذمة العرب لا كانت قتلة عنتر الكلب الاكلب إلا على يد هذا الفارس المنتخب ثم أن الربيع ترك على عنتر العيون والارصاد حتى أتاه عبد من عبيده يقال له خايس بن عابس وقال يا مولاي لك البشرى فقال له بما تبشرني فقال له بعنتر يا مولاي لانه قد سارق هذا اليوم إلى غزوة بني تميم فقال له الربيع ومن أعلمك بهذا الأمر فقال له امنه فناح لانها تحبني فكاد قلب الربيع أن يطير فرحا ودخل على الغضبان وقال له ابشر يا ولدي فقد نلت المراد واعلم أن عنتر قد صار إلى بني تميم فشد عزمك إلى لقاء هذا الغريم واركب الآن جوادك حتى تهلك خصمك الذي هو طلبتك فقال له الغضبان والله يا عمارة أريد أن تكون معي حاضراً أنت واخوتك حتى تزون ما أفعل به من الهلاك فقال الربيع لاقعد عنك وحق ذمة العرب ثم أخذ معه أخوة عمارة وساروا والغضبان معهما وطلبوا رأس المضيق ومسكوا على عنتر الطريق وكان هذا المنزل يقال رأس الاجمة وما نزل فيه الربيع إلا لعلمه أن لابد لعنتر من العبور منه في رواحة

وجيشه فا كمنوا فيه بقية تلك الليلة وعند الصباح عليهم أسد عديم قدر الثور الجسيم بأنياب مصقولة وأظافير مغولة وهو أعبس المنظر كأنه قطعة من الحجر ولما رآه الغضبان جرد حسامه فى يده وهزه حتى دب الموت من أفرنده وطلب الاسد حتى صار قدامه وهو ماش على أقدامه فلما أن عاينه الاسد قد أقبل عليه اجتمع حتى صار يحاذيه واجتمع حتى صار كالشيه فوثب عليه فراوغه الغضبان وضربه بحد الحسام على قمته أخرجه يلمع من سلسلته فخار الربيع من الغضبان وما نال الاسد من ضربته فقال الربيع أيها البطل الجواد أريد منك أخت هذه الضربة على رأس عنتر فقال له للغضبان أبشر ياعمارة بنيل المراد هذا ماجرى لهؤلاء قال الراوى وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه سار بأصحابه إلى ديار بنى تميم فنزل فى منزل وأقام به حتى أصبح الله بالصباح فعند ذلك تجارت العبيد إلى الحلة والقت الصياح فركبت الرمال والافيال وأرادت رد الغنيمة من يده فعاد إليهم عودة الاسد وضرب فيهم ضرابا يفك الزرد ورفقته من خلفه وقد نهبوا أرواحهم نهبا فلم تمكن غير ساعة حتى قتلوا من بنى تميم كل فارس جسيم وعاد الباقون يطلبون الفلاة وعنتر يصيح عليهم ويلكم يا أوغاد غير أمجاد أما تعلموا أنى عنتر بن شداد وما زالوا كذلك حتى ولو منهزمين وعلى أعقابهم مدبرين وعاد عنتر وبنى عبس من خلفه طالبين الديار ومعهم الغنائم والأموال إلى أن قاربوا المضيق وهاتيك القفار ورأى الربيع غبارا قد ثار فقال للغضبان خذ أهبتك يا فارس كنانة هذا عنتر وأصحابه قد اقبلوا وقد جاءتك طلبتك فقال الغضبان بأبى وأبيك اليوم أريك من فعالى ما تقربه عيناك وأما عنتر فإنه سار يقطع القفار وما على قلبه لاهم ولاغم وشيبوب فى أوائل الخيل وعنتر وفرسانه واجناده سائرين عن يمينه وشماله هذا والغنايم مع العبيد تساق قدامه فانشد يقول

تناءت دار عبلة عن أمامى ... وأمسى حبها خلف الزمام
وما ذكرت عبيلة حين ولت ... غداة البين عاودنى غرامى
وقفت وصاحبى نحن جميعاً ... أسائله فلم يسمع كلامى
فقلت تبينـــوا على أراه ... يسير معرجا نحـوى لشام
فقالت تلك يا ابن عمم خيل ... يثير عجاجها مثل الغمام
تسير بها فوارس من تميم ... ورائنا تبتغى ورد الحمام
وفيها كل جبار عنيـــد ... إلى شرب الدما فتراه ظامى

ومهرى فى العجاج تخال فيه ... دماء قاتما مثـــل الغمام
ويعلوه فتى من آل عبس ... أخوه وأمه من نسل حامى
وكم فارس رددت الخيل عنه ... ونار الحرب تشعل باضطرام
بخيل تحمل الأبطال شعسا ... غـــداة الروع أمثال النعام
جآجىء تخب على رباها ... تثير النقع بالموت الزؤام
فوارسها تنـــادى يا لعبس ... نهار الموت فى وهج القتام
بايديهـم مهنـــدة وسمر ... كأن بريقها شعل الضرام
فأسكت كل صوت غير صوتى ... وصوت مهندى عند الزحام
وكم من فارس تركت ملقى ... عفير الخـــد مكتام الكلام
وخلفت الطيوز عليه تهـوى ... كما تهوى الأسود للاجسام
تبيت نساؤه حزنى عليه ... يرددها التفجع فى الأنام
أنا عنتر وفعلى فى الأعادى ... كسهم قد بدأ من كف رامى
وذكـرى شائع بين الموالى ... على كل البرية واهـــتمامى
ولى مجد على من مثالى ... له بطش فى شديد الأنام

قال الراوى فلما سمعت بنى عبس هذه الأبيات طربوا لها غاية الطرب فمازالوا سائرين حتى قاربوا رأس الأجمة فخرج عليهم الغضبان كأنه شيطان وصرخ فى وجوههم صرخة أدوت لها البرارى ونادى ويلكم ياأوغاد غير أمجاد أتركوا مامعكم من الأموال وإلا حل بكم العطب فأنا الغضبان فارس بنى كنانه قاتل الفرسان فانجوا بأرواحكم قبل أن تبقوا عاطبين فانى وحق اللات والعزى لكم من الناصحين فعندها صاح عنتر على أصحابه وقال لهم من يبرز لهذا الفارس المعجب بنفسه حتى يكفينا شره فان قلبى غير مطاوع لقتاله ولا يسمح خاطرى بالخروج إليه بل أخذتنى عليه الحنية والشفقه ولا اعلم ما الموجب لهذه الأحوال فقال عروة بن الورد أنا له ولامثاله فقال عنتر أن تمكنت منه يا أبا الأبيض لاتقتله بل تاتينى به أسير حتى أنظر إلى حقيقة هذا الأمر الخطير فا كشف عن حالة و أكون فى أطلاقه بصير وآمن عليه بروحه وأعتقه فقال عروة سمعا وطاعة ثم أنه حمل عليه وهو راكب على جواد مليح فى لون الدينار ولا يلحق له غبار قليل العثار صبوز على قطع القفار كما قال فيه بعض واصفيه حيث يقول

جواد كالرياح له بهاء ... يطير بلا جناح فى الفلاة

كعفريت يطير إلى الثريا ويرجع قبل لمح الناظرات

قال الراوى وكان الغضبان راكبا على فرس من جنائب الربيع بن زياد وهو من الخيل الجياد يصلح ليوم الطراد كما قال فيه الشاعر

وأدهم يستمد الليل منـــه وتطلع بين عينيه الثريا
أن سـار فاق البرق جريا ويطوى دونه الأفلاك طيا

قال الراوى ثم أن عروة بن الورد صاح على الغضبان وقال له ويلك من تكون من الفرسان يا قرنان وابن ألف قرنان وما الذى أوقفك فى هذا المكان حتى عرضت نفسك للهلاك فقال له الغضبان ويلك دع عنك كثرة الهذيان لئلا أقتلك بهذا السنان ثم حملا على بعضهما وجالا فى الميدان حتى حيرا بفعلهما جميع الشجعان هذا والغضبان قد جال على عروة وأراه فى الحرب أهوال وصاح فى وجهه ادهشه وضربه ضربة عظيمة بسيفه جرحه ولو أراد قتله لكان قتله وعلى الثرى جندر فولى هاربا من قدامه وخاف على نفسه من المعايب فقال عنتر ما وراءك وما الذى دهاك فقال عروة ورأى الموت الأحمر والبلاء المنتظر هذا والغضبان قد طلب مر بعده براز الفرسان فبرز له إليه رجل يقال له حازم بن مصادم وكان فارسا نبيلا فجال معه أكثر من ساعة حتى مال عليه الغضبان وضربه بالحسام اليمانى بذل دمه وكاد أن يقرب هلاكه وعدمه فانهزم من بين يديه وقد أيس من السلامة وأيقن بالهلاك وخرج إليه ثالث من الفرسان فطعنه الغضبان بعقب السنان وكذلك الرابع والخامس فعادوا بالذل والهوان ثم خرج إليه السادس والسابع والثامن إلى العشرة فعادوا من بين يديه وقلوبهم منفطرة وكلما خرج إليه فارس جرحه ولو أراد أسره أو قتله لكان جندله وعدو جه الأرض طرحه حتى مالت الشمس إلى الغروب وقد جرح أربعين فارسا من أصحاب عنتر بن شداد إلا أن عنتر كلما هم أن يخرج إليه ما تطاوعه نفسه من أشفاقه عليه وقد أعجبه قتاله وانعطافه فى مجاله وهو يقول لأصحابه أخرجوا إليه فقد كل ومل واندرس رسم عزمه واضمحل ولولا العار وما تجدد فى الاضمار لخرجت إليه وأرحته من الحياة وأوردته مأواه ولكن أخاف من معيرة الفرسان بأن يقولوا فارس عبس وعدنان خرج إلى بعض الصبيان ولما أمسى المساء وعاد الأمير الغضبان إلى مكانه فالتقاه الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وفرحوا بما بان منه فى الحرب والجلاد وقال له الربيع ما قصرت اليوم يا فارس كنانة ثم ضمه إلى صدره وقبله بين عينيه فقال له الغضبان والله يا عماه ما لفرسان بنى عبس مثال فى هذا الزمان وانهم أبطال وشجعان لا يوجد مثلهم فى سائر البلدان وكنت لما ألتقى منهم أقول لم يكن فيهم

مثله فيبرز لى آخر فاراه فى شجاعة من الذى قبله وما زلت حتى جرحت منهم أربعين فارسا ومضوا من بين يدى مدبرين نواكس ولولا أنى أريد المقام عندهم وأتزوج منهم لتركتهم رزقا لوحش البر ولكن فى غداة سوف أفعل بباقيهم مثل مافعلت بهم فى ذلك اليوم وأما عبدهم عنتر فلا بد لى ماأذيقه الموت الأحمر فتعجب الربيع من كلامه وايقن بهلاك عنتر واعدامه ثم باتوا فى تلك الليلة بالهنا والسرور وبات عنتر بالويل والثبور وهو يقول لباقيهم يابنى عمى خذوا أهبتكم لطعانه لأنى فى غداة لابد لى ما أبرز إلى لقاه وأسقيه كاس فناه ومازالوا كذلك حتى برق ضياء الصباح وركبت بنو عبس الشجعان الملاح وهم خائفون من الغضبان عند الحرب والطعان وكان أول من برز إلى الميدان مازن أخو عنتر وهو راكب على حجرة عربية تسبق الرياح الغربية وعلى جسده زردية دوادية متقلد بصفيحة هندية ولما توسط الميدان صال وجال ولعب فى أربع جنبات المجال وأنشد وقال :

يامن أتى عبسا يروم لقاها ... وطمعت تلقى شيخها وفتاها
دونك لتنظر ماتريد وتوجع ... وغدا ذليلا هاربا بفلاها
أطمعت أن تلقى بنى عبس الذى ... ذلت لها وسط العجا عداها
لاسيما عنتر أبو الفوارس من ... أبـلى العـدا فى الملتقى ببلاهـا
دونك لتلقى من حسامى ضربة ... منها تذوق الموت وقت ضحاها
أنى أنا مازن همام صادق ... ليث المعامع أن تدور رحاها
فلكم لقيت من الفوارس فى الوغا ... وسقيتهم كاسا بطرف ظباها
وكتيبة فرقتها بمهند ... ولت وخافت شؤم يوم رداها
فان نوارقنا وضوء سيوفنا ... تخنالها ناراً يشب لظاها
أنا ابن عبس الذين سادوا الورى ... بمضارب الهند افنى أعداها
يحمى الحمى أنتى من كل ليث باسل ... وتزيدها طعنا بشق كلاها
تجرى بنا الخيل الجياد عواليا ... عند الوغى وتخوض فى هيجاها

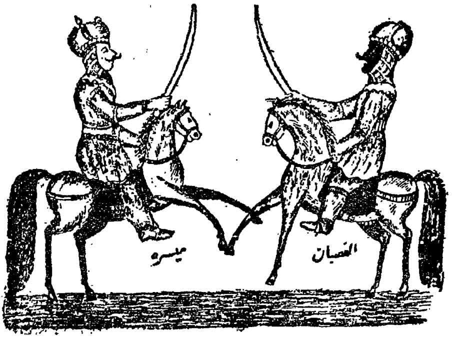
(قال الراوى) فلما سمع الغضبان ذلك الشعر والنظام وقال له يافتى ولاى شىء تفتخر أما تعلم أن الفخر هو الصبر فى يوم الصدام ولكن دونك الآن وحام عن نفسك فى هذا المقام ولكن حتى أجاوبك على ماقلت من شعرك فى هذا المقام لتعلم أنى لم أكن عاجزا عن الشعر والنظام فانشد يقول :

ودت الليالى ما خفى رؤياها　　وكذلك النجوم تشعشعت بضياها
أبدى الزمان عجائبا وغرائبا　　فيها يحير العقل من رؤياها
يا فارسا تبغى قتالى فى الوغى　　وتريدنى عند اشتباك قناها
هل لا سألت الخيل عند مجالها　　هل لاقت الابطال مثل فتاها
واسأل لكندة يوم أقبل جمعهم　　نحوى صفوفا فى وسيع فلاها
هم يخبروك بأنى يوم اللقا　　أسقى الفوارس فى الحروب دماها
وسنان رمحى فى الحروب ملازم　　لكماتهـــا حتى ينشق كلاها
وكذا بنى مازن طوقت ديارهم　　أذللتهم بالسيف عند نداها
من أجل دعدا قد فنوا بمهندى　　وأسرت فارسهم ونلت مناها
وأنا الذى لو مثل لى سورة　　للموت يوم الحرب ما أخشاها
هذا هو المجد الذى من ناله　　بلغ المراتب وارتقى لعلاها

فلما فرغ الغضبان من شعره حمل على مازن وصرخ عليه صرخة دوت لها الجبال فتصادم البطلان فطلع غبارهما إلى العنان فالتصقا وافترقا حتى كلا من شدة المحال فتثلمت فى أيديهما السيوف الصقال وجرى الدم من أجسادهما فسال فلم يزل الغضبان يطاول مازنا فى المجال حتى أتعبه فطعنه بعقب الرمح أقلبه وعن جواده كركبه فوقع عن ظهر الجواد مثل السكران فقام من حلاوة الروح وهو ولهان فقال له الغضبان لا باس عليك ما أكثر كلامك قم والحق باهلك ولا تعد ثانياً فتهلك وها أنا أبقيت عليك ولو رددت لاخذت روحك من بين جنبيك فعاد مازن وقد عاين الموت حتى وصل إلى أخيه عنتر فقال عنتر كيف رأيت خصمك فى ملتقاه فقال مازن وحق ذمة العرب ماله نظير عند الحرب أنه فارس منتخب ماله فى الفرسان مماثل ومايقاومه احد سواك واعلم أنه لو خرجت إليه جميع فرسان بنى عبس لاذلها وقهرها وإن أراد قتلها إلا أنه فارس شديد وبطل صنديد لا يخاف الموت ولا يرهب الفوت فلما سمع عنتر من أخيه مازن ذلك الكلام أخذ أهبته للحرب والصدام وهم أن يبرز إلى الغضبان فسبقه فارس كانه الليث القسور وقد هدر وزمجر فتبينه كل من كان فى ذلك المكان حضر وإذا به ميسرة بن عنتر وهو راكب على حجرة عربية لا تلحقها البروق النجدية بقوائم كانها من الحديد فلما صار فى الميدان وعمل الضرب والطعان صال وجال وأنشد لذى الغضبان وقال

طاب الطعان يوم اللقا بالذابل　　والضرب بالسيف الصقيل الفاصل

دونـــك فارسا غشمشما　　　معود يوم الزحام الجحفل
أنى لميسرة الحروب مجـــالد　　　فى الحرب أردى كل ليث جائل
كم فارس عند اللقى جندلته　　　من ضربتى وغدا يضم الجندل
غضبان دونك والتقى لعزيمتى　　　حتى تشاهد فى اللقاء فعايلى
ياجاهلا يا غافلا عن نفسه　　　وأغتاله صرف القضاء النازل
كم من مثالك جانا فى جحفل　　　عند القتال فما أفاد الجحفل
عادوا وطعن رماحنا من خلفهم　　　وحماتهم تحت السنابك قتل
واليوم تعرفنى إذا حق اللقا　　　وأريك ضربا بالحسام الصقلى
وتخر ملقى فى التراب معفرا　　　وإذا أسرتك فى العجاج تقرلى



(قال الراوى) فلما فرغ ميسرة من شعره والنظام وسمعه الغضبان سار الضياء فى وجهه ظلام وقال له كأنك أنت ميسرة بن عنتر يا ابن اللئام والله أنك أذل وأحقر أن تجاوبنى بهذا الكلام المنكر ثم أن الغضبان أجابه على عروض شعره بقول :

أنظر لضربى فى الحسام المقتل　　　والصبر فى يوم ازدحام الــكل
انى انا الغضبان قرما مانعا　　　حامى كنانة عند ضرب الصيقل
شهدت لى الأبطال عند مجالها　　　انى اجــد الطعن بالذوابل

من رام حربي يلتقيني صمدعا ... موردا يوم اللقاء حلاحلي
اكر في الهيجاء والنقع ناصب ... مرادقه فوق تلك المنازل
انا القضاء على العداء أنا البلا ... أنا مقيم الندب كل القاتل
ماراعني يوم اللقاء مبارز ... الا وعاد مصفرا كالسائل
وسوف تلقى ضربة من صارم ... من هو لها تخر فوق الجندل

(قال الراوى) ولما فرغ الغضبان من شعره والنظام انطبق على ميسرة انطباق الغمام واخذ في الضرب والصدام وطال بينهما الخصام وجرى العرق من ابدانهما وسال وسكر كل منهما ومال هذا والغضبان اطال روحه على ميسرة إلى ان اتعبه واضجره وارتخت اوداجه ومفاصله وزادت بلابله فعندها طعنه الغضبا برأس السنان شك فخذه في جنب الحصان فولى ميسره يطلب اباه بعدان عاينت الموت عيناه فقال له عنتر وهو مز فما الغضبان انهر ويلك ياولدى كيف لما رأيت خصمك شديد الثلاف تركت سنانه يصل إلى جسمك والساق فقال له يا ابتاه لا تقل هذا المقال فوحق الملك المتعال ان التقيت انت معه في المجال لنظرت منه الاهوال لانه فارس منتخب وماله نظير بين فرسان العرب (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه اخذ اهبته وهم ان يبرز اليه وإذا بسبيع اليمن قد سبقه وحل عليه وجال معه الغضبان بقلب من الحنق ملآن وقد التصقا بالابدان وكلاهما الساعدان عندها هجم الغضبان عليه ولم يرد التطويل بل انصب عليه انصاب السيل وهدر وزمجر واحمرت منه الاحداق وطلع الزبد على الاشداق وضرب سبيع اليمن بالسيوف على الدرقة فوقعت عليها الضربة كانها صاعقة فقطعت الدرقة نصفين ونزلت على الخوذة قدتها شطرين إلى ان وصلت إلى رأسه فايقن سبيع اليمن بحلول رمسه لما شج الحسام رأسه واهرق دمه وعاد من الميدان مجروح ودمه على جبهته مسفوح فلما نظر عنتر اليه اسودت الدنيا في عينيه وكاد أن يغشى عليه وأراد الخروج الى الغضبان فسبقه اليه ولده غصوب ونزل الميدان كانه البلاء المصبوب وهو ينادى أنا الليث والوثوب أنا البلاء المصبوب والأسد المهوب أنا المسمى بغصوب وكان تحته جواد منسوب يصلح ليوم الحروب يسبق الريح أو الماء إذا اندفق من ضيق الانبوب فلما تقرب من الغضبان ورآه على شكله ولونه في ذلك الزى المنصان فقال له ويلك يا غلام من تكون انت من الشجعان حتى تعرض للهلاك والهوان فقال له أنا غصوب بن عنتر فارس عدنان ويلك يا ابن الف قرنان ما أسرع ما نسيت احسان عدالى أمك وبشرها بسلامة نفسك فالى رغبة في قتلك وارز أمثالك لأني أنا الغضبان سيد الاقران وقد اسرتك قبل هذا اليوم في الميدان واطلقتك وسبق اليك منه

الاحسان فلما سمع عصوب كلامه عرفه بحسن اهتمامه وقال له وأنت يا كشحان امكث مكانك حتى ارسل لك نقمة العربان فى هذا الزمان ثم عاد عن قتاله وأخبرا باه بأحواله ومازال الغضبان كلما خرج إليه فارس جرحه ولو أراد قتله لكان قتله وعلى وجه الأرض طرحه حتى أتى على جميع أصحاب عنتر وصيرهم مجروحين ولم ينفذ من يده إلا عصوب فلما علم عنتر أن الغضبان قد استطال على رجاله فلم يجد له صبر عن نزاله فخرج إليه وهو راكب على جواده الابجر وعنتر من فعال الغضبان قد تحير وكان عليه درع حسن النظام كان أخذه من كسرى أنوشروان وموضيق الزرد لا يعمل فيه الصارم المهند فلما رآه الغضبان علم أنه شجاع لا يرام فقال له بحق ذمة العرب أنت من تكون من العرب الاجواد وفرسانها الامجاد فقال عنتر لأى شيء تسألنى عن ذلك الايراد فقال الغضبان لأنى ما رأيتك قط فى غير هذه البلاد ولا رأيت مثلك بين العباد فقال عنتر يا ويلك أنا البطل الجواد معلم الفرسان الطراد فى يوم الحرب والجلاد فارس بنى عبس وآل قراد عنتر بن شداد قال الراوى فلما علم الغضبان أنه عنتر فرح بذلك واستبشر وقال له الآن هنيت أنا بالنصر والظفر وحق اللات والعزى فانك أنت طلبتى وبك تقضى حاجتى فقال له عنتر وكيف ذلك أنك عندى دين تريد أن تستقضيه أو ثار تريد أن تستوفيه فقال الغضبان لا وحق ذمة العرب بل هو سبب عجيب وحال غريب وأنا أعلمك به عن قريب وذلك أنى خطبت جارية كالغصن الميال يقال لها دعدا بنت المنهال وأبوها طالب منى عبلة زوجتك لتكون جارية لها ليزداد بذلك يقال لها وهذا الذى أتى بى إلى أرضكم والأطلال وقد بلغت أمالى باقبالى عليكم وما بقيت على رجالكم إلا لسبب لا يمكننى أن أطلعك عليه وقت القتال إلا متى يتم بيننا الحال لأنى ما فعلت بفرسانك فى الكفاح والآن دونك والقتال الملابقة والنزال فى الميدان وشقشقة اللسان فقال عنتر ويلك يا غضبان وحق الإله المتعال ما كان تأخرى عنك إلا شفقة عليك ما شفقت على فارس غيرك وكلما هممت أن أخرج إليك قلبى ما يطاوعنى عليك وهذا الأمر ما يعلم باطنه إلا الذى أرسى الجبال ويعلم عدد الرمال وإلا ما كنت سالم إلى الآن لما فعلت بقومى حيث ما فعلت فى الميدان وأنى كلما سمعت بذكرك ينشرح صدرى إليك ويحلو عندى قدرك خصوصا لما أسرت ولدى ومهجة كبدى عصوب ازداد قلبى لك محبة والآن فقد انقضت ما بينى وبينك بتجريعك على قتالى وهجومك على رجالى وأنا الآن استوفى منك الديون وأعجل لك المنون فأنت فارس دون وبنزولك فما أكون مغبون قال الراوى فلما سمع الغضبان من عنتر هذا

الـكلام قال له هيهات هيهات أن تظفر بمثلى أو تفعل فى الميدان كفعلى لأنى أنا أقدر منك على الحرب وأقوى جلدا على الطعن والضرب فقال له عنتر سوف ترى من يحل به الذل والبوار ويلبس ثوب العار ثم أن عنترا أشار اليه يقول

زاد النسيم فهيج عظم بلبالى ... ببعد من فاتنى ما كان بالبالى
ريح الصبا فوق زهر الورد يشبه ... ريح القرنفل أو صهباء سلسال
كريح عبلة إذا مرت بنا سحرا ... تجر أذيالها فى المنزل العالى
أريقها أم سلاف عنبر عبق ... يلذ لى رشفها مع وصلها الغالى
قديمة العهد فاح بنشرها عبق ... يلوح فى كاسها مع شادن مالى
فقالت عبلة أنى فيك راغبة ... أحل فدتك أعمامى وأخوالى
أنى حلفت يمينا صادقا قسما ... والله والله ما الغضبان فى بالى
قالوا بنى عبس أن الحرب صنعتنا ... فقلت كفوا فان الحرب آمالى
قالوا تخاف عليك الموت تشربه ... بطعنه من سنان الرمح عسال
أو ضربة صائبه من يد ذى حنق ... بصارم مثل لون البرق فصال
فقلت مهلا دعونى وأنظروا بطلا ... فانى من حامى لست زوال
وكيف أخشى صرف النائبات ولى ... سيف يقد الطلا من كل جوالى
فعد عن الحرب ياغضبان قبل ترى ... طعنى وتندم إذا عاندت أمثالى
وسائل الخيل عن جلدى صبرى ... وعن طعانى وعن ضربى وافعنلى
يبنيك من ذاق حربى عند معترك ... فانه ذل من حربى وأهوالى
ما أنت ممن بطن الرمح ينصفنى ... ولم تخض مثلى ماقد خضت أحوالى
فان سيفى صقيل ما به ثلم ... ومهمه النقع تمشلى وآما
فكم أباد حسامى فارسا شرسا ... وكم قصمت به من هام مفضالى
لانى بطل فى الحرب مقتحما ... يوم الهياج ولا أصغى لمذالى
أنا الهمام الذى أن سل صارمه ... ذلت له الأسد فى غاب وأدحالى
علوت حتى رأيت الشمس جارية ... تحتى فمن ذا الذى فى الفخر أمثالى

قال الراوى فلما سمع الغضبان ذلك المقال أحتد حتى صار لا يعرف اليمين من الشمال وقال والله لقد بالغت فى الشعر والنظام يا ابن اللئام مع أنك ما بقيت ترجع ولا تعود من هذا المقام وترى مضاربك ولا الخيام ما دمت تدامى فى محل الخيام وما أحاربك إلا بعد أن أجاوبك على عروض نثر والنظام حتى تعلم أنى أقوى منك جنان

وافصح منك لسان فى هذا المقام ثم أن الغضبان أجابه على عروض شعره يقـــول

لقد تذكرت أحبابى وأطلالى فهاج شوقى إلى رسم بها عالى
وذكرتنى دار لا أزال بها مشتاق قلب باشواقى وبلبالى
بنو كنانة لا زالت ديارهمو يروى ثراها الندى بهل هطال
بها الظبا سارحات فى كنائبها من كل فاتنة ذى قد ميـــال
فانى وعقلى فى قيد الهوى متيم يشكو الجو لهيبا ذات أشعال
أرض زها نبتها إن لا عنبرها وقاح كانوزها لونا وأشكال
بها الصفا والوفا من شاء ينظرها والدهر خوان لم يبق على حال
وعاصفتها رياح البين تنسفها أو تقتسمها إذا مرت باذيالى
لهفى لدعدا وقد جاءت تودعنى يوم الفراق وقد أرميت احمالى
وقد بدا الدمع من أجفان مقلتها فغيرت بانسكاب الدمع أحوالى
وسرت نحو بنى عبس أجرعهم كأس المنون بصمام وعسال
وقد فككتهم فى الحرب مقتدرا وجلت فوق كريم الجد جوالى
وقد أتى عنتر العبسى يقارعنى يظن أن الذى لاقوه أمثالى
فدونك الآن يامغرور معتمدا نار الحروب إذا زادت باشعال
حتى أخليك فى البيداء مجندلا معفر الخد من فوق الثرى بالى
وعبلة سوف أسبيها وأجعلها لدعدا خادمة تمشى باذلال
وتستريح منك العرب قاطبة وتعلم الناس أفعالك وأفعالى
وسوف تبصرنا عبد اللئام لمن تخطف الطير فى سهل واجبالى
فانى الفارس الغضبان نعم فتى بين الفوارس قدرى فى الورى عالى
ونجم سعدى تعالى السها ورقا برقعة المجد سعدى وأقبال

قال الراوى فلما فرغ الغضبان من تلك الابيات حمل على عنتر بقلب أقوى من الحجر وجنان جرى من تيار البحر إذا زخر وعلا على رؤسهما الغبار حتى اخفاهما عن أعين النظار وداما فى قتال وجدال حتى حير عقول الرجال وهم فى اخذورد وقرب وبعد واقبال وادبار حتى مالت الشمس إلى الزوال واقبل الليل بالاعتكار فافترق الاثنان على سلامة فرجع عنتر إلى أصحابه فسألوه عن خصمه فقال عنتر ماهو إلا فارس شديد وفى غداة غد يفعل الله مايريد وأما الغضبان فالتقاه الربيع وقال له كيف رأيت خصمك يا ابن الأجواد

فقال له والله أنه فارس نحرير وبامور الحرب خبير ولكن في غداه غد لا بد لي من أخذه أسيرا وإن تعسر على أسره جعلته على وجه الأرض ملقى عفيرا فعند ذلك قدموا له الطعام فأكل وبعد ذلك طلب الراحة للمنام وأوصى الربيع باليقظة في الظلام ولم يزل حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح خرج من الأجمة الغضبان وتبعه ذلك اليوم عبده الخذروف في المنداد فوجد عنترا راكبا منتظرا اقدمه إلى الميدان وهو يقول له يا عبد السوء اليوم أسقيك كاس الحمام وما أبقيت عليك بالأمس إلا حتى تبصر شجاعتي وتعلم قوتي وبراعتي فالتقاه الغضبان وقال تكذب يا ذليل بامهان فاليوم أخلي منك المنازل والاوطان وأريح منك جميع العربان وأسبي عبلة سبي الزوان فان كنت من الشجعان دونك وطعن السنان وضرب اليمان فعند ذلك اصطدم الاثنان مثل اصطدام أسود الآجام وعلا عليهما الغبار والقتام واتصل الحرب بينهما ودام وتطاعنا بكل رمح معتدل القوام وتضاربا بكل سيف صمصام وتعجب من فعالها القعود والقيام وفعلا فعالا لا تشيب له في المهد عام ولما تعالى وانكشف عنهما الغبار ووقف الغضبان في ركابه وتطى وهز الحربة التي في يده وطعن عنتر وقصد بالطعنة صدره فزغ عنها عنتر بصبره وجلده وصاح الغضبان في أثرها وقال خذها يا ابن الملعونة من يد فارس كنانة. فوقعت في كتف عنتر جرحته وقد خرقت الزرد والمغفر فتعجبت بنو عبس من هذا الفارس القسور فعندها طول عنتر روحه وما قصر وزاد غيظه على الغضبان وأراد أن يوصل إليه الضرر فتماحكا وتعاركا إلى الليل وافترقا وعاد كل منهما متاسفا على صاحبه وهو يصف طعنه ومضاربه فالتقت بنو عبس بعنتر وشد واجراحه وأيقنوا بعدم صلاحه لانهم أبصروا من فعال الغضبان العجب وعلموا أنه فارس منتخب قال الراوي هذا ما كان من عنتر وأما ما كان من الغضبان فانه لما عاد تلقاه الربيع بن زياد وهو فرحان مسرور الفؤاد وقال لله درك يا فارس الفرسان ويا أوحد هذا الزمان والله ما قصرت في هذا اليوم مع هذا العبد ابن الزوان فقال له الغضبان والله ما هو إلا فارس منصان وما للقضاء عليه سلطان وما جرحته هذا اليوم إلا بغتة برأس النبلة فان مقاتله محفوظة بجهد جهيد والوصول إليه صعب شديد ومقاتلته في الحرب على امد بعيد ولكن غداة غد ابلغك يا ربيع كل ما تريد واجعله ملقى على وجه الصعيد وبعد ذلك اكلوا الطعام فعول الغضبان على المنام وتولى الربيع الحرس حتى أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح هنالك خرج الغضبان إلى الميدان وحمل عنتر في حلابق الجولان وارتفع عليهما الغبار ودام بينهما ضرب السيف البتار وطعن الرمح الخطار

وتقابضا باليد وتصادما بالابدان حتى خيل الناظرين أنها مردة من الجان وبعد ذلك ضرخاصرختين صرت لهما الخيل آذانها وارتعدت من الفرسان أبدانهم وهجم عنتر على الغضبان وتناطحا كانهما كبشان هنالك اعتدل الغضبان فى سرجه وطعن عنتر طعنة جبار فصبر عليه عنتر حتى حاذاه فى حملته وقبض على رمحه بهمته وجذبه من الغضبان بشدته ومن شدة غيظه قطعه قطعا ولم يبق فى يده إلا نصفه وضربه به فى صدره كاد أن يخسفه فى جوفه فانذهل الغبضان وزاد تأسفه فعند ذلك جرد حسامه وهجم على عنتر وضربه به فالتقيا عنتر بالدرقة وأعطاه جواده وهز عنتر رمحه وأراد أن يطعن الغضبان ينكسه عن ظهر الحصان فجذب الغضبان حسامه وضرب رمح عنتر بالاهتمام أبراه كبرى الاقلام فلما نظر عنتر إلى ذلك جذب حسامه وتزايد بينهما الويل والقلق ولمع صارم الموت وبرق وعلا الغبار بينهما وتسردق واحتجب الاثنان عن نظر الحدق ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى قتال وجدال حتى تثلمت السيوف الصقال وكلت من تحتهما الخيول الاصال فقال الغضبان لعنتر هل لك فى الصراع حتى ترى أينا يكون قتيلا فى هذه البقاع فقال عنتر أى وأبيك ما أنا فى الحرب إلا منصف والانصاف هو أحسن الطباع دونك وماتريد أيها البطل (قال الراوى) ثم أن الغضبان قال فى عقله أن هذا صار رجلا كبيرا ولا بد فى الصراع ما يظهر منه التقصير وخصوصا الغضبان بالصراع خبير لأنه كان يصارع الإبل وهو طفل صغير وتقاربا إلى بعضهما بعض وتقابضا طولا وعرضا ومالا على بعضهما ميل حتى بقى النهار فى أعينهما ليل ونعوذ بالله من حقد العرب فقد تقابضا مع بعضهما بالسواعد وصبر على المكايد وتدكدكت الأرض من رجليهما وغصوب وبنو عبس يشاهدونهما بالنظر فقال عروة والله أنا خائف على عنتر من هذا الشيطان أنه ابن الف قرنان وسيشتتنا فى البرارى والكثبان قال الراوى وأعجب ماجرى فى هذه السيرة الحجازية العجيبة والامور المطربة الغريبة أن فى هذه الثلاثة أيام الذى تحارب فيها عنتر مع الغضبان فى الصدام كان الخذروف عبد الغضبان مع شيبوب أخى عنتر فى قتال ونزال ومراشقة نبال وضرب بخناجر طوال وكان الاثنان كانهما نمران أو ثعلبان ولهما مزاوغة كمزاوغة أبى الحصين وهمزات أسبق من نظر العين فكأنا إذا تباعدا يتراجما بالسهام فى ذلك البر وإلا كام وإن تقاربا يتضاربا بخناجر أحد من الحمام وداما على هذا الخصام ولم يبلغ أحد من صاحبه مرام مدة ثلاثة أيام ولما نظر الاثنان إلى عنتر والغضبان اشتغلا فى

الصراع فعلا مثلهما وتقابصا بالزند والباع ولكن كان الخذروف أخف من شبوب فى المحاورة والخداع فداما على ذلك الايقاع وهما يفعلان فعلا يعجز عنه كل بطل شجاع قال الراوى وأما عنتر والغضبان فانهما أخذا فى المعاركة والمشابكة حتى حل بهما التفكر والندامة ويئس الاثنان من السلامة وتناهشت الفهود وأيقنا بالعدم بعد الوجود وعلما أن كلا منهما مفقود وتلاكما وتهاجما وافترقا وتلاحمـــا وتلاطما وكل من الاثنين طالب قتل صاحبه حتى يبلغ مايشتهى من ربه فعند ذلك تعبا وكلا وملا وصارت أعضاؤهما مضمحلة بال الراوى فبينما هم على ذلك التعف وإذا بعنتر قدعثر فى حجر تحت رجله قد انفركت وانفلت فوقع عنتر على ظهره ونظر الغضبان اليه فبرك على صدره وأراد أن يكتفه فاقدر على ذلك لأن عنتر قابض على يديه فبقى الغضبان حائر أو ضاقت الحيل عليه قال الراوى ولمـــا رأت بنو عبس حاميتها على الأرض مهان وقد غدر به الزمان وبرك على صدره الغضبان خافوا على أنفسهم وعلموا أنهم بعد عنتر يفنيهم الغضبان فمولت بنو عبس على الفرار وسامهم المنقلبت فقال عروة ياويلكم ما هذا الفزع الذى صير قلبكم ذائب وعزمتم على الفرار وترك حاميتنا فى هذه المصائب أما كان عنتر حاميا حريمكم وأولادكم أموالكم وفيكم إلا من خلصه عنتر من المضرة وحمى حريمة المرة بعد المره ما هو فى يدقناصه وأنتم قادرون على خلاصة وغريمه فارس واحد فلا تخافوا من الاجمة لانه لوكان فيها فرسان لانفلت وساعدته فى القتال وأعانوه على تلك الأقوال فقال رجل من بنى عبس يابنى عمى أنا كل ليلة أرى فارسين يدورون حول الأجمة ولاشك أن فيها فرسانا وإلا لما كان هذا الفارس يدخل وحده ديارنا والأوطان فقال غضوب ويلكم ونخلى أبى على هذا الحال ونحن ما نبالى بالرجال بل نهجم عليه ونخلصه وأن ظهر علينا رجال لنا أسوة بابى فى الحرب والقتال وبعد قتل هذا الفارس ابن الانذال ما نبالى بعدها الفرسان ولا الأقيال فبادروه قبل أن يركب إلى لقاكم ويبيد أقصاكم وأدناكم قال الراوى هذا وعمارة يقول للربيع يا أخى هذا آخر أيام هـــذا العبد الزنيم والوغد اللئيم اليوم يشرب كاس الهوان ويقطع رأسه الغضبان بالسيف اليمان ويستريح قلبى من هذه الذبلة وبعد موته أتزوج أنا عبلة فقال الربيع آه وهاب لقد قلت الصواب وأما عنتر فقد عدم فلا تحسب له حساب قال الراوى فبينما كل منهم ينظر إلى مايفعل الغضبان بعنتر أبى الفرسان وإن بزعقة دوت لها البرارى والكثبان وقائل يقول ياعبس ياعدنان أنا حبيب عبلة على طول الزمان فالتفت الجميع لينظروا ما الخبر وإذا به أبو الفوارس

عنتر قد رفع على زنده الغضبان وهو كانه النمر الحردان فجلد بالغضبان الأرض رض عظامه رض وكاد أن يدخل طوله فى العرض فصاحت بنو عبس فرحا واهتزت طربا وانشرحت ونادوا به يا أبا الفوارس اقطع رأسه وأخمد انفاسه هذا والغضبان غائب عن الوجود فكان حاضرا فى صفة مفقود (قال الراوى) وكان شيبوب فى تلك الساعة قد رجع على خصمه الخذروف لما نظر الغضبان مأسورا فى يد عنتر فانملت عزائمه وارتخت قوائمه فهجم عليه شيبوب واراد أن يمسكه وإذا به قد زرق من بين فخذيه وقصد البر الأقفر فاراد شيبوب أن يتبعه فسمع صوت أخيه عنتر وهو يقول يا شيبوب دونك وهذا الكلب الأكلب دونك وهذا القرنان الابن الف قرنان وشده كتاف واوثق منه الأطراف قطع بطن حمله والدهن ظهره نسله هذا والغضبان مطأطىء الرأس منزعج الحواس خجلان وعنتر يدمدم كالأسد الغضبان قال الراوى ولما نظر الربيع إلى ماحل بالغضبان من المصائب أخذ أخاه عماره وولى هارب وأما شيبوب فانه شد الغضبان كتاف وامره عنتر أن يعارضه على ظهر الحصان وساروا طالبين ديارهم والأوطان (قال الراوى) فعند ذلك سال عروة بن الورد عنتر وقال ياحامية عبس وعدنان أنا اخترت فى هذا الأمر والشأن كيف بامكان لانار أيناك وأنت تحت كلكلة الغضبان وهو بارك على صدرك فكيف تخلصت منه بامكان وبلغت قصدك من هذا الشيطان فتبسم عنتر وقال له أعلم يا أبا الأبيض إنى لما وقعت وبرك على صدرى فايقنت بفناء عمرى فرأيت خصيته قد تدلت إلى حجرى فمددت يدى إليهما وقبضتهما وعصرت بقوتى عليهما حتى اغمى عليه فهمزت بقيت على صدره وكتفته أنا وأخى شيبوب وكفيت شره والله يا أبا الأبيض إنه اعجوبة من عجائب الزمان ولا له نظير من بين الفرسان لا فى العراق ولا فى أرض خراسان ثم أن عنتر لما زاد به الفرح وايقن بالامان وارتاح قلبه مقارعة الغضبان أنشد يقول

خليلى صرف دهرى لا نعادى ... واحتمل القطيعة والبعاد
يعاندنى الزمان بكل صرف ... لقد كذب الزمان بما يبادى
أنا أمضى من زمانى ياعذولى ... وذل الدهر لى عند الجلاد
يرانى كل جبار عنيد ... اقلقل جبره عند المناد
وغاية مقصدى ابغى ثناء ... اجاوب للصريخ مع المناد

ومن عجبى عجبت ومن حديثى ... بأن صارعت ليثا فى البواد
تمنى أن يرى الغضبان يومى ... وينظر مصرعى يوم الطراد
وقد عذرت لما صحت ملقى ... وما يعلم بما تحوى الأياد
يعاندنى بسائقة فلاص ... كأن عيونها حدق الجراد
فعدت به أسيرا غير أنى ... جرحت وأنتهى منى مرادى
وما قط راعنى بطل سواه ... ولم يفديه يوم الموت فاد
وكم من طعنة كانت بعزمى ... وقد طلع الغبار على الجياد
بسيف كان من عهد ابن عاد ... ذخيرة إلى حملات الاعاد
ومضرب الكسعوب تخال فية ... سنانا مثل مقياس الزناد
من تحت الإبجر مثل برق ... يخالف خلقه خلق الجياد
إذا ما سار كان له هفيفا ... كوقع القطر فى الأرض الجلاد
أنا عنتر وحامى آل عبس ... نهار الحرب خصما للميعاد
علوت بهمتى فخرا ومجدا ... واقبالا وسعدى فى ازدياد
ولى نجم سعيد قد تلألا ... وعزمى يفلق الصم الجلاد

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات طربت منها السادات وأرسلوا شيبوبا إلى الأبيات يبشر بقدوم أخيه عنتر ومن معه سالمين فركب الملك قيس وبنو عبس وتلقوهم وهنوهم بالسلامة أجمعين وكان أكثر الجميع فرحا بذلك عبله بنت مالك ثم أن عنتر سلم على الجميع وترجل إلى مضربه فاستقبلته عبلة واعتنقته وعن هذا الأسير الذى معه سألته فاعلمها أن هذا الغضبان فارس بنى كنانة الشيطان ثم باتوا إلى الصباح وهم فى حظ وانشراح وبعد ذلك أمر عنتر أخاه شيبوب بحضور الغضبان فمضى شيبوب إليه وأحضره بين يديه فجرد عنتر سيفه من غمده وأراد أن يضرب رقبته فقامت عبلة وعن ذلك منعته وقالت له يا ابن العم لا تفعل واعف عنه فان له عليك الجميل من وجوه عدة أحدهما إذا أسر ولدك حضر واعفا عنه وأطلقه ومن عليه بروحه وأعتقه والوجه الثانى أن العرب تقول أن عنتر لو ما خاف منه ما كان قتله ولا عجل له العطب وأنى أراه شكله يشابه شكلك فلما سمع عنتر كلامها وقال لها يا بنت العم الأمر أمرك وأنا لا أخالف قولك هذا الغضبن قد فرح بكلام عبلة وقال وحق ذمة العرب لولا عبلة لكنت شربت شراب العطب ثم إن عنتر قال لشيبوب تسلم هذا ابن الألف قرنان فأخذه شيبوب وقلبه

عليه لها قال وأما عبد الغضبان الخذروف فانه لما هرب من قدام شيبوب ما زال يركض فى البرارى والقفار حتى وصل إلى بنى كنانة وأعلمهم بتلك الأخبار وأن الغضبان قد أسر فى بنى عبس وانتصر عليه عنتر فى الحرب فاغتموا جميعا ولبسوا عليه السواد أما المنهال أبو دعدا فانه فرح بذلك وقال لقد استرحنا منه فسمعت ابنته دعدا ذلك فقالت له وكأنك حفرت له قبرا وزودت فى اتساعه فوالله لئن هلك الغضبان وإذاقه بنو عبس الهوان لتهلكنك أنت وبنو الضحاك ويحل بك منهم الارتباك لأنهم أقل ما يقولون لأحد دبر له هذه الأسباب إلا المنهال حيث أنك أرسلت حامية القبيلة إلى هذا الحال وعرضته للموت والنكال لما طلبت منه عبلة بنت مالك ورأس عنتر بن شداد فلما سمع المنهال من ابنته ذلك المقال أظهر الحزن قال وأما سروة أم الغضبان فانها لما سمعت بأسر ولدها فى بنى عبس وان الذى أسره عنتر تعجبت من صروف القدر فعند ذلك استدعت الخذروف ثم أمرته أن يشد لها هودجا على ظهر ناقة ويأتيها به من غير عاقة ففعل ذلك وركبت فيه سروة وقاد الخذروف بزمام الناقة وسارت قاصدة أرض بنى عبس حتى وصل إليها وسأل عن أبيات عنتر فارشدوه إليها وقالوا إذا وصلت إلى هلك السرادق الكبير تجد فيه أمير الدولتين عنتر فتوجه إليها الخذروف بعد ما أوقف الناقة وعقلها بفاضل الزمام ونزلت سروره وصاحت فى الخيام فدارت حولها العبيد والاماء وقالوا لها لا تحزنى فقد وصلت إلى الحى فقالت لهم أنا امرأة مظلومة وأتيت مستجيرة بصاحب هذا البيت فأسرعت إليها نساء الحلة وعلمت بذلك عبلة وكانت مع عنتر فى الخلوة وكانوا نياما من حر الهجير ما يدرون ما كان من التقدير وسمعت عبلة ذلك فخرجت إليها وقد تأملت لاجلها وقالت لها أقلى من البكاء فقد بلغنى المنا بوصولك إلى هنا فاكشفى لنا عن خبر فقالت سرورة أنا من عرب بعيدين عن هذه الديار وصرت قليلة الأنصار وقد قطعت أودية وقفار لأجل حاجة لى عند ابن عمك عنتر وله فيها الحظ الأوفر فضحكت عبلة من كلامها وزادا بتسامها وقالت لها يا أختاه ما هى حاجتك التى إليها محتاجة اعلمينى بها بلا لجاجة لأن ابن عمى راقد فى المضرب الذى عليه الديباجة فقالت سروة امضى إليه فان قلبى بشتبيه فرجعت عبلة واعلمت عنتر بقصة الجارية ودموعها على خدودها جارية فقال عنتر أحضريها حتى أسمع مقالها وأجاريها على سؤالها فغابت عبلة وعادت بها فدخلت وسلمت عليه وبكت بين يديه فقال لها عنتر أخبرينى عن حاجتك حتى أبلغك امنيتك فقالت سرورها حامية عبس وعدنان أنا أم أسيرك الغضبان وأن له قصة من عجائب الزمان فانى أنا سروة بنت الملك عمتير الكنانى الذى

لقيتني وأنت غضبان من بنت عمك عبلة وقتلت أخوتي اشرقتلة وتزوجتني في البر وخلصني من التابع الذي كان اعتراني من الجان بالتعويذ الذي علقته علي وقلت لي أنه كان لصديقك مقري الوحش فارس غسان وها هو في عضد ولدك فكيف يطيب على قلبك أن يقيم ولدك في الاسر والهوان قال فلما سمع عنتر كلامها طار قلبها من الخفقان وجرت دموعه على خديه وكاد أن يغشى عليه وقام من وقته وساعته إلى المضرب الذي فيه الغضبان والعبيد تجري خلفه والغلمان حتى وصل إلى الغضبان وأمر شيبوب بفك وثاقه وبخرجه اليه قوام فدخل عليه شيبوب وهو يقول مرحبا بابن الأخ المنصان صاحب السيف والسنان ثم قطع كتافه وخرج به من المضرب فتلقاه عنتر وضمه إلى صدره وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقال له والله يا ولدي ما كان أشفاقي عليك إلا من أجل هذا الحال فالحمد لله الملك المتعال الذي جمع شملي وانتظم الحال قال هذا والغضبان قد حار في أمره واندهش فاذا بأمه سروة قد رمت روحها عليه ثم قصت القصة عليه وأطلعته على باطنها وكان الغضبان يظن أنها مولاته حتى أنه تعلق ببنت المنهال وجرى له وخافت عليه من عنتر أن يقتله ولم يعرفه فانت اليه وأظهرت الأمر عليه ففرح الغضبان الذي أمه من بنات الملوك وأبيه عنتر بن شداد مبيد الفراعنة الشداد وقال الحمد لله رب العالمين الذي ما أسرني إلا أبي وهذا غاية مطلبي ثم أن سروة قالت للغضبان ياولدي أين هي التعويذة التي أعطيتها لك فقال لها ها هي في عضدي فقالت له أدفعها لأبيك فهو الذي أعطاني أياها ولما كبرت أنت أعطيتها لك خوفا عليك من التوابع أن يغتالك منهما أحد فقوى برهان عنتر لما رآها وتذكر صديقه مقري الوحش فبكى بكاء شديد ما عليه من مزيد هذا والغضبان قد ذهب عنه ما كان يجده من الأحزان لكون أن أباه عنتر وأمه سروة فصار بذلك فرحان قال الراوي وأما عنتر فانه أمر العبيد والخدام أن يضربوا لولده الغضبان وأمه سروة المضارب والخيام وقال لهم جميع ما أملك من الأموال والنوق والبغال والخيل الغوال والجواهر واللالي لولدي الغضبان يتصرف بهما بما يريد ولا لأحد يخالفه لا من الأحرار ولا من العبيد فقالت العبيد سمعا وطاعة فما بركها من ساعة قال الراوي هذا وقد شاعت في الحلة الأخبار بان الاسير الذي أسره عنتر فهو ولده ابن سروه بنت الملك عمير الكناني فاقبلت الفرسان والأقران من بني عبس وعدنان وأقبلت بنو غطفان والملك قيس وأخوته وأعمامه ورفقته وكذلك حضر الربيع بن زياد وأخوه شيخ العرب عمارة القواد وتقدم الجميع وهنوا عنتر بهذا الولد النجيع وسلموا على الغضبان الجميع وتقدم الربيع بن زياد إلى عنتر بن شداد وهناه وقال له يهنيك

يا أبا الفوارس الظفر بهذا الأسد المداعس فتبسم الغضبان وطرق برأسه إلى الارض فاسرها عنتر فى نفسه حتى اختلى بالغضبان ولده وسأله عن تبسمه عند قدوم الربيع فحكى له الغضبان على فعال الجميع وكيف زوجه ابنته وماجرى من حكايته فقال عنتر ياولدى أعلم أن هذا من أكبر أعدائنا فقال الغضبان ياأبتاه أنا أقتله وأبلغك منه المراد فقال عنتر لا يا ولدى هذا من أكابر بنى عبس وهو صهر الملك قيس وهم أهل وأخوان ونسايب وجيران فسكت الغضبان وبعد ذلك التفت شيبوب إلى سروة وقال لها ياستاه وهاتيك الجارية الكحلاء مافعل بها الزمان وأى شىء أصابها من طوارق الحدثان فقالت سروه باللعرب والله أن هذا الحديث من أعجب العجب ياشيبوب أن هذا الغلام المسمى بالخذروف فهو ابنها وهو والله ولدك منها لانه يطأها أحد سواك والدليل على ذلك أنه قوى العصب شديد الركب يصيد على رجليه الغزلان والارانب فلما سمع شيبوب منها ذلك الكلام قام إلى الخذروف وسلم عليه واعتنقه وقال له ياولد الحرام أنت الثعلب الذى زرقت من بين أفخاذى فى المنام فالحمد لله الملك العلام الذى جمع الاحباب بالاحباب فتعجب من تلك الامور هذا ما جرى لهؤلاء وما تم من افراحهم وماهم فيه من انشراحهم إلى يوم من بعض الايام خرج عنتر إلى الصيد والقنص واغتنام اللهو واللذات والفرص وأخذ معه ميسرة وغصوب والغضبان والخذروف ولد شيبوب المصان ثم صاروا يتصيدون إلى أن مضى نصف النهار وعادوا طالبين الديار فاتت طريقهم على غدير ذات الارصاد فوجدوا بنات بنى عبس يلعبن ويمرحن فى تلك المهاد فلما نظر اليهن الغضبان تذكر محبوبته دغدا وبعدها عنه وكم بينه وبينهما من الجبال والاودية الخوال فجرت دموعه على خدوده غزارا فباح بما فى ضميره وأنشد هذه الابيات يقول

محب شكا بعض الذى كان يكتم ... وبات يقاسى الهم والناس نوم
يكابد ألم الصبابة والجوى ... واحشاؤه نيرانها تتضرم
تراة سقيم الجسم من غير علة ... وكيف يصح الجسم والقلب مسقم
توحش من بعد الحبيب نهاره ... وقد غمه الاحزان والليل مظلم
إذا قيل فيما كان سقمك يافتى ... أقول طبيب السقم بالسقم أعلم
أكابد نار الحرب والقلب خافق ... وابدى التشكى والمدامع سجم
يزيد ضلوعى مع جنوبى زفيره ... وصار الهوى فى مهجتى متسلم
فلا أدمعى ترقى ولا النار تنطفى ... ولا القلب يسلاهم ولا الجسم يسلم
أضربى الاشواق والقلب دائما ... على الضيم والبلوى يصح ويقدم

كذا فليكن من يدعي الحب خالصاً ولا يستبيح الصبر إلا متيم

قال الراوى فلما سمع عنتر شعر ولده ومافيه من الهوى والهيمان قال له ما حالك أخبرنى بالذى جرى لك فأعاد عليه الغضبان عشقه لدعدا بنت المنهال وماقاسى فى حبها من الأهوال وقال له يا ابتاه وآخر ما طلب منى أن آخذ لها عبلة زوجة أبى تخدمها وطلب أيضاً رأسك لأجل أرتفاع قدرها بين أهلها وأنا أعلم أنه ما بقى يقيم فى الحى إذا علم بأنك أبى وبك أتصل نسبى فقال له عنتر طب نفساً فكأنك بدعدا فى ديارنا قد حصلت وفى أبياتنا وصلت ثم أنه نادى بعروة وقال له أركب وجهز رجالك ومالك حتى نسير فى طلب دعدا زوجة ولدى الغضبان من تلك الساعة فأجابه عروة بالسمع والطاعة ثم ركب عروة فى رجاله وسار عنتر وأولاده وتلاحقت بهم الفرسان وصار بين يديهم شيبوب والخذروف طالبون وادى السروا وحلل بنى الضحاك ويقدمهم عنتر الفارس الفتاك هذا ما جرى لهؤلاء وما تم لهم من الأحوال قال وأما ما كان من أبى دعدا فانه لما علم أن الغضبان مأسور فى بنى عبس أخذ أهله وابنته وقصد بنى كنانة قبيلته فلما وصل قالوا له نحن بلغنا أنك زوجت ابنتك إلى عبير الفاتك فقال لهم يا بنى عمى قد كان ذلك ولكننى طلبت منه رأس عنتر بن شداد مهرها وأرسته إلى قطع رأسه بسببها وصبرت لما أنه راح ومضيت إلى قومى حتى أتنى عندهم أرتاح فقالوا له نعم فعلت وما به أشرت وقد تنافرت إلى من أجل هذا الخطاب فقلت لهم أقصروا عنى اللوم والعتاب حتى أنظر ما يتجدد من الغضبان من الأسباب فعند ذلك عذرونى وتركونى على هذا الحساب قال الراوى وبعد أيام قلائل أتى إليه الخبر بأن المقدم دابق خال الملك الصعب وهو ملك بنى الريان قد أتى إليهم فى جماعة من الفرسان فخرجوا إليه أهل الحى واستقبلوه وانزلوه فى أعز مكان فلما استقر به القرار واجتمعت عنده الامراء التفت للمنهال أبى دعدا وقال له أعلم يا وجه العرب أن ابن اختى الملك الصعب راغب فى مصاهرتك وانفذ إليك خاطباً وفى ابنتك راغباً وهذا الأمر لك فيه الحظ الاوفر وإن كنت تأبى عن الاجابة آخذها منك بالسيف غصباً ولا ينفعك لوماً ولا عتباً فقال المنهال إن هذا الحال لا يقدر عليه إنسان لأن لها من يذب عنها بالسيف وأيضاً ما عندى بنات تصلح للزواج فليصنع ما أراد ثم قام ودخل على ابنته وقال لها يا دعدا قد جرى من الأمر ما هو كذا وكذا وقد أغضبته وعن طلبه منعته فقالت دعدا والله يا ابتاه لو كان جرى هذا الهذيان والغضبان حاضر كان سمع جوابه هذا الفاجر وما بقى إلا إننا نرحل من هذا المكان وننزل على الملك الأسود أخو الملك النعمان فأجابها إلى ذلك وأمر عبيده ومن عنده من الغلمان

أن يشدوا الرحال على ظهور الجمال فنعوه قومه من ذلك الحال وقالوا له لا تعجل فى الأمور وتأن على أمرك وكن صبوراً فاذا رأينا هذا الأمر ما لنا به طاقة رحلنا من هذا المكان والتجأنا إلى بعض ملوك الزمان فاجابهم إلى ذلك وأقام وسرح جماله والأغنام قال وأما دابق فانه رجع إلى ابن أخته وما زال سائراً إلى أن دخل عليه وقص عليه جميع ما جرى عليه فصاح الملك الصعب على رجاله وأمرهم بحرب المنهال وقتاله وركب فى خمسة آلاف فارس من كل مدرع ولابس وجد المسير إلى أن وصل بنى تميم وأحاط بالحى من كل جانب فركبت اليه الفرسان وطلبته الأقران وتصارخت الأبطال على بعضها بعض وجندلت الخيل طولاً وعرض وعلمت الرماح السمهرية وبرقت السيوف الهندية وتماسكوا بالاطواق وقام الحرب على قدم وساق ولم يزالوا على ذلك الحال حتى ولى النهار بالارتحال فولت بنو تميم الأدبار وكنوا للهزيمة والفرار وملك الملك الصعب أموالهم وأسرا بادعدا المنهال وقدموا للملك الصعب فعاتبه على ما بدا منه وقال بعد ذلك أريد منك ابنتك وإلا ضربت رقبتك فقال له المنهال أبشر ببلوغ الآمال ولا تؤاخذنى بما كان فالعفو من شيم الكرام فقبل عذره وترك لومه وعفى عنه وعن قومه ورد السبى إلى الديار ونزل عندهم وقربه القرار ولما كان من الغد خطب دعدا من أبيها على رؤس الاشهاد فزوجه بها بلا مهر ولا مال فأبى الملك الصعب من تلك الفعال وقد خشى معايرة العرب وكيف يأخذها بلا مهر ولا مال وقال له أصبر على حتى أعود إلى بلادى وأرسل لك المهر من النوق والخيل والأموال والعبيد والأماء فلما سمعت العرب هذا المقال حسدوا المنهال على كثرة الأموال وقال بعضهم أن دعدا تستحق أكثر من هذا المال ثم أن الملك الصعب رحل إلى دياره والاطلال وأرسل ما ذكره من المال مع خاله فاخذ خاله المهر وسار قاصداً بنى تميم حتى وصل اليها ودخل على المنهال فى أطلاله ودفع له المال مهر دعدا والصداق بين قومه ومن له من الرفاق وأمره أن يجهز ابنته فاجابه بالسمع والطاعة واجتهد فى صنع الولايم لقبيلته من تلك الساعة وبعد ذلك أخذ فى شغل ابنته وشد لها هودجاً على جمل باذن من الجمال وزينوا الهودج بالحرير العال وطلعت دعدا إلى هودجها وأمها جانبها وصارت الاخوان تلاعبها والعبيد قدامها وقد أشهروا فى أيديهم السيوف البواتر ولعبوا بالحراب والخناجر وساروا يقطعون البر والسباسب وما عندهم خبر من المصائب قال الراوى فبينماهم كذلك وإذا بغبرة من بين أيديهم قد ظهرت بين عجاجة قد ارتفعت فى القفار وأقبلت الرجال وهم ينادون يا آل خثعم الاخيار وفى أوائلهم فارس جبار وبطل مغوار وهو معتاد على سبى النساء الأحرار وهتك البنات الأبكار وكان عادته أن يحملهم فى بيته جوار وكان

يقال له سرحان بن بكر الخثعمي ويلقب بطارقة الأسحار وهو يعد بألف فارس مغوار وكان خرج من حلته بني خثعم في طلب غنيمة يغنمها وأموال يكتسبها حتى أشرف على الهوادج والأموال فكب رأسه في قربوص سرجه وحمل وزعق زعقة أدوت لها البراري وقال يا ويلكم أمنتم طوارق الأسحار حتى تسيروا بهذا المال في تلك البراري فخرج اليه دابق خال الملك الصعب وقال له يا ويلك عد على عقبك واعلم أن هذه التي في الهودج زوجة الملك الصعب الفتى الرئبال وهي دعدا بنت المنهال فلا تتعرض لمثلك وامض قبل أن تقع في الأشراك فقال طارقة الأسحار وفي أست أمك وأم الملك الصعب معك ثم حمل عليه وطعنه في صدره وأخرج السنان يلمع من ظهره فوقع جديلا ومال بعده على باقي الرجال الأجواد فأباد الجميع وتركهم بين جديل وصريع فولت بنو تميم الأدبار وكنت إلى الفرار وملك السرحان جميع الأموال والعروس وأمها وأبيها ونظرت دعدا إلى ذلك فأيقنت من المهالك وأكثرت من البكاء ثم صارت تقول وإذلاه وافضيحتاه أين عيناك يا غضبان تراني في الأعدا أذل وأهان فلما سمع السرحان بكاها قال لها لا تندبي يا غزالة البيداء قصيدك قد صادك صيدا وسوف ترين ما أوليك من الكرم والانعام واجعلك مثل بنات الملوك العظام فلم ترد عليه جوابا بل زاد بكاؤها والانتحاب وكثرت عليها الأحزان وتذكرت تقلب الزمان وكيف صارت أسيرة في يد هذا الشيطان فأنشدت تقول :

عيني جفت منامها شوقا إلى إلزامها ووجـدها متزايد
العبد عن أوطانها كم من ليالي ظلمة مسـودة أيامهـا
مرت علينا وانقضت أضواؤها وظلامها يا آل ودي فارحموا
من خانها أزمانها تبدي التأسف والبكا والدمع من أجفانها
فريدة مسبية ماسورة ما شانها إلا البكاء مع النحيب
قد غردت شوقا له ترى صروف زمانها فوقفت أسمع ما تقول
بصوتها وحنينها فأهاجني تعـدادها لحزنت من أحزانهـا
ناديتها مستخبرا عن حزنها ما شانها فلسان حالي قد أشار
ينوب عن ألفاظها حزني وتعديدي لما في القلب من نيرانهـا
وتأوهت من وجدها قد بان لي أعلانها هذا بكاء غريبـة
حنت إلى أوطانها كانت باطيب عيشة تختال مع أترابهـا
من نسل سادة وهي تأوي إلى جيرانها قد ألبست ثوب العنا

وتنقعت بامانها علقت بها أيدى الزمان ففارقت خــلانهــا
وديارها قد أصبحت متهــدما أركانهــا وتبدلت به حلانها
باليوم مع عربانها لولا القضاء لما غدت تبكى على عدمانها
وتخضبت دموعها بالدم فى جريانها وتشققت أثوابها
وتمزقت أردافها طرف ينوح كنوحها وأحن مثل حنينها
وتصاعدت نار الفراق وتسعرت شعـلانها وكذا بكاء شجية
تنعى على أوطانها وتحن كل حزينة لاليفها ومكانها
فتحملا على صاحبى رسالــتى بانها آل عبس ومع قراد
اليــوث من عدنانها إذا قراها مالكى ووصل إلى عنوانها
فاذا يفك رمــوزها متمعقلا تبانها قولوا له دعدا لقد
ملك العــدو عنانها ذليــلة حقــيرة تطلب رضا غضبانها
أوعدتــنى يا سيدى طــول المــدا بانهــا يا هل ترى سلوتى
أم ســـلا نسيانهــا أو غادرك صرف القضا والدهر مع أزمانها
يا ليتــه حضر العدا أو يعتــلم بهوانها لكان بدد شملهم
ولا اختشى فرسانهــا وكان حمانى قهرا منهمو وقطع من الأكف بناتها
ودعــدا تبقى ملكه ويلتزم بعنــانهــا يقطف لوردات الخدود
ويجتــنى زمــانهــا هل مخــبر خــلى بما فعل بى رمانها
من بعد صيد الأسد قد صادنى سرحانها يا خالقى يا رازقى
ترســل لنا غضبانها وترجع دار الهنا والعز بعد هوانها

قال الراوى فلمافرغت دعدا من هذه الابيات حتى طلع عليهم فارس من أسود وهو ينادى يالعبس يا لعدنان أنا مبيد الفرسان أنا حارى قصب الرهان أنا فريد العصر والأوان أنا الفتى الغضبان يا ويلكم انجوا سالمين قبل أو تصبحوا اعادمين كان الغضبان ومملتقاه بدعدا وحده بهذا المكان فانه لماسار مع أبيه عنتر وقلبه مشغول بداء العشق الذى ما بقى له معقولا ومازال سايرا من أبيه عنتر وقلبه كادأن ينفطر حتى قارب ديار بنى تميم قال لأبيه يا أبتاه أنى أريد أن أتقدم أمامك وأسير بين يديك حتى أكشف الخبر وأعود بجلية الأثر فقال عنتر يا ولدى دونك وما تريد من المرام فها أنا وراك فى هذا البر والآكام فسار الغضبان يقطع الأراضى والكثبان وكانت الطريق التى سار فيها الغضبان هى التى فيها السرحان فان أرضه قريبة من بنى الضحضاك من بنى عبس وغدنان فالتقاه الغضبان كما ذكر لأنه نظر إلى ذلك الطمن السائر

وتلك الأسارى فظن انها غنيمة فصاح عليهم انجوا بانفسكم يا كلاب العرب فها أنا الفتى الغضبان ونظرته دعد بالأعيان فاطمانت وزالت عنها الاحزان ورفعت سجاف الهودج وقالت له يا غضبان أنا محبوبتك دعد يا زين الفتيان قد أصبحت مشتتة فى هذا المكان أقاسى مع الأعداء الألوان فلما سمع الغضبان كلامها صاح باويلكم يا أندال خلوا عن المال والعيال ثم أنه حمل على الرجال وقد أباد الابطال وطعن فارسا محقه والثانى به ألحقه ولم يزل يصول ويجول ويبدد الفرسان عرضا وطولا حتى هلك عشرة من الابطال وتجنبت حربه الرجال ونظر إلى تاخرهم السرجان فحمل على الغضبان ووقع بينهما الضرب والطعان ساعة من الزمان حتى طعنه الغضبان شك فخذه فى جانب الحصان فوقع السرجان على الأرض فلما نظرت أصحابه إلى مقدمهم قد انصرع ومال على الأرض طلبوا غضبان بكل سيف يمان فصاح فيهم الغضبان وهجم عليهم كانه النمر الحردان وصاح يالعبس يا امدنان أنا بن عنتر بن شداد فارس العصر والأوان فلم تكن إلا ساعة حتى علا الغبار وزاد النقع التيار فصار الغضبان يطعن بالسنان فى صدور الفرسان حتى جعلهم رمما فى القيعان ولما طاب له الجولان واتسع عليه الميدان أنشد يقول هذه الابيات الحسان

لعمر أبيك لم أجحد جميلا	وقد زاد شرى الطويل
لقد نلت فوق العلا رتبة	وعيرى لها قط لا يستطيلا
وأصبحت قد حزت كل الفخار	وعدت لقومى عزيزا جليلا
وأعددت النائبات سنانا	طويلا وسيفا صقيلا
والسيف فى راحتى راحتى	أرد العزيز مهابا ذليلا
ولى سابغ من جياد الدروع	ويسمع للسيف فيها صليلا
وصهال من نسل خيل الشرى	يفوق البروق ويطوى السهولا
يسير فديتك ما يشتهى	ويسبق فى جريه الخيولا
أنا الفارس المندوب يوم المجال	على العادات صبورا حمولا
وفى السلم أبذل ما فى يداى	وأنفق فى البذل مالا جزيلا
وعنتر أبى صاحب المكرمات	جزيل العطايا شجاعا نبيلا
وانى إذا خضت بحر العجاج	أذل الكماة واردى الفحولا
ولى صولة فى حياض الحروب	أبيد الفوارس قرانا اكولا
واقتحم النقع بالصافنات	يوم المعامع عرضا وطولا
افرق شمل العدا فى الفيافى	واجعل منازلهم برقعا فلولا

قال الراوى فلما فرغ الغضبان من شعره حمل حملة فارس جبار وليث مغوار وزعق زعقة أدوت لها الجبال والأودية الخوال وبدد شمل الأعداد ونثرهم الحسام الفصال وهاج فيهم كما تهيج فحول الجمال فبينما هو على ذلك النفاد وإذا قد كبا به الجواد فوقع على الأرض والمهاد فادركوه الاعداد قبل أن يثور وتكاثروا عليه وأخذوه مأسورو قدموه بين أيادى مقدمهم السرحان وكان مجروح من الطعنة التى طعنها له الغضبان لان أصحابه كانوا حملوه وخلصوه من تحت أرجل الخيل فى الميدان وشدله جرحه الذى أشرف منه على الهوان وعند ما نظر إلى الغضبان وهو أسير وحصل له الفرح الكثير وقال لقومه شدوه على جواده حتى أسير به إلى قبيلتى اقتله بين أهلى حتى يشاهدوه أصحابى وأحبتى وسيروا بنا هذه الساعة فقالوا سمعاً وطاعة فبينما هم على ذلك الحال وإذا قد ظهر عليهم غبار ومن بين تلك الجبال انكشف عن فرسان كانهم العقبان وهم سمر الالوان ومن بين أيديهم عنتر ومن خلفه ثلثمائة فارس من بنى عبس وعدنان وشيبوب والخذروف كل منهم يهمز كانه النمر الحردان ونظر عنتر إلى الهودج فلم يجدهلم صبر اعنهم دون إن حمل وتبعته الرجال وصاح بالعبس فأجابه ولده الغضبان وقال له دونك يا أبتاه وهؤلاء اللئام واجتهدوا يا بنى الاعمام جودوا الضرب بالحسام فان محبوبتى دعدا معهم مسبية وأنا قد كبابى الجواد فوقعت فى هذه الرزية فلما سمع كلام ولده الغضبان تبذل عقله بجنان وصد الاعداء أشد صدام كذلك فعلت بنى عبس وذبحوا الاعداء مثل الاغنام وما عليهم عنتر بالحسام وميسرة ومازن وغصوب أنزلوا بهم والكروب ونظر السرحان ذلك الشان فصار حائرا ولهان وإذا بغصوب قد أدركه مثل فرخ الجان وصاح فيه أذهله وروعه وخيله وكان عرفه أنه مقدم القوم فما أمهله ووقف فى ركابه وتمطى وطعنه بالرمح فى فؤاده خرج أمعاءه وأعدمه رشاده ودام الامر كذلك حتى أملكه بنى عمه وباقى أجناده وما نجى إلا من كان جواده سابق وفى أجله تأخير ونفذ فى القوم حكم الإله القدير (قال الراوى) وكان المنهال انفلت وقت القتال وأراد الهرب وطلب البر راى الخوال وأراد أن يأخذ هود ابنته دعدا ويطلب الانفلال فادركه فارس من بنى عبس قتله وعلى الارض جندله وكان شيبوب والخذروف خلصوا الغضبان من الشد والوثاق بعدما كان اشرف على ضيق الخناق وملكوا دعدا وحلوها وفرحوا باجتماعها وسالوها عن ابيها فاعلمتهم أنه قتل ولا بقى لها غير أمها وأمها حم ينة لا تنشف لها دمعة ولا تبرد لها لوعة فقالت لها دعدا يا اماه إن لم تسيرى معنا وتقصرى لومك وإلا ارجعى من هنا إلى ديارقومك فقالت لها انا اعود إلى ديارى والاوطان واعيش عند اهلى بأمان فأجابتها دعدا إلى ذلك الشان واعلمت بذلك

الغضبان فاعطاها خمس عبيد وخمس جوار وقطعة جيدة من النوق والجمال ودعتها دعدا بفتها وسيرها الغضبان إلى أهلها وعادت بنى عبس طالبين الديار وفى أوائلهم عنتر فارس الفرسان. وهو فرحان باولاده الذين كانهم العقبان فهاجت بلابله والأشجان فباح بما كنت عليه ضمائره فاخرج يده من جلباب درعه طربا واهتز عجبا وأنشد يقول :

حمدا لمن جمع به الدهر شملا ... مخبرا عن حصولها ميلا
لاح بدر فى كاس در يتيم ... عسجدا رائبا ثباطيه يحلا
يا نديمى أدر كاس مدامى ... بنعيم أن التشاؤم ولى
قد صفى دهرى وعاش العيش آمنا ... وحسودى والرقيب تخلى
فاسقنى من بنت الكروم هنيئا ... قد صفى كاسها حين تجلى
فهى مرهم للجراح فى كل عصر ... وشفاء من كل داء وعلا
يا نديمى أن المدام حقيقا ... مذهب للهموم فرعا وأصلا
فادرها بين الظهور بروض ... وشقيق وياسمين وفلا
وظبيا من كل بكر رداح ... ومغانى بالدفوف علينا وتجلا
روحى وراحتى ورواحى ... راحى فى هوى حب عبلا

فلما فرغ عنتر من شعره طربت الفرسان من نظمه فعند ذلك تعلق الغضبان بالهوى والهيمان وقال والله يا أبتاه لقد شوقتنى إلى إنشاد الشعر والاوزان ومرادى أتبع قوافيك يا فارس الفرسان فان الولد إذا لم يتبع أبيه فلا خير فيه وأنا أريد أن أتبع قوافيك لانه قد أعجبنى معانيك ثم أنه الغضبان أجابه على عروض شعره يقول .

أقبلت دعدا نحونا فقالت أهلا ... جمع الله شملى أهلا وبعلا
أنعم الله لى بذى الوجه عيشا ... مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا
حب دعدا قد مازج الدم منى ... امتزاجا يا صاح مذ كنت طفلا
غير أنى والدم قد فاض منى ... صار طوفانه على الارض وبلا
ثابت لم أحد عن المودة والحب ... بقلبى ساكنا مستدلا
لا أخون الوداد ما عشت حتى ... ينقل الماء فى الغرابيل نقلا
بلغا حالتى لاهل زرود ... وأطرباني بذكر أهل الملا
فزمانى صفا قد جاء بصدق ... وودادى والبين عنا تخلا
أبى عنتر وأمى سروة ... وعرسى دعدا بالمحاسن تجلا

(قال الراوى) هذا والغضبان يحادث دعدا ويعلمها بما جرى عليه وأن عنتر قد ظهر أنه

أبوه ففرحت فرحا شديدا ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى أرض الشربة والعلم السعدى ونزلوا فى المضارب والخيام وفرح المقيمون بالقادمين ولما جاء الغد اصطنع عنتر لهم وليمة عظيمة الشان ودلت له الفرسان بهيبة ولده الغضبان وصار له أمر ونهى أكثر من الملك كسرى (قال الراوى) إلى أن كان فى يوم من الأيام دخل عنتر على بنت عمه عبلة فرآها معبسة الوجه فقال لها ما الخبر يا بنت العم فقالت له ويلك ياعبد السوء من الذى فعل مثلك من أبناء جنسك وقد أبليتنى بكثرة الضرائر وصار لك ثلاثة أزواج من بنات الأكابر ونسيت ما كنت فيه من رعى الجمال فى التلال ولبسك الصوف الخالص يا ابن الأنذال اذهب منى كنت من أصحاب الحية وما قد صار لك زوجات مسيمة مثل سرورة ومهربه فصعب ذلك عليه وقال لها والله يامنيه القلوب ما يطيب قلبى سواك ولكن يا بنت العم يجوز أن أطرد أمهات هذه الفحول الذى كل منهم فارس أكول ثم أنها بكت وتشهقت بالبكاء فطيب قلبها وأخذ بخاطرها وبات عندها حتى برد أخلاقها (قال الراوى) وقد أصبح عنتر مخمورا وإذا بالعبيد قد أقبلوا عليه وشكوا إليه قلة المرعى وعدم العشب والكلاء لان تلك السنة كانت قليلة الأمطار فلاجل ذلك جاء العشب قليلا فى القفار فلما سمع عنتر من الرعيان ذلك الأخبار استدعى باخيه شيبوب وقال له ياابن الام أن الرعيان قد شكوا إلى من قلة المرعى وأنت تعلم أن أموالنا كثيرة وأن هذه الأرض عادمة من العشب فهل تعلم لنا أرضا تكون خصبة النبات فى أى فلا فقال شيبوب أعلم يا أخى أنه لم يكن فى البلاد أخصب من موضعين وهما كثيران العشب أحدهما صحوات سحبل والثانيه هى أرض النعام ومرج الغراب ووادى الذئب وبينهما واد يقال له واد الزيت فاما صحرات سحبل فهى أكثرهم مراعى وأوسع مياه المساعى وهى لعرب بنى حنظلة وهما فى كثير وجيش غزير وهما أحباب وقرايب وأهالى ونسايب وأما أرض النعام ومرج الغراب ووادى الذئب فانها أرض واسعة يانعة ومياه نابعة فها قد أعلمتك بها فايها أحب إليك فاتبعه وانزل فى نواحيه وسرح أموالك فيه (قال الراوى) فلما سمع عنتر من شيبوب هذا المقال له ياأخى وهذه الأراضى والاطلال تسع نوقنا وخيلنا والجمال فقال شيبوب نعم تكفى أموالنا وغيره من المال وإنما أهلها لا يقعدون عن الشر والقتال ولا أحد يرضى أن يسلم أرضه لاسيما هؤلاء العرب الجهال فقال عنتر سر أنت بالأموال من صحرات سحبل واجعل ميسرة وغصوبا والغضبان حامية لهم فقال شيبوب نعم ما رأيته إلخ

والجمال لان هذه الثلاثة أبطال لا يبارن بعشرين الف فارس وقت ضرب النصال فعندها أمر عنتر عبيده أن تسوق جميع الأموال من خيل وأغنام ونوق وجمال وتتبعها الرعاة إلى تلك الديار والأطلال فاخذ معه أمه زبيبه ومسيكة وأم مجيد بن مالك وزوجها بدر بن شكر وسروة وموبة أمهات أولاده وترك عبلة فى الحلة وأمر أولاده أن تسير قدام الرعيان فعندها تجهز عروة وأبطاله وبهيج بن حازم ومجيد بن مالك وسبيع واليمن وكان فى الجملة الهطال إبن أخت عنتر وإبن عمه أسد الدحال ونازح بن أسيد وساروا طالبين صحرات سحيل ووادى الذئب وهذا الوادى كان شرقى بلاد اليمن وتلك الأطلال والدمن (قال الراوى) فقال شيبوب ياأخى إذا سرت أنت معهم ثارت علينا الفتن فقال عنتر وكيف العمل فقال شيبوب أخذ أنت قطعة من الأموال وأقصد بها أرض المثانى فانها أرض واسعة الفلا كثيرة العشب والكلا ودع أولاك ينزلون بصحرات سحيل ووادى الذئب فاذا نزلوا بذلك المكان فما يعرفهم أحد من العربان وأما أنت فانهم يعرفونك ويجتمعون عليك ويقاتلونك فقال عنتر صدقت يا شيبوب فى هذا الخطاب واشرت بالصواب ثم ان عنتر عرج على أرض المثانى وتلك الآطلال وقد أخذ معه جانبا من النوق والجمال قال الراوى وأما أولاده فانهم قصدوا صحرات سحيل ووادى الذئب حتى وصلوا اليه واشرفوا عليه وضربوا خيامهم فيـــه وركزوا أعلامهم وأقاموا فى ذلك المكان مدة من الزمان وإذا هم بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وبان من تحته بريق زرد ولمعان خود وخلائق مالكسرنها عدد فعند ذلك تبادرت أولاد عنتر وركب عروة بن الورد ورجاله الأجواد وركب مجيد وسابق ولاحق والهطال ومن معهم من الأبطال وجالت الخيل والجنائب فنظرت بنو عبس إلى ذلك البحر العجاج وعساكره التى مثل الأمواج وكانوا عشرة آلاف فارس من كل مدرع ولابس ومقدمهم فارس طويل القامة عريض الهامه وهو ينادى يا أولاد اللئام أنا الملك الهيلقام صاحب أرض النعام وأنتم من الذى أنزلكم فى أرضنا وجسركم على أكل اعشابنا فابشروا بالويل الطويل والفناء والتنكيل فاليوم ترون الموت عيان من فرسان بنى قحطان قال الراوى ولما بلغه خبر بنى عبس وعدنان وانهم نزلوا فى أرضه والاطلال وسرحوا فيها النوق والجمال ركب فيمن معه من الرجال التى ذكرنا وأقبل اليهم وصاح عليهم يا بنى عبس امضوا بارواحكم سالمين قبل أن تبقوا على الأرض ملقحين فعندها تلقتهم بنو عبس وعدنان ويقدمهم سبيع اليمن ونازح بن أسيد الهطال وأسد الدحال وعروة ورجاله الاقيال التقت الأبطال بالأبطال وجرى الدم وسال وعملت الرماح الطوال ووقع الحديد على

الحديد وجالت الفرسان الصناديد وحان الحين وزعق عليهم غراب البين وزادت المصائب والنقم وصاح عليهم ملك الموت ودمدم فلله در الفتى الغضبان فانه صار يحصد الفرسان بحد السيف اليمان ويخرق صدورهم بالسنان وأما غصوب فانه مزق بطعنانه القلوب وكذلك ميسرة فانه اوقد النار المسعرة هذا وسبيع اليمن قد انزل على الأعادى المصائب والمحن وجعل كل درع لصاحبه كفن وكذلك عروة والهطال ومن صحبهم من بنى عبس الأبطال فانهم اسقوا الاعداء كؤس الوبال وطعنوا فيهم طعنا جيد بكل رمح عسال قال الراوى فلما نظر الملك الهيلقام إلى فعال بنو عبس فى الصدام حمل على الغضبان وصدمه صدمة جبار لا يصلى له بنار فهاجمه الغضبان ولاصقه وسدعليه طرائقه وضربه بالسيف على عاتقه اخرجه يلمع من علائقه فوقع على الأرض صريع يعج علقما ونجيع ولما رأت بنو عمه ورجاله هذا كشفوا رؤسهم ووطنوا على الموت نفوسهم وصاحوا على الغضبان يالك من اسود قصف الله عمرك لانك قتلت سيدا كريما فتلقاهم الغضبان ومال عليهم بصدر الحصان فبذلت بنو عبس فيهم السيوف فلما شاهدت بنو قحطان ذلك الحرب الذى كالنيران ولوا الادبار وعاد بنو عبس يلمون خيولهم واسلابهم واموالهم ودوابهم ونزلوا فى خيامهم فعندذلك قال عروة للغضبان ارحل بنا ايها الأمير من هذا المكان قبل ان تجتمع علينا قبائل العربان فقال له الغضبان لا تخف ياعماه من فرسان هذه الوديان فوالله لو اتانا كل من كان تحت قبة السماء من العربان افنيتهم بالسيف والسنان فقال له نعم انك بطل الزمان ولكن نخاف ان نتعب معك يازين الفتيان وإذا قتل من اصحابنا احد شق اعداؤنا صدورهم ونالوا فرحهم وسرورهم فقال الغضبان صدقت فى هذا الكلام قم ياعماه نسير مثل ما امرت من المرام ثم انهم شدوا الهوادج عن ظهور الجمال وساروا ثلاثة أيام حتى وصلوا إلى جبال شهلان فوجدوها جبالا حصينة يصعد البهائم موضعين وهى مفروقة فرقتين فنزلوا فى تلك الأرض ونصبوا خيامهم وامنوا على اولادهم وعيالهم هذا وقد سمعت بهم العربان الساكنون فى ذلك المكان فاتفقوا على نهب اموالهم وسبى عيالهم وبنو عبس من ذلك الامر ماعندهم خبر حتى اجتمع عليهم عشرة آلاف مقاتل وتواثب عليهم جميع الاقوام وأرادوا ان يكبسوهم فى الظلام والناس نيام وكان بنو عبس من عهد ماتوا وهم على شراب راح فى المساء والصباح إلى يوم من بعض الايام قل من عندهم الماء فخرجوا إلى خارج الخيام فرأوا هذا الخلق الكثير وعاجه

الغزير فضاقت صدورهم وحاروا فى أمورهم وقال الغضبان والله أن الخطا منا كان بنزولنا فى هذا المكان ومابقى لنا عن هذا الخلق صبر ولا توان والرأى أننا نلقى هؤلاء الأعداء أولاد الزوانى لانى أراهم قد نزلوا على المناهل والغدران ومرادهم أن يمنعونا من الماء (قال الراوى) فقال ميسرة لا بدلى أن أخرج إلى هذه الوديان وأضرب بالسيف اليمان حتى أملا الروايا وأكفى رجالنا ودوابنا فقال له الغضبان دونك وما تريد وابذل مجهودك فى هؤلاء الأعداء وشتتهم فى البيداء قال الراوى عند ذلك نهض ميسره وأخذ معه عشرة رجال وساق بين يديه مائة راحلة وخرج من الجبال وزعق زعقة دوى بها التلال وحمل على الأعداء فى وسيع البيداء فاباد الفرسان وهلك الشجعان وأبادهم بالطعان وما زال على ذلك الشأن حتى كشفت الأعداء عن العيون والغدران وصاح على من معه من الرجال والغلمان فنزلوا فى الحال وملوا الروايا من الماء الزلال وحملوها على ظهور الجمال ورجع بهم وهو كانه الأسد الريبال ففرح بنو عبس بذلك الحال وهنوه بالسلامة ونيل الآمال وأقاموا على ذلك الحال أيام وليال حتى فرغ الماء من عندهم واشتكت العربان الغضبان وكان غضوب جالسا بجانب الغضبان وسمع شكاية الفرسان فقال لهم لا تحملوا هما فانا أنوب عن أخى الغضبان فى هذه النوبة وأملا لكم روايا الماء (قال الرواى) ولما أصبح الله الصباح أحضر الرجال وأمرهم أن يحضروا القرب والعبيد وروايا الماء ففعلوا ما أمرهم وسار قداميهم حتى أشرف على الأعداء وصاح فيهم بصوته الجهور وضرب فيهم ضربا يعمى البصر وطعن فيهم طعنا لا يبقى ولا يذر وما زال على هذا الشأن حتى كشفهم عن الغدران ونفاهم إلى أبعد مكان وصاح فى الرجال فلأوا الروايا والقرب ووضعوها على ظهور الجمال وساروا وغضوب من خلفهم حتى أدخلهم الجبال واستقبله أخوه الغضبان وهناه بالسلامة وكذلك شكره بنو عبس على ذلك الحال وأقاموا فى الجبال وتركوا أموالهم ترعى مده أيام حتى فرغت من عندهم المياه وقد احتاجوا إلى الماء فشكوا حالهم إلى الغضبان واستشاروه فى خروجهم من الجبال ويقاتلون بكل فارس وراجل فقال لهم الغضبان أنا فى غداة غدا أخرج وأملا الرواحى فقالت له الفرسان أنت لا تخرج ولا تقاتل الأعداء ولا تقدنا شخصك فاننا نفديك بارواحنا ونرد الأعداء بسيفنا ورماحنا .

﴿ تم الجزء السادس والثلاثون ويليه الجزء السابع والثلاثون ﴾

الجزء السابع والثلاثون

من سيرة عنترة بن شداد

(قال الراوى) فغضب الغضبان من هذا الكلام وقال له وحق الملك العلام لابد لى من الخروج إلى هؤلاء الانذال وأفرجهم كيف يكون الحرب والقتال ثم أنه نهض قائما على الأقدام واخذ معه عشرة من الأقران وحملوا الرواحل على ظهور الجمال وخرجوا إلى ظاهر الجبال وكان فرسان اليمن قد أرسلوا إلى القبائل يحشوهم نصرتهم وكان ذلك بعد خروج غصوب فاجتمع عليهم جيش كبير فى ذلك البر وفرسان مثل الجراد المنتشر وطلب الامير الغضبان فى ذلك اليوم فرأى العساكر وهم يزيدون عن ثلاثين ألف مقاتل فزعق زعقة أدوى بها الجبال وارتجفت منها الفرسان وانقض انقضاض العقاب فال على الأعداء بالحسام القرضاب فانصب أهل اليمن فزادهم البلاء والمحن فدام يكر على الفرسان ويضرب بالسيف اليمان حتى أورث الأعداء المذلة والحرمان وما زال يقاتل ويطعن فى الأعداء بالسيف الفاصل ويطعن فى صدورهم بالرمح الذابل حتى أعلموا أن أصحابه ملأوا الرواحل وحملوها على ظهور الجمال وعادوا بها إلى الجبال والغضبان حام لهم حتى أوصلهم إلى مكانهم من خلفهم ولما وصل الغضبان تلقته إخوته غصوب وميسرة فشكروه أحبابه على تلك الفعال السارة فاقاموا على ذلك الحال مدة أيام وليال حتى قل من عندهم الماء فشكوا الغضبان ما نزل بهم من العطش والظمأ فقالوا والله لقد كنا فى غنى عن دخولنا إلى هذه الأراضى والأوطان فقالوا له يا بنى الأعمام أن الجيش قد زاد وهو كل يوم فى ازدياد ونحن قد بقينا فى هذا الواد كالمحصورين وقد سمعت أنهم استنجدوا علينا بفرسان هذه الاقاليم والاطلال وهم الجراح وابن عمه هلال والرأى عندى أن نرحل من هذا المكان إلى واد غيره يكون كثير الأعشاب والغدران فاجابوه بنى عبس إلى الشان ورحلوا من تلك الدمن ووجدوا فى مسيرهم حتى أشرفوا على أول بلاد اليمن والغضبان يقول لهم اجتهدوا معى فى تلك الأعداء فانا أذب عنكم بسيفى والسنان ولو كان خلفكم الإنس والجان ولا تظنوا أنى أفتخر عليكم بشجاعتى فالكبير فيكم مثل أبى والصغير مثل إخوتى وهذه أول بلاد اليمن فما ترون من الرأى فانى عولك أن نسوق بين أيدينا الاموال حتى نصل إلى محل يكون

كثير المراعى ولا أبالى بمن فى الأرض ولو بعدد الزمان فلابد ما أقمهم بهذا الحسام قنا فقال بنو عبس ونحن والله ياغضبان لو أمرتنا أن نخوض البحار لخضناها ولو أضرمت لنا لاصطليناها فقال شيبوب يا ابن أخى أعلم أنه لم يكن أحسن من هذا الوادى بين أيدينا فان أنهاره جارية تسعى وهو كثير العشب والمرعى ولكن الرعاة لاتقدر أن تصل إليه والمانع لهم ذئب مقيم فيه مهول الخلقة مدعر الزعقة مقيم فى وادى وراء سجيل واسمه وادى الذئب وإن الرعاة قد امتنعت عنه وخافوا منه لأنه ذئب عتيق وقد أهلك جماعة من الرعيان واقتنص شيئا كثيرا من النوق (قال الراوى) فقال الغضبان سيروا بنا إلى هذا المكان حتى تهلك هذا الذئب ونملك هذا الوادى واجعل رعايتنا يرعوا فيه بأموالنا فسار بنى عبس إلى هذا المكان تبعا لمشورة الأمير الغضبان ومازالوا يقطعون الوديان حتى وصلوا إلى وادى الذئب وذلك المكان وإذا قد اعترضهم ذلك الذئب من جانب الوادى وطلبهم مثل ماتطلب بعضها الأعادى ونظر إليه الغضبان فلم يفزع به ولاخاف من زعقته دون أن يأخذ بيده ثلاث حربات وصار يتخطى إلته وحمل عليه فقام الذئب على قدميه وتمطى وقرن أذنيه وهجم على الغضبان وأراد أن يقوى عليه فضربه الغضبان بأحد الحراب فخرقت جلد الذئب ولم يقطع فضربه الغضبان بالثانيه وحذفه بالثالثة فلم تخط عن صدره فانصرع ومال إلى الأرض ورأته الرجال وهو يجندل على الرمال فامنوا على الأموال ودخلوا إلى الوادى بالأموال والنوق والجمال وضربوا الخيام وطاب لهم المقام مدة سبعة أيام وثامن يوم تسامعت بهم الأعراب من بلاد اليمن وشاعت أخبارهم فى تلك الأراضى والدمن وقالوا لبعضهم كيف نخلى بنى عبس تدخل ديارنا ويرعوا فى مراعينا ويدوسوا أرضنا وقد سمعنا أنهم ناس قليلون وفيهم أولاد عنتر الذى فعل فى بلادنا مافعل من قديم الزمان فقوموا بنا لأخذ الثار فقد آن الأوان مادام حصروا أنفسهم فى تلك الجبال حتى نبلغ بقتلهم الآمال (قال الراوى) وماكانت إلا أيام قلائل حتى امتلأ البر بالفارس والراجل ودارت حول بنى عبس جميع القبائل واحتاط بهم من كل مكان وجانب وسدوا عليهم الطرقات والمذاهب فقال لبنى عبس عند ماشاهدوا هؤلاء الرجال هيا بنى عمى نودعن أنفسنا هؤلاء الكلاب الذين ماحسبوا لنا حساب ثم أن الغضبان ركب هو وأخوه ميسرة وركب غصوب وعروة ومازن وباقى الرجال واصطفوا قدام أهل اليمن أمام الرجال وصاحوا عليهم وطلبوا ومنهم الحرب والكفاح فعند ذلك أبرز إليهم فارس من أهل اليمن يقال له عناب بن سنان وصال وجال فى أربع

أركان الجبال ونادى هيا بنى عدنان دونكم والميدان فانا عنان بن سنان صاحب هذه الأراضى والأوطاد وقد أتيت فى طلب الثأر منكم بالصارم البتار فان كان فيكم فرسان تخرج إلى وتلقانى فى الميدان فليبرزوا إلى وإن كنتم عاجزين عن القتال فسمو الى أرواحكم وأرسلوا إلى أهلكم يحضروا فداكم والاضربت رقابكم فاتم سنان كلامه حتى برز اليه غصوب وسار قدامه ولم يتركه من حقده عليه أن يفتل عنانه حتى طعنه بالرمح بين ثدييه أطلعه يلمع من بين كتفيه ونادى ويلكم يا أنذال أنا غصوب بن عنتر مبيد الرجال الفجار دونكم وأخذ الثأر وإلا فاهربوا من قدامنا واطلبوا الفرار (قال الراوى) وكان تقدم من أهل اليمن فارس يقال له خزاعة صاحب همة وشجاعة فالتفت إلى الفرسان وقال لهم يا بنى عمى ساعدونى على هؤلاء الكلاب فعند ذلك برز له فارس من فرسان اليمن يقال مالك بن ضبيان والتفت إلى خزاعة وقال له قف مكانك حتى أريك أنا ما أفعل بهؤلاء الفرسان ثم أن مالك ابن ضبيان برز إلى الميدان وصال وجال وأنشد وقال :

سل الخيل عنى يخبروك بأننى — همام لدى الهيجاء أروع باذل
أكر على الفرسان فى حومة الوغا — واشبعهموا ضربا بحد الفواصل
فدونكمو يا آل عبس وبادروا — أسوق المنايا يوم كرب العوامل
أنا مالك المعروف فى ملتقى العدا — بقلب سديد مثل صم الجنادل
فمن رام يلقانى يبادر لحلتى — أجرعه كاس القنا من فمائلى
هلموا يابنى عبس إلى حومة الوغا — سأفنيكمو عند اللقا بالذوابل

(قال الراوى) ثم أن مالك بن ضبيان صال وجال وحمل يطلب الحرب والكفاح فخرج إليه الغضبان وقال له يا كلب يا ذليل ما الذى أغراكم على قتالنا هل علمتم أننا عاجزون عن قتالكم حتى تعرضتم إلى من يبيد أقصاكم وأدناكم يا ويلك يا قرنان متى سمعت أن فرسان بنى قحطان انتصرت على بنى عبس وعدنان وما جرى على عقولكم حتى تجتمعتم لقتالنا فوالله ما أنتم إلا غنيمة ولابد من فناكم ونهب أموالكم وسبى نسائكم ثم أن الغضبان أجابه على عروض شعره يقول :

أيا أيها المغرور بين الجحافل — فانت جبان كالح الوجه جاهل
سل الخيل يوم صحراء سحبل — ورحف العدا نحوى تهز الذوابل
يخبركمو نقع العجاج بانبى — غضنفرها الهمام قرن المنازل
سالنا جيوش الحرب عند قتالنا — فأجابونا بصدق الأقاول

وقالوا لنا إثنان لا بد منهما سيــوف رماح علقت بذابل
إذا النقع بالظلماء زاد تقتما وبيض الظبا تجلى ظلام القساطل
وكم جحفل خضناه فوق خيولنا فالعمر باق والمــدا متطاول
وإنى وإن دام العجاج مطابقا ألاقى المنايا لا أهاب الجحافل
واردى كماة القوم فى حومة الوغى وأوردهموا طعنا بسيف الدوابل
وكم لى قتيل كلما جالت العدا وثار غبار النقع والسيف عامل
وسوف أذل اليوم جمع جيوشكم واخرب أطلالكم ومنازل
وأنت تعود اليوم ملقى معفرا على الأرض ترثيك النساء التواكل

قال الراوى وبعد ما نظم الغضبان ما قال من هذه الأوزان أخذه على خصمه الضيق والخنق وتمطى فى كعب الرمح وطعنه فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره وحمل على الفرسان عزق صدورهم فلما رأى العدا ذلك البلا والدمار علموا ما لهم طاقة على لقائه ولا اصطبار فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وعاد الغضبان مثل شقيقة الأرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان ونظر الغضبان إلى كسر الأعداء وكيف تفرقوا من بين يديه فى جنبات البيداء فانشد يقول :

بمناخ بازلة كففت فوارسا نهلت قناتى من دماهم وهمتى
وقاتلا نزلت بصحرا سحيــل فى جرعاتها باعون عمدا قتلتى
لا قاهموا منى همام باسل طعنت قناتى جمعهم وفراستى
ولقد طعنت أميرهم بمثقف فهوى بمزق صدره من طعنتى
ولقد وردت غدير صحرا سحيل وعليه كل صميدع ذى قوة
وطعنت خداش بن مرة طعنة فهوى صريعا من أوائل ضربتى
ودعست جمعهموا باجر باسل بددت شملهموا غدا متشتت
ولقد تركت بقاع صحرا سحيل قتلاهموا وسط الفلا مرمية
يا أيها الريح المبوب تحملى عنى أبا الفوارس نعم رسالة
قولى له الغضبان فى يوم اللقا أفنى عدا الفرسان جمعا بجملة
تركت فى البيدا دماهم منهلا للواردين من الوحوش ولمة
والطير يأتوا يشربو لى دماهمو سمعوا النداء ممن أجاب لدعوة

قال الراوى ثم إن بعد ذلك جمعوا الأسلاب والخيل الشاردة والأموال والذهب ودخلوا فى الجبال وأقاموا بها خاليين البال مدة من الزمان ورتبوا لهم دبادبة كأمرهم

الغضبان يحفظون الطرقات والوديان إلى يوم من بعض الايام خرج أولاد عنتر يتفرجون في البر والاكام وإذا قد أقبل عليهم غبار وعلا وثار وسد الاقطار وانكشف الغبار عن عشرة آلاف فارس ويقدمهم فارس قسور وليث غضنفر يقال له الامير جعفر قال الراوى وكان السبب فى قدوم هذا العسكر المنهزمين الذين انهزموا من قدام الغضبان فانهم ساروا إلى الأمير جعفر ودخلوا عليه وأعلموا بقدوم أولاد عنتر وما فعلوا فى حقهم من كل أمر منكر فغضب من ذلك الكلام وصرخ صرخة دوت لها البرارى والآكام وصاح فى رجاله ومن له من الأقوام وكانوا عشرة آلاف فارس تمام وكان هذا الأمير جعفر من فرسان بنى قحطان المذكورة وأبطالها المشهورة وهو فارس بلاد اليمن ويأتى إليه الغبارة من صنعاء وعدن وحكمه نافذ فى جميع الأراضى والدمن وهو سيد من سادات بنى قحطان وله دماء قديمة على بنى عبس وعدنان ويتمنى أن يأكل من لحمهم قطعة ويشرب من دماهم جرعة لان عنتر قتل للأمير عنتر أخا وابن عم وكان هو صغير فيأتى ليأخذ لنفسه بالثار قال الراوى ولما نظرت بنو عبس إلى ذلك الغبار ايقنوا بالذل والدمار وأما أولاد عنتر فانهم عادوا إلى الجبال مخافة أن يأتى الأعداء من خلفهم ويشغلوهم بالقتال ولما دخل أولاد عنتر إلى الجبال وأمنوا على خيلهم أقاموا حتى ظهر ضوء النهار وتبادروا إلى الأعداء مثل شعل النار وكان أول من برز فى ذلك اليوم يريد الحرب ميسرة بن عنتر ولما توسط الميدان جال وصال وطلب الحرب والقتال فتحدر اليه فارس بنى قحطان ولطم ميسرة وقال من تكون أنت من فرسان بنى عبس وعدنان فقال ميسرة ويلك يا ابن الانذال أنا ميسرة بن عنتر بن شداد فدونك الحرب فعندها حمل جعفر عليه وصوب سنان الرمح اليه وانطبقا على بعضهما وكان لهما ساعة كشف الموت فيها قناعة وكان فارسا جبارا فضايق ميسرة وقام فى ركابه وضرب ميسرة بالحسام ضربة مشبعة تمام فالتقاها ميسرة بقبة الدرقة فنزل عليها السيف مثل الصاعقة فقد الدرقة ووصل ذباب السيف إلى كتفه جرحه وكان أن يعجل حتفه لان ميسرة لم يكن من رجاله ولا يعد من أشكاله فعاد ميسرة من قدام جعفر مجروح ودمه على جثته مسفوح ولما وصل إلى بنى عبس تلقوه وشدوا له جراحه وقال له غصوب ولما استعجلت بالنزول إلى هذا الشيطان فقال ميسرة أردت أن أذيكم روحى إلى طابق الجولان فقال غصوب أنا أخرج اليه وآخذ روحه من بين جنبيه ثم أن غصوب اهمز جواده وقصد ناحية جعفر وقال له من انت حتى جرحت أخى يا ابن الارغاذ سوف أعجل هلاكك واجعلك طريحا فوق المهاد فقال له أنا الأمير

جعفر سيد بنى قحطان ولابد أن آخذ منكم ثار من قتلتم لنا من الفرسان أذيقكم الذل والحرمان ثم أنه حمل على غصوب وأخذ فى الضرب والطعان حتى تحيرت من فعالهما الاقران واختلف بينهما ضربتان راصلتان فاما ضربة غصوب فانها نزلت على رأس جعفر قطعت الدرقة والخود وصلصلت من المغفر وأما ضربة جعفر فوقعت على رأس غصوب بذلت دماه وأسكرته فتاخر إلى وراء وإذا بالغضبان قد هجم على جعفر وهو يهدر كالاسد الاغبر وزاد به الغيظ وصدم جعفر صدمة جبار قاسى النوائب والاخطار فتلقاه جعفر فى حومة الميدان وأخذ معه فى الضرب والطعان حتى كل من تحتهما الجوادان واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الغضبان اخطأت وضربة جعفر نزلت على يد الغضبان فجرحت زنده وكان النهار قد ارتحل وأقبل الليل اتسدل فعاد الغضبان من قدام خصمه وهو متألم من جرح يده ولما وصل تلقاه عروة بن الورد وعن جواده أنزله وتولاه وكذلك بنو عبس أقبلوا إليه وعن خصمه سألوه فقال الغضبان والله ما هو إلا شيطان وما كان خروجنا إليه إلا من أعظم الاخطار وأريد أن لا يخرج منا إليه أحد بدو صلاحنا وتطيب جراحنا ونحن بعدها نخرج ونبادر أمرنا فى أخذ ثارنا فاننا فى محل مضيق ونخاف أن يمسكوا علينا الطريق فقال له غصوب أما أنا فلا انفع للقتال مادام الجرح فى رأسى سيال وقال الغضبان وأنا والله مثلك لان ساعدى اليمين لا يطاوعنى على الضرب بالسيف اليمانى وقال ميسرة وأنا مثلكما لان جرح كتفى قد أورثنى الخبال ثم أنهم تضايقوا من تلك الاحوال واضطرب أمرهم إلى القتال فقال الغضبان أعطونى رمحى لاشده تحت ابطى واركب الحصان وإن أحوج نزولى إلى الميدان حملت أمامكم على الرجال وافرق جمعهم يمينا وشمال قال الراوى فلما سمع غصوب كلام الغضبان ركب جواده وخرج من الخبال وخرج بعده ميسرة وتبعتهم بقية الرجال ولم يزالوا على ذلك الحال إلى أصبح الله بالصباح هنالك ركب جعفر فيمن له من الابطال وطلبوا الصدام وكان بنو عبس أجير من أعدائهم بضرب الحسام فحملوا على الفرسان واهلكوا الاقران وأحلوا بهم الذل والانتقام ولم يزالوا فى صدام حتى أقبل الليل بالظلام فرجعت بنو عبس الكرام وقد قتلت من اليمن ذلك اليوم الفا ومائتين من الفرسان ولم يقتل من بنى عبس ولا انسان بل رجعوا بأمان ثم أن الغضبان قال لاخوته ان صدقتم خلفى غدا فى القتال مثل هذا اليوم كسرنا القوم وانزلنا بهم الخبال الراوى فهذا ما كان من بنى عبس وأما ما كان من قبائل اليمن فان الامير جعفر طيب قلوب قومه وقال لهم أنا فى غداة غد أطلب برازهم

وأبدل بالذل إعزازهم ثم باتوا على ذلك الايضاح حتى أصبح الله بالصباح فكان أول من طلب الحرب والكفاح جعفر وخرج إلى الميدان وأخذ يصول ويجول هنالك حمل عليه ميسرة كأنه الأسد الأكول وكان فى مقدمة بنى عبس الفحول فتلقاه جعفر وقال له سوف ارغم أنفك وأطير بهذا الحسام قحفك فقال ميسرة دونك والقتال ودع عنك الفشار يا ابن الأنذال ثم انهما اصطدما وانطارو تضاربا بالسيوف الحداد تطاعنا بالرماح المداد حتى وقع التعب بهما كب ميسرة وصار يتطير إلى أن فرغ النهار وانفصلا عن القتال ورجع ميسرة إلى أخوته ولما رأوه فرحوا بسلامته وقال الغضبان والله ما قصرت فى مداراتك لهذا الشيطان فقال ميسرة وقد استحى من هذا الكلام وحق خالق الأنام ورب زمزم والمقام لا أرجع عن قتال غريمى حتى انصر عليه أو أشرب كاس الحمام فهذا ما كان من بنى عبس الكرام قال الراوى وأما ما كان من جعفر فانه بات من غيظه لا يذق المنام حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وبرز جعفر يريد الحرب والكفاح فقفز إليه ميسرة كأنه أسد من الأسود واختار لنفسه العدم على الوجود فقال له جعفر ما الذى بان لك منى فى الصدام حتى خرجت إلى وتعرضت إلى شرب كاس الحمام فقال ميسرة لما علمت أنك مقدم على هذه العساكر واريد منك أن تبعده معى فى الصحراء بعيدا عن قومى وقومك لأنى أعلم إذا نصرت عليك فلا بد لبنى عمك أن يمنعونى من الوصول إليك والرأى عندى أن نبعد أنا وأنت عن الفريقين فقال جعفر أفعل ما تريد فان هذا أمل بعيد قال الراوى وكان قصد ميسرة فى أبعاده عن قومه وعشيرته لأجل إذا نصر عليه لا أحد من إخوته يطلع حالته ولما أن أبعد فى القفار تضاربا بكل سيف بتار هنالك وقع التعب بهما كب ميسرة فصار يلتفت يمينا وشمالا وضاقت به الأحوال (قال الراوى) فبينما هو كذلك وإذا بغبرة قد طلعت وبان من تحتها فارس وراجل ولما نظرهما جعفر ظن أنهما من قبايل اليمن فقال لميسرة يا غلام أنى أرى فارسا وراجلا مقبلين فى الفلاة فظن ميسرة أنها حيلة من جعفر فقال ميسرة صف لى هذا الفارس والراجل فقال جعفر أما الفارس فهو أسود اللون وكأنه قلة من القلل أو قطعة نصلت من جبل وجواده أدهم كأنه الليل إذا أظلم وأما الراجل فهو دقيق الساقين وله همزات كهمزات الغزال وهو هائم بين الروابى والتلال فلما سمع ميسرة هذا المقال قال له ابشر يا جعفر بخيبة الآمال لقد أتاك الموت الأحمر والبلاء الذى مالك منه مهرب ولا مفر فان الراجل عمى شيبوب والفارس أبى عنتر قال الراوى ثم أن ميسرة صاح بأعلى صوته من شدة ما قد اعتراه بنداه وقال أدركنى

يا أبتاه فهذا خصمي جعفر دونك وإياه فلما سمع عنتر ولده ميسرة يصيح عليه بهذا النداء اسودت في عينيه البيدا وهجم على جعفر وصرخ فيه وطعنه بالرمح بين ثدييه أخرج السنان يلمع من بين كتفيه فانجدل صريعاً يمج علقماً ونجيعاً ثم أن عنتر أقبل على ولده ميسرة وهناه بالسلامة من هذا الجبار ونظر عنتر إلى جعفر وهو يبحث الأرض بيديه فاطمأن قلبه على ولده وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

جاد على الزمان بالاحسان ورأيت أولادى بكل أمان
ونظرت ميسرة وجعفر فى القنا تحت العجاج كأنهم أسـدان
ورأيته شبلى فى مشتجر القنا يبدو التجلد فى التقى ولهان
بادرته منى بهمـة ضيغم عاداته يسطوا على الاقران
ودهمت جعفر دهمة عبسية وسنان رمحى ثابت الخرصان
وطعنته فشققت مانع صدره فهو كظما يبحث القيعان
ولرب يوم قد طعنت لمدجج فمضى سنانى نافذ الأبـدان
وتركته فى الأرض يبحث ثاويا من بعد صولته على الأقران
انى لعنترة الفوارس دائمـا حامى العشائر من بنى عدنان

قال الراوى وبلغنى أن عنتر بعد ما مضى عن مصرع جعفر وتركه مصروعا فى القفار من عليه بعد السفار فرأى الروح فيه تتردد فحمله إلى حلته فقال له بعض أصحابه هل تكن جرحك سليمة فقال لهم من بعد طعنة عنتر فى الفؤاد لم يرج الأنسان السلامة هذا شيء لا يكون قط يا أجواد ثم أنشد يقول :

ياصاحبى فى يوم صحرا سحبل رأيت زوال الدهر فى حاميا
تركت بوادى سحبل مع ثلاثة سحائب دم لايبرح الدهر هاميا
وذات لى الأقوام حتى كاننى ظننتهم عظاما رفاتا بواليا
إلى أن أتانى عنتر بحسامه وسنانه العسال أدنى حاميا
إذا ما أتتنى الثلاكلات فانعنى اليهم وخبرهم بفقد سلاميا
وقودو فلو صى فى الركائب فانها ستضحك سرورا ثم تبكى مداميا
وقولا لامى ضمنى القـبر بغتة وصارت عظامى فى المقابر بواليا
وقولالها أن تضمم القبر ساعة وعساها بضم القبر تشفى فؤاديـا
تمنى قتيلا يوم صحرا سحبل عليه سواقى فى الريح تبدوا سواقيا

فمن بعده ما سقت الخيل غارة ولا هزت الأبطال سمرا عواليا
ولا جردت بيض المواضى فوارس ولا نادمت الأبطال من ملاقيا

(قال الراوى) وكان السبب فى مجىء عنتر إلى ذلك المكان وذلك أنه بعد مسير أولاده ورفقته إلى بلاد اليمن أخذ ما بقى من الأموال وصار يخرج كل يوم إلى المراعى إن ان كان يوم من الأيام نزل بواد كثير المياه وأمر العبيد أن تسرح الأموال فى قضاه وقعد هو تحت شجرة يستظل بها وإذ بثلاثة رجال كرام من غير سلاح كانوا سايرين فى تلك البطاح فاستقبلهم عنتر بوداد وأجلسهم وسألهم عن حالهم وعن تجردهم عن السلاح فى هذه الفلوات فقالوا له أننا كنا ضيوفا عند مقدم بن كنانة وكان عنده مغانى كثيرة فسكرنا حتى قام كل الجالسين إلى مضاربهم ونحن قد بقينا نسمع تلك المغانى إلى الصباح ولما خلونا من الخمر والراح افتكرنا ما فعلناه من الأمور القباح واستحينا أن نعود إلى محلنا الذى كنا فيه فى وقت الانشراح فخرجنا كما ترى وطلبنا ديارنا والمأوى فقال عنتر والله لقد خاطرتم بنفوسكم فى هذه البطاح وكان عنتر له رمح من البولاد وهو أربعة وعشرون كعبا ويتركب بعضه فى بعض فقطعه من بعضه فجعله ثلاث رماح وركب على كل قطعة سنانا وأعطى كل قطعة منه إلى واحد من الثلاثة وفرق عليهم عدة السلاح ولم يبق فى يده إلا سيفه الضامى فقط وقال لهم بوجوه العرب تسلحوا بهذا السلاح فانكم سائرون فى البطاح وهذا دبر لا يأمن فيه الانسان من قتال العرب الاوقاح فشكروه وساروا طالبين الرحيل وما بعدوا عن عنتر غير القليل حتى طلع على عنتر خمسمائة فارس أشاوش فساقوا نوق عنتر والجمال وهو ساكت ينظر اليهم ولم يتحرك من ذلك المكان حتى غابوا عن عينيه وإذا هو ببعض فرسان بنى كنانة قد أقبل اليه وقبل يديه ووضع له عدته بين يديه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن عبيد القوم انتظروهم أن يقدموا عليهم عند الصباح فما عادوا فركبوا خيولهم وأخذوا عددهم والسلاح وطلعوا خلفهم حتى لحقوهم ولما جاءتهم عددهم قالوا لبعض الصواب أن أحدنا يعود إلى ذلك الفارس ويسلمه عدته ويشكر فضله على ما أولانا من نعمته فانه فى البر وحده وما له رفق من جنده وعنده أموال ونوقه وجماله ثم رجع أحدهم إلى عنتر بعدته وسلمها اليه فاخذ العدة عنتر باهتمام وتقلد بالحسام وزحف خلف تلك الأقوام وقال لشيبوب سر قدامى خلف القوم فسار أول يوم وثانى يوم حتى أشرف على القوم فلما رأوه ضموا المال مع خمسين فارسا وحملوا عليه هذا

وعنتر قد صاح عليهم وقال ياويلكم ياأوغاد أنا عنتر بن شداد كيف تغيرواعلى أ.والى وماتخافوا من سطوتى ومجالى قال الراوى والله حين ماسمعوا صوت عنتر تفرقوا فى البر الأقفر هذا وعنتر صار يضحك على فعالهم وعاد عنهم ولم يتبع آثارهم وعاد وجلس فى المكان الذى كان مقيما فيه فبينما عنتر كذلك إذ برجل حدار سائر فى القفار فلما نظر عنتر ولى هار بافقال عنتر لجرير أدرك هذا الحدار وأتنى به حتى آخذ منه الأخبار فانطلق خلفه وقدمه إلى عنتر الذى قال له يا شيخ لا بأس عليك ما حال الناس فى بلاد اليمن أخبرنا بما رأيت من أهل تلك الدمن فقال الحذار يا مولاى أهل اليمن مشرفون على الهلاك ونحن من أجل قوم غرباء من هذه البلاد وسمعنا عنهم أن فيهم أولاد عنتر بن شداد ولكن أهل اليمن حصروهم فى الجبال وجرحوا سادتهم والأقيال (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الحدار ذلك المقال أعطاه عشرة من النوق والجمال وأخذ جرير الحدار وطلب البيداء وما زال يخب فى البرارى والقفار حتى وصل إلى صحرات سحبل وتلك الأوعار ونظر ميسرة أنه أشرف على الهلاك والدمار لان خصمه كان فارس جبار فأرسل عنتر أخاه جرير يكشف الأخبار فاتى وسمع صياح ميسرة وهو يقول أدركنى ياأبتاه فعاد جعفر إلى عنتر وأخبره بالخبر وقال له أدرك ولدك ميسرة وخلصه من هذا الجبار فانه فى مقام الأخطار فادركه عنتر وطعن جعفر فقتله ورجع عنتر وميسرة إلى ناحية الجبال فرأى العربان مع بنى عبس فى حرب وطعان ووالده الغضبان يجول عليهم ويخطف أرواح الفرسان فحمل ميسرة وتبعه أبو الفوارس عنتر وشيبوب ينادى أبشر ياغضبان بقدوم أبيك عنترة الفرسان فهاج الغضبان ومال على الفرسان وجود الضرب بالسيف اليمان والطعن بالسنان وكذلك الهطال وشبيع اليمن قد أنزلا بالأعداء المصائب والمحن ومزقا بالرماح الصدور وأجريا الدماء كالأنابيب من النحور وجرى على الأعداء القدر المقدور وسمعت الأعداء صوت عنتر ورأوا ضرباته التى لا تبقى ولا تذر فقالوا لبعضهم البعض هذا عنتر بن شداد مذل الفراعنة الشداد ثم أنهم ولوا الأدبار وتشتتوا فى فلوات القفار هذا وعنتر من ورائهم ومعه أولاده وباقى فرسانه وأجناده وملوا أسلاب الأعداء من الخيل والعدد والسلاح والذهاب ورجعوا إلى محلهم الذى كانوا فيه ونزلوا فى نواحيه وباتوا وهم فرحون بالنصر والظفر وفرحوا بهلاك الأعداء وشتاتهم فى البر والبيداء ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أمرهم عنتر أن يجدوا المسير

والرواح ورحلوا وهم طالبون الديار وعنتر بين أيديهم كانهم أسد هدار وإلى جانبه ولده الغضبان وغصوب وميسرة والفرسان وعنتر فرحا بسلامتهم وسلامة باقى الأصحاب لما تمادى به المسير تذكر مافعلت به الأيام والدهور وماجرى له من كل أمر مذكور فانشد يقول .

أرقت وراقنى البرق اليمانى	يلوح كانه مصباح دانى
فكان ضوء المعلق فيه	قبيل الصبح ما نطق الغوانى
إذا كرهت منازلها فدعها	ولا تنزل بمنزلة الهوان
فنعم فوارس الهيجاء قومى	إذا مسكوا الأعنة بالبنان
وانى قد ملكت الآن رمحا	ثمان فى ثمان فى ثمان
وسيفى ماضى الحدين عضب	أخوض به الوغى والموت دانى
دعانى دعيهم والخيل تجرى	فما أدرى أ اسمى أم كنانى
وميسرة كشفت الموت عنه	بطعنة فيصل لما دعانى
وكنت مجاوبا والقلب منى	ليخفق رأفة والعقل كانى
وكم من فارس تركت ملقى	كساه الدم حلة أرجوان
تحوم الطير عاكفه عليه	كما عكفت على عرس الغوانى
ويمنعهن ان يأكلن منه	يداه ورجله إذ تبحثان
وبصحبنى صناديد كرام	بأيديهن عصى الصولجان
وأقبية الحرير ترى عليهم	مزردة برز الشيرسان
وعبلة بالملام تهدد عزمى	وقالت صدعنى وأتركانى
رمانى الدهر مع عبيد نجيب	سيه الليل أسود طمطمان
بصدر واسع رحب جسيم	وآذان كقوس الديدبان
ومالى عندها عيب ولكن	تشوف أخى وأمى أدهمان

قال الراوى ثم انهم وصلوا إلى حلتهم وأقاموا فى مواضعهم فهذه الرواية العراقية وأما رواية السيرة الحجازية فانه لما قال عنتر لاخيه ياأخى جهز مسيرنا إلى صحرات سحبل ووادى الذئب ويكون ميسرة وغصوب والغضبان حامية لهم هم أمر الرعيان أن تسوق المال والجمال فعند ذلك قالت لعبلة ومن يرعى أموالى فقال سأجعلها أموالى ففرحت وقالت والله ما أريد أحد يرعى أموالى غيرك فقال سأسيرك بها إلى أرض النعام ثم أمهلها

شيبو با أن يعلم الرعيان والدين لعبلة أن يسوقوا المال إلى أرض النمام وشد شيبوب هودج عبلة على بعير بازل وركب عنتر فقاد شيبوب زمام الجمل ولده الخذروف قائد بزمام ناقة زبيبه وهم يقطعون البرارى والآكام حتى أشرفوا على الأرض النمام فسرحوا الجمال والنوق وضربوا لعبلة قبة حمراء على رابية خضراء فاصبحت الأرض مستانسا بالسكان وفي يوم من الأيام وعنتر جالس وبجانبه عبلة وإذا بالرعيان قد أقبلوا عليه وهم يصيحون فقال ما حالكم وما الذى نالكم فقالوا له قد ظهر علينا فارس متعمم بعمامة حمراء وشادد وسطه بمنطقة صفراء ومعتقل بقناة سمراء ومن خلفة الف فارس كانهم الجن والأبالس وقد شنوا الغارة على أموالك يا أبا الفوارس فلما سمع عنتر مقالهم قال لهم صدقتم فى صفة هذا الفارس وما كذبتم فقالة شيبوب أراك صدقتهم فى وصف هذا الفارس هل تعرفه من قبل هذه الأيام فقال عنتر كيف لا أعرفه وأنا مؤثر فى كتفه أثرا هذا أنس بن مدركة الخثعمى ولكن الحقه يا شيبوب وقل له هذه أموال أخى عنتر بن شداد فاتركها وامض من حيث أتيت والا تكون قد ظلمت نفسك وعلى عدمها تعديت فانطلق شيبوب حتى لحق أنس بن مدركة وقال له ما أعمى قلبك من دون العباد يا ويلك يا ابن الأوغاد تغير على اموال عنتر بن شداد وهو من تلك الرابية ينظر اليك وأنا قد أتيتك لاعلمك خوفا عليك (قال الراوى) فوالله لما سمع أنس بن مدركة بحديث عنتر أمر رجاله أن ترد المال فى الحال وقال له يا أمير والله أنى أخطأت ثم ترجل عن جواده إلى الأرض والمهاد وأقبل على عنتر ابن شداد واعتذر اليه بما جنته يديه فقبل عنتر عذره وعفى عنه وأمره بالجلوس وقال له يا أبا الفوارس أنت حاضر فى هذا المقام وأولادك فى أسر صعصعة بن العوام يقاسوا مرارة الانتقام فكاد قلب عنتر ينفطر لما سمع هذا الكلام وقال له يا أنس كيف كان أسرهم حتى قدر صعصعة بن العوام عليهم فقال له والله لا أعلم لذلك خبر وقد انبهر وتحير فطلب جواده الأبجر وودع أنس بن مدركة وسار طالب الأخر بلاده وصحبته فرسانه أما عنتر فانه أمر أخاه شيبوب بأن يأخذ عبلة وجميع أموالها ويوصلهم إلى بنى عبس ويعود اليه فى ذلك المكان فبينما عنتر كذلك وإذا بفارس طويل عريض مقبل اليه ومعه عبد أسود فتبينه وإذا هو بالربيع بن زياد فقال عنتر إلى أين يا ابن الأجواد فقال له الربيع اليك يا فارس الطراد فاننا ما جئنا إلا اليك لأجل ما نقص قصتنا عليك ثم أن الربيع اشار إلى العبد الذى معه يحكى لعنتر ما جرى وتدبر من الأمر المنكر قال الراوى وكان السبب فى أسر أولاد عنتر الكرام ووقوعهم فى أسر صعصعة بن العوا هو أنه

لما أمرهم أبوهم بالمسير إلى صحرات سحبل وتلك الآكام بادروا فى المسير ولم يزالوا سائرين مدة ثلاثة أيام حتى وصلوا إلى أرض واسعة الفلا وإلى جانبها وادكالزمرد ذو عيون تسرح وغزلان تمرح وفيهم عربان لايحصى كثرتهم عدد إلا الواحد الاحد وهم لاصقون بيوتهم إلى بعضهم البعض وقدضاق بهم فسيح تلك الأرض فبينما أولاد عنتر سائرون وإذاهم بفارس قاصد إليهم وقال لهم حياكم ياوجوه العرب الغوال فقالوا له وانت الحيايازين الابطال فقال لهم اعلموا أن ملكنا أرسلنى على أن اسألكم أنتم من أى البلاد وماتكون انسابكم فى العرب الاجواد فقال له الغضبان ومن هو ملككم والحاكم عليكم فقال له ملكنا صعصعه بن العوام سيد بنى مزينة الكرام فقال له الغضبان نحن فرسان بنى عبس أهل الحرب والصدام وإن كان يريد أسماء الآباء والأجداد فانا ابن عنتر بن شداد وهذا المال ماله ونوقه وجماله ونحن طالبون صحرات سحبل ووادى الذئب لاجل أن ترعى فى عشبها فعاد الفارس واعلم الملك بماقاله الغضبان من الكلام قال الراوى فلما سمع الملك الكلام قال لمن حوله من الاقوام الآن قد أمكننى الزمان لآخذ حق بنى فزارة وآخذ ثارى بالقوة والشطارة لأن عنتر قتل أبى بحملتهم على جفر الهباة ثم أنه استدعى ذلك العبد الذى أتى مع الربيع بن زياد وقال له امض إلى أولاد عنتر وقل لهم أن الملك يقول لكم أهلا وسهلا فقد قدمتم على الرحب والسعة والملك مراده أن تضيفوه وتقدموا عليه حتى يزيد لكم الاكرام والانعام اكراما لوالدكم عنتر البطل الهمام وتقيموا عنده ضيوفا ثلاثة أيام وبعـــد ذلك سرحوا أموالكم فى البرارى والآكام فلما سمع الغضبان قال من دعى فليجب هذا شأن الكرام وأمر القبيلة أن تسوق المال والانعام وتسرح بها فى البرارى والآكام وساروا جميعهم لاجل السلام على الملك صعصعة بن العوام وكان صعصعة قدرتب العبيد بالسيوف وأوصاهم إذا قدم بنو عبس للسلام وجلسوا لاكل الطعام فاصبروا عليهم حتى يمتلئوا من الخرة أجمعين ولم يعرفوا الشمال من اليمين فاخرجوا اليهم فى عاجل الحال واقبضوهم من غير مطال وأوضعوهم فى السلاسل والاغلال وكل من تعاصى عليكم اقتلوه والذى يسلم روحه كتفوه فلما سمع العبيد ذلك الكلام أجابوه وفى ساعة الحال أقبل الغضبان واخوته فرحب بهم وتلقاهم بالفرح والسرور وأمرهم بالجلوس لجلسوا فى ذلك المحضر وبعدها أخذ يسألهم عن أبيهم عنتر فصاروا يخبرونه خبر بعـــد خبر حتى أقبلت العبيـــد بالطعام فاكلوا حتى اكتفوا وقدموا

اليهم فدارت عليهم اقداح الراح حتى تنصف النهار وعلم أن الخمرة قد لعبت بروسهم فغمز العبيد فقاموا عليهم من قريب وبعيد وهم لايعلمون وأخذوهم بغتة وشدوهم كتاف وقووا منهم السواعد والاطراف هذا والغضبان وغصوب وميسرة ماهم واعين لا نفسهم قال الراوى ومما اتفق من الاتفاق وأن عنتر كان قدقتل أبا صعصعة يوم حفر المياه وكان بين صعصعة وفزارة نسب من جهة النساء وكان حذيفه وحمل أولاد بدر من بنى فزارة حاضرين وهما من أعز الناس إليه فلما أخذا اولادعنتر بالغدر أخذهما الفرح فقال صعصعة لمن حوله من العرب لان أخذت ثارى وأكشفت عارى وسأقتلهم واسير إلى ديارهم وأفنى كبارهم وصغارهم ثم وضعهم فى القيود والأغلال ووكل عليهم العبيد الشداد وكان هذا العبيد مطاوع من جملة العبيد وهو جبار عنيد وكان بألف بنت مولاه صعصعة سعدى وكانت فتنة بنى مزينة فلما قبض مولاه على أولاد عنتر فما خفى عليه أنهم فرسان شجعان فتقرب إليهم وسألهم عن حالهم فلما عرف حقيقتهم ضاق صدره عليهم وقال لهم وحق ذمة العرب الكرام لوكان لى قدرة على خلاصكم لبذلت المجهود فى فكاككم لانى لست عاجزا عن الحرب والقراع وإنما أقدار أن أوصل خبركم إلى أهلكم فان خلصتم تحلفون وانكم تجمعون بينى وبين سعدى محبوبتى فقال له الغضبان أى وحق الملك الديان إذا جاء أبى وقومه وفرسانه إلى ذلك المكان وخلصنا مما نحن فيه من الذل والهوان نفرق هذه الجموع فى أقل من خمسة أيام وأنا الغضبان بن عنتر البطل الضرغام فانت ياوجه العرب أرسلت خبرنا إلى والدنا الطود الباذخ والجبل الشامخ ونحن على مانقول معاهدون وبكلامنا صادقون وأحكمك فى أموال صعصعة ابن العوام وأسلمك ابنته ولو كانت على ظهر الغمام قال الراوى وكان العبد مطاوع يعلم سيده أنه كثير الغارات والغزوات وما كان ينكر عليه أحواله هم سائر الاوقات فطلع من عند أولاد عنتر وركب جواده وقصد ديار بنى عبس وعدنان وهو زائد الاجتهاد فوقع به الربيع ابن زياد وسلم عليه وسأله عن حاله فاخبره بما جرى له وقال له أنا رسول إلى عنتر بن شداد من عند أولاده الأجواد فانهم أسارى عند الملك صعصعة بن العوام فقال له الربيع وصلت ياابن الكرم ثم سار به حتى وصل إلى عنتر كما ذكرنا وتقدم مطاوع إلى عنتر وقبل يديه وأعاد قصة أولاده عليه وكيف احتال عليهم مولاه وأسرهم بالمحال ومدبر من الفعال فلما سمع عنتر حديث العبد قال قطع الله سباله والله لاخربن أطلاله وأنهب أ. واله وا ي

حريمه وعياله ثم أن عنتر أمر الربيع أن يسير إلى أبياته ويأمر أخاه شيبوب أن يلحقه إلى ديار صعصعة وأن يكتم خبرة عن بنى عبس وعدنان فسار الربيع إلى الأوطان وأما عنتر فانه سار مع العبد مطاوع طالب صحرات سحبل وهو فى نار قد أحرقت أكباده من أجر سجن أولاده وأما شيبوب فانه غاب ساعة وعاد إلى أخيه عنتر فقال له عنتر أرسل العبيد إلى الحلة وجهز لى عروة ورجاله بالحلة وكذلك عمى مالك وولده عمرو وعمى زخمة الجواد مع فرسان بنى قراد ولا تعلم أحداً بخبرنا حتى نأتى بهم إلى هنا وأنا أنزل بوادى اليعمورية إلى أن تعود أنت بتلك السرية فسار شيبوب طالب الديار وقد أسبل الله عليه ظلام الاعتكار ودخل على عروة بن الورد وأعلمه بالحال وفى دون ساعة دخل مالك وولده عمرو وأعلمه بذلك الامر وأيضاً زخمة الجواد وجميع بنى قراد وكان عدتهم مائتين وخمسين ألف فارساً مثل الأسود عوابسا راكبون على الخيول الجياد وبين أيديهم شيبوب وولده الخذروف الاسد الوثوب وساروا بهمة قوية حتى وصلوا إلى و دى اليعمورية وكان عنتر ينتظرهم إلى غدير الماء ولم يعلم هو عليه وقال له أين عزمت بالمسير بهذه الهمة والعزيمة فاعلمه عنتر بسر أولاده فضاق صدر عروة بن الورد واحترق لذلك فؤاده وقال له والله ماصعصعة إلا ملك عظيم وجبار جسيم حوله عسكر كثير غير قليل وعنده من جبابرة الأبطال مثل الامير عطاف ومنيع بن جحاف ودثار بن حنظلة ونصر بن منصور وزيد بن عوسجة وظالم بن صفوان عفيف ابن قادم وعامر بن سليم وفهر بن عدنان وعمر بن مازن وجرعان بن كامل وحافل وجابر وسعد ومشعل ونوفل بن جاسر ومقمر بن ضبيان ومثل هؤلاء الفرسان وكلهم يركبون فى عشرين ألف عنان وتريد أن تلقاهم بحامية عبس وأنت فى خمسمائة فارس من الشجعان فقال عنتر عروة ماهذا الكلام الذى لايقوله إلا كل جبان قليل العقل خرفان فقال له عمه مالك يازين الأبطال والله لقد صدق عروة فيما قال لانى والله ياابن أخى أعلم أن كل فارس من هؤلاء الفرسان الذى وصفهم إليك يقدم على كل قبيلة ويلقى الالفين فى الميدان فإذا سرنا نحن إليهم على هذا الشان يكون على أمور خطيرة فى مسيرنا بهذه الشرذمة اليسيرة فاغتاظ عنتر من ذلك القول وقال لهم أنا وأولادى فينا الكفاية لمن ذكرت أنت وعروة من الاقران أما تتذكر ياعماه فى مكة عند تعليق القصيدة كيف بددت الملوك حتى مرغت خدودها بين يدى على الصعيد فقال له عمه والله ياولدى أنا ماقلت لك هذا القول إلا شفقة منى عليك وخوفاً أن تصل الاذية اليك فقال له عنتر جزيت خيرا ووقيت سرا وضيرا ثم أنه جدو قلبه على

أولاده يتلظى بنار السعير وكلام عمه مالك وعروة قد زاد غيظا وزفيرا فانشد هذه الأبيات

رجال الوغى إذا أقبلت من جحورها ... وكان اصطلاها فى الحروب فطورها
وصالت وجالت واستطالت على الورى ... وكرت وفرت ثم ثارت شرورها
وجالت واجلت بالصوارم كربها ... ودارت رحاب الحرب كنت مديرها
ياعم ما الحرب عند اشتباكه ... سوابا ونار الحرب فارت قدورها
ياعم أنى سوف أترك مزينة ... حنظلة فى الحرب تدما نحورها
أياعم أيام الصبا قد تركتها ... فهانيك أيام وهذى كسورها
أيا عم لاتسأل سوابا عن اللقى ... إذا ما الملا ملا العدا بحيولها
ستعلم أعدائى مقامى وسطوتى ... إذا كنت يوم الروغ سقل عدادها
فابعد عن الأوطان فى حومة الوغى ... إذا هاج حر النقع عند ازديادها
وإياك أن يرهبك جمع فانهم ... إذا اجتمعوا كانوا بسيفى جزورها
فدع عنك هذا القول وخلنى ... لحرب مزينة تلتقينى نظيرها
إن أردتم قرار عند حرب وحلتى ... فانتم حماة الحرب إذا ثار نقعها
وإن أدتم نجاة فالرماح خوارق ... إلى صدرهم ثم المنايا تزورها
أياعم سارع للحرب بهمـــة ... وبادروا إلى حرب يشب سعيرها
فما المرء إلا من يكن قبل موته ... يؤثر فى الأعداء أمورا تدبرها
فدع عنك أمرا قد تولى وخلة ... فما جاهل الوقعات مثل خبيرها
ولا حافظ السر المصون كبائع ... ولاسائل الأشياء مثل مشيرها
ساتركهم ان طول الله مدتى ... كما قد تركنا فى الحبات بدورها
وأجسامهم رزق الوحش كانهم ... طعام إلى عقبانها ونسورها

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات ترجل عمه مالك اليه وقبل صدره وبين عينيه واعتذر عما قاله اليه وقال لا تؤاخذنى يا ابن أخى فيما قلت من الكلام والعفو من شيم الكرام فقال له عنتر ياعماه وحق البيت الحرام لا بد ما أريك فى هذه النوبة ما تذكرنى به مدى الايام ثم انهم ساروا حتى قربوا إلى الوادى الذى كان فيه بنى عبد عند دخولهم ذلك المكان فقال العبد مطاوع لعنتر يا مولاى ما بقى بيننا و بين القوم إلا يوم وأنا قد عولت على أمر نبلغ به المراد وأريد أعلمك به ياابن الأجواد فقال له عنتر وماهو الرأى ياوجه الرب فقال آخذ أخاك شيبوب معى وأسير به إلى عند ملكنا وأعرضه عليه وأقول له هذا رأيته فى المراعى فاذا قال لى أطلقه وأعتقه فلا بد هناك من أحد يعرفه فيقول هذا شنأوب أخو عنتر فاذا امرنى بحبسه

فاحبسه عند أولادك فاذا فعل ذلك أصبر أنا إلى الليل فادخل عليه أفكه سريعا وهو يفك الجميع وعند الصباح تغير أنت على المراعى فتأخذ اموالهم فيطلبوكم من كل جانب لاخذ اموالهم منكم فاكون قد أحضرت لاولادك الخيل ليركبها أولادك ويأتوا من حلفهم فيأخذوهم مواسطة وإذا لم يكن من يعرفه فيأمر الملك باطلاقه فيدورن فى الحلة إلى الليل فيطلقهم وأكون قد أحضرت لهم الخيل وعلى أى حال تميلون على أعدائكم كل الميل فتبلونها بالذل والويل فقال عنتر هذا رأى صواب فقال شيبوب والله يا أسود ماهذا إلا رأى أعوج ومن الذى يكون سايب ويرضى بالتكتيف ورمى روحه فى المصايب فقال عنتر ما أظن أن قوله قول عدار للاخوان فاسمع منى وطاوع يا أخى كى نجازى مطاوعا بالاحسان فقال شيبوب أنا والله فى هذه السفرة قل سمعى وعمى بصرى فقال عنتر يا شيبوب كيف تخاف وأنا وراك فضحك شيبوب وقال له ويلك ماهذا الكلام المزوق ونحن إذا قدمنا إلى الملك صعصعة وعلم أنى أخوك شيبوب أمر بضرب رقبتى فضربت فما تصنع تصنع فهل تقدر أن توصل رقبتى بعد اتلاف مهجتى فضحك عنتر من قوله ومازال شيبوب حتى أنعم وأجاب فكتفه عنتر وسلمه إلى العبد مطاوع فاخذه مطاوع وسار وهو يلتفت إلى أخيه عنتر ويقول له لاتتوانى عنى يا ابن الام فقال شيبوب لاخيه عنتر هذه الابيات :

أسير ووجدى زائد فى سريرتى ... وإن أخى قد كان أصل بليتى
وأوقعنى فى نكبة لم أطيقها ... ويأخذنى من رام يتلف مهجتى
يقدمنى قدام صعصعة الذى ... إذا ماعلم حالى تدانت منيتى
لقد كنت معدما على المكر والدها ... وقد حارت الافكار من عظم حيلتى
فجاءنى عبد بالمحال وقادنى ... يروم بوصلتى لسيد مزينة
وعنتر يقول طاوع وسير إلى العدل ... لقوم أعاد قاصدونى لنكبتى
الا يا ابن ابن أمى إن علمت بما جرى ... على من الاهوال أسرع لنجدتى
وإن كانت الاخرى واصبحت ثاويا ... فتاخذ بثارى من لئام العشيرة
واوصيك اولادى تحن عليهما ... فانهما حزبى دون اهلى ورفقة
وقد اسلمت أمرى لمن يرى ... حثيث دبيب النمل فى جنح ظلمة

قال الراوى فتبسم العبد مطاوع من شعر شيبوب وقال لاتخف أيها الأمير من المكروبه فانا أكون فداك وحق علام الغيوب ثم انهما سارا طالبين بنى مزينة ومطاوع العبد يتذكر حب سعدا بنت مولاه صعصعة فزاد به الهوى والبلبال فانشد وقال هذه الابيات

أسير وفى الاحشاء منى صبابة ... وجمر الظى يشتد داخل فؤاديه
لعلى أرى سعدا بعينى نظرة ... أبل بها شوقى والقى التهانيا
فان تجمع الأيام بينى وبينها ... يكون لقلبى فرحة واضطرابيا
ترى لى نصيبا أن أفوز بحسنها ... وأبلغ على ضعفى لما كنت راجيا
فان قدر الله العظيم بلطفه ... أكون بعون الله نلت أمانيا
فهل من مبلغ عنى لصعصعة الذى ... له صولة فى مزبنـــة راعيا
يقول له وبجمع قحطان فى غد ... وربدا تروا ليثا هماما موافيا
يصول على الاقران صولة ضيغم ... وعاداته صيد الأسود الضواريا
يكر ولا يلوى إذا الخيل أقبلت ... يقد الاعادى هامهم بالمواضيا
فلا رب خيل يتركون زعيمهم ... طريحا وتنسوان الاعادى بواكيا

وما زال العبد مطاوع سائر بشيبوب حتى وصل إلى الخيام فدخل به على صعصعة بن العوام فلما رآه له من أين هذا العبد يا مطاوع الذى أنت مقبل به وهو لك تابع فقال له يا مولاى رأيته فى مراعينا وهو فيها طامع وما أدرى إن كان ضالا عن الطريق أم ضائع وإلا سلالا فى أمور الناطامع فلما رأيته كتفته وأتيت به إليك تفعل به كما تريد فقال له الملك صعصعة هل ترى يا مطاوع أخذ شيئا من الأموال وأنت خلصته منه بالقتال فقال له يا مولاى ربما يكون سيدة أرسله فى أمر مهم أوقعت أنت به فاطلقه الآن فبينما هم كذلك وإذا برجل من المجلس صرخ صرخة عظيمة وقال فيها الملك أتدرى من هذا العبد الذى عزمت على اطلاقة فقال لا الله فقال له يا ملك هذه الصاعقة المبرقة فالنار المحرقة هذا مثير الشر بين عربان البر هذا مخرب الاطلال هذا شيبوب أخو عنتر فعندها فرح صعصعة لما سمع هذا الكلام شكر عبده مطاوعا على هذه الفعال وقال له خذه يا مطاوع واحبسه عندأولادأخيه فقيده ولا تبقيه فعند ذلك أخذ مطاوع وأضافه إلى عند الغضبان ومن معه من الفرسان فلما نظر الغضبان إلى شيبوب زادت عليه الهموم فالكروب وقد ضاق صدره وتحير فى أمره وسأله عن حاله فاخبره بما جرى له فقال الغضبان لا تخف فنحن الذى أرسلناه إلى أبى بهذه الأوصاف فقال شيبوب وأنا كذلك عارف بهذا الشان وسوف ترى ما تقى به عيناك فان أباك عن قريب قادم إليك بمن معه من بنى قراد أصحاب الهمم والجلاد هذا ومطاوع قد تركهم وعاد وصبر حتى أظلم فاتاهم بباطية ملآنة من الطعام فقدمها للعبيد فبعدما أكلوا الطعام قدم لهم المدام حتى غلب عليهم المنام فتركهم وقام وأطلق شيبوب ومن معه الفرسان الكرام وأعلم شيبوب بمحل الخيل الجياد وبمحل العدد

والسلاح وتركه وراح هذا ما كان لهؤلاء من الشان فأما ما كان من عنتر الفارس الصجاح فانه صبر لما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح شرحت الأموال فى تلك الروابى والبطاح خرجت عليهم بوقراد وفى أوائلهم عنتر فساقت الأموال وضربوا فى أقفية العبيد وفى أقرب وقت وصل إلى الحى الخبر فلما سمع الملك صمصمة بهذه الفعال ركب فى الحال وقلبه محترق على ماله فصار يحرض رجاله على القتال بهذه الابيات

أنا البطل الندب حامى العرب ... إذا قام للطعن سوق الحرب
أروى الرماح وبيض الصفاح ... بدم الكبود وشحم اللبب
واترك خصمى نهار القتال ... عفير الخدود رهين الترب
حميـــت الديار وسكانها ... بنيت للمجد افتخار النسب
وخلصت جارى من أسره ... وجندلت بالسيف رقاب العرب
وبلغت قومى جميع المراد ... وفرجت عنهم عظيم الكرب
أنا صمصمة شيخ مزينة ... أميرا مليك من الامراء منتخب
ورثت الشجاعة والدا بعد والد ... وحزت الفخار ونلت الادب
إذا حلت فى الحروب يوم القتال ... عزمت فرسانه على الهرب
وتشكر فعلى سرات الرجال ... وتمـــدحنى فى نجاح الطلب

(قال الراوى) فما زال سائرا فالفرسان خلفه تتبادر حتى لحق عنتر ومن معه فوقعت العين على العين فعند ذلك حملت أبطال الطائفتين وحان الحين فتصادمت الشجعان فى حومة الميدان فدار الضرب وطار عقل الجبان وثار الغبار إلى العنان فدار الضرب والطعان وزاد الكرب على الجمعان فسكات الميدان وفارقت الروح الأبدان وتمددت القتلى كبان وتمنى الجبان أنه ما كان هذا وعنتر ينكس الافران فطعن فى صدور الشجعان فنادى أنا مدل الاقران فملك الغدارين فى هذا الزمان أنا أبو غصوب فميسره فالغضبان وهو ينشد هذه الاوزان

أنا أبو الغضار ذى البأس والندا ... وقد ذل يوم اللقا من تقدم وابتدا
أنا فارس الفرسان والبطل الذى ... بنيت بحد السيف مجدا مشيدا
دعونى أوف السيف فى الحرب حقه ... إذا ما طما بحر المنية مزبدا
ألا مبلغ عنى مزينة قومها ... بأنى فى الهيجاء والحرب مفردا
أنا عنتر العبسى فارس قومه ... أخوض المنايا ندفدا ثم فدفدا
تعودت ضرب السيف والطعن بالقنا ... وكل أمر جارى على ما تعودا

روحى فدا الغضبان من كل حادث ... واخويه من كل هم منكدا
سأفنى مزينة ثم أملك مليكهم ... بطعن الرديني ثم حد المهندا
وسوف أخلصهم من الاسر ... وأبلى الاعادى بالتشتت والردا
سل الخيل والفرسان عنى فاننى ... ساجعل ضرام الحرب نارا توقدا

قال الراوى ومازال القتال يعمل والدم يبذل والرجال تقتل إلى أن تنتصف النهار فاذاهم بغبار قد علا وضراخ قد نمى حتى ملأ أقطار الفلا والخيل من قدامها قد تتكبكب والرجال من على سروجها تميل فبان من تحت الغبار ثلاث فوارس وبين أيديهم راجل كانه من أولاد الجان وهم ينادون ياعبس ياعدنان وكان هؤلاء الفرسان ميسرة وغصوب والغضبان والرجل الذى يركض هو شيبوب والغضبان ينادى ياأوغاد أجاد جاءكم أولاد عنتر ثم ان الغضبان تمايل طربا فاهتز عجبا وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

بلغ لصمصمة أن الموت فى الدار ... بحد سيف صقيل المتن بتار
أو طعنة من يدى فى وسط منكبه ... منها يذوق المنايا والدمار جار
بنى مزينة لاعجب بجمعكموا ... غدا تشتتوا فى وسط أوعار
أما رأيتم إشارتى وقد ظهرت ... شجاعتى فى الوغى سرا وجهارا
وما أعلمت بان الغدر يعقبه ... ندامة ويريكم كل اضرار
فقد وافاكم الغضبان خير فتى ... حامى الحرائر من بؤس وأخطار
قد علوت جياد الخيل مقتدرا ... مقرنات وقد جنبت أمهار
أنا من بنى عبس ومن يجاورنا ... تحت العجاج على صوات كرار
يبيت جاركموا فى الدار فى أسف ... وجارنا فى نعيم دايما سارى
نعود لكم والعود عادتنا ... فاننى القاكم ضيغم ضارى

ثم حمل على الأعداء وحملته تهد الجبال فعمل عملا تعجز عنه صناديد الرجال فشق قلبه من بنى مزينة بالحسام الفصال لانه ماحمل على جمع إلا وفرقه فمازال القتال يعمل فالرجال تقتل فنار الحرب تشعل حتى أيقنت بنى مزينة بحلول الاجل من وقع الاسنة فى الاحداق والمقل فضرب بالقوم المثل وبان الخطا فالزلل وقد صار الحرب يغلى كغليان المرجل فكان قتال القوم مثل قتال الجبابرة الاول فسطا الغضبان على الفرسان فاوردهم الوجل فلله در امير الدولتين عنتر فكم جندل من الفرسان فقتل ونثر الرؤس عن الابدان نثر الحنظل اما ميسرة وغصوب وبنو عبس الكرام فانهم سطوا على الاعداء بالحسام وحملوا الجثث على الأرض

أكوام وما زال الحرب حتى النهار وأقبل الليل بالانسدال وافترقوا على بعضها البعض ونزلوا فى فسيح تلك الأرض هذا وقد التقى عنتر باولاده وارتاح برؤيتهم فؤاده وقبل ولده الغضبان وهناه واخوته بالسلامة من حوادث الزمان ونزلوا الراحة والمنام وأمر عنتر عروة بن الورد أن يتولى الحرس واجتمع بهم العبد مطاوع وهنأهم بالنصر فشكره عنتر وعلم أن خلاص أولاده كان بيديه فقال عنتر لمطاوع بذمة العرب كيف رأيت فعالى فى بنى مزينة عند الحرب فقال العبد والله يا مولاى ما أنت إلا صاعقة مبرقة أتت لهؤلاء القوم ماحقة ولكن أعلم أن أهل هذه القبائل أولاد عم وقرايب ويقاتل القريب عن قريبه حتى يعدم الاهل والحبايب فقال عنتر سوف ترى كيف أملأ منهم هذه الأراضى وحق من شق الابصار لابد ما أظهر فى هؤلاء القوم العجايب حتى لا ابقى منهم ماشى ولا راكب ولكن أريد منك أن تعلمنى بهذا الشان وإذا هربوا إلى أين يقصدون فقال العبد مطاوع أنا علمت مرادك يا حاميه عبس ولكن الرأى عندى أن ترحلوا إلى جهة أرض تهامة ومع ذلك فانى قليل الخبرة بذلك المكان وكنت أشير عليك بما تريده من الشان فقال شيبوب أنا أعرفها إن كنت أنت جاهل بها لانى خبير عن غيرها ثم التفت شيبوب إلى عنتر وقال يا ابن الام من دون أرض تهامة أرضا كثيرة المياه ويقال لها صحرات سحبل لانها قريبة لهذه الأرض وتبلغ الامل وبعيدة عن القوم ميلين والرأى عندى أن ترحلون اليها ويكون نزولنا عليها وتملك الماء ونمنعهم عنهم قوة ولو كان هناك جميع الورى فقال مطاوع هذا رأى صايب وبه تبلغون المآرب فعندها أمرهم عنتر بالرحيل اليها تلك الليلة وأشرعوا بالجد والتحمل ثم طلبوا البرارى والقفار ونزلوا على ذلك الماء ففرحت بنو عبس وحلوا بالمال من تلك الارض هذا وقد سمعت بنو مزينة رعى جمالهم فى الظلام فاعلموا بذلك صعصعة بن العوام وظنوا أنهم قاصدون أرضهم فعزم صعصعة على المسير خلفهم فيمن معه من الرجال فقال له سادات قومه اعلم يا ملك أن الرأى الصواب تركهم يسيرون عنا فى هذه الرحاب وتريحنا من طعنهم والضراب فوالله لولا ان حجز بيننا وبينهم الظلام ما أبقوا منا شيخا ولا غلام وكانوا أسقونا كاس الحمام وظن بنو مزينة أن بنى عبس طلبوا بلادهم وفرحوا برحيلهم وأقاموا حتى أصبح الصباح فرأى بنو مزينة بنى عبس قد أقبلوا اليهم وهم راكبون على الجرد القداح متعلقين بالرماح وجردوا فى أيديهم البيض الصفاح وزحفوا عليهم يريدون الحرب والكفاح فعند ذلك اعلموا صعصعة بن العوام ان بنى عبس اقبلوا اليهم يطلبون قتالهم والنزال وانزلوا اموالهم على الماء الزلال واقبلوا يريدون الحرب والطعان يقدمهم عنتر واولاده ميسرة

وغصوب والغضبان ويتبعهم بنو عبس الشجعان وشيبوب وولده الخذروف وهم أمامهم مثل العقبان فركب صمصمة فيمن له من الفرسان ونظر إلى ذلك الأمر والشأن وإذا في أول الجميع عنترة الفرسان وقد أخرج يده من جلباب درعه ومال على جواده طرباً واهتز عجبا وأنشد يقول

أرى كل يوم وقعة وحروبا يشيب لها من لا يكاد يشيب
لقيت بصحراء سحبل كل ضيغم على كل محبوك العنان عجيب
بني مزينة للقتال تقربوا من كل ندل عقله مسلوب
وبالامس قاتلناهم تحت قسطل فغباره ضوء النهار حجوب
قد رأوا منا حروبا شديدة وحلت عليهم نقمة وكروب
عبلة لو نظرت عيناك إلى العدا وهم مثل أغنام طردها الذئب
عبلة لا أختشي الحروب إذا بدت وفي الكف من سمر الرماح كعوب
عبلة حاشي أن أذل من الفتى وأجعل من الاعداء الدما مسكوب
فيارب أنصرنا فقد طال حربنا فانت قريب للدعا مجيب

قال الراوي فلما نظرت بنو مزينة إلى ذلك الحال ركبوا وطلبوا القتال وفي مقدمتها صمصمة بن العوام وحمل فيمن له من الأقوام وطلب بنو عبس الكرام وهو على جواد أشقر عال من الخيل مضمر وطلاب الجلاد وأنشد وقال

أنا معشر الأوباش والأوغاد فلقد أتاكم ضيغم جــواد
أني هزبر في الحروب وفي الفلا أستأسر الأشبال والآساد
أحمي حمى جاري وأكرم بالعطى لداع دعاني زائد بتها
يا آل عبس فاحذروا من حملتي مع سطوتي في وسط نقع جلاد
لي سطوة فاقت على كل لورى موروثة الآباء والاجداد
شهدت لي الابطال عند الملتقى أني كريم وهكذا الأجواد
وإذا حمت نار الوطيس وأضرمت تثبت لهـــا نصد وأهل عناد
أنا المسمى صمصمة في الملتقى أحمل على جمع العدى وأناد
فلسوف أفنيكم وأنهب مالكم لا أختشي عنتر ولا شداد

قال الراوي ولما فرغ من الشعر والمقالات توقف تحت الأعلام والرايات ليقوي قومه على الحرب والثبات وإذا بفارس من بني مزينة قد برز إلى حومة الميدان وصاله

وجال وأنشد وقال :

جرت عادت الفرسان عند التقادم   بفلق هامات العدى بحد الصوارم
ونطعن بالخطى الكعوب بهمة   يقصر عن ادركها كل حازم
ألا يا بنى عبس الينا وبادروا   إلى حومة الميدان عند التصادم
أنا البطل المعروف حامى قبيلتى   أكيد الأعادى عند وقع الهاذم
إذا نادت الفرسان فى الحرب من لها   أقول انا من دون أولاد آدم
فلا بد لى من ابدد شملكم   واجعلكموا جزر النسور القشاعم
تريدون توعرا مالكم فى بلادنا   وان تبلغوا من ارضنا كل مغنم
أما تعلموا إن البلاد بلادنا   واوطاننا اطلالنا والمعالم
فاذا يخلصكم إذا كان جيشنا   عليكم يميلوا كالاسود الضراغم

قال الراوى ثم أنه وثف بجراده بعد نشاده ونادى يامعشر العربان هل من مبارز دونكم يافرسان الحجاز إن كنتم تعرفون البراز وها انا قد برزت اليكم فى النهار فلا يبرز إلا فارسكم الكرار الذين تزعمون أن ليس له من طاعن بالرمح الخطار هيادرنكم وارسلوا إلى أسودكم المسمى عنتر بن شداد وان ظنتم أن دنى النسب فى الآباء والأجداد فانا فارس المعمعة الأمير حازم أخو الأمير صمصعة قال وكان حازم من الابطال الموصوفة فاتم كلامه حتى برز اليه عنتر وصار قدامه وقال له يا كاب يافرتان يانذل ياجبان انت تدعى انك من الفرسان فدنك والحرب والطعان حتى تعرف انك ذليل جبان ثم أن عنترا أجابه على عروض شعره يقول

يا حازم لوكنت الرأى ذا حزم   ما كنت تطلب فى الحروب الارقم
بنو عبس قوم لايطاق قتالهم   إذا لمعت بعض السيوف الصوارم
فكم اهلكوا فى الحرب من كل سيد   وكل همام عند وقع الملاحم
وقد تركوا يوم الهباء حذيفة   يعض على أنيابه والمعاصم
تجاسرتم على قوم لهم حسن خبرة   نهار اللقى مثل النسور القشاعم
أما تعلموا النعمان رام لقتلتى   وجانى بجيش للحروب عرمى
وكسرى يساعده بفرسان حية   فشتتهم قطع الركاب ومعصم
أما تعلموا ما نلت فى الشام بالقنا   وسدة طعانى وضرب الصوارم
فدونك ليثا فى الحرب مجربا   يكر على الأعداء بضربة لازم

سيبقى طريحا على التراب معفرا   تعض على الكفين عضة نادم

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره والمقال حمل على حازم حملة الاسد الرئبال فالتقاه حازم فى المجال وطال عليهما المطال وعنتر ما صبر عليه فى القتال بل ضربه بالضامى على وريده أطاح رأسه من بين كتفيه ولما رأت بنو مزينة إلى سيدهم قتيلا على وجه الأرض جديلا حلت بهم الأمور العظام وناداهم صعصعه احملوا عليه أيها الأبطال فحملت على عنتر جميع الرجال وصاحت بالثارات من قتل من الفرسان قد علا عليهما الغبار وتكدر ضوء النهار وعملت الرماح الذبل وعلا النقع وتقسطل ومال الغضبان واعتدل وأطاح الرؤس عن قامات كل بطل واشتد الكرب والوجل وأما غصوب وأخوه ميسرة فانهما خاضا عجاجات الغبرة وزمى الرؤس خمسة بعد خمسة وعشرة بعد عشرة وزاد الأمر وسكروا من غير خمر وكل من الطائفتين صار على روحه نادم وتقنطرت الفرسان والبهائم وصار صعصعه ينادى بالثارات أخى حازم وكان لصعصة ولد همام وفارس ضرغام اسمه سلام فالتقى به الغضبان لانه علم أنه ابن صعصعه فلم يتركه الغضبان أن يقتل العنان حتى ضربه بسيفه اليمان فسمه نصفان ورماه تحت خيول الفرسان هذا وقد اشتد الزحام وقل الكلام وشاب الغلام ودارت كؤس الحمام واشتهر البطل الهمام ونزل على الجميع الانتقام وتنكست الرايات ودارت على بنى مزينة كاسات الانتقام ولم يزالوا على ذلك المرام حتى ولى النهار فدخلوا مضاربهم وطلبوا الراحة المنام بعدما أكلوا شيئا من الطعام ولما نزل صعصعه فى الخيام افتقد من قتل له الاقوام فكانوا الفا من الفوارس العظام غير جرحوا وبقوا فى حالة الاعدام لحل به الذل والانتقام هذا ما جرى لهؤلاء قال الراوى وأما ما كان من عنتر فانه لما عاد من الحرب افتقد بنى عبس فلم يجد أحد من قومه فقد إلا ثلاثة من رجال المروة فقط وفيهم جرحى ما يزيد على عشرين ومن شدة جراحاتهم كل منهم له أنين فصعب على عنتر وقال له الغضبان يا بتاه وحق من خلق الانس والجان انه لم يوجد مثل هذه الفرسان فى جومة الميدان ولكن أنا فى غداة ابرز اليهم بنفسى وأفعل بهم طاقتى وجهدى ولا تحملوا فى الميدان إلا إذا حملت على رجالهم والفرسان فقال له عنتر افعل يا ولدى ما بدا لك بلغك الله آمالك قال وأما صعصعة فانه بات مغموم وكان أشد حزنه على ولده سلام فاخذ يرثيه ويقول :

ما بال عيناى صار الدمع فيه حدب   أراهم حزن أم قد زانهم عجب
ناديتهم يا عيونى كيف حالكم   على الهمام الذى حلت به النوب

فذكر حازم بعد النوم أقلقني ... سارت دموعي على الخدين تنسكب
فالنفس جازعة والعين دامعة ... والقلب مرتهن بالحزن مكتئب
وأصبح الدمع ممزوجا دما وبقي ... كأنه من نظام الدر منسرب
من يوم فرقت حازم حل بي جزع ... فقدته وكان الدهر منقلب
لهفي عليه قتيل لامعين له ... وبعض فرساننا حلت به النكب
أرداها عبدا لئيم لامقام له ... من آل عبس زنيم أنذل العرب
يا ابن شداد قد لاقيت نائبة ... يوم النزال ونار الحرب تلتهب
حتى أراك على الرمضاء مجندلا ... مخضبا بالدماء والروح تنتهب
من كف أشرف ضرغام له شرف ... عبل الذراع شجاع عالي الرتب
فقد قتلت كريما لانظير له ... وحازما كان أوفى الجد والنسب
حزني عليه دواما لا يغيره ... كثر العديد وتغشاني له النوب

قال الراوي فلم يزل الليلك صعصعة في بكاء ونواح حتى أصبح الله بالصباح وركبت بنو فزينة على الخيل الجرد القداح واعتقلوا بالرماح وفعلت بنو عبس كذلك وطلبوا الحرب والكفاح إذا بفارس من بني مزينة قد برز إلى الميدان وفي قلبه لهيب النيران وكان هذا الفارس يقال له عطاف بن جرير ونادى يا بني عبس الكرام هذا يوم الافتخار في الصدام والضرب بالحسام فاتم كلامه حتى برز إليه الأمير الغضبان وصار قدامه فقال عطاف أكشف لنا يافتى عن وجهك حتى نجول معك ونعرف جهدك فقال الغضبان ويلك ياذليل أنا صاحب الباع الطويل أنا الغضبان فارس الزمان وأبي عنترة الفرسان حامي بني عبس وعدنان دونك والطعان إن كنت تدعي أنك من الفرسان فلما سمع عطاف كلامه حمل عليه وأشار اليه يقول :

ألا أيها المغرور بفعل القبائح ... رويدك أني قد أتيتك ناصح
دع الحرب ياهذا ولا تذكر القنا ... فكم قد أبدنا كل قرم مكافح
أنا ابن سراة الناس شرقا ومغربا ... فتى كريما للضيوف مصافح
أجود طعان الرمح في ملتقى العدا ... وعزمي شديد يضرب الصفائح

قال فلما سمع الغضبان كلامه أجابه على عروض شعره يقول :

عطاف دونك والقنا أنت شاحح ... واصبر لطعن المرهفات الصفائح
عطـــاف أثبت أنني لك ثابت ... فشبهك عندي مثل كبش مناطح

أنا الأسد الضارى همام ممجد وعند بريق المشرقية راجح
أنا الفارس الندب الذى شاع ذكره شرف بين البرية واضح
ترانى فى الميدان لخصمى مناصف وفى بذل كفى بالمواهب سامح

قال الراوى ثم انهما حملا على بعضهما بعض وجالا طولا وعرض ومال كل منهما على صاحبه واحترز من وقع طعانه ومضاربه وتثلمت فى أيديهما سيوفهما وكلت سواعدهما فعند ذلك حقد الغضبان على خصمه وهجم عليه كأنه فرخ الجان وضربه بالحسام فالتقاه بكفه فانقطع وأثنى على رأسه فوقع وعن جواده مال وانصرع فصاحت بنو مزينة فحملت على الغضبان حملة عنان فهنالك علم مقصودهم فحمل والتقاهم بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وسطى على الشجعان ومال على ذلك الجمع وأبلاهم بالضرب والطعان فصار يجول فيهم وحده وهم يتنافرون من بين يديه وما منهم أحد يستطيع الوصول اليه وداموا على ذلك الحال إلى وقت الزوال فولت بنو مزينة وهى تتحسر على أصحابها وقد أيقنت بهلاكها هذا والملك صعصعة قد غرق فى بحر الافتكار وحسب الذى قتل فى ذلك النهار فكانوا ألفا وسبعمائة انسان من كل فارس كرار فقال وحق الملك الديان إن ثبتنا قدام هذا الشيطان لم يبق منا ولا انسان فالرأى عندى أننا نرحل من قدام هؤلاء الشياطين والا أهلكونا أجمعين فاجابوه إلى كلامه وماصدقوا أن يدخل الليل بظلامه حتى رحلوا من ديارهم هاربين والنجاة طالبين هذا ما كان من أمر بنى مزينة وأما ما كان الامير الغضبان فانه عاد من الميدان وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان فتذكر ما فعل بالفرسان فانشد يقول

بنى مزينة فروا فالوطيس حمى وإلا ففروا فليس الفر من شيمى
أنا الهمام إذا سمر القنا لمعت تحت العجاج لنا الحرب اقتحم
إذا رأيت لمليع البيض بارقة فى حومة النقع تجلى داجى الظلم
اطعن بسن القنا فى كل معركة وأروى السيف من هام مزدحم
أنا الهزبر الذى شاعت منافبه وفاق كل الورى بالجرد والكرم
فكم أبدت وكم أهلكت من بطل يوم الكريهة فيه الموت محتكم
أنا الفارس الغضبان تعرفنى كل القبائل من عرب ومن عجم
أكر فى النقع لم أخش إذا اجتمعت جيوشكم تملا الآفاق والأكم
ووالدى عنتر الفرسان نعم فتى ذلت له العرب والاروام والعجم

(قال الرواى) فلما فرغ الأمير الغضبان من أنشاده التقاه أبوه وسائر قومه وأجناده وهنوه بالسلامة فقال الغضبان والله يا ابتاه وأنى ماشفيت غليلا ولا يطيب لى عليل حتى أجعل صعصعة على الأرض قتيلا فقال عنتر أبشر يا ولدى بقتل صعصعة ومن ولده من الاقوام ولو تعلقوا بالغمام ثم أنهم رجعوا إلى الخيام وأكلوا ماراج من الطعام وباتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الفجر بنوره ولاح فانظروا لبنى مزينة خبر ولا جليه أثر فقال الغضبان جدوا وراءهم حتى نهلك شيوخهم وكبراءهم فعند ذلك ركبت الفرسان واقتفوا منهم الأثر فى تلك الوديان حتى أدركوهم على ماء يقال له العجاج عند الأمير منيع بن حجاف وكان منيع أميرا كبيرا من الجبابرة المشاهير قد أذل العباد وأكل مغارات البلاد قد دخل عليه صعصعة وشكا له ما فعل به الغضبان وعنتر فارس بنى عبس وعدنان فطيب منيع قلبه واوعده بنيل الامان واعتدوا للحرب والطعان هو ومن معه من الفرسان (قال الرواى) فبينما هم فى قيل وقال وإذا وزحفوا للحرب والقتال فالتقتها بنو عبس الأقيال وبين أيديهم الغضبان كالأسد الرئبال وفى دون ساعة اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف فبرز الامير منيع بن حجاف بلا فزع ولا اخاف وصال وجال فى حومة الميدان وأنشد وقال

أنا الشجاع الفارس الغشمشم مفنى العدى ضربا بسيفى اللهذم
ولا أبالى يوم مشتجر إذا جالت الأبطال عند التلاحم
إذا أتى جيش الأعادى قاصدا فرقته ولو كان جيشا عرمرم
بصارم فيه المنية أرسلت وناب عنهما السمهرى المقدم
كم قد أبدت من العداء فوارسا وخعلتهم طعم النسور الجور
وصارمى أسطو به على العدى كذاك رمحى ذو الكعوب اللهذم
ماراعنى يوم الكريهة فارس إلا سقيته من شراب العندم
يا آل عبس بادروا للملتقى حتى ترى منى هماما ضيغم

(قال الراوى) فلما فرغ منيع بن حجاف من شعره وما قاله من نظمه ونثره برز اليه الغضبان كانه النمر الحردان وقال يا كلب يا قرنان ماهذا الكلام الهزيان والله ما أنت إلا كثير شقشقة اللسان مع انك ذليل مهان ثم أتى الغضبان أجابه على عروض شعره يقول

أثبت لتلقى حملة الغضبان ليث كمى قاهر الشجعان
كذبت يا مناع فيما قلته وأكثر ما قد قلت بالبهتان

وأنت أحقر كل من حمل القنا ... وأذل من يعلو بمتين حصان
فلاى سيء قد أجرت لصعصعة ... غدر الفوارس من بنى عدنان
فبنو مزينة قد تولوا جفلا ... من حد سيفى المرهفى وسنان
اشبعتهم طعنا وضربا صادقا ... وقت العجاج بالقنا الران
ولقد تركتنا حازما يوم اللقى ... يبحث تراب الأرض بالميدان
وكذلك ابن صعصعة تركت معفر ... والطير عاكفة عليه علان
ولسف تبقى مثلهم فوق الثرى ... رزقا لوحش البر والغيلان
والشرس فى أصفادنا مقرونة ... ومثالهم فى القاع العقبان

(قال الراوى) فلما فرغ الغضبان من شعره حمل على منيع حملة عسرة أذهلت من الشجاع بصره وانطبق انطباق الجبال هذا والغضبان قد هاجه وصرخ فى وجهه أرعبه ومال عليه من شدة حنقه بالرمح فى صدره وأخرجه يلمع من ظهره ومن قوة عزم الغضبان خرج من ظهر الحصان فانذهلت بنو مزينة من ذلك الحال وتأخرت عن المجال وفترت نياتهم عن المجال فبرز إلى الغضبان فارس يقال له دورباس بن وهب فرأى الغضبان وهو يهدر مثل الأسد وحمل عليه فلم يمهله الغضبان ولا تركه يتحرك بين يديه حتى طعنه بين ثدييه أخرج السنان يلمع من بين كتفيه وصال وجال وطلب البراز والنزال ولما طلب له الحرب والقتال ترنح فى سرجه ومال وأنشد يقول :

ألا بلغ العربان عنى باننى ... لهم فى مقامات الحروب طلوب
أجرعهم كأس النجيع علاقما ... على ظهر ضامر القى منسوبه
أنا صاحب الوقعات من رام موقفى ... يرى ضيغما عبل الذراع غلوبه
هلموا من يغنى لجل جوعكم ... ويحمل دماكم على الثرى مسكوبه
إذا جالت الأعداء على لقيتهم ... بعزم شديد ثابت وصلوب
فما أنا خواف ولا أنا جازع ... ولا أنا أن حدثت قبل كذوب
فلا والذى حجب اليه ركائب ... بكل نجائب قادر ونجيب
لابد فى ممـــا أفلفل جميعكم ... وسط العجاج بصارم وكعيوب

(قال الراوى) فلما سمعت بنو مزينه كلامه تعجبوا من ثباته واهتمامة وتوقفوا عن حربه وصدامه لما سمعوا أمثال من شعره ونظامه وكانوا نظروا منيع بن حجاف لما خرج السنان من ظهره رجعوا امن الميدان ورجع ايضا الغضبان فالتقته بنو عبس وعدنان ومدحوه جميعة

وشكروه وقال عروة بن الورد لله درك يا غضبان يا أوحد العصر والأوان فشكره الغضبان على هذا الكلام فبعدها عادوا إلى الخيام فلما جلسوا احضر الطعام فأكلوا وطلبوا الراحة بالمنام فلما كان الصباح برز الغضبان بطلب الحرب والكفاح ثم نادى وقال يا بنى مزينة ابرزوا وخذا بثار منيع بن حجاف وحازم أخو صعصعة وابنه إن كان فيكم بطل يصلح للصدام فعندها برز اليه الملك صعصعة بن العوام وقلبه يغلى بنار الاضرام ولما صار فى وسط المجال أنشد وقال.

أنا صعصعة عند جد الطعان	جرى الفؤاد قوى الجنان
أكر على الخيل وقت المجال	وأحمى القتال بحد اليمان
وأنى مليك فارس وهمام	وحامى مزينة فى الرهان
وفى السلم أنفق مالا جزيل	وفى الحرب أردى العدا بالطعان
إذا كنت فى الحرب يوم القنا	ودارت بى الخيل عند التدان
أروى حسامى دما الوغى	وأصدق يوم الوفا باللسان
سآخذ بثار منيع الهمام	وأكشف عارى وأبلغ أمان
وحازم أخى لآخذن ثأره	وأضمن قنا كم وأوفى ضمان
أنا المزينـــة حصن حصين	منيع الجنان شديد البنان
وفى اليوم هذا يكون اليمام	وأبلغ مرادى ويعلو مـــكان

قال الراوى فلما سمع الغضبان كلامه داخله الغضب وقال له ويلك يا كلب العرب لا أم لك ولا أب قطع الله اصلك وفرعك ما الذى بدا منى اليك حتى عملت معى هذه المكيدة فسجنتنى عندك وكان مرادك قتلى أنا واخوتى ولكن ماجعل قتلنا على يدك والآن يا كلب العرب نزلت تجر رمحك على التراب وترفع صوتك بالأشعار وانت تعد نفسك انك من اهل الطعان تحت الغبار فدونك والحرب حتى اجعلك قتيلا فاجرعك فى هذا اليوم غصص العذاب ثم ان الغضبان أشار اليه ينشد ويقول :

صعصعة صعصعتك الليالى	وخفت اذاها محل الأمان
فدونك الحرب حتى تذوق من	حد سيفى بلاء واهوان
ان كنت تجهلنى فالحرب يشهد لى	إنى سقيت منيعا كاس مران
جازم كـــذا صيرته دنفـــا	على الأرض ملق كظاما على اسنان
انـــا ليث عبس وغضبانهـــا	واحمى حمام بحد الأسمر اليان
صعصعة هذا مقام الجلاد	وخوض العجاج وطعن السنان

سألقيك فوق الثرى ثاويا عفير الخدود عديم البنان
وأسبي نساكم وأهلك حماكم وأمحق رجالكم بحد الهندوان
وأهلك ما قد حوته يداكم شرقا وغربا وكانتا بمكان
وأجعل دياركم قفرا خالية وطيور المنايا عليكم تحومان
فدونك حربا وطعنا بالقنا لاكسوك به حللا أرجوان

قال الراوى فلما فرغ الغضبان من شعره انطبق على صعصعة فالا على بعضهما كل الميل وصاحا صيحتين عاليتين وتهاجا هجمات صادقات وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالسيوف حتى علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار (قال الراوى) هذا وعنتر قد أخذه القلق على ولده الغضبان وجميع الفرسان تطاولوا نحوهما بالاعيان وهم فى خصام والزام حتى أظلم الظلام وخفيت مواضع الاقدام فافترق كل واحد عن صاحبه بسلام وقصد الملك صعصعة مضاربه الخيام فتلقاه أجناه ومن له من الخدام وأما الغضبان لما عاد إلى بنى عبس وعدنا تلقاه عنتره الفرسان فقال له كيف رأيت خصمك يا غضبان فقال له والله يا أبتاه وحق من أجرى المياد انه شجاع من الشجعان فقرن من أقران الزمان لكن فى غداة غدا تبارز أنا وإياه فى الميدان وسوف البسه من دمه حلة أرجوان (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (أما) ما كان من بنى مزينة فانهم لما رجع اليهم صعصعة بن العوام من الميدان هنوه بالسلامة وشكروه وعن خصمه سألوه فقال لهم والله يا بنى الاعمام حق البيت الحرام ما هو إلا بطل من أبطال الزمان فانا ما مشيت من قتاله إلا تعبان فقال له بعض الامراء أظنك قلت هذا الكلام فزعا منه فان كنت ثابت الجنان يلزمك فى غداة غد أن تخرج اليه وتوصل الاذية اليه وكان هذا الفارس يقال له معمر وهو من الشجعان فيلتقى بصدره الفى عبان ثم باتوا إلى الصباح فركبت الطائفتان تطلب الحرب والكفاح فكان أول من فتح الحرب والطعان الأمير الغضبان إلا أنه عندما برز إلى الميدان نادى ابن صعصعة بن العوام دعه يبرز الصدام حتى أجعل يومه هذا آخر الايام ثم أن الغضبان أنشد يقول :

خليلى طاب حربى بالصفاح وأعشقها غبوقا واصطباح
هلموا إلى آل مزينة وبادروا إلى سوق المعامع والكفاح
سأجعلكم على الغبراء رميا طعاما للوحوش وذى الجناح
وانهب مالكم واسبى نساكم وأملى الأرض منكم بالنواح
أنا البطل الذى يخشى إذا ما قام سوق الحرب بالجرد القداح

وذكرى شاع عند الناس جمعا ... ومالك من يـــدى أبداح
فدونك والمعامع فى جلادى ... لجسمك سوف يشحن بالجراح
لتعلم أننى بطـــل همـــام ... وقولى ليس يدخله مزاح

قال الراوى فلما فرغ الغضبان من شعره ونظامه حتى صار معمر قدامه وحمل على الغضب وهو ينشد ويقول .

علونا على الملك الذى نحن أهله ... من الملك أقصاها بلاد الاعاجم
إذا قارعتنا الحادثات ترى لنا ... جماجم حمر اللون ثقل الصوارم
نخوض فيافى ذى البلاد وأهلها ... ولانحتمى إلا بنات الأكارم
وجار منعناه قفر فزارة ... فنـــام وجار الذليـــل ينام

قال الراوى فلما سمع الغضبان ماقاله معمر من نظامه حمل عليه ولم يمهله حتى ضربه بالحسام أطاح رأسه عن الهام وكان لهولد يقال له رواح فلما رأى أبا قد قتل قفز إلى الميدان بطلب ثار أبيه وهو ينشد ويقو صلوا على طه الرسول :

ياعينى أبكى بدمع منك وكافى ... وأشكى فقد طال بلبالى وأعطافى
قد كان لى حصنا وكان لى سندا ... وكان من دون خلق الله سعافى
قد كان لى ذخرا عند اللقا وله ... عزم شديد وكف بالعطى وافى
قتله من اسمه الغضبان ألجمنا ... فى قتله بين مئات والالاف
وصار فى فيافى القاع مجندلا ... وقد سقاه الفتى من كاسه الوافى
وابن صعصعة حلت عزائمه ... بطعنة تركته جثـــة خافى
كذا معمر أبى هوى التراب وقد ... بداله الموت قلقا ماله شافى
يا والدى كنت يوم الروع تنقذنا ... من الخطوب بوعد غير مخلافى
شلت يد الأسود الغضبان فى ملا ... بين الاسود بأنياب وأطرافى

قال الراوى فلما سمع الغضبان شعر رواح بن معمر فاغتاظ من ذلك الكلام وقال له عدد على روحك ياابن اللئام وهذا قليل فى حقكم على عدم حفظ الزمان ثم أن الغضبان جابه على عروض شعره يقول :

رواح مهلا فان الحرب انصاف ... وفيه وكز بارماح وأسياف
عرج لسوق المنايا كى ترى بطلا ... أتاك ليث على الاقران عطاف
لى صارم للدم شراب ... يسقى المنون من مائه الصاف

وسن رمحی إذا ما امتد فی رهج ... يلذع كلذع الافاعی ماله شاف
وجئتكم عند مثلی لايروعه ... فان اعدادنا يزداد أضعاف
أنا الذی من سمر الرماح له ... طوعا وكرها ووعدی صادق واف
ووالدی عنتر الفرسان كم خضعت ... له الكتائب مئات وآلاف
من آل عبس كرام طاب عنصرهم ... أنسابهم فی الوری من نسل إشراف

قال الراوی فلما فرغ الغضبان من شعره حمل كل واحد منهما على صاحبه فقام مع الغضبان الغضب فقام فی ركابه وطعن رواح فی صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فوقع على الأرض قتيل فوقف الغضبان على مصرعه فنادى ابرزوا يا فرسان بنی مزينة حتى أفنی ساداتكم وأنهب أموالكم وأخرب أطلالكم حتى تتوبوا عن المكر والغدر ثم أن الغضبان جعل يترنم بهذه الأبيات ويقول :

رواح مالك براح ولا براحا ... يوم الهياج ولا نزال الكفاحا
نحن الفوارس يوم الحرب عادتنا ... يوم الكريهة نقبض الأرواحا
فلا يذلن عنتر فداك مهجتی ... حتى فلا يبقى على جناحا
لبس السلاح يزين كل مقصود ... حسنا مضانا للفتى الكفاح
بنی مزينة قط لا تغزوننا ... نحن الكماة وفی الوعى نصاح
فينا الحياء والمروءة دائمـــا ... وصغيرنا يوم اللقا وقاح
نحن الرجال ودأبنا يوم الوغى ... ضرب وطعن فی المسا والصباح
من كان يطلب حربنا ونزالنا ... يلقى أمورا ما عليه جناح
نحن الذی عاداتنا يوم اللقا ... قتل الملوك بذابل وصفـــاح
لا يـــد لی مما أفاقل جمعكم ... وأوردكموا ماء السموم قراح

قال الرواوی فما اتم الغضبان كلامه حتى برز اليه فارس يقال له شبيب بن جازم اخو صعصعة وكان نجيبا وفارسا نحريرا وله وجه كأنه القمر المنير وكان شبيب مفرطا فی الجمال فلما برز إلى الغضبان أنشد وقال :

غضبان دونك أننی لك قاصد ... أخالا ثقة يوم اللقا غير جاثد
فدونك ترى فارسا ذو حمية ... صبور على مر القضا والشدائد
ألا إنما الأيام تبدی عجائبا ... تضع وترفع كل قرن ماجـــد
يعيش كما عاش الذليل بذلة ... ضعيف القوى ما بين ضمن زائد

وهنى من كان الزمان خديمه ... له الدهر يسعى وهو ليس بقاعد
فدونك ياغضبان فى الحرب تلتق ... فعلى يسوق الحرب والجمع حاشد
أنا الفارس المشهور عودة صارمى ... إذا ما التقى الجمعان قد الورائد
ولى ثار أبى حازم عليك حقيقة ... سآخذ منك الثار حقا بساعد
ولست أخاف الموت وهو محتم ... وكل ابن أنثى للمنية عائد

قال الراوى فلما سمع الغضبان هذا الشعر والنظام علم أنه ابن حازم وهذا طالب أخذ ثار أبيه بالحرب والصدام ولا بقى ينفع فيه نصيحة فان العرب لاترجع عن أخذ ثارها إذا أحد مانعه على ذلك ونصحه فلا يسمع فاجابه يقول

شبيب لقد لاقيت فى الحرب ماجد ... أخاتله عند اللقا وشدائد
تعودت قهر الصد فى حومة اللقا ... إذا عضت الخيل الجياد المراود
أنا من رجال الحرب من تعرفونه ... كريم على الداعى ولست بحائد
أنا الجندل حازما على الثرى ... والطير عاكفه عليه ورائد
فان كنت تبغى النار جعلتك مثله ... طريحا على الغبرا تبحث بالبدائد
أنا الفارس العذب الذى شاع ذكره ... على كل من يدعى لها ويعاند
أنا قاتل الفرسان راغم أنفهم ... بحد حسام يقطع الوارد
هزيمة كفوا لا عفى الله عنكموا ... ولا زاركم صوب من المزن رائد
سأترك شبيبا مثل حازم على الثرى ... تدق يداه بالحصا وجلامد

قال الراوى ولما فرغ بن الغضبان من شعره والنظام حمل على شبيب وضايقه ولاصقه وسد عليه طريقه وطعنه طعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره وتركه ملقى فى القفار وخرج من تحت الغبار وهو ينشد ويقول

أنا الذى فى الحرب أروى صارمى ... أسقيه صرفا من ماء الجماجم
من يبرز الميدان نحوى يلتقى ... منى هزبر فى الضراب مزحم
أكر فى الهيجاء كرة باسل ... وأقتل فى يوم اللقا الضراغم
كم قسطل فرقت جمع جيوشه ... وكم أبددت فى العجاج لعالم
وكم ليوث بارزونى وقد غدا ... كل عفير الخد ملقى عادم
وكم ملوك فى اللقاء قتلتها ... منها ملوك الروم وكل الأعاجم

قال الراوى وكان هذا الغلام شيبب الذى قتله الغضبان كان عاقلا لبيبا وله أم لم تكن رزقت ولدا غيره فخافت الفرسان على خاطرها ولم يعلموها بشىء من ذلك بل قالوا لها أنه مع صعصعة فوقفت تنتظر ولدها حتى أقبل صعصعة فسمعته وهو ينشد ويقول :

الله عينى إذا بكت لشبيب ... بدمع سفوح دابل مسكوب
أيا ابن أخى قد كان لى منك موعدا ... فاصبحت لا داعى إليك مجيب
فيا حسرتى لما هوى وهو مائل ... على الأرض ثارى بالدما مخضوب
فو الله لو يفدى شبيب فديته ... وروحى ومالى هم فدا لحبيبى
أيا ابن أخى أصبحت أدعوك معلنا ... ولولا الردى والله كنت مجيبى

قال الراوى وصار صعصعة يقول مثل هذه الأبيات ودموعه على خديه جارات وإذا بأم شبيب قد أعترضته وسألته عن ولدها فوقف وقال لها أين الملوك القوية أين الجبابرة العتية أين من مالك الدنيا من قبلنا فاطوى قلبك الصبر فان ولدك صار له أرض المعمعة قبر ثم أنه بكى وأن وأشتكى وزاد به الكمد والقهر وأنشد يقول :

لقد حكم الزمان على شبيب ... وعانده تصاريف الخطوب
وأصبح مفردا من بعد أهل ... وحيد لا يروم أبدا ركوب
كوانا بغتك الغضبان كيا ... وأحرقنا بشيران الهبوب

قال الراوى فلما سمعت أم شبيب قول صعصعة وما أبدى لها الكلام صرخت ورمته روحها إلى الأرض ثم وقعت مغشيا عليها ساعة وأفاقت وهى محترقة الفؤاد ثم بكت وزادت فى النواح وأنشدت تقول :

إلا ياعين جودى بالبكاء ... ونوحى وأسمحى بالأشتكاء
على من كان لى سندا وعمدا ... وزخرا فى الشدائد والرخاء
فقدت حشاشه القلب المسمى ... شبيبا فى الشبابة ذو بهاء
فيا ولدى لقد هديت حيلى ... لبعدك لقد وهت منى عضاء
حشاشة مهجتى يطلبك قلبى ... فانت لكل أمراضى شفاء
صميم القلب بعقك يا بنى ... به نار يوح لها لظاء
فآه ثم آه زال عزى ... وزال الذل عند بالعزاء
ترى هل يبل صدا فؤادى ... بعودك ياشبيب من الفلاء
وإلا طالت الغيبة وضمك ... تراب اللحد وأنقطع الرجاء

قال الراوى ثم أنها قامت على حيلها وأعطت قومها ظهرها وقصدت إلى مضارب بنى عبس وسألت عن مضرب الغضبان فارشدوها إليه فدخلت عليه وأرمت روحها بين يديه وقالت له كيف هان عليك يافتى أن تقتل ولدى شبيب وليس لى غيره حبيب وهو ثمرة فؤادى وأضرمت فى أحشائه نار اللهيب فلما سمع الغضبان كلامها بكى وتباكت بنو عبس رحمة لها فقال الغضبان ياخالتاه والله لو علمت ذلك لما كنت قتلته ولا أحرمتك منه وأنا أبلغك أوطارك وأجعلك أن تأخذ بيدك ثارك ثم أن الغضبان سل سيفه من غمده وناوله إلى أم شبيب بيدها واضطجع بين يديها وقال لها قومى ياخالتاه اضربى عنقى بيدك لعلك أن تنطفى تارك وينكشف عنك عارك فلما رأت العجوز فعال الغضبان وماظهر لها منه عيان فقالت له لاأخلى الله منك مكان ولا عدمتك أهلك ولا الخلان فها أنت خير أهل زمانك لأنك سمحت لى بروحك ورضيت أن تسكن ضريحك فلقد أنسيتنى والله كرم ولدى وغيره يا فارس الزمان ثم أنها أنشدت تقول :

نفسى أفادى بها قوما اولى باس ... وزاد فخرهمو فخرا على الناس
فهم بنو عبس من عدنان نسبتهم ... أسد ضراغمة حكام أشراس
هم أنهم من عهـــد جدهمرا ... أثارة الحرب فى ضوء واغلاس
ترى فوارسهم للأسد يفترسوا ... لم يعبثوا بسام وعباس
وليثهم حامى الأضعان أسودهم ... وشكلهم طالب إنشاء واغراس
لم يرهبوا الحرب إن نفك منازلهم ... السعد خادمهم رغما عن الناس
يعطوا الزمان ويحموا من يجاورهم ... وجاوهم دائما محفوظ من الناس
وخصمهم لايزال الذى راكبة ... وسيفهم قاطع الاوصال والرأس
هم الفوارس أبطال عزايمهم ... بكل قلب على أعدائه قاسى

قال الراوى ثم أنها بعدما تمت هذه الأشعار عادت من قدام الغضبان قاصده بنى مزينه وهى لاتفتر عن مدح الغضبان فقال لها صعصعة بن العوام يامجنونة كيف تمدحى بنى عبس وقد قتلوا بعلك فقالت له أنا ما مدحتهم إلا لما علمت إنهم أولى بالمديح أما علمت مافعل الغضبان ثم حكت له جميع ماجرى لها مع الغضبان فتعجب هو وجميع بنى مزينة ثم بعد ذلك ركبوا وساروا تحت أستار الظلام وقصدوا اجبال كراكر ليستنجدوا بحلفاهم وحصنوا عيالهم وأموالهم حذرا من السبى والانتهاك وكانت هذه جبال كراكر جبلين متقابلين وهم عاليين شاهقين قال الراوى هذا ما كان منهم وأما ما كان من بنى عبس فانهم باتوا وأصبحوا فاوجدوا

من أعدائهم أحد فساروا خلفهم واقتفوا آثارهم حتى لحقوهم وكانوا وصلوا إلى ذلك الجبال فعند ذلك صاح عنتر وحمل وتبعه ولده الغضبان وفعل مثل ما فعل وكذلك حمل ميسرة وغصوب وعروة بن الورد ومن له الرجاله وحملت بنى عبس واطبقوا على بعضهم بعض الطائفتين وجار على رؤسهم الحين وتصادمت الجيشين وتقابضوا باليد وشقت الرؤس نصفين وثار على الجميع القتام واشتد الظلام ولم يزلوا فى صدام ولزام حتى حمى الحديد على الأجسام فبينما عنتر يجول على الأعداء وإذا قد التقى بصعصعة بن العوام فجال نحوه ونظر صعصعه اليه فولى هاربا من بين يديه وحالت بينهما الفرسان فزوقه عنتر بالرمح وكان عنه بعيد فلحقه وجرحه جرح بالغ شديد ومال عنتر على تلك الخلايق وأبرى بالصارم الخدام وهيل كل راية وعلم وكان سيفه فى الأعداء قد حكم وأما الغضبان فانه قد بلبل العقول وخرق صدور الأعداء برمحه الذبول ونثر الرؤس بحسامه وكانت مزينة قد حملت بسائر جموعها وطلبت أن تنصر على عدوها فالتقاها عنتر وأولاده وعلى الحقيقة بلغ مانتم مراده وشفى من الأعداء غليل فؤاده وقاتل فى ذلك اليوم عروة ورجاله وكذلك من معهم من بنى قراد فلله درسبيع اليمن فانه أنزل بالاعداء المصايب ومالك وولده عمر وقد أوردوا ضربا أحر من الجمر وأما غصوب وميسرة فأنهم أتلفوا الصور البشرية ونعوذ بالله من أحقاد العرب الجاهلية هذا وقد طمعت بنو مزينة فى بنى عبس لاجل قتلهم وأما بنو عبس فانهم أزالوا الطمع فى رؤسهم بقوتهم وجلادهم وصبرهم وشجاعتهم قال الراوى فبينما الجمع على ذلك العيار وإذا بغبار قد علا وثار وسد الاقطار ففرحت بنو مزينة وأما بنو عبس فانهم أيقنوا بفناء الأعمار إذا كان لاعداهم ذلك العسكر الجرار فصار عنتر يقوى بقلوبهم ويقول يا بنى عمى هل رأيتم أحدا أخلد قبلنا فوحق الحنان المنان أنا وأولادى فينا الكفاية لكل من اجتمع هذا وهم يعاينون إلى ذلك الغبار حتى انكشف عن الف فارس على خيل الألوان وهم مثل الغضبان وهم ينادون عن فردلسان يالعبس يالعدنان ويقدمهم الملك قيس الرفيع القدر والشان قال الراوى وكان السبب فى مجيئهم إلى ذلك المكان هو أن الربيع ابن زياد لما فارق عنتر بن شداد رجع فاخبر أخاه عماره القواد بذلك الايراد وأعلمه باسر أولاد عنتر وقال فى هذه النوبة يقتل عنتر وآخذ لك عبلة ياعمار ومن بعده تنال المراد من عبلة ذات الامارة هذا وقد شاع الخبر فى الحلة حتى بلغ إلى الملك قيس بالجملة فاحضر الربيع وسأله عن ذلك الحال وقال له أعلمنى بما ذكرت من الاقوال فقال له عنتر أوصانى أن لا أعلم أحد بذلك فاغتاظ الملك

قيس من ذلك ثم صاح على بنى عبس وأمرهم أخذ الأهبة للسفر فاستعدوا المساعدة عنتر وأصلحوا شأنهم وفى اليوم الثانى ركب الملك وخرج من الحى إلى ظاهر البيوت واختار منهم ألف فارس معدود للهياج وخوض للعجاج وترك الباقى لحفظ الحريم وساروا طالبين صحرات سحبل والربيع قد تقطع قلبه من عظم شجاعة عنتر وهو يقول لأخيه عمارة والله ما ملك على بنى عبس اليوم إلا عنتر وما قيس إلا مستعار ولاسيما من يوم ظهر أولاده حتى علا قدره وزادت سعادته ثم سار الملك قيس يقطع القفار حتى أدركوا عنتر وأولاده وهم تحت الغبار وقال وكان عنتر فى هذه الدهشة انقض على أمير من بنى مزينة يقال له الأمير عقا ضربة بالطامى القرضاب فتركه ممددا على التراب ولحق غصوب فارسا من بنى مزينة يقال له نوفل وهاجاه وطعنه بالرمح أخرق أحشاه والتقى الغضبان بصعصعة وصاح فيه فهرب من بين يديه فزرقة بالرمح جرحه من بين كتفيه وجذب الحسام وأراد أن يعجل عليه فجاءت الطعنة على عنق جواده أبرته فوقع من أعلاه وأراد الغضبان أن يهجم عليه وإذا رجاله قد أدركوه وأحالوا بينه وبينه وأركبوه على جواد من الخيل الجياد والتحم بعد ذلك للقتال وجرى الدم وسال وكثرت الأهوال وزاد بهم الضجر والملال وجرت بينهم أشياء يرعجايب وأهوال وافتخر الشجاع وصال الماجد بين الصفوف وحمى عنتر وبنو عبس وعدنان وتقدمت الأبطال وتأخرت الأنذال ولم يزالوا فى صدام ونزال حتى ظهر الظلام وانفصلوا عن الصدام فعندها التقى عنتر بالملك قيس ووصل إليه وسعى وقبل يديه فألقى الملك قيس نفسه عليه وقبله بين عينيه وقال له يابن العم ماهذا منك صوابا أن ترمى روحك فى تلك الأهوال فشكره عنتر وقبل يديه وبعد ذلك نزلوا الأكل الطعام والملك يحدث عنتر لما علم بأسر أولاده وعنتر يشكره ويحدثه الآخر بما لاقى من الأهوال وما فعل ولده الغضبان فى حومة الميدان ومازالوا حتى أكلوا الطعام وطلبوا المنام وكان عنتر حارسا لهم حتى بدا الصبح بالابتسام وركبت بنو مزينة وطلبوا الحرب والكفاح فأخذ الملك قيس خمسمائة فارس وساروا من ورائهم وساقوا أموالهم ووصل الخبر إلى صعصعه بذلك وقالوا له أخذت بنو عبس أموالك قلبه وجرحه جرحا بليغا وأما الغضبان فانه احتوى على سلب بنى مزينة بعدما ولت وقصدت وادى الغزلان وصحرات سحبل وفى مقدمتهم الملك صعصعه وهو يحرضهم على القتال ويشجعهم على النزال وبعد هروبهم عادت بنو عبس وعدنان وبين ايديهم الأمير الغضبان وهو ينشد ويقول

سقى حينا عاديات الغواديا ... يسح بواديه والنيافيا
ويجرى عليه المزن كل عيشة ... وماء الندى ينهل فوق الأراضيا
إلى أن ترى النبت فى جنباتها ... ويذكر فيها كلما كان ناسيا
صحرات سجيل يروى السيل أرضها ... وينهل فوق الأرض ماء الغواديا
كما قد ظفرنا من مزينة بالمنا ... وأموالهم فى كل شعب ووداديا
مزينة كم سرنا عليكم بصلحنا ... ففرتكم الأطماع والسيف قاضيا
خذوا ما أتاكم من فوارس شرس ... رجال بأيديهم رماح عواليا
أنا الجبل العالى على كل شامخ ... رقيب بجدى فوق درج المعاليا
أنا عنتر العبسى سيفى ووالدى ... وجدى شداد المزير المحاميا
أنا الأسد الغضبان أسمى ونسبتى ... نتيجة عبس ليس أمرى خافيا

قال الراوى ثم أنهم عادوا منصورين من سلب الأعادى غانمين فتلقاهم الملك قيس وفرح بهم فرحا شديدا وقال عنتر للملك قيس ياملك الزمان عزم بنا على المسير خلفهم فلا أرجع من هذه الأوطان حتى أقتل صعصعة بن العوام واجعله ملقى فى القيعان تنهشه الوحوش والهوام فانا لا نأمن غائلته وإذا تركناه يتقوى علينا بالعربان ونتعب معه ثانيا فى الحرب والطعان فعند ذلك أمر الملك قيس العساكر بالرحيل قال الراوى وكانت بنو مزينة بعد إنكسارهم لاموا أنفسهم على الحرب وأجمعوا رأيهم على الف فارس للقاء بنى عبس وإن يموتوا كراما ولا يعيشوا لئاما فلما سمع صعصعة منهم ذلك الكلام وعلم مقصودهم ركب وأقبل فى أوائلهم وماز الوا سايرين حتى التقى الجمعان على قرن الساجم وهو جبل بين الفريقين وما بقى فى ذلك اليوم أحد من بنى مزينة إلا وحضر فعند ذلك التقتهم بنو عبس فى ذلك المكان والتحم الجمعان وكانت بنو عبس نقسمت قسمين وكان عنتر فى الفرقة الأولى والثانية جعلوها كمينا للاعداء حتى يفنوهم عن آخرهم فى ذلك المكان وحمل الملك قيس بجانب عنترة الفرسان وأمر بنى عبس بالقتال ساعة من النهار وبعد ذلك متأخرون بين أيديهم قدر شوط جراد يفرتوا الكمين وكان فى الكمين الأمير الغضبان فى خمسمائة فارس من بنى عبس ففعلت بنو عبس ورجعت على الأعقاب فطمعوا فيهم بنو مزينة العبين وتبعتهم حتى فاتوا الكمين وإذا بالغضبان عليهم قد ظهر هو وأخوته ومن معه من الفرسان وضربوا فى أقفيتهم بالسيف اليمان والرمح المران وصاح عليهم الغضبان وأجاد الطعن بالسنان حتى جعل على الأرض الكيمان وفاج فيهم الغضبان كاتهيج فحول الجمال فبينما الغضبان على هذا المرام

وإذا قد التقاه فارس همام يقال له داثر بن زيد وكان بطلا مهولا وهو فحل من الفحول ولكن الغضبان ما تركه أن يصول ولا يجول دون أن طعنه بالرمح الذبول جعله على وجه الأرض مقتول وهجم غضوب على نصر بن منصور وطعنه فى صدره خرج الرمح يلمع من ظهره وقصد ميسرة عطية بن مازن طعنه أذ به وعن جواده كركبه وطعن سبيع اليمن نجيب بن بكار أغليه فى القفار وهجم الغضبان على حامل العلم قطع رأسه وأخمد أنفاسه ثم مال إلى ناحية صعصعة فولى هاربا من بين يديه وتبعه الغضبان فعارضته بنو مزينة وقاتلوه وعن ملكهم حجزوه ودام الأمر على هذه الأحكام حتى أظلم الظلام وعادوا إلى الخيام وطلبوا الراحة بالمنام قال الراوى وأما بنو مزينة فانهم صبروا ساعة من الليل ورحلوا تحت أستار الظلام وتفرقوا فى البر والآكام وهم يقولون لملكهم ماهذا المرام والله لقد البستنا العار بالانهزام وأنت السبب بتعرضك إلى أولاد عنتر وفسخ الذمام فقال صعصعة يا بنى عمى لا كلام قال الراوى فبينماهم فى الكلام وإذا بنى عبس قد أقبلت خلفهم وبين أيديهم الأمير الغضبان كالأسد الجيعان وهو مقوم السنان وشاهر فى يده الحسام ويقول أين صعصعة بن العوام حتى أسقيه كاس الحمام وحق الملك العلام لا بد لى أن أفنى بنى مزينة فلما سمعت بنو مزينة هذا الكلام جعلوا حريمهم من خلف ظهورهم والتقوا الحرب بصدورهم والتقت الرجال بالرجال والأفيال بالأفيال وزمجرت بنو مزينة وتذكرت فخر أجدادها وأما بنو عبس وعدنان فانها حملت فرد عنان وداست الخيل على الفرسان فلله در الغضبان وما فعل ذلك اليوم من الفعال لأنه أباد الأبطال وقصد الرايات والأعلام فابراها بالحسام ومازال فى حملته حتى وقع بصعصعة بن العوام فأراد أن يهرب فقاطع عليه الغضبان وقال له إلى أين يا ابن اللئام وضربه على رأسه أبراه كبرى الأقلام ومال على الفرسان الصناديد فاهلك منهم الشجاع والبليد ولم يزالوا فى وعدو وعيد حتى ولى النهار وأقبل الليل فرأت بنو مزينة ما قد حل بهم من الموت والفنا وكيف قتل ملكهم وحل به الدمار فولوا الادبار وركنوا إلى الهرب والفرار وتبعهم بنو عبس حتى فرقوهم فى القفار فرجعوا ساقوا المال والنوق والجمال والنساء والبنات والأطفال وتقدم الغضبان وأخذ بناقه سعدا بنت صعصعة بن العوام وسلمها إلى العبد مطاوع وقال له جميع ما خلفه سيدك من الأموال فهو إليك وإن كنت تقيم عندنا أو تسكن فى هذه الديار فالأمر إليك فعندها قال مطاوع والله ياسيدى ما كنت أقيم بعدكم يوما واحد حتى يبلونى الأعداء بالبلاء الزائد وأما أنا فقد صرت عبدكم وخادمكم

ولا أفارقكم فقال له الغضبان على الرحب والسعة والكرامة والرعاية ثم أنهم رجعوا إلى المضارب والخيام وهم من الفرح ب أرفع مقام فقال عنتر لشيبوب هل بقى بعد صمصمة أحدا يحارب أو يضارب فقال شيبوب نعم بأخى ملك من الملوك يقال له الهلقام وهو ابن عم صمصمة بن العوام وهو جبار ما له نظير فى هذا الزمان يحكم على سبعين ألف عنان ولابد أن المنهزمين أن يصلوا إليه فقال دعنا من هذا الكلام ولا بدما أفنى الجميع بضرب الحسام ثم أنه التفت إلى الملك قيس وقال له يا ملك الزمان خذ أنت هذه النوق والجمال وجميع الغنيمة وعد أنت ورجالك إلى الديار حتى أننى ألحق من هؤلاء الآثار وامحق منهم فروعهم ولا أبقى منهم ديارا ولا نافخ نار فأجابه الملك قيس بالسمع والطاعة ورحل فيمن معه من العربان من تلك الساعة طالبين الديار ومعهم أموال عنتر وما كسبوه من أموال مزينة وأموال الأمير الغضبان وميسرة وغصوب الشجعان وأما الأمير عنتر بن شداد فانه ركب مع صحبة أولاده الأجواد ومن معه من بنى عبس الجياد وسار تابعا آثار بنى مزينة وهو فى غاية الاجتهاد ولما تمادى به المسير أنشد يقول :

لقينـــا فى مراعينا سرية	بصحرا سحبل الشيخ العليـــة
وفينا من بنى عبس رجال	بها ليل لهم فى الحرب نلية
ولما جاءت الأعداء الينا	يرومـــوا حربنا طمعا ورية
لقيناهم بأسياف حداد	وجمع لا يفر من المنيـــة
وكان زعيمهم لما لقينا	له فى ملتقى الأعداء شجيـــة
فتركناه وسط القاع ملقى	وها أنا طالب قتل البقية
وأرسنا بنـو عبس شـداد	ليوث الحرب أبطال البرية
نجد الطعن فى صدر الأعادى	بأطراف الرماح السمهـــرية
ونضرب فى العدا ضربات صدق	بحـــد المرهفات المشرفيـــة
انا شرف المعالى بالعوالى	وضرب بالسيف القمقم العلية
إذا دارت على قوم رحانا	تركناهم يخبـــون المنيـــة
وأشبعناهمو ضربا وطعنا	وأسقيناهمـــو كاس المنيـــة
وننقل خيلنا من كل حرب	من السادات أخماف دمية
ويوم البذل ما ملكنا	من الأموال والنعم البهيـــة
ونحن العادلون إذا حكمنا	ونحن مشفقون على الرعيـــة

ونحن المنصفون إذا دعينا ... إلى طراد الخيول الأعوجية
ونحن الغالبون إذا قحمنا ... غبار الحرب فى ظلم الدجية
نكر على الفوارس فى مجال ... على متن الجياد البربرية
ونحن الفاتكون بكل جيش ... بعزمات وهمات قوية
ملأنا سائر الأقطار خوفا ... وتخشانا الملوك الكسروية
سلوا عنا ملوك الشام حقا ... وفرسان الملوك القيصرية
لنا الدنيا ومن أضحى عليها ... عبيدا والملوك لنا رعيـة
ومن يقصد بداهية الينا ... تفاجئـه المنيـه والبليـة

قال الراوى وما زال عنتر سائر فى طلب بنى مزينة وإذا بغبار قد ثار وعلا حتى سد الأقطار وانكشف عن جيش جرار مقبل على عجل وقاصد صحرات سحبل ولما نظر عنتر إلى ذلك أرسل أخاه شيبوبا وقال له انظر ما هذه العساكر المتداركة فقال شيبوب يا أخى أنه عفريت السواحل وسليك بن سلكة فقال عنتر ومن الذى أتى بهم هذا المكان والله لابد عن فناءهم فى هذه الوديان قال وكان السبب فى ذلك أن عفريت السواحل وسليك بن سلكة قد قل عليهم المرعى فى أرضهم فرحلوا من أرضهم طالبين صحرات سحبل ووادى الذئب وإذا هم قد التقوا بالمنهزمين فرموا أنفسهم عليهم وأعلموهم بما جرى عليهم من عنتر بن شداد كيف قتل صعصعة بن العوام وأفنى عساكره والأجناد وأهلك مقدمين بنى مزينة وأخرب بلاد فلما سمع عفريت السواحل وسليك بن سلكة ذلك صعب عليهما وأنفذ جماعة تعلم الملك الحيلقام وتقول له نحن نقاتلهم وبالحرب نشاغلهم حتى تدركنا فيمن لك من الأقوام قال وهذا سليك بن سلكة الذى كان يصفه عمرو بن معديكرب الزبيدى إلى الصحابة ويقول أنى ما وردت على ماء وخفت من أحد قط إلا من عبدين وحرين فأما الحران فهما عفريت السواحل وذو الخمار وأما العبدين فانهما سليك بن سلكة وعنتر قال وكان هذا عفريت السواحل هو الذى أسره عنتر فى بلاد اليمن فى وقعة مسعود بن مصاد وسيأتى أن له وانما يقاتل عنتر فى تعليق القصيدة وسنذكر كل شيء فى مكانه وانهم لما التقوا فى بنى مزينه وهم منهزمين أخذوهم ورجعوا بهم حتى التقوا بعنتر وأصحابه كما ذكرنا ووقعت العين على العين هنالك حمل على بعضهما بعض كل من الطائفتين وحان عليهما الحين وارتفع الصياح من الفريقين ولم يزل القتال يعمل والدم يذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى مسى المساء ورجعوا عن الكفاح وباتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح هنالك برز الغضبان إلى الميدان

محل الضرب والطعان ونادى ويلكم يا أبطال اليمن هل من مبارز أين أصحاب الفخار بن الفرسان المعدودة لمثل هذا النهار قال فاتم الغضبان كلامه حتى برز اليه سليك بن سلكة وصار قدامه وقال له دونك والقتال يا ابن الأنذال فتلقاه الغضبان بلا شعر ولا نظام أنطبق الاثنان انطباق الغمام وعلا عليهم الغبار وجرى بينهم طعن يهد الجبال وضرب يشيب الأطفال وداموا على ذلك الحال حتى أقبل الليل بالانسدال وما بلغ أحد من صاحبه مثال وأراد سليك بن سلكة أن يعود إلى قومه ويخرج عند الصباح إلى الحرب والكفاح فقال الغضبان لا وحق فالق الأصباح ما بقى بيننا انفصال إلا ببلوغ أحدنا الآمال ثم مال عليه الغضبان وأخذ معه في القتال فتلقاه سليك وقد أيقن من الدنيا بالزوال ولم يزالوا على ذلك الحال حتى تلألأ نور الصباح وما منهم من أراح نفسه وطلب الانفصال ودام بينهم القتال حتى جرى الدم من أبدانهم وسال وطال بينهما الغبار حتى قرب آخر النهار وسليك يقول يا للعرب من هذا الشيطان الذى ظهر فى هذا الزمان والله أن هذا القرنان أفرس من عنتر فارس عبس هل ترى جاءنى من أى مكان حتى أنه يريد قتلى هذا والفريقان لهما الانتظار وقد فزع عنتر على ولده الغضبان من سليك وهم أن يبرز إليه الميدان وإذا قد اختلفت بينهما طعنتان قاتلتان صائبتان فكان السابق بالطعنة سليك بن سلكة فسبح الغضبان طعنته تحت أبطه وأشال الغضبان يده وأراد أن يطعن سليك فاخرج سليك رجله من الركاب وقفز على الأرض والهضاب وهجم على الغضبان وضربه بالسيف على خاصرته فالتقاها الغضبان بدرقته فولى هاربا من بين يديه فطعنه الغضبان بالرمح بين كتفيه طلع يلمع من بين يديه فصاح عنتر لاشلت يداك ولا كان من يشناك ثم ترجل إليه عنتر واعتنقه وقبله بين عينيه وضمه إلى صدره وعادوا إلى المضارب والخيام ونزلوا الأكل الطعام ثم أخذوا الراحة بالمنام وأما بنو مزينة فانهار جعت فى غاية الذل والهوان من أجل قتله سليك بن سلكة ثم عولوا على الهرب فثبتهم عفريت السواحل وأوعدهم بأخذ الثار وكشف العار وأنه ما بقى من بنى عبس ديار ومن ينفخ النار ولم يزالوا على ذلك الايضاح حتى أصبح الله بالصباح وإذا بالغضبان قد برز إلى الميدان ونادى وقال يا بنى مزينة ويا من حضر فى هذا المقام أنا الذى قتلت صعصعة بن العوام وحازم وولده سلام وها أنا قتلت سليك بن سلكة وأنزلت به المهالك وأنا الذى أهلكت فرسانكم فابرز للقتال يا بنى الأنذال فما تم كلامه حتى برز اليه فارس يقال له المقدام وناداه يا ابن الف قرنان أى كم هذا التعدى على فرسان اليوم أذيقك كاس الهوان فاغتاظ الغضبان من هذا الكلام وهجم عليه وضربه بالحسام على وريده أطاح

وأسه من بين كتفيه فبرز اليه أخو المقتول فتركه إلى جانب أخيه مجدول وبرز اليه الثالث أراده والرابع أرماه والخامس اعدمه الحياة والسادس ألحقه بأخاه ولم يزل هذا على الحال حتى قتل ستين فارسا أقيال وكانوا تارة ينزلون اليه أزواجا وتارة أفراد افتقدمت بنو مزينة إلى عفريت السواحل وقالوا له أنت الذى منعتنا عن الحرب وتركتنا إلى هذا الفارس فلما سمع عفريت السواحل هذا المقال قال لهم أنا ما تأخرت إلا لما رأيت فرسانكم يتسابقون اليه فصبرت حتى يشربوا كاس الحمام والغضبان يصول ويجول ويأخذ الميدان عرضا وطول وينشد هذه الابيات

لقد علمت مزينة من قديم	على أنى لهم حقا غريم
أشتت جمعهم فى كل قفر	وأنهب مالهم واسبى الحريم
جزاهموا على ما يستحقوا	بما فعلوا وفعلهمو ذميم
تعديتم علينا وافتريتم	وعنيب البغى ذل مستقيم
صعصعة تركت عليه الطير تهوى	ووحش البر جانبه تحوم
فدونكمو بنى الأنذال حربا	يشيب لوقعة الولد العظيم
بمطن من سنان الرمح ماضى	وفى طعن القنا رحى قويم
هلموا يا بنى الأنذال تحوى	لا جعل ذلكم أبدا مقيم
وحق البيت والركن اليمانى	بكعبتنا وزمزم والحطيم
يمينا لا تركت لكم سليمان	سوى الشمطاء والشدخ الهريم

(قال الراوى) فلما فرغ الغضبان من هذا المقال خرج اليه عفريت السواحل هو راكب جواده كامل المعانى يسبق البرق اليمانى وكان عليه درع من الزرد ضيق العدد كانه أعين الجرد لا يعمل فيه الصارم ولما برز اليه قال ويلك يا عبد يا زنيم لقد سطيت بشجاعتك على الفرسان فاليوم أسقيك كاس الهوان فلما سمع الغضبان هذا الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام وانطبق عليه بقوة وكانت لهم ساعة عسرة أذهلت من الشجاع بصرة وأظهر فى الحرب عجبا هذا وقد زاد بالغضبان الحنق فلما رأى خصمه قد أطال فى الثبات معاه فصاح فى وجهه وفاجاه وقام فى ركابه وتمطى فى يده وطعن عفريت السواحل بالرمح فى صدره أخرجه يلمع من بين كتفيه ولما رأيت بنى مزينة إلى عفريت السواحل قتيلا وفى دماه جديلا لحملت على الغضبان من قريب وبعيد وقاتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد لحمل عليهم الغضبان ونكس أعلامهم وزلزل أقدامهم وأوردهم كاس حمامهم هذا وبنو عبس يتفرجون عليه فى القتال وهو

يضرب فى الأعداء يميناوشمال وصارت الفرسان تتذ اقى من بين يديه ولم يقدر أحد أن يتقرب عليه وهم يقولون ماهذا انسان وماهو إلا شيطان قال الراوى وكان الجيش فى تلك الساعة على ماأخبر به الحاضرون ستة وعشرين الف فارس بالحساب اليقين وكان فى قلوبهم رعب عظيم وأى رعب من الغضبان لاسيما من يوم قتل صعصعة بن العوام وما تقدم ذكرهم من المقدمين والفرسان وختم بسليك بن سلكة وعفريت السواحل فولوا الادبار وركنوا إلى الهرب وما زالوا فى هزيمتهم حتى وصلوا إلى المضيق الذى وصفه شيبوب وكان جبلا عاليا له طريق واحد ولم يكن له طريق غيره لمن يريد الذهاب قال الراوى وأعجب ماروى فى هذه السيرة الحجازية أن شيبوب قال للغضبان يا عزيز القوم أعلم أن الأعداء قدسبقونا وتملكوا علينا فم المضيق وأرادوا لنا التعويق ولكن ماقولك يا غضبان فيمن يمكنك من تمزيقهم أى تمزيق فاتبعنى حتى أسبقهم ونمسك باب المضيق فعند ذلك أخذه شيبوب وسار به من كل مكالا تهتدى اليه الشياطين ومسك لهم باب المضيق (قال الراوى) وعندما قبالهم كان الغضبان بين أيديهم وبنو عبس خلفهم فارادوا الرجوع خلفهم وإذا بعنتر وبنى عبس قد حملت عليهم وأوردوهم حتفهم فعلمت الاعداء أنهم قد انحشروا فى ذلك المضيق ووقع بهم عدم التوفيق وكان الغضبان واخوته بين أيديهم وعنتر وبنو عبس خلفهم ودام القتل فيهم من أول النهار إلى ثانى الايام فهلك منهم اثنى عشر الف من بنى مزينة وغيرهم من العرب المجمعة قال الراوى وأن قال قائل كيف قدروا على ذلك فقال الاصمعى نعم لانهم لما سبقهم الغضبان فى الطريق وملك فم الضيق وهجم عليهم عنتر بقومه من ورائهم فمن شدة الهول صاروا لايفرقوا النهار من الليل وضرب بعضهم بعضا بالسيف والقنا وكل منهم يطلب لنفسه النجاة من العنا فما وجد له طريق ولا مذهب لان الجبال حافظها عنتر بفرسانه عن يمينهم وشمالهم والغضبان واخوته يضربون فى وجوههم وكانت هذه الوقعة مثل وقعة شعاب خبلة لما عطش قيس النوق والجمال فهرب من هرب وهلك من هلك والباقون صاحوا وطلبوا الأمان فرفع عنتر السيف عنهم وكذلك الغضبان فخرجوا من بين الجبال وصعدوا البرارى والوديان وعادوا بنى عبس من ورائهم وهم فرحون بالنصر على أعدائهم قال الراوى وبلغنى الجميع عادوا سالمين وما فقد منهم إلا جواد من خيل بنى عبس وقد جرح من بنى عبس جملة من الفرسان فقال الغضبان ليت هذه الجروح التى فى بنى عبس فى رقبة عمارة القواد لأنه جبان بنى عبس وعدنان فضحك الفرسان على

قوله هذا يجرى والأمير غصوب فرحان بما ناله من النصر فانشد يقول

أيا غضبان سدنا بالفخار وشتتنا مزينة فى القفار
غدت فرسانهم قتلى ونهبا نساؤهم بالبنات مع العذارى
قتلنا حازما وأخوه عوفا وباقى جيشهم طلب الفرار
بغوا لمــــا رادوا يهلكونا وعقب البغى مورث للدمار
ونحمد ربنا لما خلصنا باجمعنا وكنا فى اضطرار
وعدنا نحوهم فى يوم نحس وأورثنا هموا ذلا بعار
قتلنا من فوارسهم رجالا وكانت ذات مجد مع وقار
فراموا أكلنا من غير جوع فاشبعنا هموا ضرب البتار
وسقناهم باسياف حداد تقد البيض من الغبار
قتلنا من مزينة كل قرن عدا فى البر طعما للضوار

فلما فرغ غصوب من شعره شكروه السادات وأشار بعده عروة بن الورد يمدح الغضبان ويقول

لله در أسود عبس كوائس من سادة جعلوا الأنام حوابسا
كم من قتيل من فوارس غالب أضحى رهينا بالنجلع مجلسا
تنظر لصعصعة تراه بسلجم متمددا وكان قرما فارسا
وكذا تركت حازما الوعى بالسيف ملقى فى التراب مدنسا
وسليك سلكته أرميم سالك تحت العجاج بقاع قفز ناكسا
وكذا عفريت السواحل أصبحت تبكى عليه جنها وأبالسا
وغدا بنو عبس الكرام بنصرهم كاساد آجام اللقاء عوابسا

فشكروه بنى عبس ما قال وأنشد بعده مالك أبو عبلة يقول

ألا بلغ مزينة ما أقول فقد أجفوا المنازل الطلول فكم فى أيدينا قرما عزيزا
أسيرا وآخرين مقتول ذليل مزينة كم ترى بطلا شجاعا هماما خصمه ملقى جديل
وقد عادوا أذلا من لقانا ومنهم مصرع وكذا عليل

وقال الراوى فلما فرغ أبو عبلة مالك من الشعر والنظام وأنشد زخمة الجواد يقول

رودنا بسحرة سحبل زاد بلبالى ودمعى قد جرى من العيون همالى
إذا رفع النقع الغبار عجاجها ترى فى رسوم الدار كل جوالى
وما ذاك إلا أن حى مزينة خلت منهم ورأوا باهوالى
وما لقيناا صحرة يوم ساجهم قهرنا ليوثا فى الحروب نزالى

وأوفاهموا منا فوارس كمل ... أسود الثرى لم يسكنوا أدحال
بعنتر نلنا من مزينة قصدنا ... وملنا على الاقيال منهم بأقيال

فلما فرغ خمه الجراد من ذلك الشعر وشكره العرب وانشد بعده عمرو أخو عبلة وجعل يقول

نحن الليوث غطاريت وشجعان ... والغالبون مزينة يوم جمعان
صلنا وجعلنا عليهم بعد صعصعة ... وقد غدوا بنى أرماح وعيدان
صالت عليهم بنى عبس غطارقه ... لاينثنوا عن حروب وسط ميدان
نحن الذى تعرف الأبطال سطوتنا ... من مرة وكلاب ثم غطفان
لقد لقينا جميع الناس قاطبة ... صد ناصناديد من شوس وشجعان
وقد تركنا رجالا فى الثرى ولهم ... تاج الفخار بنى عبس وعدنان
سلوا سليكة عفريت السواحل كم ... لاقوا وقد حرقا منا بنيران
ونار الحرب كانوا الواقفون لها ... ليوث حرب بصمصام ومران
وقد سما فخرنا حقا بعنترة ... وميسرة وغصوب ثم عضبان

(قال الراوى) فلما فرغ عمرو من شعره حمدوه الناس على ماقال وأنشد مطلوع قدام بنى عبس وأموال سيده تساق خلفه وسعدا بنت سعده صعصعة فى هودجها وهو فرحان بها وينشد يقول

أنا الهمام الذى أدعى بمطواع ... أكر يوم الوغى للخصم مناع
لقد تركت بنى الأنذال هاربة ... من سطوتى مثل اغنام بلا راع
أذب عن منيتى ذات الجمال إذا ... الصارم كان مثل لمح البرق لماع
أعطى الفقير إذا ما جاء يقصدنى ... وفى الوغى تلقينى صاحب الباع
وقد فرحت بسعدا والتهيت بها ... وسعدا قد زالت بها أوجاع

قال الراوى فلما سمعت سعدا من العبد مطاوع ذلك الكلام حل بها البلاء والانتقام وقالته وأسفاه على ماجرى عليك يا أبى وأحزناه ثم أجرت دموعها سجام وأنشدت

رمانى الزمان من بعد الدلال ... بفقد أحبابى وهاتبك الطلال
وقد أصبح صعصعة ملقى قتيلا ... طريحا بين كثبان الرمال
وسعدا أصبحت نبك بوجد ... وتزرف دمعها مثل اللالى
تقاد ذليلة ما بين جمع ... محيرة الفؤاد على الاهالى
أفاد كالاما من بعد عزى ... ذليلة بين تلك الرجال

(قال الراوى) فلما سمعت العرب كلام سعدا تباكوا جميع العربان وتقدم اليها عنتر

وقال لها ياسعدا وحق ذمة العرب وشهر رجب لولا غدر أبيك وخيانته لنا واليمين الذى حلفته والضمان الذى لعبدكم ضمنته لكنت عندى فى مقام بنات الملوك ولكن أنا زوجتك لمطاوع وتكونى عندى فى العز والارتفاع وبعد ذلك رجعوا إلى المضارب والخيام وباتوا حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فعزموا على المسير ولرواح فارسل عنتر شيبوب يكشف الاخبار وينظر هل بقى من بنى مزينة فى البرارى والقفار فاجاب إلى ذلك وأخذ ولده الخذروف وسار فى تلك البرارى والقفار وغابوا إلى نصف النهار وعادوا وكل منهم مثل ذكر النعام حتى وصلوا إلى قدام عنتر البطل الهمام وقال شيبوب أعلم يا أخى أن الاعداء قدامك مجتمعة وكاتبوا حلفاءهم من بعيد فقال شيبوب نظرتهم فى ذروة الجبال وهم قد ملوا الأودية الخوال فلما سمع عنتر ذلك أن تركتهم فى عافية فما أكون ولد حلال ثم أنه التفت إلى الغضبان وقال له أعلم يا ولدى أننا إذا كسرنا هذا العسكر فما يبقى لغيرهم بعد ذلك مستقر فقال الغضبان افعل ما بدالك بلغك الله آمالك (قال الراوى) وكان المقدم على بنى مزينة فى تلك النوبة حنظلة بن زيد عرفجه وظالم بن عوسجه وصفوان بن مرادو جماعه من الرجال الاجواد هذا وعنتر قد ركب فى مقدمة بنى عبس وهم خلفه طالبين الأعداء الأشرار وما زالوا سائرين حتى التقوهم نصف النهار وعند ما وقعت العين على العين برز الغضبان إلى حومة الميدان ونادى وقال يا بنى حنظلة أبشروا بالسيوف المثقلة فانا الغضبان مهلك الاقران ومسقى الغدار بن كاس الهوان فبرز اليه الأمير جندح بن فهد فقال له يا ابن اللئام ما هذه الفعال الرذيه التى فعلتها بالابطال المسمية فقال الغضبان تقدم فقد حلت بك المنية وأدركتك الرزية ثم أشار اليه يقول

أنا الهمة الحملات صدقا ... وبالضيفان مكرمة ورفقا
وما نرجع من الميدان حتى ... تصير الضد للاطيار رزقا
وان جال اللئيم وصال معشا ... تركناه بوجه الأرض ملقى
وان بارزت ليثا فى قفار ... أجعل صدره بالرمح خرقا
وينهش كبده وسط البرارى ... وأفلق رأسه بالسيف فلقا
كصعصعة وحازم مع سليك ... وعفريت السواحل كان أشقى
وأجلوا الكروب أبناء عبس ... وتبدو سطوتى خلقا وخلقا
سلوا عنا المواقف تلتقونا ... يوم الكريهة أجل طبقا
نبدد شمل من يبغى علينا ... نمحقهم بحد السيف محقا

قال الراوى فما فرغ الغضبان من هذا النظام حتى جال عليه جندح فصال وأنشد وقال

سلوا عن لقانا كل من يعرف اللقا ... فانا ليوث الحرب فى الطعن والقنا
وكم فارس فى حومة الحرب سابق ... ولما علاه السيف منى تموقا
برزت فى حومة الميدان شائعا ... وأوجزته رمحا إلى الصدر خارقا
وكم جحفل فرقت فى الحرب شمله ... وكم عسكر بارزته فتموقا

فلما فرغ الأمير جندح أراد أن يصول ويجول فما أمكنه الغضبان أن يفعل شيء من تلك الأمور دون ان طعنه فى صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره وبعد قتليه أنشد الغضبان يقول

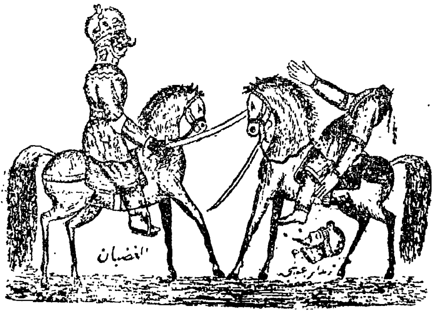
سأخلع عنى العار بالسيف عاليا ... وأحمل ما كان القضاء لى جاليا
أرحل من دارى وأجعل هدمها ... لعرضى عن باقى الطلول حاجيا
وتصفر فى عينى بلادى إذا أبت ... عينى بادراك الذى أنى طالبا
بنى حنظلة تبغى قتالى وأنها ... ترانى كريما لا أبالى العواقبا
ونحن لا نبغى على الشخص الذى ... يهيم فى مقطع الأرض هاربا
ولى فرس بالخير للخير ملجم ... يهيم أشتياقا للحروب مضاربا
إذا هم ألقى بين عينيه همة ... ويكشف عن ذكر العواقب جانبا
ولا يستشير فى أمر غير نفسه ... ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا
وأما اذا النقع أظلم نوره ... أكر انتخذوا الخيل منى غوالبا
أدير على الفرسان كاس حتفها ... أفرق كتابا لهم ومواكبا
وأن تجهلونى فى القتال فاننى ... أنا الفارس الغضبان نسل الأطايبا

قال الراوى فما تم الغضبان كلامه وشعره ونظامه حتى برز اليه الأمير زيد بن عوسجه وصار قدامه وحمل عليه حملة صادقة وأشار اليه يقول

كم أرى الحرب سوق الضراغم ... وكم تعتنق فيه الأسود القشاعم
تراه سجالا للرجال إذا سطوا ... لظى نارها حقا بضرب الصوارم
تعد نوم وقوم لا تعد جسارة ... وقوم هو عندهم عيد ومغنم
وقوم يريدون النفوس منية ... وقوم كأ ياد لهم ومواسم
ولما رأيت الخيل كالسيل أزجرت ... للبؤس فيها كل قرن تعاكم
تأخرت استبقى الحياة فلم أجد ... لنفسى حياة دون التقدم
فلسنا على الاعقاب تدور جموعنا ... ولكن على الاقدام تقطر بالدم
ولما رأيت الود ليس بنافع ... عمدت على الأمر الذى هو أجوم

وليس أمانع الحياة بــذلة ولا من بقى من ذروة الموت سالم

قال الراوى فلما فرغ زيد بن عوسجه من هذا الشعر والنظام قال له الغضبان يا جبان قد نسبت نفسك بالكذب والبهتان فجعلت روحك أنك من جبابرة الفرسان وهذا كله هذيان وشقشقة لسان لكن يا قرنان وابن الف قرنان أنت أن عدت سالما من قدامى من الميدان فبعد ذلك افتخر على من تشاء من العربان ثم أن الغضبان انطبق عليه انطباق الغضب وعبس وجهه وقطب فزعق عليه زيد زعقة عظيمة أدوت لها الجبال والوديان فجاوبه الغضبان زعقة أقوى



من زعقته وضربه بالسيف على قرنه وأطاح رأسه من على جثته فلما رأت بنى مزينة إلى ذلك الحال وقد صار زيد بن عوسجة ملقح على الرمال حملوا على الغضبان وطلبوا الحرب والقتال واشهروا السيوف الصقال وحملت بنى عبس وفعلوا مثل ما فعلوا وعمل السيف اليمان والرمح المران فزاد على الفروان الحرب والطعان وكلت اليدان وانعقد على روس الجميع الغبار وطار إلى العنان وطارت الروس من على هياكل الابدان وزعقت النفوس من كرب الحرب والطعان وكان لهم يوم عبوس شديد الامتحان فلما ثمل العيار على بنى مزينة وبنى حنظلة وطردتهم بنى عبس إلى أبعد مكان حتى أهلكوا نصفهم بالسيف والسنان

ورجعوا عنهم وهم فرحين بالنصر والأمان وعنتر بينهم فرحان بولده الغضبان وما فعل ببنى مزينة فى الحرب والطعان وتقدم قدام بنى عبس وهو كأنه سفينة الجبل وجاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره فأنشد يقول

صفا دهرى وراق بصفو نية ... وأنعم لى باحسان عليه
لقيت بنو مزينة إذا تعدوا ... وحنظلة لهم فى الحرب غيه
وفيهم كل جبــــار عنيد ... هزبر لا يبالى بالمنيه
وأولادى معى يصغوا لقولى ... ومعهم من بنى عبس سريه
لقيناهم باسياف حداد ... تقد العظم والخود العلية
ومازلنا بالسيوف نسوق فيهم ... إلى ربوات معطله خفيه
فكم من فارس منهم تركنا ... عظـامه من صوارمنا رميه
قتلنا أكبر السادات زيدا ... وثنينا بصاحبه نجيــه
وابن السبع يومئــــذ تركنا ... عظامــه رزق أذياب عويه
قهرنا بنى مزينة يوم صلنا ... عليهم بالخيول الأعوجيه
وحماد لقد أضحى طريحـــا ... قتيلا من رؤس السمهوية
غدا فوق التراب طعام طير ... ووحش من وحوش الكاسريه
وظـالم بن عبـد الله أمسى ... تدور به السعالى فى البريه
وكان فى ظلام النقع ملقى ... بما كسبت يداه من الاذيه
وجزعان تركنـا فى قفار ... عليه عن الدمـا حلل طريه
جرعنا أنفه بالسيف جزعا ... بطعن من أيادينا النويه
وجابر بن عامر خـر ملقى ... يعض التراب من عظم البليه
كسرناهم بحـد السيف كسرا ... وذاك جزاء قـوم مفتريه
كذاك عامر أولى هزيما ... وضاع ثناه من تحت الثنيه
ألا مـن مبلغ قيسا بأنى ... قتلت من الاعادى تسعايه
والفا ثم الفـا ثم الفا ... ولم أحصى عـددا للبقيه
تركت مزينة تنظرن شذراً ... وأيدينا تهـز المشرفيه
قتلت سراتهم وهزمت جمعى ... وما كنـا لعمرى بالسوية
وأنى قد فخرت بفخر قومى ... وفخرهم بما قد كان فيه
وفوارسهم كرهوا لقانا ... ولم نبقى عليهم من بقية

ومن لاقيته في حرب عبس فذاك له على الترحيل غيـة
نحن المعدودون لكل حرب ونصلاها بأشـدة جربة
تجنـدل الفوارس في لظاها وتبقى من عداهم كالرعية
وكم أرديت في الهيجاء كبشا أنا نوفل وفودا مع عطية
قتلنا صعصعـة والكل قهرا وأرسلنا السنان لهم هدية
وكم لي قتيـل مع صريع تدوس بطونهم خيل المنية
أنا العبد الذي بديار عبس له شرف على كل البرية
أنا مفني الجبابرة الطواغي ومفترس الأسود الجاهلية
أرى الفرسان تفزع من قتالي وأرى النساء تندبهم اليه
وجاري قد ينام قرير عين كذا له عندي حسن الطوية
أنا كهف الأوامـل واليتـامى ولهم عندي عطايا حاتمية
أنا مردي الحواسد بالعوالي علوت لرتبة الشمس المضية
إن نادى الصريخ أجب نداه وأعلن بالندا عند الندية
أيادينا تطـول إذا عطينـا تفيض وفي الوغى أبدا جرية
أنا عنتر بـنى عبس المسمى هزبر ضيغم نفسي هنية
أبي شـداد قوم بني قراد مجير الجار صاحب الأيد السخية
فخرت به الأبطال حتى علوت على الملوك الكسروية
سلوا النعمان عني يوم حربي فوارس عصبة النار الحمية
أقمت بصـارمي سوق المنـايا ونلت بذابل الرتب العلية
قتلت البدر موت بأرض كسرى وشرفت الملوك الفارسية
سلوا عني رجال الشام ماذا لقوا مني حروب غالبية
فوارس قيصر قصرت وطالت يدي بالمرهفـات المشرفية
ويـوم الجفر في أبنـاء بدر فرستهموا برمـح سمهرية
حذفنا من حذيفة رأس غـدر وألحقنـا باخـوته سرية
ولو من بغيهم جئنا اليهم نعادي الخيـل جريا بالروية
سلوا عنـا موقفنـا المواضي وما فعلت عسـاكرنا القوية
فتكنا فيهم فتـكا شديدا وجندلنا الأسود الحـميرية
منعنا جارنا من كل سوء أراضيه من الأعدا خلـية

نحامي عن حمانا بالمواضى ... ونفصلها بحــد الفيصلية
نفرق جمعهم بسرات عبس ... ونسعر نار حرب مصطلية
ونترك كل جبار عنيـد ... ملقى على الأرض دمه جريا
ونهزم كل قوم تقصدنا ... بسوء فى عوالى الرماح السمهرية
فهل من مبلغ قيس سلامى ... وأسواق كذا أذكى التحية
نحن قد صرنا بالمواضى ... وسعدنا يعـلو فوق الثرية
وقهرنا من طغى وبغى علينا ... وشلتنا مرينـة والقصية
سليكة قد تركناه جريحا ... لأن الكبر كان له جنيه
تركناه طريحا فى البرارى ... والحقناه عربا مفترية
وطير رأسه الغضبان لما ... تلاصق فى القتال بصفونيه
وعفريت السواحل صيره ... ملقى على الأرض بدمه رميه
وفى أبناء حنظلة حكمنا ... كاحكام الرماح للسمهرية
ودسناهم بخيل لم تراها ... إلى الادبار يوما ملتوية
خيول يزحفوا بليوث عبس ... لهـا فى قسطل الهيجـا دويه
وبالغضبان عدنان فى تراضى ... وحفتنا المسرة والمنيـه
فدى الغضبان روحى ثم مالى ... وأهلى والمعـانى المعنوية
كذا ولدى الغصوب ضياء عينى ... وميسرة الرجال إلا كلمية
وعروة والذى يحيى حماه ... ليوث الحرب أقمار ثنيه
بعزة ذكرهم قد زاد مجداً ... صديق فى القصيه والدنية
كذا شيبوب والخذروف حقا ... لهم أيدى ونهلنعما جريه
كذا سبيع اليمن يسموا وينموا ... بعـدل فى الرعاية والرعيه
أباه كان عونى ثم ذخرى ... له منى الصنيعة والوصيه
وأما القرم مازن فهو عضدى ... له عنـدى مصادقة الخويه
فاكرم يابن أبى أخا شقيقا ... وروحى له الفـداء من الرزية

قال الراوى لهذا الكلام العجيب صلوا على النبي الحبيب فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات وسمعها غصوب وميسرة أولاد عنتر وكذلك بنو عباس انطربوا من سعة صدر عنتر وقالوا له لافض الله فاك ولا كان من يشناك يافارس الزمان ويافصيح بنى عبس وعدنان والله ما خليت لأحد بعدك مقال فإنك بلغت مالا يبلغه أحد سواك من الرجال ثم أنهم ساروا

يقطعون البرارى والقفار وهم فى فرح واستبشار هذا ما جرى لبنى عبس من الاخيار
قال الراوى وأما ما كانوا من بنى حنظلة فانهم لم يزالوا منهزمين وإلى نجاة أنفسهم طالبين
والبعض منهم تعلق بالجبال والبعض منهم طلب البرارى الخوال وكانوا بنى عبس لمواشيهم
وأخذوا جميع ما غنموه وساروا وهم فى غاية الأفراح وعنتر بين أيديهم فى انشراح ولما
تمادى به المسير تذكر الأوطان والأهل والجيران وبعده عن زوجته عبلة ذات الدلال والشأن
جاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره فانشد يقول :

قولوا لعبـــلة لو رأيت قتالى	فى يوم سحبل والرجال قبالى
الخيل شاخصة الوجوه عوابس	مثل الفهيد على القنا تمثال
والبيض تقطع فى المفارق واللبا	والسمر دامية من الأقبال
تحايدوا خوف القراع مهابة	لحوادث الأيام صرن ليالى
فتحملوا نائبات المكريهة والقنا	خوفا على النسوان والأموال
ما منهموا إلا هزبر فى الوغى	تحت العجاج عند ضرب نصال
وأنا ورمحى والجواد وصارمى	يوم الهياج مخاصم الأبطال
وكذا بنى عبس حماة اللظى	نار الوطيس لهم بها أشمال
ما منهموا لا كظوم باسل	وأنا عبيد القوم ليس أبالى
ألقى الكتائب لا أهاب لقاءها	أفنى الكماة بأسمر عسال
تمارس والكاسب ومداعس	أبرى الرؤس بأبيض فصال
أنا ابن سادات كرام عمومتى	سام ويافث كلهم مفضال
فسل بنى الريان عنى فى الوغى	وحـــذيفة وفزارة الأنذال
وسل مزينة كيف ولى جمعهم	وتسربوبلوا بالذل والأذيال
وسلوا جهينة حين ولى جمعهم	يتجرعون الموت والأهوال
وسلوا حنظلة قتلنا جمعهم	وبنو قضاعة ذو المقدم العالى
وأنا المفرج كل كرب فى الوغى	أمسى وأصبح فوق جرد صهال
أنا عنتر بنى عبس الذى	ذكر سرى فى بحرها وجبالى
ربى عطانى النصر فى ماضى العدا	ومتوجا بالسعد والاقبال
أعلو على فوق الكواكب رفعة	وهلال سعدى بالضيا متلالى

قال الراوى فلما فرغ عنتر من هذه الأبيات وسمعتها بنى عبس قالوا لافض الله فاك
ولا كان من يشناك وبعد ذلك التفت عنتر إلى شيبوب وقال له هل تعلم أن بنى مزينة باقى منهم

فرسان ما قاتلونا وهل انقطع رجاؤهم وزال طمعهم منا وفارقونا فقال له شيبوب يا أخى أنا أعلم أن بنى مزينة عددهم كثير ولكن على كل حال انكسرت حدتهم وبردت شوكتهم واعلم أن تلك الجبال التى نحن قادمون عليها فيها قبيلة عامرة بالرجال والفرسان وهم أبطال وشجعان وأظنهم يطلبون حربنا وقتالنا والدليل على ذلك أنهم فى هذا الحروب التى جرت ما رأيت أحد منهم قدم علينا وما هم فى هذه الجبال التى قدمنا والرأى عندى يا أخى أنك تأخذ لنفسك الحذر من قبل أن يصيبنا منهم الضرر لأن العرب الذى انهزموا من قدامنا لا بد لهم أن ينزلوا عليهم ويحثوهم على قتالنا (قال الراوى) وكان الحساب الذى حسبه عنتر وشيبوب صحيحا لأن بنى مزينه وبنى حنظلة اجتمعوا ببنى عمهم وجيرانهم وشكوا حالهم اليهم وما تم عليهم ونالهم من قتل صعصعة بن العوام ومن قتل لهم من بنى مزينة الكرام وقتله سليك بن سلكة والأمور التى جرت من ذلك الحرب الأكيد فصعب عليهم واغتاظوا غيظا شديدا وتعاهدوا مع بعضهم البعض على أنهم يكونوا يدا واحدة على لقاء بنى عبس ثم أنهم أخذوا أهبتهم للحرب وملاقاة الطعن والضرب فهذا ما كان منهم قال الراوى وأما ما كان من عنتر ابن شداد وولده الغضبان وميسرة وغصوب فانهما ركبوا وساروا فى خمسمائة فارس حتى أشرفوا على الجبال ونزلت بنو مزينة تطلب من بنو عبس الحرب والقتال فقال الغضبان انظر يا أبتاه إلى هؤلاء الكلاب كيف أهلكنا منهم خلق كثير ولم يرجعوا عنا ويحقنوا دماءهم فقال عنتر ياولدى فى ذلك الأمر معذورون ولا بد أن يقاتلونا حتى نفنيهم أجمعين وهذا شىء لا يمسنا فيه ضرر فان كل من أتانا من رجالهم وفرسانهم قتلناه ونهبنا أمواله فقال الغضبان أى وأبيك سوف ترى ما تقر به عينان ثم أن الغضبان صاح على العدا صيحة تزلزل لها السهل والجبل وتبعه أخوه غصوب وفعل مثل ما فعل وحمل من بعده ميسرة كأنه القضاء المنزل وحمل مازن أخو عنتر وعروة بن الورد ومالك بن قراد وولده عمرو وأخوه زخم الجواد وتبعهم بنو عبس الأجواد والتقتهم بنو مزينة وبنو حنظلة وحملت الطائفتان وزعق على رؤسهم غراب البين وحان وتقابضوا باليدين فترى الأجواد غائرا ودما فائرا ورأسا عن البدن طائرا وانفطرت المرائر وتكدرت الدنيا بالغبائر وتفتحت المقابر وكانت وقعت من وقعة تجلى عليها الملك العظيم القادر وزادت الزوابع والغبائر واحتبك النقع واعتكف وأدام الأمر على ذلك الحال حتى اقترب الزوال ونظرت بنى مزينة من بنى عبس الأهوال وقتلت وفرسانهم وجميع الحياة والأبطال فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وتبعتهم بنو عبس فى الفلوات القفار حتى أبعدوهم وشتتوهم فى السهول والأوعار

وعادوا من خلفهم وجمعوا خيلهم وما تخلف من الخيل النادرة والنوق والعدد ثم وعادوا وهم فى أمان فقال عنتر من بقى يا شيبوب من بنى مزينة يطلب حربنا والطعان فقال شيبوب يا أخى ما بقيت ترى من مزينة بشرا فابشر بالنصر ففرح عنتر وبعد ذلك طلبوا المسير فى البرارى والقيعان وهم فى غاية الشوق إلى أرض الشربة وتلك الأوطان ولم يزالوا يجدون فى سيرهم حتى وصلوا الى قومهم وأرسلوا شيبوب يخبر بقدوم أخيه ومن معه من الفرسان فسار شيبوب حتى وصلوا إلى الحى وأوقع البشائر فقالوا له عند ماسمعوا منه الصياح مرحبا فى مبشر الأفراح ثم ركب الملك قيس فى بنى عبس إلى لقائه فلما رآه عنتر ترجل عن الجواد وسعى إلى الملك قيس حتى بقى من بين يديه فانحنى الملك قيس عليه وقبله بين عينيه وأمره بالركوب فركب ومشى إلى جانبه ثم جعل يحدثه بما جرى له فى صحراء سحبل ووادى الذئب وما قاسوا من كل أمر عجيب والملك قيس يتعجب من ذلك الأمر المريب وداموا كذلك حتى وصلوا إلى الابيات والتقتهم الحرائر والاماء وكثر بينهم الفرح ودخل عنتر على ابنة عمه عبلة فقامت إليه وضمته إلى صدرها وقبلته بين عينيه ثم تفرقت فرسانه وأولاده إلى أبياتهم وأقاموا فى هناء وإكرام قال الراوى إلى يوم من الايام كان عنتر جالسا بين أولاده إذ أقبل عليه رجل أعرابى وهو فى وجد كبير ولما رأى عنتر صاح به كالمستجير فقال له عنتر ما حالك يا وجه العرب فقال الأعرابى اعلم يا أبا الفوارس أنى قد قاسيت كل هم بكير وقطعت كل بر عسير حتى أنى وصلت اليك وقدمت عليك وأنا بك مستجير فإنى على كل حال جارك وصرت فى حسبك وزمانك وفضلك وحبلى متصل بحبلك واعلم يا أبا الفوارس أنه كان معى نوق وجمال خاطرت بروحى دونها حتى سقتها من بلاد بعيدة وقطعت القفار حتى وصلت إلى هذه الديار قطعت على سرية عربية فأخذوا منى النوق والجمال فقلت لهم بكلام لين ومعروف يا وجوب العرب لا تعاملونى بالمتلوف فإنى رجل فقير وقد قضيت الأهوال حتى رأيت فى يدى هذه الغنيمة وإن لم تتركوها لا بد لى أن أحث عليكم بالنفير ولا أخليكم تمضون بالنوق والجمال فقال مقدمهم إذا انفرت علينا الفرسان وأتينا بالسيف مع السنان فإن وجدنا ما لنا بها طاقة أتينا من يحمينا من كل قائم وقاعد فقلت يا قوم من تكونوا فانى لا أرى عليكم زى عربان اليمن قالوا نحن من رجال الملك عبد هياف الذى لا يهاب الملوك ولا يخاف فلما سمعت كلامهم صرت أقصد الملك وأذكر لهم عبد هياف فما أحد يجيب قولى وكل منهم يفزع ويخاف فضاق

على الأمر والحال فقصدتك لتكشف ظلامتي وأنا في جيرتك يا أمير عبس وعدنان (قال الراوي) فلما سمع عنتر من الأعرابي ذلك الكلام قال له يا أخا العرب أنت من تكون من العربان الكرام فإنا عمري ما رأيتك إلا في هذه الأيام فقال له يا مولاي أنا سمي عوف بن قائد الفهدي طبيب قومي عندأوجاعها وفارس قومي وشجاعها وأنا جارك باختيارك وبغير اختيارك فقال له عنتر وأي جوار بيني وبينك يا ابن السادات فقال له أعلم أنني كنت جزت يوم على مراعي جمالك والأغنام السارحات فرأيت عبيدك يريدون الماء فلم يجدوا معهم حبال لاجل أنه يوصلوا به السقاء فقال لي بعضهم أعطني حبلك حتى أوصل به حبلي فقلت لهم أتاذنوا لي ياوجوه العرب أن أوصل حبلي بحبالكم فقالوا نعم فاوصلت حبلي بحبالك وجمعت أبلي بابلك وأروينا جميع المواشي وهذا سبب ووصل الحبل بالحبل نسب يا زين العربان قال الراوي فلما سمع عنتر كلامه زاد ضحكه وابتسامه وقال له أي والله لك الجوار والزمام من جميع الانام وأعلم جميع أنك عندي وتحت زمامي وما بقيت أقيم في مكاني حتى أرد مالك عليك فقال له عروة بن الورد يا أبا الفوارس نسير خلف بل هذا البدوي ولم تعلم بذلك الملك قيس والرأي عندي أن تعلمه قبل مسيرك معه فقال عنتر يا عروة أي شيء هذا الكلام أنت تعلم أني أستأذن على شيء مدا الأزمان والله ما يستأذن على ذلك إلا الذليل الجبان وأنا مثلي ما يقال له هذا الكلام وأنا الذي تفزع مني الأسود في الآجام ولي مثل هذه الابيات الحسام ثم أن عنتر أنشد يقول :

توددني مع عتري من شراستي	وشدة أقدامي أعروة لاتدري
أعروة أن المرء إن قال أحكي	يبيت على حال أمر من الصبر
وفي اللين ضعف والشراسة همة	فمن ذله صبر على مركب الحبر
فلا تعزلني أنني ليث غابة	صبور على الاعسار مستدرك الأمر
إذا هم الفتى بنى شداد عزمه	وصمم نصب الحوض على الصبر
أبا الورد لاتخشى من الموت أنه	فتى ملك يفنى الانام ولم تدري
أنا فارس الهيجاء أن أحالت العدا	وددهموا طعنا أحر من الجمر
أبا الورد لاتخشى سطوة العدا	حتى تنال النفس من غاية العمر
أبا الورد أن الموت لو جاء وقته	فقدت جميع الأهل ما بقى الدهر

قال الراوي فلما سمع عروة بن الورد من عنتر ذلك الشعر والنظام واقعه الحياء والخجل وأما عنتر فانه طلب جواده وركبه ثم المسير وركب معه عروة بن الورد وولده غصبان وشيبوب

وميسرة وسبيع اليمن وهم هؤلاء الابطال المغاوير الذى مالهم فى الحرب نظير وشيبوب وولده الخذروف وأخيه جرير وساروا أجمعين ولم يزالوا سايرين خبب وتقريب حتى أدركوا الاعداء عند المغيب ونظروا النوق والفرسان من خلفها اليها تسوق فسبق اليهم عنتر كأنه الطير المطلوق وزعق عليهم بصوت كالرعد المروق فقال له يا وجه العرب علامك أعلمنا قصدك لهم ومرامك فقال ردوا تلك النوق الى أصحابها والا أطحت رؤسكم عن أبدانكم ولا ينفعكم مالككم فقالوا له أنت تعرف سلطاننا والحاكم علينا حتى تذكره قدامنا وتستصغر شأنه فقال عنتر ردوا النوق ودعوا عنكم الإطالة يا أوغاد غير أجواد فانا عنتر بن شداد فارس بنى عبس الأجواد فلما سمعوا كلامه قالوا له أنت مجنون أم عديم المعقول ولا تدرى ما تقول ولا تعلم أن النوق سارت تحت زمام من هو أقوى من سائر الملوك الشداد مع أنك لو كنت أنت وملوك العربان وكسرى مالك عباد النيران وقيصر مالك الصلبان فما تقدر على رد هذه النوق والجمال ولا تأخذوا منها عقال لأنها صارت فى يد ملك السند والهند والسند تلك النواحى والأطراف وهو الملك عبد هياف لأنه مالك همام يحكم على الف قبيلة وكل قبيلة تقرعها مقرعة على الدوام ومن عارضه من العربان الكرام فقد عرض نفسه للهلاك وشرب كاس الحمام فاذا اردت السلامة والعودة من هذا المقام فلا تتعرض لهذه النوق والفصلان وإذا أنت عارضته فيما يكون فكأنك تبقى مجنون فانه ذل بشجاعته الف ملك وأسرهم وعفى عنهم وجعلهم أتباع له وأنت يا عنتر قبيلتك كلها أربعة آلاف بطل ما بين ذليل وشجاع وهذا تحت يده الف قبيلة واقلهم ملك يحكم على عشرة آلاف فارس مناع وأما عسكره المختص بهم أربعمائة الف خلاف الاتباع فلا ترمى نفسك فى بحر عميق الاتساع وتظن أنك تخوضه بالباع والذراع وأقل موجة من أمواجه تهلكك (قال الراوى) فقال عنتر يا وجه العرب أناقات لكم أوصفوا الى مالككم وماله من الجنود والاتباع وأنا ماقلت لكم إلا رد هذه النوق لصاحبها واتركوا الأطماع ودعوا مالككم يكون كبيرا او صغيرا او شجاع او جبان فدعوه يكون مهما كان ولو يكن له جنود وأعوان ولو اطاعوه الإنس والجان مثل ما أطاعوا نبى الله سليمان أو يكون النمرود بن كنعان فما أتركه يطا أرضى ويأخذ النوق والفصلان إلا بعدما يقترن فى الميدان ويظهر له دليل وبرهان فقال له المتكلم يا عنتر أنت معلوم أمرك أنك فارس عصرك ودهرك فلم تعم على العربان بشرك فإنك إذا أخذت هذه النوق ونحن نعود الى بلادنا

ونعلم ملكنا فيتولد منها حروب وفتن إذا سمع ملكنا بهذه الأشاعة وإذا ركب على بلادكم فما يقبل أحد شفاعة وإنما نحن نعود معك من هذا المحل إلى عند ملككم قيس فيحكم بيننا وبينك بالعدل فان حكم لنا بالنوق أخذناها فقال عنتر ياشيخ لا يمكن أن ننتقل بالنوق قدم واحد وهى معك هنا بل أعطى النوق لأصحابها وقاضينى أنا (قال الراوى) فقال المتكلم يا أبا الفوارس نحن وقعنا بين أمرين خطيرين فلا كانت النوق ولا كانت ساعتها لأنك ما بقيت تتركنا ونعود ولو كان حولها قوم عاد وثمود والذى استجار بك رجل فقهو ولم بقى يمكنك أن تتخلى عنها ولو كانت أخصامك الجن الأرض السفلى ولا نقدر أن نترك هذه القضية ونعود بلا حاجة مقضية ونحن أيضاً ملكنا إذا علم أننا أخذنا نوق غنيمة وأخذت منا فهذه أكبر المصائب لنا وإن نحن قاتلناك فما نقدر على قتالك لأنك فى أرضك ولو كنا فى بلادنا ما نقاس بأمثالك لكن نسير معك إلى قاضى العرب ليفصل بيننا وبينكم فلما سمع عنتر هذا الكلام تنفس صعداً وأبدى لوعة وكمداً وقال المتكلم ياشيخ رد النوق ودع كثرة الكلام وإذا وحق الملك العلام أطحت رؤسكم جميعاً بالحسام ولا ينفعكم ملك الهند ولا ملك الروم ولا ملك الفرس و لأعجام فلا بد من عودة النوق ولا يتعرض لها جنس مخلوق ثم أن عنتر لما فاض به الوجد والبلبال أنشد وقال صلوا على باهى الجمال .

قامت دعاوينا إلى حقه	بين الأعادى المستحقة	الموت يعلم لو بدا
لى شخصه ما خفت منه	والسيف يعلم أننى	أعطيه يوم الضرب حقه
وإذا شكى رحى الظما	أجعل دما الاقران رزقه	واعلم بأن المجد ليس
ينال إلا بالمشقـــة	وأنا الذى ألقى الجيوش	وكلهم عندى كقبة
إن كنت تعلم أن لك	ملكا وسلطاناً صدقه	إذا زعقت عليه زعقة
لا بد رأسه أن أشقه	لأنى باللقا أقطع رجاه	إذا زعقت عليه زعقة
فتراه منهـــزما ولا	يلوى إلى أحد بنطقه	ولا اشتقى من جيشكم
تحملنى فى يوم ألقه	وترى شحاطا صيتها	الرأس يفلق أى فلقة
يردى العدا عنـــد اللقـــا	لو أنها فى ألف فرقـــة	

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من انشاده وقد أشفى بالشعر غليل فؤاده يا وجوه العرب لا بد من رد النوق إلى صاحبها حتى تبقى فى يده و يملكه وأسير معكم أنا أينما تريدون وتتحاكمون فان صارت لكم أعطيكم عوضها من مالى وإن يظهر لكم فيها حتى فتكون أخذها

صاحبها لأنه مستحق لها قال الراوى وهم مع عنتر بالمشاجرة وقد وصل الخبر إلى الملك قيس فارسل خلفهم وأراد بتلاطف هذه القضيه ويطفى هذه الفتنة بالكلية وقد وصل رسول الملك قيس إلى عنتر وقال له اعلم ياحامية عبس أن الملك قيس يدعوك اليه وتحضر بصحبتك أخصامك حتى يفصل هذه القضية قال الراوى فالتفت عنتر إلى رجال الهند وقال لهم أعلموا أن الملك الذى أنا من تحت حكمه أمرنى بالحضور اليه وأحضركم بين يديه فماذا تقولون فقالوا له سمعا وطاعة فقال عنتر أنا كما أقول لكم سلموا هذه النوق إلى صاحبها فاتطمعونى إلا كلام وأنا بحق من سير الغمام ولو تكون هذه النوق تحت حوزتى واستمع ملككم عبد هياف وجميع ملوك النواحى والاطراف وطلبوا ردها فاينالهم ولا شعرة واحدة من جلدها وأنا كما قلت لكم ردوا للاعرابى النوق فتمطونى كلام فبحق من أنار الشمس وفضل اليوم إذا لم تفعلوا ذلك لاربطكم فى الجبال واجعلكم رهاين فى الاعتقال فالنوق الذى أنا طالبها سلموها لصاحبها ولا تفتخرون بملككم يا أوغاد غير أمجاد فان كان هو اسمه عبد الوهياف فانا عنتر بن شداد وأنتم تقولون أنه ملك جبار وصاحب مدائن وأمصار وينقاد لها من العساكر جيش جرار وما كان فى مداينه وأمصاره مايغنيه عن هذه الفلوات والفساد وب أموال العباد ويقنع بالف ملك وكل ملك له مدائن وعسكر وها أنتم فضحتموه ودنيتم مقامه ودنيتم أنفسكم على مائة ناقة لرجل أعرابى مستحقها أما فيكم نخوة رجال حتى تفعلوا هذه الفعال ولكن ما بقى لكم عندى مقام إلا ردالنوق منكم قهرا أو أنهبكم بالحسام ونهباً ولا ابغلكم أمرا ويقال أنها سرية من الهند غارت فى ارض الحجاز وأخذت منهم النوق والجمال ولم قدر أحد عليها من الابطال وها أنا قدعر فتمونى فى طريق بلادكم فما بقيت أجعل غزواتى إلا عليكم وأنا أقدر أردكم عنى إذا أخربت بلادكم وأما أنتم إذا أنا أردت هلاككم فما يحميكم ملككم لا يأخذمنى ثاركم ثم التفت عنتر إلى الأعرابى وقال له خذ نوقك وجمالك وسر ياشيخ فى حالك وحق من رفع السماء بالقدرة لو اجتمع كل ملك هو ملوك الأرض وكل بدوى فى الصحرة ماقدروا ان ياخذوا من جمالك شعرة منهم لا بعرة فقالوا له سر بنا إلى الملك قيس فقال عنتر سمعا وطاعة وإن حكم ملكنا أنها لكما فانا أعطى صاحبها عوضا من نوقى وجمالى وأما بوجه الحق فلا لكم عندى إلا السيف لأنكم تعديتم من بلادكم إلى بلادنا لأجل نهب أموالنا ثم ساروا الجميع إلى الملك قيس وقبل عنتر الأرض بين يديه فقام له الملك قيس قائما على قدميه وأجلسه إلى جانبه وقال

له يا ابن العم أى شىء الذى أغاظك من هؤلاء الناس الغرباء ولا بينك وبينهم معاملة وتحكى لهم شىء ما يعرفوه وأنت تعلم أن البر واسع وجميع الفرسان من عدنان وقحطان تغير على بعضها بالحرب والطعان فالذى له مقدرة يدافع عن أمواله بالسيف والذى لم يقدر يستنجد ببعض الفرسان فيخلصوا له أمواله ولهم بذلك عادات أما يكون بالذكور والهبات وإلا بالسيوف المرهفات وهؤلاء يا ابن العم سرية من بلاد الهند وغاروا على بعض الرجال أخذوها وأنت أى شىء الذى ألجأك أن تذب عنها لأن طلبك فى ردها للاعرابى من باب الخلاف وتحوجنا أن نعادى الملك عبدهياف فقال عنتر يا ملك يهون عليك أن تدنى مرتبتى بين القبائل وأنا حامى بنى عبس وعدنان ومذل الفرسان ويهون عليك أن تسمع القبائل بأن جارى غاروا عليه الهند فى بلاد الحجاز ولم قدر عنتر أن يمنع أخصامه عن الطعن والانجاز فقال الملك قيس يا أبو الفوارس هذا رجل غريب ومن أجله تريد أن تضرم علينا نار أو لهيب ولا هو جار لك ولا نسيب وتروم تبلينا بقتال عبدهياز وتورثنا المهالك والانكلات وأنت تدعى أن هذا البدوى نزيلك وهو لك جار فهذا حقا لك جار أم كلامه من باب الاقتدار فقال عنتر وذمة العرب يا ملك أنه جارى وها أنا قاعد عندك وأطلب أنت الرجل واسأله فقال ومن فينا يحضره فقال عنتر امضى يا شيبوب وهات الرجل فغاب شيبوب ساعة وعاد والأعرابى صحبته فقال عنتر لا بأس عليك دلالك إلا كل الكرامة وتعود إلى أهلك بالسلامة ولكن حدث ملكنا قيس المعتبر فان مراده أن يستصح الخبر فحكى الأعرابى للملك قيس يصدق المقال وأن سبب الجوار اتصال الاحبال فقال الملك قيس يا أبو الفوارس وعلى ذلك صار جارك فقال عنتر نعم جارى حقا وصار تحت زمامى كل من خالف هذا الكلام أطحت رأسه بحد الحسام وقام عنتر من وسط ذلك المحضر وعيناه طار منها الشرار وهو يهدر ويزمجر وقامت شعرات شاربيه وقد خاف منه كل من نظر اليه فلاطفه الملك قيس بالكلام وقال له يا بن العم أما أنا فقد أحرت زمامك وصدقت كلامك ولكن أولاد عمك وهم بنو عبس مرادهم أن يعرفوا أصل هذا الجوار وكان الأعرابى واقف فقال عنتر احكى لهم يا شيخ بالاخبار فعاد الرجل عليهم الحديث وسمعوه العرب وكلا منهم صار يتعجب ثم أن الملك قيس هذه قضية مشكلة وما يفصلها غير قاضى العرب والتفت إلى فرسان الهند وقال أنا لم أحضر زمام حامى قبلتى فان القبيلة كلها فى حاميته بالكامل وتحت ظل سيفه وسنان رمحه الذابل وكلما شرع فيه نتبعه

أن كان حقا أو باطل وأنتم ناس قادمين من بلاد بعيدة من طرف ملك مطاع فلا بد لكم من
الاقناع فسيروا إلى قاضى العرب ودعوه يقطع هذه الحكومة على أى مذهب فعندها ركب
عنتر والملك قيس وساروا فى أمان إلى قاضى العرب ثابت بن حسان فلما دخلوا العرب جميعاً
إلى منزله نزلوا عن خيولهم وساروا بين يديه إلا عنتر فانه بقى على ظهر الجواد ورضى لنفسه
أن يموت بحد الحسام فى هذه الفتنة والخصام ولا يكون مفسوخ الزمام وما قصده إلا اهلاك
فرسان الهند قال الراوى ونظرت رجال الهند إلى عنتر ملبساواهم ولا نزل عن جواده
مثلهم فقالوا ما تنزل يا أبا الفوارس حتى تقضى الحكومة وأنت جالس فقال عنتر
الأمر قريب وما يحتاج إلى نزول فالقاضى يحكم وأنا أسمع ما يقول ولا أحاكم إلا وأنا على
ظهر جوادى أبصر كل من طلب عنادى وأريح قلبى وفؤادى وكل من تعدى عن الحق
رديته اليه إن كان من الاصدقاء أو من الأعادى فانغاظ القاضى فى الباطن وقال له أى شىء
قصة أخصامك فقال عنتر هاهم واقفين قدامك فما قصتهم إلا تعدوا على جارى فأخذوا
نوقه وجماله فرديتهم اليه وأعطيت الإبل لصاحبها وهم قصدهم يوقعوا الفتنة والخصام
ومع عدم اقتدارهم على الحرب والصدام طلبوا الانصاف بالأحكام فقال له القاضى لقد
تعديت أيها الفارس الجواد على هؤلاء القوم الغرباء من هذه البلاد وقولك أن اتصال الحبل
بالحبل نسب هذا لا يجوز فى مذهب العرب ولا يقال أنه جوار ولا حكمت به السادات
الأخيار فقال له عنتر كيف تأتى أعادى الهند وتطأ أرضى وبلادى وأنا مقيم فى هذه
البلاد واسمى عنتر بن شداد والله يا قاضى لقد ملت فى كلامك مع العدى ولا شك أن مالك
معرفة إلى طريق الهدى وأنا لأجل ذلك ما نزلت عن جوادى ولا رضيت أن أكون لكم
محادى وأنا والله يا قاضى ما عندى قاضى إلا حسامى أقاضى لأنه يرد الغضبان غصبا راضى
وحق من رفع هذه القبة الخضراء وشرف قدر أبى قيس وجرى أن لم تنطق بالحق فيما تتكلم
وإلا أنت تعرف على ماذا فقدم سألتك بالله العظيم وبحق زمزم والحطيم ومقام الخليل
إبراهيم أما سمعب أن عبد قرن جواده واستأذن على ركايا الماء لرجل أن يسبق إبله
فأذن له وأوصل حبله بحبله وأسقنا أبله فلما سار فى حالة ركب وراءه العدى فأخذوا نوقه
فرجع وأعلمه فركب معه ولحق العدى فخلصها له ولم يعدم منها ولا عقال وعاد ينشد ويقول شعراً

بادر إلى رد ممشارى فقد غدوت ... أن الوفا علينا حقا واجب
أنى أحادر أن أغادر سنة ... يعمل بها جسدى لؤى وغالب

والوصل بالوصل الحبال نسابه ... من ردها حبلى فليس بصائب
من قال قولا منه لايدرى الخطأ ... خصما له شرف وهذا مذهب
وصل السقى نسب صحيح صادق ... من شك فيه يكون اص كاذب

قال الراوى فلما سمع الملك قيس من عنتر هذا الكلام قال يا عنتر بأبى وأمى أفديك ثم قال للقاضى هل صدق عنتر فيما قال فطأطأ برأسه القاضى ولم قدر أن يبدى مقال فعندذلك ركب الملك قيس على ظهر جواده داحس وتبعوه أبطال بنى عبس الأخيار هذا وعنتر واقف ولم سار وعيناه كأنها جمار النار فانشد يقول :

أنا عنتر العبسى حامى عشيرتى ... والجار أحميه من الظلام
وعلى للجيران حق واجب ... مادام ذاك الجار تحت الزمام
من رام يتعدى لجارى يلتقى ... ليث الحروب وللعدى صدام
لم أكن أحمى حمى من يحتمى ... بى لم أكن أسمى أنا بالحام
ان لم أكن أحفظ لجارى وأحمه ... فيكون على حرم حمل حسام
من فيكمو يحكم بما قد قلته ... طوعا وإلا هذا الحاكم الضامى
قولوا لمن رد الكلام سفاهة ... فهو الحمار ويحمل الأسقام
قد قلت فيـــه معنى للذى ... لايورث الإنسان حق زمام

قال الراوى ثم أن عنتر قال لصاحب الإبل سوق مالك وأمضى إلى حالك فساق الرجل نوقه والجمال وطلب حيه والإطلال فالتفت عنتر إلى قاضى العرب وقال له أن قالت العرب إن اتصال الحبل بالحبل ليس بجوار فانا أجعله جوار وسنة وزمام وكل من عارضنى فى هذا الكلام ضربت عنقه بهذا الحسام ولو كان أبى وأخى أو من بنى الأعمام ثم صار طالب الخيام ولم أحد يقدر يجاوبه بكلام ولما قال عنتر هذا المقال أضطربت الخلائق يمينا وشمال فقال قاضى العرب يا قوم اسكتوا واسمعوا المقال وأعلموا أن عنتر لا يرد له كلام لأنه حاميتنا فى كل شعب وواد وأعلموا ياسادات الهند أن هذه النوق مادخلت تحت إدارة عنتر وهذه سنة حميدة الذى استنها بين البشر وإنما أنتم ياسادات الهند خذوا من مالى عوض عنها وزيادة عن النوق التى أخذتموها ولا توقدوا نار الفتنة وتضرموها وتظهروا فى الأرض الفساد وتظلمون العباد وتخربوا البلاد فقبلوا رجال الهند ماقال حاكم العرب وقاضيها وعاد عنتر وهو عزيز الجناب وأعطى

صاحب الأبل نوقه وجماله وزاد له مائتين من ماله وسار الأعرابى طالب عياله وهو فرحان بخلاص أمواله فقال له عنتر ياوجه العرب هل بقى لك فى هذه الأرض حاجة حتى أسعى فى قضاها بلا لحاجة فقال الأعرابى وحق ذمة العرب ماأريد إلا سالم من جميع الآلام فزاد بعنتر الضحك والابتسام وعلم أنه سيذكر جميله فى سائر الآكام فاعطاله الفين دينار وعشرة من الخيل الجياد وقال له أنت فى زمامى وعند سالم غانم حتى تلحق أهلك ويجتمع باولادك شملك وخذهذه المغفرة معك فان عارضك أحد فاظهرها له فأنها تحميك وتحمى قبيلتك وذويك وأنت فى زمامى حتى تبلى عظامى فقال الملك قيس وهل تعطيه الزمان من الموت فقال عنتر يا مولاى أما إذا مات من الله فما أقدر أعارض القضاء بل إذا علمت ذلك كفلت عياله وذريته باقى عياله وذريته وأما إن قتله احد فى مجال ركبت جوادى وأخذت له بالنار وقتلت قاتله ولو أحمته كل من كان من ملوك الزمان وأن مات أيضا وهو سائر من هذه الديار رتبت لعياله مايكفيهم إلى آخر الأعمار فلما فاسمعت العرب بان مقاله تعجبوا امنه وأما الملك قيس فرح بهذا الكلام وقام بروحى أفديك من كل مايؤذيك والله مالك نظير فى هذا الزمان كل هذا يجرى وكل من المجلس يسمع ويروى (قال الراوى) وكان الربيع بن زياد وشيخ العرب عمارة وأخته جالسين من جملة الجماعة والحسد يعمل فى قلوب الجميع فقال عمارة لأخيه الربيع ياأخى شيء تفعل فقال هذا العبد الذى دائما يرتقى درجات وعمارة من أجله فى أشد النكبات فقال الربيع ياعمارة هذه النوبة آخر عمر هذا الولد الزنا لما عبد هياف إلا قوى الجنان أقوى من عنتر ولا سيما صديقه الملك الأخضر عن قليل ياتون اليه ويرمون شرهم عليه ويصرمون عمره ويمحون أثره يظن هذا الاسود الجلد الملعون الأب والجد أن السعادة له على طول الزمان ولم يعلم أن ملك الموت يحوم عليه لانه قد أنتزع النوق التى صارت تحت حكم ملك الهند وما التفت إلى أحد من العباد وفعل ماأراد وسن فى العرب سنة ميشومة ولم يرض بما حكم قاضى العرب قال الراوى لقد أخبرنى مما أثق به وأعتمد فى كلام الصدق عليه سوى مارأيته بعينى وحققته بالنظر أن الملك عبد هياف كان ملك جبار رسلطان لاتهوله الاخطار ونريد ذكر حديثه ومنشأه حتى تقع لنا الفائدة المستقيمة ونعلم منشأ الملوك كيف يكون وكذلك عربان الجاهليه والفرسان قبل ظهور سيدنا محمد ولد عدنان صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام الاعيان وأن هذا عبد هياف أصل أمه الملكة طلعة وهى

ملكة بلاد السند وهى أفرس أهل زمانها مليحة الخصال باغضة للرجال تغار على الملوك وتنهب الأموال ولها فرسان وأبطال وكان فى بلاد الهند ملك يقال له عبدهبل وهو فارس ومالك المداين والسهل والجبل تخرس الالسن عند سماع ذكره وإذا برز إلى مقام الحرب لم أحدا يقدر يقف بين يديه وهو جبار ومالك مغوار صاحب المداين وأمصار ويتبعه من العساكر جيش جرار وهو ملك بلاد الهند يليها من البرارى والبحار (قال الراوى) وسبب زواجه من الملكة طلعة أنها كانت غارت على بلاده وأسرت بعض فرسانه فركب هو الآخر وغار على بلادها يقال له وزيره ياملك ماهذا صواب أن تغير على امرأة من أهل الحجاب بل تأمر عساكرك أن يعملوا غزواتهم عليها فقال الملك عبدهبل صدقت وأمر عساكره أن يدرسوا بلاد الملكة طلعه ففعلوا ذلك وتتابعت الفرسان وأغاروا على بلادها وأخربوا ديارها والملكة طلعه لم تعلم بتلك الأخبار وزراتها كاتمين عنها الاسرار وهم يرسلون عليه عساكر ليردوا عساكر الملك عبد هبل فلا يمكن ذلك لأن الملك عبدهبل مقويهم بنفسه وكان آخر من خرج من وزرائه يقال له شيظبان وعساكره ثمانون ألفا كلهم شجعان وخرج وزير ثالث يقال زهندان عساكره سبعون الفا من الفرسان وقد اتفقوا أن يكونوا يد واحدة فى ركبة واحدة وغاروا على الأرض والبقاع وفى ظرف سنتين أخذوا من الملكة طلعه من أربع مدائن كبار وثمانية عشر قلعة وبلغ وزراتها تلك الحالات فقال مابقى يمكننا سكات ثم اعلموا الملكة فى الحال فركبت بنفسها وساروا من خلفها أرباب دولتها وحلفت لاتنزل من على ظهر الحصان ولاتدخل صيوانها ولاتنام على فراشها إلا أن حصلت ما أخذوه وأقامت مدة ثلاثة أشهر حتى أهلكت الوزراء الذى قدمنا ذكرهم وأهلكت غيرهم وغيرهم ولم تزل الملكة طلعه تغن على بلاد الملك عبد هبل وفيها طامعة حتى أخذت من بلاد الهند أقاليم الجوز واقليم الخضره وكل اقليم منها قدر اقليم النيل مرتين والاقليمين المذكورين يحتووا على مداين فى البر والبحر ومداين عامرة فعلم الملك عبد هبل بذلك فجمع أرباب دولته وقال لهم سمعتم بالذى فعلته طلعه ملكة السند وأنا مابقى لى عنها سكوت أما أن أقتلها واحتوى على ملكها أو هى تقتلنى بيدها ثم ركب فى عسكره وانتشرت على رأسه الرايات والازدهار رأت وسلك البرارى والقفار حتى توسط الطريق فبلغ الخبر إلى الملكة طلعه فركبت فى عساكرها

(تم الجزء السابع والثلاثون ويليه الجزء الثامن والثلاثون)

الجزء الثامن والثلاثون

من سيرة عنترة بن شداد

وكانت ستمائة الف فارس كلهم بالدروع الداودية فلم تزل سائرة إلى أن وقعت العين على العين فى نصف الطريق فقالت الملكة طلعة لمن حواها أقفوا أنتم بالعسكر مكانكم فأزلوا فى هذا المكان وانصبوا خيامكم حتى أسير أنا إلى هذا الجبار وحدى وأنهيه عن الجور والتعدى فركبت جوادها وسارت تخترق الصفوف وهى هايجه كما تهيج الجمال حتى وقفت أمام عبد هبل فقالت له وهى على ظهر جوادها يا ملك وأى شىء فى هذا من الافتخار إذا سلطنا العساكر يهلكون بعضهم فى هذا القفار وإنما إن أردت انجاز الحال تلتقى أنا وأنت فى مقام الحرب والقتال فمن ملك منا صاحبه يحكم فيه بما يختار وكانت الملكة طلعة بديعة الجمال لها رجه كد ثرة الهلال وعنق كعنق الغزال فلما نظر الملك عبدهبل هام بحبها واشتعل فقال لها يا ملكة قد ملك هكذا ما هو صواب فلو أكون أخاين كنت أقبض عليك فى هذه الساعة وأنزل بك العذاب فعودى إلى مقامك وجاوبينى بكتاب فقالت له وما الحاجة بالكتاب وخير البر عاجله وأن أردت أن تقبض على دونك وما تريد حتى تعرف الناس من فينا فارس شديد وأن أردت الانصاف فابرز إلى من غير فزع ولا تخاف فقال لها الملك عبدهبل أجبتك إلى هذا العمل فعادت الملكه طلعة وهى تنفخ كأنها الأفاعى وكان الملك عبدهبل قد اشتد به الوجل وقال لقد طمعت فينا هذه العاهره وأنا وحق الإله الذى تفرد فى ملكة بالوحدانية ولا يحتاج إلى معونة لم بقيت ارجع وأجاس فى مملكتى إلا أن جعات السند والهند مملكه واحدة ثم أنه بات إلى الصباح فما صدقت الملكة طلعة أن ترى العساكر قد تصففت حتى خرجت وهى راكبة على جواد أدهم بغره كالندوهم إذا صهل كاد أن يتكلم وعليها عدة كاملة وعليها بيضة عادية ململمة مجلية ترد أسباب المنية فلما هدأ شعث الحصان أشارت تقول هذه الأوزان :

سلكت البرارى من قفار وبيدها	وهلكت من جيش الأعادى عديدها
فما حملت أنثى مثلى فريدة	ولا حمل الخيل الجياد وحيدها
إذا الخصم نادى بالبراز أجبته	بابيض ماضى الشفرتين حديدها

وأسمر خطى كعوب سنانه يشق الكلاوى لحما وجلودها
أيا ملكا قد جاوز الحد واعتدى فابرز لنحوى والتقينى بجهدها
فان كنت يا عبد هبل ذو حمية وسطوة درغام وقرم شديدها
فانى أنا طلعه ستنتظر لطعنتى ومن منافق حرب خصمه يكيدها

قال الراوى فلما سمع الملك عبد هبل شعرها تعجب من قدومها للحرب فقام ولبس عدته واقفل فى لامته وركب جواده وقال مابقى إلا قتال هذه العاهرة الفاجرة وكان له جواد أدهم من خيل البحر معلم من أرقى الخيول الجياد وخرج إلى الحرب والجلاد فلما صار قدام الملكة طلعة رآها تصول وتجول فاشار اليها الآخر يقول هذه الأوزان بعد الصلاة والسلام على سيد ولد عدنان

أنا طلعة البدر المنير على البهلى مضى زمن الهجران واقترب الوصل
ألا طفكى بالقول منى مع الرسل وإنى على ما تطلبيه لفى شغل
لئن النوى عنك وأرجع خائبا فما أكن الناس ليث ولا فحل
اذل أبطال الفلا وأقودها أعشق طعن الرمح والضرب بالنصل
أنا هايجا فى الحرب احمى عشيرتى أضرب هام القرم ضربا على مهل
ملوك بلاد السند تعرف همتى وأبطالها فى الحرب تفزع من فعل
أسرت أبطال الجيوش جميعهم وبات زعيم القوم منهم على وجل

(قال الراوى) ثم أنه حمل عليها فتلقته كما تلقى الارض العطشانه أوائل المطر ولم يزالا فى كر وفر وهزل وجد إلى أن كلت الخيل فزعقوا على بعضهما فتطاعنا بالرماح حتى تكسرت فابصر الملك عبد هبل منها ما أبهره وتعجبت هى أيضا لما أن رأت مضاربه وما زالت على ذلك إلى غروب الشمس ولم ينال أحدا من صاحبه غرض هذا وقد تعجبت الفريقان مما وقع بينهما من القتال ثم انفصلوا على سلامة وباتوا إلى الصباح فطلبوا الحرب والكفاح فوقع بينها أعظم ما وقع فى اليوم الأول وفى اليوم الثالث كذلك إلى أن امسى المسا فطلبوا ميمنة العساكر وغابوا فى الصحرى وغرقوا فى البر الاقفر فعند ذلك قالت الملكة طلعه هل فيك للصراع فقال لها نعم ثم انهما رميا عنها سلاحهما فنظر الملك عبد هبل إلى الملكة طلعه فرآها كانها القمر المنير بطرف أحور وخد أسيل وخصر نحيل وردف ثقيل فاشنها فتصارعا حتى كلت مناكبهما والزنود فهجم عليها وارتمى بكليته عليها فوقعت تحته فاغصبها على نفسها قوة وقهرا وأوثقها كتاف واقتنصها وزال بكارتها فراحت

منه حامل على دم الفلاح ثم حولها بعد ذلك من الوثاق وقال لها ولا جرى بيني وبينك هذا الأمر وإلا كنت ضربت رقبتك وأسلبت نعمتك حتى كنت أكتني شرك وشر عساكرك فلما أن سمعت كلامه حلفت له على ما أراد من الوفا والوداد وصفت بينهما الأحقاد فاطلقها من الوثاق والسداد وكان الأمر يريده الله لما اقتنصها كانت حائض فحملت كما يشاء رب العباد وسارت إلى بلادها وقد تفرق كل منهما إلى أرضه وبلاده فمضت الأيام والليالي حتى كملت أشهرها فوضعت عبدا أسود كأنه الليل وكان أبوه أبيض وأمه بيضه شقرة مثل القمر في تمامه وكان لهم هبل اسمه هياف فسمته عبد هياف وكانت خلقته هائلة كأنه فحل جاموس برأس مرج باذانين كبار وهيكل عظيم فخنت كما تحن الوالدة على ولدها هذا وقد شاعت بذلك الاسم الاخبار وقد انفذت أمه وأعلمت أبيه عبد هبل ففرح به فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقد خلع على الرسول وأعطاه هدية حسنة وانفذ معه الكسوة إلى عند أمه وصار الرسول بالهديه والكسوة إلى أن وصل وسلم الجميع اليها ولما كان بعد ذلك بأيام سار الملك عبد هبل لعند الملكة طلعه من شوقه إلى نظر ولده ولما دخل عليها قدمته اليه فلما نظره قال ما بال هذا الولد أسود هكذا ونحن بيض فحدثته الملكة طلعة بحديثها أنها كانت حائض وقت اقتناصها وذلك من الحيض إلا أنه يشبه أبيه في خلقته وهو أعظم منه في الخلقة وبالاوصاف وقد تولع بركوب الخيل إلى الصيد والقنص وحيضان الليل وصار يطاعن الفرسان وقد بلغ من العمر مناه ولا يخاف ملك ولا يخشا ويرى الدنيا كأنها في قبضته وجميع الفرسان دون مرتبته إلا أنه كان أكرم أهل زمانه وأشجع أقرانه يحب العدل والانصاف ويكره الجور والاسراف وكان قد ملك بلاد أبيه وأمه وصار له صوله وشأن وكانت بلاده طولها وعرضها مائتين ألف فرسخ بالعراقي وكان له صديق يقال له الملك الاخضر وكان صعب الأخلاق لا يخشى قط بشر ولا يخاف انثى ولا ذكر وكانت جميع ملوك اليمن تهابه وتتقي شره وتفزع منه فاتصلت أجناده إلى بلاد الهند وساقوا منها الاموال وعادت فلما علم بهم الملك عبد هياف طلع وغار على عساكر الملك الأخضر وكسرهم وأسر نصفهم ورتب في عساكره سبعة آلاف كل واحد منهم بلقى ألف فارس وأعطاهم الأموال وحبهم محبة عظيمة فلما سمع الملك الأخضر ما جرى على عساكره أنفذ اليه يقول له ما قصدك الك عندي دم تطلبه أو دين تستوفي فقد وصل شر الينا فان شئت البراز فوحق ذمة العرب لأقاتلك ولأبارزك ولا أجرد في وجهك حسام لما سمعت من كرمك ومن صدق زمانك

وأما أنا من أبطالك ولا من أقرانك بل أريد أن جملك لى حبيبا وصديقا فى كل شدة وضيق ولا يقع بيننا وبين فقال الملك عبد هياف لك على ذلك ثم أنهما أجتمعا مع بعضهما وقد تصادقا وتحالفا وصارت كلمتهما واحدة ولما طالت بينهما الصحبة صارا يهاديان بعضهما بالهدايا والتحف وقد انتصروا على جميع الملوك وهابتهما العرب من بعد منهما ومن اقترب وكانت الناس تضرب بعبد مناف المثل فى القبائل والحلل وكان إذا عصى عليه واحد من الملوك بجميع الرجال ويقصده وكان إذا قابله احد بالعساكر ينفذ إليه ويقول دع بعساكرك وبارزنى فإن قهرتنى تخدم مكانى وإذا قهرتك أتحكم فيك وكان إذا اسر أحد وبقى فى حكمه يجز ناصيته ويتركه يسير إلى قبيلته بعدما يخلع عليه ويعطيه من الأموال يزيد له فى الأنعام والإحسان وكان إذا أرسل مقرعته إلى قبيلته بقيت فى غفرانه ولا يقدر أحد قط يضرب مقرعته ولم يزل عبد هياف يقطع نواصى الملوك وينفذ المقارع تغفر القبائل حتى قطع ألف ناصية وانفذ الف مقرعة إلى الف قبيلة وكان له ثلاث عواميد كل عامود منها ثلاثين رطلا بالمكى وكان واحد حديد واثنين ذهب وكان له درقة من جلود الأفيال وكان فيها حلق كل حلقة رطلين ونصف وكان إذا ركب الجمل الهايج وهو عريان تخط رجلاه فى الأرض والصحصحان وكان قد عزم أن يسير إلى مكة ويزور البيت الحرام ويأخذ الغفارة من بلاد الحجاز ومن جميع أرض العراق والشام وانفذ هذه السرية التى أخذت تلك الأموال كما ذكرنا وأخذها منهم عنتر كما وصفنا من بعد ما سار معهم إلى القاضى العرب وأخذها وما اعتنى بهم فعادوا إلى ملكهم وهم يستغيثون وحدثوه بما تم عليهم من عنتر بن شداد وما فعل بهم كيف أخذ النوق منهم بعد ما حضر عند قاضى العرب وذلك الإيراد فلما سمع الملك عبد هياف كلامهم وما أحكوه من مرامهم قال لهم أى شىء يكون هذا الكلام والإشارة ويحتمل أن يكون عبد بنى عبس أصيب فى عقله حتى يكون هذا الفعل فعله أو يكون ما يعرفنى ولا يعرف منزلتى ولا سمع بشجاعتى وبراعتى ولا أبصر جيوشى وعساكرى وأجنادى وكان من الواجب انكم تعرفوه ثم أنه أحضر أخ يقال له المرهف وكان أخيه من أبيه إلا أنه كان بخيل الطبع قال له اركب وحـــدك ولا تخف وسير من وقتك وساعتك إلى عرب الحجاز وخذ معك مائة فارس من ليوث البراز وإذا وصلت إليهم وقطعت عليهم أعلمهم بما أنا فيه وما أفعله وأعاينه وخوفهم من باسى وشدة مراسى وإذا علموا بحالتى وعرفهم قدر شجاعتى وتأخذ منهم النوق والجمال ومثلها أضعاف من الأموال وتنهى هذا

العبد من تلتقى السادات وعدم شن الغارات و نقول له ينظر من من قدامه لا يذكر إلا من يكون من أشكاله وأحضامه تقول لعرب العرب الحجاز أما يكفيكم أننا ما تعرضنا لكم وتركنا كم باختيار أنفسكم العزاز حتى أنكم تجاريتم علينا وأوصلتم أذيتكم إلينا وقل لهم أننا نريد نأخذ منكم الخراج ومن امتنع عن هذا وخاف ولزم اللجاج والاحتجاج فنتناوله حساب آخر تحت العجاج وقل لهم وذمة العرب وشهر رجب لا بد ما أنفذ فى هذا السنة سرية على خيول عربية مع أربع ملوك من ملوك السند المسمية وملوك الهند أصحاب السيوف الهندية تسرق إلى عندى ساداتهم وهجعانهم وحماتهم وأبطالهم وقادتهم وأخذ غفارتهم حتى يعلموا قدرى ويعرفوا الملوك ويميزوا بين المالك والملوك وإذا كان مال فلا يعارضه أحد لا أبيض ولا أسود وبعد ذلك تحضر إلى عندى مربع وصحبتك الهدايا والتحف من جميع الملوك الرفيع منهم والوضيع فركب أخوه المرهف بعدما اعتد السير وقد ودعه وأخذ معه ما به فارس من الفرسان القناعس فرسان البحر الأقيال المعيدين للاقات الأهوال والطعان وسار بهم إلى بلاد الحجاز حتى وصلوا إلى ديار بنى عبس فلما وصل المرهف إلى حيهم فانتظر أن يطلع إليه أحد منهم فما طلع إليه أحد ولا قابل بشر ولا قالوا له من أنت ولا من أين أقبلت فقال فى نفسه لا بد أنهم عرفونى وإلا ما كانوا أهملونى وتركونى والصواب أنى أعرفهم بنفسى من أنا وأرسل أعلمهم حتى تقع الهيبة فى قلوبهم لنا ويطلعون إلينا ويقدمون علينا بالإجلال والإكرام والخيرات والانعام ثم أنه أنفذ بعض فرسانه إلى بنى عبس ووقف وهو ومن معه قريب من الحى وهو يوهج من حر الشمس والفارس سار إلى أن دخل الحى باجتهاد وسأل عن أبيات الأمير عنتر بن شداد حتى يخبره بقدوم أخو الملك عبد هياف ويبصر عنتر أن كان هو حاضر أم غايب فلما أن وصل سأل بعض العبيد عن الأمير عنتر الفارس الصنديد فقال له أنه حاضرا فلم يزل الفارس على حاله سائرا إلى أن صار قدام مضرب الأمير عنتر الأسد القسور فنظر اليه شيبوب فأنكره ودخل إلى أخيه لأجل أن يخبره قال له يا ابن الأم الذى أعلمك به أن قد جاء نا فارس غريب الزى والمنظر فقال عنتر الجحجاح أحضره بين يدى يا أبا رباح حتى نبصر من أمره ونستخبره حتى نبصر من عند من أتاه بالرسالة ماذا يريد فطلع إليه شيبوب وقال له يا فتى ما حاجتك وفيما ذا أتيت فنزل الفارس واتبع شيبوب إلى أن وقف قدام عنتر فتميزه وتميز عرض أكتافه وغلظ سواعده وانزعاج عينيه وهو ينظر إليه وكان عنتر قاعد يشرب المدامة كانت عنده من اليوم الماضى فلما قدم الفارس انزعج من هيبة

عنتر إلى الأرض فلما رفع رأسه قال له يا مولاى قد وصل اليك رسول من ملك الهند والسند الملك عبد هياف ملك جميع البلدان فارس الزمان فقال له عنتر أهلا وسلا على الرحب والسعة والكرامة آتنى به وعود أنت الآخر فى صحبته فسار الفارس وقد حار من قلة أكترام عنتر بالمرهف أخو الملك عبد هياف ولما وصل الرسول إلى المرهف أذن له بالدخول عليه أخبره بالمسير إلى مضارب عنتر فتجمل أحسن التجمل وسار معه المائة فارس إلى أن وصلوا إلى مضارب عنتر وقد أتى اليه ولده الغضبان وغصوب وميسرة وعروة بن الورد يشاوره فى الركوب إلى الصيد والقنص فاعلمهم شيبوب بالقصة وبما قد أتى فقال عروة يا شيبوب وعبد هياف قد أرسل لنا من جو البحار ومن بلاد السند والهند قال نعم فجلس كل واحد منهم مكانه وما لبثوا أكثر من ساعة وإذا بالرسول قد أقبل كان زيه زى عجيب بجنائب وأعلام وخيل بحربة ملاح والمائة فارس بالثياب الحرير فامرهم شيبوب بالنزول فى دار الضيافة هو وجماعته وأكرمهم غاية الاكرام مدة ثلاثة أيام أحضرهم عنتر فى مجلسة فلما حضر أخو عبد هيا المرهف ترجل ومشى وتادب وخدم فامر عنتر بالجلوس فجلس فقال عنتر ما حاجتك يا وجه العرب فبماذا أتيت ماهى طلبتك فقال له المرهف يا عنتر لا تحسب أن الزمان كله لك وليس كل طير يؤكل لحمه وليس كل شىء تقع عليه العين يحصل للانسان واعلم ان الفرسان تغار على الفرسان وأنك قد تجاريت بغير علك وأخذت نوق كانت قد سارت على أسم الملك الهمام والبطل الدرغام والفارس الذى لا يرام الذى تخضع له الملوك العظام الذى له خيل فى البحر وخيل فى البر تاخذ له الغفارة من الاموال وهو ملك جز ناصيته الف ملك فى موقف الحرب ومحل الطعن والضرب له الف مقرعة تغفر الف قبيلة وهو مالك الدنيا وهو لا يخاف من كسرى صاحب الايوان ولا من قيصر ملك عبدة الصلبان وليس هو ممن يحسب لك حساب وقد رأينا فى طولاتك أربعة وعشرون حصان أبحرية وقد سمع بها واشتراها من أصحابها وأخذتها مع أموالها وكانت كلها له ولا سالت ولا أستخبرت وتجاريت عليه وعلى جميع الملوك وإلا أبصرت الخيل أولها فى الحجاز عندك وآخرها فى السند لا تنفعك عساكرك ولا تقول أنك شجاع وأنا أعرف أن أخى عبد هياف إذا كنت أنت ومن معك كلهم فى شجاعتك فانه يبطلها ويذل قفاهم ولا تقول كيف ولا ترجوا به غير رد النوق والجمال مال التجارة وهذه الخيل تحمل الجزية بلا مطال وتقر بالأعذار والأنذار وإلا انت ماذا تقدم عليه والسلام فوالله ما سمع عنتر هذا الكلام

إلا وقد أبيضت شفتاه بعد السواد وانزعجت عيناه وبقي عبرة لمن اعتبر وقال له يا ويلك يا قرنان ويا ولد الزنا أما تعرف ما تقول إذا أنت حضرت قدام من أبصرت وقد كذبت أنت فيما تكلمت ولم تعرف معاني الكلام وأنت تهددني بأخيك عبد هياف وبصاحبه الملك الاخضر فوحق ذمه العرب أن أخوك عندي أذل وأحقر من ساير الملوك وكذلك الملك الاخضر ولو كان معه الملك الاحمر والاصفر والازرق والأسود والابيض وعفر بعه بني منقر لم أحسب لهم حساب وكل الرجال عندي بالسويه وكل فارس منا يلتقي الف فارس عند مواقف الحرب والطعان أو يحسب أن فرسان السند والهند وأنا أشتهي ملتقى الرجال كما اشتهي شرب الماء إذا كنت ظمآن وأنا لهم كفاية ولكل من معه من الفرسان في هذا الزمان من أبيض وأسود ومثل أخوك يهددني ويقول أني أريد منك جزية ومن بني عبس ونحن الذى تتعوذ منا جميع العربان ونازنا تخرق كل نار وبحرنا نغرق فيه التجار وأموال جميع العربان لنا وفي حكمنا وأهلنا يحكموها من اجلنا فبينما هم في الحديث وإذا بالملك قيس قد قدم إلى أبيات عنتر وأولاده جالسين من حواليه وكان قد سمع برسول عبد هياف وكان قد اتى من الصيدفاني بطريقه على الأبيات ولما ان رآه عنتر والعبيد حواليه قام هو واولاده اليه رفد تلقوه وباس عنتر الارض بين يديه وقد اعاد جميع ما ذكرنا اليه وكيف انفذ عبد هياف يطلب الغفارة والجزية من جميع عرب الحجاز واليمن وصنعاء وعدن فلما سمع قيس هذا الكلام صار الضيافي وجهه ظلام وانزعجت ساير حواسه واضطربت بين يديه جلاسه وعنتر يحدثه وقد قامت شعرات رأسه وقرط على أضراسه ثم ان عنتر قال له يا ملك ما تقول ماذا يكون جواب هذا القرنان فقال له ان الملك عبد هياف ملك عظيم وسلطان جسيم صاحب عسكر وبلاد فخار في أمره وقال له أي شيء رو أيت أنت فقال عنتر أنا ما له عندي جواب إلا الحسام القرضاب الذى اطاعت له الفرسان وليس لعبد هياف غير الضرب والطعان وملاقاة الابطال والشجعان وأنا ما اعطي لاحد مالي على وجه الغفارة ولا يبصر من بعرات الجمال ولا بعرة فقال له الغضبان يا ابياة اعلم اننا نحن نأخذ الاموال من الملوك والغفار حتى انهم يكتفوا شرنا وندعاهم يقيمون في عز كبير فكيف عبد هياف يطلب منا الغفارة ومن الآن لم نترك العز ومن دياره ولا بد ما نترك دیارهم خراب بلقع ياوى اليها اليوم والسمسمع فلما سمع المرهف هذا الكلام من عبي ادر دلائبات بعارضيه وهو اسود مثل السحي فزعق عليه وقال اسكت يا عبد السوء ويا اسود الجلد ويا من كلامه مثل الونه أى شيء أنت ومن تكون حتى

تكلم بهذا الكلام وتذكر ملوك الزمان وهم أصحاب نصف الدنيا الذى أمر ألف ملك وجز نواصيهم فى مقام الحرب والطعن والضرب ياويلك أنت ملك حتى ترد الجواب ما أنت إلا عبد على كل حال معدود من جملة العبيد رعاة الابل والأغنام يا أسود يا حجام من أنت حتى تعارض ملوك الزمان فلما سمع الغضبان بن المرهف هذا الكلام مع ما فيه من الشجاعة والاقدام والنخوة العربية والثبات عند الصدام وثب وثبة الأسد الهجام وفى يده الحسام وضرب المرهف طير منه الهام لاهو مفتكر بمن أرسله ولا بأحد من الأنام وقال إست أمك وأم من أرسلك فلما قتل المرهف صاحت جماعته وندمت على ما أرسلوا فلما إلى هؤلاء الجانين قالوا لا شك أن هذا الاسود من الفرسان المعدودة وإلا ما كان على هذا الفعل يجسر فلما قتل الغضبان المرهف استحسن أبوه فعاله وقال للملك قيس ولمن حضر ما يكون أكثر من مباشرة الحرب والقتال واعلموا أننا نطلب احدى حاجتين الاولى ما يكون عندنا جواب إلا الحسام القرضاب والثانى ما ندخل لأحد تحت طاعة إلى قيام الساعة فقال الملك قيس لا شلت يد لا يا غضبان ولا عاش من يشناك وقد فرحوا بقتل عبد هياف لانهم ما اعجبهم كلامه فقال الملك قيس تكون بنى عبس الذئاب الطلس أصحاب وقائع وحروب وتستعوذ منها الانس والجان وجميع العربان وتخشى منهما ويكون فيهم مثل الملك قيس وخبرته وعنتر وشجاعته وهو حامى لهذه البلاد وجميع أموال العرب فى يده ويأخذ منهم ما يريد ويترك ما يريد هذا شيء لا يكون أبدا ولو شربنا كاس الردى فقال عنتر بحق ذمة العرب إن أبطأ علينا خبره لا بد ما أسير إليه وأطلبه وأجازيه ولو انى أسير الى بلاد السند والهند والتقى فرسان العبد هياف والملك الاخضر وأبصر من هو يكون فى الحرب أقوى ثم أن عنتر أخذ بيد المقتول وشده على فرسه وقال لرفقاه قولوا لأخاه عبد هياف ما كان له ولا لاخيه عندنا جواب غير هذا فعيدوا عليه جوابه فساروا وهز بانه وقولوا له يجمع جيوشه وينهى امره ويخرج من بلاده ويلتقى فرسان الحجاز وعنتر بن شداد إذا كان فيه نخوة وحمية فيأتى ويخلص ثأر أخيه وان هو لم يأتى فان شاء الله تعالى اسير اليه فى فرسانى واجنادى واخرب سائر بلاد السند والهند ولو بقيت سنة راكب الابحر ولولا انه أرسل أخوه يأخذ المال ما كان أخذه متعفر فعندما أخذوه وساروا به وهو قتيل وظلوا فى بكاء وعويل وحزن طويل إلى أن قربوا من بلاد السند والهند فأرسلوا أحدهم يعلم الملك عبد هياف بالذى جرى فسار الرجل إلى أن دخل وأعلمه بما جرى فحار واندهل وقال أى شيء هذا الخبر ومن هو الذى قبل على هذا الامر المنكر وتجاسر على قتل أخى وأنا الجن تفزع منى ومن فعلى وتخاف من شرى ومن عظم بأسى ولكن هذا الرجل هو عربى وجاهل بحربى ولا رأى طعنى

ولا ضرب ثم أنه حضر الجماعة وطيب قلوبهم وأوعدهم بالنصر وأخذ الثار وكشف العار واستخبر منهم عن حال عنتر فقالوا أنه يا ملك ما التفت إلينا ولا سأل عنا ولا اطلع إلى أحد منا إلا أنه أمر بانزالنا فى دار الضيافه ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع احضر أخوك المرهف وقص عليه الرسالة فلما سمع كلامه هدر وزمجر وصار لا يعرف ما بين يديه وقال يهددنى عبد هياف بالقتال وبلغ من قدره أن يقول هذا المقال ولكن قولوا له يجمع ألوفه ويسير إلى وإن كان هو لا يسير لا بد ما أسير برجالى إليه فقال له أخوك لا تحسب الملك هياف مثل ما لقيت من الأبطال بل أنه ملك تذل له الملوك من عظم بأسه وأخاف إذا أتى إلى هذه البلاد يخربها وتكون أنت السبب والصواب أنك تلزم الأدب ولما أن صار بينهما هذا الكلام نهض إلى أخيك صبى أسود أمرد لا نبات بعارضيه فجذب السيف وطير به رأسه عن بدنه وتركه بدمه يرجف ولولا شفق علينا عنتر لقتلنا ثم قال لنا انطلقوا إلى ملككم وقولوا له يجمع عساكره ويسير إلى لقاء فرسان الحجاز حتى يعرف القتال ويتعلم صنعه البراز فلما سمع عنتر من ولده هذا الكلام أخرجنا من الخيام وأبصرنا لهم جمال مسيرهم ثلاثة فراسخ طولا وعرضا ولهم درقة عظيمة هائلة والغفارة تجىء إليه من سائر بلاد العرب وله هيبة عظيمة والشجاعة لائحة فى عينيه وإذا ركب سعوا بنى عبس فارسهم وراجلهم بين يديه وعدتهم أربعة آلاف فالس وما فيهم إلا كل فارس صعب وكلهم بالخيول الجياد والرماح المداد والسيوف الحداد لهم ملك محتشم معظم ذو هيبة وحمية وسطوة بهية وعز وجاه ورتبه سنية ونحن قد أتيناك أيها الملك الكريم والسيد العظيم وأخبرناك بما جرى لنا فى تلك البلاد وعنتر لا يقدر عليه أحد من جميع العباد وله ثلاثة أولاد كانهم الآساد فلما سمع الملك عبد هياف منهم ذلك الكلام قال لهم أنتم الآن ما لكم ذنب وما الذنب إلا لذلك العبد الزنيم أيحسب أن كل الطيور يؤكل لحمها ويحسب الفرسان مثل بعضها وهكذا من لم يرى الآسد يصف الذئب ثم أن الملك عبد هياف استدعى من وقته وساعته ببعض وزرائه واستشارهم فيما يفعل فى هذا الأمر الذى جرى فقال له الوزير يا ملك الزمان أى شىء اقول لقد أخرفوا هيبتنا هؤلاء اللئام وضيعوا حرمتنا بين الأنام إلا أن الموضع بعيد عليك ومنهم هؤلاء حتى يسير مثلهم اليك وهم عرب جاهلية ما يعرفوك ولا يدروك ولا ذاقوا حربك ولا نزالك ولا رأوا شيئاً من أعمالك ولا عرفوا عساكرك وأجنادك فان أردت أن تنفذ لهم سرية من عساكرك

مع بعض الملوك حتى تأخذ منهم بالثار وتكشف عنا العار فقال عبد هياف ماهذا صواب بل أنا أسير اليه وآخذ كسرى حقيرا وأخرب بلاده وأقتل عساكره وأجناده وأما بنى عبس أجعلهم أعجوبة لكل من طلعت عليه الشمس وأترك لى هذا الأسود الزنيم حديث طويل الأبد ماقام قائم وقعد مما يتم عليه من حربى وشده طعنى وضربى وأزور البيت الحرام وزمزم والمقام وأعود بآخذ غفاره عرب الحجاز واليمن وأسوق هذا الأسود من رقبته وأعرفه شؤم طلعته ثم أنه قال أمد ذلك أنى أريد أن أرسل إلى الملك الاخضر رسول وأمره بالحضور وأعلمه بهذه الأمور والأخبار ويسمع مقال العبد الأسود الذى خافته ملوك الأقطار لابد ما أسير اليه برجال معودين بخوض الأهوال الباسها حديد وحربها شديد وسوف أريه مالم يرقط من أحد ثم أنه بعد ذلك كتب كتاب سوف نذكر شرحه ولما فرغ من كتابته طواه وقال لمن حوله من الوزراء الذين يعتمد عليهم فى شدته أنا أريد أنفذ الملك الاخضر هذا الكتاب حتى يأتى بعساكره وجنوده وراياته وبنوده ونمضى نأخذ ثارنا من بنى عبس اللئام وصورة الكتاب باسمك اللهم من البطل الشديد للفارس الصنديد ملك الأرض الحاكم فى طولها والعرض الملك عبد هياف تلك النواحى والأطراف ابن عبد هبل ابن المسكة طلعة التى كانت لها بين الملوك هيبة وسمعة ملك الهند والسند كريم الآباء والأجداد الليث المصون والملك البهلول الملك الأخضر الأسد القسور أن الذى طغى علينا وقتل أخى هو عنتر فارس الحجاز وتلك البلاد لانه قتل أخى ويتم أولاده ويا ليته كان قتله فارس من الفرسان المسمية أو من لهم نخوة وحمية إلا قتله من لا أصل له ولا حسب ولا فرع يذكر ولا نسب وأنا قد اعتمدت عليك وألجأت روحى اليك ولك عندى المرتبة العظيمة التى لها قدر وقيمة ثم أن الملك عبد هياف أرسل مع الكتاب الف ناقة وجمل بجلاله بأجلال الحرير المجمل وسبعمائة ثوب ديباج ومائة بدنة من الذهب الاحمر وحقيبة ملآنة من الدر والجوهر ثم كتب له فى آخر الكتاب هذه الابيات صلوا على سيد السادات :

أيها القرم الذى ليس مثله	اليك كتابى واستمع قول قليل
فضم كماة من تلوح لباسها	من الطرف المتوج الغلائل
على حمر عطف شداد سلاهب	بحسن الوغى مثل القضاء النازل
يسمر القناهم طاعنين غضارفا	وكرام اللحى المرهفات الناصل

أيا بطل الأبطال يامن له على ... ألسن الشجعان فخر المقاتل
تفضل وقم كى نلتقى الحرب والقنا ... إلى عرب لم تخش حرب منازل
إلى عنتر العبسى الذى شاع ذكره ... بانه فى الهيجاء نعم المقاتل
وابصر من ينصر على صاحب له ... ومن يطلب منا يكون جلاجل
وتبصر غضبان اسمه ثم فخره ... ونلقى فى ميدانه فارس مقاتل

فاخذ الفارس الكتاب وكان فارس نجيب والمكان قريب فسار وطامت البرارى والقفار بتلك الأموال فى صحبته حتى وصل إلى الملك الأخضر وصار فى حضرته وسلم وقبل يديه وعرض جميع الهدية وأعطاه الكتاب ففكه وقرأه وعلم معناه وفرح بتلك الأموال وأمر بحضور عشيرته وقص عليهم قصته وأنفذ إلى حلفائه وأصحابه فلما حضروا شاورهم على ماعزم عليه من مسيره إلى الملك عبدهياف فما أحد من الجماعة على الخلاف فعند ذلك أمر بالاستعداد وأعلمهم أن مسيرهم إلى أرض الحجاز وأنهم بعد ذلك يسيروا إلى كسرى حتى يحاصروه إلى أن نأخذ بلاده وتملكون ملك الأكاسرة وتحتوى على بلاد العجم والعرب من بعد ما قد أزروا يخالفوه ففرق عليهم الأموال وأعطاهم العدد والرحال ثم إنهم فرحوا بالهبة واعتدوا بالعدة الكاملة فلما أن صاروا متفقين مافيهم خلاف أمرهم بالمسير إلى الملك عبد هياف فعند ذلك ساروا فى مائتين وسبعين ألف مابين مدرع ولابس على رؤسهم الخوذ وعلى أبدانهم الجواشن والزرد هذا والملك الاخضر كأنه الأسد الأكول وهم يقطعون الأرض فى الطول والعرض والملك الأخضر ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

سيروا إلى القرم الشجاع لدى الوغى ... بطل تقر له الفرسان فى كل مشرق
إلى أرضه كم يشتفى من عدائه ... وتعلق هامات العدى بالبوارق
الا بلغ عنى الحجاز وأهله ... وقولوا لعنتر بن شداد سابق
لأن جمعت الأقدار فى الحرب بيننا ... لأفتحن الحرب فصل العياق
أيا ملك عبد هياف ياملك ... ويا أوحد الأبطال الحرب عاشق
إذا سمعوا ذكرى يخرن سجدا ... يقولون ليث قد أتى بالصاعق
وانظر غضبان بن عنترة الذى ... تجرأ على قتل الأمير المطابق

(قال الراوى) ولم يزل الملك الأخضر يقطع البرارى والقفار إلى أن وصل إلى الهند وتلك البلاد وهو سائر بالعساكر والأجناد ولما أن قرب من الديار أرسل إلى الملك عبدهياف

يعلمه بالأخبار وأنه وصل إلى الديار فسار الرسول ودخل وقبل الأرض وأخبره بوصول الملك الأخضر ففرح واستبشر وأمر العساكر بالركوب وركب على جواد أحمر وخرج إلى لقاء الملك الأخضر وسار إلى أن تلقاه من مسير مرحلة عن بلاده وكان لهم يوم مشهود وسلم كل واحد منهما على صاحبه ثم صاروا إلى أن وصلوا إلى البلد فنثرت على رأس الملك الأخضر الدنانير والدراهم حتى عموا الصغير والكبير بالأموال وقد أخلطوا القوم بعضهم إلى بعض ولما أن قر بهم القرار أحضر لهم الطعام وبعد أتاهم المدام فشربوا وتشاوروا في أمر الحرب وما زالوا من كلام إلى كلام إلى أن وصلوا إلى حديث بني عبس وعدنان وما تم عليهم من الأمر المهول وكيف قتل الغضبان الموصوف وسيره مقتول والملك عبد هياف يحدث الملك الأخضر بكل ما فعله عنتر وكيف أخذ النوق من رجاله وأنفذ أخيه في صفقة مشول فقص عليه القصة من أولها إلى آخرها فلما سمع الملك الأخضر قال له أحق ما تقول قال نعم وقد أتى بأخيه وهو مقتول محمول ثم قال له اعلم أن بلاد كسرى واليمن وأرض صنعاء وعدن وعرب الروعربان بلاد الحجاز وغيرهم من أهل تلك البلاد والأقاليم والأمصار ما رأوا عندهم فارس مذكور ولا بطل مشهور ولا من يعرف قتال ولا حرب ولا نزال ولا من له عادة بطعن وضرب إلا عنتر بن شداد وفي آخر الزمان انتشا له هذه الأولاد الثلاثة فإن لم تسلك عشائرنا بلاد الفرس والأعجام ونحن ملوك السند والهند وأما كسرى ليس بينه وبينهم شيء يجازيهم على فعالهم إلا إذا تعرض لنا وأرسل شيء من عسكره في طريقنا فعند ذلك نلتقيه ونقاتله ونحاصره في الصباح وفي المساء حتى يعطي الله النصر لمن يشاء فقد قضينا الأشغال وأخذنا غارات صنعا وعدن وبعد ذلك نتوجه إلى زيارة البيت الحرام ونتبرك بزمزم والمقام ونسلم على الشيخ عبد المطلب شيخ المشاعر العظام ونأخذ معنا هديه للبيت الحرام ونعود وقد بلغنا المراد بعد قتل عنتر بن شداد ومن له من الأولاد ومن معه من الفرسان والأجناد أن الملكين اتفق رأيهم على المسير وإرسال الكتب إلى جميع العشائر والأجناد والملوك التي في تلك الأراضي والبلاد لأن عبد هياف يحكم ألف قبيلة وكان معه ألف ناصية فإذا ركب تكون النواصي على رأسه في أسنة الرماح وهي نواصي ألف ملك من ملوك تلك الأراضي وكان له مقمعة بالذهب مقرعة تعفر ألف قبيلة من قبائل عبد هياف وكان له فيه كرم ما حواه أحد من الأنام وبعد أيام أقبلت إليه الملوك من السند والهند ومعهم العساكر ثم أقاموا يجمعون أهل القبائل والحلل شهر كامل والملك عبد هياف يقوم بكلفة كل من يقدر عليه من الطعام والشراب حتى بقيت الصحراء كلها أسواق وكانت اثنين وسبعين فرسخ طول وعرض حتى امتلأت الخلائق تلك الأرض ثم

أن الملك عبد هياف أمر بعددهم بعد ذلك فكان عدتهم ألف ملك بألف عسكر وأما عساكر عبد هياف لنفسه أربعمائة ألف فارس من كل مدرع ولابس ولم يزالوا على ذلك مدة عشرة أيام وفى الحادى عشر زعقت بوقات الرحيل ودقت الكوسات فضجت الارض فى طولها والعرض ولا تسأل عما جرى فى ذلك اليوم من ازدحام الفرسان فنعرت البوقات وخلع عبد هياف فى وقت الرحيل مائة خلعة من الخلع الجياد وكل من لبس خلعته يركب على جواد من الخيل الجياد بعد ذلك نشروا على رأسه الاعلام والازدهارات والرايات فلما نظر عبد هياف إلى كثرة تلك الامم الذى ملأت الروابى والبطاح انشرح صدره وابتسم وأنشد يقول :

يا بنى عبس ألا فاحــــذروا	من همام سار من غير مهل
وملك وشجاع فى المــــلا	ورشق بسهامى فى وسط المقل
طاعن بالرمح فى يوم الوغى	وضارب بالسيف فى أعلى المثل
وأنا الفارس ذو العز الذى	ليس يثنيه عن الحرب فشل
عن ذكرى فاسألوا عارفاً	يوم حربى وملوكا تقتتــــل
أننى فارس الحرب فى الملا	ومجدى قد على فوق زحل
إن أنا لم آخذ الثأر من الواغد	غضبان لما بى قد عمل
وآخذ الثأر من الأعدا الذى	لجموا قلبى بنجم قد قفــــل

(قال الراوى) أن عبد هياف سار وهو يقود الجيوش والملك الأخضر بجانبه وكلما أتوا على بحر عبروه وقد تبعهما خلق كثير لان الملك عبد هياف ظن أنه ملك الارض فلما عبروا البحر الزواخر الذى بينهم وبين أرض الحجاز وساروا كلما أتوا إلى أرض تبعهم الخلائق طمعاً فى نهب المعاش وعاشت الاخبار والملك عبد هياف والملك الاخضر سائرين بهذه الجيوش حتى إنهما يملكون العراق ويحاصرون الملك كسرى ويخربون بلاد ويقطعون آثاره ويقتلون عساكره وأجناده ويسيروا إلى عرب الحجاز وشجعان الحرب والبراز ويستوفى ثأره من عنتر بن شداد لأجل قتل أخيه المرهف ولم تزل تتواتر الاخبار حتى أنها وصلت إلى بنى عبس وسمع عنتر بأخبار الملك عبد هياف وما قد عزم فقال الربيع بن زياد لاخيه عمارة القواد فى هذه الكرة يكون آخر عمر بن العاهرة وما بقى له من هذين الملكين خلاص أيحسب أنهما ممن يلين جانبهما أو ممن يقدر يحاربهما وهذا عبد هياف البطل المذكور والشجاع المشهور ومن معه من العساكر ما يسد عين الشمس فهذه النوبة آخر

عمره فقال عمارة ياأخى نحن مابيننا وبين هذا الرجل معاملة ولا أخذ ناله نوق ولا جمال ولا خيول ولا أموال فقال الربيع وحق البيت الحرام ان هذه الجيوش التى أقبلت ما يحملها الحجار ولا بلاد اليمن ولا يقدر على مقابلتهم أحد من أهل صنعاء وعدن وقد ذكروا أنه يريد يقتل هذا العبد الذى هو عنتر وأيضا ولده الغضبان ويسير إلى كسرى ملك الفرس يقاتله إما يأخذ منه المغفارة أو يأخذ دياره ويسيروا إلى البيت الحرام وبر ومكة يتبركوا بالسيد عبد المطلب جد النبى المنتخب سيد العجم والعرب ولما بلغ الأمير عنتر هذا الخبر جميع أولاده وقال لهم كيف ترون من الرأى ها قد قدمت علينا عساكر عبد هياف كيف يكون العمل فى لقاء هذا الجبار الذى ما يقطع له على عنان وهو فارس الحرب وليث الطعن والضرب فقال الغضبان فى أست أمه وأم كل من معه من فرسان الهند والسند فان كنت أنت ياأبتاه كبرت وعجزت عن ملاقاة الشجعان يوم الصدام فلا تلام إذا أقبل فانا التقية وأكسر عساكره ولا يكون يحتقر بالاقران ولو كانت عساكره كثيرة أو قليله وليس له عند قدر ولا قيمة وأنا قاتل أخاه وأنا الذى اقبح به اباه ان شاء الله وان كانوا بنى عبس يمنون علينا بنصرتهم فلا نذل لهم ولا نطلب منهم معونة وأى شىء هو الملك قيس حتى نذل له فدعنى أطير رأسه من بين كتفيه وأفنى بعده بنى زياد إلىكم يا أبتاه تذل نفسك لهؤلاء الاوغاد فقال له أبوه أى شىء ياولدى هذا الكلام الذى لا يفيد فنحن عبيد الملك قيس وأبيه الملك زهير ولو بقى منهم بنت عمنا خدمناها لأجل جميل تقدم لابيه وأخيه مالك صاحب الكرم والشجاعة وحسن السيرة فلما سمع الغضبان من ابيه هذا الكلام هم ان يجذب سيفه ويضرب أبيه ويقاتله وقال والله أنت ذليل من عمرك مهان فلا أنت أبى ولا أنا ولدك ياجبان ما انت مما يصلح للحرب والطعان وقد كبرت وخرفت وغيرتك الليالى والايام ولو انك كما تزعم شجاع ما كنت تذل عمرك ولا دخلت تحت حكم ابيض ولا أسود فاى شىء يذل الشجاع إذا أذل نفسه للجبان أن الشجاع مايكون جوابه إلا السيف فعلم أبوه أنه قد اغتاظ فما اشتهى أن يرد عليه خطاب بل أنه لا طفه ولا جفاه ولا فاه وقد طيب قلبه واشرح صدره ثم انهما أتفقوا على رأى انهما ينفذوا الكتب إلى سائر حلفائهم وأصدقائهم وحماة القبائل مثل شيخ العرب دريد بن الصمة وعامر بن الطفيل وزيد الخيل وبسطام الذيبانى وروضة بن منيع وحجار بن عامر وعمرو بن معد يكرب الزبيدى وعتبة ابن شهاب اليربوعى وجميع المعارف والأصحاب والأحباب ثم ان عنتر نهض من وقته وساعته ودخل على الملك قيس فوجد عنده اكابر بنى عبس وهم فى المشورة والكلام ومما

فيهم إلا من قد داخله الفزع مما قد سمع فى هذا الملك عبد هياف ولما دخل عليهم عنتر قام كل من كان جالس فى ذلك المجلس وأقعده الملك قيس إلى جانبه فى مكانه المعروف فلما استقر به الجلوس تحدثوا فيما قد سمعوا من عساكر عبد هياف وأخباره وأجناده وما معه من الخلائق والأمم وكل قدم عليه اليوم الفقدم وبما قد عول عليه من قتالهم وأنه قاصد إلى الملك كسرى وفيما قد خرج من بلاد السند وفيما قد أتى فقال لهم عنتر أنا بجميع هذه الأخبار قد سمعت وقد وصلت إلى فمن أراد منكم أن يلتقى معى الحروب فليجهز نفسه ومن أبى هو وشأنه أنا لا أغصب أحد على القتال ولا بد لى من لقاهم واصبر على بلادهم وإن كانوا يبطئون بالمجىء إلى عندنا أسير إلى ملتقاهم وأعرفهم ما قد عولوا عليه وان عاقتهم الأقدار ولم يلحقوا أن يصلوا إلى هذه الديار فانا أسير إلى بلاد السند وأدع يجرى ما يكون من الاحكام قال فلما سمع الملك قيس منه هذا الكلام قال له يا أبا الفوارس كلنا بين يديك ولا نبخل بار واحنا عليك فقد طال ما حميتنا وصنت حريمنا وان كان الله تعالى قدر علينا بأمر من الأمور نموت كراما ولا نموت لئام والصواب أننا ننفذ اخاك شيبوب وابنه الخذروف يكشفوا لنا الأخبار ثم يعودوا على الآثار فقال عنتر وحياتك قد أنفذتهم من مدة شهر وقد أبطا علينا خبرهما وقد عولت أن أسير خلفهما وأقصدهما وانظر أى شىء الذى قد أعاقهما عنا فان كان قد تم عليهما شىء وقد قبضوا عليهما أدبر خلاصهما أو يكون أجلى قد قرب وأنال من أعدائى الارب وما أنا ممن يكلفكم أنكم تقاتلون أعدائى ولو كان فيه موتى وأنا ما أريد رفيق غير سيفى الضامى الابتر ورمحى الكعوب الاسمر وحصانى الابجر ولا اريد ناصر ولا معين إلا رب السموات والارضين ثم انه اشار يقول صلو على طه الرسول :

سيفى الماضى رفيقى	وكذا رمحى صديقى	صهوة الابجـــر عزى
وإذا اومض برق	فاليمانى هـــو بروق	وإذا الصـــارخ نادى
بنحـــيب وشهيـــق	جئته والخيل تجرى	مثـــل نيران الحريق
واجيبتـــه سريعا	ليس اخشى من مضيق	التـــقى كل همام
قده مثـــل النقيقى	ليت مثـــل لظاها	من حميم وصديقى
حصانى الابجر مسابق	وكذا سيفى الحقيقى	ثم رمحى بعـــد ترسى
إنى اطعن خصمى	وهـــو يقظان مفيق	وانا الموت إذا جاء
طالبا اخذ الحقوق	ماله اثواب حمـــر	مصبغات كل الخلوق
وانا عنتر حقا	لحبتى تسيق مريق	لا ابالى ان دنا لى

ثم لى عزم وثيـــق كم همام ظل ملقى فى الوغى وسط المضيق
تفر الأبطال منى لأن ضربى لحريـــق ليس لى فى الحرب شبه
ولون رمحى كالعقيق فاسألوا عنى لقومى أننى قاضى الحقوق
وإذا الأهل جفونى منعونى عن حقوق أكتم الغيظ واغفـــوا
عن عدوى وصديق قد قسمت الدهر شطرا إن عزمى لم يضيق
لم أخذ حاز حرب فى صبــح وغبوق وأنت يا غضبان ابنى
أنت لى نعم الوثيق ثم ميسرة المسمى أخوك عز الرفيق
وغصوب ثم سبيع اليمانى أباه كان صديـــق ثم شيبوب ومازن
هم لنا فى كل ضيق نعم أولاد وصحب ليس أخشى من يعيق
وكذاك الخل عروة هو حنون وشفوق ثم ذا سبقى ورمحى
عامر ذى الوثيـــق فيهـــم ألقى عـــدوى وبهم يفرح صديـــق
عنتر اسمى عند تفريـــج المضيق

قال الراوى فلما سمع الملك قيس و بنى عبس شعره تعجبوا من فصاحته وقال له الملك قيس وبنى عبس يا أبا الفوارس ما نسير كلنا إلا معك و نفديك بالنفس والأموال ولكن يا أمير الخلق كثيرة والجموع غزيرة لأن عبد هياف شجاع وهو فى الفروسية له باع وأى باع وقد صحبه الملك الأخضر ويتبعوه الملوك وجميع من كان فى السند والهند وقد صار فى جيش ما صحبه أحد قبله وقد ذكروا عنه أنه يريد أن يلقى كل من فى خراسان لأن عساكره أربعمائة ألف من الفرسان ما هذا لاتباع فقال يا ملك هذا عبد هياف قد طلع طلوع الجبابرة وقد تبعوه هذه العساكر وأنا الذى قبله قتلت عبد زنجير و إن شاء الله ألحق به أباه وأنا له منه المنى بحد الصوارم وأطراف القنا قال فلما سمع الغضبان من أبيه هذا الكلام قال له يا أبتاه أى شىء كل هذا الخوف من الموت و الفناء من شفار السيف وما أنا لا نقصده و نبهم ما جرى بيننا و بينه أما يموت أو حياة أرأيت أحدا خلد فى الدنيا قبلنا والذى جاء وقته يموت ومن كان أجله مديد لم تقطع فى جسده صوارم الحديد وذمة العرب و شم رجب حومة والنبى المنتخب أنا ألقى عبد هياف وأخيه الأخضر معه أضرم أعمارهما الاأفرح منهما و لا من بشر لأن الأجل إذا حضر لا يتقدم ولا يتأخر و لا بد لى ما أرمى روحى فى بحر هذه العسكر و ألتقى بوجهى شفار سيوفهم وأسنة رماحهم إلى أن راسى تحت سنابك الخيل وأموت وأندثر وأقبر فقال عنتر والله يا ولدى ما أنت إلا من أهل الحرب و رجال الطعن والضرب ما تخشى الفرسان ولا

تخاف ولكن اصبر حتى تحضر الجواسيس ويقدموا علينا ونسمع منهم الخبر وندبر في امر ماترى فاني قد أنفذت الكتب إلى جميع حلفائنا ومن نعتمد عليهم من أصدقائنا ومن يصافي ودادنا وكانك بهم وقد أقبلوا إلينا ووصلوا إلى نصرتنا وقدموا الجميع إلى معاونتنا فقالوا يا أبا الفوارس أن اقبل الملك الأخضر وعبد هياف بعساكرهم من يثبت منا قدامهم إلا أنت وفرسانك ومن أجلكم قد قصدوا إلى هذه الديار فقال عنتر أنا وولدي نلقيهم وهمي فرساني فارقتلوني فما يبقى علينا ملام قال ولم يزالوا بني عبس وعنتر في إنتظار شيبوب إلى أن كان في بعض الايام قد أقبلوا وهما كانهما شعث من الجز وهما قد لقيا شقاء عظيم هذا وكان تحت كل واحد منهما جواد سابق وكانوا قد سرقهم وهما في الطريق وركبوها عند العودة ولما أن أقبلوا على بني عبس ترجلوا عن الخيل وقادوهما إلى عنتر لحارث بنو عبس من هاذين الجوادين وأقبلت الناس إليهما حتى يعلموا خبرهما ويسمعون حديثهما وما قد جرى لهما وما قدروا وما عاينوا من الملك عبد هياف فقال شيبوب قبل كل شيء أن تاتونا بشيء ناكله لا نناجياعا فاتوهما بالطعام فاكلوا حتى شبعوا فلما اكتفوا اخذهما عنتر ثم دخل بهما إلى الملك قيس فلما رآهما فرح وقد سألهما عن أخبرهما وما عاينوا في طريقهما ما لقوا في أسفارهما وما عاينوا من الملك الأخضر وعبد هياف وعساكرهما وما نظروا من عساكرهما فقال شيبوب يا مولاي أننا لما سرنا من هنا واشرفنا على عساكرهما وسلكنا جميع عساكرها فسلبنا منهما هذين الجوادين وهي من الخيل المنسوبة البارحة وقد جئنا بهما يا ملك على اسمك ثم إن الخذروف أحضرها إلى قدام الملك قيس لحار منهما وتعجبوا الفرسان من حسن لونهما ومن صفاتهما فقال الملك الملك قيس يا شيبوب أني قد قبلت منكما هذين الجوادين وخذوا هذين الخلعتين عوضهما فكل منهما تساوي مائة دينار فلكل واحد منكما خلعة وأريد منكما أنكما تعطوا الجوادين واحد لفارس الفرسان الأمير الغضبان والجواد الآخر لسيد الأدوب وليث الحروب الأمير غصوب لانهما يستاهلا أكثر من ذلك لأن هذا الخيل الذي لنا ما تصبر تحتهما في الجولان فاخذ الغضبان الواحد وأخذ غصوب الاخر بعد ما دعوا له وشكروه ثم أن قيس قبل على شيبوب وقال له أخبرني يا أبا ريح ما الذي رأيت في تلك البطاح فقال له شيبوب يا مولاي رأيت ملك جسيم وأمره عظيم والخلق كثيرة وقـــد ملؤا الأض في الطول والعرض وسدوا منافس الهواء المستوى وقد أحصاهم أنا والخذروف فرأيناهم الف ملك وأربعة آلاف مقدم وعدتهم

أربعمائة ألف فارس الذين هم فى جانب الملكين ومن الغلمان شىء لا يصفه اللسان وكلما جاؤا إلى مكان يزدادون عن أضعافهم وقدام العسكر خمسمائة فيل على ظهر كل فيل عشرة رجال هذا غير السودان وأما الملك عبد هياف ما يصل إليه أحد من كثرة الأمم وهو فارس كريم ولو ملك مهما ملك بطاقته فى ساعته وأما سؤ الملك عن شجاعته فإنه قد ساد على جميع الفرسان بفروسيته وأنه ما سار فى البحر إلا من بعد ما قتل فى طريقه غولة هائلة تفزع منها الجان وما تستطيع العين أن تنظرها لأنها اطلعت عليهم فى وادى عظيم كثير المياه والمناهل وهو مشتبك فى بعضه ببعض وعلى الحقيقة ما سمعته بل رأيت رأسها على السنان ورأيتها هائلة الخلقة فسألنا عنها فقالوا لنا هذه رأس غولة قتلها الملك هياف وكان عبد هياف لا يأكل إلا صيده بيده وكان قد جرى له بذلك عادة وكان يطلع وحيد فريد ويخلوا بنفسه فى الصحراء ويقتنص الأسد من غاباتها ولا كان يخشى ما يراه وكان قد اتفق له أنه خرج بعض الأيام على جانب البحر كما جرت عادة فبينما هو كذلك إذا نظر موضع وحش وعر وإذا قد طلع من ذلك الموضع غوله هائلة ومعها شىء تأكل فاه فلما رآها جذب سيفه من غمده وطلبها ولا زال يقاتلها على الذى تأكله حتى أنه خلصه منها فتبينه وإذا هو كتف لآدمى فقال لها الك من أيها الخنى فحملت عليه وهى تروم منه خلاص الكتف وهى فاتحة فاها فهجم عليها بالسيف وضربها فوقعت فقالت له ثنى على فأبى وقال لها أبعدك الله عنى وما زال متكىء عندها حتى أصبح الله بالصباح فتأملها وإذا هى رأس غوله وهى كرأس الكلب ولها عينان مشقوقتان بالطول ولها ساقين كساق الحمار وجلد كجلد الفيل الأسود لحار عند نظرها فعند ذلك قطع رأسها ثم أتى به تحت أثوابه ولما وصل إلى العسكر قال شيخ من جملة العسكر ها قد أتاكم العبد هياف فلما وصل وقف بينهم وقد رمى رأس الغولة اليهم فتعجب منه الفرسان وقد تيقنوا أنا عبد هياف فارس العرب وفارس منتخب فعند ذلك أنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول :

إلا من يبلغنا من فتيان عبس	بما لقيت فى مرجا بطانى
وأنى قد لقيت الغولة فهى	لها كتفين مصقول البنان
فشددت شدة نحوى وأهوت	إلى فقلت أخلى منك المكانى
ضربت لها بلا دهش فخرت	صريعة باليدين وبالبنانى
فقالت ثنى فقلت لها رويد	لحالك أنت جاهلة الجنانى
وأنى لم أزل واقف لديها	لا أنظر من عدوى ما دهانى

وجميع الأسد قد عرفوا … غداة الروع فى يوم الطعانى
إذا الأبطال ثارت يوم حرب … وقد دارت لنا حروب عوانى
لأنى عبد هياف المسمى … وما أخشى الحمام إذا التقانى
وأما عبد عبس سوف يلقى … فارسا لا يمل من الطعانى
كذا ابنه الغضبان يمت … على مرهف به حكم الزمانى

وأنه بالقتل الغوله وجرى له معها ما جرى وقطع رأسها وأتى بها ورماها بين خواصه وحجابه فتعجب منه الخلائق وشهدوا له أن ما فى الدنيا أقوى منه على البلاء وأما عبدهياف فإنه أمر أن يشيلوا رأس الغوله على القنا فلما عبروا البحر وخرجوا على البر رفعت الرايات ودقت الكؤسات ونعرت البوقات فصفت ألف راية على كل راية ناصية ملك من الملوك وساروا كلما عبروا بحر على موضع وقرو بمنه تأتى الخلع والأموال من عند الملوك وقد جعل الملك الأخضر فى المقدمة عشرة آلاف فارس وهو لا يصدق أن تقع عينه على الأعداء حتى يملأ من قتلاهم البيداء هذا والملك عبدهياف على ظهر الجواد كأنه صخرة من الصخور الجلاد وكان أكرم أهل زمانه أن قصده شاعر أعطاه حتى لا يرجع بذمه فى شعره ومن كان عليه دم اشتراه من أصحابه برضا قلوبهم فلما عاين شيبوب والخذروف إلى ذلك حارت أبصارهن فانبهروا من كثرة العساكر والأمم فما كان لهما شغل إلا أنهما سل كل واحد منهما حصانا من خيول عبدهياف ورجعا على أعقابهما إلى ديارهما فدخلا على الملك قيس كما ذكرنا وأخبروه كما وصفا وأخبرونى من أثق عليه أنه كان عرض الجيش وطوله إحدى وسبعين فرسخ بالعراقى لا يفترق سنان عن سنان هذا والعساكر كلما جاءوا إلى مكان ازدادوا فلما سمعوا بنى عبس من شيبوب هذا الكلام انبهروا والغضبان قال أنا الذى قتلت أخيه وإذا قتلته أكون قد فزت بالجميل وحدى من دون سائر العرب فلا بد ما أحمل عليه وأخطفه من بحر سرجه وأحله فقال أبيه لما سمع كلامه والله يا غضبان يا زين الفرسان وليث الميدان ويا من افتخرت به على بنى عدنان ما أنت إن كفؤ لهذه الفعال ولا يخطر لك هذا الأمر على بال لكن أنا بنفسى أفديك فعندها قام غصوب إلى عند أخيه وقال له أنا التقى عنك بصدرى أسنة الرماح التى الأعداء وأفديك من الأذى والردى وكذلك قال ميسرة ومازن وجميع بنى عبس (قال مجد) وأقبلت العساكر الذى أنفذ خلفها عنتر بن شداد وكان أول من أقبل عليها الأمير وضة بن منتج ومعه الف فارس وقد أتى طايع لعنتر لأجل ما أطلقه من أسره وقد قرقلب أمه فنزل هو وجماعته فى حى عنتر وكانت قد طلعت أولاد عنتر فالتقوه وقد أتى بهدية حسنه أعطاها له فأعطاه عوضها وزاد عليها إضعافها وأوقفه

أقبل بعدة زيد الخيل ومعه أربعة آلاف فارس فاقبل بعده عامر بن الطفيل معه أربعة آلاف فارس فطلع الملك قيس وأخوته فعنتر وفرسانه فالتقوهم ومن بعدهم أقبل شيخ العرب دريد بن الصمة معه عشره آلاف فارس فالتقوهم بالاكرام وقدشكر عنتر دريدوأتى عليه وانزله فى أعز مقام وجرى بينهما من الوداد ماجرى بين أحد غيرهما من العباد وقال دريد لعنتر أزعجت خاطرى بما جرى وقد سقت معى فرسان بنى هوزان وحشم ونحن فى خدمتك وأقبل خفاف بن ندبة وقد أقبل الأمير بسطام بن قيس فى فرسان بنى شيبان فاقبلت جملة القبائل جميع الفرسان والاصحاب على الصواملى ولم تزل القبائل تأتى وتتقدم وتجتمع والملك قيس وعنتر وأولاده ينزلوهم فى حمى عنتر حتى اجتمع الجميع وصاروا فى سبعمائة وعشرين الف فارس وعلق عنتر عاموده ودرقته ورمحه الحديد الذى كان أربعين بالمكى والابطال تتعجب من هول عدته وقوة قلبه وشجاعته وشدة بأسه وهو فرحان بولده الغضبان فميسرة فمصوب فاخيه مازن وعروة ابن الورد وجميع الفرسان والعشائر هذا والقبائل تتابع وعنتر فرحان بهم وهو مستبشر فقلوب أعداءه تنفطر فعند ذلك أنشد يقول :

أتانى الله بالنعم المبدى	وبرقة راج وقــد رآنى
حويت جمعها بالسيف حتما	ولا طالت يــدى ولا جنانى
أتانى يا ابن مبتــدر الينا	وصاحبه احقر الحيــانى
أقلت عنتر العبسى حقــا	فلم تسع ولم تعرف مكانى
أهـــذا عبـــد هياف أتى	الينا جاء يفترس أسد الرهبانى
أن أك نارة موقدات تلظى	فلن تفزعن وترهبـــانى
فقل لابن اللئام يكحن طرفه	من قطع الترابى والهوانى
فقــد أقبــل الينــا بالمطايــا	يعادينى بالضراب وبالطعان
وأنا عنتر لم أخش حروبــا	ولم أنزع إذا جاء والتقانى
وأما ابنى الغضبان ليث	فلا يخشى ولا يرهب أنسانى
وهذا الجمع قــد جاء الينا	يرومون اللقا بلا توانى
سـأنيهم وأشبعهم بضرب	وأجرى دمهم فى الصحصحان

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره تعجبت جميع الفرسان والقبائل من فصاحته ونظمه ونثره هذا وقد اجتمع جميع القبائل فالفرسان المشهورة ودريد والملك قيس وجميع الشجعان الذين هم جماعة القبائل وجعلوا يتشاوروا من جهة الملك عبد هياف وكيف أنه قد قاد الجيوش وجمع الجموع وقد أتى فى صحبته الملك الاخضر فصار بعضهم يحدث البعض

وقد سار بينهم الكلام فقال عنتر لا كلام حتى تقدم جواسيسنا فاذا أتوا وأخبروا أنهم قد قربوا الينا عن شهر واحد سرنا اليهم وقاتلناهم وطالبناهم وسرنا على بلادهم ولا نزال نقاتلهم حتى نعدمهم السمع والبصر فبينما هم فى الكلام وإذا قد أقبلت الجواسيس تخبر عبد هياف أنه قد قرب منهم، سار بينه وبينهم مسيرة شهر كامل وأخبروه أن الأمر عظيم والخطب جسيم والأبطال كلما جاءت ترداد والسودان قد بقيت فى مائة ألف فارس لا يخشون الموت ولا يخافون الفوت ولا يفهم أحدا كلامهم وقد أخبروهم أن الملك عبد هياف ما فى الدنيا أكرم منه ولا أحسن من ملتقاه للضيوف ولا أكثر منه هيبة وأنه إذا ركب الجمل يخط إبهامه الأرض له عامود زنة مائتين من بالملى وعلى رأسه ألف صنحق وعلى رأس كل صنحق ناصية ملك كما ذكرنا هذا وقد أخبروهم أنهم رأوا سبيع بن الحارث المسمى بذى الخمار والأمير هانىء بن مسعود وهما الأبطال والشجعان الموصوفين بين العربان فما هو إلا فى مقام عظيم فى الفروسية والشجاعة فقال دريد وحق من خلق الأرض والسماء وأجرى الماء ويعلم ما يتم اليوم ويجرى غدا يا ولدى يا أبا الفوارس ما دامت النساء تحبل وتلد ما يبق فى زمانه فريد أوحد إلا هذا العبد هياف وأنا قد سمعت عن أمه أنها قد بارزت اباه وأنهما لما كان فى الدنيا أفرس منهما وأنهما كان ملوك الهند والسند وقد أطاعتهم العباد وقطعا الجبابرة الشداد هذا وعبد هياف قد أطاعته العساكر والأجناد إلى هذه الأرض والبلاد طمعا فى فرسان الحجاز وملك كسرى وخراسان والأهواز فتكون منه على حذر وإلا وصل الينا منه الضرر وآخر جهد الرجل يلتقى امثاله فهذا إذا قصدت عساكره إلى بلادنا وأرادت أن تقلع الجبال لقلعتها على أسنة رماحها وقد فعلت ذلك فقالوا له الجميع يا أبا النظر لقد قلت لولا ما يقدر أحد يرد فيه عليك وتكلمت بالحق وكلنا بين أيديكم ثم أنهم افترقوا بعد ما دار بينهم من الكلام ودخلوا إلى مضاربهم والخيام وقد حملوا هم السفر هذا والغضبان وعنتر فرحين بما قد سمعوا من الخبر وبما قد أتاهم من الفرسان والشجعان ولا أهالها تلك الجموع ولا التفتوا إلى أحد بل أنهما مصممين على اللقاء والصبر على البلاد والشقا هذا وقد قال الغضبان أى شىء فعادتنا يا أبى دعنا نمضى ونلتقى هذا الرجل الذى قد أقبل لأن أذل الناس من تقصدة الأعداء ويدرسوا أرضه وديارة فلما سمع عنتر من ولده الغضبان هذا الكلام فعند ذلك نادى المنادى فى جميع العساكر بالرحيل بعد ثلاثة أيام وقد جهزوا حالهم وافتقدوا أسلحتهم

وخيولهم وقد عزموا على الرحيل فركب الملك قيس وبنى عبس والفرسان وقد أعتدت للقاء الشجعان فعند ذلك اتى الربيع بن زياد إلى الملك قيس فقال له يا ملك أى شىء هذا الراى وإلى أين سائر خلى العبيد الولد الزنا ابن الأمة يفعل بنفسه ما يريد ويسير هو وفرسانه ومن هو أتى من أعوانه ولا تحرقنا بناره لان هذا العبد هياف جبار من الجبابرة وقد عزم أنه يذل البلاد ويأخذ من الملك كسرى الغفار هذا وعنتر بن شداد قد قدم على الموت ولا يخشى الفوت وولده الغضبان قد قتل المرهف أخيه وجلب الينا هذا البلاء ونحن ما بيننا وبينه دم وعنتر وخصمه أخبر خلينا نحن فى موضعنا وخليه هو وأصحابه يفتصلون كيف ما يريدون فقال له الملك قيس يا ربيع هذا الكلام منك ما أقبله ولا أخلى هذا الفتى يخرج من يدى لأنه حامى القبيلة فقد فادانا بنفسه الف مرة فقد التقى عنا بصدره أسنة الرماح وقد أتوا إلى نصرته جميع القبائل وفرسان العشائر ونحن بنو عمه وهو حامينا وبعد قتل عبد هياف ماهو عاجز عن لقاء الآلاف فارس ونحن ما نتخلى عنه أبدا ولو شربنا كاس الردا سونا تحت سنابك خيولهم العدا وما نموت إلا قدامة ولو تقطعت رؤسنا ثم أنه ركب وركبت الابطال وركبت حماة القبائل وأهتزت الدنيا بالفوارس وقد سار الفضاء وقطعوا منافس الهوى وركبت بنى عبس الذئاب الطلس الذين كانوا قد فعلوا افعل جميل فكان منهم كل مائة تهز الف وتردهم قوة وعنف قال وقد ترك الملك قيس أخيه الحارث فى الف فارس فى الحلة فاوصاه باليقظة والاحتراز هذا وقد كانت بنى عبس عدتهم أربعة آلاف فارس وقد أنتشى لهم أكثر من أربعة آلاف صبى ما تلتقى ولا تخشى مزبوس ولا سقا لأنهم لما أنتشوا نظروا إلى شجاعة عنتر وتفرسوا مع أولاده فطلعوا نار محرقة فكان فى ذلك اليوم مع الملك قيس سته الاف ما بين مدرع ولابس كاملين الاوصاف قد صاروا إلى لقاء الملك عبد هياف هذا وعنتر فى المقدمة ورجاله المعدودين يخوض الأهوال وعنتر قد فرح باجتماع تلك العساكر وهو سائر إلى لقاء الأبطال وهو ينشد ويقول :

يا لقومى ساعدونى فى	اللقا عنـــد الزحام طال ما بـــين ضجيعى
فى دجى الليل حسام	دع القوم تنادى تحت أكناف الظلام

أين أبناء الكريمة   أين أبناء الكرام   أين من يطعن بالرمح
أين اسود الاجام   أين من يضرب بالسيف   عندما اشتد الخصام
فأنا عنتر حقا   بطل عند الصدام   وترى نار تلظت
بين سرجي والحسام   وأنا فارس قومي   بطل القرم والكلام
وأنا ليث القتام   وأنا حصن حصين   برج عزمي لا يرام
أنا قرم شجاع   وأنا الليث الهمام   وأنا بحر أجاج
وأنا لون الظلام   وأنا عنتر القوم   لست أخشى من خصام
ابني الغضبان ليثا   عندما اشتد الزحام   ثم يتبعه غصوب
ليث هو لا يرام   وكذا ميسره غضنفر   لم يزل صقر لايرام
وأخي شيبوب عضدي   ابن أمي لا يلام   فتراه يصرع القوم
يوم حربي وصدام   ثم سادات القبائل   البهاليل الكرام
ليس أخشى من جيوش   لا ولا ألف همام

قال الراوي فلما فرغ عنتر من كلامه فاطرب العرب من شعره ونظامه هذا وقد ساروا ولو قدروا على الطيران لطاروا هذا ولم يزالوا سايرين من المنازل ويدخلون المناهل إلى أن وصلوا إلى أول أرض الهند وكان مسيرهم شهر كامل والقبايل لهم الغفاير هذا وقد اتاهم من الملك الحارث الغساني أربعة آلاف فارس شجعان من الشام وفي صحبتهم النوق والأغنام والأثواب الخام وأموال كثيرة وأنعام لأنه قد سمع بما جرى لعنتر في هذه الأيام فانفذ له هذه الفرسان يقويه على لقاء الأعداء وقد انفذ معهم مائتي رأس من الخيل فقدمها عنتر لجماعة القبايل وقسم النوق والاغنام والانعام قال فبينما هم سايرون في بعض الايام وإذا بالجواسيس قد أقبلوا إلى قدام الملك قيس وعنتر ثم سلموا وقالوا أيها الفرسان الأنجاب من عم السادات الاحباب لا تسألونا عما لقينا من الشقاء في سفرنا والعذاب في طريقنا واعلموا بأن الجيوش قد قربت والعساكر قد وصلت وبقى بينكم وبينهم أكثر من عشرة أيام وترون الملك عبد هياف والملك لاخضر وعلى رؤسهم الرايات والاعلام وإن نار أبنا ذو الخار وهانيء بن مسعود في أسره والاغلال فقال عنتر ما سمعتم كيف كانت قصتهما وحديثهما فقالوا مالنا يا أبو الفوارس وأما نحن قد سألنا عن هذا الامر قال الراوي وكان هؤلاء الفارسين ووقوعها حديث عجيب وأمر مطرب غريب وقد سمعتم ماجرى بعد تعليق القصيدة لهانيء بن مسعود لما أشهر السيد عبد المطلب لذو الخار

مكة وخلصوه العبيد وقد ضرب هانىء وأرماه وقد أتى فى خمسين فارس من بنى حمير وخلصوه كما ذكرنا هذا ولما برىء هانى من جراحاته وانصلح بقى فى قلبه النار من ذو الخمار وما كان ينام الليل ولا يقر بالنهار مما تم عليه من ذو الخمار وكان أكثر أوقاته يشاور بنى عمه وبنى شيبان فى حديث ذو الخمار وقصده وقد ترك عليه الجواسيس والأعين ويتوقع أخباره ثم أنه ركب وسار فى خمسين فارس من بنى شيبان معودين بخوض الحرب والأهوال وقد قال هانىء لابد ما أبحث عليه ولو طالع السماء أو فى الأرض السفلى فلابد ما آخذ ثارى منه واكشف عارى وقد سار فى طلبه وهو مصمم على لقاه حتى عثر به وهو نازل على عين ماء هو والخمسين فارس فلما أن أشرفت عليهم الأمير هانىء هذا وقد خفق فؤاده لما حقق ذو الخمار وهو لم يعتنى به فعندها نبه هانىء جواده وزعق عليه وقال له أتعدى ياذو الخمار يا غدار وأنا جئت إلى لقاك واليوم يبان الفارس الكرار من النذل الجبان ياأخوان يا ويلك تضربنى على غفله وأنا خالى من الدثار وتخلص من الدمار وجرى عليك ما جرى الحرب ومقام الطعن والضرب فهذا مقام يبان فيه الفارس الندب وما نحن فى العدد سوى وفى الشجاعة والفرسية كفؤا قال فلما سمع ذو الخمار من هانىء ذلك الكلام حار فى أمره ثم قال أنصفت ياهانىء والله أنا الآخر هذا اليوم كنت فى الانتظار حتى لايبقى لى بعدك من القصة إلا الفارس الأسود والبطل الضيغم الذى كلت عن لقائه الملوك وخافه كل غنى وصعلوك فقال له هانىء هذا أخى يانذل ومن أنت لا أم لك ولا أب حتى أنك تذكر فارس الأقطار والليث المكرر الذى قد قهرك فى الحرب مرارا وأسرك ثم أطلقك ولو أرضى قتلك لقتلك وأنت ماترجع بل الغدر فيك فدونك اليوم وخلى عنك كثرة الكلام قال فعند ذلك حمل كأنه الأسد الهدار وقد حملا على بعضهما بعض وتجاولا طولا وعرض فاهتزت من تحتهما الأرض وفعلا فعالا يحير الناظرين فنعوذ بالله من أحقاد الجاهلية وهذان الفارسين كانا فى هذا الزمان تضرب بهما الأمثال وما كان أعلا منهما إلا عنتر بن شداد لأنه كان خلقه الله نقمة على الجاهليه حتى أنه مهد الأرض قدام سيد البرية قال كل هذا يجرى وأصحاب ذو الخمار لايتكلمون بل ينظرون ما يجرى بين هذين الفارسين من المهاجمة والصدام فساعة تراهما فى الميمنة وتارة فى الميسرة وعلت عليهما الغبرة وما زالوا فى قتال من أول النهار إلى أن جاء وقت الغروب وإذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وجيوش قد أقبلت تهزق أكفها سمر وهى فى مواكب وخلائق بعدد الرمل والتراب وكانت هذه جيوش الملك عبد هياف وهى متداركة مثل السحاب وقد ملأت جنباب الأرض هذا ولما أن رأوا هذين الفارسين فى

الحرب الشديد انطبقوا عليهما من غير معرفة ولا سؤال ولم يعلمون بحالهما أصحاب ذو الخمار وكذلك أصحاب هانى. وقطعوهم بالبواتر وقد بقى هانى وذو الخمار فى حرب تتعوذ منه الإنس والجان هذا الغبار عقد عليهما ما بين الأرض والسماء والفرسان قد حارت مما رأوا منهما وقد اجتهدوا أن يفرقوا بينهما فلم يقدروا قال فبينما هم على هذا الحال وإذا بالملك عبد هياف قد اقبل فى مواكبه والرايات على رأسه فعند ذلك اندهل ذو الخمار وهانى بن مسعود فوقفوا ينظرون اليهما وقد ظنوا انهم عساكر كسرى فانطبقوا عليهما الفرسان وداروا بهما الشجعان من كل جانب ومكان فعندها خطف الأمير هانى بعض الرماح لان رماحهما كانت من شدة تقطعت قد حمل وغاص فى اوساطهم وكذلك ذو الخمار فعل مثل ما فعل وما زالا يتقاتلان هذا عن اليمين وهذا عن الشمال حتى تنحت الابطال وهم مشتغلون بما هما فيه من الحرب والقتال فلما أن رأى عبد هياف ذلك قال لحجابه باويلكم هل ظفر فيكم احد من العسكر باويلكم أعلمونى ما الخبر واطلعونى على جلية الاثر فقالوا له ياملك الزمان لقد نظرنا إلى فارسين وبطلين لم تر العيون أفرس منهما ولا أشجع منهما إلا أن يكون الملك أدام الله أيامه وقد قتلوا منا جملة فرسان ولم يعبئوا بهم ولا انفصلوا عن بعضهم بعض والساعة قد فرقنا بينهم وقد حملوا فى العساكر وهما شبه اللبوث الكواسر وقد افنوا منا خلقا كثير وعجزنا عنهما ولا قدر احد منا ينظر اليهما ويقدر عليهما هذا والغبار منعقد عليهما وجميع الجيوش قد وقفوا من حولها وناس تقاتلهما وناس ينظرون اليهما قال فلما سمع عبد هياف ذلك تعجب وقال فى بلاد الحجاز فرسان تفعل هذه الفعال وتثبت تحت قسطل الغبار ولها جلد وتعرف الضرب بالسيوف وحق إله السماء الذى اوجد الاشياء وقدر الارزاق تدنون منهما وتأسرونهما وتأتون بهما والاقطعت ديوانكم ورديتكم إلى أوطانكم باويلكم أى شىء الاخطار الذى لم يخطر لاحد على بال فنحن نقول كل واحد منا يلقى مائة فارس من هؤلاء الحجازيين والشجعان المعروفين وقد عجزتم انتم عن فارسين ثم انه تقدم بالملوك والحجاب فلما اذ وقعت عيناه عليهما فرأى رجالا كأسود الآجام فرسانا لم تر العيون مثلهما ورأى قتالا تحير منه الورى فأمر سودانه الثلاثين الف يقتسمون عليهما من كل جانب هذا وقد حاروا بما راوا فقال وذمة العرب وشهر رجب ما أظن فى الدنيا كامل الشمال الا هــــذين الفارسين وعمر التقى الفرسان فى الميدن الشجعان ما رأيت أهجم من هؤلاء الفارسين على البلاد أما هذا الفارس فهو شجاع وبطل مناع وقد أعنى بقوله إلى ذو الخمار ثم ان عبد هياف قال لقومه انظروا اياويلكم

إلى هذا الفارس ما أليق شمائله وما أطعنه بالرمح وما أحسن ما يورد الطعن والضرب وما أنصفه في ميدان الحرب وكان هذا القول على هانىء بن مسعود لما نظر حسنه وجماله قال ولما أن زعق عبد هياف على السودان وصدمتهما الفرسان ودارت عليهما الشجعان ولم تزل الرجال في قتالهما إلى أن غابت الشمس وهم كلما أرادوا الهجوم عليهما ويغوصا بهما من شدة الضرب وقد سمعتم بوصف هذين الفارسين قبل هذا الديوان هذا وزعقاتهما إلى قدام وتعجبت الشجعان ولم يزلوا كذلك حتى تركتا الرجال حولهما مثل الاكوام هذا وقد الخادر في جولاته وإذا قد عثر به الجواد فوقع على الأرض فأخذوه أسير ثم قدموه للملك عبد هياف فيه جراحات شتى فلما أتى بين يديه حار منه ومن هول صورته والتفت الملك إلى مقدم عساكره وقال ما ترى أفرس هذا الرجل إلا أنه أرهج ما عنده هدوه فقال الملك الاخضر يا ملك الزمان لا تنظر ولا تتعجب إلى ما رأيت وما فعل الفارس بل انظر إلى ما قد تهجم على رفيقة من الامم وأبصر تلك الناحية وانظر كيف عقد عليه الغبار قسطلا وكيف قد صار نحوه نهر من الدماء ولا يسلم نفسه وما هو صواب أن يقتل غدرا ويفوت فيه الموت ولو أنكم تعطوه الأمان ويكون لنا من جملة الأعوان ويساعدنا على الحرب والطعان قال فتقدموا إليه فمن كثرة الزحام ما قدروا يصلوا إليه إلى أن أقبل الليل ولم يبطل القتال وهو يكافح الشجعان ويشاهد الفرسان إلى أن طلع نجم سهيل وهو يحمل تارة يمين وتارة شمال وقد حير الشجعان من شجاعة وقد أوقف الخلف في الميدان والأدمية قد سالت من سائر جسده وهمات عليه كأنها أكباد الابل وهابته الشجعان قال فضربه بعض الفرسان بنبلة وقعت في حصانه فوقع إلى الأرض قايما وجعل يوعق على الفرسان ويدافع الشجعان وهم يتعجبون منه وكلما جال زاد في الحرب وأشبعهم طعنا وضرب وقد خفت روحه مما زفت جراحه من الدماء والزعقات فأخذه من سائر الجنبات والغسط عليه منعقدا حتى أنه لم يستطع ينظر إلى السماء فعثر ببعض القتلى فوقع فما قدر يقوم سريعا من شدة ما عليه من الزرد فتقدم مواليه وأخذوه أسير فلما احضروه قدام الملك عبد هياف نظر إلى أدمية جارية من سائر جسده وقد خفت حسه فتعجب منه ومن خلقته عن أي شيء وقع بينهما الحرب فحكى له عن السبب فأخذه العجب وحار من شدة عزمهما وقوة قتالهما وحدثهما على بعضهما بعض وقال له وحق ذمة العرب ما أظن في جميع ارض الحجاز أفرس من هذين الفارسين ولا في اليمن ولا في صنعاء عدن فقال الملك الأخضر أعطني واحد منهما حتى أطيب قلبه واجعله أخواني لاني أجد هذين الفارسين وذمة العرب إذا كان في الحرب فارس منهما يلتقي قبيلة وحده فقال له

عبد هياف خذ الاثنين معك ولا تجمع بينهما فى مكان واحد لا يقاتلون ويقتل أحدهما الآخر وعندهما شجاعة ما حوى أحد مثلهما وبينهما أحقاد عظيمة وهي قديمة وهما رجال العرب وفرسان الطعن والضرب معودين بلقاء الشجعان واحذر لا يفلتوا منك فاستوثق من أحدهما وقيودهما فان هؤلاء الفرسان ما يعيقهما قيود ولا أغلال فذلك الوقت أمر باثنين عبيد من السودان يتوكلون بهما من بعد ما شدوهما وسلموا كل واحد منهما إلى مائة عبد من العبيد الافيال وبعد ذلك سارت العساكر تطلب عنتر بن شداد لان الاخبار قد وصلت إلى عبد هياف أن عنتر بن شداد جمع جيش قوى وقد سار يلتقى عساكره فقال عبد هياف ياهل ترى موجود على وجه الارض عسكر تقف قدامى ثم سار فى ذلك العسكر والأمم والجحافل يطلب بلاد الحجاز وعنتر بن شداد الأسد الرئبال الذى لا يبالى بلقاء الشجعان وقد دخل البلاد وسارت العساكر والاجناد ودقت الكوسات ونعرت البوقات ونشرت الرايات وضربت الطبول ولم يزالوا سائرين والحلل تجفل منه والقبائل تتباعد عنه وكذلك كان يفعل عنتر بن شداد وهم سائرين بالفرسان والأجناد وحماة القبائل وجميع الجحافل هذا والغضبان كأنه الأسد الرئبال وهو فى مقدمة العسكر وبصحبته الف فارس من أبطال بنى عبس المعدودين من أهل الحرب والقتال لا يهولهم التعب والشقاء وشيبوب وجرير والخذروف يتسابقون قدامهم كأنهم النار المسعرة وإن رآهم أحد يظن أنهم من الجان أو من عفاريت سيدنا سليمان نبى الله قال ولم يزالوا سائرين إلى أطلعت العسكر والطلايع وطلعت الضجة إلى السما وانزعجت الجن فى الأرض السفلى وكان على مقدمة الملك عبد هياف ملك من ملوك الهند يقال له صخر المغربى وكان من أرض المغرب وكان الملك أرسل اليه لانه لما قتل أخيه المرهف فأرسل اليه فأتى معه حتى أنه يكسب شىء من المال ويحج إلى بيت الله الحرام فقدمه على طليعه وهى خمسة آلاف فارس من كل بطل مداعس وليث فارس وقال له إن رأيت أحدا قد طلع قدامك من العسكر لا تقتل معهم حتى ترسل تعلمنى وكان ذلك الخبر من الملك عبد هياف حتى أنه يدرى أى شىء يعمل وكيف يكون اتفاقا هذا العسكر لأن هذا صخر المغربى رجل شجاع وقرم مناع وهو حامل لخاف لا يتم عليه أمر فيهلك غلط إلا أنه لما قربت الطلائع وقربت العسكر من العسكر تصاهلت الخيول الضوامر وثبتت الشجعان وما تحركت وفزعا الجبال وخاف فانفذ صخر المغربى يعلم الملك عبد هياف بذلك وأى شىء يفعل لأنه قد وقعت عينه على طلائع العرب وفيهم الفارس الغضبان ومعه الف فارس وتقابلت الجيشان فبانت فى عين الغضبان الخمسة آلاف وما صبر بل قال

لأصحابه ماوقوفنا وأى شىء أنتظارنا فلما تحملوا بنا حتى نعلمهم الحرب ونبين لهم الطعن والضرب ثم أن الغضبان حمل وزعق ولاه ل فقد زعق زعقة زلزلت الجبل فلما أبصر صخر المغربى إلى الغضبان وقد حمل أحتاج الآخر أن يحمل لحمل والتقت العسكرين تقابلت الجيشين وأقتتلت الجيشين وأحتارت العين مما رأت من بعضهما الطائفتين هذا ورجال الغضبان قاتلوا الشجعان قتال وثنتو الضرب والطعان وأما طليعة الملك عبد هياف ما كان ثباتهم إلا لأنهم رأوا طعنات الغضبان وأبصرها ماتردها الدروع ولا مدرق الثقال ونظروه أين ما حل قتل وأين ما زعق زهل فوقعت فى قلوبهم منه هيبة وقد عرفوا مقدار شجاعته وما فرق بينهم إلا المسا فافترقوا وقد قتل من فرسان صخر المغربى الف وخمسمائة فارس ومن فرسان الغضبان ثلاثة فوارس لأن الغضبان قد تقدم قدام عسكر أبيه مسيرة ثلاثة أيام مما فى فؤاده ومراده يبلغ أغراضه قال الناقل وكان صخر المغربى قد أنفذ إلى الملك عبد هياف يعلمه بما جرى فانفذ اليه جواب يعلمه من هؤلاء اصحاب اليك حتى تقدموا هذا التقدم والملك عبد هياف أنفذ إلى الملك الأخضر وقال له نسير إلى الأرض بنى عبس ويكون فى صحبتك ثلاثين الف فارس لأنه قد بلغ اليه الخبر عن بنى عبس قد تركت حريمها وخرجت اليه عن مسيرة شهر كامل فقال له أريدك أن تسير وتشن غارتك عليهم وتسبى حريمهم فقال الملك الأخضر السمع والطاعة فأخذ الجيوش وانتخبها كلهم بالخيول والزرد هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عبد هياف فانه أنفذ إلى صخر المغربى يقول له أن قاتلوك قاتلهم فرتب عسكرك وأجناده إلى أن أصل اليك فعاد الرسول وأعلمه بما قال الملك عبد هياف فعاد يصف عسكره وقد داخله الفزع من الملك عبد هياف وما يدرى ما يتم عليه من الغضبان فترتبت المئات الالوف فاول من برز بين الصفين وأشتهر بين الفريقين كان الأمير الغضبان فنادى هل من مبارز هل من مناجز فبرز اليه صخر المغربى والتقاه بقلب أقوى من الصوان وجال فى الميدان حير عقول الشجعان ولعب بالرمح فتقلب على ظهر الحصان حتى أبهر الفريقين ثم أراد الرمح إلى وراء وهجم على المغربى وحاذاه وضرب رمحه أبواه وأخذه أسير فلما رأت العساكر إلى ذلك اقطبقوا على الغضبان فيهم بالرمح وضرب فيهم بالحسام فلما رأوا ما حل بهم ولوا الأدبار وطلبوا الفرار وهم منهزمين وإلى ملككم عبد هياف طالبين من عشرة وعشرين قال رآهم نادى ما حالكم وما الذى دهاكم وبشره رماكم فتقدم اليه واحد منهم وكان جبار لا يصطلى له بنار وقال يا ملك هو الذى أخذ المال والغفارة من الملك قيصر الذى أرسلها

إلى الملك كسرى وعجزوا الملكين عن حربه وخافوا من طعنه وضربه فلما سمع الملك عبد هياف ذلك صاح فيه وقال له أسكت ولا تصف إلى أرزل العرب وفرسان الحجاز ولا تزل تفزعني من صبي لا نبات بعاضيه وروايح اللبن فى فمه لاى شيء هذا حتى تعدوه من الفرسان فوق ذمة العرب وشهر رجب اقدر التقيه هو وأبيه وفرسانهما ومن كل فى صحبتهم من فرسان العرب قال هذا والغضبان قد أجاد الطعن بالرمح وقلب على ظهر الحصان حتى ابهر الفريقان فتذكر زوجته دعدا فانشد يقول

ولقد تركنا قبلكم فى حربكم طعنا وضربا ولقد تركنا المرهف
فى أدميـــة وكربا وبقيت السباع حوله يهب عليه الريح هبا
ولقد وطئناكم بخيل تترك الابطال نهبا يا عبد هياف قتلت أخوك
وضربت بعظيم ضربا واليوم أسقيك المنون بشربة يا لها من شربا
أتظن أن الحرب لعب ونحن لا عبين عليه لعبا لا تظن أن الحرب ليس
تراه بعد الشهب شهبا وترى خيولا قد أتتك تخب من أرض الشربة حبا
تحملنا فتيان عارسه بالقنا كالاسود صلبا أسود يسقون الكماة
بالقنا طعنا وضربا يا دعدا ابن وصلنا اليوم أريد كنت أخبا
مالى وصول اليك إذا لم اشتفى طعنا ونهبا يا عبد هياف أنتخى
أن كنت ترجوا اليوم حربا لا تخش ريب المنون لا تخاف الدهر نكبا

(قال الراوى) ثم أن الغضبان صال وجال وطلب البراز من الفرسان فصارت تبرز اليه وهو يقتل ويأسر إلى أن غابت الشمس فعادوا وقد تدوا صلب العساكر الذين لابيه وكان عنتر قد سبق العساكر من خوفه على ولده الغضبان قال فقام عنتر والغضبان فى الميدان فلما عاد التقاه أبوه وضمه إلى صدره لحـ نوه ورفقه بما فعل ولده الغضبان فى الحرب وكيف أسر المقدم صخر المغربى ففرح بفعاله وقدمت باقى العساكر فنزلوا فى تلك الاراضى هذا وعنتر ما يشبع من ولده الغضبان فجعل يقبله فى صدره وعوارصه وقال له لله درك يا فارس الفرسان يا أوحد الشجعان فى هذا الزمان وقد شكرته حماة القبائل وأيضا تلقته أخواته ميسرة وغصوب وقالوا له يا أخى ما يقرن من الشأن قال ثم أنهما نزلوا وأستقربهم المقام فاحضروا لهم الغلمان شيأ من الطعام إلى أن أتاهما المعلوم فبات الغضبان وهو لا يصدق بالصباح حتى أنه يخرج إلى الحرب والكفاح فعندها اصطفت المواكب وصهلت الخيول وتقدمت العساكر من كل

جانب هذا والملك عبدهياف قدصف عساكره ورتب عساكره وكذلك فعل عنتر بن شداد الرفيع العماد صف الآخر صفوفه ورتب ألوفه فركب على مقدمة بنى عبس طالبا الغضبان وحاوى قصب الرهان وأخواته حواليه ميسرة وغصوب وبن عمتهم المطال وعمهم مازن وبجيد بن مالك وعروة بن الورد ومن له من الرجال وكلهم أبطال وشجعان يتوقدوا كأنهم النيران فعند ذلك تقدم إلى بين الصفين الغضبان وقال له يا أبتاه أى شىء وقوفك فى هذا المكان لم تحمل بنا حتى نفنى الاعداء الدكادك فقال له عنتر توقف يا ولدى فقال له الغضبان يا أبتاه لا شك أنك قد غيرك الكبر بما أتى عليك من السنين قف أنت مكانك وتفرج على مواقع الحرب وتعلم منى أبواب الطعن والضرب (قال الراوى) لهذا الكلام ثم أنه حمل كأنه السهم إذا ارتشق أو كالطير إذا انطلق فتبعه أخوه غصوب كأنه البلاء المصبوب وحمل معهم أخوهم ميسرة كأنه النار المسعرة وحملوا معهم بقية الفرسان المذكورة والابطال المشهورة فغاصوا فى العساكر فلما نظر عبدهياف إلى فعالهم وإلى حملتهم على تلك الألوف أمر شرذمة من العسكر فحملت وهى كأنها السنايا إذا أرسلت فحمل ذلك الوقت عنتر بن شداد وحملت من خلفه بنو عبس الاجواد وتبعتهم أيضا بنو غطفان الآساد فحملت عند ذلك بنى جشم وبنى عامر والتقت الفرسان والعشائر وانعقدت على رؤسهم الغبائر وبهتت اليهم المقل والنواظر فبقى الجبان مدشوش حاير وقد أيقن لما رأى ذلك الامر بنزول المقابر وصار الشجاع فى ذلك الوقت صابر فالتحموا الفرقين حتى صاروا كأنهم موجات البحار والزاخر ونفذت الاسنة فى الجنوب والخواصر فما كنت ترى إلا رأس طائر وملك الموت بكاس المنايا عليهم دائر وحفرت لهم الحفاير والمقابر وجرت عليهم أحكام القادر فصاروا حواليهم من جميع المواضع وارتفعت الغبائر وتجلى الرب الحاكم وأبرقت الصوارم وقد جرحت الجماجم تحت ارجل البهايم هذا وقد اتصل الطعن واختلف ونزل الدم وزاف وطلع الغبار على رؤسهم وانعكف وقطعت السيوف السواعد والكفوف واصدمت المئات والألوف فسقوا من الموت شرب الحتوف وكان على تلك الطوائف بما حل بها نهار موصوف وصار الغضبان يشق الصفوف وأخيه غصوب يلعب فيهم بمردوف وميسرة قد جرع الألوف وسبيع وعروة يقاتل بالرماح والسيوف فلله در عنتر بن شداد فيما فعل ذلك اليوم من الابرام والنقض لما حملت الفرسان على بعضهم البعض وقد بعد يده إلى بلوغ الآمال فاطال وخسف القمر من الزبرقان وفزعت الزهرة من وجوه الأبطال وبيع المشترى بابخس الاثمان لانقضاء مدة

الآجال وانتقل عطارد وسل سيفه على مريخ الفلك فاهلك الرجال ونزلت منازل السنبلة على سرطان الفلك تنقصر الآجال وكانوا بعد اجتماعهم تفرقوا بين احقاف الجبال ولم يبق لهم من عدة الاهوال الحرب احتيال ومال كوكب العقرب ولدغ بزبان الرزايا على الفارس فال وذلت الفرسان أذل الذليل المهان وأظلمت الزهراء من أجراء الدم كالغيث الهطال ولا زالوا فى ضرب الحسام هذا وحاميتهم عنتر قد زاد فيهم ضربا وكثر على الشجعان الاسنا ودام الضرب مختلطا وجرى لهم ذلك اليوم ما لم يجر على الذى قبلهم ودام ذلك الحال بينهم حتى جاء وقت الزوال وكان عنتر الأسد الريبال وفد أشفى فؤاده ذلك اليوم من القتال ففرق العساكر بين الروابى والتلال ولا أبقى على فارس ولا على راجل وكانوا بين يديه فى ذلك اليوم كما قال القائل فى حق تلك القبائل شعر :

نهار فى الدهور الخاليات ... مؤرخ فى مقالات الرواة
جرت منه الحرب دما ... للأعجام مع العرب السراة
وجيش قد ملا كل الفـــلا ... وراموا هلاكهم فى شدة الثبات
تلاقتهم بــنى عبس ومنهم ... جيوش من رجال فاتكات
وكرت بينهم خيــــل المنايا ... وقد نادى المنادى بالممات
وقد طلع الغبار لكل وادى ... فى الورى شخص الكماة
ورى السيف يلمع وهو حرب ... وهو يحكى نجوم مظلمات
وضرب السيف يحكى مثل رعد ... بقعقع فى السحاب السائرات
وطن الرمح أخرق كل صدر ... وقلع العيون الناظرات
وهمهمت للفوارس فى مجال ... به الفرسان أضحت حائرات
وصالت سائر الأفراز فى ... مجال وأظهرت العداوة للعداة
وهامت فى المجال رجال حرب ... لهم فى الحرب أوصاف الغفات
وقد طربوا على حى تبـدى ... من العيدان أو نار الرماة
وقامت بينهم فى الحرب تجلى ... عروساً من بديعـات الكماة
فلمـــا شاهدوا منها جمالا ... ومن تجلى على جميـــع الحياة
وغنت بينهم بيضا وسمر ... وقد قام الشجاع بمرهفات
فطابوا فى السماح بكل وجد ... وقد ركضوا ولم يعطوا ثبات
وأسكرهم وغيبهم جهـــارا ... وقد قام الشجاع بمرهفات

وقاموا للتعريد والشتات على هذه المعانى والصفات

قال الراوى ودام بينهم الطعن والضرب وهم على ذلك الحال إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالإنسدال فعند ذلك افترقوا من بعضهم على سلامة وعاد الغضبان وأخوته وفرسان من ورائه وقد تركوا الفرسان الصناديد مبددة على الصعيد فعادوا وقد أشفوا الغليل مما عادوا فى ذلك اليوم الطويل وقد كادوا أن يهلكوا العسكرين لأن عسكر الملك عبد هياف كما ذكرنا ألف ملك ما منهم من يرهب الموت وكذلك حامية عنتر ومن معه ما فيهم إلا من هو على الحرب أقدر لأنهم حماة القبايل وأبطال البيت الحرام ولما أقبل الظلام انفصلوا عن الحرب وأوقدوا النيران وما زالوا إلى أن أصبح الله بالصباح رجعوا إلى ما كانوا عليه من القتال فعندها تقاربت السادات الأماجيد وتقدمت الصناديد وأوقدت للحرب نارها وباحت النفوس وأوطارها وصاح الشجاع ومشى فى شعاعها ثم أنهم لما صار بينهما الأبرام والنقض افترقا وقد قتله من الطائفتين ما لا يقع عليه عيار بعدد للرمل قال وفى ذلك الوقت قد تعالى النهار وقدحت الشمس على البر نار فلما اتسع الميدان وأبعدوا عن بعضهم البعض فعندها برز الغضبان وصاح حتى حير الميدان وطلب قتال الشجعان فلم يبرز إليه أحد من العسكر فحمل وغاص فى العساكر وفعل فيهم منكراً كعمل النار التى تشعل ولم يزل يطعن فيهم إلى أن طلع من الجانب الآخر قال فلما رآه أبوه قد فعل تلك الفعال فتبعه فى ألف فارس من الأقران فلما رآهم الغضبان عاست روحه بعد الممات وصار يرغى ويزبد مثل الجمل ونادى إلى أصحابه لا فيكم من يحمل ويطلب الحرب فتبقوا فضيحة بين العرب فسمعوا مقاله وحملوا على العساكر وخاضوا فى الذى سا كر قال الراوى وما زال الغضبان وأبيه عنتر يحمل على الفرسان ويجندلون الشجعان وقد أخلوا لفرسانهم الطريق حتى رجعوا بهم من ذلك المضيق فما رجعوهم وكان قد دخل عليهم الليل فافترقوا وقد جمد الدم على درع عنتر فالتقاه دريد بن الصمة وجماعة من رجاله وهم يتعجبون من الغضبان وقتاله وجعلوا يهنوهما بالسلامة من هول ذلك اليوم وقال يا أبا الفوارس أى شىء حال هؤلاء الفرسان فقال عنتر والله ما هم إلا رجال لا يخافون حرباً ولا شقا وما كان يومنا إلا يوم شديد ثم أنهم باتوا إلى الصباح فعندها تبادرت الفرسان للحرب والكفاح وقد عزم الجبان على الهرب والرواح فبينما هم على ذلك الحال وإذا قد طلعت عليهم غبرة من بين تلك التلال وعجاجة قد داروتفت من خلف تلك الروابى والرمال والرايات قدامها أقبلت الرجال تصارخت الأبطال زعقت والخيل

من تحتها قدصهلت وقعقعة الحديد تصلصلت ومن بين أيديهم حلة منهوبة وأموال مسلوبة ورجال مكتفين وحريم سبايا وهم مستأسرين والخيل من خلفهم ومن قدامهم تنافر وجيش مايعرف له أول من آخر على وجوههم أهوال تدل على الذل والوبال قال فنظر عنتر ومن معه من الرجال فتبينوا تلك الأحوال وإذا بها حلتهم وحريمهم ونوقهم وجمالهم وقد ساقوا الحي بما فيه لأنه ما كان عنده أحد يحميه لأننا قد ذكرنا فيما تقدم أن الملك عبد هياف قد سير الملك الأخضر لما أن رأى بنى عبس على تلك الاوصاف فى ثلاثين الف فارس ما منهم إلا كل مدرع ولابس وأمرهم أن يقصد ادبار بنى عبس ويقلعوا حلتهم على الاثر حتى أنه لايلتى لهم ذكر يذكر ففعل ذلك الأمر الملك الأخضر وكان على غير الطريق التى أتت منه العساكر لأنه فى حال مسيره كان معه دليل خابر وما زال سائر حتى أتى على أرض الشربة والعلم السعدى فرأى الحى خاليا من الرجال مافيه أحد بما يعدو لا يبدى ولم يجد فيه غير الحارث بن زهير ومعه ألف فارس فاحتاطوا بالحلة وأنزلوا بهم الذل والغلبة بعد ما قاتلوا ساعة من النهار ودارت عليهم تلك العساكر التى كانها بحر ذاخر فأخذوهم قبضا باليد ولم ينفلت منهم أحد ومن جملة من أخذ قدام السبى الربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وقد نهبوا بعد ذلك الأموال وسبوا النساء والأطفال وقلعوا الحلة عن بكرة أبيها ولم يتركوا غير شيوخها وعجائزها فتقطعت ظهورهم وحاروا فى أمورهم ولما أقبل الملك الأخضر بمن معه على عساكر الملك عبد هياف انفلت من بنى عبس واحد وأخذ فى الهرب بعدما كان قد أشرف على التلاف والعطب وأنه قد أجهد نفسه حتى انفلت وكان الذى انفلت بطل ممارس لأن الحرس كان عليهم شديد من كثرت الناس فاقدر أحد منهم أن ينفلت إلا هذا الفارس فانه هرب وسل له جواد وركبه وسار إلى أن أقبل على بنى عبس ووقف بين يدى عنتر وقد فرح بسلامة نفسة الذى قد أتى يرد الخبر وهو قد تغير لونه وقد ارتعدت فرائصه وخمد شانه وزاد كربه قال فلما رآه عنتر بن شداد قال له ياويلك ياابن الأجواد أخبرنى ماوراك وما الذى دهاك فلم يجبه بجواب ولا أبدى له خطاب فزعق عليه ثانى مرة وقال له ويلك ياابن الخنا أخبرنا ماشأنك وأوقفنى على حالك وما الذى جرى لك حتى أننا نعمل على قدر ماتراه فقال له الرجل وماهو الذى أعلمك به ياأباالفوارس فانى أعلمك أنه قد جاءنا الموت الأحمر والبطل الغضنفر المعروف فى الهند والعرب المشهور عند ذوى الرتب

المذكور فى ساير المدن والمعروف بين الملوك وهو الذى شتت شملكم وشتت جمعكم فالفرار قبل أن يحل بكم الدمار وأنه قد أتى إلينا ملك من ملوك الهند الأكابر يسمى الملك الأخضر ومعه عساكر بعدد الرمل فقطع الحلة عن بكرة أبيها وسبى الحريم والعيال ونهب ما أدخرتموه وساق العبيد والأموال وقتل فى الأقران ولم يترك فى الحلة لا رفيع ولا وضيع إلا أتى بالجميع ولما وجدت أنا غفلة هربت وقد حل بكل من فى الحلة الذل ولم يسلم من الجميع إلا أنا وها أنا قد أخبرتك فلما سمع عنتر هذا القول كاد أن يغشى عليه وعاجل الحال جر سيفه الضامى وضرب تلك الرجل طير رأسه من الجسد وقال له إست أمك وإست أم عبد هياف معك وقبح الله من يرجوكم لشدة أو يريد منكم فى وقت الضيق نجدة قال ثم أن عنتر اخبر جميع الفرسان بما قد جرى وأعلم الملك قيس بما تم وصار فبينما هم على ذلك الحال وهم منتظرين الحرب والقتال وإذ هم بالملك عبد هياف وقد أشرف عليهم ومن معه من من الرجال جملة ألوف كلهم فرسان وشجعان وهو راكب على جواد عالى من الخيل الجياد ويخط على الأرض بإبهامه والشجاعة لائحة بين عينيه وهى تشهد له ولا تشهد عليه وقد بهتت الفرسان كلهم إليه وصارت تتفرج على طول قامته وحسن ركبته وشدة شهامته إلا أنه أمر أصحابه بالوقوف لما تقاربت من بعضها البعض الصفوف ثم أنه برز إلى بين الصفين وأشتهر بين العسكرين ونادى بأعلى صوته وكان له صوت جهير كأنه الرعد فى أيام الزمهرير وكان كل من يسمعه لم يزل خايف وقلبه راجف وقال يا بنى اللئام وأخس العربان وأنتم قد تجمعتم لى عسكرى وأتيتم من كل ناحية ومكان وأنتم فى الحرب عندى مثل الصبيان والله لقد خاب سعيكم وانعكس عليكم جريكم ولكن أنا ما أبقى عليكم لأننى أنا وحدى كفؤ لكم ولو أنكم بعدد ورق الشجر وقطر المطر والحصى والحجر ثم أنه بعد ذلك المقال صال وجال وطلب القتال وهو على تلك الصفة وأشار ينشد ويقول ونحن وأنتم نصلى على طه الرسول :

يا بنى عدنان ادنوا وقاتلوا	لا تكرنوا كنجم قد أفل
لا تكونوا هزما من بأسنا	واثبتوا عند أحاقيف الجبل
واجعلوا الحرب كفاحا بيننا	إنما الحرب سجام ودول
دعوا ما حل من أظهارها	دون أن يدنوا الذى بين الحلل
قاتلوا ثم لا يأخذ كموا	فى قتال اليوم يا قوم ذهل
إن ترموا الحرب هزبر	لم تروا مثلى فى الهيجا بطل

انعدت من نومكم الرقاد	إن تسكونوا تثبتوا من غير مهل
والطف نفس لي اخى فيما أتى	فى رسالتكم لما جاء قد نزل
ثم ذا الغضبان يقطع رأسه	لم يبالى بى ولا يخش الوجل
وانا كل ملوك فى الورى	تخشى بأسى وإلا تنتقل
ثم ذا منذر يزعم أنه	بطل يعلوا على كل بطل
انى والله لافعل فيكمو فعلا	تضرب به النـــاس المثل



(قال الراوى) فلما تم الملك عبد هياف كلامه برز اليه عشم بن مالك الملقب بملاعب الاسنة ورداد الاعنة وكان هذا عشم بطل حلاحل وليث منازل ولا يخاف الموت ولا يخشى الفوت ولما برز إلى الملك عبد هياف ترنم بالشعر وأشار يقول

الحرب يحمل بى إذا نادى المنادى	اكون عندكم فى الماء مغموس
ياعبد هياف يامن يدعى بطلا	لاتحسبن بنى عبس كراديس
لا يخشون موتا ولامن إذا نظروا	نواصى الخيل لاخشوها بؤس

قال ثم ان عشم طلب الملك عبد هياف وحمل عليه بقوة جنان وقال له عبد هياف من تكون انت من الفرسان اخبرنى حتى انى اعرف ان كنت من بطل الحرب والطعان فقال له عشم بن مالك الملقب بملاعب الاسنة ورداد الاعنة فلما سمع الملك عبد هياف من عشم كلامه

والمقال فعند ذلك طال عليه واستطال وقال له مثلك يقاتل أمثالي ويعد نفسه من أشكالي أو يظن في نفسه أنه يثبت قدامي أو يقدر إذا خرجت إلى الحرب يثبت لطعاني ثم إن عبد هياف مسك رمحه بيده مثل ما يمسك العصا الرجل الشديد الباع وكان ذلك الرمح عشرين ذراع وقد نقلت الروايات أن له أربعين رمح رسم القتال لكان منها عشرة حديد والباقي قنا وكان بالاتفاق في ذلك اليوم الشديد الرمح الذي في يده حديد فسكه وقرب من غشم بن مالك حتى حاذاه في الميدان وصاح فيه وقال له ويلك أنت من الأبطال حتى إنك تقاومني في القتال ثم انه طعنه بالرمح على وريديه أقلبه من على ظهر الجواد وقد صارت رجلاه أعلى من رأسه وهو ملقى على المهاد وقال له قم والى أمض إهلك ولا ترجع تكثر الفضول فتهلك فأنت من رجال الحرب ولا تصلح لطعن ولا لضرب فعند ذاك نهض غشم من على وجه الأرض وقد ولى من بين يديه هارب وهو لا يصدق بالنجاة من المعاطب وهو ينادى بصوت عالى مجهر ويقول يا بني عبس لا تقعوا في الذل والهوان وتبقوا مثلا بين القبائل والعرب قال فلما نظر عنتر تبين له أن عبد هياف من الفرسان ثم قال لغشم لا تخاف ولا يلحقك انبهار فأنا أحمل عليه وآخذ لك بالثأر منه وأريك كيف أفعل في ميدان الحرب ومقام الطعن والضرب فلما تكلم عنتر الذي هو حامية عبس وعدنان تقدم إلى بين يديه ولده الغضبان الذي هو فارس الفرسان وليث الميدان وقال له أنا خارج اليه يا أبتاه لأنك كبرت ما بقي فيك لقاه وأنا أبرز اليه قال وكان الغضبان مثل الرمح الرشيق أو كالأسد الكاسر وكان أحب ما عليه لقى الفرسان وما له محب إلا البراز في الميدان فقال له يا أبتاه دعني أنا أبرز اليه وآخذ روحه من بين جنبيه فقال له عنتر يا ولدي ما أنت إلا على ما ذكرت قادر وأنت سيد البدو والحاضر ولكن هذا الملك عبد هياف صاحب العجائب والأوصاف فارس البرين وبطل البحرين الذي أسر ألف ملك وحز نواصيهم في مقام الحرب وله الف مقرعة تحرس الف قبيلة وله عليهم لذلك الف غفاره ولا يخاف الشجعان ولا يبالي بالفرسان وقد بلغني أنه يصطاد السباع بيده من الغابات وله عليهم قدرة وثبات له بذلك عادات قال الراوي فلما تكلم عنتر بهذا الكلام قال له الغضبان يا أبتاه لأي شيء هذا الكلام أنظر إلى ما أفعل بهذا ابن اللئام وأنا أشد مما تقول وأنا كفء له ولمن معه من الاقران ثم إن الغضبان أقسم على أبيه أن يدعه يفعل الذي يريده ويشتهيه ويتركه يخرج اليه ويبارزه قال فبينما هم مع بعضهم وإذا قد برز اليه عامر ابن الطفيل وأراد أن يحمل وإذا بفارس قد سبقه اليه وصار بين يديه فتبينه لما صار في وسط الميدان وإذا به الامير بسطام حامية بني شيبان وحاوى قصب الرهان وكان عبد هياف

قد أثنى رجله على ظهر الحصان وهو غير ممتن بساير العربان ولا هو هايب الفرسان فامكن الامير بسطام بالنزول بل أخره وحمل عامر بن الطفيل على الملك عبد هياف ولا هاب الخروج اليه ولا خاف وقد ذكرنا فروسية عامر بن الطفيل فيما تقدم من تلك الاوصاف فلما أن قاربه وأراد أن يحمل عليه ناداه عبد هياف وقال له ويلك من أنت الذى قد دنت وفاتك فقال له عامر أنا من لا يخاف سطوتك ولا يخشى نقمتك ولا آفتك انا فارس الخيل وخايض الليل أنا عامر ابن الطفيل أنا الاسد الكاسر وحامية بنى عامر ثم أن عامر بن الطفيل زعق عليا وتقرب فى الميدان إلى بين يديه وقدمد سنان رمحه اليه فلم يمهله عبد هياف أن يفتل العنان دون ان زعق عليه وقال له ارجع لاهلك واشفق على نفسك من قبل ان اسكنك ومسك فلما سمع عامر منه ذلك الكلام بادره وحمل عليه وهم ان يطعنه به وقد ظن انه مثل من بارزه فضرب عبد هياف رمح عامر ابراه ثم أنه بعد ذلك حمل عليه وفاجاه ومد يده إلى مرفق بطنه مع جلباب درعه وجذبه كادان يخرج أمعاه وأقتلعه من سرجه وقد عول أن يعدمه الحياة أنه بعد ذلك أردفه وراه وقد وضع رجليه بين افخاذه وكبس عليه وحمل على القوم وعامر كابس على وسطه بيده وحمل على الابطال وقد طعن فارس برأس السنان فنكت فيه واقلعه من سرجه حتى شاهده الفريقان وحذفه على فارس آخر فقتل الاثنان ثم انه حمل وواسع فى الميدان وقد طعن فارسا قتله وثانى جندله والثالث عن جواده رجله ونزل يخرج اليه فارس بعد فارس وهو يقتل ويأسر حتى قتل وأسر أربعين فارسا من فرسان الحجاز وصار يحوم على الكتائب والمواكب والفرسان ويطلب براز الشجعان وهو كانه الاسد الجردان وجعل يجول غاية الجولان ويحمل على القوم تارة يمين وتارة شمال قال هذا كله يجرى من عبد هياف الفارس الجواد وعامر بن الطفيل تحت فخذه كما ذكرنا على كفل الجواد وهو من شدة ما هو فيه ما يقدر يفتح عينيه ثم انه بعد ذلك عطف على بسطام وكان واقف إلى جانب الميدان فزعق عليه ثم ضرب بيده فى صدره وحذفه فصار ملقى على الرمال كانه جذع نخل من النخيل الطوال ثم أنه بقى مرمى والدم قد جمد على درعه حتى صار مثل أكباد الابل هذا وقد عادت بنى عبس من الميدان وقد تجددت عليهم الاحزان بما جرى عليهم من فقد حريمهم وأولادهم والنسوان وكيف بلغهم أنه قد قبض على النسوان اللاتى وتركوهم فى الحى فى ذلك لزمن لاننا قد ذكرنا فيما تقدم من هذا الديوان أن الملك عبد هياف أنفذ إلى بنى عبس ثلاثين فارس صحبة الملك الاخضر وكيف سارت إليهم تلك العساكر وكبسوا على الكتائب والدساكر وأسروهم

وما بقوا منهم ولا رفيع ولا وضيع وكيف عجزوا بنى عبس وكيف سلموا أرواحهم لهم وكان من جملتهم الأمير عمارة ولاتركوا فى الحلة أحدا لا من الرجال ولا من النساء فصعب ذلك عليهم قال فلما عادوا فى تلك الليلة عن الحرب والقتال وتاكد عندهم ذلك الحال ورأوا ما حل بحريمهم فباتوا باسوأ الحالات زايدين التفجع والأعو لولم يزالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبح الله بالصبح وركبت العساكر الجرد القداح وتقلدوا بالبيض الصفاح فكان أول من برز إلى الميدان كان الأمير عنتر الأسد الرئبال وكان قصده أن يبرز اليه عبد هياف لعله يفعل شيء يشفى منه الغليل و يبرد ما بقلبه من الامراض فلما صار فى الميدان صال وجال وقد حمل على جماعة من عسكر الملك عبد هياف فبدد الابطال على الرمال وكان من جملتهم ملك من الملوك الثقال فقتله وأعدامه رشاده وعاد بعد ذلك إلى وسط الميدان وقد اشفى ما فى بعض فؤاده من الاسف ثم أنه وقف وقد ركز رمحه وأتكا عليه وأثنى رجله على قربوس سرجه فعندها جاش الشعر فى خاطره فى ذلك الوقت بشيء من الاشعار وأنشاده الذى يترنم به فى وقت صفو فؤاده ووداده فعندها أنشد وقال :

سارت عبلة والفؤاد حزين ... وبقيت حيرانا أسير أنين
سارت وماعت على وإنما ... قد خلفتنى فى الحروب رهين
أبكى وأندب بعدها بمدامع ... وأغسل خدودى من دموع عيونى
لوكنت أعلم أين حل ركابها ... لتبعتها بالابحر الميمون
لوكنت أعلم أن هذا يعترنى ... كانوا جميع الخلق ما قهرونى
كسيف السلو وقد رأيت ربوعها ... خرالى منها ومن يعرفونى
فلاقصدن ديارها بمهند ... فلعل أحظى بها وأصون
لوكنت أعلم اين حل مزارها ... لتبعت آثار لها بجنون
وأى شيء يمنع مانه من أخذها ... أسقيته بالسيف كاس منون
ياعبلة لو كنت أعلم ما جرى ... لك مع رجال الهند ماسبقونى
لهفى عليك وليتنى لك الفدى ... بل كيف أدرى بالذى منعونى
ياعبد هياف الذى قد حل بى ... أنظر ترابك عندما تلتقينى
إن كنت قدمت بفرسان وجحافلا ... فانا ورمحى كفؤ لكل قرينى
لم أخش جمع الخيل فى يوم اللقا ... لو أنكم بجموعكم تلقونى
غضبان أبنى الفتى أنظر إلى ... ما حل من هذا الفضا المكنونى

وأريد هذا اليوم اقتل أخضر   بمهندي واستوفي منه ديوني

قال الراوى ولما فرغ عنتر من شعره ونظامه حمل العساكر حملة منكرة ومازال يخرق الصفوف إلى أن صار فى وسط الملك عبد هياف ولم أر تمدو لاخاف ولا خلا أحدا من الناس بسيفه لما جرى على قلبه من الغيظ ثم أنه لعب برمحه حتى حير كل من رمقه بعينه وبعد ذلك أستأنف على نفسه أن يطلب هو منهم البراز ويسال الانجاز فاطاوعته نفسه بل حمل على العساكر وقاتل قتال من اختار الموت عن الحياة وطعن بالرمح فى صدر الرجال وما زال يطعن حتى تكسر الرمح وأرماه وجذب سيفه الضامى وجعله فى يده اليسرى وصار يضرب بالسيفين فى تلك الأبطال ويميل عليهم جميعا تارة يمين وتارة شمال حتى خافت منه سادات الأبطال والافيال وحارت عساكر السند والهند وكان قصدهم أن يصلوا اليه فما قدر منهم أحد أن يقترب اليه وكلما حمل على فرقـــة مزقها اشد تمزيق حتى ترك القتلى حواليه مطروحين مثل اعجاز النخيل قال الراوى وكان عنتر لما فعل هذه الفعال كان قد خرج من حال إلى حال وانه لما قضى به المرام إلى ذلك الأمر عاد يطلب الخلاص من بين تلك الخلايق والامم فلم يقدر على الخروج من بينهم وقد حسن قلبه بشرب كاس الممات لانه حمل ورمى نفسه فى وسط أربعمائة الف فارس أصحاب الملك عبد هياف وكان القوم قد طمعوا عليه وداروا جميعا من حواليه أطراف القنا وقد احتار عنتر فى تلك الساعة الموت والقنا لما حصل له من المشقة والعناء وهو يكر على الابطال ويجندل الشجعان قال فبينما هو فى جولاته وهو يكر على الابطال فى ميدانه وإذا قد عثر به جواده لانحر ووقع به فى حجر اليربوع فلما أن وقع الابجر نهض عنتر من على ظهره واراد أن يركب وينجو من تلك الجموع فدارت به الفرسان من كل جانب ومكان وقدموا اليه أسنة الرماح وازدحمت الابطال من حواليه واقبلت عليه تلك الملوك والعساكر بالسيوف والدرق والميدان وقد تكاثروا عليه بالضرب والطعن وانه بايس وتكدست عليه العساكر فلما رأى الغضبان هذا الامر المنكر غاص فيهم إلى أن حلى من حواليه مثل السكر اديس هذا وقد اجتمعت عليه جميع العساكر والامم وسارت تلك الساعة وجوده عدم قال الاصمعي رحمه الله وابو عبيده وأبو حازم السكري وأبو جهينه بن عيلم الجهنى رحمهم الله تعالى وهم المصنفين لهذه الاقوال ان كل منهم قد قال أخبرنا من نثق به ونعتمد فى كلام الصدق عليه من رواة الاخبار الصادقين الاخيار انه قد وقع فى عنتر بن شداد فى ذلك النهار الف ضربة بالسيف والت

والعمود دبوس ورمح خطار حتى صارت الآدمية تسيل من جسده كأنها بحر زخار وقد وقع إلى الأرض وظن كل من رآه أنه قتل وصاحت الفرسان إلى بعضها بعض بالخبر أن عنتر بن شداد قد مات قال عند ذلك حملت فرسان بني عبس وجالت القبايل والشجعان وأخذوا في طلبه فما عرفوا له مكان بل أنهم أبصروا جثث القتلا قد صارت على الأرض مطروحة بعدد الرمل هذا وأولاد عنتر الثلاثة كل منهم قد حمل وصاروا يقصدون مشرق العساكر ومغاربها والسهل والجبل فما وجدوا من أبيهم أثر بل انهم فتشوا المواكب واقصروا تلك القبايل أحلوا بهم المصائب فلما رأى العبد هياف إلى ذلك فزعق لما رأى ما حل بقومه من التلاف قال دونكم وأياهم أصدموهم وأريحونا من هذه العصبة اليسيرة بالجملة قال الراوي وقد حملت تلك الار بعمائة الف وأتباعهم جملة واحدة وهم من خوفهم من ملكهم بعزمة صادقة لا فاترة وقد أحاطوا بعساكر الحجاز وعساكر بني عبس وقد داروا بهم من كل جانب ومكان وحملوا وحمل بجملتهم الملك عبد هياف والملك الأخضر وقد انقلبت الدنيا في تلك الساعة وصار القتال يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل وصار الجبان يعض على أنامله ويندم حتى كلت من كثرة الطراد الخيل وقد جرى الدم مثل السيل ولم تزل العساكر على ما هم عليه هذا وبني عبس معهم إلى غروب الشمس فلم يكن لهم طاقة فعند ذلك ولت عساكر الحجاز وفرسان العرب وقد طلبوا ما حل بهم الهرب وحماة القبايل وقفت وحاربت وما زالت حتى كانت الحرب وولت وساروا يستنشقون الهواء من شدة العطش قال وكان ذلك من فقد عنتر لما أن سمعت العرب بموته ورجعت كل قبيلة تطلب أرضها وكانت الكسرة عليهم لأنهم كانوا طائفة قليلة وكثر عليهم لقتهم ذلك الجمع فولت عند ذلك العساكر تطلب منازلها إلا ابن عنتر الغضبان واخوته والملك قيس بن زهير كانوا في الف فارس فانهم ما ولوا وقد أقاموا في تلك الديار وبقية العساكر هربوا وطلبوا الفرار وأما الغضبان قد بقي في بقية الالف فارس الذين قد مناذكرهم وهو يقاتل الشجعان ويتأسف على أبيه عنتر وقد حار في أمره وزاغت منه الاحداق لما صار وحيدا فريدا وصدره ضاق بما جرى عليه من فقد أبيه بكى من شدة ما جرى عليه من البلاء بكاء الواهلة الشكلاء حتى حارت منه جميع الفرسان وهو يجرى الدموع من الاجفان لما رأى أباه مضى هدرا كانه ما كان وقد تعجب من حزنه سائر الفرسان قال الراوي لهذا الديوان فلما مضت تلك الجماعة الذين ذكرناه ومن معهم من الأصدقاء والمحبين والخلان والاحلاف لم يثبت قدام الملك عبد هياف والملك الاخضر سوى الغضبان وجماعة من بنو عبس الاقران

ومازالوا يقتتلون ويضاجروا عشرة أيام بلاخلاف وقد أيقنوا بالتلاف وقال نجد فهذا وما كان من هؤلاء وماجرى عليهم من الاحكام وأما ما كان من أمر الملك عبدهياف والملك الأخضر وعساكر الهند والاطراف فانهم لما علموا أن عنتر بن شداد قد قتل وتنكست أعلامه وعساكره الذين معه قد انكسرت من قدامه وما رأى احد منهم ثبت بعساكره فما أقام الاشياء يسيرا حتى أخذت عساكره الراحة من الضرب والطعان ورحل بعد ذلك طالبا مداين كسرى أنوشروان الذى هو صاحب التخت والايوان فلما نظر الغضبان إلى رحيله من بين يديه عسر عليه ذلك الشأن فحمل عليهم لعل أنه يأخذ ثار أبيه مما يقلبه من النيران وحملت معه أخوته والالاف فارس الذين بقيت من بنى عبس وعدنان وقد حمل الملك قيس بن زهير الأسد الريبال وحمل غصوب وميسرة والهطال وقد زعقت الابطال على الأبطال وتصايحت الرجال فسأل الملك عبدهياف عن تلك الاحوال فقيل له ياملك الزمان ابن عنتر الذى يسمى الغضبان قد حمل علينا فيمن معه من الفرسان وهو يطلب أن يأخذ ثار أبيه عنتر ويفنى هذه العساكر قال المؤلف لهذا الكتاب فلما سمع عبدهياف الملك المهاب منهم هذا الخطاب قال وحق ذمة العرب الكرام كان قتل هذا الفارس الذى يسمى عنتر رخيص من دون الأنام ولكنه ماقتل حتى قتل بفعاله خمسة آلاف من خيار الفرسان حتى مات وشرب كاس الهوان وقد بنى له من المجد والذكر منازل عاليات الأركان وقد شهدت جميع الفرسان بما فعل فى الحرب فى هذا المكان وبما قاتل من الاقران وقد سار له ذكر يحكى عنه ويروى على مدى الليالى والأزمان والله ما كان إلا فارس عصره وتتيجة دهره ولم يوجد مثله فى سائر العربان ولم تلد النسوان ويحق لابنه إذا أتى يطلب ثار أبيه ولكن يطلع منكم الف فارس وتلتقيه وتاتى لنا به وبالملك قيس الذى هو ملكهم والالاف فارس وطلبت قتال الغضبان ومن معه من الفرسان ولما رأى الغضبان ونظرهم عرف مضمونهم ولكن احتقرهم فى عينه وقال وحق خالق البشر وتربة أبى حامية عبس عنتر بن شداد ماأظن عبدهياف إلا احتقرنا ولم يعدنا من الفرسان أين أخى ميسرة سيد الشجعان فقال له لبيك ياغضبان يافارس الفرسان فقال له أنزل إلى هؤلاء الالاف فارس وصال وجال ولعب بجواده وخطف مهج الاقران والأبطال وكان أى فرقة حمل عليها انهزمت والأوائل ماتلحق بالاواخر قال المؤلف رحمه الله ولما نظر الملك عبدهياف إلى الرجال وهم خارجين من تحت العجاج أفواج قال لمن حوله من الملوك ماحال الناس نافرة وهم فى أفراح وأفراد وأزواج فقالوا يامولانا نعلمك بماجرى ثم أنهم ركضوا

خلف المهزومين ولما رأوهم قدام الملك عبد هياف فسألهم عن حالهم فقالوا له أعلم أيها الملك إنه قد انفرد علينا من عسكر الغضبان فارس قد نكس الفرسان وأهلك الشجعان فقال لهم الملك عبد هياف صدقتم فيما قلتم من المقال لأن الغضبان بن عنتر استحقر بالألف فارس واستأنف أن يبرز إليها ويقاتلها ثم أن عبد هياف أمر فارس آخر وكانت من الفرسان المشهورة أن يحملوا ويعينوا تلك الألف فارس الذين هم مكسورة وأن تحمل على عساكر الغضبان وتقاتلهم قتال العدوان فعندها قد حملت الألف فارس فى ذلك الوقت وردت الألف فارس الثانية ورجعوا الجميع إلى القتال فأمر الغضبان أخوته ميسرة وغصوب أن يلقيا القوم فحمل غصوب على يسار الألفين وحمل ميسرة على يمين الألفين وصاروا يقاتلون ساعة من النهار وإذا بالفين قد لحقهم التعب والانبهار فولت الأدبار وركبت إلى الفرار وقد تهاربت وولت هاربة وإلى باقى أصحابها طالبة فعند ذلك اغتاظ غيظاً شديداً وحنقاً عظيماً وأمر لفرقة من جانب العسكر أن تحمل وتمنى أعداءهم وتريحهم من هذا العنا وكان عددهم ثلاثين ألف فارس فحملوا جميعهم وقد قال لهم شبلوهم على أطراف القنا قال الراوى فعندها مالت العساكر عليهم وهم خائفون من الملك عبد هياف أن يوصل الاذية إليهم وطلبت تلك الأمم لبنى عبس والملك قيس هو ورفقته والغضبان وأخوته وكان آخر جهد طاقة بنى عبس كل مائة فارس تلتقى ثلاثة آلاف فارس من الأبطال وكانت هذه الفرسان التى بقيت من الفرسان الأماجيد فعندها التقت الألف فارس لذات الثلاثين ألف فارس هذا وقد حمل مقدمتهم الملك قيس وأخوته والغضبان ورفقته وقاتلت تلك الطائفة القليلة وقد صبرت سادات العرب وقد عبس الغضبان وأخوته الوجوه ونالوا فى القتال ما يرجوه وكان ذلك كله بوجود مقدمهم الغضبان وقد صفهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين هذا كله يجرى والملك قد تعجب من تلك الخلائق التى اجتمعت عليهم وتعجب أيضا من قوة قلب الغضبان وفرسيته عليهم فعندها زعق زعقة عظيمة رنت لها الجبال وتزعزعت منها الأودية الحوال وقد صاح بالعبس يا لعدنان اعلموا أنى أنا الغضبان اليوم وأريكم كيف يكون القتال والطعان وحلوا وحملت معه المواكب واصطدم ولشرب كاس المنايا تقدموا وغاصوا تحت الغبار والغضبان وقد اسقى بقتاله القلوب والأكباد بعضهما بالرماح المداد وضربوا بالحسام وغاصوا تحت القتام معاونين للغضبان وبانت العجائب والاهوال وجرى الدم وسال وقصرت الاعمار الطول وبان الصدق من المحال

وهبت رياح المنايا يميناً وشمالا وزهقت أرواح الفرسان من شدة الأهوال وسارت جماجم للخيل نعال وحرض الملك قيس ومن معه من رجال على أنهم يصلوا إلى الغضبان فما قدروا على ذلك الحال وكان عبد هياف لما رأى عساكره قد تضعضعت فنادى بالعسكر فحملت ستين ألف فارس فغاص الغضبان فى أوساطهم إلا أن العدد عليه كان كثير والمدد غزير وقد طلبت حماة الفرسان أن تفعل كفعل الغضبان فلم يقدروا على ذلك الشأن وقد رأوا الذل والهوان تخافت على أجسادها فاطلقت أعنة خيلها وولت الأدبار وركنوا إلى الفرار فلما نظر الغضبان إلى بنى عبس وعدنان وهم على تلك الحالة التى لا يرتضيها لنفسه فقبض على أنامله غيظاً وحنقاً وندما على ثار أبيه الذى مضى كأنه ما كان وكيف قتل ظلماً وعدوان فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك عبد هياف وتلك العساكر فانه لما رأى ما حل من النصر على الغضبان رحل من ذلك المكان وسار طالباً ديار كسرى أنوشروان لأننا قد قدمنا فى هذا الديوان أن الملك عبد هياف قد أنفذ إلى كسرى عساكر بملأ الفضا وتسد منافس الهوى وأنزلوا به الذل والهوان فلما وصلت إلى عبد هياف ذلك الأخبار رحل بعساكره طالب المداين وجعل يسير على هذا السير ليلا ونهارا والغضبان ساير خلفه يقتفى منهم الآثار وكلما لحق منهم شرذمة قاتلهم وأخذ خيلهم ونهبهم وأخذ عددهم وسلبهم ثم لم يزل يتبعهم حتى وصلوا إلى المداين ونزلوا عليهم ونصبوا اخيامهم وسرادقهم من سائر نواحيهم وأقاموا عليهم يريدون خراب بلاد فى دائرين على أخذهم هذا والملك كسرى لما رأى إلى ذلك العسكر الجرار وتلك الخلائق الذى مالهم حصر ولا عيار فقفل الأبواب وحصن الأسوار وقد أقام تحت الحصار تسعة أشهر بلياليها قال الراوى لهذا الديوان هذا ما تم لهؤلاء وما جرى لهم من شأن وأما ما كان من أمر الغضبان ابن عنتر فانه لما طالت عليه سفرته رجع هو وأخوته ومن بصحبته من رفقائه وقال لأخيه عصوب ومن معه من تلك الفرسان أما ترون فى أمر أبينا كيف مضى كأنه ما كان فوا أسفاه عليه طول الزمان ما كان أفرسه وأشجعه وبعد ذلك والله ما على وجه الأرض فارس مثله على ظهر الحصان فى الميدان ثم ان الغضبان لما زاد عليه العيار لم يكن له فرج إلا نشيد الأشعار فأشار يرثى أباه بهذه الأبيات يقول :

يبيت بمعنى الوحش حتى ألفته	ولا جزعا مما أصاب فارجعا
أيا عنتر الفرسان ياأوحدى الوغى	وياليت عبس أننى بك مفجعا
لبيب أعا اللب منـــه عماحة	خصيت إذا ماركب الجد أو ضما

تراه لنصل السيف يهتز للندى ... إذا لم عد مدى السر متبعا
ويوم إذا ما كضكض الخصم إن يكن ... بصبرك بينهم لم تكن أنت أخضعا
إذا القوم فازوا بالقداح وأوفدوا ... هم نار يشار كيفى مرة يضجعا
وقد كان مقدما إذا الروع عضه ... وجدنه أخا عند اللقاء صميدعا
وأن ذكره عند الرجال وجدته ... سريعا إلى الداعى إذا هو أفزعا
وأن تلقه فى الشراب لم تك فاحشا ... على الخمر قازورة الكاس منزعا

قال الراوى ولما فرغ الغضبان من شعره ونظمه أجابه أخوه غصوب يرثى أباه بهذه الأبيات يقول :

أبكى فتى قد كان سنه ضاحكا ... كأنه البدر نصف الشهر إذا طلعا
ولم تجد لقراهم غير مربعة ... من العشاء ويرجى تحتها ربعا
أيا أتى عنتر الفرسان يا بطل ... لهفى عليك بما تلق بما صنعا
يا فارس الخيل فى الهيجاء قد علموا ... بجدرك الخصم لا نكس ولا درعا
قالوا أبوك أتى الناعى لمصرعه ... فابيض منى سواد الرأس وانصدعا
ثم أرعوا الشيب قلبى بعد فرقته ... والنفس تعلم أنى مغرم وجعا
يا عبد هياف قد أضرمت مبتديا ... نار الحرب وفى ذا الثوب ينجما
لابد تلق رجال الموت فى وجل ... وكل فارس طعان لا يرى فزعا

قال الراوى ثم أن الغضبان قال لأخيه غصوب ما عندك من الرأى يا أخى ترى نتكاسل ونخلى دم أبينا يمضى هدرو نحن نأكل ونشرب ونلتذ ونطرب فى أوطاننا ونحن كل واحد منا عقله يوازن الحجر الجلمود فقال له أخوه غصوب لا والله يا أخى يا غضبان ما نترك ذلك ولو هلكنا ودرجنا فى الأكفان وأكلت لحومنا الوحش والعقبان فقال له الغضبان كيف يكون الحال أشير بما يكون فيه الرأى والصواب من الفعال فقال لهم عمهم شيبوب تقبلوا منى ما أقول لكم من المقال فقالوا له قل وعجل فى الحال فقال لهم الرأى أن نسير كلنا إلى عند شيخ العرب دريد بن الصمة لعله يجمع علينا العساكر ويسير معنا بالرجال والأقيال لعلنا نبلغ ما نريده من الآمال لأنه ما فى العرب أقوى منه ولا أكثر رجال وما كان لأبيك صديق مثله فى سائر الآفاق دونه وإذا لم ننو ينا نحن هكذا عرب الشام والأعجام والعراق إما لنا مراد لأن عساكر الملك عبد هياف لا تحصى بعدد الرمل والحصى

فقال غصوب سربنا يا أخي يا غضبان نجمع الفرسان ونعود إلى لقاء العربان قال نجد فلما سمع الغضبان ذلك الكلام قال وذمة العرب وشهر رجب انني قد آيست من روحي وهان الموت علي والعطب والله مرادى انا وأنتم نسأل أحداً ولو مت قهراً وكمداً وأنا لم أنزل من وراء هذا العسكر الذى لعبد هياف والدسكران ماقتل وأصير ممدعلى الرمال وأنهم ينصفونى فى البراز والقتال وآخذ بثارى واكشف عارى وأطلبه وأقاتله وأحاربه وأنازله أما أن يقتلنى واستريح من معاراة سائر البشر وأرزق النصر والظفر عليه وأخذ منه بثار أبى عنتر فقال له أخوه غصوب يا أخي لا تفعل هذا الآن الذى تريد تفعله ماهو فعل من له عقل أعلم أنك لو بقيت هكذا وعمرت عمر النسور أدركت ثار أبيك ولا كشفت عاره وتموت وأنت مقهور فقال له الغضبان ويلك يا أخي بعد أبى أدخل تحت طنب وانتعم وأكل وأشرب وأبى تحت التراب قتيل صريع جديل فقم خذ أنت من تريد من رفقتى سر إلى ما تريد من كشف كربتى وإلا أن أردت أن تموت موتتى فقف معي والتق كما ألتقى بمهجتى فلما سمع غصوب كلام أخيه الغضبان علم أنه جبار لا يلين له جانب فى الحرب والطغيان فعندها قال له أعلم أنى أريد أن أخذ معى أخي ميسرة وعمي مازن والملك قيس وعروة بن الورد وتسير تمام العشرة فقال له الغضبان إفعل ما بدالك فإنى لا أسألك عن حالك فعند ذلك تركه عن حاله وكلامه قد أحرق قلبه مقاله ثم أنهم تركوه فى تلك القيعان لا مؤنس ولا معين على ما بلاه الزمان وهو قد آل على نفسه أنه لا يبرم أمر وويشرب خمر حتى يأخذ بثار أبيه عنتر ويقيل دون مراده ويقبر ثم أنه أقام وحده فى ذلك المكان وقد سارت الفرسان وما زالوا إلى أن وصلوا إلى دريد فرأوه قد عمل إعزاء عنتر وقد حط المضارب والخيام وقلع الأوتاد وفرش الرماد وهلب الخيل الجياد وذبح النياق والأغنام وروج لهم الطعام وقد آل على أنه لا بد له أن يرسل الأموال إلى كبار القبائل والأبطال ويجمع الأمم والفرسان ويجتهد الاجتهاد الكلى حتى يأخذ بثار عنتر ويخاص الفرسان الذى أسرت قال فبينما دريد فى هذا الحساب وإذا بأولاد عنتر قد موا عليه وقد لبسوا ثياب حمر مصبوغة بالدما وقد أشرفوا من كثرة البكاء على العمى وكان الغضبان قبل فراقهم قد لبس ثياب مصبوغة بالسواد حزناً على أبيه عنتر وقد لبس أخوته ثياباً مصبوغة بالدم الأحمر فلما أقبلوا على دريد ركب إلى لقاهم وقد بكى عند نظر إليهم وتباكوا جميعهم البكاء الشديد وبكى الملك قيس بن زهير الفارس الصنديد وقال يا أبا النظر أى شيء ترى من الرأى السديد نترك دماء حامية عبس يمضى هدراً فقال دريد لا وحق صاحب القدرة

بل أنا بنفسى أخدمكم وأخلص الغارة التى أخذت منكم الآن هذا عبد هياف قد سار إلى كسرى يحاصره ويستولى على بلاده وعساكره ولو لم يكن فى هذه الخلائق العظيمة وكثرة هذه العربان ما كان انحصر كسرى أنو شروان ونحن إذا اجتمعنا بسائر العربان وجمعنا من نعرفه من العربان خرج الينا الملك كسرى وسامدنا وحمل عليه وغيره من ملوك الزمان ثم أن دريد قد أنفذ إلى قبائل العرب من بعد منها ومن اقترب هذا وقد ذل الملك قيس بعدما كان عالى النسب وقد علم دريد بذلك الحال وقال هذا ملك ابن مالك وقد ذل بعد عنتر الفارس الغضنفر هذا والفرسان تأتى اليه وتقدم عليه حتى سدت منافس الهوى وملات المستوى هذا وقدم عليهم زيد الخيل وأبوه المهلهل ومعه كل فارس بطل وقـــد جاءت حماة القبايل كلهم للطاعة ولم يبق أحد إلا وأتى اليه لم يبعد منه بالكرام والبراعة فشىء أتى إليه رغبة فى سؤاله وشىء نزعا منه وهيبة من أبطام وشىء محبة فى عنتر بن شداد حتى يأخذ بثاره من أعداه قال الراوى ولما أن اجتمعوا كلهم فى تلك الأرض جعلوا يستشيروا بعضهم بعض فقال لهم دريد ياوجوه العرب الكرام نخلى مثل كسرى فى الحصار مع هؤلاء الانذال وتتخلى عما أخذوا الناس من الغنائم والانعام فقالوا له اشيخ العرب وأميرها أعلم أنك أنت مديرها ومشيرها وما أتينا اليك حتى تدير علينا بما شئت وتلتقى من الأعداء ماهويت فأرواحنا لك الفدى ونفديك من الردى قال فبينما فى المشورة والكلام وإذا بشيبوب قد تقدم إلى بين تلك الأقوام وبكى بكاء شديد وجعل يئن من فؤاده معلول ويرثى أخاه عنتر وهو ينشد ويقول :

أيها العينان جودى وأندبانى	وأندبى طول الزمان بأجمر فانى
لا تملى من البــكا لاجـــل ليث	كان يقرى ضيـــوفه بالجفانى
فلقـــد كان ليـــث	ليس له فى الحروب ثانى
فسقا قـــبره غيثا بمطرا	طول الشهور مدى الأزمان
وبـــك يامضروب أبكى عنتر	ماعشت بين الناس دانى
صاحب السيف الصقـــيل	عنتر الفارس وسطوة عزانى
كم قتيـــل ظـــل ملقى	فى ملـــمات الزمـــان
أن عنتر هـــو شجـــاع	فى الحروب كان ذو جنانى
لهف نفسى كيف تشبت	فـــيه أحـــكام الزمانى
كان يلقى المـــوت ضاحك	لا ولا ياقـــوم عنده توانى

يا نزي نقدر عنه نكشف بعض ما بي قد دهاني
لو ألاقي الحرب جهدي كل ذا لما بي قد نعاني
من فراق الاسد حقا عنتر الليث المداني
كان صنديد المنايا كان ليثا في الطعاني
إن هذا الجمع يعرف حربه يوم الرهاني
أنه ليث إذا ما حالت الابطال داني

قال الراوي فلما سمعت القبايل هذا الانشاد تباكوا وقد تباكت الحاضرين وبكى دريد بن الصمة وبكت جميع الجحافل ثم دريد ركب وركبت الفرسان وقد اعتدوا للحرب والطعان وسارت الجمعان وتتابعت الاقران وكانوا قد اجتمعوا كما قدمنا في مائة ألف فارس من كل بطل مداعس الجميع بالعدد الكاملة وآلة الحرب وعدة الطعن والضرب هذا وركب الملك قيس وبني عبس بتلك الهمم كأنهم زهر بستان يطلبون عبد هياف وفرسانه وملوكه وأقرانه ولهم قلوب تعوذت خوض القساطل والغبار والضرب والطعن في اللبات والخواصر وكان مشيرهم من ديار بني هوزان وساروا وهم يصلون المراحل قال فبينما هم سايرين واذاهم قد تشرفوا إلى عساكر كثيرة في طريقهم نازلين ولكن عن الطريق في انحراف وهي بالبعد عن عساكر عبد هياف وكان بينها وبين القوم مسافة قريبة تقارب مسيرة القوم فلما نظر دريد إلى ذلك العساكر انفذ جواسيسه تكشف له خبر تلك العساكر وهي من أي العرب هذه العساكر وعادت تخبر بصحة الخبر بأن هذه العساكر النازلة أمامكم هي عساكر الغضبان بن عنتر قال فلما سمعوا العرب هذا الكلام فرح بنو عبس وعدنان وبقية الابطال والفرسان الكرام وسارت حماة القبايل والتقوا في ذلك الوقت الغضبان الفارس الهمام وقد سار في عشرة آلاف فارس من خيار الفرسان الكرام قال الراوي أن سبب ما تجمع معه هذه الابطال الكرام فتسامعت به الفرسان وقصدته الشجعان حتى اجتمعت له هذا العشرة آلاف فارس كأنهم الاسود العوابس وقد صار كل منهم مصاحب رفيق وقد قطع عن عبد هياف الزخرة ومنع عنه السفار أن تصل إليه وصار كلما ألتى أحد قاصد إليه ويأخذ ما معه ويأسره أو قتله حتى خافت منه الفرسان وعجزت عنه الشجعان وتحيرت مما رأت الابطال واندهلت من أمره سائر الاقيال ولما أقبلت عليه وقد ملأوا تلك البراري والتلال فنظروا إليه وإلى من معه من الفرسان وقد جتمعت عنده عساكر شتى

خارت بنو عبس لانهم تركوه وحده بلا رفيق قال الراوى فلما التقوا معه تلك العساكر وقد اجتمعت عليه من كل فج عميق وهم قد تجردوا للبلاء ويريدوا أن يأخذوا ثار أبيه عنتر من ذلك الملا وكان قد اجتمع عنده الف فارس أسير وقد عزم أن يسير بهم إلى المقام الذى قتل فيه أبيه فعند ذلك تقدم اليه عروة و ميسرة وغصوب كذلك عمهما شيبوب وسلموا عليه وقد هنوه بتلك الجروح التى حوله وقال له قم ولاق دريد بن الصمة واعلم أنه قد أتى فى عزم وهمة ليأخذ بثار أبيك ولا يتعبك بل يعينك فقال لهم الغضبان مرحبا به أتى أوافى الفرسان جميلهم والاحسان ثم انه سار إلى ملتقى دريد بن الصمة وسلم عليه وقد فرح به وبوصوله اليه وحكى له على ما جرى مع عساكر الملك عبد هياف صاحب الرايات كيف جمع هذ العساكر من بنى عبس وكيف نهب الأموال فقال له دريد والله ان هذا من جملة الفروسية وثبوت الجنان وعزم الفرسان فى الحرب والطعان قال ثم ان الملك عبد هياف قد معه بما جمعوا العربان من العساكر والاجناد وكثرة ما فيهم من الابطال فلم يحفل منهم ولا يلتفت اليهم ولا يخطر له على بال ثم انه تعجب لما اجتمع فقال لمن كان حاضر عنده من الملوك والاقران هذه اهل الحجاز قد لحقهم جنان وما لهم عقل يرضى انسان لانهم قد جاؤوا يريدون يأخذون بالثار منا ويأخذوا ثار عنتر بن شداد الذى كان فارس الحجاز بتلك الغدران وقد كسرناهم وأسرنا منهم جماعة وأطلقنا منهم البعض كرما منا وسماحة والباقى هربوا وركنوا إلى الفرار وقد أتبعناهم ولحقنا الاثار مسيره يوم ثم التقينا فى بعض عساكر الحجاز وكان فى أوائلهم الفارس الغضبان بن عنتر فلما وقعت عيناه على الملك الأخضر وعلى من معه من العساكر حمل عليهم وأشبعهم ضرب واستقبلهم بشدة الطعن وافرقهم شرقا وغربا ثم أنه برز إلى وسيط الميدان ومقام الضرب والطعان وقد تذكر أباه عنتر فباح بما عنده من الأحزان فاشار يتذكر أباه بهذه الأبيات :

فقدت ليثا كان لى مسندا ... إذا رمانى الدهر بلا نكايب
فقدت من كان ممدوح الثنا ... ومعدن الجود وليث مهاب
وملككم مثل ابى فارسا ... مقتحم فى كل أمر مهاب
والله ما افتر عن ثـــاره ... حتى ارميكم فى اشد العذاب
وعنتر الخيل وحيد عصره ... فى سخاته مثل قطر السحاب
والهف قلبى من فـــارس ... وقربه فى الحرب بغير ارتياب

قال الراوى فلما أن فرغ الغضبان من شعره والمقال صار يحاوبهم بالقتال والملك الأخضر حار وانذهش من حملته وفروسيته وقال أن ذلك لعجب من صبى أمرد لانبات بعارضيه وهو يفعل هذا الفعل فى مائة ألف فارس فاهو إلا بطل وشجاع وهو لا يخشى من الموت ولا يفزع من الفوت وما أظنه من البشر وما هو إلا شيطان وفارس غضنفر ولا يخشى من الطعان إذا برز اليه فى حومة الميدان يقال عنى أنى بارزت ولداً صغيراً لاقدر له ولا قيمة وشأن وإلا كنت خرجت اليه وحملت عليه وأخذت معه فى مقام الجولان قدام هذه العساكر والفرسان ثم أن الملك الأخضر أمر جميع الرجال أن تحط الرحال عن الجمال وتنصب الخيام وتشهر الأعلام وتنزل الرجال فى الخيام كذلك فعلوا بنو عبس الكرام ونصبوا قبابهم والخيام وأركزوا الأعلام وقد باتوا تلك الليلة إلى أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح عند ذلك صفت بنى عبس صفوفها ووقفوا كأنهم النار المسعرة ووقفت العين على العين وكان فى القلب الملك قيس المهاب وعلى رأسه راية العقاب وقد قدمنا ذكر فروسيته وأنه من الأبطال القناعس وكان يعد من الفرسان بألف فارس وكان بجانبه دريد ابن الصمة صاحب العزيمة والهمة وكان فى الجناح اليمين عمرو بن معديكرب الزبيد الذى كانت منه الفرسان فى حومة الميدان وجعلهم مثل العبيد والأمير زيد الخيل فارس بنى نبهان الذى له الوقعة المسمية بين الفرسان ودثار بن روق وخفاف بن ندبة وشجعانهم وبسطام بن مالك والعباس بن مرادس صاحب القوة والباس قال هذا وقد فعل الملك الأخضر كذلك وقد رتب عساكره وصف دساكره ميمنة وميسرة وقلب وجناحين ولما اصطفت الصفوف وصاحت الفرقتين وتحرضت فكان أول من برز من الشجعان الفارس الوثوب بن عنتر غصوب ثم أنه طلب القتال وجعل يرثى أباه عنتر بهذه الابيات :

مالى أقلب عينايا فلم أرى	من يدنوا إلى بعين الود شائقه
غضبان لو رأت عيناك لوالدى	من حوله دارت الاعداء دوارقه
ما منهموا أحـــد إلا يطاليه	ونفسه من فعال القوم مسابقه
والموت دان اليه وهو فى وجل	والنفس تسل بالموت شواهقه
وما أبالى بما ألقاه من غصص	لكن أخى أحشاؤه والله مارقه
شبه الغريب الذى قد قل ناصره	لانه من جماع الاب غير سابقه

فا أبي عنتر العبسى احرقنى ‏ ‏ الاق الحرب لا أخاف معاركه
ستى زبيبه أبكى وأندبى بطلا ‏ ‏ ولاتملى من حزن وكونى مسافقه
عزبة قل حاميها وناصرها ‏ ‏ كانها أمة من أهالى مفارقه
فهل لفرقته قد ذاب لى كبـــد ‏ ‏ حزنا عليه وقلبى بعده غارقة
لاتفرحون بقتله سوف يقصدكم ‏ ‏ أحد يبارزكم فى الحرب معلقه
يأتوا أسود على خيل مضمرة ‏ ‏ بطعنات نقض البيض ورائقه
حزنى على عنتر العبسى قد فقدت ‏ ‏ منه الحرب بين الأبطال شائقه

قال الراوى فلما أن سمعت بنو عبس مرثية غصوب لأبيه تبكى من حضر واجرى الدموع مثل المطر وتذكروا مواقع الفرسان ووقايعهم وقد وصفوا إلى شعر غصوب فى حق أبيه عنتر حامية عبس وعدنان كيف رثاه بهذه الالفاظ الحسان وما جرى لهم من فرقة البطل الهمام قال الراوى فبينما غصوب يجول فى حومة الميدان وإذا بفارس قد خرج إليه فقتله والثانى جندله والثالث أفناه والرابع أهراه والخامس أرداه والسابع عدمه الحياه والثامن صبغه ولم يزل غصوب على هذا الحال يجول فى ميدانه ويصول إذا برز إليه فارس أسود كانه حجر جلد وكان فارس شديدو بطلا صنديدو كان قد قاتل الفرسان وأكل غارت العربان ولما أن صار فى الميدان زعق على غصوب زعقة الأسد الكاوب فقاتله ساعة بقلب أقوى من الصخر وأجرى من تيار البحر فما كانت إلا ساعة وقد أهلكه وضربه على مريديه أطاح رأسه ثم إنه بعد ذلك صال وجال ولعب بمهج الرجال فى سرعة الانعطاف والانحداف أمر اربع سوداء من سودان عبد هياف قال نجد فبينما غصوب يجول ويصول فى الميدان وإذا قد برز إليه فارس فى الحديد غاطس وقد صدمة الأبطال الأشاوس صرخ فيه صرخة تتعد ذمنها الجن والابالس وقال له ويلك كم هذا الصياح على من قتل وسكن المقابر وراح وهاقد نزل إليك الأسد الجحجاح وليث الكفاح وهو الذى قد اهلك ابوك ولا ينعوا عليك ولا ينفعوك ثم انه حمل عليه واقبل بكليته إليه ومد السنان إليه وكان هذا الفارس هو الملك الأخضر سيد الفرسان وليث الميدان وحاوى قصب الرهان ثم انه بعد هذا المقال والكلام جعل يجاوب غصوب على شعره والنظام بهذه الأبيات :

اخذت اموالكم ياقوم منطلقة ‏ ‏ بلا محامى ولا من له بكم شافقة
خلى البكاوادن متى سوف تنظرنى ‏ ‏ ليث هزبر وضرغام ذا خارقة

فدع أباك ولا تبكي لفرقته … لأنه سار من ثوب الدما غارقه
فادن إلى بطلي كم خاض معركة … بسيفه قــد أتى يلقاك مسابقة
فكم ليوث أتوا نحوى تبارزني … تركتها في البر رمالهـــا مهارقة

(قال الراوى) لما فرغ من شعره والنظام حمل على غصوب بصولته وهجم عليه هجمة الاسد الضارى فالتقاه غصوب بقلب قوى وجنان جرى وقد جرى بينهم طعان يقد وضراب يهد حتى تحيروا مما جرى بينهما الفرسان وبعد ذلك اختلف بينهما طعنتان صائبتان وصلتان وقد انذهلت الفرقتين مما جرى عند هذين البطلين فكان السابق بطعنته الملك الأخضر لما كان من قضاء الله والقدر وكان قد قلب سنان الرمح إلى ورائه وطعن غصوب بعقبه في صدره أرداه من على جواده أرماه فاصار على وجه الأرض في مقام الجولان حتى صار على رأسه أخيه ميسرة سيد الفرسان من حرق قلبه لما رآه وقع في الميدان فحمل على الملك الاخضر حملة الاسد القسورة وقد سمعتم صفة ميسرة قبل هذا الكلام في هذا الديوان بما فيه من الشجاعة التي قهر بها كثيرا من الفرسان وما ألتقى منه أبوه عنتر توبة ماقتل مقرى الوحش الفارس الجواد قال نجد ولما سار ميسرة على رأسه أخيه حامى عنه دقد نادى على بعض الفرسان فأخذوه من الميدان وإ صلوه إلى مستقره هذا والملك الاخضر لما رأى ذلك صعب عليه من ميسرة وحمل عليه بقوة وزمجرة وقد تصادما صدمة منكرة وكان لهم في ذلك الوقت ساعة عسرة وقد جالا جولانا طويلا واعترا كاغير قليل ولم يزالا على ذلك الحال إلى أن أذن الله تعالى للنهار بالارتحال فانفصلوا على السلامة ولم يقض احد من الثاني مرامه وعادوا إلى عسكرهم حتى أصبح الصباح وطلعت الشمس على الروابي والبطاح وركبت الابطال واشتهرت الفرسان وكان الملك عبد هياف قبل هذا المحضر أرسل إلى الملك الاخضر رسول يقول له لا تبارز بساكر الحجاز لان فرجهم في البراز وهو لهم غاية الغرض فلما كان عند الصباح الذى ذكرناه جمع الاخضر عساكره وأمرهم بالحملة جميعا فحملت العساكر فالتقتها فرسان بنى عبس وبنى عامر هوازن وكذلك حمل فى در بدويد الخيل وأبوه المهلهل فارس الخيل وأيضا حمل عامر بن الطفيل وحمل بسطام حامية بنى شيبان وروضة بن منيع وجميع حماة القبائل والفرسان وحمل حجار بن عامر وحمل فى مقدمة الجميع الغضبان وكان فى يده عامود حديد وزنه قنطار بالقبان رجال وصال وأهلك من وقف قدامه من الاقران وقد حمل فيهم حملة منكرة وكذلك فعل ميسرة وزيد الخيل فارس صعنماء وعدى ومجيد بن مالك وسبيع اليمن مقرى الوحش وكان غصوب قد شد جراحه وركب جواده والنار تشعل فى فؤاده ولكن أخوه الغضبان ما علاه

يقاتل فى ذا اليوم ولكن أقسم عليه أنه لا يحضر الميدان قال الراوى ولم تزل راحات الحرب دائرة والغبار ثائرة والسيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل هذا والعجاج حالك وكثير من الأبطال هالك فله رد الغضبان فيما فعل ذلك اليوم من الإبرام والنقض لما حملت الفرسان على بعضهم البعض وقد مد يده إلى بلوغ الآمال فاطال وخسف القمر من الزبرقان وفزعت الزهرة من وجوه الأبطال وبيع المشترى بأحسن الأثمان لانقضاء مدة الآجال وانتقل عطارد وسل سيفه على مريخ الفلك فادلك الرجال ونزلت منازل السنبلة على سرطان الفلك انقصر الآجال وكانوا بعد اجتماعهم تفرقوا فى وسيع المهاد ولم يبق لهم من شدة أهوال الحرب اجتهاد وجرى الدم كالغيث الهطال ومال كوكب العقرب ولذع بزل الرزايا على الفارس فما الجبان وانهزم وقوى المراس واشتد البأس هذا وخيل الملك الأخضر قد صارت تدوس الناثر وجعلتهم كالاكداس إلى أن سالت السيوف نجيعا وطارت الجيف تقطيعا وذهبت النفوس هلوعا وصارت الرماء على الأرض سرابيلا هذا وقد صار الضرب هبر والطعن مرا والقتال شنورا هذا وقد ملكت بنى عبس من أعداها الأسر وقد بقت الفرسان فى حرب طول النهار والجبان بما عاين لحقـــه الانبهار إلى أن أظلم عليهم الافق واختلفت المسالك والطرقات والتقى فى ذلك الوقت المهلهل بالغضبان وقال له يافارس الزمان الحق ولدى زيد الخيل فانه قد غرق فى هذا العسكر لانى قد تلفت عليه فما وجدته وما أظنه إلا قتل وفارقت روحه جثته فاقصده يافارس الانام إلى عند الرايات والاعلام لعل أن يكون يقاتل بين العساكر والجحافل لانى والله فرعان عليه من غافلة الحرب واختلاف الطعن والضرب قال الراوى فعندها سار الغضبان كانه النار المحرقه أو الصاعقة المبرقة وأطلق عنان جواده المعروف والزبد من أشداقه كالقطن المندوف وقد اخترق الصفوف وفرق تلك المائة والالوف وقصد الرايات المشتبكة والاعلام المحشبكة حتى أدرك زيد الخيل وقد انطبقت عليه الفرسان ففرقهم عنه فى البر والقيعان ورآه جرح جرحات عظيمة وقتل جواده فاركبه من خيول المعمعة وطلع به قوة واقتدار حتى أوقفه بين يدى أبيه وإلى جانبه دريد ابن صمة فحمده ومدحه على فعاله وحربه ونزاله وكانت قد أسرت بنى عبس والعربان ثلاثة آلاف الن فرسان عبد هياف ورجعوا وهم منصورين فرحين ثم أنهم باتوا حتى أصبح الصباح فاصدق الغضبان أن يرى ضوء النهار حتى ركب جواده واعتد بعدة جلاده وصف عساكره واجناه ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وانحدر إلى الميدان ونادى يافرسان السند والهند دونكم الطعان فانا الغضبان فارس عبس وعدنان انا قاتل المرهف ولا بد ما افنيكم بثار فراس

عدنان الذى غدر به الزمان وإلا كان سقاكم كؤس الهوان ثم أنشد وقال :

يا عين أبكى بــدمع منك سكابا ... أن جف دمعا يصير الدم صبابا
قد كان عند اللقاء قرما تذل له ... غلب السباع إذا ما كان ضرابا
وكان ذو غيرة يحمى الحريم ولا ... تراه ليوم الخصم هرابا
لهفى على عنتر العبسى قد فقدت ... منه بنو عبس حصنا كان منهابا
وكان أن ثارت الهيجاء يدركها ... بصارم مطلق الحدين قرضابا
لهفى على عنتر أبكى على بطل ... أتمى على أسد للاسد وثابا
أبكى لاجعر من بعده أسفا ... أبكى على سيفة الظامى وما صابا
حامى بنى عبس ضرغام الحرب فتى ... يزيد فى الحرب شبه السيل سكابا

ولما فرغ الغضبان من شعره حتى نزل اليه فارس من عسكر الهند وقال له ويلك ما هذا الكلام كان لك اعتبار بأبيك فاليوم أرديك فى مهاويك وأشار يقول

يامن يهددنا بشدة بأسه ... مهلا رويدا أننى لك قاتلا
إنى أنا الضرغام ليث فى الوغى ... يوم الحروب والقرون مجندلا
ياأيها الغضبان إثبت فى اللقا ... عند أزدحام الخيل مابين الملا

(قال الراوى) فلم يمهله الغضبان أن يتم شعره حتى طعنه فى صدره أخرجه يلمع من ظهره وصار يدوس عليه بالجواد يقول أتمسك الله وأتعس حليك فما أنت إلا ذليل مهان ثم طلب البراز فلم يبرز اليه فعندها قصد العسكر فحملت عليه العساكر وزعقت فى صوت واحد فارتجت الأرض وخيل للناس أنه يوم العرض فعندها صرخ الغضبان وفرق الفرسان وحملت من خلفه بنو عبس وعدنان ومقدمين القبائل وجميع العربان وتنكست من على السروج الأقران وثبت الشجاع وفر الجبان (قال الراوى) وكنت فى ذلك اليوم حاضرا مع من حضر فعلمت أنه ليس السماع مثل النظر فرويت على قدر ما رأيت وأقتصرت جهدما وعيت لأننى رأيت فى ذلك اليوم الأرض والأقطار ترتج والأبطال حملت من كل فج وما فيهم من لقى له حجة بها يحتج والجبان قد ضج والرماح أمتدت أمتداد الأفاع وقد زاد الغبار علو وأرتفاع وقد أيقنوا بالفراق بعد الإجتماع وما زالو فى قتال وجدال حتى أقبل الليل بالانسدال فرجعت بنو عبس ومعهم فرسان الهند عشرة آلاف أسير ورجعت الطوائف يطلبون الراحة وقد بلغ الخبر إلى عبد هياف فصعب ذلك عليه وأمر الثلاثين الف عبد الجبابرة أن يسيروا فى ركابه وأوصى العساكر بالحرص وسار حتى أشرف على عسكره وأمر السودان يدوروا

بنى عبس من جميع الجهات ولم يزالوا إلى أن أصبح الله بالصباح فأمر الملك عبدهياف للملك الأخضر أن يبرز إلى الميدان فأجابه إلى ذلك الأمر والشأن وانحدر إلى الميـــدان وصال وجال وأنشد وقال :

وبالأمس أوقفناكم شر موقف ⠀⠀ وصلنا عليكم بالقنا واليمانى
وقد ضاقت الآفاق جمعا عليكم ⠀⠀ وقد صارت الأرواح أقرب دان
ولم ترى فارسا بعـــد فارس ⠀⠀ ولم ترى دابـــل مـــوان
سقيناكم كاس المنيـــة مترعا ⠀⠀ أمر مذاق من نقيع زمان
ونحن تركنا عنتر فى نجيعه ⠀⠀ وفى ذى اليوم افعل بالغضبان

فلما فرغ الملك الأخضر من شعره صارت تبرز اليه الفرسان وهو يقتل ويأسر فى المجال حتى قتل وأسر خمسين فارس وإذا بخفاف نزل اليه وحمل عليه فأخذه أسير فتوقفت عنه الفرسان فحمل على العربان فقتل فى حملته أحد عشر فارس ورجع وقال انزلوا عشرة أو مائة بمائة فما تم كلامه حتى برز اليه عشرة فوارس كلهم الاسود العوابس فحمل عليهم فقتل منهم ثلاثة وهربت السبعة وإذا قد برز اليه فتبينوه الفرسان وإذا هو الأمير الغضبان لأنه هم أن ينزل اليه وصار يمنعه دريد ويقول له يا ولدى لا تعدمنا شخصك مع هذا الجبار فطول الغضبان روحه ساعة من الزمان وجذب رمحه وانحدر اليه وأنشد وقال :

كان لى مؤنس فصرت وحيدا ⠀⠀ آه وحسرة الفريد الفقيـــدا
قد غدا ثاويا من بعـــد عز ⠀⠀ هدر كنا كانا بالمهـــد سعودا
فانك لو رأيت بكاء نسوة ⠀⠀ ورمـــلة إذ تصكان الخدودا

ثم أن الغضبان حمل على الأخضر ووقع بينهما الحرب والصدام والاقتحام والالتزام حتى أقبل الظلام وعادوا على سلامة إلى أن أصبح الصباح فكان من خرج إلى الميدان كان الأمير الغضبان ونادى يا معشر الاقران أين الشجعان أين من يزعم أنه بطل الزمان فبرز اليه فارس يقال له نهشل وقال يا عبد السوء نحن ما تأخرنا عن قتالك إلا احتقار ابك فلما سمع الغضبان منه ذلك الكلام صرخ فيه صرخة أرعبه وحمل عليه بقلب أقوى من الحجر الصوان وأظهر فى الحرب أبواب حسان وقـــد غابا عن العيان حتى تكسرت فى أيديهما الاشطان فارموهما وجذب السيفان وتهاجما وتصادما وتلاكما ساعة من الزمان وقد هجم عليه الغضبان وضربه قسمه نصفين وأرماه إلى شطرتين وصال بعـــده وجال وقـــد طلب الحرب والقتال ونادى وقال أبرزوا يا فتيان فلم يبرز اليه أحد من الفتيان وإذا بأخيه

ميسرة همهم مثل النار المستعر ة وحند الابطال وأهلك الاقيال هذا كله والغضبان واقف في الميدان حتى أراح جواده وطلب البراز فلم يبرز ... أحد فحمل أخوه غصوب وغاب ساعة وقد قتل وجرح أوفى من خمسين من كل فارس متين فقال له أخوه الغضبان لله درك يا غصوب يا كاشف الكروب أما الغضبان فانه نادى ما بال الكم واقفين ... وتكم القتال فبينما هو كذلك وإذا قد حمل عليه الملك الأخضر وتوما السنان وانطبقا على بعضهما بعض الساعة حتى غابا عن الأبصار وجرى بينهما شيء يحير الافكار وإذا هما بفارس قد أقبل عليهما من الى يمين عسكر عبد هياف وهو على حصان أدهم والفارس فوقه لم يبن منه غير مقل العينين وصال على الاثنين وقرع رؤسهما برأس السنان وعاق العنان وطلع إلى البر فرجع اليهما وفصل بهما كذلك فوجدهما لم مفترقان فرد إلى البر وعاد وقد طعن الملك الاخضر أقلبه من على ظهر الجواد فانقض عليه الحذروف وشده كتاف هذا والفارس أعن الجواد في الميدان وقال وحق ذمة العرب الاقيال ما انت يا غضبان إلا من أهل القتال والفعال ولا نظرت الأعيان ولا سمعت الآذان باحسن منك في الضرب والطعن فبهت الغضبان من كلام ذلك الفارس وقال له يافتى بحق مكون الاكوان إلا ما أخبرتني أنت من أي الفرسان فتبسم الفارس من كلام الغضبان وقال يا فارس الطراد يا أسرع مانسيت أباك عنتر بن شداد ثم تنفس كمدا وأشار يقول :

تذكرني لما تجلت هواجسي ... وسيفي قوى الحد بالدم الطامس

وماراعني ياعبلة فيك مالك ... ولا هاجني يوم الهياج بنافس

ولا غبت عن بالي وعيني وفكرتي ... ولا في رقاد الليل ان كنت ناعس

ولا وسط ميدان الحروب إذا أتي ... التقيت رجال القامر كل عار ولابس

إذا ما برزنا للنتال وافرغت ... كؤس المنايا كنت أول كابس

أدور كما دارت على قطبها الرحا ... وصب عليها من لهيب قابس

إذا صار للهندي على البيض رنة ... كرنة أبكار تزف عرائس

تراني في وسط الخيل في ساحة اللقا ... اكفكف فرسان شداد عوابس

وأنا الفارس المقتول قد جئت قاصدا ... أخلص ثاري من اثام أراجس

واطعن بالخط حتى يميلي ... واقرع بحد السيف رؤس الاشاوس

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام وجد الغضبان غاب عن رشده وبقي كأنه في منام ساعة وأفاق وقد تحقق بالنظر فوجده أباه عنتر فدكس الجواد اليه حك الركاب وتعانقا على ظهور الخيل وعادوا تياكيا من حلاوة اللقا ثم ان الغضبان قال يا ابتاه انت

سالم أم أراك بعيني وأنا نائم ثم نادى بأعلى صوته يا لعبس يا لعدنان هذا أبي قد عاد سالماً من صروف الزمان فاشكروا رب السماء الذي رد عليكم حاميتكم سالم فتلقوه وأول من التقاه دريد بن الصمة وبعده الملك قيس بن مسعود سيد بني شيبان والملك قيس بن زهير وقد ذبح مائتي ناقة سمان وكذلك دريد والملك قيس بن مسعود وكذلك زيد سيد بني نبهان وما بقي أحد من أكابر العربان إلا ونحر وعقر وعملوا الولائم والافراح وكان السبب في سلامة عنتر كلام عجيب وذلك أنه أحكى لي من أثق بكلام الصدق عليه أنه لما وقع من على الجواد وقع فيه أكثر من ألف سيف ولت محمد حتى كاد العظم أن يذوب واختلط بالقتلى وقد ذكرنا أن التراب بني عليه حتى سد الجراح وامتنع الدم من الجريان إلى ثاني الأيام تحرك وقام وقعد ساعة وزحف قليل وقام الدرع بقي خفيف فصار يتوكأ على السيفين فتارة يمشي وتارة يقعد حتى صار بعيداً عن المعركة وقصد القفار وما زال على ذلك مدة ثلاثة أيام لحس بقليل من القوى فقام قامته وتميز في البر فرأى مضرب على بعد مضروب فقصد إليه حتى وصله فوجد فيه امرأة عجوز فسلم عليها فقامت إليه وقد ارتعبت من رؤيته وقالت يا مسكين ما هذا الحال فقال لها حكم الملك المتعال الذي يغير حال بعد حال فأخذته بيدها ودخلت به الخباء وأتته بقعب من اللبن فشرب به وحطت لها في القدر كان غيرها وسلقته وأتت به إليه وأطعمته ثم بات عندها تلك الليلة وخدمته فقال لها يا أم الفرسان هل عندكم شيء من مكاوي الجمال فقالت له نعم يا زين الرجال فقال لها اضرمي لي النار فضرمت له النار وقال لها احضري لي المكاوي فأتته بمخلة ملآنة بالمكاوي فأدخل الجميع النار حتى صار وكالجمر فادعى بخرقة وبلها وصار يأخذ بيده ويمر به على الجراح حتى تنضج وينقل لغيرها حتى شطب جميع الجراح الذي بمكانها ثم انه قال لها بالله عليكي تمري على الجراح التي بقيت في ظهري فأجابته وقد كوت الجميع وأدخلته في الخباء مخافة من الهواء فأكمل أسبوعين حتى ملا البيت من ورمه وهي تداويه وتغطي تحته وتطعمه وتسقيه وتداويه حتى اشتد وصار يمسك نفسه على ظهر الجواد ثم انه بعد ذلك قال لتلك العجوز أي شيء الذي أفردكم في هذا المكان فقالت له اعلم يا وجه العرب اننا صعاليك ولي ثلاثة أولاد ونحن من عرب حصن خيبر واسكن ما نحن يهود بلي على مذهب العرب وكان من زمان أتاهم فارس من الفرسان الاجواد يقال له عنتر بن شداد فأهلك أهلها وحرق الحصن فهربنا يا مولاي وأقمنا في هذا المكان لأجل انه خال من العربان فتبسم وسكت وشكرها على فعلها ولم يزل حتى طابت جراحاته وبدا صلاحه وإذا بأولادها الثلاثة مقبلين وقدامهم قطعة جيدة من النوق والجمال حتى اشرفوا ورأوا عنتر فعرفوه فترجلوا وقبلوا أياديه وسلموا عليه فقال لهم اعلموا أن اكرامكم على زائد من غير معرفة بيني

وبينكم فقالوا هذا الكلام يا أبا الفوارس ففرح بهم عنتر ووعدهم بكل جميل ثم سألهم من عسكر الملك عبد هياف فقالوا له أنه محاصر الملك كسرى وأن أولادك دخلوا على دريد فارسل لهم المكاتيب إلى القبائل وجمع مائة الف فارس وأما ولدك الغضبان فانه أقام وحده يقاتل عبد هياف حتى أقبل دريد فى العرب وخليناهم قدام الملك الأخضر والغضبان مبارزة فقال عنتر روحى فدا الغضبان ثم أنه أقام عندهم ذلك اليوم وسار طالب البرارى وإذا هو قد نظر بين يديه نحو خمسمائة فارس وبينهم حلقة صيد فسار إلى نحوها فتقدم عنتر وتبين الذى فى الحلقة وإذا به جواده الأبجر ولا أحد منهم يقدر يقرب عليه فعندها دكس عنتر جواد وصاح يا أبجر فعرف الابجر حس صاحبه عليه وصار يمسح رقبته على فخذه فنزل عنتر من على جواده وقفز على ظهر الأبجر فطلبته الفرسان وقالوا له ويلك ياشيطان تأخذ صيدا من بين أيدينا ثم حملوا عليه فصاح يا أوغاد أنا عنتر بن شداد فلما سمعت الفرسان ذكره تنافرت فى البر وقالوا أنه عفريت من عفاريت بنى منقر وما ندرى من بعد موته كيف ظهر وأما عنتر فانه ركب جواده وعاد إلى أولاد العجوز وقال لهم إذا سمعتم أنى بقيت فى أرضى وبلادى تعالوا عندى ثم أنه ودعهم وأراد المسير فطلبوا أولاد العجوز المسير معه فقال وحق ذمة العرب لا يسير أحد منكم معى قال الراوى فبينما عنتر مع أولاد العجوز فى الكلام وإذا بغبار قد ظهر وبعد ساعة تكشف وبان من تحته فرسان كأنهم الأطواد ومعهم تسعمائة من النوق وسبعمائة من الخيل الجياد قال الراوى فلما نظروهم أولاد العجوز وعنتر ركبوا اليهم ولاقوهم وقد سألوهم عن حالهم فقالوا لهم يا وجوه العرب نحن من فرسان الحجاز كنا فى الكسب والمعاش وقد كسبنا هذه النوق ونحن عائدون إلى أرضنا وقد قل عنا زادنا فقال لهم أولاد العجوز على الرحب والسعة ولو أقمتم عندنا الشهر والدهر وساروا ولاد العجوز وعنتر قدامهم حتى وصلوا إلى المضرب وعقلوا النوق وكان أواخر النهار قال وأغرب من ذلك أن عنتر لما رأى الفارسين ما تمت جوارحه اليهما وقد أجلسهما فى أعز مقام وبعد ذلك قدموا لهم الطعام ودارت بينهم كاسات المدام ولم يزالوا على ذلك إلى الظلام وقد سكروا من خمر الديدان قال الراوى فعندها سألهم واحد من أولاد العجوز عن أسمائهما وعن عربهما فقال واحد منهما وهو الأكبر أما أنا يافتى أسمى جار العلم وهذا أخى زيدان وأما أن سألت عن أبونا فانه يقال له عنتر بن شداد حامية بنى عبس وعدنان وأما أن سألت عن حسبنا ونسبنا فامنا بنت زيد المكدم أخت

ربيعة بن مكدوم وربيعة خالنا وعنتر أبانا وأعلم أن الذى قتل خالنا نبيشة بن حسيب فلم يدرى أبانا سار وأخذ ثاره ونحن صغار ولم عدنا رأينا وكلما نسأل عنه يعطونا خبره أنه لم يزل فى الحرب والقتال ونحن بينما نحن فى عرب خالنا حتى كبر وصرنا رجال نغزو قبائل العربان ليلا ونهار لأن امنا توفت وكان اسمها درة الملك وكذلك سقنا أمر ربيعة بن المكدوم وقومنا لما كبرنا الخبر وأنا أن عنتر أبانا فى قلبنا النار لأجل رؤياه وقومنا لا تماكنا من ذلك لانهم ليس لهم حامية غيرنا بعد خالنا قال الاصمعى رحمة الله عليه ونفعنا الله به أن السبب هذا الاتفاق العجيب الذى وقع لعنتر وأولاده سبب عجيب يحير الافهام ويتعجب منه كل انسان وذلك بأن أمهم درة الملك أخت ربيعة لما زوجها لعنتر وزفت عليه واتصل بها كما ذكرنا راحت منه حامل باذن من سارت له الحامل فلما كملت حملها وضعت مولود صبيح الملك الودود كأنه أباه عنتر وكان ولدا عظيم الخلقة أسمر اللون بحموة واسع الأكتاف كبير الرأس واسع العينين ولما قتل خاله ربيعة اعطته أمه إلى أمها حتى تربيه وسارت هى إلى بنى عبس حتى تخبر زوجها بقتل أخيها ربيعة حتى يأخذ لها بالثأر كما وصفنا فلما وصلت إلى بنى عبس واجتمعت بزوجها عنتر تلقاها بالفرح فلما أخبرته بقتل أخيها صعب عليه وكبر لديه واغتاظ غيظا عظيما وبكى عليه بكاء شديدا وضرب لها قبة بقرب أبياته وأنزلها وأقام مدة من الزمن وهو يتاهب إلى الرواح ليأخذ ثار أخيها ربيعة بن المكدوم وصار كل ليلة ينام عندها فحملت منه بولد آخر وعادت إلى قومها وهى حامل وركب عنتر واخذ ثار ربيعة وجرى له وجرى وهو الذى سقناه بين أيديكم وسمعته آذانكم الرائقة وذهانيكم الفائقة وما فى الاعادة إفادة إلا الصلاة على النبى عادنه (قال الراوى) فوضعت ذلك الولد الثانى انجاء يشبه أخاه أباه وأطلقت عليه زيدان وتربوا هذين الولدين حتى أنهم انتشوا وركبوا الخيل وخاضوا الليل وقد تعلموا الفروسية والشجاعة وطلعوا آفة من الآفات وبلية من البليات فكان كل واحد منهم يلقى بصدره ألف فاوس ويفرقهم فى البرارى والقيعان وصاروا يركبون ويغارون على العربان حتى خافهم جميع القبائل والفرسان وما يأكلون إلا بقائم سيوفهم وكانوا فى العطاء والكرم والشجاعة والفروسية مالهم نظير وكانوا كل شىء يكسبوه وينهبوه من مال العربان يتكرموا به وينهبوه حتى ظهرت لهم السمعة وشاع ذكرهم وأحبهم جميع قومهم لكرمهم وشجاعتهم ومروءتهم وما بقى الشعور والقول بعد ربيعة بن المكدوم إلا لهم ورفعوا اقدرهم ومقامهم وقالوا قوم ربيعة ما فقد

أخلف الله علينا باولاد أخته أشجع منه وأكرم رأيت فى مقام الطعن والضرب وقال بعضهم والله إن هذين الولدين ما استعار واهذه الفروسية والكرم وورثوها من أبيهم عنتر بن شداد وخالهم ربيعة بن المكدم فارس الجلاد (قال الراوى) ودام أولاد عنتر يغاروا على قبائل العربان وينهبوا أموالهم ونوقهم وجمالهم والفصلان إلى أن غزوا فى تلك النوبة إلى هذه البلاد وأتوا بتلك النوق والخيل ومعهم العبيد يسوقوهم وأتوا ذلك اليوم عند أولاد العجوز وأضافوهما وأكرموهما غاية الإكرام وكيف سألوهما عن حالهما وماجرى لهم كما ذكرنا قال الراوى فلما سمعوا منهم أولاد العجوز هذا السبب داخلهم العجب والفرح والطرب وقالوا بحق الواحد الخلاق ما سمعوا منهم بهذا الاتفاق ثم اقبلوا عليهما وقالوا لهما لقد نطقتم بالحق وهو المطلوب وقد اجتمع شمل المحب بالمحبوب ثم أن أولاد العجوز قالوا لهما اعلموا ياوجه العرب وحق رب البشر ومصور منبع الماء من صم الحجر لو كتب هذا الخبر سيرا على ماق البصر لكان عبرة لمن يعتبر ولكن اعلموا ياسادات العرب أن هذا ابوكما عنتر بن شداد قال الراوى فلما سمعوا ذلك الكلام وشاهدوا أبوهم عنتر البطل الهمام ارموا أرواحهم على أبيهم عنتر فكان من شدة الفرح أن ضمهم إلى صدره وقبل صدورهم وبين عيونهم ونحورهم وبكى حتى غشى عليه ولما أفاق جلسوا حواليه وحكوا له بجميع أحوالهم وما تم وما جرى لهم ومن شدة فرح عنتر باولاده نسى جميع ما جرى له وأصابه فاخذه الفرح وطاب صدره وانشرح وبعد ذلك دارت عليهم أقداح الراح حتى أصبح الصباح واضاء الكريم بنوره ولاح وذكرت إقامة سيدنا محمد زين الملاح فعند ذلك اقبل عنتر على أولاد العجوز وشكرهم وبعدها اقبل ابن عنتر جار العلم على أبيه وقال له يا ابتاه ما عاد فى قلوبنا فايده للقعاد قم شد روحك واركب جوادك وسر بنا حتى نلحق قومنا بالاخلاف ونريك كيف نفعل بعسكر عبد هياف ونأخذ منهم بالثار ونكشف عن قومنا العار ولو كانت عساكره بعدد الحصى والرمال مزقناهم بطعن العوال وفرقناهم فى السهول والجبال قال الراوى فلما سمع عنتر كلام أولاده اشتد ظهره ثم انه اقبل على أولاده وقال لهم دعونى اهب هذه الخيول والنوق التى معكم إلى هؤلاء الاجواد لانهم فعلوا ما يفعله الوالد بولده ولا الأخ باخيه لانهم داووا جرحى واكرمونى حتى بدا صلاحى واحيونى بعد مماتى ورواحى وانا اريد اكافئهم حتى اغنيهم ولا أقدر أن اكافئهم فقالوا له ياابتاه افعل ما بدالك فما فينا من يخالف امرك (قال الراوى) فعند ذلك اقبل عنتر على العجوز وعلى أولادها

وقال خذوا هذه القطعة النوق والخيل وهبوها لكم أولادى وبقيمة أنا وسوف أجازيكم بالغنى وبلوغ المنى ولكن إذا سمعتم أنى قد وصلت إلى أهلى تعالوا إلى عندى واسألوا عنى أينما كنت ثم إن عنتر ركب هو وأولاده وسار بهما يقطع الفيافى والقفار وقلبه قد اشتاق إلى عبلة وهو من أجل فراقها فى نار ودبلة ولم يزل سائرا حتى قرب من الميدان ونظر إلى العساكر المتقاتلة فطلب الميدان بعد ما أوقف أولاده بعيد عن العسكر ودخل هو بين العسكرين فوجد ابنه الغضبان فى براز الملك الأخضر فعند ذلك حمل على الاثنين وخلا بين الفارسين وعلا عليهما برأس السنان وتلك الخلائق ينظرون اليه فى الميدان ثم أنه أقلب رأس السنان إلى وراء ظهره وطعن الملك الأخضر أرماه من على ظهر الجواد وفرغ بعده رأس الغضبان ثلاث مرات كما ذكرنا وبعد ذلك تفارقوا كما قدمنا وأنشد الشعر الذى وصفناه ورجع مع ولده الغضبان إلى بنى عبس وعدنان هذا وقد أقبل شيبوب وهو فرحان وسلم على أخيه عنتر وأولاده فعند ذلك قال الملك قيس كيف وقع لك هذا الاتفاق من هى أمهما فاخبره بالقصة التى جرت من أولها إلى آخرها وفى ذلك الوقت مشت بين يديه جميع الأكابر من بنى عبس وعدنان من فرحهم بأبوا الفوارس عنترة الفرسان ولقد نثروا عليه الدنانير من الأموال والبدار من الاسارة والمقدمين والعسكر حتى بقيت الأموال مثل التلال من حول عنتر وأولاده الابطال سوى ما قدموا لهم من الخيل والجمال والسيوف الصقال والرماح والجوا والدروع هذا شيبوب قد خلع ثيابه وبقى عريان وهو يرقص وينطط فى الهواء بقميص ويديك وكذلك ردها الخذروف وما منهم إلى صار من الفرح مشغوف وهم يتلاعبون وبين العساكر يرقصون قال الراوى وانقاذ إلى عنتر فى ذلك اليوم من الخيام والأموال والمضارب شيء يحير الأعيان هو وأولاده وهم يستاهلوا ذلك الشان لأن عنتر رجل مسعود وعدوه مكمود وقد خلقه الله تعالى إلى هذا الشأن حتى يصلح الأحوال بين أيادى سيد ولد عدنان فوالله أنى ما أتيت فى هذه السيرة إلا بكلام الحق ولا أورد وقايعها إلا على الصدق وما زودت فيها ولا نقصت غير توقيع الكلام وترتيبه على التمام وكانت تلك العرب الجاهليه لهم نفوس محضية وهم أصحاب نخوة وحميه وما كان قصدهم إلا التوصل إلى الدرجة العليه حتى أذلهم وقهرهم بعنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد وأخمد حالهم وشجاعتهم ومحق جبابرتهم ومهد الأرض والبلاد بقدوم سيد العباد قال الراوى ولما بلغ صاحب الرسالة عن عنتر وشجاعته وما فعل وما فيك فى الجاهلية قال

والذى بعثنى بالحق نبيا لو كان عاش عنتر وأتى إلى وأسلم على يدى لسددت به ركن فى الاسلام قال الراوى وكان هذا عنتر من جملة السبعة المذكورة وله حسب ونسب لأنه ينسب إلى أفخر العرب وهو عنتر بن شداد الذى فاق أهل زمانه وكانت أمه حبشية وتقدم حديثها فى هذه السيرة المروية لأنهم لما سبوها من بلادها كانت من أولاد الملوك وكان اسمها شامه لأن الملك النجاشى ابن خالتها وقيل جدها والذين سبوها سموها زبيبة وهى لها حسب متصل إلى حام بن نوح عليه السلام فهذا نسب امه واما أبوه فما كان الا من أفخر العرب وكان سيدا منتخب فهو شداد بن قراد بن راحه بن شراحه بن خزاعة بن تمامه بن يفيض بن قيس بن غيلان بن ارفهان بن نذار بن محمد بن عدنان بن مضر بن إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام فهذا نسب عنتر من جهة أبوه شداد على التمام قال الراوى وهو الاصمعى عفا الله عنه وعنا وعنكم وعن سائله والمسلمين والمؤمنين والمؤمنات ونرجع إلى سياقة الحديث والخبر ولما استقر بعنتر القرار وحصل له الفرح والاستبشار التفت إلى أخيه شيبوب وولده الخذروف وقال لها أريد منكما يا أولاد الأخيار ان كنتما تزعما أنكما شطار تسيروا من ههنا إلى عسكر عبد هياف فعند ذلك قال له شيبوب يا ابن الأم أنت تعرف شطارتى وجسارتى وأنا أخوك شيبوب وأنا مفرج الكروب والريح الهبوب وأنا البلاء المصبوب وأنا مصيبة لكل عدو وأنا جوهرة لكل محبوب وأنت تعرف مرافعى وأمورى ولا فى جميع القبائل نظيرى وكل الورى تعرفنى وكل الملوك تفزع منى وتخاف شرى وتكتفى مكرى وأنا ابن زبيبة حقا وكل الناس تخافنى غربا وشرقا فعند ذلك قال له الخذروف والله يا أبى ما انت إلا كثير الكلام ولكن قليل اهتمام أنا أشطر منك وأخف جريا فى الفلا الآكام وما أنت إلا قد كبرت ولا بقى لك حيلة ولا اهتمام قال له شيبوب لا تقول على أبيك ذلك الكلام ياولد الحرام فعند ذلك ضحك عنتر وكل من فى ذلك المحضر قال المصنف لهذا الكلام فعندها قاما الاثنين على الاقدام وجهزا كل مايحتاجان من ثياب الخيل وكل واحد أحضر لروحه مايعمل فقال شيبوب لولده الخذروف أخبرنى كيف تسير وأى حيلة تعملها بعد كلامك على فقال الخذروف انطلق إلى حال سبيلك ودبر انت امرك ونفسك وحالك وكن مستفيق إلى فعالك قال ثم ان كل واحد منهما نهض من غير مهل ودبر نفسه فيما يعمل قال الراوى واما شيبوب فانه مضى ولبس ثيابه وعدته وتقلد بخنجر وشد رجليه بخرقة ولبس على رأسه قلنسوة مفتقة سمره وفتح رأسه بخنجر وقد عصبه بعصابة حمرة وشد وسطه بحبل قد لقاه فى الطريق وسار

وهو عبرة لمن يراه وهو طالب الملك عبدهياف . أنه صعد إلى أعلى الجبال وسلك مسالك لم يسلكها غيره من الرجال الأصمعى فهذا ما كان من شيبوب وأما ما كان من أبيه فإنه عمل بالضد من ذلك لأنه عمل فى صفة شاعر من شعراء العرب الكرام بثوب طويل الأكمام وعمامة كبيرة وأرخى لها عذبتين من قدام وقد سار إلى عسكر عبدهياف وهو متوكل على خفى الالطاف فلما رأوه القوم أنكروه وعن حاله سألوه فقال لهم أنا رجل شاعر أمدح الملوك وأبناء الملوك أكابر الزمان وقد سمعت بعطاء هذا الملك الهمام فاتيت قاصده فقالوا له وصلت يا شاعر بقدومك إلى هذا الملك المنسب ثم أنهم أتوا به إلى باب الصيوان وقالوا أدخل يا فتى الفتيان فدخل وقال حيا ملك الأرض فى طوله والعرض مفنى الجبابرة وأهل الطغيان وكل معاند وخوان ثم أنه أطلق أنه أطلق لسانه وأشار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

قصدت إلى هذا الهمام بحر الوغى	ملك حوى كل المكارم أجمع
ملك همام فى المكارم والعطا	أنامله بالجود سيل يهرع
فى الحرب مردى الضد بالسيف عنوة	صبور على مر القضاء المبلغ
وقد شابت الأبطال من هول حربه	إذا جاء فى وسط الجموع المجمع
وتخشى البرايا من سنان قناته	تولى العدا والرمح سمعة أدرع
ويلتقى الافيال فى حومة الوغى	يجول عليهم بالحسام المروع
وإن أقبلوا يبغوا ذماما وعفة	فيعطى ذماما مثل حصن ممنع
وأن جاءت الفقراء يبغون جوده	يعودوا بجود نحو أرض وبلقع
أنا عبد هياف الشجاع أما ترى	لفقرى وحالى كيف صار مشبع
فجد لى بفضل منك يا ملك الورى	أصير به من بعد فقرى موسع

قال الراوى فلما سمع عبد هياف شعره قال له طب نفسا وقر عينا ولكن من أى أنت وما السبب الذى فيه جئت فقال له يا ملك الزمان والعصر والاوان أنا من بنى هوازن الكرام وأنا فقير بين الأنام وشاعر ومالى شغل سوى اقصد الكرام وقد سمعت بكرمك أيها البطل الهمام والبطل الدرغام وأنى سمعت بكثرة عطاياك فقصدتك واغتنيت بغناك وأنا أتيت أطلب أحسانك وها أنا مقيم عندك أيها الملك الكريم فلما سمع الملك عبدهياف كلامه أعجبه واستحلاه واستقربه وأعطى له مضرب يقيم فيه وهو بجانبه فاقام الخذروف وهو فى ذلك المضرب وهو إلى الاسارى يرصد ويرتقب ويدور فى تلك

العساكر فوجدهم فى خلق كثير وعالم غزير لم يقع عليهم حصى بعدد الرمل والحصى قائم على ذلك العمل وهو يدبر ويتقن الحيل هذا ما كان من الخذروف وأما ما كان من شيبوب فانه لما نظر إلى تلك الخلائق كأنها البحار الدوافق فدخل فيهم وعمل بروحه تلك العمائل ودمه على وجهه سائل وهو يبكى وينوح ودمعه جارى مسفوح وصار يقف على أبواب المضارب والخيام ويستطعم من أصحابها الطعام ويقول ارحموا الشيخ الكبير الغريب الذى ماله معين ولا نصير لقد فقد أخوه وأولاده وقتلهم هذا الغضبان نسل الأوغاد الذى هو من عنتر بن شداد ثم أنه جعل ينتحب ويبكى وينوح ويشرح للعرب ماجرى له ويشكى ويستعطى منهم يعطوه وجل ما هو فيه يرحموه قال شيبوب فبينما أنا كذلك أدور بين المضارب والخيام وكل من نظر إلى يرحمنى ويعطينى طعام إلى أن وصلت إلى جماعة مجتمعين وهم كالحلقة دائرين فدنوت منهم كأنى جاهلهم واستعطيت منهم وإذا بسلسلة عظيمة مشدودة إلى صخرة من الصخور الهائلات فى تلك السلسلة خيول وهم نحو من ثلاثين جواد لم أر مثلها فى سائر البلاد وتلك الرجال جالوس وبينهم قصعة خبيص وجفن واسعات وهم بالطعام مترددات وأقداح المدام عليهم دائرة ومتقلدين بالسيوف الهندبات قال شيبوب وشاهدتهم ونظرت إلى صفاتهم فدنوت منهم وقلت لهم أنعمتم صباحاً وعاينتم أفراحا وأعداؤكم أتراحا ارحموا ياوجه العرب أنى رجل مسكين ومعيل وحيل قليل وأنا ضعيف وعابر طريق وسبيل وقد جار على الزمان ورمانى بالويل والحزن ثم أنى بقيت على الأرض مطروح وأصبح جسدى ملآن بالجروح (قال الراوى) فلما سمع الرجال ما قاله رقوا لحاله وقالوا له أدن منا ياوجه العرب الأعيان واجلس وكل من هذا الزاد قال شيبوب فعند ذلك دنوت منهم وكان قد لحقنى طرف من الجوع فصرت آكل أكل من له زمان عن الأكل ممنوع ثم أن القوم سألونى عن حالى وعن الذى أنا فيه تغير أحوالى وقالوا لك لرجال باغى من عمل بك هذه الفعال فقلت أنا رجل مسكين وغريب وضعيف الحال وسفرى إليكم وذخرى فى عشيرتكم فهو على حسب الأذلال ولى بهذه اليوم أربعين قوما أياما وليالى وقد جئت قاصداً إليكم وأسألكم كما يسأل الفقراء الكرام من الرجال وأنا أسأل الصدقة والعطاء من سائر الأبطال وكنت فى المدة الماضية قد جمعت شيئاً من الصدقة فبينما أنا سائر إلى أهلى ووطنى أو العيال إذ دهمنى هذا الأمير الغضبان الابن الف قرنان الذى هو خسيس الأصل من دون الرجال فأخذ منى جميع

ما حصلته من المال وضربني وجرحني والدماء كما ترى قد سالت وإني قد خلفت خلفي أولاد عراة وهم عراة جياع حفاة قد أقلقهم الفقر بالجملة وعليهم المصائب والمذلة وهم لا يستطيعون نهوض ولا يدفعون عن أنفسهم بعوض وخلفت عندهم امرأة عجوزة جلدها أيبس من الحديد وضاق في وجهي كل مذهب فجعلت أدور على سائر العرب أطلب الكرام وأقصد كل أمير همام حتى رمتني إليكم الأيام ونوائب الأحكام ولا بقيت أعرف طريقاً إلى بلادي ولا بقيت أن أردى من يوصل خبر إلى أولادي من خوفي من الفارس الغضبان ابن اللئام وقد حرت في تصاريف الأيام وترداف الأحكام ثم أنه بعد ما كثر من بكائه وتعديده وشكواه وأنشد وجعل يقول صلوا على طه الرسول :

كل من أشكو إليه	سوء حالي فهو يرحم	آه من دهر خئون
قد سقوني مر علقم	وقصد أخذ خليلي	وأدهاني فيه وأحكم
إنما يجهل قدري	غير حالي ليس مغرم	أني لست بمــــلك
من ملوك عصري	معظم فيالي من اشتكي	وإلى من أتظـــلم

(قال الراوي) فلما سمعوا القوم بحديث شيبوب وما أبداه من شعره ومقاله فعند ذلك رثوا لحاله ورحموا ضعفه ورقت قلوبهم لأجله وقربوه إليهم قال شيبوب فجعلت كلما أخطو خطوة أبكي واقع على وجهي وأصير على الأرض مخبوط هذا وعصي أصلب وأقوى من خشب البلوط وأبتلك الثياب المقطعة الواسخة ورجلي معصة بتلك الخبوط والقوم كلما رأوا وجهي يرحموني ويرقوا الحالي وأنا طول النهار أبكي واتحسر وأشكي أحوالي وأثر الضرب في وجهي وعليه ذلك وقد أحاطني الهم والغم وقالوا لي يا شيخ ما هذا الدم الذي على وجهك وثيابك احكي لنا على السبب ولا تخف علينا أحوالك فجعلت ازحف على مرافقي قليلا قليلا وبدي الشكوى بأنين وعياط وقلت لهم كنت مع عبد هياف في قم وادي وأنا مفزع السر لزوجتي ولأولادي فحمل الملك عبد هياف على عساكر كسرى فطحن الخلق قدامة وتهاربت العساكر من قوة صدامه وأنا كما ترون رجل شيخ وقد اهرمني الكبر وكنت اغدوفي آثارهم وابكوا واتعثر بالأحجار وخراطيم الشجر فهذا حالي وما ترون يا رجال من سوء الحال والخبر فلما سمعوا القوم كلامه والمقال بكوا رحمة له وشفقة عليه لما هو فيه من سوء الحال وقالوا له طب نفسا وقر عينا يا أخا العرب فعلينا كما تريد نحن نعطيك ونجازيك ولا تشمت بك اعداك ولا نترك أحد إلا ويعطيك ويهب لك شيئاً ينفعك

﴿ تم الجزء الثامن والثلاثون ويليه الجزء التاسع والثلاثون ﴾

الجزء التاسع الثلاثون

﴿ من سيرة عنتر بن شداد ﴾

وينفع أولادك وندبر بعد ذلك فى خلاص زوجتك من بين هذه العسكر والاجناد ونوصلك إلى أهلك بالمال والزاد وتظفر ببلوغ المراد قال شيبوب فشكرتهم على ذلك الحال قلت ولهم على ذلك المقال لازالت دياركم معمورة ورايانكم منشورة وأيامكم مشهورة وأعاديكم مقهورة وعساكركم مؤيدة منصورة وجيوشكم بالنصر مخبورة ثم أن القوم أتوا بالطعام واللحم الثريد شيأ مليح وهو فى غاية النهاية وقد جعلوه قدامى وقالوا لى تقدم ياشيخ قال شيبوب فتقدمت وأكلت بحسب الكفاية ثم قالوا لعبيدهم والخدام هاتوا آنية المدام فعندها أحضروا شيأ كثير من المدام فجعلت أناشدهم الأشعار وأوردهم الأخبار ولم أزل أخبرهم بشىء فشار فى فشار وأحدثهم عن وقائع العرب والعجم وسير السادات من أهل النعم وأذم أهل البخل وأمدح أهل الكرم وأهجوا الذليل واصف لهم الشجعان البهاليل فصاروا يتعجبون منى ومن حديثى وما أوردت لهم من المدح فازدادوا فيا رغبة وفرحا فجعلت انظر يميناً وشمالا لعلى انظر بعض الاسارى بعين الأخبار إذ نظرت إلى سلسلة طويلة وهى من السلاسل الطوال الكبار ورأيت مربوطاً فيها عامر بن الطفيل وغشم بن مالك وهانىء بن مسعود وذو الخمار فعلمت أنهم أسروا من بعدى جماعة من الفرسان الأخيار وقد جرى بينهم حرب ووقائع ورأيت فى أعناقهم من الحديد أطواق وهم فى ذلك مدلولين مثل كلاب الرقاق ونظرت إلى عروة بن الورد وهو فى المأسورين لخرت فى قصتى وفى قصته ولم اعرف كيف كانت اسرته وسمعت عروة وهو يتأوه من فؤاده موجوع ويتلهب من قلب مصدوع وهو ينشد ويقول :

حرمت الكرى واحتار فيا الطبيب ... ورميت فى سجن الدها عطيب
والهم أرمانى بأقوى صــــروفه ... واصبحت فى أمر العدا نحيب
عسى الكرب الذى أصبحت فيه ... يكون وراءه فرج قريب
ويأمن خائف قلـــق حزين ... وينفى عنه ذا الضيق العجيب
أبا عنتر لقد ذل الأعادى ... لأجلك يا فتى وقت الحريب
فجرنى يا فتى وارحم لذل ... عريم سقيم وانت لى طبيب

(قال الراوى) فقال شيبوب فلما سمعت شعره عرفته وعرفت حالته فتناومت بين القوم فقالوا لى ياشيخ تنام فقلت نعم ياخير أقوام لانى رجل كبير وبى ماتروه من الجراح والآلام وقد ضعفت قوتى من كثرة سيلان الدماء وأنا هالك لامحالة وحق رب السموات ولم يزالوا القوم فى أكل وشرب وفى حديث وارهاج حتى انهم سكروا وناموا وانضجعوا على الأرض مثل النعاج فلما رأيت ذلك قمت قومة الاسد الجدار وكان قد مضى من الليل النصف الاول فاقبلت وطلبت تلك النار ثم أقلبت عليها التراب حتى اظلم المكان من شدة القتام وصاروا العبيد والرجال كلهم نيام تحت غسق الظلام ثم انى جعلت أحبوا على بطنى وأنا أتعثر فى ذلك البر والحجر حتى قربت من الاسارى فسلمت عليهم ساعة وصولى اليهم على الاثر فقلت لاباس عليكم أنا شيبوب اخو عنتر وقد جاء ولدى مع الخذروف وقد دخلنا على هذا العسكر وأما أخى وهو مثل الاسد القسور وقد جاء له ولدين مثل الاسدين وهما قد وصلوا مع اخى عنتر وقد أسر أخى عند وصوله الينا الملك الاخضر فلما سمعوا الرجال ذلك الكلام قاموا كلهم قيام على الاقدام وحمدوا الله على ماأولاهم من سوابغ الانعام إلى سبيع بن الحارث المسمى بذو الخمار فانه قال لهم أوليس قد قالوا أن عنترة قد قتل ومات وانمحت منه الآثار فكيف عاش وصار من جملة الحضار وحق ذمة العرب الاخيار أن هذا الكلام مايصدقه قلبى لاوحق خالق الليل والنهار وأما هانىء بن مسعود لما سمع فانه غاب عن الوجود وصدق وفرح واستبشر غاية الاستبشار قال شيبوب فلما تعارفنا وتحققت الآثار فجعلت أنا ألتمس السلاسل والاغلال فلم أجد فى فكها حيلة المحتال وكان فى عنق كل واحد منهم طوق من حديد فعالجت عروة وخشيت من العبيد ليحسوا بى فيمنعونى مما أريد فجعلت امر بيدى على السلسلة من أولها وآخرها أحوم وإذا قد وقع فى يدى حلقة ضيقة وجديدها غير ملحوم فعالجتها إلى أن كسرتها وقلت الآن ياأبا الابيض قد فرج الله عنك قم فنهض ثم بعد ذلك قام ثم وقع ولم يقدر يقوم فقال ياشيبوب اصبر على حتى تهدأ نفسى وتعود إلى روحى فقلت له ياأبا الابيض هذا قول بيس لمثلك مع تمام فضلك وعقلك ثم أنى وثبت وسللت خنجرى المعروف وملت إلى العبيد ذبحت منهم ثلاثين عبد وكانوا نائمين ثلاث صفوف فلما رأى عروة ذلك منى جعل يرتعد مثل السفينة فى يوم ريح عاصف قال شيبوب فدخلت تحته وحملته على عنقى وجعلت أغدو به ورجلاه تسحب على الارض من قوة الرجفان ثم انى لم أزل أتخطى المضارب حتى خرجت به من العسكر

وقلبي على ما أريد به أقفله أقوى من الحديد وليس يلحقنى شىء من الفكر ثم أنى عدلت به إلى نحو مغارة كانت هناك للرعاة يأوون فيها فى الصيف بطول النهار وفى الشتاء يتوقدون فيها من الأمطار فقلت له أجلس ههنا حتى أمضى وأرسل لك جوادا تركبه وأريحك من التعب قال شيبوب فجلس هناك ومضيت أنا كذلك ورحت على أثرى إلى المضارب والخيام فلقيت القوم مشتغلين بما هم فيه من أكل الطعام وشرب المدام فقصدت عند ذلك إلى خيام الملك عبدهياف ثم إنى سللت منهم جواد أدهم كأنه الغراب الاسحم فركبته وسعيت حتى أتيت به إلى عروة وبين يديه أوقفته فقال لى أى هذا فقلت له هذا جواد سرقته فقم الآن واركب لعلى أخلص بعض الأسارى وأكون لك تابع وها أنا أيضا قد سرقت سيف قاطع ودرع مانع قال وكان شيبوب لما أخذ الجواد نظر إلى درع معلق مليح النجاد وإلى سيف معلق قاطع الحداد فأخذهما فى صحبة الجواد لما سرقه وسار إلى أن أتى بهم إلى عروة الفارس الجواد فلما لبس عروة الدرع وتقلد بالسيف وركب الجواد فقال لى لا بقيت أبالى بالرجال إن كثرت أو قلت إن كانت فى ازدياد إلا أنى جائع أيها الفتى الهمام فقلت له قف مكانك حتى أنى آتيك بطعام قال شيبوب ثم أنى عدت إلى العسكر وشقيت بين المضارب والخيام وجعلت أقول أنا رجل مسكين وغريب ووحيد وعابر سبيل هل عندكم شىء من الطعام فقد غصنى الجوع وقلبي من قلة الأكل موجوع فقالوا قف مكانك أيها الفقير ثم أنهم أتونى بخبز كثير ولحم غزير وتمر أحلى من العسل لحمات الجميع وأتيت بهم إلى عروة من غير مهل فأكل حتى شبع واستراح فقلت له قم الآن واركب يا فارس البطاح فقام قائما وأراد أن يركب ويسير من غير مهل وإذا نحن برايات وضرب بوقات ومشاعل بالنار تشعل وقد أقبلت فرسان من الموت لا تخاف فتبينهما نحن وإذا بالملك عبدهياف قد أقبل فوقع الخبر فى العسكر فنفرت إليه السادات وظهرت إليه القادات وأشعلوا الشموع والمشاعل وأشهروا الأسياف وانقلب العسكر بقدوم الملك عبدهياف قال شيبوب فلما نظرت إلى ذلك الحال قلت لعروة بن الورد قف مكانك ولا يلحقك أنذهال فأنى قد عولت أن أسرق بعض الأسارى ما داموا الناس فى هذه الأشغال (قال الراوى) لهذا الكلام وكان سبب مجىء الملك عبد هياف ومن معه من الفرسان أنه كان قد وصل إليه الخبر بأن عنتر بن شداد بعد أن كان مات وأندثر فى البرارى والقيعان قد عاد سالم وعاش وعاد إلى نصرة بنى عبس وعدنان فلما سمع الملك عبد هياف هذا الخبر حار وأخذه الانبهار وغرق فى بحار الفكر وخاف لا يجرى أمر على الملك الأخضر فركب من المدائن ألف فارس وأمرهم بالمسير فى ذلك العسكر وسار

قال أنا أريد كلما وقع فى يدى أسيرا من بنى عبس أقتله ثم أنه فى عاجل الحال أمر باحضار عروة بن الورد حتى يضرب عنقه ويصلبه على جذع النخل وكل من معه من الرجال وإن يرشقوهم بالنبال فعند ذلك انطلق حاجب من بعض الحجاب له ومضى إلى هذه الأمور والأسباب ولم يزل سائرا إلى نحو الأسارى فوجد الجميع قد هربوا (قال الراوى) وكان السبب فى هروبهم كان شيبوب وقد أتى حتى أنه سرقهم وقد وجد أبنه الخذروف يعالج فى قيودهم والسلاسل التى فى أعناقهم فتعاون هو وأبنه عليها حتى خلصوا الجميع منها قال نجد الخذروف قبل أن يصل شيبوب إلى هناك قد سرق غشم بن مالك ومضى به طالب الجبل حتى وصل إلى تلك المغارة فدخلها فوجد عروة داخلها ففرحوا ببعضهما بعض ورأوا أن تلك العساكر التى ثارت فى تلك الأرض فقال الخذروف لغشم أجلس مكانك حتى اسرق لك جواد فقال له أسرق لنا أمير من ذلك الرجال الأجواد أخير من ألف جواد (قال الراوى) فعاد الخذروف حتى وصل إلى عند الرجال وجعل يعالج فى السلاسل والأغلال فأتى شيبوب فوجده على هذا الحال فتعاونوا الاثنين على خلاص الأسارى ولم يزل شيبوب يسرق واحد والخذروف يسرق واحد وكلما سرقوا واحد يوصلوه إلى المغارة بسريع حتى سرقوا الجميع إلا ذو الخمار فانهم ما قدروا أن يحلوه وعجزوا عنه فخلوه وكان أدركهم الصباح بمناه فساروا حتى وصلوا إلى المغارة وبقوا من دخل ذلك المغارة وكان قد بان النور وطلع النهار (قال الراوى) فهذا كان سبب هروبهم وخلاصهم من تعذيبهم وأما الحاجب الذى ذهب فى طلبهم حتى يضرب رقابهم ويصلبهم فانه لم يجدهم بل وجد العبيد سكارى نيام والبعض مذبوحين مثل الأغنام فعندها نبه الحاجب الناثمين وسألهم عن المأسورين فقاموا من المنام حيارى ولم يروا غير الغبار وذوا الخمار والعبيد مذابوحين ودماهم تيار فلما نظر الحاجب إلى تلك الأحوال أخذه الاندهال ومضى إلى الملك عبد هياف وأخبره بجميع الأوصاف وقال له إعلم أيها الملك بأن الاسارى جميعهم قد هربوا وأن العبيد الذين كانوا موكلين ذبحوا وعطبوا قال نجد فعند ذلك جر سيفه وضرب رقبة الحاجب وقال على بباقى العبيد فضرب رقابهم وتركهم ممدين على الصعيد وقال لهم أنتم توانيتم فى حفظ هؤلاء الأسارى حتى تم لهم ما تم ولو كنتم تحرصتم عليهم بكل سبب ما كان أحد منهم قدر على الهرب ثم أنه بعد ذلك أقبل على العساكر وقال لهم أركبوا وإلى أعدائكم أطلبوا قال نجد فلم تكن إلا ساعة حتى ركبوا وتسارعوا إلى ما عليه أنتدبوا (قال الراوى) فهذا ما جرى لهم وأصابهم من الحتوف (وأما) ما كان شيبوب وولده الخذروف فانهم لما عادوا إلى الأسرى التى خلصوهم ونظروا إلى

العساكر وقد طلبتهم وقد تقربوا منهم ولم يروهم هذا والارض قد تزلزلت والجبال قد انقلبت وصياح الأبطال قد أدوت منه الجبال وقد اختلطت العبيد والرجال وقد همهمت الفرسان وتزاعقت الشجعان هذا والملك عبد هياف قد صاح فيهم صيحة قد ارتعدت منها الجبال وقال ويا ويلكم اطلبوا هؤلاء الرجال واقصدوا الجبال وبطون الاوديه الخوال فى طلب هؤلاء الاندال الذين هربوا من الشد والاعتقال وقطعوا السلاسل والاغلال قال شيبوب فلما سمعت أنا هذا المقال وعرفت الحال لحضرت الرجال شيئا يركبوه وقلت لهم قوموا أيها الابطال واضربوا بالسيوف الذى قدجبناها لكم وجودوا بهم القتال واركبوا من هذه الخيول التى سلبناها لكم واعتقلوا بهذه الرماح واستعدوا للحرب والكفاح قال شيبوب لم نزل سائرين حتى أشرفنا على جبل شامخ ليس فيه مسلك فعند ذلك وقفت الخيل ولحق الرجال التعب والويل فلما نظرها نى إلى ذلك الحال وابصرت التعب الذى قاسوه الرجال فجعل يحمل الفرس على رقبته وهو بسده تعبه وقد شهد والفرسان بقوة شجاعته وقال ياشيبوب تشهدلى بهذه الفعال ولم نزل سائرين فى أوعار حتى ساءت بنا الاحوال فاوصلنا إلى المستوى حتى عدمنا الحيل والقوى وقد بقينا على حالنا طالبين عسكرنا وبلادنا (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من الملك عبدهياف فانه لما أعياه الحيل ولم يجد الاسارى فى سهل ولا فى جبل ضاق صدره وعيل صبره فادعى بفطاطس يقال له كنانة بن الاشمط وكان يلقب بمرارة الموت لانه بطل شديد البأس صعب المراس وقال له خذ معك الف فارس من بنى عمك والحق بهذا الشيخ المحتال وولده بن الاندال الذين فعلوا بقومنا هذا الفعال واقتفى أثر الاسرى فى البرارى الخوال وان ظفرت بهذا الشيخ فلا تقتله بل آتى به أسيرحتى أنى أطليه وبعد الصلب أسحق عظمه واشرب دمه (قال الراوى) وكان السبب فى معرفة هذه الاخبار كان من الملعون ذى الخمار لانه لما رآه فى السلاسل والاغلال سأله عن الذى فعل هذه الفعال فاخبره بجميع الاخبار وان الذى سرقهما هو شيبوب أخا عنتر وابنه الجذروف الثعبان الاغبر فعند ذلك أرسل مرارة الموت وذلك الالاف فارس فلبس سلاحه وركب جواده وسار وجد فى المسير فى تلك البرارى والقفار وقلبه محترق بالنار خوفا من عبدهياف (قال الراوى) فلما فرغ مرارة الموت من ذلك الشعر والنظام فى تلك البرارى والآكام وجد المسير خلفهم بعزم واهتمام حتى وصل اليهم وطلع عليهم وبان غبارهم للنظار وهم يصيحون أين تهربون يا أولاد الزنا وبنى الزناء نحن خلفكم بلا توانى (قال الراوى) فلما نظر الامير

هانىء إلى ذلك الحال ولمع القواضب وزعيمهم قد علا من كل جانب فعند ذلك عبس وقطب من كل يد وصار قاطب وحرك جواده وسبق على القوم انطبق وتبعه غشم بن مالك وعامر بن الطفيل فرسان المنايا وخواضين الليل وطحنوهم طحن الحصيد وصار أكثرهم على الصعيد فعند ذلك قال الأمير هانى لغشم بن مالك وعامر وعروة الفرسان الصناديد سيروا أنتم قدامى وجدوا بالمسير أمامى حتى أشفى من هؤلاء الكلاب فؤادى ولا بدلى من هؤلاء الأعادى قال شيبوب فلما رأيت أكثر الفرسان صاروا من شدة التعب على الأرض طريح فالقيت ساقى إلى الريح وطلبت البر الفسيح لعلى من نظر مرارة الموت أستريح فلما نظر مرارة الموت إلى حالى فأراد أن لا يفوته منى فوت قال ويلك ياشيخ السوء ماذا تريد أن تفعل بشيبتك فقلت له سوف أريك ما أصنع ثم أنى ركضت حتى ضربت بكعبى شحمة أذنى وصرت أقطع الفلوات والبرارى الخاليات ولدى الخذروف على أثرى كأننا ريح الشمال حتى قطعنا تلك البرارى والقفار ولم يروا منا غير الغبار فعندها قال مرارة الموت لا تبعهما والله ما هؤلاء من البشر إلا من الجن أو من عفاريت البر الاقفر (قال الراوى) وأما هانىء فانه صار يقاتلهم ويجادلهم ويجار بهم حتى كسرهم ثلاث مرات ويعود وهو كلما يرجع اليه ويتصايحوا عليه حتى قربت عسكر بنى عبس وعدنان فقال مرارة الموت وحق ذمة العرب الاشاوس عمرى ما رأيت مثل هذا الفارس أنا قد التقيت فرسان البر والبحر فى الحرب والنزال فارأت عينى مثل هذا الفتى الريبال ولا أشد منه فى الحرب والقتال لأنه لاقى مثلى ومعى هذا الالف فارس وقاتل يوم كامل هذا القتال والعظيم وخرج منا وهو سليم فوالله ما هو إلا فارس جسيم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الكلام المبين (وأما) ما كان من الأمير هانىء وغشم بن مالك وعامر بن الطفيل فانهم وصلوا إلى بنى عبس سالمين فوقعت البشائر بقدومهم وفرحوا المقيمين بالقادمين وطلع الأمير عنتر ودريد بن الصمة والملك قيس ومقدمين القبائل إلى ملتقاهم فى تلك الربا والبطاح وهم فى الحظ والانشراح ووقعت العين على العين والتقوا بعضا الطائفتين وتواقعوا جميعهم من على ظهور الخيل إلى الأرض وبعضهم عانق فى بعض وصاروا يعانقوا الأمير عنتر ويبكون وهم لرؤيته مشتاقون وكل منهم يقول ياأبا الفوارس هذا الذى نراه فى المنام أم أضغاث أحلام فقال عنتر ياوجوه العرب الكرام كلما قدره الملك العلام على العبد يلقاه من خير وشر على مدى الايام ولكن الحمد لله الذى كان عاقبتنا إلى خير وعافية من الضرر والغنائم أنهم ركبوا وطلبوا إلى عساكرهم وهم فرحين مستبشرين ويقطعون الفلا والدكادك وكل واحد يحكى عن نفسه وما قاسى من المهالك إلا عنتر فانه كان سائر ويسأل شيبوب عن عبلة بنت مالك

فقال له يا أبا الفوارس وحق من يحي العظام الدوارس ما سمعت لها خبر ولا وقعت لها على أثر ولا عرفت أين هي من العسكر لأني كنت كثير الهم والبال من جهة خلاص الرجال ولا ملكت عنها السؤال ولا عن السبي والمال وأنا كنت على ذلك الحال ولم يزالوا اسائرين حتى وصلوا إلى المضارب والخيام وهم في فرح وابتسام حتى انهم نزلوا وقروا قرارهم وزاد فرحهم واستبشارهم فخلع عليهم حتى عنتر الخلع الرقاع وزاد في علو قدرهم والارتفاع وقدم إلى هانىء بن مسعود خمس جنائب أسال ليس لهم مثال وكذلك مثلهم عامر بن الطفيل وإلى غشم بن مالك مثل ذلك وقد فرق عليهم الأموال والخلع العوال قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عسكر عبد هياف لما وصل لهم الخبر بجميع ما جرى عليهم من سرقة الأسارى بيد الشيخ الذى ما مثله بشر وأيضا الشاعر الآخر لان الملك عبد هياف أحضر من تخلف من الاسارى صحبته ذوالخمار وسألهم عن الذى تسبب بخلاص الأسارى ومن هو على هذا الأمر تجارى فأخبروه بالشعر الذى أتاه وأباه شيبوب فقال عبد هياف وحق ذمة العرب ما بقيت أبقى على كل من لاقيته من شعراء الزمان ثم أنه صرخ على جماعة الفرسان وهم من أكابر قومه الأعيان وقسم عساكره قسمان خلى قسما مبهم محاصرا كسرى أنو شروان والقسم الثانى أخذه وسار قاصدا عساكر العربان ثم جعل خليهم مقدم من الجبابرة توجه طالبا البر الاقفر وأخذ صحبته نصف العسكر وهم بالعدد الكاملة والدرع السابلة حتى وصلت إلى مقابلهم ووقعت العين على العين وتقابلت الفرسان والشجعان بالشجعان فتقدم الأمير عنتر بن شداد وصف عساكره صفوف وجعلهم مائة وألوف وميمنة وميسرة وقلب وجناحين وتقدم إلى بين الصفين وجعل فى الميمنة هانىء وزيد الخيل وإلى جانبه عامر بن الطفيل وجعل فى الميسرة عروض بن منيع وخفاف وبسطام وأضاف اليهم غشم بن مالك ودثار بن روق البطل الهمام وقال لهم أنتم الذى أنال بكم المجد والاحتشام ثم أنه وقف فى القلب عند دريد بن الصمه والملك قيس بن زهير وعند أولاد ه الخمسة وابن أخته المطال القتى الريبال وأخوة مازن وسبيع اليمن مبيد الرجال قال الراوى وكذلك فعل عبد هياف ورتب عساكره على هذه الاوصاف وقدم ملوكه وأفياله وأدعى بمرارة الموت وقال له أريد تنزل إلى الميدان وتأسر لى جماعة من هؤلاء الفرسان من الذى عليهم المعتمد بن الاقران ويكونوا من حمايتهم لا تخلى منهم إنسان وإن ضجرت أعلمنى بالحال حتى أخرج اليهم واقف الاشغال لان ما تم أمر يزعج قلبى وخروجى لهم للمجال ولا اليق على نفسى أن أبارز حلا بين البز ورعاة الغنم فقال لهم مرارة الموت السمع والطاعة فانا خارج لهم من تلك الساعة وأقود لك الجميع بين يديك ومن يكونوا هؤلاء حتى أن مثلك يصير لهم مشاركا فى حومة الميدان ثم تقدم قدام مائتين ألف فارس فيهم كل مدرع ولابس كأنهم أسد عوابس ركبوا رؤسهم فى

قرابيص سروجهم وقدموا الاسنة وأطلقوا الأعنة وصار لهم ضجة ورنة وقصدوا بحملتهم بنى عبس وبنى شيبان وقرادة وغطفان وبنى هوزان وهمدان (قال الراوى) فلما نظر عنتر إلى هذه الامور الواقعة والأحوال الرائعة قد كادت عيناه ان تدمع وكبده يتقطع لانه تذكر هول الوقعة الأولى وماجرى عليه وما أصابه فيها وماوصله من الأذية اليه فانطبق بقلب قوى وجنان جرى وصاح بصوت مرعب تكاد الفرسان من هوله ان تهرب يا لكم يا أوغاد غير أمجاد ويا أنذال العرب واخف من ضرب فى البيداء ومدطنب قد حل الدين ان يقضى والسيف أن ينقضى وحمل مثل شعل النار وهو يقول يا العبس الثار الثار البدا والبدار فقد آن أوان الدين ينقضى فى مثل هذا النهار الذى يبان فيه الفارس الكرار من الجبان الفرار هذا وقد صار ظلام الغبار منسدل من الآفاق وكثر طعن الرماح الدقاق وضرب السيوف الرقاق وزادهم الصياح والزعاق ومالت الفرسان الصناديد وساعدتهم الغلمان والعبيد وولت الانذال الرعاديد وأما عنتر فانه قصد ميمنة القوم فبلبلها ومال عليها فخلخلها فتهاربت من بين يديه الفرسان وقد قصدوا إلى الجانب الاخر من الميدان هذا وقد ندم الجبان وحار وقصد الهزيمة والفرار من هول ماعاين الضرر فى هذا النهار الكثير الشر والاكدار الذى لم يسمع بمثله فيما مضى من الأخبار هذا وقد بحث بنى عبس على أعدائهم الدرهم قنطار وبلغوا منهم ما كانوا يأملوه ورأت منهم عساكر عبد هياف حرب غير الذى كانوا يعهدوه وبنى عبس عليهم قد اقبلت إلى صدور الأعداء رماحها وعاشت المنايا أرواحها وتعالى فى الجو صياحها واتسع عليهم البر وزادوا فى الكر والفر وقد تصادموا على ظهور الخيل الاعوجيات واختلفت بينهم المنايات باختلاف الأصوات الجماجم من على غصون القامات بالسيوف المشرفيات وقلت العزامات وحارت ألباب السادات لما انهم قد تحققوا النظر إلى اشارت المنايات وقد دار على الفريقين كاس الوفاء وتحسر الجبان على مافات وطرب الشجاع وأظهر الثبات هذا وقد عاينت عساكر عبد هياف من بنى عبس والعرب أسد الدحال وشاهدوا منهم خلاف ما كانوا يعهدوه فى أول الحال فتغيرت منهم الأحوال وقلت منهم الهمات وفترت منهم العزمات وفرق عنتر ميمنه العساكر بطعنات نافذات وضربات قاتلات هذا وقد عظم المراس واشتد وضاقت الأنفاس وعدموا الحياة وتقطعت الجثث أثلاث وأرباع وأخماس وفقدت الصور البشريات وعدموا السعادات وندموا على مافات بما عاينوا من الكائنات فكانوا على هذه الصفات كما قال فى حقهم المنصف هذه الابيات

لقد عظم الخطب بين السرات ... بضرب الحسام وطعن القناة

وزاد العجاج وقوى الهجاج ورامو المياج من المرهفات
وعنترة الحرب والسطو بالضرب ونال الارب بالصافنات
بطعن جسيم وقلب دهيم وصان الحريم وأحمى النبات
نهار عبوس اسود ليوث باعوا النفوس وجميع السراة

(قال الراوى) هذا وعنتر قد أراد استدراك الفوت وقصد الرايات وكان تحتها مرارة الموت قيل بالجوارد اليه حتى أنه يأخذ روحه من بين جنبيه هذا وقد علت الصرخات والعيطات والضجات وكثر الدخول والخروج وماجوا مثل يأجوج ومأجوج ورمت الفرسان أنفسها من على السروج وصارت الوقران أكثرهم منقلبة والصدور بالدم عضية والخيول شاردة والأهوال زائدة والعدد مبددة وعنتر يصول ويجول وقد أخذ الميدان عرضا وطول وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

إذا شاهدت أمطرت السماء لون عندم وجندلت فرسان الهياج بالمهدم
أنا ابن كرام الناس من كل سيد أصول ببأسى فى الوغا وتقدم
هلموا إلى قطع الرؤس فاننى حرمت طعن القناة بمحرم
أنا فارس لم ينتج الدهر مثله سوايا لفعلى فى الورى وتكرم
أيا عبلة إنى فارس متقسور وأقهر ذا باع وكل غشمشم
سأقسم بالبطحاء والركن والصفا وأركانها والمشعرين وزمزم
بانى أقيم الحرب فى حومة الوغى وأشبعهم طعنا باسمر الهدم
أقيم أبطال عبس على الناس كلهم بجودى وعزمى وصارمى وادهم
إذا نادت الأبطال فى الحرب من لها أنادى أنا الموت بالموت يرتمى
خلعت عليهم خلعة الحرب فالتوت عليهم كان الحرب دارة درهم
وأرديت كبش القوم منى بطعنة ترى الرمح منى خارق الصدر بالدم
أنا عنتر لكننى غير عابس أنا البحر إلا اننى غير علقم
أنا عنتر العبسى فارس قومه وسابغ جسم القوم من لون عندم
أيا عبد هياف الذى قال اننى قلت فقم للحرب وانظر تقدم
وإن كنت تزعم أنك الفارس الذى أسرت ملوك الهند قهرا صمصم
فابرز ترى طعنا وضربا اذابدا تخر له الفرسان عربى وأعجمى
لانى أنا القى الفوارس ضاحكا وهم يلتقونى فى بكاء غير تبسم

وابنى هو الغضبان فى الحرب عابس ينادى أنا القمقام عند التقدم
غصوب تقدم وانظر شيب عنتر كبير ويلتى صدر كل عرمرم
وإن اتكالى فى الحروب على الذى يرى حركات النمل فى الليل مظلم

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظمه ونثره طربت الفرسان من هذا النظام وأخذهم الشوق والهيام فكنوا من الاعدام الحسام الصمصام وكان أكثرهم اشتياقا الملك قيس بن زهير الفارس الهمام فارس الآفاق فانه مكن من الاعداء السيوف الرقاق والرماح الدقاق وأشار يقول صلوا على طه الرسول

نحن البهاليل من عبس إذا اشتجرت زرق الأسنة فى الهيجاء والقضب
يهاب صولتنا من كان يعرفنا من البرية من عجم ومن عرب
أبى زهير وقومى خير من حملت نساء من وضعت من نسل ذى لسب
نحن الملوك ذوى التيجان نحملها منا جماجم تهوى البيض والقضب
وعنتر فارس الفرسان تعرفه كل الفوارس كشافا إلى الكرب
بييد فرساننا فى كل ملحمة وتارك الدم فى الهيجاء ينسكب

(قال الراوى) فلما فرغ الملك قيس من هذا الشعر والنظام وقد أخذه فى الحرب الهياج والهيام واشتد الوجد والغرام فحمل وقصد القتام فلله در بنى عبس الكرام ولله درجا العلم وزيدان وميسرة وغصوب والغضبان وأما الامير عنتر فانه نثر الرؤس مثل الاكر وبدد الاعداء شرقا وغربا ومال عليهم بعدا وقربا وأشبعتهم طعنا وضربا ونزف دم الفرسان وخطب منهم الارواح وهبر الابدان فانكسرت من الفرسان السيوف ودام الضرب واختلف وجرى بينهما مالم يجر لمن سلف وسال الدم على وجه الارض وازدلف واشعلت الحرب نارها وقد القت الفرسان شرارها ولم يزالوا فى صدام ولزام حتى أقبل الليل بالظلام وولى النهار بالابتسام وقد اندهشت وحارت الابصار مما جرى عليهم فى ذلك النهار وعاقتل منهم فى حومة الميدان من فرسانهم والاقران لأن عسكر الهند والسند عساكر لاتحصى بعدد الرمل والحصى ولكن قد حارت منهم الاذهان مما عاينوا من قتل الفرسان إلا ان عبد هياف ارتعد ارتعب مما شاهد من حرب ذلك اليوم فقال حق باسط الارض ورافع السماء وعلم آدم الأسماء ماأظن جرى مثل هذا اليوم لمن تقدم من الأمم لأن قومى ماأمسوا إلا فى العدم ولكن فى غداة غد أنزل إلى الميدان ومقام الضرب والطعان والتقى هؤلاء الفرسان الضراع الذى كأنهم السباع فقالت له جميع ملوك الهند ومن يكونوا ياملك

الزمان هؤلاء الكلاب حتى أن مثلك يقاتلهم أو يبارزهم أو يعدو وحده من أشكالهم فدعنا يا ملك لهم أو لاشكالهم ولأمثالهم فقال عبدهياف هذا ما هو شغلكم لانهم والله فرسان صناديد وشجعان ماجيدوا ما يعمل فى الحديد إلا الحديد وما هؤلاء إلا اجاويد الابطال وما هم مثل غيرهم ولاسيما وفيهم عنتر بن شداد الذى قتل واندثر ثم غادر إذلم أبارزهم ما أبلغ منهم مرادو لايشفى لى فؤاد ثم إن الملك عبدهياف أوصى عبيده والخدام أن يعدلوا له خيله وآلة الحرب والصدام قال الأصمعى وقد نقل إنه كان لعبدهياف مائة وخمسين حصان نوع بحرية وشىء تربية العرباز سوى ما كان له من الحجورة المسمية فى سائر البلدان ثم أمرهم أن يعزلوهم ويخدموهم حتى يثبت تحته فى الحرب والجولان ثم صاح فى العبيد وقال لهم اجعلوهم فى الميدان حتى أعرف هؤلاء العربان كيف يكون الضرب والطعان قال الراوى فهذا ما جرى لعبدهياف وأما ما جرى من عساكر العربان فأنهم باتوا تلك الليلة يتعابدوا ما جرى لهم فى ذلك اليوم وما قاسوه من الحرب والطعان فقال لهم الأمير هانىء بن مسعود ما هؤلاء إلا خلق كثير وجيش غزير يا أبا الفوارس وأى شىء الذى أطلع هؤلاء العربان من بلاد الهند إلى هذا المكان قال نجد فأحكى له عنتر على جميع ما جرى وأخذ النوق ورجوعها إلى أصحابها وكيف قتل الغضبان أخاه المرهف وهذا كان سبب طلوعها لأجل أخذ ثار أخيه ثم أن عنتر سأل هانىء كيف كان وقوعه فقال يا أبا الفوارس أنا كنت داير على ذو الخمار حتى اخذ منه بالنار فوجدته على درب الهند على جنب غدير فالتقينا والتحم بيننا القتال والحرب والنزال وإذا نحن بهذه العساكر قد دهمتنا فقاتلناها حتى ملكتنا وقدمونا إلى عبد هياف وما هو يا أبا الفوارس إلا جبار ولا يخشى التلاف فقال له عنتر يا أمير هانىء وحق ذمة العرب ما هو إلا فارس شديد وبطل صنديد ولكن أن طلع فى غداة غد إلى الميدان فذلك الوقت يبان الشجاع من الجبان كما قيل فى سالف الأزمان عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ثم أن عنترا بتدأ يحدث هانىء عن باطن الأمر إلى أن تقنطر به الحصان وبقى ملقح على الأرض وتجرح وما تم له مع العجوز وأولادها وكيف أنهم كانوا غائبين أولادها ولما حضروا عرفوه وأكرموه وكيف أنه منتقى جواده الأبجر وكيف القوه أولاده فى ذلك البر الاقفر وكيف ظهورهما وإن أمهما درملك أخت ربيعه بن المكدم ثم أنهم قد قطعوا الليل فى هذا الحديث حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ونحن وأنتم نصلى على زين الملاح فعند ذلك أصطفت العساكر وترتبت الدساكر وتمدلت ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وحام عليهم غراب البين واصطفت الصفوف واعتدات المائة والألوف وصاحت فرسان الحجاز بصوت واحد ليس عندها فزع ولا مخاف وقصدت عساكر عند عبدهياف فتلقتها فرسان الهند وشجعانها لا تنا ذكر نا أن عساكره التى فى ديوانه

أربعمائة الف ويتبعها ثلاثين الف من السودان وعساكر الملك الأخضر مائتين الف عنان والف ملك بالف عسكر هذا شيء لا يحصيه ديوان وكانوا هؤلاء أنقسموا قسمان القسم الاول منهم قدام العربان والقسم الآخر محاصر كسرى أنوشروان قال الناقل ونرجع إلى ترتيب الديوان فلما حملوا هؤلاء الشجعان تلقوهم بنى عبس الاقيال وسائر الابطال الذى كانوا مع بنى عبس وهم مائة الف عنان ولما التقت الصفان والتحمت الجمعان وزعقت البوقات وعلت الزعقات وتنكست الرايات وأشتد الزحام وقل الكلام وتزلزلت الاقدام وفلق الهام وثار الغبار والقتام وتطايرت الرؤس وكان يومهم يوم عبوس وأرتفع القسطل وزاد المرجل وحمى وقيد الهر وتصادمت الخيل وعظم الويل وقل القوى والحيل وعصفت الارباح وتثلمت الصفاح وراحت الارواح وتلفت الاشباح وطاشت الالباب وضربت الرقاب وتقاربت إلى بعضهم البعض الفرسان وتصادمت الجيشان واختلطت العسكران وجرى من الاجساد العرق وكثر القلق والدم انهرق والحسام أمتشق وتقربت الخيالة وجالت الرجالة ورشقت بنبالها النباله فما كنت ترى فى ذلك اليوم إلا سيف يلمع ورماح شرع ورؤس تقطع وتقع وعبيد تزعق وحراب ترشق ونفوس حائرة وغبار ثائرة وجسد طريح وآخر ذبيح وهذا جريح ودمه على الثرى يسيح وتزلزلت الأرض والمهاد وضجت الفرسان والعباد وحارت الابطال والاجناد (قال الراوى) وقد ذكروا مؤلفين السيرة وكل راو معتبر من أصحاب الروايات والخبر انه لم يكن فى وقائع عرب الجاهلية أشد من قتال ذلك اليوم وماجرى فيه على الرجال والخيل من البليه لان الغبار قد علا حتى سد الآفاق ونظروا المواكب من هول ذلك اليوم كل أمر شديد وعقد القسطل والعجاج رؤس الناس حتى بقى يرى من مائة فرسخ بالقياس فكانوا كاقال بعضهم حيث يقول صلوا على طه الرسول

يوم مهولا على الانام طويلا كم فيــــه خيولا غدت تجول بميدان
كم فارس تعنا إلى اللقا وتمنى والصارم غنى والشجاع حيران
من حرب فوارس أسود عوابس من كل ممارس والفوارس طعان
والوقعة مخضر به القواد تفسر والترس كمزهر كوقع نغمة عيدان
والزائد ينقضى من اللئام يرجس والهام يرقص على مماع الزان
والدم ينقط من الرؤس يسقط والسيف يخرط من السواعد سيقان
والنبل تزامر وفى الصدور تهدر والطير ينفــــر من الرمائم أجفان
والخيل تحاكى بواشقا وكراكى والناس بواكى على بنين وولدان

في الأرض تراهم يعفروا بدماهم والذل علاهم كذاك عزهم أنهان
كم خيل صواهل وكم سيف فواصل في قوم جواهل كأنهم عقبان

قال الراوي ولم يزالوا على ذلك الحال بصدام ولزام حتى أظلم الظلام وخرج عنتر من تحت القتام بمواقف الزحام وقد جمد الدم على صدره ودراعة حتى بقي مثل أكباد الأبل من أدمية الفرسان وما فعل في حومة الميدان فتلقته فرسان العربان وهو قد نزل من على ظهر الحصان وأخذ شيبوب الدرع من عليه وأزال ما كان عليه من الدماء وغسل صدره ويديه ورجعت جميع مقدمين العربان والقبائل والإمارة وهم بما قاسوه حيارة ثم أنهم نزلوا لأجل الراحة وأكل الطعام حتى أصبح الله بالصباح فتحضرت الفرسان إلى حومة الميدان يطلبون الحرب والطعان واصطفت الطوائف وصار كل مقدم زاحف وبقى قلب الجبان واجف ومما قاساه قبل تلك اليوم خائف فعند ذلك أمر عبد هياف باحضار خيله الجياد الذي ذكرناهم وهم منحازين الحرب والجلاد لأنه خاف أن توانى عن عسكره يفعل بهم عنتر بن شداد مثل ما فعل باليوم الماضي فقدموا بين يدى عبد هياف الخيل وكلما ركب على جواده وجال به يضم فخذه عليه فيقصف ظهره ويقول هذا ما يصلح للجلاد حتى قتل أربعة وسبعين حصان في ذلك اليوم فاحضروا له جواد يقال له القشعم فركبه وسيره بين تلك الأمم وكان هذا الجواد ثابت الأعضاء قوياً في المجال رقيق الجسم رفيع الخدين مضمر البطن أكحل المقلتين ممتلىء الوركين كما قال فيه بعض اصفيه .

أسابقكم على طرف كحيل يطير وماله يش الجناح
بوثبته فطوى الارض جمعا بخفته يعم على النواحى
له لون كمثل الليل شبه ووجه قد حكى نور الصباح
ترى يوم الهياج له أرتياح إلى رهج المعالى والكفاح

ثم أنه جعل على صدره زردية مضاعفة العدد كأنها عيون الجراد لا يعمل فيها الصارم المهند ولا الرمح المسد وأخذ في يده حسام يصلح ليوم الحرب

(قال الراوي) ثم أنه طلب الحرب وتحضر إلى الطعن والضرب وزعق زعقة منكرة حتى تزلزلت الجبال من زعقته وغاص في وسط العسكر بحملته ومان هان عليه أن لا يطلب من أحد براز ولا صدام بل أنه ركب وغاص في القلب بذلك الجواد ودخل بين العساكر والاجناد وفرق الشجعان الاجواد فتلقاه الغضبان فاقدر أن يرد له عنان ولا يضبط له مكان بل أنه حاذاه اخترق الصفوف وجزع الأنوف ولوح الفحوف وبعدها صرخ صرخة عظيمة فولت

الخيل على أعقابها وصارت راجعة بركابها وهي هاربة بأربابها وهي تدق بعضها ببعض وقد تفرقت في جنبات الأرض وهو قد فرق الفرسان بين يديه بالضرب والطعان ومازال في حملته وهو شاق في وسط تلك العسكر بقوته حتى فات العسكر وهجم على المضارب والخيام وهو لائح إليهم بالنظر فرأى الأخضر وهو في الحديد والأغلال والباشات الثقال فأثنى عليه وخطفه بحديدة وكسر الحديد بقوته وطعن بعض الفرسان أرماه على وجه الأرض وأخذ من تحته الحصان وأركب عليه الأخضر وخرج به من المعمعة من بين الأقران ثم ساقه وهو يرد عنه الفرسان والأقيال حتى أوصله إلى جيشه وأوقفه بين فرسانه وأعوانه وقد كملت مسرته وعاد إلى مقام الحرب والطعن والضرب وهو بقلب حنق وفؤاد على ملاقاة الفرسان محترق هذا وعسكر بني عبس وأبطالها وفرسانها ورجالها لم يقدر أحد منهم أن يقف قدامه وخافت من هجومه وأقدامه فعند ذلك تلقاه زيد الخيل أرعبه وأدار سنان رمحه إلى وراء ظهره وطعنه بعقبه أقنبه ومن على جواده كركبه وتركه ملقى في الفلاة وهو عبرة لمن يراه وأنقض عليه بعض عبده وشده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف وأخذه أسير ثم أن عبد هياف طلب ميمنة العسكر وكبرت عليه نفسه أن لا يطلب براز أحد البشر فصال وجال وطلب الحرب والقتال وهو ينشد ويقول الصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الرسول

ولما التقت الصافنات واختلف القنا	والجند من تحت العجاج تروم
فلا أن أعيش لأقتلن فوارسا	ولأن أموت فإنني مكروم
يا آل عبس بادروا عنـــد اللقا	حتى نبـــين سرنا المكتوم
فأنا مبيد القوم هياف الوغا	مفني الألوف فمن لذاك يروم

(قال الراوي) فافرغ عبد هياف من أبياته حتى أنحدر إليه فارس من بني هوازن يقال له عبد الدار وكان أسداً مغواراً وفارساً كراراً وكان ابن عم دريد ابن الصمة وكان في الحرب له قوة وهمة لأنه لقى الأقيال ومارس الأبطال وحمل على عبد هياف حملة الأسد الرئبال وجال عليه وصال يريد الحرب والقتال فلم يمهله عبد هياف أن يتلفظ بمقال ولا يفتل العنان حتى صرخ عليه وضربه بالحسام على هامته أرمى رأسه قدامه فوقع على الأرض إلا وأخوه حمل عليه وأراد الوصول إليه وارتمى بكليته عليه فاتركه يدنو إليه حتى طعنه بعقب الرمح حتى كسر أضلاعه وقعص عليه ثم أنه جال وطلب البراز وقال أين الفرسان أين الاقران أين من يزعم أنه من الشجعان من يطلب الفخار في هذا المكان أبرزوا ماته بعد مائه وأن شئتم ألفاً بعد ألف ويكونوا من الفرسان المسمية وأنا لحربكم كفية وأنا لابد لي من تفريقكم وهلاك محبيكم

وصديقكم وأسر صغاركم وكباركم وأفني أخياركم وأشراركم ثم أنه بعد ذلك المقال نادى لبعض عبيده والرجال وقال لهم قدموا لى جوادى الشملال حتى أشبع اليوم عليه قتال والتقى عليه هؤلاء الأبطال ثم أنشد يقول بعد الصلاة على طه الرسول :

قــدم الشملال إلى ياغلام	فلقد زاد فى الحرب غرام
قــدم الدرع وسيفى والقنا	لاكر اليوم كرات الــكرام
ماثبت لى ضربة قــط ولا	عاش قوم بجرح وسط الخيام
سوف ترون الأرض بحراً من الدما	وترون الجرسقفا من قتام
إنما الدنيـا خيــال زائــل	وكأن الناس فيها فى منــام
أين عنــتر أين غضبان ابنه	يخرج اليوم إلى هــذا المقام

قال الراوى فلما فرغ من شعره والنظام ركب جواده الشملال وهمزه فخرج من تحته مثل ريح الشمال وطلب البراز والنزال فبرز إليه فارس من بنى هوزان فلم يمهله عبدهياف أن يقتل العنان دون أن طعنه بالرمح بين ثديه أطلعه يلمع من بين كتفيه فبرز فارس ثانى وحمل على عبدهياف من غير توانى وجال على جواده إلى أن بقى قدام عبدهياف فلم يمهله حتى ضربه على عاتقه أطلع السيف من علاتقه فبرز إليه الثانى فقتله والثالث دمره والرابع عصره والخامس والسادس عنقله فبينما هو كذلك وإذا قد برز إليه فارس فى الحديد غاطس والشجاعة لائحة بين عينيه فقال له عبد هياف من أنت أيها الشيخ ما أجهلك فى كبر سنك فقال الشيخ يا عبد هياف يا من تعدى طوره وخاف أنا البطل المناع والأمير الشجاع على ما أعطيت من العمر والانساع فقال له عبد هياف ويلك دع عنك هذه الصفة التى تصف بها نفسك لانى ما أنا من أبناء جنسك قال الراوى وكان هذا الفارس هو دريد بن الصمة فلما سمع ذلك الكلام من عبد هياف ورآه فارس كامل الاوصاف تأخر إلى وراء وصار يرمقه بالعين وهو إليه مشتاق وقال له أهلا وسهلا يا عبد هياف يا من شربت به المنال وأعززت بقدومه الغدران والمنازل فقال له عبدهياف دع عنك كثرة الكلام وخذبنا فى ضرب الحسام والطعن بالرمح المعتدل القوم ثم أنه أشار إليه يقول

القوس صدرى والمهند خندق	فأظــل بينهما كليث طارق
وأنا الذى أدعى بهياف الوغى	وشجاعــة لايقاومها مخــلوق
وأنا الذى قاتل الفوارس سابقا	لاخير فى رجل إذا لم يسابق
من كان يزعم أنه بطــل إذا	ضاقت صدور فهو لى متحاقق

(قال الراوى) ثم أن عبدهياف لما فرغ من شعره حمل على دريد بعد أن أغمد سيفه وطعنه بعقب

الرمح الهدام كاد أن يسقيه كأس الحمام فحذفه على وجه الثرى من غير كلام وقال له سر إلى أهلك من قبل أن يهلك فانحدر بطل من بنى هوزان فاأمهله عبدهياف يصول ولايجول حتى طعنه بعقب الرمح تركه مقتول فبرز اليه ليأخذ ثاره ويكشف عنه عاره حتى بقى على مصرع أخيه وأجرى الدموع من عينيه وأشار يقول بعد الصلاة على طه الرسول :

كان لى مؤنس فماد فقـــد   آه واحسرتاه غريب وحيـــدا
أن هـــذا أخى تولى قتيلا   هـد ركننا الرجال مشيدا
وفتى كان للمحافل زينا   لا أراه فى المحفل شهيدا
ها أنا خارج إلى بطل الحرب   كى الاقى ماقد لقاه فقيـــدا

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره حمل الملك عبدهياف فلم يتركه يجول حتى طعنه فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره وبقى بجانب أخيه مجندل وصار كلما برز فارس قتله وعلى وجه الأرض جندله حتى قتل سبعين وأسر مائة وثلاثين والغضبان كلما هم أن يخرج اليه فلم يمكنه من نزول الميدان عنترة الفرسان ويقول ياولدى أناخوفى عليك من غدرات الزمان لأن كل طلبه لك من دون الفرسان لانك أنت قاتل أخيه المرهف ثم أنه صار برده وعما يريده يصده وعبدهياف يصول ويجول فى حومة الميدان عرضا وطولا ويقول أين أبطالكم أين شجعانكم أين فرسان الحجاز مافيكم فارس يلتقينى فى البراز من علق القصيد أين من أدخل نفسه مع الفرسان الصناديد أحملوا على مائة بعد مائة وأن أردتم الفا بعد الف فانا لكم الكفاية وأن كنتم عن حربى عاجزين فولوا من بين يدى منهزمين قال الناقل فلما فرغ عبد هياف أنطبق عليه مائة فارس أماجيد فحمل عليهم ففرقهم ومزقهم وبددهم شرقا وغربا وأبادهم بعدا وقربا ورجع كل منهم ولا يصدق بالنجاة فى تلك الأرض والفلاة وعاد الملك عبد هياف من ورائهم إلى مقام الحرب وموقف الطعن والضرب ونادى ابرزوا واحملوا على الفا بعد الف حتى تتعلموا أبواب الحرب والطعن والضرب فلم يبرز اليه أحد فحمل على جانب من العسكر وقد ظهر الزبد على أشداقه وانقلب احداقه وتمرمر مذاقه وجال عليهم وصال فصارت الفرسان تهرب من بين يديه يمينا وشمالا وخافته جميع الأقران الكهول منهم والشباب فبينما هو على ذلك الحال وهو يجول فى حومه الميدان والمجال وإذا بفارس فى الحديد غاطس وانطبق عليه وجال ساعة من النهار وهما فى جدال ونزال وأدبار وأقبال وكروفر وأخذ ورد وقرب وبعد حتى كلا وملا ووقفا فى تلك الساحة حتى أنهما يأخذان راحة (قال الراوى) ثم أن الملك عبد هياف أوقف الجواد وقال لذلك الفارس

من أنت يا وجه العرب الاجواد لأنى أراك من فرسان الحرب والجلاد فقال له أنا جار العلم حامى بنى كنانة الشجعان وفارس هذا الزمان وأبى مبيد الأقران أبو الفوارس عنترة الشجعان وفارس الميدان فقال له أنت الذى جئت إليه مع أخيك زيدان قال له نعم يا أشجع الشجعان قال له صدقت يافتى الفتيان (قال الراوى) ثم أنهم عادوا إلى ما كانوا عليه من الجال والحرب والنزال والتحما وانطبقا واتصلا والتصقا وأخذا فى المحاربة والمضاربة هذا ولم يزالا فى قتال ونزال وعراك وجدال إلى أن ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال فانفصلوا من بعضهما بعض وكل واحد منهما رجع إلى قومه ورجع جار العلم إلى قومه وتلك الامم فتلقاه أبوه عنتر وأخوه العضبان وغصوب وميسره وزيدان وأخذوه بملاقاة الاحضان وقال له أبوه كيف رأيت خصمك يا ولدى فى الميدان قال له جار العلم والله يا أبتاه ماله نظير فى هذا الزمان ولكن فى غداة أفرج عليه الفرسان فى وسط الميدان وألبسه حلة أرجوان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما) ما كان من عبد هياف فانه لما رجع إلى عسكره تلقوه الفرسان وهنوه بالسلامة من هذا الفارس الدزغام وسألوه عن خصمه فى الصدام فقال ماهوا إلا فارس وقرم مداعس غداً أن يكون عليه آخر الايام ثم أنهم باتوا إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وأنا وأنتم نصلى على زين الملاح فمنذ ذلك نزلت العساكر فى الميدان تريد الضرب والطعان فبينماهم كذلك وإذا بفارس برز فى وسط الميدان ونادى وقال أين خصمى بالامس ويخرج إلى مقام الجولان حتى أفصل أمره فى هذا النهار عيان فها أنا جار العلم ابن أبو الفوارس فما تم كلامه والمقال حتى برز إليه بطل من الابطال وكان هذا الذى ضمن لعبد هياف قتل جار العلم أخو زيدان وكان يسمى همدان بن عسقلان ومازالوا حتى صار مع خصمه فى الميدان وقال له دونك الحرب والطعان وخل عنك قول الهذيان (قال الاصمعى) لما تركه جار العلم أن يتم الكلام حتى ضربه بالصارم اليمان فالقاه نصفين فى الميدان فبرز إليه ثانى فقتله وثالث فدمره والرابع إلى المقابر رحلة وخامس وسادس خلاهم نواكس وثامن وتاسع كل منهم لرفقيه تابع ومازال كذلك إلى أن قتل خمسين فارس وتركهم على الارض نواكس فتوقفت عن برازه الفرسان وهابت الخروج إليه جميع الشجعان فهجم على ميمنة العساكر قتل منها فارسان ورجع إلى الميدان وقال دونكم يا أقران ابرزوا المحل الضرب والطعان ثم حمل على الميسرة وقتل فارسان ثم رجع إلى الميدان وقال يا معاشر الفرسان مادونكم والضرب والطعان وإلا اطلبوا الاقالة من أبى عنتر الشجعان

بشرط أنكم ترتبوا عليكم خراجا من العام إلى العام ثم أنه بعد ذلك الكلام أنشد وقال بعد الصلاة على محمد باهى الجمال :

إلى أبرزوا يا عسكر الهند وأنظروا ... لطن القنا الخطى وضرب الصوارم
وجار العلم أعم فلا تنكرونني ... وسيفى له غمد برؤس القشاعم
وكم جرت مظلوم وفرجت كربه ... وجندلت كل الظالمين الضراغم
كذا عبد هياف مع الجيش خلفه ... ولا أخشى من صولاتهم والدمادم
وجندلت بالسيف اليمانى عداته ... وسقت جميع القوم سوق البهائم
وجندلتهم والخيل تعثر بالقنا ... وصوت سيوف الهند فوق الجماجم
أنا ابن سرات الناس حامى عشيرتى ... رقيت مراق العز فوق القشاعم
بنت لقومى رتبة العز والعلا ... بدون السها والفرقدين بصارم
ياعبد هياف الشجاع أما ترى ... لحربى وضربى لا أميل من الزحائم

(قال الراوى) فلما فرغ جار العلم من شعره ونظامه أوسع فى ميدانه وقال أين عساكر عبدهياف أين فرسان الاطراف أين من يبرز إلى الفارس الرجاف فاتم كلامه حتى برز اليه أنت من الأقران قال له الملك الأخضر سيد الشجعان قال له جار العلم انك كفؤ كريم وسيد عظيم ثم قوم سنانه وحال فى ميدانه وهجم على الملك الأخضر وأخذوا الاثنين فى الكر والفر ومازالوا فى أخذ ورد وقرب وبعد وملاصقة وعما حكة إلى أن تعب الملك الاخضر ورأى منه ذلك جار العلم فاراد أن يطعنه ويعجل حمامه وإذا بزعقة أرعبت القلوب وخلت المعانى مكروب فتبينوا من زعق هذه الزعقة وإذا بها من عبدهياف وقد انطبق على جار العلم وأراد أن يطعنه وإذا بزيدان أخوه قد بادر إلى عبد هياف فى الميدان ورد أخوه جار العلم عن الجولان وقال له ياأخى خذ لك أنستراحه يكفيك مالقيت من الفرسان فرجع جار العلم لانه كان قد تعب وكل ومل وماصدق أن يرى أخاه زيدان لعله أن يكون كفؤا لهذه الفرسان وكان عبدهياف رد الاخضر من الميدان وبق عبدهياف مع زيدان فقال له من أنت من الفرسان فقال له زيدان أنا أخو جار العلم بن عنتر الفرسان قال له دونك والميدان فانطبقا على بعضهما بعض فى الميدان وضاربا مع بعضهما بعض ساعة من الزمان وضاق عليهما فقال عبدهياف للامير زيدان عود إلى عند قومك إلى أن يصبح صباح النهار وأرجع أنا وأنت فى طلب الحرب والكفاح فرجع كل منهم على سلامة وقد باتوا الفريقين وعنير أفرح الخلق باولاده جار العلم

وزيدان إلى أن الصباح الله بالصباح وأرادوا أن يقوموا للحرب والكفاح وإذا بغبار قد ثار فوقفوا قدر ساعة حتى انكشف وبان من تحته فوارس تدل على أنهم مكسورين فلما قربوا منهم قالوا لهما الذى أصابكم فقالوا نحن من بنى كنانة أهل الوفاء والأمانة ونحن دائرين على حاميتنا جار العلم وزيدان قال الراوى فعند ذلك بادر إليهم أولاد عنتر الشجعان وهما جار العلم وزيدان وعرفنى كنانة الاقران فقالوا ما حالكم وما الذى أصابكم فقالوا لهم بعد فراقكم لنا هذه كذا رأتى إلينا خمس قبائل مع غياث بن صائل وغزونا ونهبوا أموالنا فقالوا لهم لا بأس عليكم أموالكم ترجع إليكم وترتد لكم فوقها أموال ثم أنهم أرادوا يمضوا بهم إلى الخيام ليتهمو فى الاكرام فقالوا هذا لا يكون أبداً لاننا خلفنا القبيلة مشرفة على الهلاك وسوء الارتباك فعند ذلك قال لهم عنتر يا أولادى أنتم سيروا إلى قبيلتكم احموها خلا يقيم ذلك اليوم تفاوفوها والله يعز علينا فراقكم لكن من هذا اليوم أمنكم ثم أنه خلع عليهما وعلى أخوالها وأموالهم بألف ناقة وخمسمائة رأس من الخيل الجياد وأعطاهما وأرضاهما وتوذعا منه وساروا إلى قبيلتهما مع أخوالها يأخذوا بثارهما ويخلصوا أموالهم وحريمهم أنهم يقيموا ببنى كنانة وقيل أنهما يقتلو ببعض الغزوات وقيل أنهم يقصدوا إلى يموت أبوهما عنتر ويأخذوا بثاره مع أخوتهما الذين يظهروا من أبيهما عنتر وهم عنترة الجوافر أن الغضنفر ويسلموا على سيد البشر فخر ربيعة ومضر الذى انشق له القمر ﷺ وعلى آله وأصحابه السادة الغرر وهذا ما جرى وذكر ونرجع إلى حديث الأمير عنتر وما جرى له من الحديث والخبر ولما رجع سار إلى الميدان وصف جميع الفرسان وكذلك فعل عبد هياف ملك النواحى والاطراف فإنه الآخر صف رجاله ورتب عساكره وأبطاله وبرز إلى حومة الميدان ومحل الضرب والطعان وقال أين شجعانكم أين فرسانكم أين أقيالكم فبينما هو على ذلك الحال وهو بجواده فى حومة الميدان وإذ هو بفارس فى الحديد غاطس وانطبق عليه ساعة من النهار وهما فى جدال ونزال وإدبار وإقبال وكر وفر وقرب وبعد حتى كلا وملا وقفا فى تلك الساعة حتى أنهما يأخذا الراحة ثم أن الملك عبد هياف أوقف الجواد وقال لذى الفارس من أنت يا وجه العرب الاجواد لانى أراك من فرسان الحرب والجلاد فقال له أن بسطام حامية بنى شيبان وفارس هذا الزمان فقال له صدقت يا فتى الفتيان ثم أنهما عادوا إلى ما كانوا من المجال والحرب والقتال والتحما وانطبقا والتصقا (قال الاصمعى) ونذكر لكم فصلا لاجل التذكار فى تفضيل بعض فرسان العرب الجاهلية وهو كلام محرر أقول والله أعلم أن بسطام بن قيس منهم ذكر الاصمعى رحمه الله تعالى عليه أن الفرسان عرب الجاهلية الذين كان لهم بالشجاعة هيبة وسمعة كانوا سبعة فكان منهم أصحاب الاحساب والانساب أربعة والثلاثة الاخر أمهات أموات ولكنهم أبطال سادات

وفى الحرب أصحاب عزمات فكان الأول من الأربعة هذا بسطام بن قيس سيد بنى شيبان وكان ثابتاً فى الحرب والطعان والثانى ابن عمه الأمير مانىء بن مسعود كريم الآباء والجدود والثالث سبيع بن الحارث الملقب بذو الخمار الذى سائر العرب تحسبه بسبعة آلاف فارس كرار والرابع عمرو بن ود العامرى هكذا ذكروا أصحاب السير وكل رأى معتبر وأما الثلاثة التى أمهاتهم أموات ولكنهم أبطال أمجاد فكان الواحد منهم عنتر بن شداد والثانى سليك بن سلكة والثالث خفاف بن ندبه القوى الحركة فهؤلاء السبعة المذكورين فى ذلك الزمان أبطال الميدان وكان أفرسهم وأشجعهم فى حومة الطراد الأمير عنتر بن شداد لأن هؤلاء الستة وغيرهم من الفرسان فهو هم فى حومة الميدان ولأجل ذلك فضله فى الحرب على سائر الاقران ولا سيما وقد قيل أنه قد ورد فى حقه عن سيد البشر أنه قال كان لبنى عبس عبد عجيب وقيل أنه ترحم عليه وذلك لما ذكروا بين يديه شجاعته وشهدت له مشايخ العرب (قال الراوى) ونرجع إلى ما كنا فيه من الخبر بعد الصلاة والسلام على فخر ربيعة ومصر هذا وان بسطام بن قيس لما برز فى ذلك اليوم إلى عبد هياف وحملا على بعض وتقاتلا طولا وعرض فأتبعه الملك عبد هياف وأكر به ومد يده إليه وقبض على مرافق بطعنه وعصر عليه وجذبه من رجله وحذفه إلى ورائه فصار مومى فى وسط الميدان والفلاه ثم طلب البراز وسأل انجاز فحمل عليه الغضبان وقال له أنا الذى قتلت أخوك ابن أمك وأبوك فقو همتك وأزل عنك عارك (قال الراوى) فلما سمع الملك عبد هياف كلامه انطبق على الغضبان وصالا وجالا حتى حارت منها الأبطال والفرسان وانذهلت العسكران مما أبصروا منهما وهما فى هزل وجد وأخذ ورد وكر وفر ومجاولة ومطاولة من غير مستقر حتى تثلمت فى أيديهما الصفاح وتحطمت الرماح وتعبت الخيل وكلت وهزلت من تحتها وملت مما قاست من همزاتهما ولم يزالوا على ذلك الحال وهما فى أعظم ما يكون من الجدال والمخاصمة والمصادمة والمباجحة والملازمة حتى هجم الليل بالانسدال فافترقا على سلامة وكل منهما لجفة على سلامة صاحبه ندامة ورجع كل واحد إلى قومه وهو يحدث بما لقى من ذلك البدع وأما عنتر فانه تلقى ولده الغضبان وبأسه بين عينيه وشكره وأثنى عليه وقال له وذمة العرب وحق شهر رجب ما أنت ياغضبان إلا فارس منتخب وماقصرت اليوم فى قتالك وحربك ونزالك فلقد أوردت الضرب مليح والتقيت خصمك التقاء صحيح ورجعت من حربة وأنت مستريح لانه والله ياولدى فارس الزمان ومردى اوقران وما لقينا مثله على مدى الامان فقال له الغضبان يا أبتاه وحق خالق

الانس والجان ما هو إلا فارس هذا العصر والاوان وحاوى قصب الرهان وهو بطل درغام وليث همام واسكن فى غداة غدا فرجك عليه فاما انى انصر عليه أو يتركنى قتيلا بين يديه لان ما بقى ينتج بمثله الزمان ولا يجى شكله فى هذا الاوان ثم انهم باتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فعند ذلك اصطفت الفرسان وتقابلت العسكران وانتظروا من يفتح باب الحرب والطعان واذقد برز من عسكر عبدهياف فارس كأنه الليث العابس فى الحديد غاطس فتبينوه الفرسان وإذا به ملك من ملوك الهند قد خاص الاهوال ولقى المصائب الثقال فصال وجال وإذا بالغضبان خرج وطعنه بالرمح عيان تركه ملقى فى الميدان ثم أنه طلب البراز وسأل الانجاز فبرز إليه من جانب العسكر فارس أسود كأنه برج مشيد وكان هذا الفارس مقدم السودان وهو من أقوى الشجعان إلا أنه لما انحدر إلى الغضبان فصال وجال وأنشد يقول : صلوا على طه الرسول .

ما الفخر إلا الطعن فى الميدن ... وبراز الابطال والشجعان
فاعلم يقينا انى لك ناصح ... أن السروج مجالس الفتيان
فلسوف آخذكم أسارى عنوة ... وأبيعكم فى سائر البلدان
ولاضربنكم على هاماتكم ... ضرب بسيف باتر وسنان

(قال الراوى) فلما سمع الغضبان كلامه وشعره ونظامه فما اعجبه ولا انطلى عليه فاثنى رجله على رقبة الجواد ولا التفت إليه فحمل الاسود عليه وقد بالطعنة إليه فردها الغضبان بالدرقة فعادت خائبة بعد ما كانت صائبة فرد الاسود وطعنه طعنة أخرى فردها بالجحفة كل هذا ورجله على عنق الجواد فحمل عليه العبد ثالث مرة وقوم الرمح إليه فضربه بالسيف تركه قطعتين فجذب الحسام وحمل على الغضبان فاغتاظ الغضبان منه وانجمع فى سرجه ووثب عليه وقبض على حلقه واتكأ عليه خنقه وحذفه فى وسط الميدان صار ملقح فى الصحصحان فحارت الفرسان من فعال الغضبان وقالوا من ينزل بقى إلى قتال هذا الفارس الصنديد فعندها تقدم إلى بين يدى الملك عبدهياف فارسا يقال له علاقة بن الحارث وكان جالس وهو ساكت من شدة الغيظ الشديد لا يبدى حتى جرى ماجرى من الغضبان فتقدم إلى عبد هياف وقال ياملك الزمان أنا أجيب لك هذا الغضبان أسير مهان أو أتركه قتيل فى الميدان فقال له أنزل إليه وخذ روحه من بين جنبيه فعندها انحدر علاقة وحمل على الغضبان بقلب من الحنق ملآن فتلاقاه فى ساحة الميدان وتراشقا فى الحرب كالنيران فهجم الغضبان عليه وقبض على مرافق بطنه بيديه وجذبه إليه وشاله على يديه وحذفه فى الهوى فوقع بين أصحابه

ميتا وقد قضى عليه (قال الراوى) ولم يزالوا على هذا الحال حتى قتل أربعين فارساً على هذا المثال فقال واحد من عسكر الهند ويحك الله يا غضبان ما أفرسك وأفرس أبوك بين الفرسان فعندها تقدم إلى الميدان فارس منتخب يقال له الشريد بن المهلب وقال أنا أنزل اليه وآخذ روحه من بين جنبيه فقال له عبد هياف لا يصح لا تنزل اليه جماعة من الفرسان فقال يا ملك أنا فيا الكفاية فلم تطعه الفرسان بل انحدرت اليه جماعة بعد جماعة حتى صار واما ئة فارس من الفرسان العوابس وهو يقهرهم وينزل بهم الذل والوساوس حتى حارت من فعاله الابطال والاقبال هذا والغضبان مال على واحد خطفه وضرب به رفيقه ماتوا الاثنين ومسك بعد ذلك الاثنين وضرب فاتوا الاربعة وهاج كما تهيج الجمال وقد أشبعهم حرباً وقتالاً فصاروا يتنافروا من أمامه ولم يفرقوا الصواب من الخطأ فبينما الغضبان يجول على تلك الفرسان وهو كأنه الأسد الجردان وإذا بفارس هجم عليه وصار بين يديه وكان يقال له كنانة صاحب مروءة وأمانة وقوم نحوه السنان وأطلق العنان وهو كأنه الأسد الجيعان فتلقاه الغضبان فطعنه برأس السنان فى صدره أخرجه يلمع من ظهره وصال بعد ذلك على الفرسان وجال على الشجعان وهاج فيهم لأنه ما اعتنى بكثرتهم وهو يرميهم على وجه الأرض حتى قتل فى حملته سبعين فارس وانهز موا قدامه وعاد الغضبان إلى أبيه والفرسان ماشية بين يديه فتلقاه أبوه وقبله بين عينيه وقال له لا عدمتك يا فارس الأقطار والله لقد أشفيت الغليل وكشفت عنا الأخطار ولكن يا فارس البدو والحضر أريد أن أجهزك بعسكر وتسير بهم إلى المدائن وهم عشرة آلاف فارس من الفرسان العوابس حتى تكشف عن الملك كسرى الحصار يا زين العرب الأخيار لأنه يا ولدى عبد هياف خلا عليه جماعة من عسكره لأجله الحصار وقد ضيقوا عليه الأقطار وعليه مقدم جبار وأشد مغوار تخافه جميع الأقران والشجعان وتخشاه الموالى والعبيد وهو عند الملك عبد هياف بمنزلة عظيمة ورتبة جسيمة وهو الذى على حصار كسرى ومعه شجعان وأقران قال الراوى وكان قصد عنتر أنه يبعده عن عبد هياف خوفاً عليه لا يعدمه الحياة فقال له الغضبان سمعاً وطاعة يا أبتاه وكرامة وقد سلمك الله من الندامة ثم أنه انتخب له عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس وليث ممارس وهم بالعدة الكاملة والدروع السابلة وتقدم عليهم الغضبان وسار بهم قاصداً إلى مدائن الملك كسرى أنوشروان وكان قد صحبه شيبوب فعند ذلك قال الغضبان لشيبوب يا عماه فقال له قل أنت ما تشاء وما تريد فقال له قل لى كيف التدبير فقال له الرأى الذى أنا أعرفه أنى أسير هذا اليوم قبل أن نهجم على القوم وأطلع على أخبار الحارث بن الملك زهير وأنظر إلى ما لقوا بنى عبس من الشر والضير وأقدم عليهم لعلى أن أتسبب فى خلاصهم

الغضبان ياعماه أفعل مابدالك نجح الله أعمالك فإننا تابعين أفعالك ولانخالف مقالك قال الناقل فعندها قلع شيبوب ثيابه من غير مهـــل ولبس ثياب المكر والحيل وهم خرقان ممزقة كان يدخرها لوقت حاجته بعد ما طلى جسده من كعبه إلى قرص رأسه فبقى أبيض اللون وقد تغيرت حالته وعصب ساقية وجبهته بعصابة رثة وبعبع بصوته وبدع بصوته فانفلج وأظهر الإرتعاش فى جثته وجميع أعضائـــه وتوكأ على عصا كانت معاد وعلق المزود فى رقبته وجعل الخنجر تحت أثوابه وسار وهو سالم من الشر والضرر إلى أن وصل إلى العسكر راجيا فى خلاص الحارث ابن الملك زهير وهجم كأنه الغول أو الأســـد المهول فصار كل من رآه بالعين يزدريه ولا يشتهيه وهو مايطلب إلا شيئاً يأكله إلى أن أظلم الظلام فعند ذلك دار بين المضارب والخيام وهو تارة يمشى على رجليه ويديه وتارة يقعد وتارة يحبو ويلقى سمعه لعله يسمع أحدا من الأسارى كذلك على هذا الحال وإذا به يسمع أنين الحارث بن زهير وهو يبكى بكاء شديدا ماعليه من مزيد وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

ترى يجمع الدهر شملى باخوتى	وأنقـــذ مما نالنى من مصائب
وأرجع مسروراً عيش بغبطة	بلذة عيش عند خل وصاحب
أيا آل عبس الأكرمين إلى النها	ويا خير مجد شاع بين الأعارب
أما فيكمو من فارس متقسور	يسير إلينا طالبا غير ذاهب
وينقذنى من حالة الموت عاجلا	ويفنى الأعادى عندكر الكتائب
ألا يالعبس أدركونى جميعكم	بكل همام فى الكريهة وائب
أيا عنتر العبسى لهفى لما جرى	عليك وما قاسيت يوم نوائب
أيا عنتر أيا خير من يمسك القنا	عدمت عتاق الخيل عند التجارب
أيا أبنه الغضبان حاشاك أن ترى	لحالى وتتركنى أقاسى النوائب
أما من زكى يخبر الأهل حالتى	لعلى أرى يوما وجه حبائب

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب شعر الحارث عرفه فلم يبعد عنه بل قصد إليه وعزم على خلاصه وخاف لا يطلع النهار عليه ولاينال مطلوب ولايصل فأتى من خلف المضرب وقلع وتدمن الاوتاد ودخل عليه فأقام الحارث قامته ونظر إليه فرأى إلى شخص داخل عليه من خلف المضرب فحققه وإذا به أبيض اللون فاضطرب منه اضطرابا عظيما وخاف وظن أنه من له عليه ثار واستغفل الحراس وأتى ليأخذ ثأره فصرخ عليه بعيد يانسل الشياطين فقال له لا بأس عليك يا مولاى فأنا شيبوب وقد أتيت إلى خلاصك من هذه الكروب

إننا نكشف عن كسرى الحصار و لك معى أعظم البشارات فان أخى عنتر قد عاد سالم بعد المات، وقد اجتمعت العرب امثال عبد هياف من جميع الجهات من عرب البر و الفلوات و نحن اليوم فى هنا و اطمئنان من ريب الزمان قال الراوى فلما سمع الحارث إلى هذا الكلام وصفا اليه وعرفه من نعته و قال و يلك يا شيبوب من غير لونك و افسد كونك فقال يا مولاى هذه حيلة عملتها حتى أتوصل بها إلى خلاصك من يد قناصك ثم انه تقدم اليه وحله و قد بلغ من خلاصه المامول والمرام و طلع به من الخيام و هو يتخطى النيام وكان اذا تقرب من الحرس فيقف يحرس معهم ويسير وهم لا يعرفوه و يظنوه منهم الى ان جاز به الخيام فى جنح الظلام و هو مثل النمر الحردان حتى وصل به الى الغضبان ففرحت به جميع الفرسان و خلع عليه الغضبان و فرح لما رآه سالم من حوادث الزمان و ترجل عن الجواد واعتنقه و قبله بين عينيه و جاءت له التقاديم و الهدايا و التحف و كل هاداه بما يقدر عليه قال نجد ثم أنهم باتوا حتى اصبح الله الصباح و اضاء الكريم بنوره و لاح فقام الغضبان و ركب من غير جزع و لا خاف و التفت الى الفرسان الذين معه و الشجعان و قال لهم اعلموا انى من امرى على استعجال حتى اردالى ابى و اساعده فى الحرب و القتال و اعينه على الملك عبد هياف المفضال و أنتم تحملوا الحملة واحدة و لا تبالوا بالموت لانه مقدر من الملك المتعال حتى نجعلها وقعة الانفصال ويبقى يضرب لنا الامثال فاجابوه بالسمع و الطاعة و قالوا له ها نحن بين يديك و لو تروح رؤسنا بين رجليك هذا و قد اصطفت الصفوف و تقدمت المائة والالوف و تقاربت الابطال و جالت الاقيال و حملت العساكر على العساكر و الدساكر على الدساكر و تقاربت العشائر و نظرت بنى عبس الى فارسها و راجلها الغضبان الاسد الرئبال كب راسه فى قربوس سرجه و حمل فى الاول فتتابعت خلفه الافيال و عمل الحسام الفصال و الرمح العسال فصار الدم يبرز و الرجال تقتل و السوق اللم يقبل و زاد الفشل و الوجل وعظم الخبال و كثر الملل هذا و الغضبان يفتك بالفرسان و يجندل الشجعان بالسيف اليمان و قد ذهل من حربه كل إنسان و فر الجبان من الميدان و هو يصول فيهم و يجول و يجندل الابطال عرضا و طولا (قال الراوى) فنظر مقدم عسكر عبد هياف إلى فعال الغضبان و ميله فى الفرسان و كيف يجندل الاقران و يهلك الشجعان و حمى حومة الميدان فحمل عليه و قصد اليه حتى أنه يكف شره و يحمى منه قومه فلما عاين حملته الغضبان و عرف أنه قاصد اليه من دون الفرسان أطلق لجواده العنان و قوم السنان و صاح صيحة الاسد الهدار و جبسه تحت يده اليسار و تمطع فى كعوب الرمح و طعنه فى صدره أخرجه يلمع من ظهره فتلقفح على الارض جديل كانه من جذوع النخيل (قال الراوى) فلما رأت ذلك فرسانه و شاهدته أقرانه فالت اليه و حملت عليه و اليه تقاربت و إلى الحروب تبادرت و إلى عساكر

الغضبان قصدت وله طلبت وتصايحت وتصادمت الأبطال وتلاطمت الأقران وتبادرت الشجعان وتقدمت والأنذال تأخرت والسيوف قد تثلمت والرماح تقصفت (قال الراوى) وعملت فى صدور الرجال الاشطان وزادت لهيب الحرب نيرانا وتمنى الجبان انه ما كان ولا حضر حرب ولا طعان وندم على دخوله إلى الميدان وتمايلت الطائفتين وزمزم النشاب فى أيدى الشجعان وغنت البيض الحسان على سماع هذا الميدان وجرى الدم وماج ورقت الصفاح وسمحت الفرسان بالارواح بعد ما كانوا بها اشحاح وافتخر الشجاع وصاح وبفروسيته قد أباح وهجمت ليوث البطاح وهبت عليهم عواصف الرياح ونادت الفرسان لا براح من مقام الحرب والكفاح إلا بقبض الارواح وقتلهم الغضبان الفارس القمقام وقد سقاهم من الموت كاس الحمام والطفاح فشربوها كما يشربوا كاس الرماح فاسكرهم حتى تلقحوا على الرباو البطاح وتلفت الاجساد الصحاح من طعن الرماح وضرب الصفاح وذهب الأرواح من الأشباح وعمل الغضبان عمل وأى عمل شيئا ما سبق على أحد من الجبابرة وحار الحين وزعق غراب البين على من قتل من الطائفين وقال الخصم إلى خصمه إلى ابن فهذا وقت وفاء الدين وقطع المناكب واليدين وشقت الرجال نصفين وقسموا إلى حد اليدين والرجلين وثار الغبار حتى حجب الشمس عن نظر العين وكان الفارس من بنى عبس يغلب مائتين وفى ذلك الوقت اشتهر فارس زين واشتد الحرب والقتال وقوى الضرب بالنصال والطعن بالسمر العوال هذا والغضبان زعق على الفرسان ياويلكم ابذلوا الجهود يا بنى الاعمام ولا تجعلوا لنا وقعة ثانيه مع هؤلاء اللئام فقوت بنى عبس قلوبها وشمت لبلوغ مطلوبها فوقعت الضجة والزعقة بين الطائفتين بأن مقدم عسكر عبد هيافـ قتل وكان قاتله الغضبان سيد الأقران فعند ذلك تقابلت العساكر مع بعضهم البعض وماجت على الأرض واصطدمت طولا وعرضا ومالوا يخبو لهم فى القفار وما ثبتوا بين يديه غير نصف النهار حتى قالوا لبعضهم يا ويلكم ان هذا الغضبان الذى تكلف بقتالنا وقتال ملكنا وحده عام كامل وافنى فرساننا والقبائل ولم يمل من قتالنا وطعاننا فكيف نثبت بين يديه أو نقدم عليه ياويلكم اطلبوا النجاة ولا تموتوا موت مفجاة (قال الراوى) ثم انهم ولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وتنكست راياتهم والقوا لهم مظهورهم وطلبت فلواتها وهزمت ساداتها وكانها هذا والغضبان يضرب فيهم باليمان ويطعن بالسنان حتى شتتهم فى ابعد مكان وعاد وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو يتمايل قدام بنى عبس وعدنان وهم من خلفه كأنهم أسد الدحال وهم فرحين ما حصل لهم من النصر والظفر على ذلك العساكر قال الراوى وكان جميع ما تم لهم وجرى بمشاهدة كسرى وقد فرح بكشف ذلك الشدة وهو يتعجب من تلك الفرسان كيف أنهم على قلتهم كسروا هذه العسكر العظيم وأسقوهم من كاس المنية حميم وبلغوا منهم المراد والمرام فى

قل من يوم قال الراوى فعند ذلك أنفذهم الخيل والأموال والتحف الغوال والخلع وقال لهم أحضروهم إلى الأوطان وأدخلوهم الايوان مع مقدمهم الغضبان لأنه لاشك أنه من الأفران ولا يقدر أحد يلوى له عنان حتى أنه فعل هذه الفعال وأباد كل هذه الأبطال والاقيال فقالوا له ياملك الزمان هذا هو الغضبان أبوه عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد هذا الذى أخذ المال الذى أتى من عند قيصر وله فعايل أكثر من هذا فقال كسرى وحق بيوت النيران لقد فعل فعلا ماسبقه عليه أحد من الفرسان ولا من الجبابرة الأول من الشجعان وماقهرنى إلا قتل أباه ظلما وعدوانا وأن ياترى كيف يكون أخذ ثأره وكشف عاره أو أزرك ذمة لهذا الظالم الكشحان فقالوا له ياملك الزمان البشارة عنتر قدعاد سالم من الشر والضير وهو اليوم قد بارز عبد هياف وهو محاربه وهو بكل خير وعافية ثم إنهم حدثوه بجميع ماجرى لعنتر من الاوصاف من أوله إلى آخره وأعلموه بباطنه وظاهره فحار الملك كسرى ومن عنده حضر من الجنود وقالوا ماهذا عنتر إلا رجل مسعود (قال الراوى) فبينما هم على ذلك الكلام وإذا بصوت بين الإيوان فقال كسرى ماهذا الصوت أدركوا وأنظروا وأبصروا ماهذا الحال وبينوا من فعل هذا الفعال فطلعت المرازبة تتجارى وهم من هذا حيارى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الحاجب لما طلع إلى الغضبان بالهدية والخلع وطلبوه أن يحضر بين يدى كسرى لاجل مايوليه الإحسان فسار معهم حتى أتى إلى باب الإيوان فقالوا له الخدام أخلع لامتك وعدتك فانك داخل على ملك تهابه ملوك الزمان ولا يقدر أحد يقف بين يديه ولا يجلس فى حضرته بعدته وفى ذلك الوقت كان حضر الطعام فصرخ عليهم الغضبان ذلك الصوت المذكور الذى أرعب به الابدان وقال لهم أنا مالى حاجة بطعامكم ولا بقيت أحضر قدام ملككم لانى أنا وذمة العرب الكرام ما أقدر أفارق عدتى ولا أرمى من يدى الحسام ولا أشلح آلة الحرب والصدام وأما إن كنتم تريدون أخذ مهجتى فدونكم مقابلتى حتى أننى أجعل رؤسكم تحت أرجلكم ثم إنه أشهر فى يده الحسام فغضب الحجاب منه وأرادوا أن يأخذوا العدة غصبا عنه فزعق عليهم الغضبان الصوت الذى سمعه كسرى دعوه على حاله وأعطوه منى الأمان وخلوه على مايريد من الفعال لانه تربية الجبال ياويلكم هذا أخذ مال قيصر ولا فكر فينا ولانى شوطنا وأكل أموال الاعراب قوة واغتصاب ولكن أبوه على ماهو عليه فارس منتخب وآلف منه وعنده عقل وأدب وهذا صبى وتربية البادية بين العرب خلوه على حاله ولا تمنعوه من جميع مايريده أنتم شاهدتم قتاله وحربه ونزاله وكيف كسر هذا العسكر الذى صار لنا سنة كاملة فى جدالة فى يوم واحد وأزال عنا الامور والشدائد وكفانا شر هذا الضرر قهر والله الموت الأحمر الذى لايبقى ولا يذر فتقدموا الحجاب

اليه يعنى إلى الغضبان وخدمت الخدام الغلمان وقالوا له ما عليك من بأس ياسيدى الفرسان لأن هذا عادة ملوك الزمان يعملوا هكذا ويخلوا أحد يدخل عليهم بآلة حرب وطعان خوفا من بعض الاعداء وكل خوان وأما أنت ياعروس الميدان وفارس الفرسان فقد أمرنا الملك تدخل عليه بجميع عدتك أيها البطل الصنديد لاننا مثل العبيد لانك كشفت عنا هذه الغمة وارحتنا من هذه النقمة قال الناقل فلما سمع الغضبان هذا الكلام من الحجاب والخدام تقدم ودخل على الملك كسرى وهو جالس فى صدر الايوان فتميزه كسرى ونظر إلى ليز أعطافه وعرض اكتافه وطول قامته وانزعاج عينيه ورآه طفل صغير لانبات بعارضيه فوقفت الغلمان والخدم والسادات ونظروا إلى الغضبان حتى أنه يخدم او يسلم أو يركع فما فعل شيئا من ذلك الامر بل أنه تم ماشيا بين المرازبه والحجاب حتى جلس إلى جانب كسرى فلا سلام ولا كلام فحارت جميع مرازبة الاعجام بما فعل الغضبان من قلة الادب وأما الملك كسرى فانه أستحسن تلك الفعال من الغضبان وقال لفرسانه بلسان الفرس والاعجام أتركوه على حاله ولا تلوموه فما عليه ملام فما هو إلا ملك الموت والسلام لانه على كل حال صبي وأخلاقه صعبة وكل من كلمه أنزل به النكبة فسكتوا الجميع على مغص وقلق هذا ولما جلس الغضبان جعل سيفه على ركبته ونصفه فى غمده والنصف مجرد من غمده وعلى رأسه الخوذة العاديه والترس قدامه كأنه قطعة حجر جلد فقال له الملك كسرى وأى شىء قولك ياغضبان ومال ونوال وأقطاع وبلدان وجوهر ونوق وجمال ويكون هذا بحكمك وتحت أمرك ونهيك وتصير عندى من جملة أجنادى وأفضلك على سائر أولادى وأن شئت قاسمتك فى نعمتى وجعلتك مقدم على جميع أكبر دولتى قال الراوى فعند ذلك قال له الغضبان أيها الملك الموصوف بالكرم مع الجود والمعروف وأحلى ضيافة الضيوف وأغاثة الملهوف وأطعام الطعام والضرب بالحسام والفرحه مع الشباب على المناهل والغدران ومبارزة الاقران والمهاجمة مع الشجعان فى حومة الميدان وأقعدت خلف الجدران مثل المحضر الفزعان لا كان ذلك أبدا على طول الزمان والمدا وأما عن قولك يامولاى تعطينى أموال ونوق وجمال فان أموال العرب كلها بحكمى وتحت نهى وأمرى آخذ منها ما أريد وأترك ما أزهد وأصحابها عندى مثل العبيد الذين فى خدمة مواليها ولكن ياملك الزمان أنت وعساكرك وجندك وخدمك فى أمانى وتحت رمحى وذمامى ما عشت مدة أعوامى إلى أن تفرغ مدتى وأيامى ومن تعد عليك وعلى عساكرك أو على بلد من بلادك أرسلنى اليهم حتى أتركهم كامس مضى ما لهم عودة ولا عرض فقال له الملك كسرى يحق لك أن تقول ذلك المقال والكلام لانك خليفة ذلك البطل الهمام وأنا قد صرت أنا وجميع عسكرى وأجنادى تحت هيبتك لا الذمام (قال الراوى) وبعد ذلك قال له

أبوك أين خليته فقال له فى مقابلة عساكر عبد هياف وهو معرض نفسه على التلاف فسألة الملك كسرى عن الملك عبد هياف وشجاعته ومعرفته فى الحرب فقال يا ملك وحق الرب العظيم ما هو الا فارس عظيم وبطل جسيم ما يوجد مثله فى سائر الاقاليم لانه اسر الف ملك من ملوك هذا الزمان وانه وحق ذمة العرب ما هو إلا فارس منتخب وبطل ندب منتدب وتغفير القبائل هو عندى وبقى معرفتى عجب لاى شىء فى هذا من الفخر والانتساب لان تحت يده الف ملك يهاب ما يقدر أحد يسطو على قبيلة من الاعراب لان الذى يخاف من شجاعته يخاف من كثرة عساكره واجناده ولكنه والله فارس عظيم وبطل جسيم وشجاع كريم ولكن سوف يلتقى هو وابى عنتر ويبان الفارس الناكث والبطل المداوس هذا كله يجرى والملك كسرى يصدقه فى الكلام قال الراوى ثم انه بعد ذلك أمر باحضار الطعام فانزلته بين أيديهم الغلمان والخدام وكان فى تلك الحضرة جماعة كثيرة من اكابر الاعجام فاكلت السادات الكرام مع الملك كسرى والفتى الغضبان واكل من تلك الاطعمة شيئا لم يعرفه ولا يسمى له ألوان ولا سيما أطعمة الأعاجم فأكل كل السادات الكرام ما طاب لهم من الطعام واكلت الناس والقعود والقيام وصار كل من شبع قام ويقعد بعدهم أقوام والغضبان بارك بروك الاسد ويأكل بشدة عزم واهتمام وهو يقطع ويبلغ وكسرى ينظر اليه ويضحك حتى تغيرت عليه سبع طوائف وهو بارك مثل الاسد ورأسه مطاطيه وقد طاب له ذلك الطعام وصار الملك كسرى وجميع اجناده ينظرون إليه ويتعجبون من اكله ثم بعد ذلك رفعت آنية الطعام وغسلت ايادى الرجال إلا الفتى الغضبان فانه صار يدعك يديه فى بعضها بعض ومسحهما فيما حوله من الحطام وبعد ذلك أمر بإحضار آنية المدام فاحضروه أولاد السهارجة وهو عاقد تعتق وراق وصار اصفى مدموع العشاق فصار الساقى يملا ويناول الغضبان وهو كلما أتى اليه شىء شربه فى قدح أنكا أو بطامة فى أوانى ذلك الزمان فشرب الكل وهو جالس بين الاقوام هذا والجميع قد سكروا فى مجلس كسرى الملك قد حار ولحقه الانبهار مما قد رآه منه فى اكله فى الطعام وشربه فى المدام وقال فى نفسه أن عاش هذا الغلام أبطل ذكر ابيه وذكر جميع الفرسان ولا يبقى لغيره ذكر يذكر ولا اسم يشهر بين اقران لانه ما يبلغ من العمر عشرين عام وهذه الفعال فعلة بين الانام ثم إن الملك كسرى قال له الغضبان أما تتمنى لك تمنية فقال له الغضبان يا ملك الزمان أما قلت لك من قبل هذا الكلام أن التمنيه عندنا حرام لان أموال العرب وما لها من الانعام تحت حكمى آخذ منها ما أريد وكل من خالف قطعت رأسه بهذا الحسام فتعجب الملك منه ومن قلة عنايته بالفرسان فامر له الملك بعشرة الف دينار والفين ناقة ومائة رأس من الخيل الجياد وبات عند كسرى فى أعز مكان إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك أمر الغضبان العسكر بالرحيل عن بكرة

أبيها ولم يتخلف منهم إنسان وركب الغضبان وتقدم فى المقدمة كأنه الأسد الحردان فقال له الحارث بن زهير يا عزيز القوم لما طلبت من الملك كسرى الدستور حتى لا يقطع علينا عتب ولا لوم فقال له الغضبان أى شيء هذا الكلام هذا ما صواب وأى شيء هذا الدستور فأنا كأنى بحكم هذا الملك المرتاب فأنا بحكم نفسى أن أردت سرت وأن أردت أقمت فى هذه البرارى والهضاب لأن كلا منكم خالفنى عن الذى أشتهيه قطعت رأسه بهذا الحسام (قال الراوى) ثم أن الغضبان سار مقدار فرسخ فى تلك القفار وهو يتحدث مع أصحابه ويتناشدون الأشعار فبينما هم مجدين فى تلك البرارى والقيعان وإذا قد لحقهم الوزير وزير الملك كسرى أنو شروان ومعه مائة ثوب أطلس وهى على سائر الألوان ومائة ألف دينار ومائتين زردية ومائتين خوده تتوقد من الطلى انقاد ومائتين سيف من السيوف المذهبة الحداد ومائتين رمح هن الرماح المداذ ومائتين من الخيول الجياد قال نجد فلما رأى الغضبان إلى الغبار قد أقبل وبان التفت ينظر من خلفه ويقتفى آثاره وإذا بوزير كسرى قد أقبل إليه وسلم عليه واعتذر إليه من التقصير وقال يا غضبان أن الملك يسلم عليك ويقول لك أن هذه الأشياء على سبيل الهدية ويسألك قبولها فخذهم وامضى إلى أبيك عنتر وسلم له عليه وكان مما وقع من الأمور أن الإعجام أعلموا الملك كسرى برحيل الغضبان من غير دستور فقال لهم يا قوم إن هذا رجل ربى فى البادية بين الجبال والصخور ولا يعرف أى شيء يكون الدستور ثم أن الملك أمر فى عاجل الحال بإرسال جميع ما ذكرنا من المال وسار به الوزير حتى أوصله إلى الغضبان فأخذهم وسار بهم وهم للملك شاكر وهو يجد المسير هو وعساكره حتى أشرف على أباه فوجده قد دقت كؤساته ونعرت بوقاته ونشرت راياته وكان فى ذلك الوقت عنتر فى الميدان يطلب الحرب والطعان وهو يصول ويجول على ظهر الحصان ويطلب ملاقاة الشجعان وكان قد أسر عشرين وقتل أربعين من الاقران إلى أن توقفت عنه الفرسان وصارت العساكر تنظر إليه شذوا وترمقه حذرا ولم يجسر أحدا يتقدم إليه ويقاربه ولا يحمل عليه فأشار إلى ناحية عبد هياف يطلبه إلى المجال ويطلب منه الحرب والقتال وكان الملك عبد هياف فى ذلك الوقت مشتغل الخاطر مما عاين من كسر عساكره لانهم قدموا عليه من المدائن مكسورين يشكون إليه بالويل والثبور وعظائم الامور وما فعل فيهم الغضبان من الذل والهـــوان وكيف شتتهم فى البرارى والقيعان وكشف عن كسرى الحصار فلما حضروا المنهزمين قدامه وخبروه بهذا الخبر فازور منه البصر وجذب سيفه وضرب منهم رقاب عشرين نفر وترك كل واحد منهم على الارض معفر وهو يقول ياويلكم يا كلاب البر أكون أنا عبد هياف بن الملك طلعة وتنكسر

عساكر (قال الراوى) وأما النضبان فإنه لما قدم من المدائن ورأى أباه فى الميدان فهمز حصانه إليه وأقبل بكليته وهو فرحان بما وصل إليه من الاموال وحدثه بجميع ماجرى له عند كسرى وماوصل إليه من الهدايا والانعام وحديث الحارث بن زهير وكيف خلصه شيبوب من الآلام ثم أنه قال له وأنا ابتاه فى خاطرى أفرق من المال الذى معى على الابطال وسادات العرب وأهل المناصب والرتب فقال له افعل ياولدى ما بدالك نجح الله أعمالك لان المال ماخلق إلا للبذل والبخيل ماله إلا القتل ففرح النضبان بقول أبيه وعاد إلى تلك الاموال التى جاءت فى صحبته وفرقها على جميع الرجال والابطال الذين كانت معه وفرق منها شيأ على أمراء القبائل أصحاب الجنود الجحافل فهذا ما كان من النضبان (قال الراوى) وأما ما كان من عنتر الفارس القسور فإنه قاتل ذلك اليوم إلى آخر النهار وقد قدم الليل باعتكار فرجع إلى الخيام وجلس حتى استقر به المقام وأحضر له الطعام فأكل وأخذ له راحة فى المنام حتى طلع الفجر فقام وركب جواده الابجر الذى كلما كبر وعمر ازداد قوة على خيول العرب وعلى كل جواد مفتخر ثم همزه فصار فى الميدان وصال وجال أنشد وقال صلوا على باهى الجمال

أنا عنتر لاتنكروا فعائلى ... أنا ضارب بالسيف رؤس القشاعم
أنا أخذ النوق العصافير قوة ... لو أرديت بنى شيبان برمحى وصارم
ولاهبت فرسان العراق جميعهم ... وثرت على النعمان بالسيف هاجم
وجئت إلى كسرى فرجت كربه ... وجندلت كلب الروم بعضب مقوم
وقاتلته والجيش من خلف ظهره ... ولم أخشى جولانهم والدمادم
وجندلت بالسيف اليمانى عداته ... وسقت ليوث الفرس سوق البهائم
وجندلتهم والخيل تعثر بالقنا ... وصوت سيوف الهند فوق الجماجم
أنا عنتر العبسى حامى عشيرتى ... رقيت مراقى العز ما كنت نائم
بنت عبس رتبة العز والعـــلا ... بدون السها والفرقدين بصارم
عبلة لو شاهدت فعلى وموقفى ... وطعنى وضربى على الحام باللهاذم
وكم قصدوا نحوى بجيش كأنه ... جبال تهد الارض شرس ضراغم
يرموا قتالى بكل فارس درغام ... بأبيض فصال واسمر قائم
ألا اخبروا النضبان عنى وقل له ... فدتك عيونى من أمور عظائم
سآخـــذ ثارى قوة وجهاده ... وأنهب أموال الرجال بصارم
واسطو فى عبس وآل هوازن ... هزابر كماة لايخافون لوم لائم

فنادى غصوبا ثم غضبان بادروا ... إلى نصرتى فى نسل قوم أكارم
أيا عبد هياف الشجاع أما ترى ... إلى شيخ حرب لايمل التلاحم
فإن شئت أوريك حربا بأسمر ... وإن شئت ضرب بالسيوف الخادم
أنا عنتر المعروف فى الحرب والقنا ... أنا النسر فى يوم الوقيعة حاكم

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره وأتم نظمه ونثره وهو واقف ولم يقدر احد ينزل إليه وهم خائفون منه فعند ذلك خرج إليه ولده الغضبان وساق جواده وسار قدامه وقال له ويلك يا إبتاه أى شىء حل بك من الأمور لا تسكن قد كبرت وعجزت عن لقاء كل فارس مذكور فلم لاتهجم عليهم وتخوض فى عساكرهم وتقتل أصاغرهم وأكابرهم والا فتأخرت أنت إلى ورائك وخلنى أنا أقاتل كل فارس مذكور وأنظر كيف أفعل بهم وما أدعك تعود من الميدان إلا فرحان مسرور فقال له ياولدى أن الأمير يسير والخطيب حقير وأنا لها ولامثالها ولكن أرجع ياولدى وأجعل بالك من قومك لأننى نظرت إلى عبد هياف وقد حمل على قطر من أقطار العساكر وأنا أعرف أنه ماحمل هذه الحملة إلا حتى يهدى، شمت الحصان وفى هذه الساعة يرد إلى الميدان قال مجد وكان الملك عبدهياف لما نظر عنتر مع ولده الغضبان يتكلم معه فى حومة الميدان وكاد قلبه أن يطير واحترق فؤاده بنار السعير فكب رأسه فى قربوص سرجه وحمل على جانب من جوانب العسكر وغاب فيهم ساعة فرأى جواده قد قصر وبقت قوائمه راجفه لأن قاتل عليه قتالا تعجز عنه الأمم السالفه وكان وقع فى الجواد طعنة عظيمة وبعض ضربات بالسيوف جسيمة فقال لعبيده إئتونى بوادى البرق قال مجد وكان هذا الجواد ثابت الجنان يصيد عليه الوحوش والغزلان فأحضره إلى حضرته فنزل إليه وقبل غرته ومسح بيده على ناصيته وقفز وصار على ظهره وأشار يقول :

ألا أننى قد طفت كل المعالم ... ودزت على عربانها والأعاجم
فلا تجهلوا فعلى وكل شجاعتى ... فإنى جسور فى اللقاء والتهاجم
ألا فاخبروا صدى إذا الحرب شمرت ... وهالت على الهامات بيض الحواكم
ألا فاخبروا عنى لعنتر الذى ... سأرغمه عند اشتباك اللهادم
وخبره عنى إننى ساذيقه ... كؤس المنايا من سموم الأراقم
وأقهره من بعـــد هتك عبلة ... وأشهرها بين الورى والعوالم
ليعلم إنى الفارس البطل الذى ... رقيت مراقى العز والدهر خادم
تنبه يا مغرور إن كنت نائما ... لأنى غداة الحرب قرم مقاوم

أما سمعت أذناك يوما بموقفى وقد فزعت منى الرجال القشاعم
بأنى أقطع فى المجال رؤسهم وحكمت سيفى فى الرجال الضراغم
ومن عرب العربا فخرى ونسبتى وذكرى علا للجو بالسعد قائم
ستعلم يا هذا ويظهر ما خفى بأنك فى الهيجا قتيلى بصارم
أيا عنترا إن كنت تخشى كماتها تقدم إلى ليث قرم ومقاوم
وإلا فأرجع عن حروبى راشدا وخبر عن قرم شجاع ملازم
ولا تك صبيان الحروب ومن إذا رأى نارها شوى الوجوه الصلادم
يولى ولايلوى إلى خلفه ولا يعار إذا ولى ولو كان نادم
وإنى قد لاقيت ألف مدرع ملوك حماة لا يخافوا التهاجم
قطعت نواصيهم وفرقت جمعهم وشتت عربانا لهم والأعاجم
فقولوا لغضبان إذا اشتهيت لتلتقى لمثلى فى الهيجاء قرم ملازم
وقل لغصوب يحسن الطعن بالقفا يكن علينا فى الوغى باللهازم
وميسرة فى الحرب يظهر ضرابه إذا اشتهرت فى الحرب بيض الصوارم
أنا عبد هياف الذى شاع ذكره إذا ما رأيت الموت كنت مهاجم
ولا بد لى من أخذ عنتر فى الوغا وأتركه ملقى عفيرا ونادم
وتنظر أبطالا لكم قد تهاربت فزعاً لما قد نالها من عزائم
أسرت دريد ثم أتبعت عامرا كذلك غشم قدته قود البهائم
أبا عنتر إن كنت فارسا فى اللقاء فابرز ترى منى أمورا عظائم

(قال الراوى) فلما فرغ عبـــد هياف من إنشاده وكان قد ركب جواده واعتد بعدة جلاده وهو قائم فى سرجه كأنه قد صب فيه من غير إزعاج وعيناه تتوقد مثل السراج فعندها دنا منه وتقرب إليه وأراد الحملة عليه فتلقاه عنتر وأشار إليه يقول:

اليوم يعرف كل خصم خصمه يوم النزال إذا التقى الجمعان
اليوما يحلو للفوارس حربها ويطيب فيه الطعن بالمران
إنى لعنترة الوغا وشجاعها بين الجيوش وآفة الفرسان
أن تزعم فيك ما قـــد قلته فأثبت ترى عجبا لذاك عيان
هـذا المقام لـكل قرم عاشق سمر القنا ليث هو مقام هوان

قال الراوى فلما فرغ عنتر من مقاله وذلك النظام أراد الحملة على الملك عبد هياف

من غير جزع ولا تخلف فرآه وقف على جواده البرق وهو عازم عليه مثل الودق ولا يعبأ بالرجال ورأى عنتر وهو ناظر إليه يقول صلوا على طه الرسول :

دعوات إلى البراز فتى هماماً   وجئت أعز صمصاما حسام
أعز هزته يـــدى لاح برقاً   وابصرت الدما له غمامـــاً
فكم بطل ضربت بـــه قفاة   فخر مطموحاً تحت القتام
وكم قرم تركت نساه تبكى   وأولادها لـه صارت يتامى

(قال الراوى) هذا كله يجرى من عبد هياف وعنتر ينظر إليه وإلى ركوبه وقوة همته فأجاب يقول صلوا على طه الرسول :

يامن أتانا بالقتال مقبـــلا   أثبت قـــد أتـــاك نبيـــلا
أنى لعنترة الفوارس فى الوغا   مردى العـــدا وأذلهم تذليلا
أن كنت يا هياف تزعم اننى   ما لقيتك فـــذاك قولا جهولا
هـذا مقام الحرب يشهد أننى   لا أثنى عن فارس بهـــلولا

(قال الراوى) ثم أن عنتر قصده من غير فزع ولا جـذع وطلبه ومال اليه وقـد انقلبت فى أم رأسه مقل عينيه فتلقاه الملك عبد هياف وقد أشار اليه يقول :

يا أيها الفارس المبارز مهلا   خلى عذلى فلست أقبل عذلا
أنما قـــد أتاك ليث همام   هزبر ملك واسع البرايا عـــلا
قانا · فارس البـــلاد جميعاً   فأنظر الحرب بين جـــد وهزلا

قال الراوى فلما فرغ عبد هياف من نظامه وسمع كلامه فقال له ويلك ياعبد هياف نحن جئنا إلى نشيد الأشعار أو إلى ضرب السيف البتار فان كان مرادك الأشعار فأنا أنشدك أشعار وأخبار شهر كامل الليل والنهار وإن كنت جئت إلى الحرب والقتال فدونك وضرب الصقال والطعن بالسمر العوال ثم حملا على بعضهما بعض وجالا طولا وعرض وقد تقاوبا وافترقا وتقاتلا والتصقا وكان حربهما أولا لعبا ومزاح فانتقلا إلى الجد والكفاح والطعن بالرماح والضرب بالصفاح هذا وعنتر يحط على عبد هياف ضربات قويات كأنها الجبال الراسيات وطال بينهما المطال والحرب والقتال والطعن والنزال حتى تعجب الناس منهما ومن ثباتهما وكلت الخيل من تحتهما الساعة من النهار وقد انعقد عليهم الغبار ثم أنهما افترقا على سلامة وما خلى كل واحد منهما ملامة وكل منهما ينظر إلى صاحبه شزراً ويرمقه حذراً

فقال عبدهياف يا عنتر أنت تعلم أن الخيل منا كلت وملت ومن العرق ابتلت ونواصيها اضمحلت من كثرة الحرب والقتال وما نالها من الضرب والطعان فانزل بنا على وجه الأرض فانها اثبت لنا من ظهور الخيل فقال عنتر دونك ما تراني لأني اراك فارس شديد والله ما كنت في الحرب إلا منصف وفي العظام مخالف (قال الراوي) ثم أنهما ترجلا إلى وجه الأرض وطلب بعضهما بعض واقبل كل واحد منهما على صاحبه وعرف طعانه ومضاربه وكل واحد منهما كأنه البرج المشيد وكان في تلك الأرض صخور واحجار كبار وصغار فصار واتلك البطالين يترامو ابها باليدين وكان احدهما يحمل الحجر الذي قدر حجر الطاحون ويضرب به الآخر فيأخذه في الدرقة ويبطل ضربته وقد أظهر كل واحد منهم صنعته وبين ماعنده من القوة والبراعة والشجاعة وكان بينهما ساعة وبالهما من ساعة كشف الموت فيها قناعة ثم أنهما اصطدما والتحما وتقاتلا إلى أن فرغت من بينهما الأحجار وطال عليهما المطال وضجروا من الحرب فوثب عبدهياف إلى ناحية عنتر وكان بينهما مقدار ثلاثين خطوة وضربه على خوذته بحسامه ضربة بطل قسور فقطعها وطير بعض حلق المغفر ووصل ذبابة السيف إلى رأسه فأسال دمه وسار بها يحفر فصار خت عسكر الهند والسند حتى ضج البر الاقفر فعند ذلك خرج الغضبان من بين أصحابه وصرخ على أباه وعن وقوفه نهاه وقال له أي شئ هذه الفعال يا شيخ النحس أما قلت لك أنت بقيت جبان لما قاسيت من الحرب فلا بقيت أبي ولا أنا ولدك فقال عنتر يا ولدي ويا من هو عزيز على كبدي إعلم إنني تربته الحجاز وقاسيت كثيراً من الحرب والبراز ورأيت أهوالا من الحرب والصدام وهذا على قلبي أحلى من المدام ورائحتها في أنفي الذمن رائحة التفاح وأيضاً أحلى من وصال الخوذ الرداح ومن تناول الأقداح في المساء والصباح فتبسم الغضبان من كلامه وقال له والله يا ابتاه ما هو إلا فارس جحجاح فهذا ما جرى لعنتر والغضبان وما تم له من الامور والشأن وأما (ما كان من بني عبس وعدنان فأنهم انكسرت قلوبهم وأيقنوا بهلاكهم بعد هلاك الامير عنتر ويحل بهم الذل والضرر وذلك على يد الملك عبدهياف المنتخب مما جرى عليهم ذلك اليوم من التعب وعول أكثرهم على الهرب فهذا ما كان من هؤلاء وما دار بينهم من الكلام (وأما) ما كان من عبد هياف الهمام فإنه لما عاد إلى أصحابه من الحرب والصدام فتلقاه صديقه الملك الاخضر وقبله بين عينيه وقال الله درك يا فارس الآفاق ومديق فرسان الذل والمحاق فقال له عبد هياف وحق خالق البشر ومن زين السماء بالنجوم والقمر لاسمعت لا رأيت ولا التقيت عمري أفرس من عنتر هذا لأنه يلتقي الضرب مليح ويرد الطعن صحيح ولو كان ولده الغضبان عنده هدرا وقت الحرب والكفاح ما كان على وجه الأرض أفرس منه في الحرب والضرب بالرماح لان أباه هذا الشيخ النحس اثبته

منه فى الحرب وضرب الصفاح وأجلد لاحتمال الرماح لأنى وحق ذمة العرب الجياد جرحته وما ظننت أنه يقدر يضبط روحه على ظهر الجواد رأيته ضحى وعاد إلى أفرس مما كان وهو والله فارس شديد وقرم عنيد ويلتقى بصدره الضرب الشديد والطعان ولا يهاب لقاء الفرسان قال الراوى ثم أنهم باتوا وهم فى افتكار ولم يأخذهم منام وكل منهم مايدرى ماقضاه الملك العلام وكان شيبوب أخذ جواد أخاه وربطه بعيد عنه فصعب ذلك عليه وقال له ويلك ياشيبوب لم لاربطت الجواد فى مقابلى لانى لا يطيب قلبى وتنطفى نار كبدى ويقل كربى إذا لم يكن قدامى مربوطا فقال له عروة برقة كلام ولطافة نظام فلم نزلت من عليه فى الصدام فقال عنتر والله ياأبا الأبيض أنا مانزلت من عليه إلامن عبدهياف لانى خفت عليه منه لأنه بطل عنيد وقرم شديد وشيطان مريد وقلت ربما يعدمنى حسه فلاقيته راجلا وفديته من العطب لأنه أفخر من خيول العرب ثم إنه أشار يقول صلوا على طه الرسول

لا تربطن جوادى من وراء دارا ... أن المنية تأتى المذور أندارا
إن الجياد وأن أعتبت من شر ... تسرى بهم فى مسير الريح أخبارا
كم من ملوك ومبذال براحته ... قد أبذلته رماح الحى أقدارا
تحمى بهيبتنا الأشبال دائرة ... ما يختشون إذا ما قرمها دارا
معودين الطعن فى العدا وبه ... مجنبين بها جودا وأبكارا
جالت الخيل تغدو ليس يعصمها ... الا ضرابا ينجى الحى والجارا
مراتع الخيل عند الدارعين لها ... أزكى من المسك فى الآناف أعطارا
عبد هياف يا من لا شبيه له ... عند اللقاء إذا ما خصمه جارا
أتاك عنتر قرم لا مثيل له ... إذا الرماح دانت مثل أمطارا
ولا يغرك جرح قد لمست به ... كتفى فانى عليك اليوم كرارا
بل التق طعنكم والضرب فى بدنى ... ولا أولى ولو حلت بى أقدارا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام فقام شيبوب الهمام وأحضر الابجر وأسرجه وألجمه وأوقفه بين يديه فى تلك البطاح فطاب قلبه وارتاح وصبر حتى طلع الصباح وأضاء بنوره ولاح فعند ذلك ركب عنتر وبادر إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وجال على ظهر الابجر وصال وطلب الحرب والقتال وإذا بالملك عبدهياف برز إليه كأنه الاسد وثبته إذا كان ضارى على فريسته وقال له أهلا وسهلا بك يافارس العرب لقد طاب معك الحرب وحق شهر رجب لانك والله فارس منتخب وقد اشتهى قلبى لقاك لاجل حلاوة

شمائلك وخفه مضاربك عند ملتقاك ولكن قدقيل فى سالف الأزمان عند الامتحان يكرم المرء أو يهان وأنت ليث الميدان وعروس الفرسان ثم أنه أشار يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول :

جوادى جرى يحاكى الرياح ورمحى لا يشابـــه بالرماح
وللحر الحر فى ذا اليوم صبرا إذا كثر التشاجر والصياح
ومن طلب القرار نهار روع فيلبس خلعـــة بالافتضاح
وهذا عبد عبس قـــد أتانى يروم لقاء مثلى فى الكفاح
وما يدرى بأنى عند حربى أجندل الفوارس فى البطاح
وسيفى صارم عضب ثقيل يقد بحدة بيض الصفاح
وانى عبد هياف المسمى أنا الجحجاح فى يوم الكفاح

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره وسمع عنتر نظمه حمل عليه وانطبقا على بعضهما بعض مثل الغمام وأخذا فى الطعن والصدام ولازم كل منهما على الافتراق والالتزام والاقدام حتى تزلزلت منهما الاقدام وغابا عن الابصار تحت القتام وفى دون ساعه من الزمان عرفا بعضهما بعض غاية العرفان وزال الطمع من رؤسهما وشخصت نحوهما عيون الفرسان ويخبركم نعلمكم بصحة الاخبار بان ما جرى لاحد من الفرسان الذين هم فرسان الجاهليه من مآثر المبادمثل ماجرى بين الملك عبد هياف وعنتر بن شداد لانهما كانا فارسين شجاعين وأسدين ضاربين وجبلين متلاصقين وبحرين زاخرين وكبشين متناطحين وقد اجتمعت سائر الأوصاف فى عنتر بن شداد والملك عبد هياف وكانت قد تعجبت الطائفتين مما رأت فى ذلك اليوم من المبارزة بنظر العين وما شاهدت من ضرب يوصف وطعن قد اختلف وقد سمحا بالارواح بعدما كانا بها شحاح لشدة ما وقع بينهما من الحرب والكفاح لانهما شبه جبلين التصقا بالابدان أو أسدين أكوالين قد جالا فى الميدان وهما فى أخذ ورد وقرب وبعد وهزل وجد ثم أنهما تطاعنا بالرمحين وتضاربا بالسيفين حتى هفتت منهما الروحين وزاد أمرهما عن حد القياس وآيس كل واحد من نفسه كل الاياس وأبصرت الاعين نظرا ليس بالسماع على ما جرى لهؤلاء وهما يزومان كانهما السباع أو كانهما خيول تستبق أو جبال تلتصق وتفترق أو نيران تتأجج وتحترق أو بحرين يفيض كل واحد منهما على الآخر ويندفق قال الاصمعى ولقد سمعت عنهما عجائب لم أقدر أصفها باللسان وغرائب تشيب منها روس الشبان ومارأيتها عيان إلا أننى كتبت بعضها وبعض ما سمعت واقتصرت جهد ماقدرت وقيل لى عمن رأى وسمع أن الرماح بينهما صارت قطع وما بقى منها شىء ينفع مما قاسوا فى ذلك اليوم الاشنع من الضرب

والطعان هذا وقد سالت دماؤهما من الأبدان وخفتا من الصياح وأثخنا بالجراح وضاقت عليهما الروابى والبطاح وصار الفريقين ينظروا إليهما بالأحداق وهما فى ضيق الخناق حتى يعرفوا ماتم عليهما ويذموا الزمان الذى جمع بينهما فى الميدان من كثرة الاوصاف وخافت العساكر على عنتر وعبدهياف وكان آخر ما بقى معه من أبواب الحرب والطعان لت حديد وزنه ثلاثين من أوزان ذلك الزمان وكان كما ذكرنا جبار عنيد وإذا غضب على أحد خاشيته أو من عساكره الأحرار أو العبيد فيضربه بذلك اللت يجعله ملقح على الصعيد إلا أنهما غضبا على بعضهما بعض ويصعب على عبدهياف قتال عنتر فى ذلك اليوم الشديد أخذ اللت من تحت فخذه ووثب وصار على وجه الأرض وهو قائم على الأقدام وصار يجرى كجرى الغمام أو كأنه النعام وجال على عنتر أسرع من ريح الشمال وركض حول عنتر كأنه جواد حل من الشكل وكان تارة يأتيه من اليمين وتارة يأتيه من الشمال وتارة يهز اللت الحديد وتارة يهز الرمح المديد وهو يهيج كهيج الجمال إذا فارقتهم النياق هذا وعنتر لا يكل بل أنه إلى حربه مشتاق (قال الراوى) وكان هانىء بن مسعود واقف قدامه خوفاً على عنتر من صدامه وكان الغضبان قدم أن يهجم ويخلص أبيه من المهالك فلم يمكنه هانى بن مسعود من ذلك بل أنه قال يا غضبان ما الحرب إلا أنصاف وكل القلوب تريده وتشتهيه وما هو الواجب لك معاونتك عليك وهما فى غاية الجهد والمطال على هذا الحال (قال الراوى) وكان عبدهياف ظن أنه أتعب عنتر قد اعتراه الكلال فصاح فيه أنهره وقال تنبه ياولد الزنا ثم أنه حذفه باللت الحديد وكان عنتر لضربته مستفيق فطلع من يده كأنه حجر المنجنيق فلما نظر عنتر إلى ذلك اللت الحديد وسمع لهدوى كأنه الرعد الشديد فالتقاه عنتر من الهواء بساعد شديد وقوة قلب وجنان وقال له ما هو مليح يا نخل الرجال ضربك باللت وبرخ بطال ثم انه هزه حتى طار منه الشرار وزعق عليه زعقة عظيمة لحقه منها الانبهار وضربه باللت كاد أن يهد أساسه وطارت البيضه من على رأسه ومال وقد تمتمت اضراسه وداخ لأنها ضربة ما تشبه الضربات لأنها أجرت الآدمية من جميع وجهه ومناخيره حتى أيقن بالممات فعند ذلك حل عليه عنتر وقرع رأسه بالرمح ثلاث مرات وقال له يا ملك ما أنا من يجور عليك فى القتال إرجع إلى قومك فى هذه الساعة ما أنت فى عقلك وقصرت فى حبال بما نابك وبما حصل لك من الانذهال وجورى عليك ظلم وزيادة الأهوال لأننى كما زعمت عبد ولا لى حسب بين الأبطال وما اسمى عندك وعند غيرك إلا عبد راعى جمال وأنت ملك وابن ملك صاحب جيوش وأبطال وفرسان وأفيال ثم أنه بعد ذلك المقال أنشد وقال ونحن وأنتم نصلى على باهى الجمال :

لا يغرك أيها الملك هذه الدنيا فتهلك	كم أتوا قبلنا ومضوا
هلكوا من بعد ما ملكوا لم يغرهم كثرة عسكرهم	عندما أضحت لهم شركو

وغدت بالهو تضحكهم ثم لما أدبرت بكوا وغدوا بالذل فى حدث
وبعد العز قد هلكوا وبقت أجسادهم رمما وسلموا من بعد أن سلكوا
كم شجاعا صار منفردا وعليه الصخر منسبك كان لايخشى الألوف ولا
يرهب الأبطال إذ فتكوا ماترى النمرود حين طغى وبغى إذ غره الفلك
وعلا فوق السور وقد رده فى نفسه الملك ببعوضة صار منهتكا
وهى وسط الرأس تتحرك وكذا فرعون ألقته نفسه فى النار مرتبك
أين شداد بن عاد ومن ملكوا فى الأرض ملكوا أين أهل الرس أجمعهم
ما تراهم فى الثرى تركوا وكذا الدور والسلوا يملك الفرس قد ملكوا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من كلامه وشعره ونظامه وعم عبدهياف قوة اهتمامه فعرف أنه لو أراد هلاكه أو أسره كان قتله أو أسره فقال وذمة العرب لهذا الفارس فى الدنيا نظير لأنه والله شجاع وبأمور الحرب خبير وكان الغضبان بن عنتر نظر ذلك فصعب عليه فعل أبيه وكيف أنه قدر على خصمه وعفى عنه فى ساحة الجولان فى أى شىء أخره عن قتله وأمره فى الميدان فقال له هانىء بن مسعود وحق خالق البشر والركن والحجر أن أباك يا غضبان ما فعل إلا فعل الأجواد لأنه قدر وعفى وكان فى الحرب منصفا (قال الأصمعى) فهذا ما كان من هؤلاء وهما هانىء بن مسعود والغضبان وقصته (وأما) ما كان من عبدهياف وحالته فإنه اندهش من عنتر وشجاعته وقوته وبراعته وقد تعجب من خطفة اللت من الهواء وما فعل من ضربته وقد رغب فى صحبته لما علم أنه قدر عليه وعفى وقال وحق خالق البشر ومنبع الماء من الحجر ما قدر أحد يرد هذا اللت إلا أنت يا عنتر ثم إنه بعد ما صحح لنفسه صاح على عنتر وحمل كل واحد منهما على صاحبه وقد أخذ يطاعنه ويضاربه ويكافحه ويصادمه وقد فتحوا لهما فى الأرض مجال وتطاولت نحوهما أعناق الرجال وتضاربا بالسيوف الصقال وحارت الفرسان وازورت الأبصار مما عاينوا من الطعن بين الفارسين يورث الهلاك والدمار لأن هؤلاء الفارسين قد خاضوا جميع الأهوال والأخطار وحارت منهما الخواطر وغابا عن الأبصار فلم تر منهما تلك الطائفتين إلا بريق الحسام وهما يقاسون من بعضهما تجريع الموت الزؤام وشرب كاس الحمام وقد أخذا فى الصدام والالتزام إلى أن دنت الشمس للغروب والارتحال وافترقا على سلامة ورجعا عن الحرب والقتال فعند ذلك قال الملك عبد هياف إلى الأمير عنتر بن شداد يا أبا الفوارس ويا فارس الأبطال أن النهار قد ولى بالارتحال وها هو قد أقبل علينا الليل بالانسدال فعول بنا على الانفصال وكل منا يمضى إلى قومه بالخيام

والأطلال وفى غداة غد اقبال النهار بالابتهال نعود دمثل ما كنا عليه من الحرب والقتال (قال الراوى) فعند ذلك قال له عنتر إن قولك هذا يا ملك تستعيب أن تقوله الأطفال إذا تخاصموا فى لعبهم عند تعليمهم فى المجال فكيف تقوله أنت وأنت معلم الأبطال فى الحرب والقتال لا تظن أيها الملك أنى تتعلق بأذيال الطمع فى رجوعك من قدامى والانفلال وحق الملك المتعال الذى بقدرته أحجب الشمس بجنح الغسق وأنار الهلال وبسط هذه وأرسى عليها شامخات الجبال وانبع من صم الأحجار ماء زلالا لا بقى بيننا انفصال إلا بلوغ الآمال ثم انهما عادا إلى الميدان وما كانهما افترقا وقد زاد الليل غسقا والتحما والتصقا وقد سبحت الخيل من تحتهما عرقا وجالا وصالا وغربا وشرقا والضرب قد استبقا هذا وقد تقصفت الرماح من طعنهما للابدان وسالت الدماء علقا فار ماهما للسيوف قد استشقا وجالا تحت غسق الظلام حتى بان الفجر وطلع نور الشمس مشرقا وهما فى أخذ ورد وهزل وجد ومطل ووعد حتى انبسطت الشمس على وجه الأرض ووقعا من تحتهما الجوادين من شدة الركض وكذلك الفارسين كانت منهما السواعد والرجلين وتحيرت من قتالهما الطائفتين وأتوهما بجوادين ورمحين غير ما كانا فى أيديهما وصالا وجالا فى الميدان ودام على ماهما عليه بطول ذلك النهار حتى غابا عن الأبصار وثار عليهما القتام والغبار حتى حجبهما عن الأبصار وعن النظار وهما تارة يتطاعنا بالأسمر الخطار وتارة يتضاربا بالأبيض البتار وكان هؤلاء الفارسين تارة يجولا يمينا وشمالا وتارة يجولا فى ذلك البر والقفار فطارت الرماح من أيديهما قطعا وأشبارا وبرق من السيوف الشرار من وقعها على الجحف الثقال ودام بينهما القتال طول ذلك النهار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار وكانوا الملك الطوائف كل منهم قد حار ووقع بهم مما رأوا من الانبهار وبهتوا من قتال هؤلاء الفارسين ومن حملاتها وكانا هذين البطلين الشجيعين الذى حيرا كل عين ثم أنهما افترقا كل واحد عن رفيقه وهو يشكو مالاقى من شدة ضيقه فكان أول من اتى عبدهياف الملك الأخضر وهو يمسح دمه من الإتراف وهو يقول يا ملك أما ترى ماقد أعطى هذا العبد من القوة والشجاعة والفروسية والبراعة فقال له الملك عبدهياف وحق خالق الأرض والسماء ومن علم آدم الأسماء ما أظن على وجه الأرض أجلد منه فى الحرب ولا أثبت منه فى الطعن والضرب ولا أكثر منه مروءة وحق ذمة العرب الأجواد لما خرجت إليه أول يوم ما ظننت انه يثبت قدامى ساعة إلا ويقع من على ظهر الجواد لأنى جرحته بالسيف جرحين وطعنته بالرمح طعنتين فما بالا بهم ولما جرى دمه عادا إلى الحرب والطعان نشط مما أعهده وأشد مما كان ولما ضربته بآلة الحديد قلت أن رأسه يطير فأخذه من الهواء بيده وهذا شىء مافعله أحد قبله ولا بعده من كل بطل كرار وفارس جبار ثم إنه أعاده إلى وبه ضربنى فلو أنه زهق من على البيضاء وكان فى الأجل تأخير

لكان قتلني وكان قد طير من على جثتي رأسي وأخمد مني أنفاسي لأنه قد جاء إلى وله هفيف وبرق ولاهفيف حجر المنجنيق وبقيت غائب عن الوجود وأنا حاضر في صفه مفقود فلو أنه لمسني بيده كان اقتلعني من على ظهر الجواد واخذ مهجتي من داخل الفؤاد وحق خالق العباد ومن جعل الجبال للأرض أوتاد وخلق هذه الأنفس البشريات أن الذي فعله معي ما فعله أحد من السادات ولا من ملوك القادات وأما قراعه لرأسي بالرمح ثلاث مرات فهو من جملة المروءة وحسن الثبات وكثرة الفتوة وزيادة المهمات وحق خالق الأرض والسموات أن قهرت في ميدان الحرب وموقف الطعن والضرب ما يقهرني غير هذا الفارس الأسود وأموت قهراً وكمداً ولم يدري بكمدي أحد (قال الراوي) هذا ما كان من أمر الملك عبدهياف والملك لاخضر (وأما) ما كان من أبي الفوارس حامية عبس الأمير عنتر فإنه لما عاد من الميدان وهو طالب أصحابه والفرسان فالتقاه الأمير هانيء بن مسعود وولده الغضبان وغصوب وميسرة وجميع الأبطال والشجعان فقال الأمير هانيء يا أبا الفوارس وحق ذمة العرب أصحاب المروءة والانصاف ما رأت عيني أفرس من هذا الملك عبدهياف فإنه لو ابتلوا بحربه الجبابرة اشتقاات من قتاله وتحيرت من حربه ونزاله فقال له عنتر يا حامية شيبان وحامي حومة الحرب والرهان وحق ذمة العرب الفتيان أنا ما أعد روحي إلا أقل عبيدكم والغلمان وبأسيافكم أضرب الفرسان (قال الراوي) فقال له غصوب وأخوه الغضبان خلينا من هذا الكلام ودعنى نبارز هذه العساكر ونلتقي هذه الجيوش والدساكر بالجيوش والعساكر والا فهؤلاء خلق كثير وجمع غزير ما يفرغوا ببراز ولا يفرغ أحد منهم إنجاز فقال لهم عنتر الأسد الريبال غداً غدياً أولادي تسكون هذه الفعال إن شاء الرب المتعال وتكون وقعة الانفصال على أنني وذمة العرب أصحاب العقول الفاضلة أقدر أجالده سنة كاملة فقال له الغضبان صحيح يا أبتاه أنك أبو الفوارس وبطل الميدان ولكن كان من زمان واليوم قد كبرت وعجزت عن حروب الأقران وتغيرت عن الضرب والطعان وما بقي فيك قوة لملاقاة الأبطال والشجعان وإلا لو نك بعد ما ضربته بالت الحديد وأزعجت فيه الأركان كنت ضربته بالسيف اليماني مأي شيء أعاقك عن فعل هذا وانت في الميدان فهذا دليل أنك كبرت وعجزت عن حرب الأقران وملاقاة الشجعان وممارسة الفرسان ولكن عداً أخرج إليه وأفرجك ليه وعلى قتاله وحربه ونزاله وحق خالق الإنسان ما يبارزه غداً إلا أنا في حومة الميدان فقال له الأمير هانيء بن مسعود الكريم الآباء والجدود نخل معه وأكون خادمكم في هذه النوبة فقال الغضبان يا أمير هانيء نحن كلنا غلمانك ومن بعض فرسانك وقد غمرتنا باحسانك فعند ذلك قال لهم هانيء لولاكم ما كنت

خلصت عن الاعتقال ولو هذا الأمير والبطل الخطير الذى فى الحيل ماله نظير الأمير شيبوب وولده الخذروف الفريد الموجود كنت إلى الآن فى الأغلال والقيود ثم انهم لم يزالوا على ذلك الرواح إلى أن غلب عليه النوم فنام كل واحد منهم واستراح إلى أن أصبح الله بالصباح واضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابى والبطاح وذكرت سيدنا محمد زين الملاح ورسول الله الملك الفتاح فكان أول من برز إلى الحرب والكفاح كان الفارس الجحجاح والبطل الوقاح وهو الزرد لابس وفى الحديد غاطس وتحته جواد أدهم له غرة كأنها درهم إذا صهل يكاد أن يتكلم فتبينوه الفرسان وحققوه بالأعيان وإذا به عروس الميدان وفتى الفتيان ابن عنتر الغضبان فصال وجال وطلب الحرب والقتال والطعن بأسمر العوال والضرب بالبيض الصقال وأنشد وقال :

أبا هياف قد أتاك الهمام الغضنفر ... ومن عزمه فى الحرب غضب بجوهر
أتاك الفتى الغضبان وهو كأنه ... قضاء وحتف للنفوس مقدر
أنا البطل المشهور فى خومة الوغا ... أبيد الأعادى والقنا تتكسر

قال الراوى فما أتم الغضبان هذا الكلام والشعر والنظام إلا والملك عبد هياف صار قدامه لما أن سمع مقاله وقال له ياغضبان صحيح أنك قتلت أخى وكان بعد من الفرسان ولكن الرجال الاقيال ماتصلح الا للقتل والمال مايصلح إلا للبذل وهو قد فرغ اجله وحان مرتحله فدونك والقتال والطعن والنزال وكان تحت عبد هياف فى ذلك اليوم جواد ادهم كانه الغراب الاسجم كما قال فيه الشاعر :

أسـابق الطارف بغبار أدهم ... وجلده مثـل الغراب الأسجم
ينقض ياصاح انقضاض الانجم ... تخـاله مثل القضاء المبرم

قال وكان فى يده سيف قاطع وهو للاعمار قاطع وقد سقى بماء الحمام وسلطه على الرقاب والهام وفى يده رمح من الرماح عليه سنان كانه كوكب الصباح أو برق قد لاح وقد امتد على سائر البطاح يخطف قوامى الارواح من قوالب الاشباح كما قال فيه الشاعر بن وشاح

يزيـد طولا على الرماح ... سنانـه وكل بالارواح
قـد لاح بالعين كالمصباح ... يحكى كمسـة كوكب الصباح

(قال الراوى) وكان الملك عبد هياف أمر عبيده أن يأتوه بعامود من الذهب الاحمر فمضوا وأتوا به وكان وزنه مائة وسبعين من أوزان ذلك الزمان فوضعوه بين يديه فأمرهم باحضار الترس وكان من البولاد وزنه مثل العامود وجعل يلعب بالاثنين قوة وصناعة

وفروسية وشجاعة حتى حارت عقول الفوارس والأبطال الفناعس وحار الغضبان مما رأى من فعل هذا الفارس إلا أنه تارة يرمى العامود فى الهواء ويلتقيه وتارة يحذف الترس ويستلقيه حتى حارت أعين الخلق وقالوا هذا فارس الغرب والشرق ثم أن عبدهياف أمرهم باحضار عامود ثانى ورمح من الحديد مفصل قطع مع أربع رجال فاحضروه قدامه فجعل يركبه ذكر فى انثى وانثى فى ذكر وهو اثنين وأربعين عقدة لا يتقدم ولا يتأخر ثم أنه أمره باحضار عدل ملان بالرمل غير مخروق وهو الماء منقوع ثم أنه رجع إلى خلفه قدر عشرين خطوة وقد اصطفت من حوله أصحابه ورفقائه ثم أنه ركض على قدامه حتى قارب العدل الملان بالرمل وطعنه برأس الرمح فشاله حتى رأته الفريقين وشاهدته العسكرين وحذفه إلى وراء (قال الراوى) لقد أخبرنى من كان حاضر هذه الوقعة وهو من أثق إليه وأعتمد فى كلام الصدق عليه أنه قال قد رأيت ذلك عيان بحضرة جماعة من الفرسان أن الملك عبدهياف لما فعل فى عدل الرمل تلك الفعال أمر بعض عبيده بحضر واحمل من الجمال فأتوه به وأبركوه بين يديه وعقلوا يديه ورجليه فتقرب منه ومسكه ورفعه من الأرض حتى بان سواد إبطيه ودار ثلاث مرات طولا وعرض وعاد به ووضعه وضمار فيقا على وجه الأرض ثم أنه بعد ذلك ركب الجواد وحمل حملة منكرة وغاص فى وسط العسكر وغاب فيه ساعة وعاد وقدوى جماعة من الفرسان ثم أنه عاد إلى الميدان ومحل الضرب والطعان كل هذا يجرى والغضبان واقف ينظر ويروى ويتأمل إلى هذه الأعمال وقد تحير وأخذه الانذهال إلى أن عبدهياف لما فرغ من تلك الأعمال صال وجال وجعل يترنم بهذا المقال وينشد ويقول

تركت بنى عبس لهم دوار   إذا مضى جماعتهم تعود
لو أن للارض قبضة عرفت   قلعتها من مكانها يزنود

(قال الراوى) فلما سمع الغضبان مقال عبدهياف قد أظهر حماقته فى الميدان وعلم الغضبان أنه ماعبأ به ولا بكثير من الفرسان فعندها أراد الآخران يعمل شيأ يذكر به على مدى الازمان فكب رأسه فى قربوص سرجه وحمل على عسكر ابن هياف وكانت حملته من غير جزع ولا مخاف وغرق فى ساعة زمانية وأظهر فيهم بابا من أبواب الجنان وفعل فعل الجبابرة العتية وافتل عنان الجواد وطلب الخلاص من بين تلك العساكر والاجناد فانطبقت عليه القبائل وطلبته الكتائب والجحافل فلما نظر عنتر إلى تلك العساكر والفرسان وانطبقت على ولده الغضبان فصعب عليه ولم يطق الصبر على ذلك الشان فحمل وأمر العساكر بالجملة فحملت الفرسان والشجعان وحملت مقدمين القبائل والاقران وحمل الأمير هانى بن مسعود فارس بنى شيبان وحمل عصوب وهو كانه الاسد الجردان وكذلك فعل أخوه ميسرة وهو يتوقد مثل شرار النار المسعرة وكذلك حماة القبائل وسائر الأبطال والمحافل واختلطت العساكر

بالعساكر وحمل الملك الأخضر في جيوش الهند والسند وأما الملك عبد هياف فإنه سار على المنية حقا وحمل على فرسان بني عبس أجواد فبددهم غربا وشرقا وقاتل في ذلك اليوم قتالا فشرح ذكره على طول الأبد وقد التقى بغصوب بن عنتر وحاوله وحمل عليه وطاله وطعنه أرداه ولولا هاني بن مسعود أدركه من ورائه والا كان أسره وأهلكه وعجل له فنا فصاح هاني على عبد هياف وحمل عليه واشغله عن غصوب وإلا كان أوصل الاذية إليه وما زال حتى أدركه واركبه جوادوهو واقف حواليه فلما نظر عبد هياف إلى فعال هاني ابن مسعود وقد فعل هذه الفعال فالتقاه بقلب أقوى من الحجر الجلمود وتقاتلا قتالا يفتت الكبود وكان لهم ساعة يشيب لهولها الطفل المولود وقد تحيرت مما جرى بينهما الفرسان والأبطال من شدة الضرب بالسيوف الصقال والطعن بالسمر العوال فبينما الفارسين في شدة ماهما فيه من الحرب والقتال والطعن والنزال والصد والرد والقرب والبعد والاتصال والانفصال وإذا هما بزعقة عظيمة طيرت العقول وتمتمت الفريقين عرضا وطولا فتبينتها الفرسان وشخصت لها الاقران وإذا هو زعقة سلطان العصر والاوان وعرس الميدان ومفني جبابرة الزمان ليث الاساد وجيه بطن الواد الامير عنتر بن شداد فهجم بعد صرخته وفرق بين الاثنين ودخل بين الفارسين وكان قد جرى بين الأمير هاني بن مسعود وبين عبد هياف حرب شديد وضرب أكيد ماعليه من مزيد يكاد أن يذوب له الحصى والجلاميد وكان عبد هياف قد جرح هاني في كتفيه ورأسه وكان هاني قد جرح عبد هياف في فخذه وجرح فرسه وهذا أساسه فلما زعق عنتر تلك الزعقة وقف تلك الفارسين وتحيرت من تلك الزعقة البطلين فعندها قصد عبد هياف إلى عنتر وحمل عليه وطلب أن يتقرب اليه وحملا على بعضهما تلك الفارسين وصرخا صرختين عظيمتين وقد أصغت لها الخيل آذانها وانهدت أركانها وارتعدت أبدانها وزادمن ركابها أحقادها وظنت الطائفتين أن السماء قد فتحت أبوابها ونزلت على الاشقياء سخطها وعذابها وان المواعيد قد حقت والموازين قد خفت والقبور قد بعثرت والخلائق للحساب قد حشرت والصحف قد نشرت وهما ساعة في اتصال وساعة في انفصال وانفسحا كما ينفسح الكباش للنطاح ويعود للحرب والكفاح ويجروا على الأرض عوامل الرماح فتتعلم منهما الابطال حقيقة الحرب والكفاح حتى حيرو المقل الصحاح وكان لهم ساعة تقشعر منها الجلود ويلين من حرارتها الحجر الجلمود ويشيب من هولها الطفل المولود ويعرف الإنسان منها مرارة العدم من حلاوة الوجود ثم أنهما التصقا التصاق جبال الاخدود وافترقا افتراق وادي زرود حتى أن كلا منهم عرف أنه مفقود ولا بقى إلى أهله يعود وتقلبا في بحار السروج حتى تعلمت الأبطال منهما الدخول للحرب وكيف

الخداع وهتك ستر الفروسية والقناع وهما فى عراك ودفاع وضراب وقراع حتى خيل للناظرين أنهما من أملاك الأفلاك الذين لم يفزعان من الهلاك وهما فى كر وفر وقرب وبعد ومستقر وهزل وجد وصدود ومشابكة ومعاركة وملازمة ومماحكة وتارة يأخذا ميمنة وتارة ميسرة تجرى بهم الخيـــل خبب وتارة قهقرة وانعقدت عليهم الغبرة وهما كالنار المسعرة واختلف بينهما الضرب على الدرق ولمع صارم المنايا وبرق وكثر بينهما الاضطراب والقلق وذات القلب بنيران الحراق وسبحت تحتهما الجوادين فى بحرين من العرق هذا والعسكرين قد فتحا لهما ميدانا للمجال وحارت أبصار الأبطال وأذهلت أعين الفريقين مما جرى بين هذين البطلين من الأهوال وشدة الحرب والقتال وهما فى حرب ونزال ومخاصمة وجدال حتى مالت الشمس إلى الزوال ولم ينل أحد من صاحبه منال ولم يطلب الآخر من رفيقه أقالة ولا انفلال بل انهما لما أعياهم الأمر من بعضهما ترجلا عن الخيل التى تحتهما كانهما ما بقيت تثبت انهضائهما فقال الملك عبد هياف لعنتر وحق ذمة العرب أنك بطل وأى بطل وأسد غضنفر وليث قسور تمطى الطعن مليح وتسترد الضرب صحيح فهل لك فى الصراع أيها البطل الشجاع فقال عنتر له لك ياهذا البطل المناع إن أردت الصراع وإن شئت القراع فعند ذلك تدانيا إلى بعضهما بعض وتقابضا على فسيح هذه الأرض وهما كانهما جبلين هائجين أو بحرين زاخرين أو جبلين متقابلين أو أسدين متهارشين وقد دنا كل واحد منهما من صاحبه وكان قد علم منه جميع طعانه ومضاربه وتصادما وتهاجما حتى تزلزلت تحت أقدامهما الرمال وكان اصطدامهما مثل اصطدام الجبال العوال وجالا وصالا ومالا على وجه الأرض حتى رضوا بأرجلهما الجنادل رض وهما مثل الكبشان المتناطحان وقد جرى منهما العرق حتى صار كوغوة القدور وحفرت أرجلهما فى الأرض حفائر مثل القبور وغرقا فيهما إلى حدر كبتهما وهما يتجاذبان ويتقلان حتى كلت أيديهما وتكسرت اظافرهما من شدة ما نالهما فبينما هما كذلك وإذا بالملك الاخضر الفارس النحرير قد حمل حتى بمين صاحبه الملك عبد هياف البطل الخطير فتلقاه الغضبان ولاخلاه يتقدم اليهما بشبر قصير بل حمل عليه وجادله وجاوله وبادأه وردّه عما عزم عليه إلى وراه هذا والملك عبد هياف وعنتر فى عراك وصدام وقد جرت دماؤهما على درعهما حتى فاضت فى تلك الأرض والآكام كما يسيل القطر من الغمام فعند ذلك قال الملك عبد هياف لعنتر هل لك يا أبا الفوارس فى العودة إلى ظهور الخيل لاننا قد قل منا القوى والحيل فقال له عنتر دونك وما تريد يا فارس الزمان ومهما شئت افعل فما أنا فى الحرب خوان بل اننى انصف غرمائى وأقهر أعدائى فى طابق الجولان ثم انهما

الضاحك واقبل الليل الحالك ورجع كل واحد منهما إلى عسكره وهو على صاحبه ملهوف والزبد طائر على أشداقه مثل القطن المندوف وقد جمد الدم على الأدرع والكفوف قال فلما وصل الملك عبد هياف إلى عسكره تلقاه الملك الأخضر وهنأه بالسلامة من الموت الأحمر وسأله عن خصمه وما كان بينهما من ذلك الأمر المنكر وما رأى فى ذلك النهار من قتال أبى الفوارس عنتر فقال له وذمة العرب الكرام ماهو إلا فارس همام وبطل درغام وليث لايرام وقرم قحام ولما طلبت الحرب منه حاربنى ولما طالبت القراع قارعنى ولما طالبت الصراع صارعنى وإن طلبت الاقالة أقالنى ولم يخالفنى وما رأيت فارساً أثبت منه على الشقا ولا أصبر منه عند الملتقى فقال له الملك الأخضر ياملك ولاشىء تفعل من رأيك والرأى عندى أن ترسل تطلب منه دية أخوك على يد رسول وبعد ذلك ترحل عنه بعد ما نصالحه ولا تقاتل هذا الفارس ولا تكافحه فقال له عبد هياف أى شىء هذا الكلام الذى يورث فى القلب مصيبه وكيف مثلى يأخذ دية أخية وقد كنت أرجية يكون لى ركنا على طول الدوام وأنا قد طلعت من بلادى بأربعة ألف فارس همام أن هذا ما فعله أحد ولا أنا أفعله ما قام قائم وقعد فوالله لا أزال أقاتلهم وأجهد حتى أبقى على الأرض ممددا أو أرزق النصر عليهم والظفر أو يرزقون هم ذلك ويكسرون هذا المعسكر لان هذا الفارس ماهو قليل بل هو بطل وقد سمعت أنه علق له قصيدة عن البيت الحرام وترملوك العرب تسجد لها فى كل عام إجلالا له وإكرام وأسر الملوك وأبناء الملوك فى الميدان والتقى بالفرسان وقهر الشجعان حتى حير بفروسيته كل انسان واجتمعوا اله سبعين ملك بجماعتهم من العساكر من بنى قحطان وجميع ذلك أسرهم بالرمح من غير سنان وهذا لم يفعله أحد غيره فى هذا الزمان (قال الراوى) ثم أنهما نزلوا فى خيامهما ليأخذوا الراحة وهما من هذا الأمر فى انذهال مما جرى فى ذلك اليوم من الحرب والقتال فهذا ما كان منهما وأما ما كان من عنتر الفتى الرئبال فانه لما عاد تلقته رجاله الأبطال وهنوه بالسلامة مما وقع بينهما من الأهوال وسأله هانىء عن ما كان بينهما وما ذكرناه من تلك المعانى فقال لهم وحق ذمة العرب الفضال وحق الملك المتعال الذى أرسى شوامخ الجبال ويعلم كوز نهاذرة ومثقال لقد مارست الأبطال وعاركت الفرسان والاقيال ما قاسيت من أحد مثل ما قاسيت اليوم من هذا الفارس من الأهوال ولكن إن شاء الله الملك المتعال غداة غد تكون وقعة الإنفصال ثم أنهم باتوا على ذلك الحال ينتظروا الصباح حتى يظهر بالابتهال ويخرجوا إلى الحرب والقتال قال الراوى ومن أعجب ماجرى من الاتفاق الذى يكتب ويسطر فى الاوراق أن الملك عبد هياف كان له بالعادة كل ليلة أول مايعود من الحرب والقتال فيخرج إلى البر ويجمع على ما يكون حوله من الدحال حتى يصطاد له شيأ من الوحوش باكله

من وحوش تلك البرارى والتلال فسار فى تلك الليلة وطلب بعض الدحال فدخل إلى دجلة عظيمة ملآنه بالوحوش والآساد ومعه سيفه وترسه وهو راجل بغير جواد فبينما هو داخل اليها فى الظلام وقد مل الليل غياهبه وإذا هو بشخص خارج من الغابة وهو طالبه فتقدم اليه عبد هياف ومد نظره اليه فاذا هو برجل لا كالرجال وبطل كالابطال له قامة النخل الطوال ومعه سبع ولبوة وقابض على السبع باليمين وعلى اللبوة بالشمال فحار الملك عبد هياف من ذلك كيف فعل هذا الادمى تلك الفعال ولم يخف من أهوال فزعق عليه زعقة عظيمة الافزاع وقال له من أين مسكت هذا السباع فقال له من هذا الغابة والبقاع لانها كثيرة الوحوش والاصناف تكفى عساكر عبدهياف ولكن ما الذى تريد بسؤالك وما قصدك بمقالك فقال له عبدهياف ياوجه العرب أريد أدخل اليها وأمسك كما مسكت واصطاد كما تصطاد فقال له الشخص ادخـــل أيها الفتى ولا تخاف إن كنت فارس منتخب وان أردت تخذ هذا الاسد ولا تشقى ولا تتعب ثم ان ذلك الشخص عملت معه النخوة فرمى اليه الاسد واللبوة فقال عبد هياف ان كان ولابد أو أنت على هذا الامر مطيع فاضرم لنا نار حتى اسلخهما لك وتأكلهما نحن الاثنين أو أنا أضرم وأنت تسلخهما فقال له الرجل لا بل أنت أضرم النار حتى أنا أسلخهما أنا ولا أكلفك ذلك لانى أراك من أهل الفخار والممالك فعندها تقدم عبد هياف وأضرم النار وجمع من تلك الاحطام وأوهجها حتى علا فى البر تأججها وأما ذلك الرجل فانه سلخ الأسد واللبوة عاجلا وجعلهما أرباع وطرحهما على النار فلحق عبد هياف من ذلك انذعار ثم انهما صبر ساعة من الزمان حتى نضجت لحومها وفاح لها فتار وسال دهنهما على تلك النار فتقدما وأكلا حتى اكتفيا فى ذلك البر الوسيع فبينما هما على ذلك الايقاع وهما يأكلان من لحوم تلك السباع وإذا هما بشىء يدب على الارض والبقاع وخلفه ذنب ينجر مقدار عشرين ذراع وذلك الدبيب فى القدر ما يحتضنه عشر رجال وإذا أراد أحد يحمله فى التقدير الاخمس جمال شرار النار يتطاير من أحداقه من عظم شره وشرانه أخلاقه وهو من أشداقه مكتسر أنيابه وله ذوائب شعر فى رأسه وعلى ظهره منشورات وفمه يخرج منه لهيب النار عنه تدوم كالمشاعل لا يقف قدامه جيوش ولا قبائل وله لسان زغرت مفروق فرقتين يذهل من رؤيته كل عين بدماغ كانه القبة العظيمة وعد بنفسه لك كل حشيشة خضرا ويشمها وفى نوائب العطب ورؤيته من أعجب العجب وهو كانه النخلة السحوق ولا يجسر على رؤيته مخلوق غليظ طويل تعجز عن وصفه الاقاويل أغبر أنقط أبقع إذا هاج يضيق عليه المتسع ومن مناخيره يطلع الدخان ويصعد فى الجو إلى العنان ويذهل من أبصره ويندمر من بالعين نظره

وكيف هو طالبنا وهو كالجبل العظيم وأما أكبره أيها الفتى الكريم فقال له ذلك الشخص قف مكانك ياوجه العرب حتى أنني أفديك بروحي لأني أراك من ذوي الرتب فها أنا أتقدم أمامك وأقطع رأسه وأخمد أنفاسه وأهد أساسه وأحضر به إليك وأرميه بين يديك ولو أنه ملك من ملوك الجان أو عفريت سليمان ثم أن ذلك الرجل أخذ سيفه وجحفته وقصد إليه وزعق بأعلى صوته عليه فنفخ ذلك الحيوان وطلبه ورمى بروحه عليه وهو طالع من فمه دخان ونيران حتى أنبهر عبد هياف مما أبصره منهما عيان ثم أن ذلك الرجل تقدم إلى ذلك الحيوان وزعق زعقة دوت لها القيعان وتمعمعت لها تلك الجبال ثم أنه أستنجد وقال اللهم أنني أسألك بحق نبيك الذي ذكر في يوم ديقيار ياحليم ياحكيم يا كريم ياعزيز ياغفار وهو رسولك الذي يأتي في آخر الزمان المبعوث بأشرف الأديان الرسول المنتخب أفضل العجم والعرب الذي يكون أمام القبيلة والحرم وينتصب علم نبوته على الخافقين أشرف الأنام مصباح الظلام فبحق حقه عليك يارب ياعزيز يارحمن ساعدني على قتل هذا الحيوان ثم أنه أقبل عليه بقوة ساعده ثم حاوره وزواغه وثبت بأسه ونادى يا محمد وياآل محمد وضربه بالسيف بين عينيه خرج يلمع من بين شدقيه وفي عاجل الحال أخمد أنفاسه كما قال الناقل لهذا الديوان فأخذ الرأس في يده وهي قدر رأس الفيل العظيم في القدر والعيان وجاء به إلى تلك النيران فتبينوه في ضوئها وإذا هي رأس ثعبان (قال الراوي) وكان ذلك الثعبان قد شاع ذكره في كل مكان واشتهر لتله الأبطال والفرسان وعجز عن قتله جميع الشجعان وما جسر أحد يدخل إليه في ذلك المكان وإلا كلما جاء إليه أحد كسره وأكله حتى المولى سهل له من جاء إليه وقتله إلا أن الملك عبد هياف حار مما رأى ذلك الشخص وشجاعته وقوة جنانه وشدة براعيه فعندها قال له من أنت يافتى ومن أي أرض فإننا نريد نفترق وما عرفنا بعضنا بعض فقال له ذلك الشخص أخبرني أنت من تكون ياوجه العرب لأنه على وجهك علائم الملوك وأهل الرتب فقال له ياهذا أنا الملك عبد هياف وأنت من تكون ومن يقال لك قل لي قول الصدق أن كان عندك أنصاف فقال الشخص وحق زمزم والحطيم ما أنت إلا سيد كريم وملك عظيم وبطل جسيم وأما أنا فخصمك عنتر بن شداد وغريمك بالأمس في مقام الحرب والجلاد فوالله ما سمع عبد هياف هذا المقال حتى جذب سيفه ودرقته وطلبه كما تطلب بعضها بعض الأبطال وقال له دونك يافتى والقتال لأن هذا الليل ذكر وما يسلكه إلا كل ذكر فقال له عنتر لك ذلك لأن أنا الآخر كنت مشتهيه وحق مالك الملك ثم أن عنتر جذب سيفه ودرقته وطلبه في ظلام الليل المعتكر وقال دونك يافتى والقتال ثم جالا على بعضهم بعض في ظلام الليل إلى أو طلعت عليهما الشمس وهما في قتال ونزال حتى صارت الأرض تحت أرجلها حفر (قال الراوي) لقد أخبرني عنتر عند رجوعه

منها الأنفس وتمين لها الهلاك كانا يستتران من بعضها بعض بشجرة كانت هناك وكانت تلك الشجرة هائلة أزلية تظل الفارس والمائة فزالت سيوفهما تقطع فيها طولا وعرض حتى قطعوها ورموها على وجه الارض وكانا تارة يفترقان وتارة يجتمعان وتارة يقاتلان وتارة ينفصلان هذا كله ولم يعلم بما جرى بينهما في تلك الليلة إلا الله العزيز الرحمن فعندها قال الملك عبد هياف لعنتر لما تعب وانبهر يا أبا الفوارس ما يصلح للحرب إلا الخيل بالميدان والاتساع في الجولان لان أطلب قومك حتى أطلب أنا الآخر قومي وتعود إلى الحرب في يومي لان سيوفنا قد انكسرت وجحفنا قد تمزقت ودرعنا قد تقشعت وما بقي لنا شيء نقاتل به في مقام الكفاح فأجابه عنتر إلى ذلك وكان قد قرب الصباح فرجع عنتر إلى عساكره وكذا فعل عبد هياف وقد عاد الآخر إلى عساكره وكان السبب في دخول عنتر إلى ذلك الغابة وانفراده في ذلك الليل الدامس سبب أيا له من سبب وعجب أيا له من عجب وذلك أنه عاير ابنه غضبان وقال له يا ابناه ما بقي فيك شيء للقتال والطعن والنزال وقد كبرت وعجزت عن ملاقاة الشجعان فقال له يا ولدي يا غضبان ما يغرك مني كبري فأني أقدر أقاتل هذا العسكر سنة كاملة من الزمان ولهذا كلامي لك باللسان ولكن أن أحكمت المقادير أوريتك ذلك عيانا بيان ومرادي تعلمون أن كان بالقرب من هذا المكان دحلة أو موضع وعر يفزع منه كل من يراه من البشر حتى أجيب منه أسد من الآساد نأكله نحن وهؤلاء الرجال الجياد فقال واحد منهم يا أبو الفوارس وحق الحنان المنان أن هذا غابة قريبة مختلفة الالوان وفيها كثير من الاسود والغزلان فقال عنتر أنا أسير إلى هذا المكان ثم أنه قد وثب على الاقدام بقوة عزم واهتمام ذلك وسار حتى وصل إلى الغابة وتلك الآكام وأخذ ذلك الاسد واللبوة كما قدمنا في الكلام والتقى بعبد هياف وجرى له معه ما جرى ورجع كل واحد منهما إلى من له من الاصحاب الامراء إلا أن عنتر أخذ معه رأس الثعبان لينظره أولاده ومن له من الفرسان فبينما هو سائر في الوديان وإذا هو بأسد قبيح المنظر خارج عليه من ذلك المكان فهاجمه عنتر وقبض عليه بيده اليمنى وفي يده اليسرى رأس الثعبان وصار قاصداً مضاربه والخيام وهو فرحان مسرور بذلك المرام إلى أن وصل إلى من له من الفرسان واجتمعت عليه الاحبة والخلان وأتاه هانىء بن مسعود سيد بني شيبان ودريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان وأخبرهم عنتر بما جرى له من الامر والشأن وكيف أنه قتل ذلك الثعبان فقال دريد وحق العزيز الديان أنا لي زمان أسمع بخبر هذا الحيوان وقد قيل لي اسمه زعفار وله رأس كرأس الجمل العظيم القدر والشأن وله يدان ورجلان وذنبة قدر عشرين ذراع وأنه أحرم أحد يجوز هذا الارض والبقاع فإن كان هو هذا أيها البطل الريبال فقد أرحت منه جميع السفار من الرجال فأين

لاقيته يازين الأبطال فقال عنتر تركته فى الفلاة وهو مرمى يتقلب فى دماه فقال له ولده الغضبان اعلم ياأبتاه ان قتل الاسود وصيدها من النغار ماهو فخار ولا قتل دودة من دود الأرض يفتخر بها فارس كرار فقال له عنتر غدا ياولدى وحياتك أبرز اليه وأفرجك على مايجرى عليه وإن اشتهيت أن تنظر حربى والطعان انزل أنت وأخواتك فى الميدان ومن أردت من حماة القبائل والفرسان ويكونوا ألف فارس من الشجعان وأنا ألتقيكم كلكم فى حومة الميدان ولم يقدر احد منكم يدلى عنان أو يضبط روحه على ظهر الحصان ما كنت احضر حرب ولا جلاد ولا اتقلد بسيف ولا أعلو على ظهر جواد و ماقولك عز الملك عبد هياف فوالله ماهو إلا فارس همام وأسد ضرغام حاز الشجاعة والافهام ولا يقدر احد يثبت امامه فى محل الضرب والطعان لأنه أوحد الفرسان ولا أحد يبلغ منه مرام ولكن ان شاء الرحمن الرحيم يبان من هو اقوى جلادا الحرب واقوى جنان ومن هو اصبر على الاهوال فى مقام الصدو الردو الطعان ومن أصبر على البلاء وقت مقام الجولان ثم أنهم داموا على ماهم عليه يتحادثان من معايدة الأخبار وما فيهم من يدرى مايكون ولا مايريد يجرى لهم من الآثار الى ان اصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ونذكر سيدنا محمدا زين الملاح ورسول الله الملك الفتاح عليه أفضل الصلاة والسلام عند المساء والصباح وإذا بالعساكر قد أصبحت تطلب القتال والحرب والنزال والملك عبد هياف الأسد المداعس قد صف عساكره وكانوا اربعمائة الف فارس مابين مدرع ولابس غير مايتبعها من الملوك والفرسان القناعس فاوقف الملك الأخضر فى القلب ومعه مائتين الف فارس وتقدم من بعد ماربتب العساكر وأوقف فى الشمال نصف الملوك الآخر فى مائه الف فارس ووقف موقدام العساكر وامام الدساكر ثم انه صال وجال وطلب الحرب والقتال ونزل إلى الميدان وأنشد وقال

تهارب منى رجال كهول ... وعندى الى الحرب سيفا صقيلا
ذراعى طويل وسيفى صقيل ... وإنى همام كريما قتولا
أيا عنتر أين شجعانكم ... وأين أبطالكم والفحولا
كذلك غضبان ليث الثرى ... فنعم الشجاع حولا أصيلا

(قال الراوى) ثم ان عبد هياف نادى فى وسط الميدان يافرسان عبس وعدنان ويا ليوث هذا الزمان لما لا تبرزوا الى الف بعد الف حتى افرجكم على اللقا والحرب والضرب والشقا ولا يكون إلا أفرجكم وأثبتكم عندا الملتقى فبينما هو ينادى بذلك النداء وإذا بفارس قد برز اليه

وطلب وسبيع المذاقد خرج من تلك العسكر وهو كأنه القضاء المقدر وكان ذلك الفارس الغضبان بن عنتر وقال له اسكت يا جبان لأنك أنت أذل وأحقر من أن تذكر فرسان عبس وعدنان ومن أنت حتى تطلب أن يبرزوا لك الف بعد ألف من الشجعان فها أنا وحدى فارس من بعض فرسانهم وبطل من بعض أقرانهم فالتقيني أن كنت فارس كرار وبطل مغوار لأنى أنا قاتل أخوك المرهف ولا بدما ألحقك به ثم أنه جعل يترنم بذلك الاشعار ويقول

مادام للحرب أوان العملا يجود بالطعن الهمام البطلا

والفارس القوم إذا ما حملا تراه فى ميدانه مجنـــدلا

إنى أنا الغضبـان ليث ماجد شجاع حرب ماله من مثلا

(قال الراوى) ثم الغضبان حمل على عبد هياف فى مقام الجولان فتلقاه عبدهاف فى الميدان واصطدما الفارسين وأخذوا فى الحرب والطعان وأظهر العسكرين أبوا باحسان حتى حارت منها الفريقان وكان الامير هانىء بن مسعود يقول لعنتر يا أبا الفوارس ومن هو معروف بالإنصاف ما أبنك الغضبان إلا فى طبقة عبدهياف إلا أن عبدهياف أهدى منه عند الحرب وأصبر على الطعن والضرب فهذا ما كان من هؤلاء وأما الغضبان فانه كان من حرقته على القتال ما يجد له صبر ولا هدو ولا أصطبار بل أنه يرمى عليه ضرب مثل شعل النار وأخذا فى الاقبال والإدبار حتى تحيرت الابصار وتعجبت منها جميع الحضار هذا والغضبان يزعق عليه ويطلبه ويحمل عليه ويكركبه ويميل عليه بضرب مثل الجمر وأقوى من مرارة الصبر وعبدهياف طاوله فى القتال ويجادله فى النزال ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى أخذ ورد وقرب وبعد ومحاوبة وإذا قد أقبل عليهم من قبل عسكر عبدهياف فارس كأنه الاسد العابس فى الحديد غاطس وهجم عليهما وزعق زعقة تزلزلت لها الجبال والاودية الحوال وشخصت لها الابصار وحارت النظار وتساقطت الفرسان عن سروجها وهاجت على وجوهها وولت الخيل على أعقابها ورمت على ظهورها ركابها ثم أن الفارس هجم على الغضبان وقرع رأسه بالسنان ومال على عبدهياف وقرع رأسه الآخر ورجع على عقبه طالب عساكر عبد هياف وجال فيهم وصال وقلب الفرسان على الشجعان وأظهر فيهم بابا من أبواب الجنان فشربت من بين يديه الافران فيهم ساعة من ساعات الزمان ثم أنه ورد وقصد إلى عساكر بنى عبس وعدنان وحمل عليهم ففرقهم فى البرارى والقيعان وعاد بعد ذلك إلى الميدان وصرخ صوتا أفرق بين عبد هياف والغضبان وحمل على عبدهياف ومال عليه وأشار اليه وانشد يقول

نحن الفوارس يوم الجهاد وتعلم بذلك أقيالهـــا

أيا عبد هياف باواحد فدونك الحرب وأبطالها

(قال الراوى) فلما سمع عبد هياف نظامه وشعره وكلامه ومن ارتفاع قامته وهامته وقوة شهامته وفرسيته لجال معه وصال وأنشد وقال

أقبل فهـــذا اليوم شأن كرا ما فيه للانذال يوما صبرا

وليس ينجى من طعن السمرا إلا ثبات القوم تحت الغبرا

(قال الراوى) فلما فرغ عبدهياف من مقاله حمل عليه وطلب جداله ونزاله وهو مراده يعرف حاله وأشكاله فتلقاه ذلك الفارس بهمة قوية ونخوة عربية وأجابه على كلامه وهو ينشد

لو كانت الحروب نارا كنت مبتدر ولو رمت بشرا رجين تستعر

أنا الهزبز أبو الاشبال لاجزع يوم الهياج ورؤس القوم تنتثر

(قال الراوى) فلما فرغ الفارس من شعره ونظامه ونثره حمل كل واحد منهما على صاحبه وقد علم من قبل ذلك اليوم طعانه ومضاربه وجالا طويلا وأعتركا عراكا وبيلا وغاصا فى الاوابد وصبرا على الشدائد وعضت الخيل على الشكائم والمداود وجرى بينهما حرب شديد يذوبه من حوله الحصى والجلاميد ثم أنهم أفترقا على سلامة والنجاة أحسن من الندامة ووقفا قبال بعضهما بعض فى تلك الساحة وكل منهم يريد لنفسه راحة وكل منهما ينظر إلى صاحبه شزرا ويرمقه حذرا وبعد ذلك عاد إلى الجولان وحملا على بعضهما بعض فى الميدان وجرى بينهما حرب وطعان حتى حير الفريقان ولم يعرف أحد من العسكرين من هو هذا الفارس ولا من أى العربان وهم يتكلمون كل واحد بكلام فيه أختلاف كيف هذا الفارس قاتل كل هذا القتال وفرح رأس الغضبان وعبدهياف إلا أن الملك عبدهياف بما أعتراه أنبهر وانحلت عزيمته بما اعتراه من الفكر وتأخر لطلب الراحة فانصفه ذلك الفارس وتأخر الآخر إلى جانب تلك الساحة ووقف كل منهما فى جانب الميدان ساعة وهم وقوف من الجولان ثم بعد ذلك عاد إلى الحرب والجلاد وأخذا فى السكد والجد والطراد حتى علا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار فبان من عبدهياف التقصير وعرف منه معرفة ذلك خبير فحمل عليه وقاربه وفاجاه وكافحه وراوغه وداناه حتى التحما بينهما الحرب وزادبهما الطراد والجلاد فاعتدل عليه ذلك الفارس وقام بدو وطعنه فى كتفه بعزمه لحذفه من على ظهر الجواد إلا أن عبدهياف لما جاءته الطعنة وأرمته كان محترزا لنفسه فوقع قائما على ظهر الجواد وهجم على ذلك الفارس الذى فعل نه تلك الفعلة ودخل تحت بطن الجواد وقبض على أربع قوائمه ومشى به قاصداً عساكره فوثب ذلك الفارس من على ظهره بقى على الأرض وهجم عبيه لحذفه عبدهياف بالفرس أسرع من طرفة

العين فأخلا ذلك الفارس عنه وحمل عليه ذلك الفارس وأرمى عليه مضارب أحر من الجمر وأمر من الصبر ولم يزالا في كد وجد وأخذ ورد حتى طارت الدرق التي في أيديهما قطع وكاد كل منهم إلى الارض الا أن عبد هياف رأى من ذلك الفارس ما أبهره وزاد عليه الأمر بغير ما يعهده حتى حير بصره هذا وقد تحيرت الفريقين وانبهرت أعين العسكريين بما جرى بين ذلك الفارسين إلا أنهما لما زاد عليهما المطال ودارت بينهما العجائب والاهوال وكان لهم في ذلك الساعة شيء يحير الافكار وذلك الفارس زاد على عبد هياف الدرهم قنطار فلما رأى منه ذلك الانبهار حمل عليه وهو غارق في بحر فكره وضربه بالسيف صفحا على رأسه صرعه ورماه على ظهره فعند ذلك حملت عساكره حتى يخلصوه من شرب كأس الحمام وحملت أيضا بني عبس عليهم ووقع بينهم الحرب والصدام حتى تنكست من على رؤسهم الاعلام وطاشت الاهوال وقد أطلقوا الأعنة وقوموا الاسنه وكثر الزحام وتزلزلت الاقدام وثار الغبار مثل الغمام وأشتد الحرب وكثر الطعن والضرب وزاد البلاء والكرب هذا وقد اختلطت العسكرين في بعضهم البعض وقد ركضوا في الطول والعرض حتى ردت حوافز خيولهم تلك الأرض وكان الملك عبد هياف في هذه الغفلة قد قام قائما على الاقدام بعد ما صحى من تلك الضربة التي كادت أن تسقاه كأس الحمام فوثب وقوى عزمه والادمية جارية على درعه وبدنه مثل الغمام وركب بعض الخيل واختلط بالعسكر وغير جواده وطلب البر الاقفر من هول ضربة أبي الفوارس عنتر حتى أدرك أكابر قومه وهو ندمان وخبرهم عن فعل عنتر الفرسان وكيف عاد من خلف عسكره في الميدان وكيف قرح رأسه ورأس الفارس الذي قباله وفعل ما فعل حتى حير الفرسان واقران وكيف ضربه تلك الضربة التي ما رأى مثلهم إنسان (قال الراوي) وكان الملك عبد هياف قد عرف عنتر لما ترجل على وجه الأرض وتقاتلا فتطاولا وعرض فعرف بعضهما بعض الا أن عنتر لما عاد إلى قومه فتقدم الامير هانيء بن مسعود اليه وقبله بين عينيه وهناه بالسلامة وقال له يا فارس العرب وكاشف الكرب والليث المنتخب ثم قال له الغضبان وذمة العرب ما قصرت يا ابتاه مع هذا الشيطان وأظنه يفلح من هذه الضربة التي ضربتها له على رأسه فإنها أوهنت أساسه وأخمدت أنفاسه فقال له أبوه عنتر والله يا ولدي ما أظن أن تلك الضربة تقصر عمره لأن الضربة لما وصلت اليه الفته على ظهره وما كانت إلا صفحا لأني ما أردت بذلك الا اسره فلما وقع حالت العساكر بيني وبينه بعد ذلك ما أدري ما كان من أمره فعندها نهض الغضبان وباس رأس أبيه ويديه وقال لله درك من فتى غضبان وحامي الميدان ومبيد الشجعان والاقران وتقدم أيضا الملك قيس بن زهير

(قال الراوى) ثم أن العسكرين لما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وكان الملك عبد هياف لما جرى له مع قومه لما عاد مثل ما جرى لعنتر مع قومه وهنوه بالسلامه وتعجبوا من حملة للفارس والفرس وكانوا قد عاينوه لما رماه وهنوه بالسلامة من تلك الضربة جاءته ثم أنهم باتوا إلى أن طلع النهار وبان الضوء واستنار واصطفت العسكرين إلى الحرب وترتبت الطائفتين إلى الطعن والضرب فكان أول من برز إلى الميدان يطلب الحرب والطعان هو والملك عبد هياف ليس عنده ما جرى له فى اليوم الماضى لا انزعاج ولا يخاف ثم أنه طلب البراز وسأل الانجاز وقد حل على رأسه الوقائد مخافة من توبيخ كل حاسد وعمل من فوق الكل خوذة عادية مليحة ململمة مجلية وجعل على بدنه زردية وكان من معزتها عنده سماها الذهبية لأنها كانت بالذهب مطلية وكانت ضيقة الزرد كثيرة العدد لا يعمل فيها الصارم المهند ولا يخرقها سنان الرمح المسدد وكان يدخرها للشدائد ولا يلبسها إلا يوم الاوابد فلما خرج ذلك اليوم فى ذلك اللبس والزى والمنظر فكان كل من رآه وقد علم ما جرى له فى اليوم الأول يتحير ثم أنه جال على ظهر الجواد وصال وطلب البراز والنزال وبعدها وقف فى وسط الميدان وأنشد وقال :

لقد علم القبائل من نزار ... بأنى فارس بطل نبيل
عزيز فى ملاقاة الاعادى إذا ... جالت الاقران بالسيف الثقيل
أعنترة الوغى أبرز الينا ... أبا بطلا وليس له عديل

(قال الراوى) ثم أنه صال وجال وطلب الحرب والقتال وجعل فى الميدان كرات وحملات وقال أبرز يا عنتر حتى أننا نتناهل أنا وأنت كاسات الممات فقد عرفت أنك أنت الذى كنت صاحبى بالأمس وعلمت أنك فارس عبس فأبرز لى اليوم حتى أننى أخاطر معك بالنفس وأبدل أعزازك بالتعس والنكس فوحق ذمة العرب الكرام ما رأت عينى مثلك بطل همام ولا فارس ضرغام ولا أصبر منك على الحرب والطعان ولا أقدم منك على الجولان ولقد لقيت فوارس البر والبحر على طول الزمان فما نظرت أثبت منك جنان ولا أقوى فى حومة الميدان فلم يتم الملك عبد هياف كلامه إلا وعنتر صار قدامه وكان تحته جواده الأبجر الذى ما ملك مثله كسرى ولا قيصر ولا أحد من ملوك بنى الأصفر وهو مسربل بالحديد عليه ثلاث دروع من الزرد النضيد وهو متقلد بثلاث سيوف وذلك من حرصه من اليوم الماضى لأنه علم أن العساكر قد ملت من الانتظار وإذا لم يؤسر أو يقتل ما عول عسكره على الإفكار وكانت تلك السيوف سيفة الماضى الحصين وسيفه الدامغ المعين ثم أنه جال وصال حتى لين عريكة

الحصان فى حومة المجال وهو كالأسد المهرول وأشار إليه ينشد ويقول صلوا على طه الرسول .

كان يرمى فى الحرب يوماً طويلا ... هلل السيف بيننا تهليـــلا

لم أزل التقى الفوارس فيـــه ... وأقد الأجساد عرضا وطولا

وأذيق الأبطال طعنا وضربا ... ثم أرديهموا قتيـــلا جديلا

هذه سيمتى إذا الحرب قامت ... وترانى للضيف عبدا ذليـــلا

أنت فرد يا عبد هياف يا من ... قاد جمع الجموع جيشاً جليلا

(قال الراوى) ثم أنهما حملا على بعضهما بعض وجالا طولا وعرض حتى تدككت من ركضت جواديهما تلك الأرض وطال بالعسكرين الانتظار وتحيرت بما جرى بينهما الأفكار فعند ذلك وقف الملك عبدهياف عن المجال لما ضعفت منه الأوصال وأشار إلى عنتر بالمقام فقال يا أبو الفوارس وحق ذمة العرب الأقيال لقد رأيت من حربك ما لا يوصف واصفا ومن صدق ضربك وطعنك ما كفى ولقيت أنت الآخر من حربى وطعنى وضربى ما ليس عنك يخفى ولقد أشتهيت أن أرغب فى مصاحبتك وأصادق مثلك وأكون عندك كواحد من أقاربك وجماعتك فهل لك يا فارس الزمان ونتيجة العصر والاوان ويا أبو الفوارس أن تصادقنى وعلى ما أريد منك توافقنى فقال له عنتر ويلك يا عبدهياف فما أنا ممن بالمحال تخدعنى ولا تقدر تبلغ مرادك بالزور منى وحاشاك من هذا الكلام أيها البطل المغوار لان هذا ما يليق بمثلك أن يميل إلى الخدع ولا أنا ينال منى إنسان ما يريد إلا فى حومة الميدان الذى يبان فيه الفارس الكرار إن كان لك رغبه فى قتالى فدونك حربى ونزالى وأن كنت تطلب الاقالة فإن الله أقالك (قال الأصمعى) فوالله ما سمع عبدهياف من عنتر آخر هذا الكلام حتى رمى روحه من على ظهر الجواد وبقى على ظهر المهاد وتدانيا وتقاربا ورمى كل واحد منهما روحه على الآخر كأنه من بعض أقاربه وصار كل واحد منهم يعانق صاحبه واصطلحا صلحا طيباً ما فيه اختلاف وقبل عبد هياف لعنتر وقبل عنتر لعبد هياف ثم صار بينهما العهد والوداد والذمام بأنهما لا يخونا بعضهما بعض لا فى النهار ولا فى الظلام ومن ساعتهما رضى البطلين بهذا الكلام ثم أن عبدهياف عاد ركب جواده وساقه وطلب عساكره واجناده وما كان القتال بينهما كان وكذلك ركب عنتر جواده وطلب ناحية بنى عبس وعدنان ونزلت الطوائف فى منازلهم وقد انطفت من بينهم نار الحقود وقد فرحت جميع الأبطال والاقيال والجنود بما وقع من الصلح وهؤلاء الاسود وفى ساعة الوقته أمر الملك عبدهياف أن تحضروا له الف خلعة زائدة الأوصاف فما كانت إلا ساعة حتى

أحضرت إلى بين يديه رهم من الخلع العاليات الاثمان فأخلع على سائر مقدمين العربان وبعد ذلك أمر باحضار الطعام حتى عم الخاص والعام وبعد ذلك الاكل أحضروا المدام فأكلوا القوم وشربوا وفرحوا وطربوا ودامت بينهم الصحبة والوداد وخلعوا السلاح والحديد عن الاجساد وذلك بقى حاميتهم عنتر بن شداد هذا وعبد هياف وعنتر وهانىء بن مسعود سيد بنى شيبان ودريد بن الصمة شيخ مشايخ العربان أهل المناهل والغدران والملك قيس وجميع فرسان القبائل وفرسان الحجاز وتلك القيمان يتعاودوا على الشراب فيما يكون وما كان وسأل دريد بن الصمة فى صهره ذو الخمار الفارس الرئبال فأطلقه لاجله مما كان فيه من القيود والاغلال فلما أطلقوه فما قارب بنى عبس بل أنه تنحى عنهم وقصد عرض البرارى والتلال لخاردريد منه ومن شدة حنقه على بنى عبس ورجالها وقال إلى حيث ألقت أم قشعم رجالها وداموا جميع القوم فى أكل وشرب مدة ثلاثين يوما ثم بعد ذلك رجعوا وعاد كل واحد منهم طالب دياره وقد قضى كل واحد منهم من الصلح أوطاره هذا وعبد هياف متأسف على فراق عنتر وكذلك عنتر متأسف على فراق عبد هياف على ما وقع بينهم من المحبة والوداد فأشار عبد هياف إلى عنتر بن شداد يودعه بهذا الانشاد يقول

سر فى أمان الله يا هذا الفتى ... وأجل من ركبت الجياد وأسرج
فالقلب بعد فراق عنتر مغرم ... والنار تضرم فى الحشا تأجج
فلئن رحلت فأنت غير مودع ... ولئن رجعت فها أنا لك ملجأ
أنت المؤمل فى الحوادث كلها ... أنت المفرج كل ضيق مخرجا
ما أنت فريد فى الزمان مؤيدا ... ما لبس مثلك فارسا سلك الدجا

(قال الراوى) ثم أن عبد هياف قال لعنتر بعد ما اثنى عليه وله شكر وما نظم ونثر أشهد على يا أبا الفوارس أننى وحق ذمة العرب وشهر رجب والرب الذى إذا طلب كل العباد غلب ما بقيت أنصب على رأسى راية وفيها ناصية ملك ولا بقيت أرجع إلى حصار الملك كسرى أنوشروان كرامة لو لدك الغضبان الذى كسر نصف عسكرى فى ساعتين من الزمان وهو الأسد المدار وكشف عن كسرى الحصار فقال له عنتر أعلم يا ملك الاقطار أن الملك كسرى ما فعل فعل يستوجب عليه الحصار ولا بينك وبينه معاملة لا فى درهم ولا فى دينار وهو ملك عادل كثير المحبة للفرسان ويود أهل الشجاعة والاقران ويحب العدل والانصاف ويكره الظلم والاسراف فقال له عبد هياف حياك الله يا فارس الزمان إذا كان شأنك هذا الشأن ثم أن الملك عبد هياف أدعى من وقته وساعته بمائة الف دينار ومائه ثوب أطلس لم

يوجد مثلهم في سائر الأقطار ومائة ثوب من الديباج تزهج من الذهب الوهاج ومائة حصان بحرية ومائة من الحجورة العربية وألف ناقة هندية ومائة عبد ومائة جارية حبشية ففي عاجل الحال أحضرت قدامه الجميع كما أمرهم في الوقت سريعا ثم أنه أمر بعد ذلك باحضار الغضبان البطل الهمام فحضر إلى ما بين يديه بقوة وعزم واهتمام فاجلسه إلى جانبه بعد أن قام له قائما على الاقدام وقال له يا غضبان خذ هذه الأموال والنوق فقد سمعت عنك أنك رجل كريم ومثل أبيك بطل جسيم فاشتهي من جنابك الكريم أن تقبل مني هذا المال الجميع يا فارس الزمان وياحاوي قصب الرهان فقال له الغضبان أنا ما أشتهيك يا ملك إلا تكون في خير وانعام وأعظام ولكن قبوله حبا وكرامة فلا زالت ممتعا بالعز والسلامة لأن الكرام الأفاضل أصحاب الرتب قالت امتثال الأمر من سلوك الأدب ثم أنه أمر له من الخدم والغلمان فدفعوا الجميع إلى رعاته ورعاة أبيه عنتر الفرسان ثم قال له الملك عبد هياف لعنتر يا أبا الفوارس أني عرفت منكم أنه لو كان لكم أموال ونوق وجمال ما أبقيت عليها لا أنت ولا ولدك الغضبان الذي هو الآن شجيع الوقت والزمان ثم أنه ودعهم وقدموا له جواد البركب فقدم له عنتر شيئا من الأموال والذخائر والفضة والذهب وخيول وزرديات وعده سلاح ونوق وجمال حتى أمتلات بهم تلك البطاح وسال تفضلاته في قبولها فأبى الملك عبد هياف عن ذلك وحلف عليها بحياة رؤس حماة القبائل أنه لم يأخذ منها ء قال وقال له هذه فرقة تشهد على من عندك من الرجال والأبطال ثم أنهما ودعا بعضهما بعض وكذلك من معهما من الفرسان بوكامل في تلك الأرض والقيعان ورجع كل واحد طالب بلاده ومعه عساكره وأجناده ولما عادوا وحضروا بين يدي الملك قيس جميع العربان بعد رواح الملك عبد هياف ومن معه الشجعان فاخلع على الجميع الخلع الاطلس الملاح وأكثر لهم من الزرد والسلاح ثم بعد ذلك أحضر عنتر أمواله وكثير من نوقه وجماله وحلف على شيخ العرب دريد بن الصمة وعلى هاني بن مسعود وعامر بن الطفيل وبسطام حامية بني شيبان وجميع حماة القبائل والمقادم وحلف عليهم أن جميع ما اقدمه له عبد هياف يقبلوه ولا يردوه فحلف الجميع وشدوا في الأقسام أنهم لم يفعلوا ذلك المرام ثم قال له دريد يا أبا الفوارس أنت قد تشتتت من أوطانك وقتلت رجالك وفرسانك وأنت أحق بهذا المال تنفقه على رجالك الأبطال ثم أنهم تودعوا وسار كل واحد طالب دياره والأطلال وكل واحد توجه في طريقة آمنا من الندامة والعويق من غير عايق لهم يعيق (قال الراوي) وأما هاني بن مسعود فانه سار هو ودريد ابن الصمة وهم في عزيمة وهمة وقد انفصل الحال بين الابطا والاقيال فقال عنتر إلى ولده الغضبان يا ولدي أما ترى إلى هؤلاء الابطال وهم قد أتوا الينا وتعبوا معنا وقاسوا من

أجلنا الأموال وبعضو إلى أماليهم والعيال ومالهم مالهم ولاعقال وحق العرب الاخيار ان هذا لاغاية العار والذل والشنار فقال له ولده الغضبان يا أبتاه من الرأى الصائب والأمر الواجب أنك تقسم هذه الأموال شطران ترسل الشطر الواحد إلى هانىء بن مسعود ودريد بن الصمة والفرسان الصناديد والشطر الآخر تأمر دريد أن يفرقه على باقى الفرسان الأماجيد فقال الملك قيس والله ياغضبان لقد أتيت بالرأى الصائب والأمر الرشيد فعند ذلك الأموال مع العبيد والغلمان وأمرهم أن يلحقوا دريد بن الصمة شيخ العربان ويقولوا له يقول لك عنتر فرق البعض على الفرسان والبعض الامير هانى سيد بنى شيبان والبعض يكون لك خاصة تسير به الاوطان فسارت العبيد بتلك الاموال ولحقت دريد وسلمت عليه وأعطوه المال بالتمام والكمال وقالوا له أن الملك قيس وعنتر والغضبان يسلموا عليك ويسألوك قبول هذا المال وأن تقسمه شطران الواحد لك ولهانىء بن مسعود سيد بنى شيبان والقسم الثانى لباقى القبائل والفرسان فلما سمع دريد قول الرجال والغلمان فشكر الملك قيس وعنتر والغضبان وأثنى عليهم بكل جميل على فضلهم والاحسان ثم أنه أرسل فى عاجل الحال خلف أكابر القبائل والفرسان وفرق عليهم من الاموال وكان شيئا كثيرا بهر الاعيان ثم أنهم رحلوا بعد ذلك طالبين ديارهم والاوطان وهم فرحانون مما معهم من الاموال كرامة القتال والصبيان هذا ماجرى من أمر القبائل وعساكر العربان أما الملك قيس بن زهير فانه سار طالب دياره والأوطان التى هى أرض البشرية والعلم السعدى ديار بنى عبس وعدنان وكان عنتر قد قال للملك قيس يا ملك الزمان خذ معك جميع الحريم والأطفال والعيال والنسوان وسر بهم فى هذه البرارى والقيعان حتى أسير أنا والغضبان لعلنا نسوق غنيمة من بعض الاعداء الذين لنا من قبائل العربان ننفقها علينا مدة أقامتنا فى الاوطان (قال الراوى) فقال له الملك قيس يا أبا الفوارس افعل ما بدالك وما أحد يخالف مقالك ثم أن عنتر أخذ معه عروة والغضبان وشصوب وميسره أخوه مازن وتمام المائة من الفرسان وسار هو فى المقدمة وأولاده إلى جانبه يقطعون القيعان ذلك اليوم والثانى والثالث وإذا هم قد أشرفوا على مرج كثير الاشجار والأزهار والاثمار والماء فيه حدار فقال عنتر لولده الغضبان انزل بنا يا ولدى فى هذا المكان حتى نأخذ لنا راحة ونأكل شيء من صيد هذا الوادى ونشرب من هذه الغدران فبينماهم فى المشورة والكلام وإذا قد طلع عليهم غبار وقتام فتأمله الغضبان بمقوله وإذا به قد انكشف للنظار وظهر وبان ما تحته للابصار وإذا به رايات كسراويه وبيارق خرسانية فهمز الغضبان جوادة فطار وطلب إلى ناحية الغبار حتى ينكشف ما تحته من الاخبار وإذا هو بجماعة من الاعجام والمرازبة والديالم فأول ما رأوه ترجلوا على الاقدام وقربوا منه

وسعوا اليه وخدموه قال الراوى وكانت هذه الفرسان من عند الملك كسرى أنوشروان وهم رسل أرسلهم الملك كسرى فى طلب عنتر وولده حتى أنه يجازيهم على ما فعلوه معه من الجميل والإحسان لأن عنتر لما أرسل ولده الغضبان وفعل ما فعل من كسر العساكر وخلص عساكره والدماكرة ما كانوا فيه من الذل والهوان فبقى عليهم العيون والارصاد حتى صالح عبد هياف مع عنتر بن شداد ورحلت العساكر تطلب أهلها والبلاد فأرسل هذه الرسل فى طلب عنتر بن شداد وأمر الرسل أن يأتوا به هو وأولاده الجميع فالتقاهم فى هذا المكان كما ذكرنا فلما التقاه رسول الملك كسرى قال له يا أبا الفوارس أجب الملك العادل حتى يقضى معك ومع ولدك الغضبان برهة من الزمان ويتشكر من جميلكم والاحسان لأنه قد سمع بما وصل ولدك من الشجاعة والقوة والبراعة وما قد ظهر له من السعادة والتوفيق لما أتى اليه وأعته فى أول طريق ثم أن الرسول تقدم إلى عنتر وقبل رجله فى الركاب اليك ومن يعز عليك حتى يجدد بك عهد وميثاق وتتشرف بنقل أقدامك أرض العراق فقال عنتر حبا وكرامة اعلم أننى عبد الملك كسرى ومملوك احسانه وأنا من بعض رجاله وغلمانه ومن هو أنا حتى ينفذ مثل خلفى رسول ثم أخذ ولده الغضبان وباقى أولاده ومن معه من الفرسان وساروا جميعا يقطعون البرارى والقيعان طالبين مدائن كسرى أنوشروان والغضبان يقول لابيه يا أبى وحق ذمة العرب ما فى مدائن كسرى إلا خلق كثير وأمم لا تحصى بعدد الرمل والحصى ترى يا أبتاه فيهم قوة وشجاعة إذا تدانت المواكب والتقت الكتائب بالكتائب وهل لهم ثبات فى حومة الميدان أو يلتقوا حرباً وطعان فقال له أبوه لا عدمتك يا غضبان لا بد لسؤالك عن أمر وشأن فقال له نعم كيف قدر عليهم كسرى حتى ملك كل هذه الشجعان فضحك عنتر وقال يا ولدى هل عمرك رأيت ملك بن ملك يقاتل فرسان أو يبارز أحد فى حومة الميدان فقال الغضبان إذا ما كان فيه للقتال فكيف ملك كل هذه البلاد وأطاعته العساكر والاجناد وكل هذه الامم والعباد فقال يا ولدى هذه وراثة ملك فقال الغضبان فلما لا تسير أنت اليه وبالسيف تقمعه وتقتله وتقعد أنت موضعه وقد ملكتا كل البلاد وجميع العباد والاأى شىء هذه أرض الشربة والعلم السعدى وذلك المكان وما هذه امارمال وكثبان وتراب وكيمان وأما طاعتك للملك قيس بن زهير فهو مما يوصل اليك المضرة والمذلة والضير ولا يصل إليك منه قط خير وقطيعة وأنت فارس الفرسان وعروس الميدان ومقاتل كسرى أنوشروان ومذل ملوك الزمان أصحاب المعاقل والتيجان فقال عنتر يا ولدى يا غضبان أطاعة الملوك ما هى قز عامن قصر يدولا عدم مكسب وإنما طاعتهم من سلوك الأدب لأن الله عز وجل فضلهم على غيرهم وجعل لهم الطاعة علينا فرض كما فضلت أنت بالشجاعة على غيرك من فرسان

الأرض بطولها والعرض لأن البارى جعل واحد شجاع وآخر جبان ماله قيمة بين الفرسان وواحد كريم وآخر بخيل وواحد عزيز واحد ذليل وآخر ملك آخر مملوك وواحد غنى وآخر صعلوك وان السعادة بالولد كلها من الله بالمشيئة والارادة قال الاصمعى ثم سار واميع الرسول الجميع حتى قاربوا المدائن فى عاجل الوقت سريعا وكان الملك كسرى أوقف لهم ناس من مسير ثلاثة أيام معهم البطائق الذى تسير على أجنحة الحمام وقال لهم اذا وصلت لكم بنى عبس وعدنان وعنتر وولده الغضبان أطلقوا الطير ففعلوا كما أمرهم الملك كسرى أنوشروان وأعلموه بوصول عنتر وأولاده والفرسان فأمر بركوب جميع الجيوش إلى ملتقاهم وكذلك جميع حجابه وكبار الاقران ودقت للقاهم الكؤوس ونعرت البوقات وطلعت جميع الخلائق إلى الملتقى وهم بأحسن زينة القاعنتر الفتى القسور وخرج كسرى فى أصحابه ومرازبته وتيابه فلما وصل عنتر ورآه فترجل من على ظهر جواده وكذلك جميع اجناده وأولاده وقبلوا ركابه فاستقبله كسرى وهو كانه عزاحبابه وأصحابه وحياهم بالسلام وزادهم فى التحية والاكرام وأمر بنزولهم فى أعلى مكان وكانت سبقت له الخدام والغلمان وفرشوا لهم محل أحسن ما يكون من الفراش المزينة والتحف الملونة وأمر لهم باحضار الطعام وبعد ذلك أمر باحضار المدام وأقام بواجب حقهم ثلاثة أيام هذا والغلمان فى خدمتهم إلى أن فرغت ايام الضيافة فامر باحضارهم بين يديه وباسطهم فى الكلام وسألهم عما جرى لهم مع الملك عبدهياف الهمام وما أعطاهم من الأموال والثياب والخيل والجمال والانعام وحدثه عنتر بما رأى من شجاعته وما عاين من قوته وبراعته وحسن قتاله وجودة حربه ونزاله فتعجب من ذلك الملك كسرى وقال له يا أبا الفوارس طول ما تحمل النساء وتولد ما على وجه الارض فارس ثم ان الملك كسرى نظر إلى الغضبان وقال يا فارس الزمان ويا حاوى قصب الرهان يامن بادأنا بالإحسان اطلب وتمنى على كل مايشتهى خاطرك وتريد حتى نحملك على بساط عدلنا وكرمنا ونزيدك أوفى مزيد فقال له الغضبان بقوة جنان وثبات بنان أريد منك يا ملك العصر والزمان تعمل لى عمود من ذهب مثل عامود عبد هياف يكون وزنه مائة من أوزان العراق ويكون فيه عشر حلقات كل حلقة ثلاث أصناف بذلك الوزن والاتقان حتى ابقى أفتخر به على جميع عرب الآفاق وتعمل لى أيضا رمح مثل رمحه من الحديد البولاد الصينى ويكون وزن الرمح مثل وزن العامود وأيضا تعمل لى ترس من البولاد من جلود التماسيح ويكون وزن العامود حتى تعجب بهم أهل خرسان وجميع العربان فتعجب الملك كسرى من كلامه وأمر باحضار الصناع إلى قدامة ورسم بأن يصنعوا له جميع ما طلب وقصد الغضبان وعنتر فى أكل وشرب مع الملك كسرى وهم فى غاية الطرب إلى أن فرغوا الصناع من عمل العامود والترس والرمح وأحضروهم إلى بين الملك كسرى

فسلمهم إلى الغضبان فعندما أخذهم الغضبان وفرح بهم غاية الفرح وطاب قلبه بذلك الامر والشرح ثم انه لعب بالعامود قدام أنوشروان حتى حير جميع من في ذلك المكان من شدة قوته وبراعته وعظم شجاعته وهو يحذفه في الهواء ويلتقيه ثم انه خدم وقبل يد كسرى وكذلك لعب بالرمح ماندب حتى حير عقول أولي الألباب وبعد ذلك طلب سرعة العودة هو وابوه عنتر فعند ذلك أمرهم كسرى بألفين ناقة لم توجد مثلها في البلاد ومائتين رأسا من الخيول الجياد ومائة خلعة من الخلع الغوال ومائة سيف وخوذة ومائة رمح طوال ومائة الف دينار من الذهب العال وإذن لهم في المسير والرحيل فودعوه وساروا وهم شاكرين لنعمائه ذاكرين وإلى ديارهم طالبين وفي مسيرهم مجدين وإلى أهلهم راغبين قال الراوي فلم يزالوا سائرين يقطعون الطريق من غير عائق لهم يعيق حتى بقوا في نصف الطريق أمرهم عنتر أن يعرجوا عن طريقهم في تلك القيعان فظنوا أن ذلك ضيعان فقال لهم الغضبان إلى أين تريد المسير بنا يا أبتاه فانه ما يفعل فعالك هذا إلا من ضل عن الطريق وتاه فقال له عنتر لا يا ولدي ما تهت ولا بي ضيعان إلا أني أريد أن أمضي إلى ناحية العجوز الذي داوتني ولها علي جميل وإحسان (قال الراوي) وإن هذه العجوز الذي ذكرها عنتر لولده الغضبان هي التي داوت عنتر وجرى له ما جرى عندها من ذلك الشأن ثم انه عرج لهم عن طريق وساروا بين يديه وولده الغضبان في سرجه كأنه غصن بان أو أسد غضبان حتى أنهم وصلوا إلى المكان التي فيه العجوز وصديقة عروة بن الورد يقول له يا أبا الفوارس والله ان زيارتها تجوز إلى أن أشرفوا عليها وتقدموا اليها ومما وقع من الاتفاق الذي يكتب ويسطر في الأوراق وجدوا أولادها الثلاثة عندها حضور لحصل عندهم الفرح والسرور وأما أولادها لما رأوا وافيا عنتر وهو مقبل فقاموا اليه لينظروا من هو القادم عليهم والوارد اليهم فركضوا بخيولهم على أنهم قاربوه فعرفوه فألقوا أنفسهم من على ظهور الخيل في تلك البراري القفر وصاروا يقبلوا في الركاب رجلين أبي الفوارس عنتر فقبل عنتر رؤسهم وحلف عليهم أن يركبوا وهم فرحانا بما حصل لهم من الفرح والطرب فأخذهم قدامه وقصد إلى المضرب فلما رأت العجوز إلى تلك الرجال فخرجت اليهم واستقبلتهم بحسن استقبال فترجل لها عنتر هو ومن معه من الرجال وكان ذلك كرامة منه وانضال وتعظيما لها واجلالا وقصده بذلك أن يكافؤها على ما فعلت معه من المعال وسلموا أيضا اولاد عنتر عليها ومنهم من قبل رأسها ويديها فصارت العجوز تقبل يدي عنتر ويدي فرسانه وأجناده وأقرانه وفرحت بقدومه وقدوم أولاده وهذا أخي وهؤلاء رجالي الذين في خدمتي وما منهم إلا كالأسد عند حملته فقالت العجوز بارك الله فيك وفيهم ومن هو في رفقتك ورفقتي وتعجبت العجوز منهم وظنت العجوز انه ما جاء عنتر الا ليأخذهم

فى صحبته قال الراوى فلما استقر بهم المقام فخدموهم أولاد العجوز ثلاثة أيام وبعد ذلك قال عنتر للعجوز وأولادها وقد طلب أن يكافئها على حسن ودادها أما ترحلون معنا إلى ديارنا حتى تكونوا تحت ذمامنا وفى جوارنا ويكون لكم مالنا عليكم ما علينا وتبقوا تملكون جميع ما فى أيدينا فقالوا له يا أبا الفوارس نحن أينما كنا ما نكون تحت حمايتك وفى حماية أولادك وتحت ظلك ورعايتك ونحن عبيدك على طول الزمان ونسأل الله أن يبقيك حوادث الزمان وطوارق الحدثان وأما العجوز فانها فرحت الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد وزال عنها ما كان اعتراها من الأوابد وحمدت الله وشكرته على جميع العوائد فلما كان بعد الثلاثة ايام أنعم عليهم وعنتر واعطاهم أوفى عطيه قدم لهم الخيول العربية والجوائب وشيء كثير من الرماح والقواضب وأهدى لهم الأموال والنوق والجمال والخلع الغوال وأعطاهم من التحف والإحسان شيء يكل عن وصفه اللسان ويبقى ذكره على مدى الأزمان وقال لهم أنتم فى دمامى إلى أن أموت وأشرب كاس حمامى فاذا عارضكم أحدار سلوار أعلمونى أسير إليه وآخذر وحه من بين جنبيه وأطير راسه من بين كتفيه وأقتل أبطاله وأخرب دياره وأطلاله قال الراوى وأن الغضبان وأخوته ميسرة وغصوب أوهبوهم شيئاً زائداً لم يكن فى حسابهم محسوب وكذلك جميع الفرسان أوهبوهم شيئاً يكل عن وصفه اللسان وغمرهم بالخير والإحسان ثم أن عنتر رحل بعد ذلك قاصداً إلى دياره والأوطان وسار وأولاد العجوز معه لوداعة يوم كامل فى تلك البرارى والقيعان فعند ذلك ردهم عنتر بعد ما شدد عليهم فى الاقسام وسار وايقطعون البر والآكام طالبين أرض الشربه والعلم السعدى والخيل تخب بهم وتعدى وقد اشتاقوا إلى نظر الأحبه وما لهم من الرفاق والاصحاب وهم يتحادثون فيما جرى عليهم فى تلك الاسباب فى هذه السنين والاعوام والشهور والايام وما قاسوا من عبد هياف من الحرب والصدام وما تم لهم من الاقتحام والالتزام فقال عنتر وحق ذمة العرب الكرام طول عمرى الاقى الفرسان وأمارس الاقران والتقى الجبابرة والشجعان فما رايت اثبت من هذا الفارس والقرم المداعس الذى تشيب الرأس من حربه تنذهل الاقران من طعنه وضربه ولما حملنى بجوادى فغاب صوابى وارتعت فؤادى فوحق شهر رجب والرب الذى إذا طلب غلب يستاهل أن تنعقد على رأسه الريات وتنقاد تحت لوائه القادات والسادات ثم انه أشار يحكى إلى فرسانه ما قاسى من حربه وطعانه وهو ينشد ويقول هذه الابيات :

الا بلغ العربان عنى من أقوالى	بأن طعان الرمح فى الحرب أشغالى
وبلغ العربان وعبس وسادتى	وعزى وخلانى ذوى المنصب العالى
وخبر بنى بدر وغطفان بعدهم	لزهران مع كهلان من كل مفضال

بما لاقت الفرسان من خرب عسكر ... يسد فيافي الأرض سهل واجبال
يموج كموج البحر تحت غمامة ... وقد أظهروا برقا وزهدا وأعوال
وهم الف الف ثم سبعون بعدها ... الوفا والف راكبين الأفيال
أتونا بعزم من بلاد بعيـــدة ... معا ملكين آخر الناس أمثال
وكان أصل ذا شيخ أتاني وقال لي ... ألا أنني محسوب منك باتصال
رويت ظما مالك بوسط هجير ... وأجبته لما وصلت بأحيال
قضيت أنا هذا الذمام وانني ... همام ومقدام وليث ومفضال
فسارت رجال الهند نحو مليكها ... وقد أخبروه القوم ما كان من مجال
فجرد رسولا بالوعيد مهددا ... لجنده الغضبان فوق الثرى ورمال
فعادوا حيارى حاملين لمرهف ... وقد أخبروه القوم ما كان من حال
فلما رأى هياف قتله مرهف ... فزاد غراما ثم هام بلبسال
وكاتب ملوك الهند والسند معلنا ... والف مليك قد أتوه بأفيال
وكان له خل يسمى بأخضر ... غشوم شرس في الحروب مقتال
فساروا الينا والوحوش تنافرت ... ونيران هياف تزيد بأشعال
وأرسلت شيبوبا وخذروف ابنه ... فعادوا صراعا زاعقين باذهال
وقد أخبرونا هانىء أسيرا مقيدا ... كذلك سبيع في قيود واغلال
فزادت همومي للامير وأسره ... وفاضت دموع مني كسلسال
فكاتبت خلاني وأهل مودتي ... أتوني سريعا سامعين لأقوالي
وأكملوا سبعين الف مدرع ... أسودا ضواري مثل أسد الدحال
وسرت باولادي وأهل مودتي ... تخوض براري بالبيات وأرمال
كذا ولدي الغضبان كان طليعتي ... فلاقا لصخر في رجال وأبطال
ولما تصادمت الجيوش جميعها ... وجالت بنو عبس بسمر ومصقال
فهاجت وماجت بالبياني وأظهرت ... لسمر القنا من كل دابل عسال
فانفذ مولانا العظيم لحكمته ... فسبحان من حكم وحكمه عال
إله كريم خالق الخلق كلهم ... يجود على العاصين منه بافضال
ركبا أبجرى لما رماني وأطبقت ... على ألوف زايـــدات بأهوال
وما زالوا على بسيوف وبالقنا ... بأسمر عسال وأبيض فصال

ياولدى الغضبان روحى لك الفدى بما فعلت يديك فشفيت أغلالى
وجاء دريد بالعرب الشرار قاصدا وجد ولدى من غير عم ولاخال
والتحم الجيشان فى الحرب واللقا يريدون أخذ الثار من كل جوال
تلطف مولانا العظيم بفضـــله فسبحان من يحيى العظام وهى بوالى
لما تعافيت من جراحى متوا لنحوهم وجدت الفتى الغضبان ضيغم قتال
مبارز ملك الهند يدعى بأخضر فارديته لما ظهرت باذلال
وكان شفاه مع عجوز لقيتها وأولادها منى هربوا بالجبال
وأبصرته فى البر فردا مشردا وحيدا وحول جواد جميع رحال
وبارزت هياف لمـــا رأيته ان شاء صداما وان شاء جوال
وفى وقعة التنين شابت عوارضى وصار عشب البر من فمه قال
وفى يوم حمـــلى بالجواد وسيره فهذا الذى أذهل عقلى وبلبال
فوزب البيت مارأيت مثـــله ومانظرت مثل عبد هياف بالمجال
والله ان كان رب البيت أسعد لعبـد أرقاه إلى المنزل العالى
ولما اصطلحنا فوق الدهر بيننا كذا طبع هذا الدهر ادبار وأقبال
وسرنا إلى كسرى فجاد بنعمة على ولدى الغضبان بالعز والمال
وسرنا إلى عبس نطوى فيافيها وقلبى على عبلة باضرام واشتغال
أياعبلة أنى قطعت البيد أسرع إلى حبك كى أفوز بإقبـــال
أيا عبلة كم قاسيت كل ملمة مع عبد هياف بضربته فصال
أبا عبلة شابت فى المهاد لحربنا ولم يعرفوا ذنبا بنون وأطفال
ثلاث سنين قـد بليته بحربه وستة شهور زائـــدة بأكمال
أنا العنتر العبسى فارس قومه أموت ويبقى لى حديثا وأقوال
وتوجنى ربى بنصر مؤيـــد أقبال وسعدى دائمـا باجلال

(قال الراوى) فلمافرغ عنتر من شعره ونظامه قالت الفرسان عجبا واهتزت طربا وقال عروة لارد الله فالاولا كان من يشناك وبلغك الله مناك ولاشمتت بك أعداك ثم انهم جدوا المسير فى البر والقيعان كانهم العقبان إلى السعدى ورمى عنتر روحه من الشوق إلى نظر الاحباب فارسل عنتر أخوه شيبوب يخبر ويبشر أهل الحى بقدومهم فسارت دار ساعة من الزمان حتى وصل الحى وبشرهم بسلامة أخيه عنتر ومن معه من الفرسان وانهم قدأتوا سالمين ومن

سفرتهم غانمين فخرج الملك قيس وبنى عبس لاستقبالهم فى أحسن زينه وأكمل هيبه وكان يوم عظيم بعد من الأيام وقد نشر على رأس الملك قيس الصناجق والأعلام وساروا فى ذلك الآكام إلى أن التقوا ببعضهم بعض وسلموا على بعضهم سلام الاحباب وفرحوا المقيمين بالقادمين وبعد ذلك جدوا فى سيرهم حتى وصلوا إلى مستقرهم وأقاموا فى فرح وسرور والكاسات عليهم تدور وقد حصل لعنتر بأولاده الفرح والسرور وأتت عبلة تلتقيه وهى بالفرح والمسرات وأخبرها على ما وقع له مع عبد هياف وانفصل منهم وقصد إلى أرض العراق مع أصحابه بعد فراق الملك قيس بن زهير وعن الذى حصل من الاتفاق وسار إلى كسرى أنوشروان (قال الراوى) ولما كان ذلك اليوم تلقته عبلة فى أوائل النساء وهنته بما وصل اليه من جزيل الاحسان واستقروا فى أماكنهم والأوطان وكان الذى وقع لهم ما كان وكانت مدة ما غابوا فى هذه ثلاث سنين وأربعة أشهر تمام هكذا حسبتها العربان ولما استقر بعنتر القرار جعل يتذكر ماجرى له من تلك الآثار وكيف حقدت عليه تلك الملوك والكبار وكيف ظفره الله بهم الدمار فانشد وقال هذه الأبيات :

مالى حمل الغرام يدان	لايستطيع حمـلة الثقلان
عجبا ألاقى الأسد فى يوم الوغى	أقاد قهرا فى يـد العربان
كم ذا ألا يا نفس كم هذا الجفا	هذا الذى يغنى له الحدثان
ياعبلة هل من مسعد أو مشفق	فى حبك فلقد عدمت حنان
هذا غرامى والعزيز مجاورى	كيف السبيل إذا تاه رجدان
فأنا لهذا الأمر أحذر صحبة	يارب جرنى من ضروف زمان

(قال الراوى) وبعد ذلك صفا لهم الزمان وهم فى هناء واطمئنان إلى يوم من بعض الايام وقد قل عندهم الزاد وفرغ ما كان اكتسبوه من الحطام وإذا قد أتى اليهم خبر غنيمة سائرة إلى بعض أحياء العرب فركب عنتر مع أولاده فى فرسانه وأجناده وساروا خلفها إلى أن لحقو وبذلوا سيوفهم فيهم ونهبوها واحتووا على ما كان فيها من الأموال والنوق والجمال وعادوا راجعين إلى ديارهم وهم يقطعون ما بين أيديهم من المناهل والجبال إلى أن أشرفوا على تلك الأودية والمروج وإذا بالحلة تموج كما يموج ياجوج وماجوج ولها غبائر مرتفعة وصراخات عالية مشرعة والصياح عالى والصراخ نامى والناس فى هرج مرج ودخل وخرج لما رأى عنتر ذلك الحال واشتاقت نفسه إلى السؤال فالتفت إلى أخيه

(تم الجزء التاسع والثلاثون ويليه الأربعون)

الجزء الأربعون

﴿ من سيرة عنترة بن شداد ﴾

شيبوب وقال له يا ابن الام أمض وأتنا بخبر قومنا لانى أراهم كأنهم عازمين على الرحيل وسرعة التحويل فعند ذلك أنطلق شيبوب كأنه الريح الهبوب وسار حتى وصل إلى الحلة وأستخبر من بعض الرجال فاخبروه بما جرى عليهم فعند ذلك عاد شيبوب إلى أخيه عنتر وهو كثير القلق فقال له يا ابن السوداء قل لى ما وراءك ومن بشره رماك قال شيبوب يا ابن الام أنا سألت عن الذى جرى لهم فذكروا لى أنهم خائفين من الملك يكسوم ملك الحبشة المفهوم لانهم سمعوا أنه هو وعسا كره سائر اليهم فى عسا كر تملا القيعان من عرب وسودان وقد بلغهم أنه أقسم وشدد فى الاقسام أن لا يبقى من بنى عبس إنسان فلما أن سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقال له ويلك وما السبب الموجب لمسير الملك يكسوم إلى تلك المعالم والرسوم فقال له شيبوب والله ما أعلم شيء عن هذا المقال ولكن سألت بعض الرجال وأخبرنى عن هذه الاحوال فاشتغل قلب عنتر من سماع هذا الخبر وحصل له غم وكدر ثم سار حتى وصل إلى أبياته ونزل وأستقر به المكان فبينما هو مع الرجال وهم يتحدثون فى هذه الهواجس إذا قدم اليه رسول من عند الملك قيس ولما وصل اليه وصار بين يديه وقال له يا أبا الفوارس أجب للملك فسار معه وهو بغاية اهتمامه قال الراوى وكان السبب فيما يأتى من الاحكام أن جماعة من أخوة الملك قيس وجماعة من بنى عبس الابطال أجتمعوا مع جماعة من بنى زياد وتأمر عليهم الأمير عمارة القواد وكان جملتهم أربعمائة بطل من الابطال الشدائد وقد لبسوا سائر العدد والسلاح والملابس وخرجوا من الحلة وساروا يطلبون المكسب كما جرت عادة العرب وجميع الفرسان فتنوطوا فى البر والقفر فما وقع لهم غنيمة من أحد فعولوا على الرجوع من غير فائدة فجاءت عودتهم على أطراف بلاد الحبشة وهم عائدون وكانوا قد قطعوا من خلفهم بلاد اليمن حتى أشرفوا على تلك المعاهد والدمن فبينما هم سائرين فى البر من غير عاقه إذا قد أشرف عليهم قافله فيها ثلاثمائة ناقة وهى موثوقة من سائر المعاش والمكسب ومن ورائهم علم من الذهب وتحت ذلك العلم سبعمائة فارس كأنهم الاسود العوابس وبينهم فارس عليه هيبة ووقار قال الراوى فلما نظروا

بنى عبس إلى تلك الأحوال قال لهم عمارة وكان كما ذكرنا هو المقدم على الرجال وهو يقول فى نفسه أنه هو القوال الفعال فقال لهم يا بنى عمى هذه غنيمة نريد أن ترمى أرواحنا عليهم ونأخذ الغنيمة من بين أيديهم فقالوا له افعل ماتريد لأنك صوت المقدم علينا ومهما أمرت به فعلنا (قال) وكانت هذه الغنيمة القادمة كانت من حصن العقاب والمقدم الذى عليها يسمى أبرهه بن يكسوم الملك المهاب لأنه كان قد أرسله أبوه لجمع الخراج والعداد من حصن العقاب تلك الأرض والمهاد فجمعه وحضره وعاد سائراً إلى أبيه وأرضه والبلاد لأن هذه الأرض كانت تحت حكمه ونهيه وأمره لأن هذا يكسوم كان ملك عظيم الشأن كثير الفرسان وقد أطاعته العرب والسودان وكانوا يجمعون له الخراج وينفذوه إليه وكان له هذا الحصن الذى نحن فى حديثه وكان فى آخر بلاد اليمن وفيه عرب بعدد الرمل وفيه رجل من قبل يكسوم اسمه هاطل بن ساقية ومعه الف فارس وهو مقيم فى هذا الحصن يستوفى الخراج والعداد من القرى والبلاد وينفذها إلى يكسوم فلما كان ذلك العام اجتمع عنده خراج كثير من ذهب وفضه فانفذ يكسوم ولده يستوفى له المال ومعه الف فارس من الأبطال فقبض المال وعاد طالب لأبيه فوقعوا به بنو عبس إقداخلهم فيما معه الطمع لما رأوا كثرة المال فقصد ورقة بن زهير عبد من عبيده يقال له نازح وكان خبير ببلاد اليمن فقال له كم بيننا وبين يكسوم فقال يا مولاى ان كان فى العادة فبيننا وبينه يومين فقال ورقة وإن كان على هذا الحساب فما يلحقنا الطلب إلا ونحن فى بلاد بعيدة ثم انهم كبوا ارؤوسهم فى قرابيص سروجهم ونادوا يا العبس يا لعدنان فلما أن رأى ابن يكسوم إلى ذلك الحال وقف ووقفت الخيل التى معه وردوا الألجم وراء ظهورهم وخرج منهم فارس إلى بنى عبس وقال لهم يا ويلكم لا تعجلوا فى القتال ولا تسلكوا طريق الجهال فهذا الملك يكسوم فخرج اليه ورقة بن زهير وقال له فى است أمك على ام يكسوم ملك ثم انه طعنه فى صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره فلما رأوا فرسان اليمن إلى صاحبهم قتيل وعلى وجه الأرض جديل حملت على بنى عبس فرسان اليمن واشتدت المصائب والمحن ووقع بهم الخيل والوهن وكان لهم يوم لو رآته الأطفال لشابت قبل رضاع اللبن ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المساء فطلبوا بنى عبس الانفصال فلم ترضى فرسان الحبشة بل حملت طالبة الحرب والطعن والضرب فلتهم بنو عبس الكرام وصبروا على هذا الأحكام وذاقوا البلاء من أولاد حام ونادى بعضهم البعض لا تفشلوا عن القتال فنحن بنو عبس والموت الزوام فدونكم وإياهم تحت غسق الظلام فعند ذلك عمل الحسام وكثر الزحام وقل الكلام وخرس اللسان وتعثرت الأقدام فلما كان عند الصباح

حق أنيس بن زياد لصاحب العلم وكان قد ولى وانهزم فطعنه قتله وأدرك ورقة بن يكسوم وطعنه فى جانبه جندله فلما نظروا رفقته إلى قتلته فهجوا على وجوههم طالبين الديار وعمل فيهم الصارم البتار وقتل منهم مائة وخمسين بطل وحل بهم الويل والخيل وأخذو بنى عبس السلب والأموال والخيل والجمال وعادوا طالبين الديار والاطلال فهذا ماجرى لهؤلاء بما جرى عليهم من المصايب وأخبروا هاطل بن سافيه بأخذ الاموال فوقع به الاندهال وركب فى الف فارس مثل السلاهب وأخذوا معهم الخيل والجنايب ووقع بهم النفار ولم يركنوا لهم راحة لا ليل ولا نهار (قال الراوى) فهذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من بنى عبس فانهم طالبوا أرضهم وجدوا السير فى طريقهم فاقبل عليهم الأمير شرف الدين عمارة وقال لهم يابنى عمى المال قد حصل فى أيدينا والطلب لا بد أن يأتى الينا ونريد أن نرتب منا قوم يسوقوا المال وقوم تتأخر لقتال الرجال فقالوا يا أمير عمارة أنت المقدم علينا فمن أردته منا يتقدم ومن أردته هنا يتأخر فلما سمع عمارة ذلك المقال أخر أولاد الملك زهير المفضال وتقدم هو بالأموال وقال لهم نحن قدامكم قريب لا تنقطعوا عنا فى الحال فنحن ما نبعد عنكم يا بنو الأعمام وهو الحارث ونوفل وورقة ومجيد بن مالك ومايتين فارس من كل قوم ماحك وأمرهم بالمسير من وراء الغنيمة وسار هو وأخوته بعد أن قال لاولاد الملك زهير لا تنقطعوا عنا فنحن ما نبعد عنكم فى الجبال بل المسير قدامكم سير الرفق على قدر سير الإبل بأسنة الرماح وجدوا بنا فى المسير حتى ننجوا بأنفسنا فى البطاح ففعلوا تلك الفعال ووقع بهم الخوف والاندهال وعرجوا عن الدرب فى البر شرقا وغرب وأولاد الملك زهير قويين القلوب بان عمارة ومن معه سايرين بين أيديهم والأمر بخلاف ذلك لأن عمارة جد فى المسير إلى أن وصل إلى أرض الشربة والعلم السعدى ومعه الأموال والنوق والجمال وأما أخوة الملك قيس فانهم ساروا فى ذلك اليوم إلى أن أمسى المسا فنزلوا قريب من صعدة الجبل فى أرض اليمن وأصبحوا وقد عولوا على المسير وإذا قد طلع عليهم غبار من بين أيديهم وقد انكشف عن الف فارس ليوث أشاوس عوابس وفى أوايلهم هاطل ابن سافيه وهو كأنه طود من الاطواد أو من السباع الشداد وهو على جواد أدهم يحكى الليل معهم الغنيمة فقفل من بين أصحابه إلى بنى عبس حتى قاربهم وكانوا قد وقفوا عن المسير فلما قاربهم ناداهم من أى العرب انتم ومن يقال لكم فأراد الحارث وورقة أن يخفوا أنفسهم ويقولوا نحن من بنى شيبان فقال أنس بن زياد نحن بنى غطفان لانه كان قد تأخر معهم بحملة

المتأخرين من الفرسان فقال ياويلكم وأين الغنيمة التى أخذتموها من ابن الملك يكسوم لقد جابتم لأنفسكم أمر مذموم فقال الحارث الذى أخذوا الغنيمة من بنى عبس ومن عبروا علينا وهم سائرين إلى ديارهم فقال لهم تكذبوا يابن الأنذال ما أنتم إلا من بنى عبس وعدنان فسلموا أرواحكم اليناحتى تردعلينا أموالنا فقال الحارث مانحن إلا من بنى غطفان ونحن ما نسلمكم أرواحكم إلا من بعد ضرب وطعن فعندذلك زعق هاطل على أصحاب زعقة إرتجت لها القيعان قال وكان هاطل فارس اليمن المذكور وبطلها المشهور فالوى عنانه نحو الحارث بن زهير وهجم عليه ومد يده اليه وزعق عليه فادهشه ومسكه من أطواق درعه ورجله عن جواده وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وسلمه إلى أصحابه حتى قتلوا من بنى عبس فاشبعهم قتال وطعن فيهم يميناوشمال وكذلك فعلت أصحابه حتى قتلوا من بنى عبس خمسين فارس وأسروا أربعين وانهزموا الباقين ورجع هاطل وقد ظفر بالقوم قال الراوى وأما المنهزمين من أصحاب يكسوم فانهم لما وصلوا إلى الديار وأخبروه بقتل ولده وأخذ الغنيمة بنى عبس وعدنان فقامت عليه القيامة وانقلبت بلاد اليمن ولزموا البكاء والحزن والمصايب والمحن فعند ذلك حلف يكسوم وقال وحق ذات الدوائب والفلك السائر لأجلين العرب والحبشة من كل جانب ولا قتل قاتل ولدى ولا فيمن فى ديار بنى عبس النوادب ولا تركن ديارهم العامر سباسب وكان الذى أقسم به يكسوم صنم عنده يعبده من دون الملك الغالب رب المشارق والمغارب وكان قد جعل فى دار حيطانها مزينة بالذهب والفضة وأهل بلاده أخذ ثاروالده وجمع عالم كثير وأمرهم بالمسير وإذا قد أتى إليه كتاب من عند هاطل بن ساقيه يقول فيه أعلم أيها الملك أنى سرت خلف بنى عبس إلى قريب ديارهم فقتلت منهم خمسين وأسرت منهم أربعين مع مقدمهم وهم فى قبضتى حتى تأمر فيهم بما تريد فلما سمع مافى ولا السان لكن أحفظ الأسارى الذين عندك حتى اطلبهم منك ثم جمع العرب والحبشة فكانوا تسعين الف عنان وعول ان يسير إلى ارض الحجاز ويقلع آثار العرب جمعا ويقمعهم قمعا فتقدم اليه ملك ملوك العرب يقال له عملاق وكان جبارا من الجبابرة لايفزع من طاحون الحرب الدائرة وكان يكسوم يدخره للشدائد فقبل الارض بين يديه وقال له ايها الملك ماتخاف من سائر الأقطار فقال له وكيف ذلك ياعملاق قال تسير بهذه العساكر إلى يوم صعانيك من العرب وشلوخ البادية وحمالة الحطب ولو امرت بعض عساكرك لأتاك

يسيروا إلى بنى عبس وغطفان وكان قد أتوا بهم كلهم فى القيود والأغلال وساقوهم بين يديك سوق الهوان فقال له يكسوم يا علاق الذى قدم على قتل ولدى لو أنه كان خائف من الأبطال ما كان فعل هذه الفعال وأنا أخاف أنك ما تقدر على الأشغال فقال له علاق أنت دبنى إلى هذه الخدمة فان حدث خائنا فأهلى وأموالى وأولادى كلهم بين يديك ولا أعود أطلب منك لا اقطاع ولا ضياع فقال له إن كنت كشفت عنى هذه الغمة وأتيتنى ببنى عبس وغطفان ولا تدعنى أسير إليها فانا أقاسمك فى نعمتى وأزوجك ابنتى وأقدمك على قبايل العرب الذين تحت طاعتى وأقطع لك من ذلك ثلاث حصون من غير أقطاعك قال الراوى فلما سمع علاق هذا المقال قال له أنا أفعل هذه الفعال وأبلغك من أعدائك هذه الآمال فقال له كم تريد من العساكر فقال ما آخذ معى غير خمسة آلاف فارس فقال له ما هذا صواب لأنك ماضى إلى بلاد ما وطأتها أنت ولا تلقى رجال ما لقيتها أنت فخذ معك خمسة عشر ألف فارس أسود عوابس وعشرة آلاف من العرب من كل فارس منتخب فلم يكن لعلاق فى ذلك خلاف سمعا وطاعة ثم أنه هو ومن معه تجهزوا وخرجوا بالدروع المذهبة والجواشن المكتبة والسودان مثل الأطواد وهم متقلدون بالسيوف الحداد والرماح المداد ثم خلع يكسوم على علاق قرى بن أدهم وكان فى تقاطيع الفيل الأعظم وهو عريض طويل ما كانه إلا من أولاد قابيل وسارت العساكر وهى قد ملات الأرض فى طولها والعرض قال الراوى ووصل إلى بنى عبس بهذه الأمور والأحكام وكان كما ذكرنا عمارة قد تقدم بالمال وتحدث مع قيس بما جرى فعظم ذلك عليه وكبر لديه وسب عمارة وأخرق به وفزع من ملك الحبشة فزعا عظيما فلما سمع ذلك الكلام عمارة قال أيها الملك أول من حمل أخوتك وورثة هو الذى قد قتل ابن الملك يكسوم وانزل به الهموم وقال لى مر انت بالغنيمة وانا اقف حامية وانا امرت بالمال وخافوا ان يكونوا اهلكوا فقال يا عمارة قد تركت اخوتى ونجوت بنفسك فقال عمارة يا ملك الزمان و شىء معى فاشتغل قلب قيس ولا قال ولا رده مقال واقام قلق لفقد اخوته والنار الحبشة مهجته ولا يعلم بخبر اخوته حتى قدموا المنهزمين من قدام هاطل بن سافيه وخبروه بامرهم وهلاك اكثرهم وقالوا ايها الملك نحن خدعناهم وقلنا لهم نحن من بنى غطفان وما تقول انهم يأذوهم ولا يفعلوا امر فيهم فمكن قلب الملك قيس ثم انه جمع العرب وقال لهم ما تشيرون يا بنى عبس فقالوا جميعهم نحن لك وبين يديك ولا نبخل بأنفسنا عليك فقال لهم هذا ملك عظيم صاحب بلاد واقاليم فقال الربيع ما فى

الأمر إلا أننا ننفذ إلى بني غطان ونعطيهم شيء من المال ويسيرون في البراري والجبال ويشترون الأسارى من يكسوم فيعرف أنهم ليس من بني عبس وعدنان فقال له الملك قيس إذا كان يكسوم بطلب ثأره فمن يلقاه من بني عبس أو من بني غطفان فقال له الربيع لا أعلم بمعرفتك كما تريد قال فلما يمضي إلا أيام قلايل حتى وصل اليهم خبر العملاق بين عامر وما معه من العساكر من عرب وسودان والمقدم يقال له قرى ابن أدهم وهو فارس ويقدم على الحبشة جميعا ومعه خمسة آلاف من السودان فلما سمع قيس هذا الكلام انذهل وتحير وأمر بني عبس أن تضم بعضها إلى بعض وتلصق البيوت إلى جانب بعض ويحترزون لأنفسهم فماجت القبيلة واضربت العشيرة قال الراوي وفي تلك الأيام وصل عنتر بن شداد فوجد الحي وهو على تلك الحالة وما فيهم إلا من حصن حريمه وعياله وفرح قيس بقدوم عنتر وأخبره عن الذي جرى وتدبر فقال عنتر وكان لعمارة نار يضرمها علينا إلا نار الحبشه ويريد أن يبلينا بنار السودان وقتالهم وحربهم ونزالهم وكم جهدما تلقى منهم إذا ساروا الينا في عالم عظيم وجيش جسيم وما يكون عمارة بن زياد بوقدنار وأطفيها أنا لأنه ما يريد لي يوم في تلك القضية فقال له الملك قيس والله لقد قطعت ظهري يا أبا الفوارس والآن اعلم يا ابن العم بأن الأمر قد فات وأخوتي الحارث وورقة ومجيد بن مالك ومعهم أربعين من بني عبس في الأسر والاعتقال وهم في أسوأ حال وما يدري عليهم ذمام وهذه نوبة عظيمة نهلك فيها بنو عبس وعدنان فلما سمع أبو الفوارس عنتر من الملك قيس هذا الكلام صارت الدنيا في وجهه ظلام وشدد في الأقسام وقال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام لولا الحارث وورقة ومجيد بن مالك لما حضرت ضرب ولا طعان وكنت رحلت من بينكم حتى كنتم تبصرون ما يتم عليكم من تدبير عمارة لكن يلزمني خلاص مجيد ابن مالك لأجل فعال أبيه معي وخلاص الحارث وورقة لأجل احسان أبيهم زهير وما فعل في حياته من الخير فعند ذلك شكره قيس على ذلك المقال وقال له يا ابن العم اننا في قلة في كثرة وان لم نستنجد بأصدقائنا والا أفنونا فقال عنتر كم تكون عدة القادمين عليكم فقال لقيس في خمسة عشر الف فارس فهم عشرة آلاف عرب ومقدمهم العملاق وخمسة آلاف سودان ومقدمهم قرى أخي أدهم فارس بلاد الحبشة وهو موصوف بالشجاعة والبراعة فقال عنتر ان نستنجد على هذه الترمذة اليسيرة بل أجعل النجدة لوقعة كبيرة وعلى أنا بعون الله أخلي أولهم ولا يلحق آخرهم حتى

يأتى اليها ملكهم وبعد ذلك نطلب بعض حلفائنا ونرحل إلى بلاد الحبشة ونملكها والقتل أهلها فقال قيس أريد أن أنفذ إلى بنى فزارة فى هذه النوبة فقال عنتر لا يامالك لاتجعلهم يرافقونا لانهم ان أتوا الينا خذلونا وكسرونا ولما حضروا على هذه الحالة فأنا لا أباشر حربا ولا تزال وان كان ولا بد من النجدة فأنا أنفذ إلى ابن أختى الهطال وأبى الجحجاح أن يأتونا فى فرسانهم وسائر أبطالهم فاستصوب قيس رأيه وشكره على قوله وأنفذ اليهم شيبوب مثل الريح المبوب إلى أن وصل إلى الأمير الهطال فبلغه الرسالة وماحل من المقال فأخذه الهول ودخل به على مضير وأعلمه بذلك الحال فقال السمع والطاعة يازين الرجال ثم أنه نادى فى أحياء العرب بأخذ الأهبة للحرب والرحيل بالأهل والعيال فخرج عنتر فى سائر بنى عبس إلى لقائهم وأكرمهم وحياهم وفرح الملك قيس عند ملتقاهم وأنزلهم فى مكان واسع ومرج طيب المرعى وقد أجمعوا أمرهم أن ينفذوا لهم خيل تأتيهم بالأخبار وإذا وصلت الحبشة يعذوهم بالحال فسار شيبوب كل يوم يأخذ الفرسان وينفذ بهم فى البرارى والقيعان مدة أربعة أيام وفى اليوم الخامس كانت نوبة عنتر وأولاده وأخيه مازن وأسد الفوارس وهذا أسد الفوارس من بنى غطفان وأبعد بهم شيبوب إلى شعب يقال له شعب الوادى وإذاهم بغبار عساكر الحبشة قد أقبل وظهر من تحته مائة فارس وهم سائرين على مهل قال الراوى وكان السبب فى ذلك العملاق لما قارب ديار بنى عبس وعدنان خاف أن يكونوا سمعوا باخباره هربوا من الديار فانفذ هذه السرية تكشف له الأخبار فساروا إلى أن وصلوا إلى هذا المكان ورأوهم بنو عبس على هذا الشأن فعند ذلك قال لهم شيبوب يابنى عمى هل أدلكم على أمر لكم فيه الصلاح فقالوا وما هو يا أبا رياح فقال أحموا أنفسكم فى هذا الشعب ويطلع اليهم مازن وأسد الفوارس من بين أيديهم ويملكون عليهم رأس المضيق ويخرج غصوب من ورائهم وأكون أنا فى رأس الشعب والمضيق ومن سلم منهم وخرج إلى الطريق حلت به من البلاء مالا يطيق قال فلما سمعوا كلام شيبوب استصوبوا رأيه وامتثل ما أمرهم به وسار غصوب وميسرة وملكوا الشعب من داخله ومازن وأسد الفوارس من وراء ظهره وقعد لهم شيبوب بين الصخور وأكمن كأنه الأسد الجسور وكانت كنانته ملآنة بالنبال وقوسه بين يديه وسارت السرية حتى دخلت الشعب والمقدم عليهم يقال له همام فلما توسطوا الشعب وساروا وسط المضيق وهم غافلون على القتال فهجم عليه وضربه على هامته نزل السيف إلى حد جثته وطلب أصحابه فولوا هاربين وميسرة وغصوب وراءهم فى الطلب قد سقوهم كاس العطب ولم تكن إلا ساعة حتى قتلوا

منهم ثلاثين وأسروا عشرين وانهزم الباقون وعاد غصوب وميسرة ومازن وأبو الفوارس يقودون بين أيديهم الأسارى حتى وصلوا بنى عبس وقدموا الأسارى إلى بين قيس وقد فرح عنتر بأولاده وانهزامهم فؤاده وسأل بعض الأسرى فقالوا نحن كنا طليعة العملاق فقال لهم وأين تركتموه فقال الأسير بعد غد يكون عندكم وإنه والله داهية من الدواهى وإن أعطيتنى الزمام على نفسى وإنك تطلقنى أخبرك بما دبر فقال له قيس وحق من قدر الأرزاق والآجال لك الذمام إن أنت أخبرتنى عن ذلك الحال فقال له اعلم يا مولاى أن العملاق قد بعث أربعة آلاف فارس من عساكره وألفا من السودان وقدم عليهم رجل يقال له عاصم بن حكيم وقال له أريدك أن تقطع الأرض فى طولها والعرض وتطلع من خلف بنى عبس وتكونوا بالقرب منهم حتى تقاتلهم ساعة من النهار وتنظر لهم الانكسار وتبعد عنهم حتى يبعدوا عن بيوتهم وإذا رأيتمونا أخذنا فى الفرار اخرج أنت من ورائهم وأملك حلالهم وأسب نساءهم وحريمهم ونحن نرجع عليهم من قدام ونبذل المجهود فى حربهم ونسوق الجميع أسارى بين أيدينا ونرجع على عجل لأن الملك فى انتظارنا ونحن يا مولاى ما أتينا فى هذه الطائفة إلا لنعلم السكنا وها أنا قد أخبرتك بالفعل الآن ما ترى قال فلما سمع الملك قيس ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام فقال لعنتر ما الرأى فى هذا الأمر يا أبا الفوارس فقال له الرأى عندى نسير اليوم على بعد من الديار ولا نتركهم يدرسوا هذه الأمصار فعندما أمر قيس بنى عبس وبنى غطفان أن تقلع مضاربها ويضربونها حول غدير ذات الارصاد فلما سمع عنتر ذلك الكلام قال له وعلى ماذا عولت أن تصنع فقال له خطر ببالى وأريد أن أوافقك عليه وهو أن تضربوا خيامكم فى جانب خيامنا ويتبعكم باقى العشيرة وهذا الرأى لنا فيه الصواب والخيرة فعند ذلك فعلوا ما أمرهم به ولم يمض ذلك اليوم حتى قلعت بنو عبس مضاربها وضربتها حول الغدير من أربع جوانبه ولزقوها إلى جانب بعضها البعض وأمر قيس الرعاة والعبيد أن يحفروا خندقا بين يديه وكانوا أكثر من عشرين ألف راع طام المعاون والزنابيل وخط لهم حول الأبيات برمحه وقال لهم أريد منكم أن تحفروا خندقا عظيما عالى الجنبات فقالوا له أى شىء تعمل بهذا فقال لهم قيس هذا نعمله لأجل حماية الحريم حتى ما كانوا عليه من الحفر ذلك اليوم وهم قوم يرمون التراب من جهة الحريم وما أتى عليهم آخر النهار حتى فرغوا من الحفر وأمنوا من نوائب الدهر وقد عملوا لذلك الخندق بابا واحدا من جهة اليمين وأمر قيس سائر الغلمان بالوقوف على الباب أن يخرج الفرسان من حد ذلك

الاعلام قال الراوى وكانوا فى العدد أربعة آلاف فارس فيهم مثل أبو الفوارس عنتر وولده الغضبان وغصوب وميسرة ومازن فارس العربان وأخوته الشجعان وأسد الفوارس المنصال ثم انهم باتوا تلك الليلة حول الخندق من ظاهره ولم يزالوا على ذلك الرواح إلى أن أصبحوا وبان الصباح وإذا هم بعساكر الحبشة قد أقبلت والارض بهم قد تزلزلت ونعرت البوقات وملئت الفلوات وقد انكشف الحال عن جيش جرار وباتوا جميعهم للابصار وفى أوائلهم فارس راكب على جواد أجرد وهو على ظهره كانه الاسد وخلفه جماعة من السودان وهم كانهم من أفراخ الجبال وفى أيديهم الحرب الحبشية والخشوب النوبية ثم تقوموا على ساحة الميدان ونزوا أمر بضرب الخيام فضربت خيامة ونصبت اعلامه وضربت له فى قبة عاليه من الاطلس الاحمر والديباج الاصفر وقد نظر إلى بنى عبس قد اقبلوا كانهم الشواهين وعلى حربهم عازدين فأمر أن يبرز اليهم الف فارس من السودان والف من العربان فعند ذلك حملوا بنى عبس وغطفان وانطبقوا عليهم من كل جانب ومكن قال الراوى وكان أول من التقى بهم الغضبان وجعل يضربهم تارة بالسيف وتيمة أخوه غصوب مثل الريح الهبوب وفعل فيهم مثل فعاله وزعق مازن وميسرة وهما مثل النار المسعرة وكذلك بنو غطفان يقدمهم الهطال واسد الفوارس الريبال وانطلقت السنه فوارس على الالفين وسقوهم شراب البين وظهر من غصوب والغضبان ما حير الفريقين نخشى عنتر على أولاده من السودان فأمر عروة أن يحمل هو ورجاله الشجعان لحمل المائة فارس كانهم الاسود القناعس وقد جردوا فى أيديهم القواضب ونزلوا بالاعداء المصائب وفى تلك الساعة تقدم العملاق فى كتائبة وأظهر فروسيته وعجائبة وقد أبصر من عنتر وأولاده مالا رآه من أحد غزواته فوقف ينظر إلى أى شىء ينفصل الحال وهو يتفرج على القتال فى الحال انعقد الغبار ولم يزل القتال يعمل والدم يبذل وثار الحرب تشعل والسؤال لم يقبل حتى ولى النهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال هذا والغضبان وضحيه كسرى والالف فارس إلى الخيام وعادهو وأخوته وقد فعلوا فعل الرجال الكرام ولما عاد الغضبان تلقاه أبوه عنتر وقد ضمه إلى صدرة وقبله بين عينيه وفرح بما وصل من الفروسية اليه فهذا ما كان من هؤلاء وأما كان من العملاق وأصحابه فانه عاد إلى المضارب وقال لهم الذى هو الصواب اننا نرسل اليهم يسلموا أنفسهم الينا من غير حرب ولا طعان ولا ضراب وإذا لم يفعلوا ذلك الامر والشأن أخرج أنا الوغد إلى الميدان وأفنى جميع عساكرهم الشجعان وتشتتهم فى جميع الوديان ويكون عاصم بن حكيم قد ملك أموالهم

والنسوان فعند ذلك تقدم اليه رجل من بنى عمه الأعيان وقال له دع عنك هذا المحال وأبطل هذا المقال لأن هؤلاء لا يسلموا أنفسهم إلى أحد ولو أنهم فى ربع هذا العدد ولا تعتمد إلا على القتال ودع عنك هذا المحال والأقوال فقال جميع من كان حاضر والله لقد صدق الشيخ فيما قال وما بقينا منتظرين إلا الحيلة التى دبرتها فان تمت والا فالقتال بين أيدينا فاستصوب العملاق هذا المقال ورضى بما اتفقت عليه الرجال وباتوا على هذا الإيضاح إلى أن أصبح الله بالصباح وأشرقت الشمس على الروابى والبطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح فركبت جميع الألوف واصطفت الصفوف واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالصفاح وقد ركب من ميمنة عساكر اليمن فارس معلم راكب على جواد أدهم بين عينيه غرة كالدرهم إذا صهل كاد أن يتكلم وكان ذلك قرى بن أذهم مقدم السودان وبصحبته ثلاثة من مقدمين العربان وهو كثير بن جحدان وثابت بن قرعان ومنازل بن جزعان وهم قد ركبوا فى رجالهم الأبطال واحتاطوا يمينا وشمالا ورتبوا العسكر ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وجعلوا فى الميمنة قرى بن أدهم وهو على قومه مقدم الميسرة وثابت وجحدان وجزعان ومن لهم من العرب والسودان وقد وقف العملاق بنفسه فى القلب وجعل ينتخى الرجال للطعن والضرب وقد انعقدت على رأسه الرايات والأعلام وترتبت العسكر خلف وأمام ودقت الكؤسات ونعرت البوقات واصطفت أيضا بنو عبس على ترتيب صفوفهم وجردت أيديها سيوفها وكان فى الميمنة عروة الأمير عنتر الأسد القسور وفى الميسرة ولده الغضبان وأخوه غصوب المنصان وفى القلب الملك قيس والربيع بن زياد مثل الآساد وعلى رأس الملك قيس راية العقاب وقدامه وبين يديه فرسانه الأنجاب وصاحوا الجميع وقد قلبوا الدنيا بالزعاق وصار لهم أرعاد وإذا بفارس منصان وكان من أقوى الشجعان وكان يسمى عامر بن حرب وقد خرج مشتاقا إلى الطعن والضرب ونادى يا بنى عبس البلاء عليكم قد نزل فسلموا أنفسكم الينا قبل حلول الأجل ويأخذكم على ذلك قدم حتى نسوقكم وجال وزعق عليه الأسد الربيان وقال له ويلك يا ابن الخنا نحن نسلم أنفسنا فى الغزوات وقد خضعت لنا أكابر السادات ثم أنه انطبق عليه حتى بقى بين يديه وأقام فى ركابه وتمطى فى سادة وضربه بالسيف على هامه شقه إلى حد أقدامه فوقع من الجود فطعنه الأسود بحربة من تحت فخذه فخرجت من يده كأنها صاعقة أو نار على بعد بارقة فسحبها غصوب بحسن معرفته على ظهر الدرقة وقام واعتدل فى ركابه وطعنه فى جانبه جندله ثم

أنه طلب البراز فخرجت إليه الفرسان وهو يفتك فيهم حتى قتل عشر فوارس أعيان فوقفت عنه الأقران فحمل على السودان زعزعها وقتل ثلاثة فوارس منها وفرقها وعاد يطلب قومه فاعترضه القرى ابن أدهم مقدم السودان وأخرج من تحت فخذه حربة ماضية لها أزج طويل عريض يعمل فى الصحاح كما يعمل فى المريض ثم أنه هزها واليه زجها وضرب جواده فى صدره مرقت تلمع من دبره وأراد أن يأخذه أسيرا وإذا بأخيه الغضبان قد بادره وفاجاه ومنعه من الوصول إلى أخيه وطعنه فى صدره فمال عنها وقد احترز لنفسه وسار تحت بطن الفرس ولما أنها جازته عاد إلى ظهر جواده وقد سار فى صهوته وتبع الغضبان وساراه فى حملته وضربه بحربة من الذى تحت فخذه فسحبها الغضبان على جحفته بمعرفته وصناعته وتسع القرى لحمته وضربه بحربة فى لبته أخرجها تلمع من نفرته فوقع إلى الأرض من وقته وساعته عند ذلك حملت طوائف السودان فصاح فى وجوههم الغضبان ومال عليهم مثل أبوه عنترة الفرسان ولم يزل على ذلك الشأن حتى بقيت الفرسان تتكبكب مثل الغنم حتى أركب أخيه على جواد القرى بن أدهم واجتمع المحب مع المحبوب وهجموا على السودان كأنهم البلاء المصبوب فلما رأى عنتر تلك الأمور للصعاب هجم هو ومن معه من الأصحاب وقد الحق بأولاده الأنجاب وتبعة عروة بن الورد ومن معه وحملت جميع بنى عبس الأنجاب على عسكر الحبشة والأعراب وكانت ساعة عظيمة شابت فيها الشباب وعملت السيوف فى الرقاب وزعق عليهم من البين غراب هذا والملك قيس يقاتل وقلبه على من خلفه من الأصحاب وخائف على الحريم والشباب من خروج الكمين الذى تقدم ذكره الأسير الذى تقدم ذكر بين أيادى الأصحاب هذا والحرب قد زاد ن النبار حتى بقى يحاكى لهيب النار حتى ان الأعداء ما بقى لهم صبر عن هذا الغبار فطلبوا الهزيمة والفرار وأرادوا أن يستجيروهم ويبعدوهم عن الديار فعلم قيس مرادهم والمقصود فصاح فى بنى عبس الأسد وقال لا يتبعهم منكم أحد وإلا يرجعوا عليكم رجوع الأسد فقال عنتر لا تفعل ياملك الزمان هذا الفعال فاننا نعرف ما نلقى ونريد أن نجعلها هزيمة حقا وأبددهم غربا وشرقا فبينما هم فى الكلام والصياح من خلفهم قد علا وقد زعزع جنبات الفلا وكمن الأعداء قد ظهروا على سبى العيال انتصر فقال قيس من هذا خفنا يا أبا الفوارس وبارين المجالس وولدى الغضبان معكم فهو لهم غريم ثم أنه عاد من وقته وساعته رجع إلى الكمين بمن معه من رفقته وهم عروه بن الورد وجماعته فهذا ما كان منهم وأما ما كان من أصحاب الكمين فانهم ماز الوا غائرين على ما أمر به وعليه اتفق حتى وصلوا إلى شفير الخندق وكان

فى مقدمتهم عاصم بن حكيم وهو بالمسير يتدفق فلما نظر إلى الخندق وبهت هو ومن معه من الرجال وتعجبوا من هذه الأحوال فعند ذلك تزاعق عليهم عبيد بنى عبس ورموهم بالنبال فعندها ترجلت السودان عن الخيل لما رأوا ما حل بهم من الويل وزجت إلى نحو العبيد حرابهم فبددوا أمامهم وكشفوهم عن الخندق بضرب أمر من الحرق ولم تكن إلا ساعة حتى قتلوا جماعة من العبيد ولقحوهم على الأرض والصعيد وحملت أيضاً العبيد الذين رتبهم الملك قيس فتلقوهم الأعداء فى أربعة آلاف فارس فأنزلوا بهم الذل والمناحيس وقتل منهم جماعة وانهزم الباقون وطلبوا البيوت وأيقنوا جميعهم بالموت فى تلك الساعة وارتفع الضجيج عليهم من السودان وقد أشرفت النساء على الذل والهوان وإذ بعنتر قد أدركهم بعد ما كادت العدا أن تهلكهم وكان أكثرهم قد دخلوا البيوت فى طلب كسب المال فخابت منهم الآمال بقدوم عنتر الأسد الريبال قال فلما أبصر عنتر هذه الأحوال أمر عروة بن الورد وابن أخته الغطال أن يحملوا فى خمسين فارس من الأبطال على من بقى عند الخندق غاية من السودان الأنذال ولزم عنتر وأخوه مازن باب الخندق والمضيق وضيقوا عليهم الأرض شبه العقيق ونثر عنتر بضرباته أحشاءهم ومزقها تمزيق وعادت العبيد من البيوت راجعة لما سمعوا صرخات عنتر المقمقعة ونظروا حملاته الرائقة فما شعروا بعد الموت أرواحهم وبلوا فى السودان سيوفهم ورماحهم وطلب عنتر مقدم القوم عاصم بن حكيم وطعنه طعنة عظيمة سقاه بها العذاب الأليم فخر على الأرض صريعاً يعج علقاً ونجيعاً وقد شرب كأساً وجيعاً وخلت منه الدنيا والأوطان وعاد عنتر يكر على الخيل كراً ويسقيهم من الموت كأساً مراراً ينهبهم نهباً وأخرج أرواحهم من أجسادهم غصباً وجاءتهم العبيد من خلفهم وأورثوهم النكال بحربهم وقتالهم وكان تلك العبيد خمسة آلاف من غير خلاف فأشرفوا منهم السودان على التلاف فلما رأوا السودان ذلك الأمر والشأن ورأوا ما حل بهم من تلافهم فما كان لهم إلا أنهم ترجلوا عن خيولهم وقد خافوا من الحرب والويل ورموا أرواحهم على الخندق بعد الغبار وتبردق وقد حل بهم البلاء والويل ولم ينج منهم إلا القليل وصار كل من نجا منهم وطلع من الخندق قد تمهل بضربه عنتر يحل به البلاء والتعجيل وصاروا بين جريح وقتيل ولم ينج من الجميع إلا من يعبر الخندق وكان لهم كلام يسطر ووقع بهم أبو الفوارس عنتر (وأما) ما كان من أمر العساكر الأخر الذين هم قدام الملك قيس المعتمد فإنها انهزمت على الهرب عوالت وركبت بنى عبس أكنافهم وأرغمت أنوفهم وكانت قربت قلوبهم بما غاظهم من الفضبان وما فعل فى الفرسان وما زال السيف يعمل فى

ظهورهم وأجنابهم حتى وصلوا إلى خيامهم وأرادوا أن يثبتوا برجوعهم وأنهم يردوا بنى عبس ويخاطروا معهم بالنفس فصاح فيهم العملاق ياقوم استجروهم قليل وقد جاءكم النصر والظفر وكانكم بنسائهم قد وصلت وفرساننا من خلفهم قد حملت ففعلوا ذلك أملهم يشتغلوا بالخيام الذى لنا وأولادنا ومتاعنا فإنها وديعة وتودلنا وتستردوها منهم فى عاجل الحال فتموا أنتم قدامهم فى الهزيمة وقد صارت أموالهم لكم غنيمة فهذا ماكان من هؤلاء من الأمر والشأن وأما ما كان من بنى عبس وعدنان فانهم لم يزالوا خلفهم إلى أن وصلوا إلى خيامهم وقد ملكوها وإلى رحالهم قد أخذوها ولم يزالو فى الخيام حتى أتاهم عنتر البطل الهمام وأخبرهم بما فعل بهم من الالام ففرحوا بخلاص حريمهم وحمدوا على ذلك مولاهم قال وبعد ذلك قال عنتر الملك قيس ما الذى تنظر فى حق هؤلاء الكلاب قم بنا ندوسهم تحت سنابك الخيل والدواب فى ظلام هذا الليل ونضرب منهم الرقاب فقال الملك قيس يا أبا الفوارس هذا الصواب والأمر الذى لا يعاب ثم أنهم صبروا حتى هود الليل واستعدوا على ظهور الخيل وطلبوا عسا كراليمن ليحلوا بهم المصائب والمحن فهذا ما كان من أمرهم وأما العملاق فانه لما انقطع عنه الطلب واستراح من التعب جمع أصحابه وقال لهم أعلموا أننا ما كنا نأمل من طيبه وأننا نعلم إن أصبحنا فى هذه الساعة يكونوا ملكوا الحريم وعادوا بالسبى وهم معهم فى هذا العذاب الأليم وأن كان فيهم فطنة لأعدائهم فهم يكبسوهم من ورائهم فاليكم من ينزل عن جواده ولا يقلع عدة جلاده حتى إذا سمعنا الصياح أطبقنا عليهم وأخذناهم بواسطة وأوصلناهم الاذية الباسطة وهذه تكون واقعة الانفصال وبها نبلغ غاية الآمال فاتم العملاق كلامه حتى أخذهم الصياح من كل جانب ومكان وبنو عبس ورجاله والفرسان وقال لهم هذا الحساب الذى حسبته والكلام الذى ذكرته وهذا عنتر وبنو عبس قد أقبلوا هاربين ولا شك أن أصحابنا لهم تابعين وأنهم لما كبسوهم فى ظلام الليل أنزلوا بهم الذل والويل ولكن اثبتوا لهم الساعة ثبات الكرام وجودوا فيهم الضرب بهم الذل والويل ومازال السيف يعمل فى ظلام الليل والغيهب وعم الجميع الويل والحرب وتمنى الجبان الهرب فيالها من ليلة ما كان أعظمها على كل إنسان ومابقى يعرف عدوه من صديقه ولا مبغضه من رفيقه قال ومن جملة ماوقع من الاتفاق أن عنتر فى حملته التقى بالعملاق فحمل عليه وضرب بسيفه سنان رمحه براموزعق عليه وضايقه وسد عليه طرائقه وطابقه ولاصقه وضربه بالسيف على عاتقه طلع يلمع من علايقه قال فلما نظروا أصحاب العملاق أنه قتل وعلى وجه الأرض جندل ماجوا فى بعضهم البعض وايقنوا جميعهم بالمهالك

وانسدت في وجوههم المسالك واشتغل كل أحد بنفسه واعتبر بماجرى لأبناء جنسه وقالوا لبعضهم بعض يا ويلكم هذا العملاق قد قتل على وجه الأرض جندل وكان حسابنا أن أصحابنا يكسبوهم ويدوسوهم تحت السنابك وما ترى إلا الامر بخلاف ذلك وان نحن ثبتنا لهم حتى تطلع الشمس ما أبقوا منا ولا نفس والرأى الذى فيه الصلاح ما لنا أوفق من الهرب والرواح فعند ذلك طلبوا الهرب والفرار وتبطنوا فى البرارى والقفار وهرب من كان فى أجله تأخير وثبت من كان عمره نصير وعمل السيف فى الكبير والصغير وما أصبح الصباح إلا وهم بين قتيل وأسير وقتيل فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف فارس وراحوا كلهم دوارس وأما المنهزمون الذين انهزموا من قدام الخندق فانهم هربوا كما اتفق وراحوا طالبين ديارهم وأمصارهم وعادت بنو عبس بالغنائم والأموال وهم فرحين بتلك الاحوال والملك قيس كل لسانه من شكر الغضبان وأثنى عليه بما جرى من ذلك الأمر والشان وعلى أبيه عنتر بن شداد الفارس الجواد قال ونزلوا فى ديارهم وقر قرارهم فلما وصلوا إلى غدير ذات الأرصاد تلقتهم العبيد والأمويت بالفرح والمسرات قال وبعد ذلك قال الملك قيس يا بنى عمى ويا من بهم ينفرج همى وغمى قد انقضى الأمر بيننا وبين الملك يكسوم بما نزلناه بقومه من الهموم وأنا أعلم أن المنهزمين من ساعة وصولهم اليه يخبرونه عن عسكره وعن العملاق مقدمه وما جرى عليه منا فيهلكون الأسارى الذين لنا عندهم ويأخذون ثارهم بذلك مما حل بهم من همهم وغمهم والرأى عندى أننا نسير اليهم وندركهم من قبل أن يفرطبهم الفرط لأنهم من بنى عبس فيهلكهم ويشفى منهم الغليل بما جرى منا فى حياته فقال بنو عبس نعم ما رأيت فانك أصبت بما به أشرت فقال بنو غطفان ونحن نسير معكم فقال الملك قيس لا يا بنى عمى نحن فى هذه النوبة لا نأخذكم معنا بل نريد منكم أن تقيمون هنا وتحفظون الحريم ونحن نسير لما فرغوا من تدبيرهم وأتموا الجميع ما أمر وهم دخل عنتر على الملك قيس يستحثه على المسير وقال له يا ملك ما انتظارك أتريد أن تقر ثانيا فى ديارك لم لا ترحل بنا إلى ما عزمت عليه وتشد عزمك الوصول اليه فقال قيس يا أبا الفوارس قد رأيت من الرأى والارشاد أننا نستنجد ببنى فزارة فى هذا الامر فقال عنتر لا والله لا قاتلت فى عسكر يكون فيه بنى فزارة لانهم كما نعرف طائفة غدارة فوالله لا قاتلت لا أرافقهم فى طريق ولا أتخذ منهم خل ولا صديق فقم بنا فان كفاية الأمر بأهل اليمن ولكن من فى تلك الاطلال والدمن فقال الملك قيس أنا لا أخاف إلا على الحريم والعيال لتخطفهم الاعداء الانذال فقال عنتر ان كان فزعك على الحريم والاولاد فانا أرسل إلى دريد بن الصمة لانه رجل عالى الهمة وصافى الوداد وآمره

أن يأتى فى بنى هوازن وجشم وهذا العسكر القادم وأنفذ أيضا إلى عامر بن الطفيل وآمره يلحقنا فى بنى عامر وينجدنا على يكسوم ومن معه من العساكر ثم أنه أمر عروة بن الورد أن يكتب إلى بنى عامر ويعلمه بما جرى من تلك الأشاير فكتب عروة باسمك اللهم من حامية عبس الليث المهاب إلى فارس بنى كلاب البحر العباب والفارس الوثاب وإلى ملاعب الأسنة صاحب الفضل والمنة أما بعد فان الحاجة داعية اليكم أن تنجدونا بقومكم لأنه قد جرى بيننا وبين يكسوم حروب ووقائع وقتال ونريد من تفضلاتكم الكريمة وعوائدكم الجليلة أن تأتوا الينا فيمن عندكم من الأصحاب حتى أننا نسير إلى حصن العقاب فان لنا فيه أربعين أسيرا ما فيهم حقير بل كل أمير كبير ونريد أن تسير اليه ونخلص الاسارى من بين يديه والسلام على عالى العزيمة والهمة وأعلمه بذلك الحال ليقدم فيمن عنده من الأبطال مثل جفاف بن ندبه ودثار بن روق والعباس بن مرادس الكثير الشوق ثم أن عنتر أنفذ الكتب مع عبد بن شداد كل منهما كانه طود من الاطواد وبعد ذلك أمر الملك قيس بالاستعداد للسير إلى أرض الحبشة فعند ذلك جمع الملك بنى عبس الأجواد وسار فى أربعة آلاف فارس شداد أمجاد من فرسان بنى قراد وبنى زهير وبنى زياد وفى مقدمتهم الربيع وأخيه عمارة وقد خلفوا لحفظ الحريم الفا من بنى عبس والفين من عطفان فرسان وأى فرسان وأى فرسان منهم الهطال واسد الفوارس وبهيج بن حازم الأسد الممارس وأوصاهم باليقظة وحفظ الحريم والمعاونة على لقاء الغريم قال هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عساكر اليمن فان المنهزمين لم يزل وافى هزيمتهم حتى وصلوا إلى الملك يكسوم وشرحوا له ما جرى عليهم فقال لهم وقد صعب ذلك الأمر عليه ذلك الأمر وقال لهم يا ويلكم وما كان من العملاق قالوا وحياتك ياملك شرب كاس المحاق وما زالوا يعدوا له الابطال التى قتلت والفرسان التى تجندلت والرجال الذى أسرت حتى قامت عيناه فى ام رأسه وانزعجت سائر حواسه وفرط من شدة الغيظ على أضراسه وخافه من شره جميع جلاسه ثم أنه فى ساعة الحال زعق على النقباء وقال لهم ويلكم نادوا فى العساكر وجميع الشجعان وسائر الاقران أن يحضروا إلى الديوان فحضروا فامرهم أن يستعدوا للحرب فامتثلوا الامر فى عاجل الحال وأقبلت العساكر من سائر الجهات سبعين الف فارس من جمعة العرب عند ذلك رحل بهم من ذلك المكان ونزل على مرج يقال له مرج حلوان وكان ذلك المرج واسع الجنبات كثير المياه والنبات وفيه العيون والانهار وعلى حافاته الاشجار فنزل هناك بذلك العسكر والعساكر

دقت كوساته ونعرت بوقاته قال الراوى فما استقر بهم القرار فى ذلك المكان حتى أتت أبطال العربان ورجال السودان وامتلا السرادق بما قد حوى من تلك الخلائق هذا والملك يكسوم قال لهم ما الذى تشيروا به علينا من أمر هؤلاء القوم الذين قتلوا ولدى وأحرقوا بفعلهم كبدى وكسروا عساكرى وجندى وقد عولت على المسير اليهم والقدوم عليهم لا قلع آثارهم وأبدد فرسانهم قال الناقل فلم يتم كلامه حتى وثب واحد من خواصه وبقى قدامه وكان اسمه غاشم بن المقدام وكان بطلا همام وأسد ضرغام وفارسا لا يرام وكان فارس تلك الارض وجبارها ولم يترك مدينة من مدن اليمن إلا وأورث أصحابها الحزن ثم أنه قال أيها الملك لقد أتعبت نفسك بمسيرك إلى من هو دون من غير أبناء جنسك وأنا أعلم أن العملاق كان جاهل ببنى عبس وعدنان ومحتقرا بأبطالهم والفرسان ولاجل ذلك ساقوه كاس الحمام وأنا عارف بالقوم وباسودهم عنتر بن شداد وأيضاً إلى خبرة بتلك البلاد وأريد منك أن تسير معى جماعة من عسكرك والاجناد حتى آتيك بالجميع آسارى فى الاصفاد وابلغك من هلاكهم غاية قال الراوى فلما سمع الملك يكسوم من غاشم ذلك الكلام قال له أخاف أن يصيبك كما أصاب العملاق من الاعدام وتصير معيرة فى سائر الآكام فقال له وغاشم أيها الملك لاتعدنى أنا والعملاق بالسوى لأنه مايقاومنى فى الشجاعة والفروسية وأنت تعلم أن تحت يدى كثير مثل العملاق يأكلون خبزى ويودونى من سائر الآفاق ومافيهم من يقدر أن يدنوا منى فى ساحة التلاق فقال له يكسوم إذا كان الامر كذلك فانتخب من العساكر خمسين ألف فارس من كل بطل أنجد ممارس وسيروا اليهم بكل راجل وفارس وارتموا بكليتكم عليهم ولا تعودوا إلا بهم كما عزمت وافعل بهم ماأردت فقال غاشم أيها الملك قدم على السودان رجلا منهم يكون ذا حرمة وعرفان قال الناقل فعندها قدم الملك على السودان رجلا اسود كانه طود أو برج مشيد وكان قد حضر كثيرا من الواقفات وقسى أمره إلا وشدائد يقال له حفظ بن حامد وكان فارس تلك الاقطار إلى جزائر البحار فقدمه الملك يكسوم فى ذلك اليوم وحدد أموريته على القوم فركب عند ذلك وقويت همته وجعل أمره نافذ على السودان لاجل مافيه من الشجاعة يوم الضرب والطعان ثم أمره أن يكون تحت طاعة غاشم سيد بنى قحطان فتجهز من العساكر فى عشرة أيام وساروا وانتشرت على رؤوسهم الاعلام والرايات وتقلدوا بالسيوف المندياته والحرب الحبشيات وساروا طالبين ديار بنى عبس وعدنان وفزارة وذبيان قال الراوى ومن أعجب الاتفاق الذى يكتب ويسطر فى الاوراق أن العسكرين اختلفوا فى الطريق لأن البر

بحر عجاج يتموه فى طريقة من ليس يخبزه الا أن عساكرا الذين كانوا أسبق فى المسير فوصلوا إلى ارض الشربة بعد مسير بنى عبس بشىء يسير قال فلما أشرقوا وبان غبارهم لبنى عبس وفى مقدمهم حافظ بن حامد مقدم السودان من خلفه عساكر العربان فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى غطفان والمقدمين عليهم من الفرسان مثل الهطال ابن اخت عنتر ونازح ابن أسيد الفارس القسور وبقية الابطال بهيج بن حازم وأسد بن ماجد فأنهم لما راوا البر اسود والغبار قد امتد والعساكر قد ظهرت من تحت الغبار وهى تتدفق مثل موجات البحار وراياتهم منشورة تحاكى اجنحة النسور فلما ان وصلوا الى ارض الشربة اندهلت من ذلك بنو غطفان وحارت منهم الاذهان ووقع بهم الخذلان فقال الجحجاح لابنه الهطال هذا الهلاك والوبال وما هذه العسكر إلا خالفت بنو عبس فى الطريق وقد لحقنا منهم الهم والضيق وقد دهمنا هذا العالم العظيم وصار امرنا معهم غير مستقيم فقال الهطال يا ابتاه وحق الله المتعال لابد لنا من القتال ولا نحيد عن الحريم والعيال والا نعيش عيشة الانذال وما فى الامر إلا اننا ندخل من داخل الخندق وندور بالبيوت كما اتفق ونقاتلهم ونمنعهم عن العبور ونبذل المجهود ونموت موت الكرام ولا نعيش عيش اللئام فلما سمع الجحجاح كلام ولده الهطال استصوبه وتبعه فى فعاله وعادوا إلى داخل الخندق وداروا حول البيوت ورتبوا لحفظ الباب فرسانا انجاب منهم اسد بن جابر والهطال وبهيج بن حازم من الانجاب ووقف الكل على جانب الخندق واكثروا من النبال وعلا الصيح من السودان وايقنوا بالسبي والقلمان قال الراوى ولم تلبث عساكر الحبشة حتى حملت حملة واحدة وصاحوا بأصوات مثل الرعد إذا قعقع فى الفدافد حتى قربوا من الخندق ووصلوا اليه واصطفوا حواليه وتقدم غاشم بن المقدام حتى قرب من الخدم وقال يا بنى عبس لا يكلمنى إلا المقدم من الرجال قال فلما سمعوا كلام غاشم تقدم اليه الجحجاح وقال له ما تقول يا هذا الفارس فقال له غاشم اعلم اننا مخيروكم اما انكم تحقنوا دماكم وتسلموا لنا انفسكم واما انكم تلتقونا فى الميدان ويحل الطعان حتى نذيقكم الذل والهوان قال فلما سمع الجحجاح كلام غاشم قال له أخرس يا ابن اللئام فن أنت حتى نسلم أنفسنا اليك من غير قتال ولا صدام ملكنا قيس قد سار إلى ملككم يبيد شأفته ويقطع دابره وما سار اليه فى العدد والعديد وهو سد من حديد

ويأتى به إلى هذا المكان وهو ذليل مهان وينهب أمواله ويسبى عياله فلما سمع غاشم هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام إلى اصحابهم وأعلمهم بذلك الامر الذى قد أصابه وكيف سارت بنى عبس وكيف تخالفوا فى الطريق فاغتنموا أنتم الفرصة وأعدموهم التوفيق وأقلعوهم من الحلة ليكون الذكر لكم بالجملة فقالوا له أيها الملك كيف تعبر هذا الخندق وتفعل هذه الفعال الذى أمرتنا به فعسى أن يكون موفق فقال لهم كل واحد منكم يملأ مخلاته تراب وأرموها كلها فى مكان واحد فانه ينسد ليكون بحر عباب فقالوا له نعم ما رأيت فانه رأى صواب ثم أنهم تراكضوا على تل بالقرب منهم نحو له وأقل من ساعة راحة بالمخالى ورجعوا يطلبون الخندق كما اتفق الامر بينهم وكانت عبيد بنى عبس فى ذلك الوقت ستة آلاف فوقفوا فى وجوه الأعداء بالنبال وضربوهم من اليمين والشمال ولما نظروا العدا وقد قبلوا بالمخالى ملآنة تراب فاطلقوا عليهم الحراب والنشاب فاتتهم مثل الجراد المنتشر فاهلكوا بها خلق كثير من السواد والأعراب وخرقوا المخالى وبددوا ما كان فيها من التراب وما قدر واحد يدخل عليهم فعادوا ثانيا وملؤا المخالى وقالوا ان فعل ذلك ولا نبالى ورجعوا يطلبون الخندق وستروا أبدانهم بالدرق ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا إلى الخندق وبقوا عند الباب وحدفوا امامهم من التراب والعبيد ترشقهم بالنبال والحراب حتى قتل منهم جماعة كثيرة من الانجاب ولم يزالوا كذلك حتى ملاوا الخندق من ذلك التراب وزحفت الخيل فى عشرة آلاف راكب وأمر غاشم وحافظ مقدم السودان أن يأخذ أصحابه ويطلب الباب فسمع منه ذلك المقال وسار فالقاه الهطال بن أخت عنتر فى ألف فارس من الرجال الانجاب واستد بينهم الصدام وزحفت السودان وقد صفوا بأيديهم الدرق وعرفت خيل بنى عبس وأهلكوا خلقا كثيرا من الشجعان وحملت أصحاب غاشم وداسوا على التراب وساروا مع بنى عبس من داخل الخندق وبذلوا فيهم الصارم القرضاب وزربوهم العبيد بالخشوت والحراب ونزلت باقى عسكر غاشم عن الدواب وكشفت عبيد بنو عبس عن الخندق فيما إلى الباب وملكوه عليهم وساروا فى أرضه لان المسافة لم تكن متباعدة ونظرت بنى عبس إلى ذلك فايقنوا بالمهالك وظهرت المخدرات وارتفعت منهم الاصوات وأرتخفت قلوب البنات ونزلت على الخدود دهواطل العبرات وأيقنوا بالسبى والشتات وعظمت منهم الحسرات وطلعت عبلة من خدودها وقد حارت فى أمرها (قال الراوى) فبينماهم كذلك وإذا هم بغبرة قد طلعت عليهم من بين تلك الرمال وارتفعت وتزوبعت وبان من تحتها ستة آلاف فارس صيحاتهم قد علت فى الفلوات وهى طالبة بنى عبس الانجاب وكانوا هؤلاء بنى عامر وغنى وكلاب يقدمهم ملاعب الاسنة وعشم بن مالك وعامر بن الطفيل ولما أشرفوا تلك الاراضى

والوديان أو النهب يعمل من أطراف بني عبس وغطفان والعبيد أنخذلوا وفرسان بني عبس أكثرهم قتلوا فلم يصبروا ودون أن كبوا رؤسهم في قرابيص سروجهم وحملوا وعلى القتال عولوا فبيناهم كذلك وإذا هم بغبرة ثانية وعجاجة متنامية البر منها قد ارتج والجو من أصواتهم قد انزعج وبعد قليل انكشفت الغبائر للنظار وظهر وبان من تحتها بنو هوزان وجشم وبنو غزية ودهمان ومقدمهم دريد بن الصمة قال الراوي يا سادة فلما رأى غاشم ذلك الحال صاح فيمن معه من الرجال فعادوا اليه واجتمعوا بعد ما كانوا في نهب بنو عبس قد طمعوا وانفردوا في البر والهضاب وعادت الرجال الذين كانوا في الخندق على خيولهم ركاب وعادت السودان من بني عبس في طعان وضراب هذا وغاشم قد نادى في عسكره دونكم وهؤلاء القادمين وكونوا على لقاهم غير مقصرين قال وكان السبب في قدوم بني عامر مع ملاعب الأسنة وقوم بني هوازن شيخ العرب دريد بن الصمة الكتب الذي كان أنفذها عنتر اليهم مع العبيد قبل مسيره إلى بلاد الحبشة فلما وصلت اليهم الكتب ما فيهم الا من جمع أصحابه وعشيرته وشاوروهم في نجدة بني عبس فاستصوبوا النجدة وساروا حتى أشرفوا على بني عبس وهم قد ضاقت منهم النفس قال ولما رآهم غاشم قد أشرفوا عاد اليهم التقاهم في ثلاثين الف فارس واصطفت العسكران وتضارب الفريقان وسمع السيف طنين ورنين ودارت رحاة الحرب شمالا بعد ما كانت يمين وتعلقت في وجوههم أبواب الآمال وطعنت المقاتل باسنة الرماح الطوال وقطعت الأعناق بالسيوف الصقال ولم يزل السيف يعمل بين الفريقين إلى أن أقبل الليل فافترقوا عن القتال بعد أن أيقن الفريقان بمجال الذل والخبال ولما أمسى المسا اجتمعوا مشايخ القبيلتين المشهورة حتى يدبروا أمورهم فيما يجرى فقال ملاعب الأسنة لدريد بن الصمه ما كان مجيئنا بصواب لاننا أمسينا ونحن مشرفون على الهلاك والعذاب وكنا نؤمل اننا نلحق بني عبس في الديار فوجدناهم غائبين وما علمنا انهم قد اتكلوا علينا بحمى حريمهم وتردعنهم غريمهم فقال دريد بن الصمة يا بني عمي ماهو الا قد لزمنا القتال وركوب الاخطار والاهوال وصارت الهزيمة علينا من غاية العار وقد رأيت هؤلاء ما كانوقوفهم إلا بهذا الجبار الذي هو مقدم على هؤلاء الاشرار لاني رأيت اليوم في الحرب منه ما يذهل النظار ولا بد لنا في غداه غد من برازه ونبذل بالذل أعزازهما بينكم وبين كمريه هذه الطوائف الاقتل هذا الشيطان وينزل بعد ذلك عليهم الذل والهوان فهذا ما جرى لهؤلاء من الأمر والشأن وأما ما كان مقدم السودان فانه أنفذ إلى غاشم يقول له أبني

أشرفت على سبي الحريم التي لهم وقد أهلكت حماتهم ولولا المساء ما كان بقي منهم أحد ولكن في غداة غد أهجم عليهم وأبيد أقصاهم وأدناهم ثم باتت الطوائف وفيهم آمن وفيهم خائف إلى أن أصبح الله الصباح واضاء بنوره ولاح فبادروا جميعهم يطلبوا الحرب والكفاح وأشهروا العدد والسلاح واصطفت عساكر اليمن وأرادوا أن ينزلوا ببني هوزان المحن إذا قد برز من بني عامر فارس ثم أنه توسط الميدان نادى هل مبارز ومناجز لأن هذا يوم الهزاز فبرز اليه فارس فقتله وثاني جندله وثالث قطع من الدنيا أمله فلما رأى غاشم إلى هذه المصائب حلت عليه النوائب فقفز إلى بين الصفين واشتهر بين الفريقين وكان عليه يومئذ درع محكم ومقلد بسيف مخذم ومعتقل برمح لهذم وتحته جواد أدهم كأنه الليل إذا اظلم وتحت فخذه اربع حربات تقطع الأعمار بالاسباب فانطلق على عمرو مثل العقاب ومسكه من جلابيب درعه وجذبه برجله من بحر سرجه وقد أذهله وأروعه ولما صار في يده حذفه إلى وراه كاد أن يعدمه الحياة ووقع الى الأرض كاد أن يرض عظامه رض ثم صال وجال وطلب البراز والنزال فخرج اليه خفاف البطل الريبال وتحته جواد خفيف الأطراف مليح الاوصاف أحمر في لون دم الرعاف كما قيل في حقه هذه الأوصاف .

ولي مهر يشق الأرض شقا يحاكي لونه الذهب المصفى
إذا ما سار فات الريح جريا كبرق يخطف الابصار خطفا

وهو غائص في لامة عريق في شكته وقد انقض على غاشم بحملته وهاجمه بهمته وطعنه طعنه كاد يخرق نحره فاندق الرمح بالصفائح التي على صدره ولم يعمل فيه شيئا الحار في أمره وقد أيقن خفاف بخيبته فاجابه غاشم بطعنه أسرع من الأجل وأبلغ من الموت المعجل فرفع السنان في كفه كاد ان يورده حتفه وجرحه جرحا بالغا عظيما فانقلب وصار على الارض ممددا فانقض عليه عبد من عبيده مثل الفهد وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وأوصله الى العساكر وقرنه الى عمرو أخو تماضر ثم أن غاشم صال وجال وطلب البراز والنزال فخرج اليه العباس ثم حمل بقوة جنان وفدعا باعن الابصار لان عاشم كان تلقاه وقد اختلف بينهما ضربتان واصلتان كان السابق بالضربة العباس فخابت الضربة وصار السيف قطعتين فانذهل العباس وتحير فاجابه عاشم بضربة فصادف لتقاها العباس بدرقته فقطعها السيف نصفين ورفعت من يده قطعتين ونزل الى البيضاء قدها ونزل إلى رأسه كاد أن يخمد أنفاسه فعاد العباس منهزما وبعدها حمل هاشم على قبايل هوزان مصمم فتمتع الميمنة وقتل منها

فارسين وعاد إلى ميسرة فى أسرع من طرفة عين وبعد ذلك عجم دريد أن ينزل إلى الميدان فتعلقوا به أكابر قومه من خوفهم عليه فلم يلتفت إلى كلامهم بل قال للاعب الاسنة ها أنا خارج إليه فان أنا انصرت عليه كان ذلك قصدكم وقصدى وأن هو أسرنى فلا أحد منكم يبرز إليه من بعدى ثم أنه بعد ذلك انطبق على غاشم وصادمه فى طابق الميدان وأنشد وقال صلوا على باهى الجمال

تنبه يا مغرور أن كنت نايم ستلقى حياض الموت من حد صارم
فدونك حربى وأنظر اليوم طعن من فعاله مكتوبة فى الملاحم
سأتركك فى الأرض ملقا معفر تحوم عليك صافنات الصلادم
وجسمك يبقى فى الفلاة تنوشه من الجو عقبان النسور القشاعم
وأنى لكشاف الكروب إذا بدت خيول الاعادى عاضدات الكشايم
أنا قاتل الروح فى كل معرك أدير راحات الحروب بين العوالم
وكم من همام ضيغم قد قسمته بكل حسام قاطع فى الجماجم
وكم سرت فى البيدا والليل حالك وطيرت هامات الكماة الضراغم

قال الراوى إلا أن دريد لما فرغ من شعره ونظامه أراد أن يحمل على غاشم بقوة عزم واهتمام فنظر غاشم إلى حملته ولم يبال به وسمع شعره ومقاله فاستقبله وقد زاد اشتغاله وبلباله وأجابه على عروض شعره يقول صلوا على طه الرسول

ألا أيها المغرور بين العوالم إذا الحرب يوما أقعد كل قايم
ستنظر منى فى الحروب غضنفر وتعلم من يجلى غبار العظايم
وذا اليوم تلقانى وتعرف همتى ويفزع منى كل لهفان نادم
فدونك لتعلم حربى وأننى أريد أروى من دماك الصوارم
فما أنت لى كفوا إلى أشتبك القنا وأختلفت ورق الرماح الهادم
أنا البطل الكرار فى حومه الوغى إذا أعترت خيل العدا بالجماجم
تطلب أن تنجو وسيفى محكم بكفى ومالى فى الوغى من مقاوم
ساورديك تحت النقع تبحث جائما والجن يكسوم بنهب الغنايم
أنا ليث قحطان الذى فخره علا على الفلك العالى وظهر الغمايم

قال الراوى فلما فرغا من شعرهما والنظام حملا على بعضهما بعض وتجاولا طولا وعرض وحفرت حوافر خيلهم الأرض وقد تعجبت من فعالها الابطال وتصادما على الحصى

والرمال وقد تضاربا بالسيفين إلى أن كل منهما الساعدان والزندان قال وكان لغاشم أخ يسمى المقدام وكان بطلا همام فما رأى قتال أخيه مع دريد وحملاته عليه ورأى صبره بين يديه اشتغل قلبه عليه فزعق في العساكر فحملت وجردت سيوفهما وما أمهلت وخاف أيضاً ملاعب الاسنة على دريد بن الصمة لما رأى ذلك فحمل وقد عملت السيوف أوفى عمل وانتهت الارواح باطراف النبل ووقع بالناس الضجر والملل وضرب بهم فى ذلك اليوم المثل قال وكان السابق إلى دريد المقدام ومن معه من الأقارب والالزام فداروا به من كل جانب وقد ضيقوا عليه السباسب وقد تعب من القتال وطلب الخروج من بين هذه الأبطال فما قدر على ذلك الحال وانطبقت عليه عشرة آلاف فارس من الأبطال وهم قروم عوابس فظن أن من الحياة آيس وقد قتلوا جواده ووقع قال فبينما هو فى ذلك الحال الاشنع وإذا بصياح من بنى عبس قد ارتفع وكان السبب ذلك أن جيش السودان كان اليهم قد اندفع وقتلوا من بنى غطفان خمسين بطل صيدع وانكسرت بنى غطفان ولم ترجع فمن ذلك صارت أعين النسوان تدمع وقلوب الاولاد تفزع وأيقنوا جميعهم بالهلاك والسبى الاشنع ورأت بنى غطفان القتل بهم قد وقع والصياح عليهم قد ارتفع فبينما هم كذلك وإذا بغبار من خلف ظهور الأعداء قد طلع وعجاج قد تمى ثم انكشف بعد ذلك وتقطع وبان من تحته خمسمائة فارس صيدع مقدمهم فارس أروع بالحديد مدرع وهو بجواده يتدفع وسنان رمحه قد شرع وهو ينادى يا لعبس يالعدنان قال الراوى وكان السبب فى مجىء عنتر إلى هذا المكان سبب عجيب وحديث غريب نحب نذكره على الترتيب وذلك الصلاة والسلام على طه الحبيب وذلك أنه لما سار مع الملك قيس إلى حصن العقاب يطلبوا خلاص من لهم من الاصحاب ويخلصوهم مما فيه من الإسر والعذاب فلما قربوا منه أنفذوا شيبوب القهار فغاب قليل وعاد اليهم على الآثار وعلمهم بان غاشم قد سار إلى ديارهم فى عسكر جرار وخالفهم فى الطريق وأعدمهم السعادة والتوفيق قال فلما سمعوا ذلك المقال ما منهم إلا من أيقن الحريم بالسبى والاذلال ثم انهم نزلوا قريبا من الحصن وباتوا يدبروا ما يكون من الأحوال وقد عزموا فى غد على الحرب والقتال فرأى الملك قيس فى منامه كأنه أحدق بحريمهم كلاب سود وذياب غبر فى قدر الفهود وقد نهبوهم نهبا قوة ومصباً كان الكلاب قد طلعت عليهم من جانب الخيام وقصدتهم من الربا والآكام ثم جعلت تمزق ما عليهم من الثياب والسرادق والاطناب ثم رأى كان نارا وقعت فى الخندق بعد ما خرجت من زناد فطار منها شرار إلى غدير ذات الارصاد

وأحرقت الحريم والأولاد فانتبه من نومه مرعوب وهو بما أرى مرهوب ففسر منامه على من حضر من السادات فقالوا وحق البيت الحرام ماقومنا إلا وقعوا بداهية من دواهي الزمان قال الأصمعي رضي الله تعالى عنه فعند ذلك قال الملك قيس قلبي يحدثني بالرجوع بعد هذه الرؤيا والارتياب فقال عنتر ما هذا صواب ولكن أنا أرجع إليهم وانظر واما حل بهم وأفرج كربهم وسيروا أنتم ومعكم ولدى الغضبان سيد الفرسان وأخوه غصوب فهم يقوموا مقامى فنعود إليكم ونورى أعداءكم المهالك فقالت فرسان العرب والملك قيس يا أبا الفوارس الآن ترسل أخاك شيبوب يكشف لنا الأخبار ويرجع على الآثار فعند ذلك دعى عنتر بأخيه شيبوب وأمره بالمسير فانطلق وغاب أيام قلايل ورجع فقال له عنتر ماوراك فقال له أعلم يا أخى أن يكسوم قد أرسل إليكم غاشم بن المقدام فى عشرين ألفا من العربان وخمسة آلاف من السودان والحبشة وقد خالفوكم بالطريق والآن صح المنام ومافى الأمر إلا عودتى والسلام فقال عنتر لا وذمة العرب لا يسير إلا أنا ثم أنه تجهز فى خمسمائة فارس من جملتهم ولده ميسره وسار وهو طالب الحلة حتى وصل إلى القوم وهم فى جهد جهيد ورأى السودان ملكت أكثر البيوت وقتلت جماعة من عبيدهم وقد خرج الهطال وأبوه الجحجاح قد ساءت بهم الأحوال فحمل عنتر فى الوقت فى الخمسمائة فارس الذين معه وقد ملك على السودان باب الخندق وولده ميسره زعق فيهم والأمير عروة قد حمل حملة مذعره وطعنوا فيهم طعنا لا يبقى ولا يذر فعاشت أرواح بنى عبس بعد الموت والضر وقد عادت السودان من بين الخيام وقد تزاعقت عبيد بنى عبس على السودان ورموهم بالنبال والأعمدة الثقال هذا وحفظ يحرض رجاله على القتال والطعن والنزال والحروب والضرب وعنتر قد صب على السودان العذاب فعند ذلك ترجل حافظ بن حامد إلى عنتر وفى يده خشت طويل وطلب ناحية عنتر فلم يجد إلى ذلك من سبيل فعندها عطف على عروة وطعنه بذلك الخشت فاقلبه وصار على صدره وهم أن يذبحه فصاح عروة بملء رأسه خوفا من الهلاك وقد أيقن أن ما بقى له فكاك وكان صياحه أدركنى يا أبا الفوارس من هذا الأمر المنكر فوقع صوته فى إذن عنتر فقال هلك والله أبى الأبيض ثم أن عنتر طلب الصوت حتى وصل إليه وقد حمل كليته عليه ومازال يخرق الصفوف قدامه ويطرحهم أمامه ويفرقهم يمين وشمال ومن هذا صارت الفرسان تتنافر من بين يديه وجميع الرجال حتى اشرف على عروة وخصمه راكب على صدره وكان مراده أن يعدمه مهجته وعمره هو يعالج مع خصمه قد زاد همة فزعق عليه عنتر زعقة عظيمة أدهشه فتخبل ارتعشت

يداه من زعقته ثم فاجأه وضربه بالرمح قلبه وأركب عروة على جواده وعاد بكر هو وإياه وما زالوا كذلك حتى غاصوا في أواسطهم وانطبقوا عليهم فلما رأى القوم مقدمهم قد هلك وأصابته تلك المصايب أيقنوا جميعهم بالنوائب وانقضوا على بني عبس بحرابهم من كل جانب ومن أكنافهم يرموا إلى ناحيتها الحراب تخرج من أيديهم كأنها شهاب لكن بنو عبس أكثرهم بالدروع والجواشن وتحتهم الخيول الصوافن والحبشة عراة ما فيهم من عليه شيء يستر عروته إلا القطعة أديم على سرته فانطبقت بني عبس عليهم كانطباق الماء الغزير فاهلكوا منهم خلق كثير وعملت سيوف بني غطفان في ظهورهم فداروا الدوران في أمورهم وقد جاءتهم الإماء والعبيد بأعمدة البيوت والنساء بالحجارة وقد أنزلوا بهم الذلة والخسارة وقويت قلوبهم وأيقنوا بنصرهم ونيل مطلوبهم ووقعت في السودان الزعقات وأيقنوا بالذل والممات وعمل فيهم صارم البتار فطلبوا الهزيمة والفرار وتوقعوا في الخندق على الوجوه ونال بنو عبس منهم ما أملوه ويرجوه والعبيد قد سطت عليهم بالأعمدة والأحجار ولا يسلم منهم إلا من هج قال وكان عروة قد عاد على ظهر جواده وشفى من الأعداء مراده وغليل فؤاده وسار هو وعنتر وولده ميسرة وبنو غطفان والخمسمايه فارس الذين عادت معه من بني عبس وعدنان ثم إنه اخترق العجاج وقطع بحسامه الأوداج وترك الدماء على الأرض تجري مثل البحر العجاج ورمى الفرسان أفرادًا وأزواج ووقع في خيل اليمن الارتجاج وقد سكرت الأبطال من غير مزاج وما زال عنتر في عزيمته وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

ويوم رددنا خيل عبس عامر	وفرسانهم ضرب بيض القواضبه
ودارت رجالنا في القنا عليهموا	فاردتت شجعانا شداد الجوانبه
وصلنا عليهم صولة يمنيـــة	فولوا ولم يدروا باى المذاهبه
سلوا الخيل عنى يوم مشتهر القنا	يخبروكم عن هول ووقع مضاربه
ولما لقيناهم رددنا زعيمهم	بضرب حسام قاطع في الترايبه
وخنفه في البر ملقى تنوشة	وحش بالفلا والطير من كل جانبه
وتغدو عربان الفلا فوق جسمه	وقد خر ملقا ثاويا في السباسبه
أنا البطل الندب الهمام الذى علا	أوصافه على عجمها والاعاربه
وعرض تقى اتقى ان اعيبـــه	ببخل أوذل أو بقول الكواذبه

فهذا هو الفضل الذى يرفع الفتى   إذا شاع عنه فى جميع الأعارب

قال فلما سمع عنتر شعره ونظامه علم أنه فارس شديد وبطل صنديد وجبار عنيد فانقض عليه كالنسر الحائم فعند ذلك التقاه غاشم وصار له يهاجم وأراد أن يطعنه طعنة شديدة بقوة ساعده فلما رأى عنتر الرمح أصدره بساعد عبر الرجال الماجد حتى وصل السنان إليه فرده وقبض عليه وجذبه فى كفه فكاد أن يخلع كتفه وقام فى ركابه وتمطى فى مداده وضربه بالسيف على أوداجه وإذا به كضم الأرض بأسنانه فانقض عنتر على رأسه أخذها من الأرض بيده وضرب بها فارسا من أصحاب غاشم وكان ذلك بشدة ساعده فانقلب وصار أعلاه فيه رجلاه وفارق الحياة فاندهشت فرسان بنى قحطان واليمن ووقع بهم الذل والمحن فعند ذلك حمل أخاه يطلب ثاره وقد اشتعلت فى قلبه ناره فاعترضه ميسرة وحمل عليه حملة منكرة وطعنه فى جنبه فجاءت الطعنة فى قلبه فخرقت أمعاءه وبددت ما فى وعاه فوقعت على عساكر اليمن المكسرة وقد ظهر فى عددهم القلة فولوا الأدبار وركنوا إلى الهرب والفرار وقد عمل فى أقفيتهم الصارم البتار واتبعوهم خمسها باقى النهار وشتتوهم فى فى البرارى والقفار وعاد عنتر وهو يشكر بنى عامر فرسان الخيل ويثنى على ملاعب الأسنة وعامر ابن الطفيل ثم أنه مضى إلى عند دريد بن الصمة وحله من وثاقه ومن معه من رفاقه وسلم عليه وقبل الأرض بين يديه وقال له يا أبا النظر لولا كم كانت سبيت نساؤنا وحلت بهم العبر فقال له دريد يا أبا الفوارس إذا طال عمرك ما يصيبنا بؤس ولا شقى ولا نزال منصورين بطول حياتك والبقا قال فشكره عنتر ثم أنهم نزلوا تلك الليلة للراحة فى ذلك المكان وقد دقت البنات والنسوان هذا وعنتر يحدثهم بما جرى لهم من الأمور والأسباب ويقول أنا خلصت الملك قيس ومن معه من الأعراب وقد قاربوا حسن العقاب وأنا والله خايف عليه وعلى إخوته ثم إنه حدثهم بما أبصر الملك قيس فى المنام وهذا السبب الذى ردنى إلى هذا المكان قال فتعجبوا الحاضرين من هذا الكلام وبعد ذلك قال عنتر أنا عولت على صحبته وأعينه على أعدائه فقال دريد بن الصمة وملاعب الأسنة وخفاف بن ندبة والعباس بن مرداس ومن حضرهم من جميع الناس والله يا أبو الفوارس نحن ما جئنا إلى هذا المكان إلا خدمة لك ونسير معك إلى بلاد اليمن ولكن أعاقتنا هذه الحروب والفتن قال فشكرهم عنتر على مقالهم وأثنى عليهم وعلى فعالهم وودعهم ثم أنهم أقاموا يومين فى تلك الأرض والفلا حتى رتب عنتر الحلة وأمر العبيد أن ينظفوا الأرض من القتلى وقد شكر أيضا بنى غطفان وضم إليه ثلاثمائة فارس من الخمسمائة التى جاءت معهم من تلك الأبطال قال الراوى لهذا المقال بعد الصلاة والسلام

على سيدنا محمد باهى الجمال ثم أنه رحل من قومه المائتين فارس وأخذ بنو هوازن وجشم وبنو عامر فكانوا ستة عشر ألف عنان من كل بطل منصان وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

نسير إلى جيش اليمانى بعد ما نبادر منهم أولا ثم آخرا
أتونا بجيش ترجف الارض خيله وفيه من الأبطال ابحارا زواخرا
بجمع تظل الأسد ساجدة له وقد صعدت منه الصخور الحوافرا
ومن دون حى الغائبين كتائبا إذ افتخرت زادت على من تفاخرا
رأيت قوما من بنى حام قادهم فتى من بنى قحطان أشرس حادرا
فلاقتهم من آل عبسا فوارسا وقد قدر الرحمن ما هو قادرا
ولى همة من عند ربى وخالقى أضارب قومى جاسرا ثم خاسرا
سيفى أنى غاشم وفى وسط حفرة تخطفه عقب النسور الكواسرا
وجميع بنى حام تركت عبيدهم هشيما بحد السيف والسيف باترا

قال الراوى ثم أنه لما فرغ من شعره تعجبت الفرسان من فصاحته وأما ما كان من الملك قيس وبنو عبس فإنهم لما جدوا بالمسير طالبين خلاص من لهم من الأصحاب حتى وصلوا إلى حصن العقاب فأمر الملك قيس جماعة ليكمنوا وراءه وأمر الغضبان أن يسير فى ألف فارس من رجاله ويسوق ما حول الحصن من الأموال فسار وفعل ما أمر به الملك قيس من تلك الفعل وضرب فى أقفية العبيد ضربا مثل فتوق الاعدال ووقع الصائح فخرجت من الحصن الرجال وفى أوائلهم الهاطل وجماعة من الأبطال فابصروا بنو اعبس قد ساقت الأموال وخيلهم متفرقين يمينا وشمالا فنادى ياأوغاد غير أمجاد ويا كلاب العرب أبشروا بالهلاك والعطب وقد حل بكم الويل والحرب وخاب منكم الأمل وقد أدرككم الموت المعجل ثم أنه حمل فى أوائل عسكره وهو يقول أين تأخذون أموال الملك يكسوم البطل المهول فلم يتم كلامه حتى انقض عليه الغضبان وقاربه وهو كالأسد الحرداز وضربه ضربة مشبعة فالتقاها الهاطل بالدرقة وكان الغضبان وكان بيده صمصامة لا يردها ولا طارقة فقطعها سيف الغضبان ونزل إلى رأس الهاطل فشطر البيضة شطرين ونزل السيف إلى رأسه كاد أن يهدم أساسه وجرحه جرح مؤلم ولا أجله مديد لكان قضى عليه ثم أن الغضبان مد يده أخذه أسير وقاده ذليل حقير وحمل على باقى الخيل وانصب عليها أصباب السيل وحملت بنو عبس

من ورائه خوفا عليه من أعدائه وكان كل منهم يريد أن يبين من نفسه ما يراه فبهروا عساكر الهاطل بن سافية هبرا وضررهم غاية الضرر فرأوا الشيء مالهم عليه مقدرة وقد انعقدت عليهم الغبرة فعادوا من قدامهم منهزمين وإلى نحو حصنهم طالبين فوجدوا الملك قيس قد طلع من الكمين وفرسانه بالحصن منطبقين والملك قيس قد أمر غصوب أنه يلقاه فى ألف فارس آخر ففعل مثل ما أمر فأبصر واهؤلاء السيف يعمل فيهم من خلفهم ومن بين أيديهم فضاق عليهم السهل والجبل وأيقنوا جميعهم بالذل والخبل ولم يلتفت الوالد وأخذت منهم بنى عبس خمسمائة أسير وأبلوهم بالذل والتقصير وقد هلك منهم خلق كثير وماسلم منهم إلا من كان فى أجله تأخير هذا والغضبان قد قدم الهاطل بين يدى الملك قيس وأوقفه إلى بين يديه ليضرب رقبته ويقضى عليه فطار عقل الهاطل وتخبل وأيقن بحلول الأجل فقال أيها الملك الريبال لأى شيء تفعل بى هذه الفعال فقال له الملك قيس لأجل الأسارى الذين لنا عندك فى الاعتقال فاذا أردت سلامتك تأمر أصحابك أن يسلموا لنا الحصن وتخرجه من يداك وإلا أسقيك كأس فناك لأننا نريد أسرانا ونرجع إلى بلادنا (قال الراوى) ثم أن الملك قيس أمر أن يقدموا من الأسارى عشرة الذين معهم فى الاعتقال ويجودوا من حولهم السيوف الصقال ففعلوا تلك الفعال فلما نظر الهاطل إلى هذا الحال أيقن بالارتحال وقال أيها الملك تأن ولا تفعل وأعلم أن لك علينا خلاص أسرك وأعلم أن عسكرنا قد سار مع غانم بن المقدام إلى دياركم فابقى علينا لعلك أن تخلص بنا حريمكم والعيال فقال له قيس الويل لك ولذويك ونحن قد عولنا على ذلك الحال يا ويلك وحق المتعال الذى قدر الأرزاق والآجال فقال الهاطل أعطنى الذمام فقال له الملك لك على ذلك وحق الملك العلام فتقدم الهاطل إلى باب الحصن وعقله قد غاب ونادى ياويلكم أعلموا أننا قد أشرفنا على الهلاك قال فلما سمعوا الذين فى الحصن كلام الهاطل أجابوا بالسمع والطاعة وسلموا الحصن ومافيه من تلك الساعة وفتحوا لهم الباب فدخلوا بنى عبس الانجاب وقدامهم الغضبان بعدما أعطوهم الامان وأخذوا مالهم من الأموال والعيال وقد ملكوا الحصن بأمان فوجدوا أموال ماتأكلها النيران وقد فكوا أسراهم من الاعتقال وفرح الملك قيس بخلاص أخوته وقال أيها الملك أسرانا قد أخذناهم وبلغنا الآمال نأخذ هذه الأموال التى فى هذا قال الراوى فلما نظرت بنو عبس والملك قيس إلى هذه الحلائق الذى ملأت الملا

أيقن بالويل والبلاء وقال الربيع هذا الحساب الذى حسبته والمكر الذى فكرته وما بقى لنا غير الحصار حتى يأتى لنا النصر من خالق الليل والنهار وقال وكان السبب فى ذلك العسكر ومجيئهم إلى هذا المكان المنهزمين الذين انهزموا من المرة الاولى لأنهم صاروا على الطلل وأوقعوا النفير وأخبروا الفرسان الانجاب وحثهم بالنفير إلى حصن العقاب وسارت تطرح الصوت فيهم من كل جانب فنفروا جميع الاعارب وأنت كما ذكرنا وأحاطت بالحصن كما قدمنا وأما الهاطل فانه عاد طالب الملك يكسوم وهو خائف مرغوم الانف وقال ياملك قتلت الرجال ونهب الاموال وملك الحصن بما فيه من الرجال قال فلما سمع الملك يكسوم من الهاطل ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال له ياويلك من أين وصلوا تلك الانذال وفعلوا هذه والجيش الذى أنفذناه اليوم أين كان وأى شىء كان جرى لهم فقال الهاطل أيها الملك ماسمعنا خبر ولا جليه أثر فعندها استدعى الملك يكسوم بابن عم له يقال شريط بن جهم الحبشى وكان شجاع من الرجال الشجعان وقرن من الاقران وجرد له من العرب عشرين ألف ومثلهم من السودان وقال لهم سيروا مع ابن عمى وأتونى بهؤلاء الذين أخذوا حصنى فأجابوه بالسمع والطاعة وساروا من تلك الساعة وما زالوا سائرين فى تلك البرارى والرحاب حتى وصلوا إلى حصن العقاب ونزلت حوله تلك الفرسان وأحاطت به الاقران فهذا ما كان من هؤلاء وماجرى معهم من الامر والشأن والمضارب وأحاطوا بالحصن من كل جانب فقال الضيان للملك قيس ياملك الزمان وحق الرحمن الرحيم أن قعدونا من خلف الجدار من أكبر العار أفتح الباب ياملك أخرج أنا وأخى غضوب نصلى نيران الحروب فأمر الملك قيس بفتح الباب فخرج الضيان وحق ومجيد ابن مالك فى ألفين فارس حملوا على القبائل وأوردتهم العذاب وبقى الملك واقف تحت راية العقاب وهو قريب من باب الحصن مخافة أن تميل طائفة من هؤلاء العربان ويملكوا حصن العقاب هذا والضيان قد غاص فى هذا العربان فعندها انتخب الابطال فعاين وأى الملك قيس إلى ذلك العدد وقد كثر على الضيان وأحاطت به وبمن معه من الفرسان خاف عليهم من الردى ومن كثرة العدى فحمل بالفوارس الذى كانت معه حملة صادقة بالسيوف البارقة والرماح الخارقة وفى دون ساعة فنى من السودان ألف وخمسمائة إنسان منهم جماعة وقع عليهم الذل والهوان فابعدوا عن الحصن إلى الفضا وقد نزل عليهم القضا فبينما شريط فوق الراية ينظر إلى القتال وحوله جماعة من الرجال وإذا بفرقة من الابطال

خرجت من تحت الغبار وهى منهزمة طالبة الهرب والفرار وأخبرت شريط بما تم عليهم من الويل والدمار فبينما القوم مع شريط فى المقال إلا والغضبان قد ظهر وأدركهم إدراك القضاء والقدر فلما فلما أن رأى شريط إلى ذلك انذعر ونادى ياويلكم دونكم وهذا الشيطان شيلوه على رؤس الأسنة والاشطان هذا والغضبان قد أدرك حامل العلم وطعنه جندله والثانى رمله والثالث نكله والرابع أدنى من نحله وقتيم فى حملته حتى لحق بشريط وضربه بالسيف وطلب هلاكه وعطبه وكان على بعد منه فوصلت الضربة إلى عنق جواده أهلكته فوقع شريط على وجه الأرض فلما أن أبصر واقومه فعل الغضبان دار وابه من كل جانب وهم بالقنا والقواضب فقال لهم شريط دونكم إياه أعدموه الحياة فبينما هو يقول ذلك المقال وإذا بمنصوب قد طلع مثل الأسد الرئبال وهجم عليهم قلب اليمين على الشمال فالقوا الهم على ذلك اصطبار فولوا الادبار وركنوا إلى الفرار وتشتتوا فى وسيع القفار قد وقعت بهم الحيرة والانبهار هذا وقد شق الغضبان بين يدى قومه شقا وفرقهم بين يديه غربا وشرقا وكسر كل بيضة ودرقا وأروى سنانه من الأعداء كأنه فقا وكان غضوب على أثره وقد محق لأبطال محقا وسحقهم سحقا وما زال يصيح عليهم ويقول يابنى الاعمام اليوم يبان فيه منازل الرسال حقا والملك قيس يقول يابنى عمى أسبقوا القادمين إلى باب الحصن سبقا عند ذلك عادوا إلى الحصن راجعين وعلى الدخول إليه معولين ولم يزالوا يفرقوا الأبطال من قناهم ويطير والرؤس من على أجسادهم حتى أدركوا باب الحصن بأعلامهم ومعهم حماتهم مازن وسبيع اليمن والفتى الغضبان إلى أن دخلوا إلى الحصن ولاح لهم وجه الأمان ودخلوا وغلقوا الأبواب وأمنوا على أنفسهم من الذهاب وطلعوا فوق الأسوار وقربهم القرار ووصل الملك شريط إلى باب الحصن ونزل عليه واجتمعت العرب كلهم حواليه فى عالم عظيم بعدد الرمل وما فيهم إلا من اشتكى مما لاقى من القتال وما قاسى من الأهوال قال الراوى فعند ذلك قال لهم شريط يابنى عمى ومن حيث حصر ناهم فى الحصن صار عليهم خطب جسيم وقد حصل لهم العذاب الاليم فعند ذلك تعاهدوا السودان أن يلقوا الحصن مما فيه من العربان ويأخذوهم أسارى فى الذل والهوان فقال لهم شريط فلا بد ما أنفذ إليهم رسول وأسمع من ملكهم ما يقول ثم أنه عاد برجل من خواص دولته فاقبل إليه من وقته وساعته ممتثلا لكلامه فقال له أمضى إلى هؤلاء الأقوام وقل لهم ابن عم الملك قد أرسلنى إليكم بجواب كلام وهو إنكم تسلموا أنفسكم إليه فيحملكم إلى ابن عمه الملك يكسوم ويعرضكم عليه ويتشفع لكم ويعفو عن دماكم وما بينتموه من الأجرام ويتضمن لكم كلما أتاكم وإن أبيتم فلا تظنوا الحصن يحميكم منه ولا حصار يمنعكم عنه لأنه

يأمر السودان تهدمه من تحت الأرض والبطاح ويأخذوا رؤسكم على أسنة الرماح بعد ما ينهب منكم الأرواح فمضى الرسول إلى ان وقف تحت البرج الذى للباب ونادى يا بنو عبس أنا أتيت اليكم رسول بخطاب لكم فيه غاية الصواب فاسمعوه واصغوا اليه وأعرفوه فعندها أمر الملك قيس بعض غلمانه أن ينزل ويفتح الباب ويحضروه إلى بين يديه فامتثلوا ما أمرهم به وفى عاجل الحال أحضروه إليه فلما أوقفوه قدامه سلم عليه وأدى الرسالة اليه فأراد الملك قيس أن يكلمه ويرد عليه الكلام وإذا بالغضبان قد نهض اليه وجرد الحسام فى وجهه وصاح فيه فانجذع وطار فؤاده من الفزع ونادى يا أخس كلاب اليمن ياردىء الاصل وحياة رأس أبى عنتر المالك رقوس البدو والحضر لولا انك أتيت رسولا لكنت تركت رأسك تحتك وجعلتك أول مقتول يا ويلك عد إلى صاحبك القرنان الذليل المهان وقل له ويلك ياجبان مثلنا نسلم نفوسنا وجميع الفرسان ذلت الينا والشجعان خافت من هيبتنا هيا سر اليه يا أخس الرجال وصرخ فيه فعاد الرسول وقد تغير لونه بما قاسى من المصائب ويقول وحق ذات الذوائب وما فى الافلاك من الكواكب لقد سلمت من هذا الأسود لهلكنى ويحل بى النوائب ولما وصل إلى شريط أعاد عليه مقال الغضبان وقال له الذى اعلمك به يا ملك الزمان أن القوم كلهم أبطال وهم مصممين على الضرب والطعان وفيهم يا ملك أسود شيطان ما هو مثل من تعرف من السودان وانه ثابت الجنان وهو كانه مثل اسمه الغضبان وقد وثب إلى لما سمع كلامى وصرخ فى وجهى فانزعجت عظامى وقال لى والله لولا انك رسول لجعلتك أول مقتول وتركتك على وجه الأرض مجدول حتى لا تعود ترجع فى الفضول وانني ما صدقت الوصول اليك قال الراوى فعند ذلك قال شريط هؤلاء احتقروانى وجهلوا أمرى وإذ دروا بى وإن لم أهلك شجعانهم وإلا ما بهابونى ثم أنه أمر الهطال الذى هو فارس العسكر أن يأخذ عشرين الف أو أكثر ويملابهم الطرقات حتى لا ينهزموا بنى عبس فى الليل ويعبروا الفاوات قال ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ونحن نصلى على نور الملاح أمر شريط العساكر بالركوب فعند ذلك ركبت وللحرب إعتدلت وترتبت وجعلوا السودان فى الأول وفى أيديهم الحراب والدرق ولهم صياح يأخذ الانسان منه الخوف وهم مع ذلك عراة الأجساد كانهم من قوم ثمود وعاد وصاحوا صيحة واحدة ارتجت منها الابدان ورجفوا وزحفت خلفهم العرب وهم بالرماح الطوال والسيوف الصقال والقوس والنبال هنالك ارتفعت الأصوات ونشرت الأعلام والرايات وقد طلع شريط على بعض الرابيات واشتبكت على رأسه الازدمارات والصناجق الغاليات ووقف ينظر ما يكون من أصحابه مع هؤلاء الاسد الضاريات ونظر الملك قيس إلى

الحصن وقد تزلزل من جميع الجهات من شدة ركض الخيول الصافنات وصياح أبطال اليمن والسودان عاليات فحار الملك قيس لما رأى ذلك وأيقن أنه هالك وبقي لا يدري ما يعمل وقد حار عقله وانذهل فعندها صاح الغضبان وقال للملك قيس يا ملك الزمان ما هذا الموقف مع هؤلاء الكلاب ويحك آمر لنا بفتح الباب وأنا أخرج وأريك العجب في هؤلاء الكلاب ويكون معي أخي غصوب في الفين من الفرسان الانجاب وأبقوا أنتم في الف فارس على الأسوار وعندكم القوس والنبال والاحجار وتحفظوا الباب والمكان من العرب والسودان وإننا لقينا الغلبة في القتال وكثره علينا العدد في المجال التجأنا إلى الاسوار واحمونا أنتم بالحجارة والنبال وتبذل المجهود في لقاء هؤلاء الأنذال والآن إذا قنا محصورين هلكنا وتقبت السودان والحصن وملكته فلما سمع الملك كلامه علم انه صواب وأمر بني عبس بفتح الباب فخرج الغضبان وخرج معه الفين فارس من الشجعان ونظروا السودان إلى سيوفهم المراهفة ورماحهم المثقفة وخيولهم العربية وخوذهم العادية والغضبان في أوائل الرجال وإلى جانبه أخوه غصوب ومازن أخو عنتر من خلفهم مثل الأسد الوثيب وفي يده رمح معتدل كعوب وإلى جانبه سبيع اليمن مثل الليث الغصوب وحملوا فارتجفت من حملتهم القلوب وتلقتهم السودان وهم عراة الأجساد بالحراب المواضي والسيوف الحداد ولما تقاربوا من بعضهم البعض ارتجت لحملتهم تلك الأرض فلما نظر الغضبان إلى ذلك الحال صمم تصميم الرجال وفعلوا جماعته مثل تلك الأعمال وضربت بهم في ذلك اليوم الأمثال وزادت المخاوف والاوجال وحمل مع الغضبان الفين بطل وعمل السيف بالابدان وحمى الشجاع البطل وحار الجبان وانذهل وقلعت الرماح النواظر والمقل ونثرت الجماجم نثر الحرمل وصارت بنو عبس تفعل كفعل الغضبان وتلقى الحراب من الهوى وتردها إلى صدور السودان فترميهم على الأرض وامتزجوا بهم غاية وامتزاج حتى بقى ضوء النهار مثل الليل الداج تقطعت المفاصل وفي دون ساعة من النهار فني من السودان الفين وخمسمائة إنسان وأسر منهم جماعة وأخذوا في جبال الذل والهوان وبعدوا عن الحصن إلى الفضاء وعمل فيهم الحسام بالعفاء وعاد الغضبان وقد أنصبغ من الدم جواده واشتفى في تلك الحملة من السودان فؤاده وعاد أيضا حمل وخرق صفوف السودان وأرى منهم الصارم اليمان وخرج منهم إلى عرب اليمن وانزل بهم الذل والجن وقلق منهم الجماجم كذلك غصوب مثل فعل الغضبان ومازن وسبيع اليمن أهلكوا الفرسان وفعلوا فعل الرجال الحسان وهلكوا العرب والسودان ونكسوا الشجعان في حومة الميدان وفرقة والأبطال وأبادوا الفرسان فارتفع النهار إلى العنان قال فبينما شريط واقف على رابية عالية ينظر إلى القتال وحوله جماعة من الابطال وإذا بفرقة من رجاله الأخيار قد

خرجت من تحت الغبار وهى طالبة الفرار وهم منهزمين إلى نحوه طالبين وعلية واردين وهم ينادون بالويل والثبور فقال لهم شريط ويلكم ما الذى دهاكم ومن بشر درماكم فأى شيء الذى جرى عليكم فقالوا يا ملك وراءنا الموت الأحمر إلا أنهم لم يتمو اذلك الكلام المنكر إلا والغضبان من خلفهم قد ظهر وأدركهم أدراك القضاء والقدر والزبد قد خرج من أشداقه والجريطير من مقل عينيه وهو يكبكب الناس بسيفه الابتر ويقلع منهم الاحداق برمحه الأسمر قال ولما نظر شريط إلى ذلك انذعر وقال ياويلكم دونكم وهذا الشيطان شيلوه على أسنة الرماح هذا والغضبان قد بلغ منهم أمله وقرب من حامل العلم وطعنه جندله وطعن الذى إلى جانبه عن جواده كركبه وثالث أمسكيه ورابع أدنى من المقابر مرتحله ثم أنه طلب الملك شريط وقاربه وضربه بالسيف يريد هلاكه وعطبه وكان على بعد منه فلم يملكه فوقعت الضربة منه على عنق جواده أملكه فوقع شريط وبقى على وجه الأرض انفرشت الأبطال من حوله ولا زال يدافع عن نفسه وقد خاف من هول تلك المعامع فلما أبصر أرباب دولته فعل الغضبان داروا به من كل جانب وطلبوه بالسيف والاشطان وقتلوا من تحته الحصان فالتفت إلى وراءه فلم يرى أحدا من رفقاه ولم يجد أحدا من أبطال بنى عبس فايقن بعدم النفس فعند ذلك صبر وهو راجل على الكفاح أكثر ما كان راكب وجعل يبرى بسيفه الرماح ويقبض الأرواح والقوم قد أيقنوا أنهم يصرعوه وبأسيافهم يقطعوه ويقولون أن أخذتم هذا الشيطان الأسود فزتم أنتم بالذكر الجميل إلى آخر الابد فبينماهم يقولون هذا المقال وقد نظروا ما فعل الغضبان من الأعمال وأيقنوا من أخذه ببلوغ الآمال وإذا بغبار قد طلع وظهر من تحته غصوب مثل الأسد الادرع وصرخ فى الفرسان وفرقهم عن أخيه فعندها ركب الغضبان جواده من خيل المعممة الجياد وركب أيضاً الملك شريط جنينا من جنائبه وصاح فى أبطاله وكتائبه فمالت كلها على غصوب وأخيه الغضبان ورماحها قد سدت عين الشمس وأرادوا أن ينزلوا بهم التعس والنكس فلم يكن للغضبان دأب إلا العودة إلى الحصن ثم رجع ورجعت جميع الفرسان وقد اطمأنت قلوب الناس على الغضبان ودخلوا الحصن فقابل الملك قيس وقبله بين عينيه وقال له لله درك ودر أبيك وبارك الرب القديم فيه وفيك ولما تكامل دخولهم إلى الحصن وهم مثل الأسود الضاربة وقد حصل النصر والأمانية ثم أنهم غلقوا باب الحصن وبطل عنهم الارتجاج وطلعوا يحرسوا أنفسهم على الأسوار والابراج وبعد ذلك أتوا إليهم الخدام بأدراج من الطعام فلما أكلوا

وا كتفوا واطلبوا المنام إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح ونصلى
أنا وأنتم على زين الملاح قال فعند ذلك نهض الغضبان من بين الفرسان ولبس درع تمام
وتقلد بحسام صمصام واعتقل برمحه المعتدل القوام وقال يامالك آمر لى بفتح الباب حتى
أننى أخرج إلى الطعان والضراب فأجابوا قوله وفتحوا له الباب فخرج وهو يجر رمحه
على التراب ولم يدع يخرج معه أحد من الأصحاب وكان ذلك من صبوبته وعنوان الشباب
ثم أنه حمل بطلب عساكر اليمن حتى ينزل بهم الذل والمحن فجال فيهم طولا وعرض
وملا من قتلاهم وهم على وجه الأرض حتى خافت منه الفرسان وهابت من فعاله الأقران وبعد
ذلك رجع إلى عساكر السودان وبذل بالويل والحرمان وأنزل بهم الذل والهوان وهو
قد بقى مثل شقيقة الأرجوان مما سال عليه من أدميه الفرسان وكان يوم يعد من الأيام
ماجرى مثله لابيه عنتر الذى هو أشجع الشجعان قال ولم يزل على ذلك الخطر حتى
وصل فى حملته إلى آخر العسكر ونظر إلى ذلك الملك شريط وهو واقف تحت العلم
الا كبر فخاف على نفسه لايفعل به كما فعل به بالأمس ويطعنه طعنة تكون عليه قاضية
ويسكنه الرمس فأمر خواصه أن يطبق عليه ففعلوا ذلك فزعق عليهم فولوا من بين يديه
وعادوا راجعين على أعقابهم ولم يجسر أحد أن يتبعه من شدة شجاعته وقوة جنانه قال
وكان خروجه من الحصن لما تضاحا النهار وكان عودته اليه ووصوله لما كان فى وقت
الأصفرار بما فعل تلك الفعلة ولم يدع أحداً يخرج معه إلا حتى يروى عنه فى
الأخبار ويتحدثوا به المحدثين فى الأسفار وكل هذا يجرى والملك قيس من فوق الحصن
ينظرون اليه وقد أعجبهم قتاله وضربه ونزاله وهو يهبر الملوك هبرا ويجزر الرجال حزراً
ويفرقهم سهلا ووعرا والفرسان تهج من ضربات حسامه حتى وصل إلى الحصن ثم
أنهم دخلوا حصن العقاب واغلقوا بعد ذلك الباب والغضبان مثل ليث الغاب وقد أشبع
القوم طعنا وضرابا هذا وقيس يقول من تشبه بأباه ماظظلم ولما صاروا من داخل الحصن
أغلقوا الباب وصعدوا على الابراج وأتوا بالطعام والشراب وصاروا يأكلون ويشربون
وعلى عساكر ملك الحبشة يتصايحون ويتضاحكون وكانوا قد نصبوا للملك قيس قبة عاليه
على باب الحصن فجلس هو والغضبان وعصوب ومازن ومجيد بن مالك ووجوه عشيرته
فأكلوا الطعام وقدم اليهم المدام ورتبوا الحرس وشربوا إلى الصباح وكان الغضبان قد غلب
عليه السكر من تناول الأقداح وشرب الراح واللعب والمزاح مع الملك قيس وأخوته إلى

الصباح فلما أضاء الفجر ولاح لبس درعه وقد استلب رمحه وتقلد بحسامه وقال افتحوا لنا الباب لأنى اشتقت إلى الطعان والضراب فاحتاج الملك قيس أن يفتح له الباب وقد سمع قوله فامتثله فخرج وهو مخمور كأنه الليث الكسور وحمل يطلب أعلام شريط وخيامه وقرانه فلما قاربوه طعن فارس أرماه وثانى أرداه وثالث أهواه ورابع بسيفه أرباه والخامس سقاه كاس فناه والسادس بالرمح أخرق أمعاه ومازال على ذلك الحوادث حتى قتل ثلاثين فارس وساروا كلهم قتلا نواكس فانكفوا عنه القوم حتى وصل إلى مضرب شريط وصرخ صرخة إقشعرت لها الأبدان وتغيرت منها الألوان فطلب شريط الهرب وماجت حوله العزب وتفرقوا من بين يديه وصار كل من لقاه أعدمه الحياة وما عاد من المضارب حتى أوقع بهم المصايب وقتل فى نهاره خمسين من الفرسان وعاد طالب الحصن وما تبعه إنسان وقد صعد إلى القبة التى للملك قيس فلما بقى عند الرجال تحيير من ذلك الفعال وقد تعجبت قيس وبنو عبس وقد اندهشت من فعاله وتحيرت من اعماله وقالوا ان أبوه عنتر مايفعل هذه الفعال ولا يجسر على هذا أحدا من الرجال هذا والملك قيس وقال والله يا بنى لقد خاطرت بنفسك فى هؤلاء الكلاب وعجلت فى الطعان والضراب ولم صبرت حتى كانت الفرسان تركب وهم بنو عمك وعشيرتك فقال يامولاى كنت اصبحت مخمورا وقد اشتهيت ان افك شكرى بقتل هؤلاء الرجال قال هذا ماجرى ههنا الغضبان وبنى عبس وعدنان وأما ماكان من شريط فانه من شدة غيظه قال لقومه والله ياأوغاد غير امجاد إن قاتل أحدا منكم أوجرد سيف لاضربن رقبته لانكم بئس الحماة والاجناد من له كبد ولافؤاد ولقدذلينم قوم حمايتهم ياويلكم الصلاة والسلام على زين الملاح أمر شريط بضرب قبة من الديباج الاسود وعلى رأسها درة جوهر صافية من فوقها رمانة من الذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر وعلى علم من الذهب الأحمر فنصبت مثل ماأمر وجلس فيها فلما نظر بنى عبس إلى ذلك العلم تعجبوا وقالوا عمرنا ما رأينا مثل هذا العلم عند ملك من ملوك وماهذا إلا ملك عظيم وسلطان جسيم قال فلما رآه قيس قال والله يابنى عمى قد اشتهيت ان يكون مثل هذا العلم على راسى فخر البنى عبس على ممر الزمان فلما سمع الغضبان ذلك الكلام قال له ياملك الزمان وحق البيت الحرام العتيق والركن الوثيق لآتيك به ولوكان بينى وبينه السد الاقصى وحوله عساكر بعدد الرمل والحصى لآخذنه لك غصبا فقال له قيس فان هذا أمر عظيم وفيه خطر جسيم وأنا أعلم

أن لو ما تأخذه وتأتيني به إلا بعد قتال ومقاساة أهوال وأنا والله يا ولدي ما صدقت أن أراك سالم من تلك الفعال لأنك خاطرت بنفسك على كل حال وليس المخاطر في كل وقت محمود وأما نحن فما تريد إلا سلامتك لأنها أفضل وأعظم من الف علم فقال الغضبان وحياة رأس أبي عنتر لابدلي من آتيك به على كل حال ثم أخذ بيده الكاس وشرب من الخمر حتى طابت نفسه وصبر حتى صارت الشمس في قبة الفلك ونظر الغضبان إلى المضارب والخيام من شدة الحر خامدة وكان الملك شريط في ذلك اليوم إلا قاعد يتفكر في فعال الغضبان حتى أخذه النوم ونام والغضبان ركب وغاص في الحديد وقال أفتحوا الباب ولا تردوا خطاب فتعلق به الملك قيس ومن معه من الأصحاب وقالوا له يا ابن العم لا تفعل وأبصر ما بين يديك وتمهل فقال وحياة أبي لا بد من الخروج إليهم في ساعة ففتحوا له الباب وخرج وأراد غصدوب أن يخرج معه فقال لا يا أخي وحق ذمة العرب أقم مكانك ولا تتبعني حتى ترا الخيل دارت بي وأشرفت على هلاكي وعطبي ثم ركب الحصان وجعل يخترق والمضارب والخيام والناس من شدة الحر عادت نيام إلى أن قارب خيام الملك شريط فتقدمت اليه العبيد وصاحت فيه وكان قد قرب إلى العلم وعندها أطبق عليه مثل البرق إذا برق وأخذه من باب القبة ولم اختشى من أحد من أعداء فلما صار العلم في يده أخذه الصياح من كل جانب وكان الملك شريط في ذلك الوقت نائم فلما سمع الصياح قام من نومه وصاح في عبيده وقال يا ويلكم ماوراكم ومن بشره دهاكم فاجابوه أنه قد هجم علينا فارس أسود أعبس وقصد باب القبة وأخذ العلم الذي لك على باب خيمتك فعند ذلك زمجر ودمدم ومن عظم ماجرى عليه بكى وندم ثم أنه ركب الجواد وصاح في عسكره والأجناد فركبت العساكر وهو ينادي في الرجال ويقول يا ويلكم دونكم وهذا الأسود الضلال والمجنون المحتال أنهوا جسده بالرماح الطوال هذا والغضبان قد حمل على العبيد وقد طرحهم على الصعيد ومازال يشر بالحسام حتى خرج من المضارب والخيام وأدركته الرجال بالعدد والزرد فعاد اليهم عودة الأسد وصار يطعنهم طعنا متدارك وكل من طعنه صار هالك وإذا ضربا يفته الرجال يصرخ في وجهها فتنفسح له في المجال وقد قام الحرب على ساق وقدم وجعل يغيبهم من الوجود إلى العدم أى غصوب فعال العرب فيه وطمعوا فيه فخرج من الباب وقد هز صارمه القرضاب ومازن تبعه كأنه البحر العباب وطلبوه أشد الطلاب وعلا عليهم الغبار ودام الطعان والضراب حتى رجعت عساكر اليمن الخيام وقد أسقوهم كاس الحمام قال وكان الملك قيس قد ركب وطلع وبني عبس وراه في

التبع فوجد الغضبان قد عاد من الميدان والعلم على عاتقه والغيظ كاد أن يخنقه وعيناه تلتهب بالشرار فصارت مثل جمر النار فمولت العساكر على النزول فصاح فيهم شريط فحملت وعلى القتال عولت ففعلت رجاله مثل ما فعل فخاب الرجاء والأمل وماج البر وتزلزل هناك بنى عبس حيث وصبرت وقاتلت وأبذلت المجهود وما قصرت ومازالوا فى حرب وصدام وتجريع الموت الزؤام حتى أقبلت حنادس الظلام وعادت الأعداء عنهم إلى المضارب والخيام ودخل بنى عبس والعلم فى جملة الأعلام فلما جاس الملك قيس فى القبة أمر باحضار الطعام وقام من بنى عبس جماعة للحرس وباتوا وهم فرحى بالنصر الغامر وأما الملك شريط فانه لما أخذ علمه فرجع إلى الخيام وبات تلك الليلة وقد انخرفت حرمته فدعى بأرباب دولته وقال يابنو عمى أما تنظروا إلى ما قد جرى علينا فى هذه الأيام ومن هذا الأسود الجحام فانه أباد رجالنا الكرام وقتل منا أبطال لم تسمح بمثلهم الايام وإن سمع الملك يكسوم عنا هذه الاحوال وإننا فى هذه الخلايق والامم صرنا معيرة ولاسيما أخذهم العلم الذى أخذه الاسود الجحام على باب المضرب فيبقى فى هذا الامر شهرة فى حقى وإخراق لحرمتى فقالوا له أيها الملك اركب غدا فى عسكرك وتكون أنت فى الاول حتى إذا رأوك بنى عمك باشرت القتال احتاجوا أن يقاتلوا بين يديك سائر الأبطال ويكشفوا عنا هذه الاحوال فلما سمع شريط هذا الخطاب علم أنه صواب حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أمر العساكر فركبت وهو فى أوائلها وحلف بذات الذوايب ماعاد حتى يملك الحصن بما فيه من الرجال ويقتل بنى عبس على كل حال وصاح فى العرب والحبشة فتبادرت اليه وأقبلت عليه تطلب القتال بين يديه وانتشرت الاعلام والرايات ودقت الكؤوس ونعرت البوقات ومد شريط عينيه فرأى علمه مركوز على باب قبة الملك قيس فزاد غيظه وغضبه وتقدم فى أوائل الناس إلى باب الحصن فعند ذلك قال الغضبان ياملك الزمان ما تصنع فقال أقاتلهم وأحاربهم وأنازلهم ثم غاص فى عدته وغرق فى لامته وقال أحب إلى أن تفتحوا الباب إلا وحياة أبى عنتر أرميت روحى من على هذا السور هذا والحبشة قد تقدمت إلى الاسوار فجعلت بنو عبس ترميهم بالاحجار والصخور الكبار هذا والملك قيس أمر بفتح الباب لاجل الغضبان وهو خايف عليه فزعانه فخرج وخرج معه أخوه مصروب وهو ينادى أنا البلاء المصبوب ومعه مازن وجيد بن مالك وتبعهم الف فارس من الفرسان من كل ليث ممارس وبقيت الالفين واقفة على الاسوار

قال ولما حمل الغضبان على السودان قدامهم بسنابك الحصان وبذل فيهم السيف اليمان حملت عليه الخيل مثل الغيث إذا هطل فالتقاهم الغضبان بضرب يقطع الأجل وكان قد جاءه فارس يقال له الماضي وكان أوحد زمانه وفارس عصره وأوانه فلما رآه الغضبان صاح فيه وطعنه فى صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره وزعق بعده على شريط وهو فى أوائل عسكره فأذهله وأبهره فما كان له إلا رد جواده وطلب الخيام وقد تراكضت الفرسان وراءه ولم يزل الغضبان يضرب فيهم حتى أرماهم إلى الخيام بعدما قتل منهم خمسين بطل وعاد بعد ذلك إلى السودان كأنه الجردان وتبعه أخوه غصوب كأنه الأسد الوثوب وجعلوا يضربونهم ضربا يهد وطعنا يقد حتى أختلط وخفيت مواضع الأقدام وعادوا إلى الحصن وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من عابس جماعة من الشجعان حتى أنهم ما هلكوا حتى أهلكوا خلق كثير من الأقران وقد وقعت هيبتهم فى قلوب العساكر ونزل شريط وهو خائف لا يدرى ماذا يصنع وهو مندهش من الفزع فما كان له إلا أنه كتب إلى الملك يكسوم ويقول له أما بعد فأنى وصلت إلى القوم الذى أنفذتنى اليهم وملكت سائر الطرقات وكنت أظن أنهم مثلنا ولم أعلم أنهم عفاريت وقد نزل منهم واحد قام بحر بنار أنزل البلاء علينا لولا أنى أهدى العسكر ما كان وقفت بين يديه ولا ساعة واحدة ثم سيره مع نجاب حتى وصل إلى يكسوم وحضر بين يديه وسلم الكتاب اليه فلما قرأه قامت عليه القيامة وقال أن هذا لشىء عجيب وحديث غريب وأمر ما سمع أحد بمثله ويكون عساكرى فى مثل هذا العدد ما فيهم من يدافع عبد أسود فما أتم كلامه حتى وثب اليه رجل من الحبشة يقال له الشامخ ويلقب بحسام الملك وكان فارس كرار وأسد مغوار وما بقى فارس إلا وقهره ولا بطل إلا وكسره فلما نظر الملك يكسوم إلى شجاعته وبراعته ولاه البلاد من عمان إلى أطراف اليمن فتقدم اليه وقال أيها الملك المسدد أنا أمضى إلى هذا الشيطان الأسود وآتيك به فى الأصفاد مقيد فقال له الملك ما لهذا الأمر غيرك ولا لهم إلا عزمك لكن لا تجعل كليتك إلا على أموالهم وتأسر لى جميع رجالهم ثم جهزه الملك للمسير فى عشرة آلاف فارس من تحرير كلهم أقيال وفرسان وأبطال وأمرهم له بالطاعة وساروا يجدون المسير ولله المشيئة والتدبير قال فهذا ما كان من هؤلاء وأما الغضبان فانه بقى كل يوم ينزل إلى عساكر شريط ويقتل منهم جماعة ثم يعود إلى الحصن سالم إلى أن كان يوم من ذات الأيام وهو جالس فى أعلى الحصن يشرب فى قصلة خمر فد نظره فرأى قطعة من الخيل ترعى بين العسكر فى بعض المروج إلا أنها خيل مسومة فقال لأخيه غصوب قم اركب بنا يا أخى حتى نأتى بهذا الخيل

إلى الحصن تتقوى بهم على القتال لأن خيلنا قد هلك كثرهم من النبال التى رشقتها علينا السودان فلما سمع مصوب من أخيه الغضبان هذا الكلام أخذ معه مائة فارس سجعان وخرجوا وحملوا كلهم حملة وطلبوا يمين الجيش حتى وصلوا إلى الخيل ولنغوها بالأسنة وساقها المائة فارس وعاد الغضبان ومصوب وقوف فى وجوه الرجال يردون الفرسان عن أصحابهم والصياح قد وقع عليهم فلم تسكن غير ساعة حتى أهلكوا منهم جماعة فبينما هم سائرين وإذا هم بغبار قد ثار وارتفع وما كانت إلا ساعة حتى ضرب الريح الغبار فتقطع وبان من تحته أعلام ورايات وخيل تدق بعضها ببعض وهى عشرة آلاف فارس يقدمها حسام الملك فوقعت البشارات وتعرت البوقات ففرح شريط بتلك المسرات فخرج إلى ملتقاه هو ومن معه من الشجعان وحدثه بما جرى عليه من الغضبان وقال له والساعة قبل وصولكم هجم علينا وساق حيولنا والمهارة وأنزل بنا الذل والخسارة فعند ذلك قسم حسام الملك أنه ما ينزل من على ظهر الحصان حتى أنه يقتل الغضبان ثم أنه ركض وراه حتى أنه يدركه ووراه فوجده قد وصل إلى باب الحصن وقد انقطع الطالب من وراه فناداه وقال ويلك يا أخس العبيد والسودان وكم هذه الوقاحة منك على الفرسان والله لاجرعنك غصص الموت ألوان ولاجعلنك ملق فى القيعان فلم يكلمه الغضبان ولا رد عليه جواب بل حمل عليه وأوس فى عرض المجال وجالا حتى ثار عليهما الغبار وأظلم فى أعينهما النهار فنظر الملك قيس من أعلى الحصن إلى حسام الملك فعلم أنه فارس جبار وبطل مغوار فخاف من سطوته وهاب من شجاعته فنادى فى بنى عبس وقال يا بنى عمى أخرجوا إلى معونة صاحبكم وابن حاميتكم لأنى خائف عليه من هذا الخصم الشديد والجبار العنيد فعند ذلك خرجت بنو عبس واصطفت عند باب الحصن ووقفت تنظر ما يتم بين الغضبان وبين حسام الملك هذا والفرسان تحت الغبار وقد عمل بينهم الصارم البتار وبهتت اليهم الأبصار وحارت الأفكار وحمى النهار ونظر الغضبان إلى ثبات خصمه فخاف أن ينحط قدره بين الفرسان فلوى رأس جواده وأراد أن يخدعه وطلب الهرب والفرار وخرج من تحت الغبار وصاحت عليه طوائف اليمن وعولوا بنى عبس على الحملة لتعينه على خصمه حسام الملك فجد حسام الملك فى طلبه وسار فى أشد الطلب وأقسم أن لا يعود حتى يقتله ويسقية كأس العطب فعند ذلك عاد الغضبان عليه وصرخ فيه فاذهله وضربه بالسيف على عاتقه فالتقاها حسام الملك بطارقته ودرقته فقطعهم السيف كل واحد شطرتين ونزل إلى شرائف صدره فوقع من على جواده يموج علقا بدمه فعند ذلك ارتفعت الصيحات من بنى عبس وكثرت

الصيحات وقلت من الطوائف اليمن الحركات هذا ولى النهار وصار وقت الاصفرار ودخلت بنو عبس الحصن وهم على غاية الاستظهار وما فيهم إلا من يهنى الغضبان بالسلامة وشكروه على حسن اهتمامه وعاد الشريط بالخيبة إلى الخيمة وقد زاد غيظه وغرامه وقال لقومه وحق ذات الذوائب لقد حار فكرى وضاق صدرى فى هذا الأسد الزنيم والوغد اللئيم هنالك دخل عليه رجل شيخ يقال له دويب وهو من دون أصحابه لبيب وقال له أيها الملك ما هذا إلا فارس شجاع وبطل صميدع وليس له إلا الحيلة وإلا نو بتنا معه طويلة فقال شريط أخبرنى ما نعمل فقد ضاق صدرى وقلت منى الحيل فقال الشيخ إذا كان غدا تظهر خيمتك الأرجوان وتضربها على نشر عال وتجعل لها على طريق الحصن مكان خال وتجعل على يمينها عشرة آلاف فارس من الأبطال وكذلك على الشمال وتجعل أمام الخيمة حفرة وتسقفها بشىء خفيف فهو من الحصن يرى القبة فيطمع فيها ويخرج ليأخذها فيقع فى الحفرة فتكون الرجال على حذر فيأتون إليه ويأخذوه أسير فى الحال من غير ضرب ولا قتال فقال لقد أصبت ثم أمر الرجال فى الحال فاحضروا له الخيمة من خير أمهال وهى من الأطلس الأحمر وتزهى ببياض اللؤلؤ مع حمرة العقيق والمرجان بزهيج مثل الكواكب الدرية فضربت فى الحال ورتب الرجال عن اليمين وعن الشمال فلما أصبح الصباح أراد الرجال أن ينزلوا للحرب والقتال فنظر الربيع إلى الغضبان وإذا هو ينظر لمعان الجواهر مع نور الشمس فحصل له الانذهال فقال يا بنى عمى أنى أرى من البعد شىء يلوح أبيض وأحمر وله لمعان يأخذ بالبصر فقالوا الجميع صدقت يا ربيع وكان للربيع عبد يقال له زريق وكان من خواصين الخيل ومن سلالين الخيل وكان ينظر الشىء البعيد ويحققه فقال الربيع بن زياد ويلك يا زريق أنظر هذا الشىء الذى نوره يأخذ البصر فنادى العبد وقال له يا مولاى هذه خيمة من الاطالس الاحمر مرصعة بالدر والجوهر واوتادها من أنياب الفيل وعلى رأسها بازمن الجوهر وحبالها من الابريسم الاخضر فقال الربيع بن زياد سبحان الله العظيم لو كانت هذه الخيمة لملك من الملوك كان أفتخر بها على كسرى وقيصر وملوك بنى الأصفر قال فعند ذلك قال الغضبان ما قولك فيمن يسقيك فيها المدام فقال الربيع هيهات أن يصل اليها إنسان ويبلغ منها الأمل لأن الملك شريط ما ضربها فى هذا المكان إلا من خوفه عليها وترك العساكر كلها حولها فقال الغضبان لا بد لى ما أتحكم فيها وأنتخب من العسكر ألف فارس والبسهم السلاح والزرد وساروا وهو فى أوائلهم كأنه البرج المشيد وخلفه أخوه مفضوت كأنه البلاء المصبوب وساروا على مهل حتى عبروا أعلى الكمنا فالتقوا الصياح بين يديه ومن

بخلفه ومن جانبه ودات الرجال من حواليه وطلعوا الكمناعليه وقد حالوا بينه وبين الخيمة وهو قد ترك الخيمة قصده وكان قد رتب لهم لها جماعة من العرب الشجعان فلما وصل اليها صاح في الرجال وقال دونكم والخيمة دعوني أنا ألقى عنكم الرجال فما تم كلامه حتى صار في الحفرة بجواده وآلة حربه وجلاده وارتفعت عليه الزعقات ودارت به الرجال بالمشرفيات الصقال فعند ذلك جلت فرسان بنو عبس من خوفها على الغضبان وكان شريط راكب فترجل من فرسه ومن حرقة فؤاده صاح في عساكره وأجناده فترجلت العرب والسودان وزحفت إلى أصحاب الغضبان ورشوقوهم بالحسام فنظر الملك قيس إلى ذلك فدق بيده على يد وقال هلك والله الغضبان ثم أنه عول على الخروج فرأى الناس في عدد يأجوج ومأجوج وقد احتاط بالحصن إحدى عشر ألف بطل وتعلبت بنو عبس بقتال الفرسان وركب باقي عسكر الملك يكسوم وقصدوا الحصن وكان جملة عساكرهم خمسين ألف عنان عرب وسودان هذا وغضوب يصتيح صيحات عنتر ويقاتل عن أخيه وقد اشتغل كل واحد منهم بما هو فيه وإذا بغضوب هو الآخر قد وقع في الحفرة فانطلقت عليه العساكر مثل البحار الزواخر وداروا بالحصان من كل جانب ومكان حتى أنهم قتلوه ووقع غضوب من عليه فأخدوه وأسيروقادوه ذليل حقير وقد قاتل الملك قيس ومن معه من فوق الأسوار حتى أشرفوا على البوار هذا الربيع فرحان بهلاك الغضبان وأخيه غضوب المنصان فقال لعمارة أخيه كيف رأيت من فعلي ومكري وكذلك أفعل بعنتر قبل موتي واوريه العبر فقال عمارة والله يا أخي كان هذا موضع هلاكه لا تناني هذا المكان محتاجين اليه فقال الربيع بعد ما رأيت بعيني مصرعه فلا أبالي بيكسوم ولا بمن معه ثم انهم قاتلوا من فوق الأسوار حتى اشتد الأمر وزادفزعهم وآيسوا بنو عبس من نفوسهم وقد أشرفوا على هلاكهم ووبالهم وما بقى لهم من الموت فكاك وعولوا أنهم يطلبوا من الملك شريط الأمان لأنهم آيسوا من غضوب والغضبان فبينما هم كذلك وإذا بغبرة قد طلعت وعجاجة قد ارتفعت وبان من تحتها ستة عشر ألف فارس من كل مدرع ولابس وقد أزعجت البر بصياحهم وهم ينادون يالعبس يالعدنان يالكلاب يالهوازن وفي أوائلهم عنتر بن شداد وملاعب الأسنة وعامر ابن الطفيل ودريد بن الصمة قال وكان عنتر بعد كسرة عسكر غاشم والحبشة كما ذكرنا ساروا مع عنتر كما وصفنا طالبين حصن العقاب فلما قاربوا حصن العقاب أرسل عنتر أخاه شيبوب ليأتيه الاخبار فسار شيبوب فلقى فارسا في الطريق من عرب اليمن فسأله شيبوب عن بني عبس فقال له أنهم تحصنوا في حصن العقاب وقد نزل عليهم العذاب وفيهم غلام أسود قد

ترك الجماجم تعالا للدواب را أننا قد دبرنا عليه حيلة عجيبة القيناه فيها العذاب ومعه فارس آخر قد عول على الهلاك فلما سمع شيبوب من الفارس ذلك الكلام عاد إلى اخيه عنتر مثل البرق الخاطف وأخبره بالخبر فعندها سار عنتر والفرسان خلفه وشيبوب بعدى كأنه ذكر النعام حتى أشرفوا عليهم وهم فى أشد قتال وكان المساء قد اقترب وقد انهدم من الحصن برجين ومن حين أسر المعذبين وغصوب وقعوا ابنى عبس فى البلاء والكروب وفى تلك الساعة أشرف عليهم عنتر بن شداد ومن معه من الرجال الأجواد (قال الراوى) فلما أبصرت عساكر شريط إلى غبارهم ركبوا وعادوا جميعهم حواليه وهم خمسون الف عنان من كل ليث وبطل يضرب بهما المثل وكان أشرف عنتر كما ذكرنا وصحبته ستة عشر آلاف بطل رفقاه وأصحابه وحلفاه فلما نظر إلى ذلك الحال المنكر حل لوقته وما كذب خبر وقد تبعه فرسان العرب وأقبلت كأنها الصيب أو الغيث إذا انسكب وفى أوائلهم دريد بن الصمة وخفاف بن ندبة والعباس ابن مرداس وعامر بن الطفيل وملاعب الأسنة وعروة بن الورد وميسرة بن عنتر الفارس الندب وحمات سائر الطوايف القادمة ولا أقبلت وفى مقدمتها عنتر وقد زموا أنفسهم على الهوان والخطر وذلك الأمر المنكر وقد أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة وصار لهم ضجة ورفه هناك هدرت الأصوات وعلت ضجات ودامت النكبات وعثرت الخيل برؤوس السادات وعملت السيوف المشرفيات وبان الموت أشارت ولم يقوا يسمع الخاطبات مع وقع الصوارم القاطعات على البيض والدروع السابغات واعبت الخيل برؤوس السادات وأصحاب المقامات هذا وطاحون الحرب دايرة والأرواح حائرة فسبحان من له الحكم فى الدنيا والآخرة وقد اشتدت البؤس وكان يوم عبوس كما قيل فى حقه هذه الأبيات .

لقد عظم الخطب يوم الحرب بطعن السيوف وضرب الأسل
فهـــذا طريح وهـــذا جريح وهـــذا ذبيح قريب الأجل
وهـــذا يكر وهـــذا يفر وهـــذا يقمع عليه الخبل
وهذا خيول وهـــذا يجول وهـــذا مقتول بطعن الأسل
وهـــذا تراه بـــلا ناصراه وقد عمل السيف أوفى عمـــل
وهـــذا هروب وهذا طلوب وذا بالكعوب يزيغ المقـــل

قال الراوى ولم يزالوا فى عراك وصدام حتى أقبل الظلام ومنعهم عن ضرب الحسام وقد

افترقوا عن بعضهم البعض ونزلوا فى ساحة الأرض ونزل عنتر وأمر القبايل ومن معهم حول الحصن فخرج اليه الملك قيس وسلم عليه وعلى ساير الاصحاب وأخبرهم عنتر بما جرى لهم فى أرض الشربة والعلم السعدى من القتال وكيف التقى القبائل بصدره وبددهم وردهم عن الحريم والأموال فشكره قيس على تلك الفعال واثنى عليه وعلى جميع من معه من الرجال وباتوا على ذلك الحال ولكن الأمير عنتر قد بات والنار فى فؤاده من أجل اسر أولاده وقال والله يابنو عمى لو كنا جئنا من أول النهار لكنا بلغنا منهم ما نختار وكنت قضيت جميع الاشغال من هؤلاء الاندل واتفقوا على هذا المثال هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من شريط فانه لما افترقوا من القتال وعادوا إلى مضاربهم والاطلال فوجد قد قتل من عساكره عشرة آلاف والباقى شرفوا على التلاف غير أنه فرح باسر غصوب واخوه وقال لقومه مادام هؤلاء الاثنين معنا لانبالى لو قتل منا كل عزيز غالى واما بنو عبس فانهم عند منتصف الليل سمعوا أعداءهم فى ضجة واصوات زايدة والأرض من ركض خيلهم تزلزلت فانفذ عنتر من يكشف له الخبر فغابوا ساعة وعادوا وقالوا له يامولانا عساكر اليمن جافلة وتدق بعضها بعض فقيل قيس لاشك أنه قد أتاهم خبر ميشوم من ديارهم فقال عنتر ماقولك فيمن يلحقهم فى ظلام الليل وينزل بهم الويل فقال له ياأبا الفوارس أخاف أن تكون حيلة منهم حتى إذا طمعنا فيهم أبذلوا بهم الويل فقال له ذلك قام عنتر وقلبه كاد ينفطر على أولاده وفى الصباح ركبت العساكر وطلبوا خيام الأعداء فوجدوها خالية فتعجب بنو عبس كل العجب ووقع بهم الفرح والطرب وقد نهبوا جميع ماتبقى من الخيام هذا وقيس يقول ياليت شعرى ما الذى جرى عليهم حتى رحلوا ذلك الارتحال وأما عنتر ضاق صدره من أجل أولاده وصار مايدرى مايفعل فقال له الملك قيس ياأبو الفوارس لاتضيق صدرك ولاتشغل فكرك فها نحن نسير معك وعلى خلاصهم تساعدك حتى تبلغ مقاصدك فقال عنتر ياملك الزمان نهلك حريمنا ونتركهم مأكلة العربان ونبقى نحن مثلا بين الأمثال طوال الزمان ولاسيما ومعنا تلك السادات الذين أتعبناهم غاية التعب لانهم تركوا حريمهم بلاحامى ولا مجير ولامساعد ولا نصير وما فى الامر الامسيرى إلى بلاد اليمن وأودع أهلها نهبا للسيوف على طول الزمن فقال قيس أفعل مابدا لك نجح الله أعمالك فبعد ذلك اختار عنتر من قومه عشرين فارس من حماة قبائل بنى عبس الاشاوس مثل عروة بن الورد كريم الأب والجد وميسرة وأخوه مازن الليوث

القشاعم وتمام العشرين فارس ما عدا عروة ورجاله فقال مجيد يا أبا الفوارس أنا والله ما أسير إلا معك فان قلبي ما يريد مفارقتك ولا أزال في غم طول غيبتك فشكره عنتر وأخذه أميرا على الخيل التي معه وقال للملك قيس سر الآن أنت وقومك وكونوا عند الحريم وأحترز من كل عدو وغريم وأنا أسير بهؤلاء وأبلغ بهم الامل وألقى جميع الحلل ثم أقبل على أمراء القبائل وشكرهم على فعالهم وأصاهم لمساعدة بني عبس وبات تلك الليلة وفي الصباح ودعوا بعضهما بعض وسارت كل جماعة طالبين ناحية من الأرض وسار عنتر وهو يطلب البراري والقفار وهو في مائة وعشرين فارس من كل مدزع ولابس وساروا يقطعون الأرض طولها والعرض ويقتفون أثر شريط هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من شريط الحبشي فانه كان له سبب عجيب نحب أن نذكره على الترتيب بعد ما نصلي على النبي الحبيب وذلك أنه كان بقرب مدينة عمان جزيرة يقال لها جزيرة العود القماري ونسمى بقيمر وكان لها ملك جبار يقال له طود الاطواد وله أم يقال لها سهم الغزال وكانت ساحرة ما كرة وكانت أمها جنيه وأبوها إنسي فخرجت آفة من الافات وبلية من البليات تقطع البر والبحر وتأخذ أموال الناس سرا وجهرا وكان أبنها طود الاطواد خرج مثلها في الشجاعة والقوة كبير الجثة خلقته خلاف خلقة البني أدميين لانه كان طول الصواري ويداه طول المداري وأصابعه طول شبر راحته أوسع من فتر بمخاليب محدوده مثل مخاليب النسور الكواسر وهي مثل الحديد وكان إذا خرج إلى الصيد والقنص كان يدخل على السباع بغير سلاح ويقبضها بيديه وينحرها بمخالبيه ثم يشرب دمها حتى يرتوى وكان له عسكر عظيم لا يعد ولا يحصى وكانت رجاله في البر والبحر تقطع الطرقات وجميع الفلوات وتخاف منه جميع أهل الجزائر وتحمل اليه الهدايا جميع العساكر ويخافون أمره ولا يعصون نهيه خوفا من سطوته وكثرة مكره وكان الملك يكسوم تحت طاعته وهو يحمل اليه الغفارة خوفا منه ورعاية لأمة ولم يزل كذلك حتى قوي وأطاعته أهل تلك المعاقل والبلدان وحكمه نفذ في الحبشة والسودان فتكبر على طود الاطواد ومنع عنه الخراج والعداد فبلغ ذلك طود الاطواد فصعب عليه وكبر لديه وقام وقعد في أمر أمه مقل عينيه وقال لامه سهم الغزال ويلك يا أماه يكسوم قد قطع عني ما يحمل في كل عام لما كثرت عساكره وظن أنها تنفعه فلما سمعت أمه ذلك المقال وفهمت ذلك السؤال قالت له يا ولدي أنفذ اليه مراكب في البحر وعساكر في البر حتى يقطعون آثاره ويخربون دياره قال الراوي فلما سمع طود الاطواد من أمه ذلك الكلام زادت به الهموم والأغمار وأجاب كلامها ولا عصى أمرها وفي عشرة أيام جهز شغله وشغل رجاله وأختار منهم خمسين الف مقاتل

كلهم بالسيوف الفواصل والرماح الذوابل وأنفذهم لقتال يكسوم وينزلوا به الهموم والغموم وأمر عليهم رجل يقال له حجر بن عمرو وكان ممن يسمع له الأمر وكان فارس شديد البأس (قال الراوى) وكان لطورد الاطوادفى البحر أربعمائة مركب فسير فيها خمسين الف مقاتل مالهم فى الحروب مماثل وأمر عليهم رجلا يقال له خزاعة المجنون وكان مثل اسمه فى الحروب مجنون وأمره أن يهلك كل من فى عمان من الرجال والنسوان فسار إلى أن أشرف البلاد واحتاطها من هنا وهناك فلما نظر أهل البلد إلى المراكب قد أقبلت على المينا أغلقوا الأبواب وغفروا عليها الرجال بالسيوف والحراب وأنفذوا خبرها إلى الملك يكسوم فحصل له من ذلك الغموم ونزلت الرجال من المراكب إلى الساحل وهم خمسين الف مقاتل بالسيوف الفواصل وهم لابسين الزرد ومعهم الليوت والعمد والحراب والنبال والخشوت الطوال وقى أوائلها خزاعة المجنون كأنه الليث المغبون وقد نقسم العساكر قسمين فسار القسم الواحد يقاتل فى باب البر والقسم الثانى يقاتل فى باب البحر وزحفوا للقتال وأشهروا السيوف الصقال وطلعوا أهل عمان فوق الاسوار وأخذهم الخوف والانبهار وحاموا عن بلدهم الليل والنهار لأن جمعهم كان قليل والأعداء كثيرون لانناذكر ما كان من عساكر يكسوم مع شربط قرب حصن العقاب تقاتل فى بنى عبس الانجاب قال ونرجع إلى الكلام الأول بعد الصلاة والسلام على النبى المفضل لما وصل الرسول إلى يكسوم وقص عليه القصة وأخبره بذلك الايراد ومجىء عساكر طورد الاطواد فعظم عليه وكبر لديه وخاف على الحريم والنسوان والاولاد والصبيان فجمع ما كان عنده فى مرج العضة من العساكر فكانوا عشرة آلاف مقاتل فلما عرضوهم عليه قال هؤلاء ما نبلغ بهم غرض ولا تشفى لنا مرض وما فى الامر إلا أن أرسل إلى ابن عمى شربط أن يترك بنى عبس وباقى العساكر الذين معه ثم كتب كتب وأرسله إلى شربط بواسطة نجاب فلما وصل اليه النجاب أعطاه الكتاب وأخبره بالاسباب فعند ذلك أمر النقباء أن يعلموا كل العسكر بذلك الخبر ويسيروا من غير ضجة ولا عسكر ويرحلوا فى الليل كما قلنا وتركوا خيامهم كما وصفنا وسار وراءهم عنتر كما قدمنا وهذا أوجب تفريقهم ونرجع إلى تمام الكلام ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الذى ظللت عليه الغمام بعد ما ارسل يكسوم إلى ابن عمه يحثه إلى المجىء قد حصل لهم مع عساكر طورد الاطواد الهم والنكد وقد هدموا الاعداء جانب من البلد وقد انهزمت الرجال وتفرقت الابطال وأشرفوا جميعهم على الوبال قال

الراوى) فلما نظر الملك يكسوم إلى هذه الحال أمر رجاله أن يفتحوا الأبواب ويخرجوا إلى قتال الأعداء ويصبروا على الأذى فعند ذلك خرج الملك يكسوم قدامهم ولما بقوا فى الفضاء أنطبقوا على أعدائهم فعند ذلك حملت عساكر خزاعة المجنون وانطبقوا على بعضهم أجمعون وخزاعة فى أوائل قومه كأنه الأسد الكاسر وأنطبقت العساكر على العساكر وقد عمل الحسام الباتر وقل الكلام وكثر الزحام وهشمت العظام وأصطدمت الخصوم وبان السر المكتوم ولمعت الأسنة كأنها النجوم وخيم الغبار حتى حكى الغيوم وتلهبت نار السموم وما زالوا على ذلك الاخطار حتى رحل النهار وقد انفصلوا عن ضرب البتار ورجع الملك يكسوم إلى البلد وهو فى الهم والنكد فدخلت جميع الرجال وطلعوا على الأسوار وصاروا يرمون الاعداء بالاحجار والصخور الكبار ونزل خزاعة بعساكره وقد زاد سروره وأفراحه وأحتاطوا بالبلد وقد أخذهم على أعدائهم الغيظ والحرد فعند ذلك قدم خزاعه من خواص دولته والأصحاب عشرة وضرب منهم الرقاب وقال الباقى يا ويلكم يا كلاب أنتم فى هذه الامم وذلك العدد ومافيكم قوة تمنعوا الملك يكسوم من دخول البلد قال فلما رأوا افعاله وسمعوا مقاله قالوا منعنا عن هلاكهم إلا لكون أننا رجاله وهم خياله فقاتلونا ونحن أهملنا أمرهم فوصل الينا شرهم وفى غداة غد نريك ما نفعل فى أعدائنا وما نعمل ثم انهم باتوا يتشاورون إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بكريم بنوره ولاح وأنا وأنتم نصلى على زين الملاح فعند ذلك ركبوا الجرد القداح وتحضروا للحرب والكفاح وخزاعة فى أوائل أصحابه كأنه من بعض العمار وساروا يطلبون البلد لاجل الحصار فقاتل الملك يكسوم وأصحابه من فوق الاسوار وحتى أشرفوا على الهلاك والبوار فبينما هم فى ذلك الاخطار وإذاهم بغبار قد ثار وسد البرارى والقفار وعلا حتى حجب ضوء النهار ثم انكشف بعد ذلك وبان عن عسكر جرار وقد سد جميع الاقطار وظهرت الأعلام والرايات وأشرقت نجوم السمهريات وكانت هذه العساكر عسكر طود الاطواد مع طود لاطود وقد أتى فى البركاذكر عند ذلك التقت الجيوش بالجيوش واجتمع حجر بأخيه خزاعة من ذلك الوقت والساعة وقال له والله يا أخى ما هذا الأمر صعب من أمر ذلك الكلب ولكن خذ أنت أصحابك وعودوا إلى المراكب وشد عليهم جميع المذاهب وقاتلهم من جانب البر وأنا أقاتلهم من جانب البحر فاستصوب رأى أخيه وأجابه على ما يشتهيه وأما خزاعة ورجاله قد نزلوا فى المراكب وقد احتاطوا بالبلد من كل جانب وقاتلوا أهل البلد من البحر والبر وقد عظم عليهم الامر وكثر الشر وكان قد أتى مع خزاعة سلالم يستعملها وقت الحاجة

اليها فانفذها إلى أخيه فنصبها على الاسوار وقد بدلت عليها الرجال وأرادوا أن يهجموا على البلد وينهبوا الأموال (قال الراوى) لهذا المقال بعد الصلاة والسلام على باهى الجمال ولما أن رأى الملك يكسوم إلى ذلك الحال أيقن بهلاك الرجال وسبى العيال وأيقن بسبى نسائه وشماتة أعدائه والناس قد أيقنوا بسبى البلد وقل منهم الصبر والجلد وإذا بغبار شريط قد أشرقت وعساكره قد ظهرت وهو مقهور ومغموم وقلبه على ابن الملك يكسوم وكان كاقدمنا معه أولاد عنتر أسارى وهم فى القيود أسارى قال فلما رأتهم عساكر طود الأطواد فتأخروا عن البلد وتاهبوا لقتالهم بالعدد وقد نادوا على بعضهم دونكم وهذا العدو الذى ورد ولا تتركوهم ينجوا منهم أحد قال فعندها تباخت الشجعان وهمهمت الفرسان وعلا الصياح إلى العنان وحمل شريط فى عرب السودان وقد تصادمت الخيل تحت الغبار وقد قصرت الأعمار وعمل الصارم البتار ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والسؤال لم يقبل حتى اقبل الليل السدل وولى النهار وارتحل وكانت الكسرة فى هذا اليوم على عساكر شريط وقتل منهم أوفى من عشرين الف فارس ودخلوا الباقى إلى البلد وماصدقوا بالخلاص من فم الأسد قال وكان الملك يكسوم قد قاتل الذى فى المراكب طول النهار من فوق الأسوار فلما أقبل الليل بالأنسدال أنفصلت الطوائف عن القتال وأجتمع الملك يكسوم بابن عمه وأصحابه ومن تلوذ من أحبابه وقد نظر غصوب والغضبان أولاد عنتر وهم فى شدة الكروب فقال ماهم الأسارى الذين هم فى شدائدهم حيارى فقال له شريط هذا الاسود الذى طلبته منى فهو والله الذى أباعساكرى وفوق دساكرى فقال له يكسوم وكيف قدرت عليه وعلى أسره فاخبرنى بالحديث الذى جرى على جليته والحيلة الذى دبرت عليه وأخذته بها فتعجب الملك يكسوم من ذلك الامر المعلوم وقال وحق ذات الذوائب والأفلاك والكواكب لو أنه يقاتل معى هؤلاء الأعداء ويفرق جمعهم ويشتت شملهم لكنت أعطيه من المال مالا يقدر عليه أحد ولا عطيه من الدنانير والجواهر شيء يدهش النواظر ويحير الخواطر فقال شريط والله لو طاب قلبه علينا لك لقى هذه العساكر ولو كانوا عدد المطر فقال الملك يكسوم ولا بد لنا ما أدعهم معنا يقاتلوا ولكن حتى يستأنسوا بنا وتميل قلوبهم الينا فان فعلوا ما أمرتهم به وإلا قتلتهم فى ثار ولدى الذى قتلوه فى بنى عبس ثم أمرهم أن يحملوهم إلى بعض الحجورة وامر الوكلاء بالاحسان عليهم فهذا ما كان من هؤلاء وماجرى لهم من الايراد وأما ما كان من حجر مقدم العساكر طواد فانه عاد إلى خيامه وأنفذ إلى أخيه خزاعة المجنون وأمره

أن يطلع من المراكب ويترك فيها عشرين الف محارب ثم تسلم الخيل الذين طلعوا من المراكب وقال لأخيه خزاعه اعلم يا أخي أن القتال في غداة غد عندنا كلـه قال لهذا الايضاح صلوا على سيد محمد صفوة الملك الفتاح فلما أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره اولاح وصار ينخى أبطاله وقد رآهم تحت النقصان يخاف أن تؤخذ منهم الأوطان فبينما هم على ذلك الشان وهم في أشد ما يكون من الجولان والقتال والجلاد وإذا هم بغبار عنتر بن شداد وقد أشرف ومعه رجاله الأجواد والفرسان والأمجاد وهم بالرماح المداد والسيوف الحداد قال فلما رأى خزاعة المجنون إلى ذلك الشأن قال لاصحابه لا بد أن يكونوا هؤلاء من بعض العربان وما يخفى أنهم من أبطال الميدان وما أتوا إلا يطلبوا منا اقطاع وديوان ما علموا أننا أشرفنا على أخذ مدينة عمان ثم إنه أرسل من خواص أصحابه فارسا قوي الجنان فصيح اللسان وقال سر إلى هؤلاء القادمين وائتني بأخبارهم وانظر إن كانوا يطلبوا المعاش أو آمرهم أن يطئوا بطاطى ويأتوا إلى خدمتي فقال السمع والطاعة ثم إنه سار طالب عنتر ومن معه من الجماعة (قال الراوي) وكان السبب في مجيء عنتر إلى هذا المكان إنه لما سار شريط وأخذ معه أولاده وودع عنتر إلى الملك قيس ومن معه من الفرسان وسار خلف أولاده ليخلصهم من الأسر والهوان اقتفى أثر شريط حتى وصل إلى عمان إلا أنه لما رأى الحروب هنالك قائمة على ذلك الوصف والشأن فوقف وهو حائر زائد الاندهال لا يعلم من هم غرماء من هؤلاء الانذال الذين معهم أولاده الاشبال وقد تعجبت من هذه كثرة العساكر وجمع ذلك الدساكر فقال لعروة بن الورد يا أبا الابيض ما هؤلاء الخلائق كثير وجميع غز ما يعلم عددهم الا اللطيف الخبير وإن كانوا أولادي مع هؤلاء الخلائق ما نقدر على خلاصهم إلا بعد طعن يفلق العلائق وضرب يقد العواتق قال فهو كذلك وإذا بالرسول قد وصل اليه وسلم اليه ونادى يا فتيان العرب وأصحاب الحسب والنسب من أي الناس تكونوا فان الملك قد أرسلني اليكم ليعلم من أنتم ومن تكونوا من العربان وهو يتخبركم عن أحوالكم تريدون حتى أتيتم إلى هذا المكان فان كنتم ترون المعاش والإحسان فاقصدوا إلى هذا الملك العظيم الشأن خزاعة سيد العربان وبينوا اشجاعتكم بين يديه حتى إذا عاد إلى صاحبة ملك الأرض والبلاد الذي هو طود الاطواد يحدثه بفعالكم ويبلغه أعمالكم ويصف له على قدر ما يرى من قتالكم وحربكم في أعدائه ونزالكم قال فلما سمع عنتر كلامه قال له ومن هو طود الاطواد يا ابن اللئام الأوغاد اعلم أننا نحن فرسان الجلاد وليوث الحرب والطراد وأنا عنتر بن شداد ولنا عندنا ملك يكسوم أساوى وقد جئنا خلفهم إلى هذه الأرض والبلاد لنخلصهم من القيود والاصفاد

قال فلما سمع الرسول من عنتر ذلك المقال عاد إلى خزاعة وأعلمه بذلك فى الحال وما سمع من عنتر البطل الرئبال فتعجب من كلام عنتر غاية العجب وقال ويلك ما أظن فى الدنيا أجهل من هؤلاء العربان ما معهم عساكر حتى يخلصوا اسارهم من هذا البلاء الكبير ولكن نحن نرحمهم ونخلص لهم أسراهم ونمن عليهم بإطلاقهم إذ نحن فتحنا البلد وربحنا الشكر من كل أحد ثم أنه قال الرسول عد اليهم وقل لهم يطأون بساطى وعدهم عنى بكل جميل فعندها عاد الرسول اليهم ونادى عندما وشل لهم يا فرسان العرب أعلموا أن الملك خزاعة نظر إلى وقتكم فوقعت فى قلبه رحمتكم وهو يقول لكم سيروا اليه وطؤا بساطه وكلوا من طعامه وقاتلوا بين يديه إلى أن يفتح البلد فهو يمن عليكم بإطلاق اسراكم ويجازى المقدم عليكم على حسن فعاله ويكافئه بكل خير على أعماله وأن اردتم المقام فى هذه البلاد فهى تكون لكم من دون العباد بشرط تكونوا من تحت يده طوا دالا طوادملك جميع البلاد فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام، ولم يرد عليه جواب ولا خطاب بل طعنه فى صدره لطلع السنان يلمع ظهره فـال عن الجواد فى تلك الآكام وفى الحال شرب كاس الحمام فلما رأى خزاعة إلى ذلك الحال كاد أن يغشى عليه وقد اسودت الدنيا فى عينيه وعميت من شدة الغيظ مقلتيه وقام على قدميه وجرد الحسام من شدة ما جرى عليه فتتافرت العساكر اليه فجرد منهم مائتين فارس همام وقال لهم ائتونى بهؤلاء اللئام فى هذه الساعة حتى أضرب منهم الرقاب وأرمى لحومهم للكلاب لاجل ما فعلوا بصاحب هذا المصاب فقالوا له سمعا وطاعة ثم أنهم تحاوروا نحو عنتر وهم على الخيول العتاق وقد جردوا السيوف الرقاق ورجع خزاعة إلى قتال أهل البلد وقد زاد به الغيظ والحرد وكان قد أستحقر بعنتر ومن معه وما التفت اليهم ولا عتنى بهم بل أنفذ هؤلاء الفرسان اليهم قال ولما نظر عنتر إلى هذا الامر والشان صبر عليهم وأمهلهم إلى أن قاربوه وحمل عليهم هو ومازن أخوه وولده مسيرة وعروه بن الورد وسقوهم من ضرب الدهر أقداح هذا وقد عمل عروة بن الورد عمل الفارس الجحجاح وامتلال الابدان بالجراح وطارت الرؤس على الروابى والبطاح وكان عنتر إن طعن هدوإن ضرب قد وان زعق أرعب وأرعد قال ومازال القتال يعمل ساعة من النهار إلى أن قتل منهم مائة وعشرين فارس كرار ووقع على الباقى الخبل والدمار فتفرقوا ونفروا فى تلك القفار ولم يزالوا فى هزيمتهم إلى أن وصلوا إلى عند خزاعة وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم خزاعة ما حالكم وما الذى جرى عليكم وما لكم فقالوا له اعلم أيها الملك وراءنا الويل والحرب وأمر يزث إلى الهلاك والعطب لانك قد انفذتنا إليه

هؤلاء القوم الذين ما كأنهم من الانام لأنا لما سرنا إليهم انفرد لنا منهم أربعة من الفرسان. فاهلكوا مائة فارس من الأبطال القناعس وعدنا ونحن على هذا الحال كما ترى لا نسمع ولا نرى فلما سمع خزاعة منهم ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وتحير فى سره وتفكر فى أمره والتفت إلى رجل من رجاله يقال له العطبول وكان عظيم العرض والطول وهو فحل وقال له خذ معك الف فارس وامض إلى هؤلاء الشياطين ولا تعودوا وحتى تهلكهم أجمعين إلا أن استسلموا اليك فتأتيني بهم مصفدين لأنى أنا ما أقدر أنفس القتال عن هؤلاء الأنذال الذين فى البلد حتى تهلكها وتسبى فيها من النسوان وتقتل الاطفال والفرسان فقال العطبول يا مولاى ففى كم يكونوا هؤلاء الذين أنفذتنى اليهم فى الف فارس فقال له اعلم لابد أنهم يكونوا فى مائة فارس أو يزيدون عن ذلك المقدار إلا أنهم لا يخفى فرسان الحرب وليوث الطعن والضرب فعند ذلك قال له العطبول وكيف تزول بنى قطحان وتبقى الف فارس إلى مائة من جمعة العربان وأنا لوا لامتثال أمرك لما سرت إلى هذا الشأن ثم أنه سار وهو يقول لو كان فيهم طود الأطواد وهو فى عدده والمدد لما كان سيرنى فى هذا العدد من أبطال العسكر وقال يكونوا معى خدمة إلى التى هؤلاء القادمين وأوريهم البلاء المبين. ثم أنه طلب عنتر هو وأصحابه ومازال إلى أن قاربهم ونادى ويلكم يا أنذال العرب وأخس من ضرب البيد وقد وطئتم أرض بلادنا وقتلتم رجالنا أبشروا بعدم النفوس وحمل عليهم فى خمسة عشر فارس من بنى عبس القناعس وزعق عليهم فلحقهم الخبل وطعن فى الأحداق والمقل ونثر رؤسهم عن أبدانهم نثر الحرمل وزعق على الخيل ردها على أعقابها وطعن الفرسان فى صدورها وأجنابها وأطال بلاها وعذابها ولم يزل حتى أدرك العطبول وهو على الفرسان يجول وقد صاح فيه عنتر صيحة الأسد القسور فلما سمع صيحته انخرع وانجزع وداخله الخوف والفزع فضربه عند دهشته فوقع السيف فهوى إلى نصف قامته فوقع من على الجواد وقد حل به البلاء والانكباد هذا وعنتر قد غاص فى الخيل وانزل بركابها الذل والويل واجرى دمها مثل السيل واظهرت بنو عبس طعن الرماح وعاينت ملك الموت على قبض الأروح بضرب السيوف وطعن الرماح هذا وعنتر يضرب فى القوم ضربات متشددات حتى أورانهم الهلاك وقد اصطلى عروة بن الورد نار المعركة وما ترك فارس إلا وهلكه ودارت الدوائر وعمل السيف الباتر وما زالوا كذلك حتى قتل من الألف فارس مائة وخمسين وعادوا الباقين هاربين مكسورين لا يصدقون بالنجاة وكل واحد يلذغ

جوادهو يلتفت إلى ورائه إلى أن وصلوا إلى صاحبهم خزاعة المجنون وهم يضجون ويبكون فلما رآهم على تلك الحالة خفق فؤاده وتفتت اكباده من شدة الغيظ والبلاء فقال ياويلكم مابالكم وما الذى جرى عليكم ونالكم وأين الاسارى الذين أتت معكم فقال واحد منهم أدركنا والاهلكنا فقد قتل العطبول وحل به الخيبول فلما سمع خزاعة ذلك عظم عليهم وكبر لديه وعلم أنهم شجعان وأبطال وفرسان وأفيال فقال فقد بقى لنا معهم شغل بال ثم أنه صاح فى العساكر فعادت عن قتال البلد وطلبت عنتر واصحابه خلق مالهم حصر ولاعدد وكان عنتر بعد كسر الالف فارس صاح فى أصحابه ويلكم لاتتركوا هؤلاء يملكون البلد وتصير أولادى معهم أسارى وهم إذلاء حيارى فعند ذلك الوقت لاتقدر عليهم بحال من الأحوال ويحتمون بالاسوار ويرمون بالأحجار وياخذوهم إلى الجزاير والبحار وبعد ذلك يضيع تعبنا ولانبلغ مرادنا فقال له عروه أفعل ماتختار فقال تحمل على هؤلاء الانذال وأنا أعلم أن الملك يكسوم إذا رآنا وعاين حربنا وانناقد كشفنا عنه هذه الشدة لابد يخرج بعساكره إلى معونتنا ويقاتل معنا ويطلق بعد ذلك اولادى ويسر بهم فؤادى وإن كان خبيث الأصل والفرع عطفنا بعد ذلك إليه وملنا بكليتنا غليه وخلصنا أصحابنا غصبا من بين يديه فلما سمعت بنو عبس ذلك القول من مقاله بذلوا السيف فى الأعداء من كل جانب ومكان وصاح خزاعة فى أصحابه وقال ياولكم ترجلوا عن الذواب ودونكم وهؤلاء الكلاب صبوا عليهم العذاب فعند ذلك ترجلت الأبطال عن الدواب فلما نظر عنتر ترجلهم على التراب اثنى رجله عن الابجر وكذلك فعلت أصحابه الغر وصاروا يضربون ضربا منكر وزال عنهم الفشل وضرب بشجاعتهم المثل وحملت صوارمهم فى المقل وقد تفتت النفوس وآيسوا من الحياة وايقنوا بالوفاه بهم كذلك والزعقات قد عادت والآجال تقاربت وعسكر يكسوم من البلد قد ظهرت وهم غائصين فى الحديد والزرود النضيد يقدمهم الغضبان وغصوب الليث المهوب الملك يكسوم وابن عمه شربط ينادون بعشائرهم دونكم الاعداء الذين أرادوا أن يهلكوا جميعكم يملكون اوابلدكم ويسبون نساءكم وياخذون أموالكم ويتحكمون فى رجالكم ويستملكون أوطانكم قال وكان السبب فى ذلك أن الملك يكسوم لما رأى عنتر وقد حمل وفعل مافعل ورجعت العساكر عن البلد وسارت اليه وقد بقيت كلها من حواليه وهم يطلبون حربه وكفاحه فوجد بذلك غاية الراحة وقال لشربط والله ياابن ماقصرت معنا هذه الطائفة القديمة لقدا احسنوا الينا من غير معرفة ولكن ارى عددهم قليل ولكن فعلهم جليل فقال له شربط بعد أن كشف خبر وعلم حقيقة الامر ايها الملك لاتنظر إلى قلتهم

واعلم أن الموت محكم معهم أقوام صناديد وأنا كنت من كفاحهم فى جهد جهيد لأن هذا المقدم عليهم يقال له عنتر بن شداد حية بطن الوداد وأنا أقول أنه ما اتى إلا فى طلب أولاده ولا بد أن يكسر هذا العسكر ويعودوا الينا نحن ويطلبوا أسراهم منا فقال له يكسوم أن كان الأمر كما ذكرت فاحضر أولاده حتى أخذ عليهم العهد والميثاق أنهم لا يرحلوا من عندنا حتى يهلكوا اعدائنا ويقتلون من أتى الينا ونحن نعطيهم من الأموال والخلع ما يكون جزاهم على فعالهم فدبر ذلك بحسن رأيك وبعد ذلك أعلم باشريط أننا نردهم إلى بلادهم وأطلالهم سالمين فى عز وتمكين قال فعند ذلك أحضر شريط الغضبان وأخوه غصوب وأعلمهما بحضور أبيهما وقال لهما أعلموا أن الملك يريد أن يطلقكما ولكن بعد أن تحلفوا له أنكما لا تتخلوا عنه وانكما تكسروا أعداءه وتقتلوا من أتى اليه فقال الغضبان أيها الملك نحن نحلف أننا ما نرحل من هذه الديار وفيها من أعداك ديار ولا نافخ نار ولا نرحل وخلع عليهما وقدم لهما الخيل الجياد وقلدهما بالسيوف الحداد والرماح المداد فركبوا وركب الملك يكسوم معهما فى عساكره والرفاق وخرج إلى ظاهر البلد فى ستين الف فارس منهم عشرين الف من السودان وأربعين الف من أبطال العربان ولما ساروا ظاهرة البلد أشهروا فى أيديهم العدد هذا والغضبان لما رأى إلى تلك العساكر وقد حلت على أبيه حمل هو وغصوب وأخيه ومن معه يبطشون تلك الجموع إلى أن وصلوا اعند عنتر فكشفوا عنه الأبطال والفرسان فعند ها عاد عنتر إلى جواده وقد فرح بخلاص أولاده وانسر بذلك فؤاده وركبت رفقاه وأصحابه وأجناده وسل حسامه وحمل وتبعته أبطاله قال فلما رأى خزاعر إلى ذلك الحال أيقن بالدمار وصاح فى ذلك العسكر الجرار وقد وقع بهم التحير والانبهار وعاين خزاعة من فرسانه التقصير فحمل هو بنفسه فيمن حوله من أصحابه وكسر حدتهم بطعانه وضرابه وأظهر الجنون من عظم ما أصابه هذا وقد اختلطت الفرسان بالفرسان والشجعان بالشجعان وقد أنزل عليهم البلاء المصبوب وأما عنتر البطل الغضنفر فانه أشبع الفرسان طعانا وضرابا وانزل عليهم البلاء والعذاب ولم يزالوا كذلك إلى أن أمسى المساء وقد أبعدوا أعداهم عن البلد بمعونة الفرد الصمد وقد انفصلت العساكر عن القتال فعند ذلك أخرج يكسوم من البلد المضارب والخيام ثم أنزل أولاد عنتر فيها وأمر باحضار الطعام ونقل إليهم كل ما يحتاجون اليه وأكرمهم غاية الاكرام وقد اجتمع عنتر وأولاده فقبلها وسلم عليهما وفرح بخلاصهما وقد خلع الملك يكسوم عليهما الخلع السنية وقدم عنتر إلى بين يديه وخلع

الملك يكسوم كلما كان على جسده عليه وقد أعجبه فعاله وتحير من مروءته وخصاله وابهره مارأى من شجاعته وكبر جثته وطول قامته فشكره عنتر على تلك الفعال وعلى ما أولاه من اطلاق أولاده وما بلغه من مراده وقال له أيها الملك طب نفسا وقر عينا فما تمضي من هذه الديار وتترك فيها من أعدائك بل نقلع منه الآثار فشكره يكسوم على ذلك وعاد عنتر وأولاده إلى خيامه وكان قد انزلهم الملك يكسوم عن يمين العسكر وبات هو فرحان بالنصر والظفر وردأعداءه عن بلده بعد ما كان قد ذل وانحصر قال فهذا ما كان من أمر الملك يكسوم وعنتر وأولاده والآخر وأما ما كان من خزاعة المجنون فانه لما عاد إلى الخيام رأى هلاك من عسكره خلق كثير فقال لأخيه ما كنا اليوم لاشرافنا على اخذ البلد لولا قدوم هؤلاء الشياطين وقلعوا الشجاعة من قلوب الشجعان ودهشوا الفرسان فقال خزاعة وذمة العرب مارأيت فيهم أشد من الأسود الذي أتى ومعه المائة فارس أسود عوابس وكذلك قال ستين آخرين في عساكر يكسوم وهم في مثل الأسود إذاحاط من القيود وهؤلاء الثلاثة هم الذين أبادوا الفرسان وأهلكوا الاقران وأنا أريد في غداة غد أن افتح باب البراز وأدعوهم إلى الميدان فاذا برز أحد منهم أخذته أسيرا أو جعلته قتيل وإذا قتلت هؤلاء المذكورين عدت إلى البلد وصنعت بأهلها أبشع صنيع من قبل أن تتفرق عساكرنا وتضيع ويعلم طرد الاطراد ثم أن خزاعة أقام إلى أن أصبح الصباح وقد ركبت عساكره وأبطاله تطلب الحرب والكفاح واصطفت الصفوف وتعدلت المائة والألوف ولما اعتدل الجيشين ولم يبق عذر ولا براح كان أول من برز للطعن خزاعة المجنون وجال بين الصفين وحاد بين الفريقين وهو على جواد يحاكي الليل في السواد كانه قد لبس ثوب حداد كما قال فيه بعض واصفيه

لي جواد تخاله لمحــــة عين . سريع الجولان في الميدان
أن جرى جريه يسبق الطير حسن اللون قائم الآذان

قال عليه درع مدفون صغير العيون وفيه من سائر المتون وقد تقلد بسيف أبتر من البولاد بجوهر أخضر اللون مليح السكون إذا هزه سطع ولمع واذا مس به الصخر قطع كما قال فيه الشاعر هذه الابيات

سيف إذاما هزه كفي تخاله النار في اليبوش منطق الحد مشرق
تعمل في الهام والرؤوس كانه للقضاء رسول ينفذ الضرب في الدروس

قال وهو متقلد برمح أسمر طويل عليه سنان كانه قنديل ينفذ في الصحيح وفي العليل فعند ذلك جال خزاعة وصال ولعب بالسيف والسنان حتى حير الصفوف وأذهل المائة

والأنوف وبعد ذلك أشار بطرف السنان فطلب البراز وسأل الانجاز فلم يتم كلامه حتى سار عروة بن الورد قدامه وطلبه بعزم شديد وقد طلبه خزاعه بعزمة وهمة وأخذا في الطعان والضراب والبعد والاقتراب إلى أن تغير النهار من كثرة الغبار وشخصت اليهما الابصار فعندها صرخ خزاعة في عروة صرخة عظيمة قبلله وأدهشه وخبله وفي عاجل الحال قرب منه إلى أن حك الركاب بالركاب وقبض على أزيافه وجذبه من على جواده وحذفه إلى وراه كاد أن يعدمه الحياة فعند ذلك رقمت عبيده عليه وأوثقوه كتاف وقد أيقن بالتلاف وبعد ذلك جال خزاعة وصال وأعجبته نفسه وتقدم إلى وسط الميدان فتعجب من شجاعته الفرسان وقال دعونا من براز هؤلاء الانذال وأبرزوا إلى رجالكم الأفيال السادات والأبطال الذين لهم في الحرب خبرة وفعال فما استتم كلامه حتى خرج اليه ميسرة بن عنتر وانقض عليه انقضاض القدر فلقيه خزاعة بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وصرخ عليه فازعجه وخيله وأذهله واختطفه من بحر سرجه خطفه الأسد القسور وسلمه إلى أصحابه وطلب البراز وسأل انجاز فبعد ذلك هم الغضبان اليه وإذا قد سبقه أخوه غصوب وهو على جواد منسوب سالم من العيوب يسبق ريح الجنوب تحن إلى رؤيته القلوب كما قال فيه الشاعر أبو أيوب :

وجواد إذا ما جرى فترى البرق قد لمع وإذا سار مسرعا كأنه الغيث إذا لمع

وكان في يده رمح معتدل كعوب طوله أربعة وعشرون أنبوب قد تعود أن يشك به الاضلاع والقلوب مصنوع لخسف الصدور والجنوب هذا وخزاعه قد ثبت اليه حتى قاربه وجال كل واحد على صاحبه وأظهر أهواله وعجائبه وحوادث مضاربه وخزاعة قد أنطبق على غصوب تحت الغبرة وأراد أن يفعل كما فعل بميسرة فمد اليه غصوب باعه وضربه ضربة هائلة رآها خزاعة فمد أنته وهي واصلة صحبها على درقته وصبر عليها حتى حازته وفي عاجل الحال ضرب عنق جواده بسيفه طيره فوقع الجواد إلى الأرض فوثب غصوب قائما على قدميه فلذفه خزاعة بعمود من الحديد الصيني لجاه العامود في أقصاب رجليه فوقع غصوب من شدة ما جرى عليه فانكبت عبيد خزاعة قبل أن يقوم وتكاثروا عليه كتفوه وشدوا يديه مع رجليه وسلموه إلى أصحابهم فأقرنوه مع عروة بن الورد وأخيه قال فلما رأى عنتر إلى غصوب وميسرة قد أسروا أسودت الدنيا في عينيه ولا بقى يعرف ما بين يديه فقز بالجواد وطلب الخروج اليه وإذا بولده الغضبان قد سبقه إلى الميدان ومحل الضرب والطعان وقال خزاعة يا ابن الانذال دونك والقتال حتى أروي من دماك هذا الحسام الفصال وأفصل لحمك و عظامك واجعله

عليك أيشم الايام فلما نظر خزاعة إلى الغضبان وقد برز اليه ورأى حسن شمائله فعلم أنه من الفرسان المشهورة فعاذ خزاعة إلى وراه وغير جواده وعاد إلى موقف الحرب ونظر إلى الغضبان وهو يجول وقد تذكر محبوبته دعدا فأنشد يقول صلوا على طه الرسول

أهاج وجدى ذكر ربيع دارس كالطوس بال وطلول دارسات
فتاها مر الليالى وبها الوحش عكوف لم تدنس بمقال
وظباء نافرات ثم ريم مع غزال ومناخات تسلب
سيرها فى القلب وال سمعت صوتا قريبا قبل أعنة بارتحال
فتذكرت زمانا صافيا والعيش غالى وفؤادى من جوى الشوق
بنار البعد قال فاسألى ياد عدا عنى يوم حربى وقتالى
كم فتى خليت ملقى ثاويا فوق الرمال وأنا الغضبان حقا
قاهرا جميع الرجال تسيتى من عنتر الليث وفخرى منه عال

فلما سمع خزاعة شعر الغضبان والله يا بن اللئام التهب فؤاده لقد مدحت نفسك بالمحال وتكلمت بغير الحق فى المقال يا أندال وان كنت بطل ريبال اثبت اليوم فى الشدائد ثم انه لعب بالسيف والسنان إلى أن أذهل الفريقان وأنشد يقول على طه الرسول

خل ياهذا قتال وأخشى اليوم نزال واسأل الأبطال عنى
فى القنا عند المجال واختبرنى عند حربى كى ترى اليوم قتالى
كم همام عدت عنه وهو رزق للشمال وكم أرديت ليثا
فى أحاقيف الرمال بحسام مطلق الحد جليا فى الصقال
وأذقت القرم طعنا مثل أفواة الغزال وعسفت البر وحدى
فى الدجى والبر خال خضته وبريق شيق مؤنس لى فى الليالى
وتركت الخيل تغدو خاليات فى الجبال
سباع الغاب منى قد تخبت فى الدغال

قال الراوى وكان خزاعه عارفا بلغات العرب جرىء الجنان ثابت القلب مقداما على النوائب ثم انه بعد شعره انطبق على الغضبان وقد جالا فى الميدان وغابا عن العيان وامتدت اليهما أعين الفريقان وطلع الغبار إلى العنان وصار فوق رؤسهما كأنه الدخان وجرى بينهما كل حرب وقتال وطعن ونزال إلى أن تقصفت منهما الرماح وتثلمت الصفاح واعتركا واندمجا ودخلا

فى الحرب وخرجا وسارا تارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وبقوا شبه النار المسعرة وغابا تحت الغبرة وما بقى أحد يراهما ببصره ولم يزالا فى عراك وصدام إلى أن صارت الشمس فى قبة الفلك فعند ذلك وقعت الفرسين إلى الأرض من شدة الجرى وعند نزولهما فى الارض لم يجدوا لهما نفس من شدة التعب فعندها بركوا الأثنين على الركب وصار كل واحد منهما ينظر إلى صاحبه شذرا ويرمقه حذرا وبعد ساعة سار كل واحد منهما من مكانه وأشار إلى قومه فعرفوا مرامهما فما كان بأسرع من أتوهما بجوادين وكان عنتر قد أشار شيبوب فخرج ومعه جواد من الخيل الجياد وقدمه إلى الفتى الغضبان وكذلك فعلت أصحاب خزاعة لأنهم قدموا اله حجرة عربيه تساوى الف دينار روميه ولما ركبوا الأثنين أنطبقا على بعضهما وجالا فى الميدان حتى غابا عن العيان وطلع الغبار إلى العنان وجرى بينهما طعنتان واصلتان فاما طعنة خزاعة فانها وقعت فى صدر حصان الغضبان فوقع الجواد ووثب الغضبان من عليه وأما طعنة الغضبان فانها وقعت فى صدر خزاعة طلعت من خرزة ظهره فمال عن حجرته ونزلوا إلى الأرض وجعل يتخبط فى دمه طولا وعرضا فعندها وثب الغضبان من على وجه الارض وصار على حجرة خزاعة من غير أن يضع رجله فى الركاب وانحنى واخذ الرمح من التراب وحمل على العساكر فزق ألوفها وفرق صفوفها وطير قحوفها وعاد إلى الميسرة وقد أباد الرجال وأهلك الابطال وما زال إلى أن قتل ثلاثين فارس وهجم على الميمنة قتل مثلهم وطلب العلب وغاب فيه فقتل عشرة فعند ذلك انطلقت عليه الخيل من كل جانب وطلبته مثل السلاهب فحمل عنتر ومن معه من الرجال وتبعه الملك يكسوم فى عساكره وحماته الانجاد ودقت الكوسات ونعرت البوقات ورفرفت الرايات وتبادرت السادات وعنتر فى أوائلهم يقد الرجال بضرباته ويجندل الافران بطعناته وحملاته وقد زعزع المواكب بزعقاته ولم يزل يدعس فى الكتائب ويخوض الجحافل والمواكب ويقد بضرباته الترائب ويشك بطعن رمحه الجوانب إلى أن وصل إلى صاحب العلم وقد ضربه بسيفه ضربة رجل جبار فقطع جنبه ثم استلب الرمح وحمل يطعن به فى صدور الخيل وقد كال الرجال كيلا وأى كيل هذا والرجال تتصادم والشجعان تتلاطم إلى ان أقبل الليل وهمت الرجال ان ترجع لان ما بقى فيها جلد ولا حيل فصاح عنتر فى الابطال وقال لهم يا بنى عمى لا تفشلوا فى القتال والصدام مع هؤلاء اللئام الانذال وابذلوا فيهم الحسام حتى تخلص منهم رجالنا الكرام وصار يحمل حملات الاسد الضرغام ويلقى الرجال من على سروجها بقوة الصدام وما زال إلى أن وصل

إلى تحت الأعلام فنظر إلى أخي خزاعة وهو قد عول على الانهزام فصاح به عنتر وقال له يا ابن اللئام وطعنه في صدره أطلع الرمح من ظهره فلما رأى الملك يكسوم إلى ذلك فرح غاية الفرح وصاح في عساكره فحملت على الخيول الصافنات فلما نظرت عساكر طود الأطواد إلى حملات عنتر وطعناته وهي كالنار ذات الشرر والغضبان قد أفناهم وأوقع بهم العبر فوقع بهم الخبال وحل بهم الوبال فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وهم لا يصدقون بالنجاة من الدمار وقد عاينوا الأهوال من قتال بني عبس الأقيال فانهزمت تلك المواكب وساروا يطلبون البحر والمراكب وقد عمل فيهم السيف من كل جانب فطلعوا اليها وهم لا يلتفتون إلى أحد ولا يعقلون بما حل بهم من النكد ولما صاروا فيها رفعوا مرسيها وقلعوا حبالها ودفعتها الرجال وخافت على أنفسها من حلول الآجال ورفعوا قلوعها بالليل والظلام وهم لا يصدقون بالنجاة من شرب كاس الحمام وفي دون ساعة صاروا كالأعلام وساروا مثل سير الغمام وهم قاصدين إلى مدينة طود الاطواد قال وكانوا هؤلاء الاقوام لما نزلوا في المراكب أخذوا أولاد عنتر من الخيام وأنزلوا في المراكب باهتمام إلا أنهم ما خلصوا حتى هلك منهم خلق كثير لا يحصى بعدد الرمل والحصى وما صدقوا أن ينجوا بأرواحهم وقد تركوا خيلهم وسلاحهم وخيامهم وجميع مالهم من الأموال وعاد عنتر إلى المضارب والخيام في طلب أولاده فلم أرى منهم أحد فزاد به الغيظ والغرام وقد تفكر في حوادث الايام ونقصان حظه عند التمام فطيب الملك يكسوم قلبه وقال له يا ابن الكرام لا تحمل على قلبك هم ولا غم من فقد أولادك فها عسكري بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ولا أنسى لك ما فعلت معي من الجميل ولم أزل أقاتل بين يديك حتى أصير بين التراب جديل فقال عنتر يا ملك الزمان وكم بيننا وبين هذا المكان الذى قد أخذوا أولادي اليه فقال له عشرة أيام في البر وثلاثة أيام في البحر وإذا سرت وقومك بما تريد أخدمك أنا وعساكري خدمة العبيد فطاب قلب عنتر بكلامه وقد اشتغل بحب ولده الغضبان عن جميع الانام ولما كان عنتر عند الصباح ركب واشتد وأراد أن يسير وحده في وشيع البطاح فرأى يكسوم أفعاله فعلم بأحواله فما كان إلا أنه جرد معه عساكر أربعين الف عنان وقد جملهم كلهم بالبوقات والطبول والكؤوسات والبنود والرايات والأعلام قال ولما كان من الامر ما كان وكمل عددهم ساروا وعنتر في أوائلهم وهو كثير الوسواس بادي مشتغل الحواس هذا وقد سار معه يكسوم مرحلتين وعاد لاجل حفظ البلاد ولما سار عنتر في البر أنفذ بين يديه مائة فارس وتركهم له طلائع وقدم عليهم رجلا شيخ من أرض عمان له خبرة بتلك البلاد والوديان ثم أوصاه بالاحتراز فسار

وعنتر خلفه يقطع القفار وفى قلبه لهيب النار وقد كثر شوقه إلى عبلة ومن له من الأحباب فتقدم أمام السكر وقد اخرج يده من جلباب درعه واشار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

أقلقتني نار النيـــا والبـــعاد ... بعد فقـــد الاوطان والاولاد
وتذكرت عبلة يوم جاءت ... لوداعى والوجد والشوق باد
وهى تجرى من خيفة البين دمعا ... مستهـــلا بلوعـــة ومنهاد
قلت ياعبلة كمكفى الدمع فالقلب ... حزين ولوعتى فى ازديـــاد
ويح هذا الزمان كيف رمانى ... بسهام صابت صميم فؤادى
شاب رأسى بعد السواد وابيض ... بعد ماكان حالكا فى السواد
غير إنى مثل الحسام إذا ما ... زاد طبعا ازداد يوم الجلاد
دهمتنى نوائب الدهر حتى ... عـــرفتنى طـــرائق الارشاد
ولقيت الابطال فى كل حرب ... وهزمت الفرسان فى كل واد
وتركت الفرسان صرعا على المهاد ... بطعان يعلو صدور الاعادى
وقهرت الملوك شرقا وغربا ... وأبدت الاقران يوم الطراد
بحسام قد كان من عهد شداد ... قديما وكان سبقا لعـــاد
قل صبرى على فراق غضوب ... وهو قد كان عمدتى واعتمادى
وكذا عروة ومسيرة الليث ... حاتى عنـــد ركض الجياد
لافتكن أسرهم بحســـام ... ثم أفنى لاجلهم جميع الاعادى
كل شىء يمضى سوى الذكر يبقى ... وفعـــل الجميل بين العبـــاد

ولم يزل عنتر سائر وهو يقطع الارض طولا وعرض إلى أن بقى بينه وبين جزيرة قيمر ثلاثة أيام وإذا هو بفارس من طليعته قد وصل اليه وقال له يا أبا الفوارس أعلم أننا كنا سائرين وإذا قد لاح لنا غبار حتى سد الأقطار وأنفذنى المقدم اليك فاخذر أيك فيما تفعل فلما سمع عنتر ذلك سار يطلب كشف الاخبار وما تحت الغبار وكان السبب فى ذلك الأمر ان المنهزمين الذى انهزموا من عنتر نزلوا فى المراكب وهم لا يصدقون بالنجاة وساروا إلى أن وصلوا إلى جزيرة قيمر وقدموا الاسارى قدام طود الاطواد وكان جالسا فى مجلس يشرف على البحر والغلمان بين يديه قيام والحجاب وقوف على الاقدام والملك قد ملا السرير بعظم هيكله وهول خلقته ويقول لمن حوله من أبطاله يا ويلكم قد أبطأت علينا أخبار المراكب التى انفذناها مع خزاعة المجنون إلى مثال

يكسوم فقالوا له أيها الملك أنت تعلم أن خزاعة رجل مقدام وقد فتح بلاد عمان وإلا ما كان أيضاً إلى الآن وكانك بالمراكب عندك وفيها الاسارى لأن خزاعة ما توجه فى أمر إلا وفلح وعاد منه بالسرور وبالفرح فهو فى الحديث مع أصحابه وإذا بالضجة وقعت والأصوات ارتفعت فسأل الملك عن الحال فقيل له إعلم أيها الملك أن المراكب قد وصلت وفيها نفر قليل من الرجال وقد أخبروا بهلاك الأبطال والشجعان فقال الملك على بهم فاحضروهم بين يديه فسألهم عن حالهم وما الذى تم عليهم فقالوا له أيها الملك أن خزاعة قتل وأخوه الاخر هلك وقد قتلت الفرسان وقطعت الأبطال ثم تقدمت بقية الرجال الذين فى المراكب وثيابهم ملطخة بالدماء واعادوا عليه ما جرى لهم فقال يا ويلكم من فعل بكم هذه الفعال وأنزل بكم الذل والوبال وخزاعة يعد برجال فأعادوا عليه ما جرى لهم وكيف أنهم كانوا قد ملكوا البلد وكيف قد وصل عنتر بن شداد خلاص من له من الأولاد وما جرى لهم معه وكيف أطلق يكسوم أولاد عنتر وأخذ عليهم العهد أنهم يعينوه على كسر العسكر وكيف قتل ولد عنتر إلى خزاعة فى فرد ساعة وكسرهم وأبادهم بعد أولاد عنتر وعروة ثم حكوا له كيف هربوا فى المراكب بعد أن فنيت منهم الكتائب فلما سمع طود الأطواد منهم هذا الحديث غضب غضباً شديداً وقام شعر بدنه إلى نفذ من اثوابه لأنه كانه شبه المسلات وقد لطم على وجهه وخرج الدم من مناخيره وانزعجت حواسه ومن شدة ما جرى عليه من الغيظ أشرف على الوبال وقال عد بالاسارى فسحبوهم إلى بين يديه فقال لهم يا ويلكم من أى العرب تكونوا فقال ميسرة وقد قوى جنانه وأطلق لسانه نحن من بنى عبس الكرام الضاربين بالحسام ومطعمين الطعام والثابتين فى الزحام والمعدودين بين العربان برجال الصدام وفرسان المنايا والموت الزؤام قال فلما سمع طود الاطواد من ميسرة ذلك الكلام قال له وما الذى جرى لكم على مثل هذه الأحكام وأغراكم على قتل عساكرى والأقوام أما سمعتم بخبرى يا أولاد اللئام فقال له ميسرة جرأنا على ذلك قوة الجنان والثبات فى الميدان والقدرة على الضرب والطعان والساعة فقد ملكت قيادنا وأنت فى هذا المكان فافعل ما تريد من الأمر والشأن واعلم أن لنا من يطلب ثارنا قريباً وبعيد ولو كنا خلف السد الأقصى وسوف ترى رجال وأى رجال مثل الأسود تهزم قوم عاد وثمود ولا تقل أن هذه البلد تحميك فان لنا من يهدم هذا المكان ويخرب مناره ويرمى إلى البحر أحجاره قال فلما سمع الملك كلامه تعجب من قوة جنانه وفصاحة لسانه وقال لمن حضر من أصحابه ويلكم أما تنظروا إلى هذا الأسود كيف تجرأ

على رد الكلام كما يرد على بهذا المقام فقالوا له أيها الملك عجل تلافه فى مكانه وأحق خلقته وأعجنه فى أكتافه فلما سمع الملك ذلك من كلامهم قال لميسرة أى موته تريد تموت بها حتى أنى أعجل إليك بحتفها فقال له ميسره لو أننا بلاكتاف ولا قيود ماقدرت أن تقول ذلك الكلام وكنا قد خلصنا نفسنا من يدك بضرب الحسام وأفنينا عساكرك والجنود ولو أنها عساكر عاد و ثمود فقال له الملك اعلم يا غلام إن هذا كلام من لا يعرف شجاعتى ولا عاين براعتى بين الانام يا ويلك مثلى يتهدد بهذا الكلام أو يفزع من بنى آدم ولو أنهم مثل السباع التى فى الآجام ثم انه قال لا بد أوريهم طرفا من شجاعتى وبعضا من براعتى ثم قال لأصحابه احملوهم إلى الميدان وحلوا أكتافهم والقيود وأعطوهم عددهم على التمام ثم أنه ثار ثورة الأسد وقد زاد به الغيظ والحرد وأقبل إلى الميدان وحوله الف فارس من الفرسان وفى أيديهم السيوف والعمد والتوت والعدد قال هذا وطود الأطواد فى وسطهم وهو اطول منهم بقامة انسان وأزيد وأياديه مثل المدارى وعينيه تتوقد مثل شعل النار ونخوة الملوك قد عصفت فى رأسه وشعره قد نفذ من لباسه وفى يده سيف بتار كانه شعلة نار طوله عشرة أشبار وفى يده اليسار درقة من الحديد الصينى وزنها مائتين وخمسين من أوزان ذلك الزمان ولها حلقات كبار غلاظ إذا هزها أزعجت الأقطار وقال ولما وصل صاح فيمن حوله من الفرسان صيحة تفلق الحجر قال وكانوا لما أطلقوهم لبسوا السلاح واعتدوا للحرب والكفاح فنادى فيهم دونكم والحرب وإن أردتم واحد بعـــد واحد وإن أردتم احملوا كلكم على وأزيد عليكم الفا أخر من خواص عسكره فقال ميسرة الساعة ترى مايكون وقد التفت ميسرة إلى عروة بن الورد وقال له ياأبا الابيض ان نفسى تحدثنى نحن إذا هلكنا أرواحنا من الهلاك والبوار فقال له عروة وأنا الآخر كان هذا فى ضميرى فقال غصوب إذا كان الأمر كذلك على ماز عمتم فأنا لى اثنين المدينة وأنتم ثلثها ولا رجع نسلم أرواحنا لأحد قال هذا وطود الأطواد طال عليه الانتظار فصرخ وهجم على ميسرة وضربه بالسيف صفحا فوقع مغشيا عليه فهجم غضوب ليضربه بالسيف فصرخ عليه فارتعد فى قوايمه وركب فى يده طود الأطواد أخذه أسير بعد ماقبض عليه بمخالبه فأدخلها فى الزرد الذى عليه فنفذت منها ووصلت إلى لحمه فأحس أن النار قادت وقد انطلقت فى جسمه وشاله على يديه حتى بان بياض ابطيه وضرب به عروة فالقاه على ظهره إلى وجه الارض

فعندها دارت بهم الرجال وهم بأسوأ حال قال ولما أفاقوا من غشوتهم ردوهم إلى القيود والأغلال وأحضروهم بين يدى طود الأطواد وعليهم ذلة الأسر وغلبة القهر فقال لهم ياويلكم كيف رأيتم صولة الأسد ميدانه واقتداره على أقرانه فقالوا له لاتفتخر حتى تلتقى حامية بنى عبس وأسودها وشجاعها وسيدها قال فلما سمع الملك كلامهم أمر السياف أن يضرب رقابهم فقام السياف وأراد أن يقتل ما أمره به الملك وإذا بالصياح قد علا والغلمان إلى باب القصر قد تبادرت فسأل الملك عن ذلك الخبر فقيل يا ملك الزمان إن أمك سهم النزال قد أتت إليك تبصر حالك وماجرى عليك قال وإننا ذكرنا شجاعة أمه فيما تقدم وأن أمها كانت جنيه وأبوها إنسى وكانت ترد برأسها من الفرسان خمسة آلاف فى الميدان وساير الجزائر تخاف من شرها ويفزعوا من مكرها وكانت تعرف شيئاً من السحر وكانت ماهرة فى سحرها إلا أنها لما دخلت على ولدها طود الاطواد نهض اليها قائما على الاقدام ثم قبل رأسها وأجلسها إلى جانبه وحدثها بحديث المراكب والاسرى والامر الذى قدمنا وجرى فلما سمعت ذلك الكلام وماتم على العساكر من الهلاك والانهزام نفخت مثل ما تنفخ الافاعى وغمها ماجرى على عسكر ولدها وقالت يابنى وما الذى عزمت عليه بعد بعد سماع ذلك الكلام والشأن فقال لها ياأماه قد عولت أن أقتل هؤلاء الأسارى وأجمع الفرسان وأسير إلى مدينة عمان وأبيد أبطالها والشجعان وأشرب دماء أقيالها والفرسان وأقتل عنتر ويكسوم وشريط ومن يحتمى لهم من الفرسان وأبلغك غاية الآمال وأما هؤلاء الأسارى فقد أخبرونى المنهزمين أن لهم رجلا يأتى يطلبهم وهو فارس من الفرسان وبطل من الابطال الأعيان عند النزال والطعان وقد قيل فى بعض الأمثال من لم ينظر العواقب مات وماله فى الدهر صاحب والرأى عندى أن تترك هؤلاء الأسارى عندك فى الأعتقال إلى أن تظفر أنت بفارسهم وحاميتهم الرئبال وتقتل الجميع فى يوم واحد وقد زالت عنا إلى الآن بدو الشدائد وكان الرأى الآخر والعياذ بالله وقد أسرك هذا الجبار فقال طود الأطواد أما قولك ياأمى فى ولكن أنا ما أخرج عن رأيك ومقالك ولابد لى أن أبلغك آمالك ثم إنه أمر بنقل الاسارى إلى بعض الحجر ووكل بهم جماعة من رجاله وكتب الكتب إلى الجزاير والبلاد وأمر الوكلاء الذين فيهم مرقبله يجمعوا العساكر والاجناد وقد أشرفت الكتايب وقد اجتمع عنده مائة الف مقاتل وأنفذ إلى أمراء البلاد وجميع الأبطال والاجناد حتى صار فى مائتين ألف فارس كانهم الجن والابالس وأمر أن تخرج الخيم فاخرجت وضربت السرادقات وهى من

الديباج الأحمر مبطنة بالحرير وأمر أن ينادى فى العسكر بأخذ الاهبة إلى ثلاثة أيام وخرجت أمه اليك وكانت ذات رأى سديد وعقل رشيد فقالت له يا بنى مرائت بنصف العسكر فى البر وأنا أسير بالنصف الآخر فى البحر حتى لا أمر على جزيرة إلا وأملكها ولا على قوم من المخالفين إلا وأملكها قال فلما سمع كلامها قال لها أفعلى ما بدا لك فعندها تأهبت وقد أخذت معهم كل فارس جحجاج وعقدت الاعلام والبنود قال ولما أ كتملت الاحوال طلعت العساكر إلى المراكب وقد استعدوا بالعدد والقوت ولبس الزرد وأعتقلوا بالسيوف والعمد وضربت البوقات فى البحر وقد البستهم سهم النزال الثياب الديباج وجعلتهم فى وسط المراكب ووضعت عليها العدد والزرد والخود وقد خفقت الصناجق وأعتدوا للحرب والقتال وسارت على هذا المثال وسار من بعدها ولدها طود الاطود وهو راكب على ظهر جواد من الخيل الجياد البحرية وقد أنعقدت على رأسه الاعلام الازدهارية ونعرت البوقات ودقت الكؤسات اليانية وقدمت الجنائب العربية وعليها التحائف الذهبية وأشهرت العساكر السيوف المشرفية واعتدت الفرسان بالحرب الحبشية وسار طود الاطواد يقطع الأرض والمهاد بعد ماقدم بين يديه طليعة الفى فارس فى الحديد غواطس من رجاله الاجواد الذين جربهم فى الحرب والجلاد وفتح بهم الجزاير ودار بهم فى جميع البلاد وقد عليهم بطل جواد حميد الخصال سريع الأجابة للسؤال لايهاب الرجال ولا يفزع من دنو الآجال يقال له سعيد بن جوال وقال له سير لهؤلاء الفرسان قدامنا وكن طليعة لنا وأعلم أن هؤلاء الادميين الذين هم عندنا قد ذكر إلى أن لهما من يطلبهما ويجتهد فى خلاصهما وربما أن يكون قد سار الينا فى الطريق ويلتقينا ويدهمنا على غفلة فكن منه على حذر فقال له سعيد سمعا وطاعة ثم انه سار حتى التقى بطلعة عنتر بن شداد وأنفذ صاحب الطلايع قال ولما رأى عنتر إلى غبار الطليعة أمر العساكر بالنزول وأنفرد هو فى مائة فارس الأبطال وهم رجال عروة بن الورد الذين يلقى بهم الاهوال وإلى جانبه مجيد بن مالك وولده الغضبان فتأمل إلى ناحيه الحجاز فزادت الاشجان فانشد هذه الابيات

أبرق نجدة ، أضاء سعد أم هنينا	أم نور عبلة بدا يابرق هنينا
أم نورها قد بدا يابرق ماغسق	فهب منه زفير المسك مفتونا
أذكر يثرب أولها وآخرها	فعاودتها بنات الفين تشمينا
قد صاغها الله من حسن وقال لها	رويدا الممالك تمكينا وتثبيتا

وسحر أجفانها قد زادني سقما ... أخلت فيه هاروتا وماروتا
يا عرش ريح تغدو وبوارقه ... إلى الحجاز بهذا العبس تحيتنا
يابرق في العلم السعدي لنا رشا ... فاحمل تحياتها عني لحيتنا
يابرق أن سألت عني فقول لها ... بان سيفي لوقع النار كبرينا
إذا تضارب فيه الموت عن عجل ... كمثل رمل تبدى أو عنافيتا
إذا المنايا تراءت في جوانبه ... تخيل وجه جنيا وعفريتا
وصففت فيه ركبان المنون كما ... جرى عمار لابراهيم تبيتا
وها أنا سائريا عبلة مبتــدرا ... إلى الذي من سلالات العفاريتا
حتى يرى الطود فعل الليث عنترة ... فعل يضل له أبليس مكبوتا
حسن الفلالو رأوني في مسيرهموا ... لاخفقوا الحس كي مايرفعوا الصيتا
مخافة من حسامي أن يبيدهموا ... فهم من الأرض هرابا مفاليتا
لو ابصرت اليوم فرعون فعاليتا ... لخاف أن يملك الارضين طالوتا
ياعبلة أن صحت الفلك ناظره ... تراقب الجدي في الحضر مبهوتا
ولو رأت نصل سيفي الفرقد بن هدت ... من الثريا وعاد المريخ الحوتا
فابشري يامنى قلبي ولاتخافي ... وأذكرى فعلي أن كنت انسيتا
لابدلي من خلاص القوم مقتدرا ... لان قلبي لهم قد صار ملهوتا
وأروى القرم ضرب السيف منتدبا ... ضربا تسجد له الضرغام مبهوتا
وصلى ربي دواما سرمدا أبدا ... على نبينا التهامي صاحب الصيتا

قال الراوي ولما فرغ عنتر تمايل كل احد منهم على جواده وتعجبوا من فصاحة لسانه وقوت خاطره وجنانه وساروا كما ذكرنا في هذا الكتاب قاصدين طليعة طود الاطواد من بعد ما قطعوا المراحل والمهاد وكادأن يشرف عليهم وإذا هم برجل في عرض البر يغدو وكانه مجنون أو مصاب ولكنه مسرع في قطع البراري والهضاب لا يعبأ له نصب ولا يبالي بتعب وهو زرى الحال عليه فروة مقلوبة مهدولة الاذيال وعمامة دنسة وهو باسوأ حال في الاقدام وهو كاشف الشام لايلتفت إلى أحد من انام بل يهيم في البر والآكام قال ولما رآه عنتر أنكر أمره وتحير من فعله وقال لبعض رجاله يا ابن العم دونك وهذا البدوي آتيني به لعل أن يكون معه خبر تخبرنا به أو يرقعنا على أثر فركض الفارس بجواده وسار خلفه ومازال حتى قاربه ناداه ولما سار عنده قال له قف ياهذا فوقف واذعر وارتجف وقال له ما حالك ما الذي تريد مني

فعجل بسؤالك ولا تطل مقالك لانى من أمرى على عجل فقال ما بدالك له سير قدامى ثم ساقه حتى أوقفه بين يدى عنتر فلما سار قدامه ساله عنتر عن حاله من تكون من الرجال ومن أين أقبلت فقال له يا مولاى أعلم أنى رجل صعلوك وقد جئت من عساكر الملك هام صاحب البر والبحر وملك الزمان والعصر الذى عم بعد له البلدان والجزاير وفزعت من سطوته الملوك والاكابر والابطال والعشاير وأما سبب هيمانى فى هذا الوادى والبرارى فانى قد ضلت لى ناقة فى هذه الايام وقد خرجت أدور عليها بين الروابى والآكام قال الراوى فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام قال يا ويلك ومن يقال لذلك الملك همام الذى فضلته على سائر الآنام والملوك العظام فقال له يا مولاى أعلم أنه يقال له طود الاطراد القمقام لانه كان وهبنى ناقة قليل مثلها فى سائر ملوك الاعراب لانها كانت شايلة العيال أحسن من عنوان الشباب رأسها تحير فيه الالباب وبدنها عليه من اللحم الشحم جلباب كانها خيمة مضروبة الاطناب لاتجد فى سيرها تعب ولا يلحقها نصب وليس مثل ذنبها ذنب واسمع منى ما أقول فى حقها من الاشعار فقال له أسمعنا الذى خطر فى بالك وصار عنتر يضحك عليه وأولاده إلى جانبه

أبكى عليها بدمع أربعة لانها نويقة هميمه
تسير فى البر كريح الروبعة وصوفها به يكون المنفعة
وهذه الارض خلا متسعا أرى حياتى بعدها مضيعة

قال الراوى لهذا الكلام العجيب فقال له عنتر أنا أعطيك شيء خيرا منها ثم أن عنتر أخرج كيس ملآن من الذهب وقال له خذ هذا وكان الاعرابى عمره ما نظر الذهب فقال له يامولاى أما أنت أولى بالمدح على كل حال لكن بذمة العرب أنت ما أسمك وما تكون من العرب الاجواد فقال له أسمى عنتر بن شداد فارس الحرب والجلاد فقال الاعرابى والله أنت خير من طود الاطواد وأنا سمعت عنك أنك فارس الطراد وأطاعت لك سائر القبائل والاجناد وشاعت فروسيتك فى سائر البلاد وأنا سيد الفرسان هاجج على وجهى فى القفار من هذا الفارس الجبار وأنا الذى ما حضرت قط عنده فى أكل زاد إلا وطردنى بالخيبة والابعاد ولما أكثرت عليه السؤال أعطانى ناقة بعد أن سبنى وشتمنى وكانت والله بئس الناقة ما تصلح إلى لاهل الذل والفاقة كانها كانت لاهل الفكر والعلة ما تحمل إلا الجلة وهى كانت أنحس ناقة فى الخلق لان أذنها كانت مقطوعة وهى مجنونة ومصروعة ومهزولة ومخزومة ولم تكن مطاوعة فى سنها اعوجاج وفى ذهنها ارتجاج شرها نه فى أكلها صياحها عند حملها ركوبها عذاب والمشى

ممها عقاب وتعدل عن الصواب وتتبع رؤس الروابى والشعاب زورى وعورى وحورى وقورى وهى مشؤومة على كل حال ثم أن الأعرابى داخل الطرب لما وهبه عنتر النجيب الذهب وضحك بعد التعبيس وزال عنه التهويش فانشد يقول

مخروعة كانت وكانت مقرعة	صياحه كالجبنة مصدعه
مخرومة الاذنين ذات جمجمة	ظاهرة الأسقام فيها بعبعة
ماخلقت لى فى الزمان منفعة	أضلاعها مقرونة مضلعة
مقطوعة المنخر ما فيها سعة	ياليتها ياصارمى مقطعة
أنيابها من فمها مقلعة	أحرمها الله بجال الأربعة
أعصابها من الشقا مقطعة	مقرونة كانت وكانت مشنعة

قال الراوى فلما سمع ذمة للناقة بعد ما مدحها ضحك وقال له أقم عندنا حتى أننا نعطيك ما يغنيك وتكون عندى فى أمان من طوارق الزمان وهم فى ذلك الكلام وإذا بغبار قد ثار وعلا وسد الاقطار وبعد ساعة أنكشف الغبار عن عسكر جرار مثل البحر الزخار وإذاهم ألفين فارس رئبال مقدمهم سعيد بن جوال وهم عساكر طود الاطواد فلما ان رآهم الاعرابى قال اجنتر يامولاى أطلب لنفسك النجاة فقال له عنتر ما أسمك يا هذا فقال له أسمى أبى دحرج فقال عنتر ولماذا أطلب النجاة فقال له أعلم أن هذا مقدم العساكر هو جبار لا يبالى وضيغم لا يدارى فقال له عنتر وإذا نظرت معنا فالذى يجرى عليك من العبرة قال له يامولاى كان يهدم بالسيف أساسى فضحك عنتر من كلامه قال له طب نفسا وقر عينا فقال أبو الدوح يامولاى أرسلنى مع من تريد إلى العسكر حتى أنفذ لكم الرجال لانى أراكم فى قلة وأخاف أن يسطو عليكم ذلك الجبار فقال له عنتر ما نحتاج إلى ذلك وسوف ترى من يشرب شراب المهالك ثم أن عنتر قال لولده الغضبان خذ ياولدى عشرة فوارس وسر فى عرض البر حتى تصير من وراء القادمين ثم أخذ الرجال وسار قال هذا وقد بقى عنتر بينه وبين غروب الشمس ساعة فتأهب للقاء وأعتد للملتقى والصبر على الشقا فنظر أبو دحروج إلى ذلك فايقن أنه هالك لانه نظر إلى فارس يريد أن يلتقى الف فارس فارتعدت أعضاه وزاد خوفه وجواه وظن أن هذه الساعة تكون هى الوفاة فتقدم إلى عنتر وقال له يامولاى أعلم أنى كنت مريض وقمت من أثر المرض وقد بقى فى رأسى خلط يشور على كل قليل وأبقى منه عليل وأنه قد اعترانى فى هذه الساعة وارد وأريد أن أسير إلى العسكر الذين لكم وأقيم عندهم إلى أن تفرغ أنت من العدو

﴿ تم الجزء الاربعون ويليه الحادى والاربعون عنتر ﴾

الجزء الحادى والأربعون

من سيره عنتر بن شداد

الذى قد أقبل فقال له عنتر قف حتى تسير معنا وتتفرج فى الحرب والنزال قال وكان عنتر قد علم بما فى قلبه من الفزع فاراد أن يزح معه هذا والطلائع قد قربت من الطلائع ونظر سعيد بن جوال إلى عشرة فوارس سائرة إلى الأرض فقال لأصحابه قفوا على قليل فهذه لا شك طليعة عسا كره ثم أنه دعا بفارس من عسكره يقال له صخر وقال له أمض إلى هؤلاء الأنذال وانظر إن كانوا من أعدائنا فبشرهم بالويل والحروب وخذ منهم خيلهم وسلاحهم ردعهم ينجوا بأرواحهم وإلا حملنا عليهم وميناهم المهاد أشباحهم وإن كانوا من الأعداء ولم يسلموا إليك سلاحهم فعد إلى ولا تحرك ساكن بل اسألهم عن أمرهم وعد إلى بجلية الحال فقال سمعا وطاعة ثم إنه ركض بالجواد إلى أن قاب من عنتر بن شداد وأصحابه وقال أيها العصابة اليسيرة ممن تكونوا أنتم من العرب وإلى من أنتم سائرين إن كنتم أعداءنا فترجلوا عن خيولكم وارموا سلاحكم وعودوا سالمين بأرواحكم فقال له عنتر يافتى قف وترفق علينا قليل حتى ننزع ثيابنا وسلاحنا ونسلم إليك أرواحنا وإن مننت علينا بأنفسنا عدنا سالمين فلما تقرب وقد ظن أن كلامه صحيح طعنه عنتر بعد ما صرح فيه تركه جديل وعلى التراب قتيل قال فلما نظر سعيد بن جوال إلى إبن عمه وقد هلك صاح فى رجاله ونادى يا ويلكم خذوا عليهم المذاهب والطرق حتى لا ينجوا منهم هارب فعندها نظرت الخيل عن الشمال وقد طلبوهم بالسيوف الصقال مثل أسود الدحال وقوموا إليهم الرماح الطوال وكانوا اقد احتقروهم لما رأو قلة عددهم وقالوا إنهم مثل الذباب قدام الأسد اذا كان فى الغاب قال فنظر أبو دحروج إلى ذلك فقال فى نفسه كان لى أنا بهذا الفضول والهذايان حتى ألتجىء أنا الى مائة فارس من بجمعة العربان هذا وعنتر قد التقى الخيل بصدر الحصان وقد استقبلهم بحد السنان وصاح يا لعبس يا لعدنان ثم حمل فى اوائل الطليعة وكان فيها المقدم سعيد بن جوال فطعنه عنتر تركه مرمى على الرمال وسقاه كاس الوبال وصاح فى الالفين فارس الذين كانت معه وعمل الصارم المرهف وحل بالجبان التلف وكانوا اقد احتقروا عنتر وأصحابه ولما أن راوا طعنه وضربه أرادوا الانهزام واذا قد خرج عليهم الغضبان وداروا بهم من كل جانب وزعق فيهم عنتر وهمهم وماج الغضبان ومن معهم

وذل بالشجاع القدم وماج بحر المنايا والتطم وحامت العقبان والرخم تروم أكل بني آدم وفر الجبان وانهزم وخاض الشجاع بحر المنايا وقحم وكان صوت عنتر تحت العجاج كأنه الرعد إذا دمدم فكانت طليعة طود الإطواد بعد قتل القدمها الهمام قد كانوا وهلوا ولما بقيوا بلا مقدم فعندها دعست بني عبس فيهم كما تدعس الذئاب في الغنم وما أقبل الليل وخيم وبقي من الالفين من يمشي على القدم وقد صار والجميع على الأرض رمم قال ولما فرغ عنتر من ذلك الحرب والقتال وتفرقت الرجال والأبطال جمع عددهم وأسلابهم من جملة ما نهب هذا وابو دحروج قد تقدم إلى عنتر وقال له يا مولاي أعطوهم خيلهم ودعهم يمضون إلى صاحبهم يعلموه بما جرى لهم من هذه الامور والعطاء المليح والله لقد كانت عليهم خيول ميشومة ثم إنه قال له يا مولاي لقد أتعبت نفسك مع هؤلاء الاندال كنت إجعني أنا وإياهم حتى ترى ما يكون مني ومنهم وأي شيء قدر هؤلاء الكلاب حتى أجهدت نفسك في قتالهم فتبسم عنتر من كلامه وقال له أنا قد عرفت أنك فارس الحرب خبير بالطعن والضرب لكن إذا كنت أنا حاضر ما أدعك تقاتل ولا تتعبك ثم أن أركبه على فرس جيدة من جنائبه وسلم الجنائب والاسلاب إلى عشرة فوارس وقال لهم عودوا بهذه الاسلاب والخيل إلى العسكر فقال أبو دحروج يا مولاي إذا كنت عزمت على ذلك فانا أسير معهم وأسوق هذه الغنيمة الأموال لاجل أن أحميم فضحك عنتر من كلامه وقال له وحق ذمة العرب لا سرت إلا معي وبصحبتي ثم أنه قال لمن معه والله لقد انشرحنا بهذا الرجل في طريقنا انفرج همنا وغمنا وتعريفنا قال ثم إنه التفت إلى الفرسان الذي أنفذهما مع الغنيمة وقال لهم خذوه معكم واكرموه غاية الاكرام حتى نعود اليكم فقالوا سمعا وطاعة وطاروا يطلبون ناحية العسكر وأقام عنتر في ذلك المكان فهذا ما كان بن عنتر وما جرى له هو والغضبان واما ما كان من طود الاطواد القرنان فانه سار إلى وقت العصر ونزل في ذلك المكان وهو مطمئن القلب لاجل طليعته التي انفذها بين يديه ولما نزل جمع أصحابه من حواليه وقال لهم ما أظن سعيد بن جوالة الاقدسار وحده ليقضي الأشغال ويبلغني من الاعداء الآمال لاني أمرته أن يقيم في ذلك المكان والساعة نريد أن نسرع خلفه بالفرسان حتى نعينه على أخذ عمان ثم أنه أقام إلى نصف الليل وسير أحمال التزود مع خمسمائة فارس بين يديه وسار وجدوا في المسير وسرعة التشمير فسمع عنتر ورجاله زعقات الرجال فعلم أنه التزود فصاح في رجاله فتبادروا يطلبون الركوب وسار هو كأنه الفخ المنصوب وقد أتت رفاقه فرتبهم عنتر وترك الغضبان

عن يمين الطريق فى خمسين فارس ومازن أخوه فى أربعين فارس وصرخوا صرخة واحدة انفطرت لها السكبود وقد خرج الغضبان من على يمينهم برجال وخرج مازن عن يسارهم يطلب من الأعداء قطع آثارهم والكل ينادون يا لعبس يا لعدنان يا أوغاد غير أجواد اين تمضون من عنتر بن شداد انهم غاصوا فيهم بضرب مثل الحريق وجالوا عليهم بكل جول عتيق وكانت ليلتهم مظلمة كثيرة السواد معتمة لا يعرف الاخ فيها أخاه ولا يعرف الولد اباه وتصادمت الخيل وتعثرت فى سواد الليل وانطرحت على المهاد ودام كل من طلب الحرب يلتقيه أسيد بن ماجد ورفقته ويسقيه كاس منيته ويأخذ جواده وعدته فما قال طلع على القوم ضوء النهار حتى امتلأت من قتلاهم تلك القفار وجمعها بنى عبس اسلابهم وخيولهم ورحالهم وقد أمر عنتر بسوق الأنعام والأموال وسار وهو كثير الفرح والاستبشار وقد انشرح صدره وهو بغاية من السرور وما أمسى المسا الا وقد وصلوا إلى العسكر وأبو دحروج داير من حولهم وهم يضحكون عليه وهو يقوم لا تخافوا على هذا الأمير الذى بين أيديكم فلله دره ما أطعنه بالرماح وأما أخطفه وأنه قد فعل معى جميل لأنه قتل صاحب جزيرة قيصر سعيد بن جوال لانه كان يسبنى ويقهرنى ويأخذ منى حافى يدى ويضربنى فاراحنى منه ومن شره فالله يطيل عمره وقد سار يشق الناس إلى والخيام قال ولما استقر بهم القرار قسم عنتر الغنيمة وأعطى اصحابه من الأموال والرجال وقد زالت عن قلوبهم الكروب والآلام هذا وقد نظر ابو دحروج إلى أخذهم الأموال فوقع به الانذهال فتقدم اخذ فى سترا كبيرا من عمل الروم بجامات حسنة كبار جيد القيمة والمقدار وهو من الابريسم فيه صنايع حسنه وطرازات ملونة قال ولما أخذه وصار فى هذه تقدم إلى عنتر وقال يا مولاى اشتهى أن تهب لى هذا الستر يا فتى لأنى اريد أغطى به عيالى من برد الشتاء فتبسم عنتر ووهبه اليه فحمله ابو دحروج على كتفيه وصار من شدة فرحه به ينظر إلى جاماته ويرقص ويدعو لعنتر بالنصر والظفر ثم أنه أشار ينشد ويقول صلو على طه الرسول .

مولاى عنترة العبسى إن جلس — وإن غدا كان ذكر لنا حرسى
دحروج قد عاد بعد الفرق سمه — صار فوق جواد يسبق القوسى
اتيت لعنترة العبسى اطلبــــه — وانا أقول بفقرى د' وعسى
انعم على بستر فهو يسترنى — واخضر عود بعد المحل واليبسى

قال الراوى فلما فرغ دحروج من شعره قال يا حامية عدنا ما أنسى المكارم التي فعلتها معى ابداً ولا أزال أمدحك صباحاً ومساء هذا والناس يضحكون عليه وعلى ما يفعل وما يبدى من مقاله فهذا ما كان من أمر عنتر بن شداد وأما ما كان من أمر طود الاطواد فانه رحل في تلك الليلة وقد ضاق به البر والآكام وقد تقدم في أوائلهم رجل يقال له ضبية بن عامر وكان أميره ومقدم على عشرين ألف فارس فأمره بالمسير فسار وسير بعده مقدم آخر وسار وهو ومن معه من العساكر بعدهم وهم على هذا الترتيب والتدبير أمير بعد أمير وصار هو في الأخير كما ذكرنا هذا وقد جدت العساكر في المسير إلى أن وصلوا إلى المكان الذى أخذت منه الاحمال ونظر ضبية إلى الرجال مطروحة والأجساد على الأرض ملحة والجماجم منتشرة فوقف ووقفت العساكر إلى طود الاطواد وأبصر الجيش قد وقف فقال ما وقوف هؤلاء القوم فقالوا له ما نعلم فساق جواده وما زال يخترق الصفوف إلى أن قارب المقدم على العساكر وهو ضبية فقال له ما وقوفك هنا فقال انظر يا مولاى ما حل بالناس من المصائب والعنا فلما رأى ذلك بهت واحتار ووقع به الانبهار فنزل عن جواده وجعل يقلب القتلى فعرف أنهم من أصحابه فطارعقله وعاد إلى قومه وهو متحير من ذلك العمل فأتى ضبية المقدم على عسكره وقال له أيها الملك قتلت الرجال ونهبت والأموال وساءت بنا الأحوال فلما سمع طواد هذا الكلام أحمرت عيناه وقال يا ويلكم من فعل هذه الفعل وما فزع من سطوتى ولا خاف من هيبتى فقالوا له يا ملك الزمان ما هم بين يديك وهم أنفار قلائل فان كان عنتر قد قدم أصحابه وتقدم هو فى أوائل عسكره ينظر العساكر فرآهم قد ملأوا القفار وتتابعوا مثل موجات البحار وقد سدت الصحراء وكدرت المناهل والمياه وهربت من كثرتها الوحوش فى الفلا من كثرة الأبطال والجيوش فبينما طود الأطواد على مثل ذلك الايراد وإذا بجاسوس قد اقبل وصار بين يديه وقال له يا مولاى أعلم أن الأموال والأشغال قد تقاسموها الرجال وأما الأبطال الذين لك والرجال وجميع الاجناد فقتلهم عنتر بن شداد وهو الذى قتل سعيد بن جوال وأفنى من معه من الرجال فلما سمع طود الأطواد من الجاسوس ذلك المقال زاد غيظه وأكاده وعظمت مصائبه ونادى يا لها من محنة ما أعظمها ورزية ما أيشمها أكون أنا طود الأطواد ومالك الجزاير والبلاد وأطاعتنى ساير العباد ويعلو على سلخ من شلوخ من العرب الاوغاد وحق الرب القديم أن هذا الأمر من أعجب العجائب وسوف تتحدث به الرجال فى المشارق والمغارب ثم أنه أمر العساكر بالمسير فسارت وهو متفكر فى أمر عنتر وكيف أخذ ذخيرة العساكر ولم يزل سائراً إلى

أن أشرف على جيش عنتر وطلع غباره واعتكر ولما نظر عنتر إلى العساكر الذين ملأت الآفاق ركب فى رجاله الذين يعتمد عليهم وفى أوائلهم ولده الغضبان وقد تقدم فى مقدمة الفرسان ينظر إلى طود الأطواد فرآه وهو مقبل فى كتائبه كأنه الأسد الجردان ولم يزل إلى أن نزل وضرب له سرادق وضربت من حوله القباب والخيام وأبصرهم عنتر داخله فيه الطمع فحمل وحمل ولده الغضبان فى خمسين فارس وقد تبعه مازن فلما رأى طود الأطواد إلى ذلك أمر الف فارس أن تدور بعنتر هو وأصحابه حتى لا يهربوا فقبلوا رأيه وسمعوا مقالة وركبت الالف فارس من خيار قومه وحملوا على عنتر فتلقاهم وضرب الاول بسيفه الضامى القاه إلى الأرض وكان خلف عنتر الأخر خمسين الف فارس فقال لولده الغضبان أكفنى انت يابنى مؤنة أتى من خلفى وكن أنت من خلف ظهرى وأنا أكفيك مؤنة من يأتى من بين يديك فقال له ولده الغضبان سوف أريك ما تقر به عينك ثم حمل الغضبان وتبعه عمه مازن والخمسين فارس وكذلك فعل عنتر وقد تلقى الفرسان بحسن ضربه وطعنه وقد رأت منه عساكر الجزائر ضرب متواتر وطعن يعمى النواظر وأصحابه كذلك فتعجبوا غاية العجب وفاض الدم وانسكب وعمل السيف فى السودان والعرب وما أقبل الليل بظلام الغيهب حتى قتل من عساكر الجزائر ثلثمائة فارس من رؤسائهم وكبرائهم وأبطالهم وشجعانهم وعاذوا وقد بان عليهم ذلهم ووبالهم وما صدقوا أن يخلصوا من ضرباتهم وقد رجع عنتر وولده الغضبان وقلبه يخفق من الرجفان وعادوا إلى الخيام وقد تولى حرسهم عنتر بنفسه وأوقد النيران بعد أن أكان فى اوائهم فارسين فى الخيام وقد تولى حرسهم عنتر بنفسه وأوقد النيران بعد أن أكلوا شيئا من الزاد بمقدار أقوى ولا أشد من هؤلاء الفوارس ولقد قاتلوا وما قصروا وقد كان فى اوائلهم فارسين مالها فى العساكر مثال وهما الذين التقوا الطوائف والأبطال ثم أنه احضر بقية الألف الذين سلموا من قدام عنتر وضرب منهم عشرين رقبة وقال لهم ياأوغاد لا أمجاد أنتم قد أخرقتم حشمتى وضيعتم حرمتى وقاتلتم رجالا من أشكالهم ولا يشبوّن عند ما يزدوه من الجواب ثم أن طواد الاطود كتبت كتاب يقول فى أوله باسم المسمى بالعزيز الرازق أما بعد فان الشجعان على أمثالها وإن كنت أنت من أشكالها فقد وصفت شجاعتك وقد رأيت اليوم طرفا من براعتك فان رأيت أن تمحو ذنوبك والآفات تبادر الامر قبل الفوات وتاتى إلى واجلا وتطأ بساطى عاجل فان فعلت ذلك أو لبيت الجميل

والإحسان وأوصل اليك كل ماتريده من النعم والامتنان وأطلق الك أولادك وأسر باطلاقهم فؤادك وأردك إلى أرضك وبلادك أنت ومن معك من أجنادك ولا ولا تخالف هذا الكتاب الذى أنفذته لك مع الرسول واسمع منى ما أقول قبل أن تمسى وأنت مقتول وما يصبح عليك الصباح ألاوتنهب جسدك السيوف والرماح وتصير ممددا على البطاح وتهلك مع جملة العساكر والكتائب إذا انطبقت عليكم المواكب وإن كنت تظن شيئا غير هذا السبب لقد سمعت شاعر العرب حيث يقول صلوا على طه الرسول

ومن لم يصافح عن أمور كثيرة يطعن نائبات ويوطىء بمخدم
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتموا وما هو عنها بالحديث المترجم

والذى أعلمك ياعنتر أنى ما أرسلت هذا الكتاب اليك إلا شفقة منى عليك فان قبلت قبلت ما قلت لك فقد أهديت وحلت بك السعادة ونجيت وأن خالفت فتكون على نفسك قد تعديت وفى حاجة الملوك قد توانيت وتمديت وفى تدبيرك قد أخطيت فانظر بين يديك ولا يلعب العجب بعطفيك (قال الراوى) ولما فرغ من كتابة ذلك الكتاب الغاشم المرتاب ولا يمضى إلا وأنت متجمل بالزينة الفاخرة والنعمة الظاهرة ففعل الحاجب ما أمره به طود الاطواد وسار قاصدا إلى ناحية عنتر بن شداد وقد كان والعشائر فالتقوهم فى الأول عساكر الجيشة وقد علما أنهم رسل فاستاذنوا لهم من عنتر فأذن لهم بالدخول قد خلوا عليه ورقفوا بين يديه وسلموا عليه وكان عنده مجيد مالك هو وجماعة من عساكر يكسوم الجياد وهو يطلب قلوبهم ويوعدهم بكسر عساكر طود الأطواد وهم على ذلك الإيراد وإذا برسول الثلاثة رسل قد دخل عليهم ولما نظر إلى سيد بن ماجد فقرأه حتى اتى على آخره وسمع عنتر مافيه من ذلك الكلام البارد الذى ليس له ولا عليه معول ولا معنى فتبسم من وسط الغيظ قال الأانه لما فرغ من قراءته وفهم عنتر مافيه وعرف لفظه وما يعنيه أمر ولده الغضبان أن يقوم إلى الرسول ويقطع أذنيه وأذان معه من رفقاته لأنهم كانوا قد أكثروا بين يديه من الفضول وأمر أن يأخذ جميع مامعهم أرجعوا إلى أصحابكم وقولوا له يجهد جهده ويفعل أشد ما عنده فان كان يزعم أنه طود الأطواد فانا عنتر بن شداد اتصادم أنا وأياه فى الميدان ويرى مايحل به وبعساكر من الذل والهوان قال الراوى وكان أبو دحروج حاضر وهو ينظر ماحل بالرسول وماجرى

عليه من الأمر المهول فقال لعن الله بأسباله المقتول وقد أتى إلينا هو و من معه فى وقت مخذول
وصادف مجمعهم أقول هذا والرسول قد عادهو و من معه باشم عودة وأعظم أنكاد من عنتر
ابن شداد ولم يزل هو و من معه حتى دخلوا على طود الاطواد وأعلموه بما جرى عليهم من سوء
الأحوال والأسباب فلما رآهم بذلك الشؤم والارتياب وسمع منهم ذلك الخطاب كاد أن يقتل
من شدة الاحقاد ثم سألهم عن رد الجواب فقالوا له ما يحتاج إلى عتاب أى شىء تريد أعظم من هذا
الجواب فعندها زاد الالتهاب وعظم حنقه والمصاب الذى ما حد من بنى عبس ها به ولا خاف من
نقمته وعذابه فتقطعت به الاسباب وصار هو و من معه فى كلا وارتياب بقية ذلك النهار وبات
تلك الليلة إلى أن أصبح الله بالصبح وأضاء الكريم بنوره ولاح فأمر الملك طود الاطواد النقباء
أن تنادى فى العساكر بالركوب إلى الحرب والكفاح وأن يظهر وأما أن يقدروا عليه من العدد
والسلاح قال فعند ذلك ركبت الابطال والعساكر وتبادرت الفرسان والدساكر ودقت
الكوسات ونعرت البوقات وانتشرت الاعلام والرايات وارتجت الارض من شدة ركض
الخيول وامتلأت الارض بالعساكر لاجل القتال طولا وعرض واصطفت الصفوف
وترتبت المائة والالوف وأشهروا فى أيديهم السيوف وقوموا الرماح فى الحرب والكفاح
وقربت الرجال من الرجال وازدحموا فى المجال هذا وعنتر الآخر قد رتب عساكره ودساكره
فجعل فى الميمنة ولده الغضبان وجعل فى الميسرة أسيد بن ماجد فتى الفتيان ووقف هو من القلب
بين الطائفتين وأوقف مجيد بن مالك على تل عالى حتى يبقى ينظر اليه وأمر أصحاب
الرايات والاعلام أن يدوروا من حواليه وأراد عنتر أن يبرز إلى الميدان فما أمهلت
عساكره ولا عساكر طود الاطواد بل أنها حملت مثل موج البحر تطلب الحرب
والطعان وكانت الحملة بأمر طود الاطواد وتدافعت الخيل وتملك وطاشت العقول
وتخيلت وقد تصادمت المواكب واختلفت الدماء من الادواج والصدور وولده الغضبان
فيا فعلوا ذلك اليوم من الابرام والنقض لما حملت الفرسان على بعضهم البعض فى مقام
الطعن والضرب والركض وقد مديده إلى بلوغ الامال فاطال وخسف القمر من الزوقان
واثقل عطارد وسل سيفه على مريخ الفلك فاهلك الرجال ونزلت منازل السنبلة على سرطان
الفلك لنقصر الرجال وكانوا بعد اجتماعهم تفرقوا بين أحقاف الجبال ولم يبق لهم بعد ذلك
إحتيال وجرى الدماء كالغيث الهطال وامتدباع الاسد بعد غمد النصال ولم يدرك الانسان
ذلك اليوم انفصال ومال كوكب العقرب ولسع زبان الرزايا على الفارس فال والجبان انهزم

وترك القتال وذات أكابر طود الأطود إذلال الذليل المهان ولاح علم النصر مقابل الزهرة فاجرة الدماء كالغيث الهطال ولازالوا فى ضرب الحسام وتجريع الموت الزؤام هذا وقد أبصرت عساكر طود الاطواد من بنى عبس القتال الشديد الذى ماعليه من مزيد فحل بهم الانكسار لانهم عاينوا منهم طعنا يفك العلائق ويفتت الاكباد وعساكر الحبشة عليهم قادمين وعلى هلاكهم عازمين فلما رأوا منهم ذلك الأمر المهين عادوا وهم خاسرين على مافعلوا من أمرهم قادمين وعلى الهرب معولين وعادت بنى عبس وهم آمنين فرحين وكان ذلك بوجود عنتر وأولاده وأصحابه أجمعين لانهم فى ذلك اليوم صاروا يخوضون الغبار ويكفوا عن أنفسهم العار والذل والشنار ويضربوا فى وجوه أعدائهم بكل صارم بتار وجعلوا يطلبون أصحاب الاعلام فيقتلوهم وقد حيروهم بفعلهم وأذلوهم ولم تزل طاحون الحروب دائرة وهى على القوم تدور الاوداج بالدماء تغلى وتفور وملك الموت عليهم بكاس الحمام بالانهمال وأقبل الليل بالانسدال وقد كلت الخيل والأبطال من الطرد والمجال ودقت طبول الانفصال وعادت الفرسان عن الحرب والقتال وعاد كل فريق إلى مقامه ونزل كل عسكر فى خيامه هذا وقد قتل من العسكرين مالا تحصيه الأقلام ولا يعلم عددهم إلا الملك طواد الاطواد من شدة مانزل عليه نزل عن سرير ملكه وجمع خواص عساكره إلى بين يديه وقال لهم ياقوم ما كان فى حسابى أن تشتت بين أيدينا فى هذه الطائفة اليسيرة ونلتقى منها هذه الأمور الغزيرة وما فلنا أننا نخسر فى قتالهم هذه الخسارة الكثيرة وإن لم أخرج أنا فى غداة غد إلى الميدان وأهلك منهم الأبطال والشجعان وإلا ضعف الذين كانت فى أوائلهم عند القتال والحرب والنزال ماكان طال لنا معهم مطال ولا مكان جاء عليهم آخر النهار إلا وقد تركنا الديار منهم قفار لهم إذا ماكان الأمر على هذا الحال فلا بد منا أنزل اليهم وأطلب منهم الحرب والقتال ثم أدعوهم إلى البراز والنزال وانظروا كل وحد يرد فى الحرب الذين إلا أنهم فى شجاعتهم ما رأيت لهم خبرة بالحرب والمجال ولا معرفة بلقاء الأبطال ولكن جسورين على لقاء الاهوال فاذا برزت أنا فى غداة غد إلى الميدان طلبت الحرب والطعان أول ما ابدا بهلاكهم ودمارهم وأقلع من الدنيا آثارهم وبعد ذلك أحمل على عساكر يكسوم وأصبحهم صباح يكون ميشوم وأغرق بالسيف دماهم وأتركهم عبرة لمن يراهم ثم أنه بات تلك الليلة يتقلى بالشر وقد ناله منال وهو فى

الحزن الزائد المقيم فهذا ما جرى لمسملك طود الأطواد (وأما) ما كان من عنتر بن شداد فانه بات يحرس العسكر ويدور من حولهم وهو فرحان مستبشر وكانوا أخذوا من أعدائهم جماعة فاوصى أصحابه بالحفظ عليهم من تلك الساعة وقال لهم من كان عنده أسير يبذل فى حفظه اجتهاده وكان اراد بذلك أن يفادى بهم أولاده ولما كان عند الصباح ثارت الرجال إلى ظهور الجرد القداح وقد لبست السلاح وجواشن ودروع وخود ملاح واحترزت على الأرواح وتعدت الميامن والمياسر وتركبت العساكر والدساكر ولما اكتملت الصفوف وتقدمت المائة والألوف خرج من عسكر طود الأطواد شرذمة كبيرا وقد ترجلت عن ظهور الخيل وطلبت الميدان وكلهم رجالة غير فرسان فطار ولهم عنتر لينظر ما الخبر وإذا هو بطود الأطواد قد ظهر بين تلك الرجال وهو سائر كانه النمر الحردان ولما صار فى وسط الميدان وعادت عنه تلك الشجعان وقد اشتروبان وصال وجال بين الصفين وهو مثل الأسد الكاسر أو مثل الليث المغاور غارق فى الحديد غارق فى الزرد النضيد لا يبان عنه غير نقل عينه وعلى صدره أدرع من الزرد ضيق العيون كثير العدد لا يعمل فيه السيف المهند والرمح الممدد على رأسه خوده عاديه منورة مجلية لها برق ولمعان كالشمس المضيئة وهى قديمة بهلولية تردمضارب السيوف الهندية وفى يده سيف دقيق الشفرتين كما قال فيه بعض واصفيه حيث قال

وممهـــند يغشى العيون برقة ... أن المنايا دائمة فى حده
فكانما خلق المنون والقضى ... يوم اللقا وقفـا على فرنده

قال وتحته جواد أدهم مرسوم معلم كانه الغراب الاسحم أسود من الليل إذا أظلم يسمع له صوت وخبم إذا حجم إذا صهل كاد أن يتكلم وهو غاية المغنم قد كمل من الوصف النهاية ووصل حده إلى الغاية فالسعد معقود بغرته والبرق لا يكاد أن يلحق بغبار ظهره حصنا لراكبه حريص عند العثار إذا همزه صاحبه سار وان أطلق له العنان ثار أعلاه وأسفله جندل غرته كانها القمر وزعقته كاسد إذا هدر وزمجر وكان جبينه جبين سرحان ووطأه وطة النمر الحردان وإذا مشى على الصخر تقدح من حوافره النيران كانه القبة المبنية أو العروسة المجلية كما قال فيه الشاعر حطيه

وأدهم يحكى ظلام الدجى ... محجل لاربع ثقيل الكفل
وإذا جرى ضاق عليه الفلا ... واجتمع السهل له والجبل
وخلف البرق على أثره ... يسأله عن ريح الصبا أين رحل

(قال الراوى) وكان ذلك الجواد من نسل الخيل الجياد وهو بركاب من الذهب الأحمر

مرصع بأنواع الدر والجوهر لايقدرون على مثله الا كسرا أوقيصر قال الناقل وللمصار طود الاطراد في الميدان لعب بين الصفوف وهو بهذا الزى الموصوف ولما هدى شمث الحصان عاد إلى أن وقف فى وسط الميدان ومعترك الجولان وطلب البراز والنزال وهو بذلك القد والهيكل كأنه قطعة من جبل فلما رآه عنتر إنسر به واستبشر وارتاح فؤاده وأمل أنه يأسره ويفك به أولاده الأسر فعند ذلك أطلق عنان الأبجر وطلبه مثل القضاء والقدر ولما ساواه فى الميدان ومقام الضرب والطعان قدا بن عريكة الخصان وتذكر دياره والأوطان فزاد به إلى بنت عمه الهيمان فعند ذلك جاش الشعر بخاطره فترنم بما كنت عليه ضمائره وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

لقد قالت عبيلة منذ أورتنى — ومفرق المنى تحاكى الشعاع
كبرت وكنت يا إبنة العم قرم — أبيد القروم فى وقت الصراع
فقلت لها سلى الأبطال عنى — إذ ما انفتح باب القراع
أنا العبد الذى سعدى ومجدى — يفوق إلى السها فى الارتفاع
سمقت إلى عنان المجـــد حتى — علوت ولم أجـــد للخلق ساع
وآخـــر رام يسعى كسعـــيى — وجد يريـــد سبقا فى اتباع
فقصر عن لحاقى فى المعـــالى — وما تحجبت مساعيه المساع
ويحمل عدتى فرس أصيل — أقدمـــه إذا كثر التـــداع
وفى كفى ثقيل المتن عضب — يداوى الرأس من ألم الصداع
ورمحى كلمـــا هزتـــه كفى — تلوى مثل تلوية الأفاع

ثم أطود الأطواد أجابه وجعل يقول ونحن وأنتم نصلى على طه الرسول

خليلى كيف عن لومى وعذلى — فانى للمـــلامة غـــير واع
وكيف تقر حشاشة قلبى — أسير فى يدى ذات القناع
كصوب طفلة خودى رداح — دعتنى فى محبتهـــا الدواع
رمت بسهام مقلتها فؤادى — غداة البين اذا طلبت وداع
فقلت دعى البكا فلقد حرقنى — لفلت ثـــابت يوم القراع
صبور يوم تختلف العوالى — شجاع لا يمل من الشجاع
إذا مالامه فى الحرب جيش — أقام على رؤسهم النواح
وأوردهم بسيـــف مشرفى — يقد بحـــده أدم البقاع

أنا طود الذى قد شاع ذكرى من الاطواد فقد زاد ارتفاع

قال الراوى ولما فرغ طود الاطواد من شعره وانقض بعد ذلك على عنتر وصرخ فيه صرخة تفلق الحجر فأجابه عنتر بصرخة أعظم من صرخته ثم انطبقا على بعضهما بعض وجالا فى حومة المجال طولا وعرض وقد التقيا والتحما مثل الغمام وأخذ فى معاملات الطعان والصدام والافتراق والالتزام والتأخر والإقدام هذا وقد اختلف الطعن بينهما ودام حتى تزلزلت الأرض بينهما من تحت الاقدام وغابت خيولهما عن أعين القربين تحت القتام وصار لا يرى منهما غير لميع الحسام قال وفى دون ساعة من النهار اختبر بعضهما بعض غاية الاختبار وزال الطمع من رؤسهما وما كان غير قليل حتى ضرب الهواء فوق رؤسهما وقل الانتصار وتعجبت النظار وقد ذكرت الراوون من اصحاب المعرفة والانساب ما جرى لاحد من فرسان الجاهلية من سائر العباد مثل ما جرى للملك طود الاطواد وعنتر بن شداد لانهما كانا فارسين شجاعين وأسدين ضاربين وجبلين متقابلين وبحرين ذاخرين وخوتين متهاشين وكبشين متناطحين وقد اجتمعت سائر الاوصاف والاوراد فى الملك طود الاطواد فى عنتر حية بطن الواد وقد تعجبت الطائفتين بما رأت فى ذلك اليوم من المبارزة بألفين وعاينت ضرب يوصف وطعن قد اختلفت وقد جرى بينهما ما يشيب رؤس الاطفال وتزلت من زعقاتهما الجبال ولم يزالا كذلك إلى أن كادت الخيل أن تهلك من شد الجمال وقد أبصر طود الاطواد من عنتر حرب ما خطر له على بال فجعل يحترز من مضاربه ويقاتله ويحاربه وكان عنتر أيضا قد أبصر من خصمه فارس ما أبصر مثله فى سائر الاقطار إلا أنهم لم يزالوا على ذلك المثال وهم فى عراك وقتال إلى أن غربت الشمس وأذن الله النهار بالارتحال هذا وقد ضجت العسكرين من المطال الا أنهما ما أمسى المساء عليهما حتى صار كل واحد منهما ما يعرف أحسن الدهر أم اساء وصار كل واحد منهما ينظر إلى صاحبه شذرا ويرمقه حذرا فقال طود الاطواد لعنتر بن شداد وحق ذمة العرب الاجواد لقد أشد مراسا ولا أثبت أساسا وهذا الليل قد ضرب علينا خيامه وأقبل بظلامه فهل لك أن تعود إلى قومك وأعود إلى عسكرى ونطلب الراحة ونعود إلى الصباح إلى ما كنا عليه من الحرب والكفاح فقال له عنتر لا وحق مسير الرياح وقابض الارواح هذا وانت تدعى أنك ملك هذه الأرض ذات الطول والعرض فكيف يجوز لك الإقالة من القتال وتقول مثل هذا المقال فى الحرب والقتال وأنا وحق البيت الحرام وزمزم والمقام والمشاعر العظام

ما بقيت أبرح من هذا المقام الذى هو مقام الصدام إلا بالانفصال (قال الراوى) وربما نقل أصحاب الروايات أنه كان عنتر فيه سر خفى لا يعلمه إلا الذى ركبه فيه وكان من بعض مساعيه و أنه كان إذا انتهى به التعب مع خصمه من شدة القراع وانفصلا عن بعضهما بعض وسار بينهما من الاتساع باع أو ذراع زال عنه تعبه واشتد بقدرة الله عصبه وكأنه لم كان ويشتاق إلى الحرب والطعان كما كان فى أول الحال وان أبصر خصمه وقد قصده فى الاقالة من القتال أجابه إلى مقاله وبتحلى عنه ولم يقصد معه الإطالة خوفا من البغى وسوء العاقبة لأنه يخاف إذا ظلت منه خصمه ولم يطعه إلى ذلك ويبغى عليه ربما تحل به نائبة فلما سمع طود الأطواد من عنتر ذلك الكلام قال له ويلك يا أسود يا زنيم إعلم أن هذه خيلنا قد هلت من القتال وكلت من كثرة المجال فانزل بنا إلى وجه الأرض فى هذه الساعة وتأخذ لنا نحن والخيل راحة فأجابه عنتر إلى ذلك وثنى رجل وترجل فعند ذلك فعل الآخر مثل ما فعل ونادى كل منهم أصحابه حتى يأتوه بشىء من الزاد يسد به الرمق هذا وأبو دحروج قد عاين فى ذلك اليوم من طود الأطواد وعنتر بن شداد ما أذهل منه البصر وأعدمه الرشاد ولما رأى منهم الهول المهول تقدم إلى الغضبان وبجيد بن مالك وقال يا مولاى وأى شىء كانت الفائدة من قتالنا لهذا المجنون الذى ظفر بنا وسقانا كاس المنون وان لم تعودوا بنا إلى عمان وإلا رجعت أنا وتركتكم لأن ما فى قتالنا لهذا فائدة ويحل بنا منه الخسران وإن قتل طود الأطواد لهذا عنتر بن شداد حر بنا التوفيق وجاء تا من البلاد ما لا نطيق فصاح الغضبان اسكت يا قرنان اسكت الله حسك ولم تزل تقرأ علينا كتب الآفات يا ويلك قم أخرج إلى أبى واحمل إليه شيئا من الزاد وخذ منه الجواد فلما سمع أبو دحروج من الغضبان ذلك المقال تملقت روحه إلى حلقه وتغيرت منه الأحوال قال يا مولاى ابعث هذا مع غيرى من العرب فانافى بطنى مغص وقد ثار على فى هذه الساعة فقال له الغضبان لا تطل الشرح ولا تكثر من العتاب طب وحياة رأس أبى عنتر بن شداد ما يمضى إليه إلا أنت فى هذه الأسباب فعندها خرج أبو دخروج وسار بالماء والزاد إلى عنتر بن شداد حامى البلاد وهو يمشى خطوة إلى قدام وثلاثة إلى وراء كأنه فى ذلك الشغل حردان وهو يقول يارب اكفنى شر هذه الليلة فانى ان سلمت فى هذه المرة لم أبتا عندهم سوى هذه الليلة هثما ور يزل سايرا حتى وصل ما معه إلى عنتر بن شداد فرآه قاعد على ركبته مثل الأسد القسور وهو متفكر فيما يريد أن

يجرى بينه وبين هذا البطل الغضنفر فلما سار عنده سلم عليه وخدم وضع الزاد بين يديه بعد ماتقدم اليه وقال له أبصر أنت غدا كيف يكون الحرب والجلاد فاننا نريد نتقوى بك على هذا النحس طود الأطواد فرآه وهو جالس على ركبتيه وحسامه مجرد بين يديه وهو كانه أسد من الآساد وهو يزمجر ويقول وحق اللات والعزى لا تركت أحدا يعود إلى عمان فقال أبو دحروج يامولاى لا تواخذنى بما فعل هؤلاء الملاحيس فانا غلامك أبو دحروج ولى عليك حق خدمة وقد سرت مع هؤلاء القوم المدبرين وقلت فى عقلى لعلى أن أكب منهم شيئا أعود به إلى أهلى فبحق اللات والعزى إذا أهلكتهم لا تهلكنى معهم وتنزل به حرمانى وأنا أشرت عليهم ألا يقاتلوك فما قبلوا هذيانى ولا شقشقة لسانى قال فلما سمع عنتر من أبو حروج ذلك من كلامه وقد علم أنه ناقص عقل ووداد فلم يتكلم وأكل ماأتاه من الزاد وكذلك فعل طود الأطواد وأقاموا على ذلك الحال حتى أصبح الصباح وأقبلت العساكر حتى ملات تلك البرارى والبطاح ثم ركب الفارسين على الجرد القداح وتقلدوا بالسيوف والرماح ولما تقابلا صرخا صرختين عظيمتين حتى سمعتها الطائفتين والتقيا الاثنين كانهما جبلين ثم التطما كانهما بحرين وجال فى ميدانها وعظمت بينهما الأحقاد وظنوا الفريقين ان السماء قد انفتحت أبوابها وأن المواعيد حقت ونزل على الأشقياء سخطها بما قاسوا بعد القتال والكفاح وقد جودوا على الأرض عوامل الرماح وتقلبا على الجرد القداح وجرت لهما ساعة تقشعر لها الحسد ويلين من قوتها الحجر الجلمود ويشيب من هولها الطفل المولود ويعرف الانسان منهما مرارة العدم من حلاوة الوجود والتصقا التصاق جبال الأحد وافترقا افتراق وادى زرود حتى قيل فى حقهما أنه ما بقى منهم أحد يعود وتقلبا على ظهور الخيل من وسط السروج حتى تعلمت الأبطال منهما حقيقة الدخول فى الحروب والخروج فلله درهما من فارسين لانهما حيروا بفعلهما كل عين وقد أظهروا فى الحروب بواطن الخداع فى القراع وهتكا ستر الفروسية وكشفا للناس القناع حتى خيل للناظرين أن خيلهما قد تعلقت بالأفلاك مثل شياطين الأرض الذين لا يفزعون من الهلاك وقد أخذا فى الكر والفر والمستقر والهزل والجد والصد والرد إلى أن دار بينهما الابرام والنقض والمعاركة والمشابكة والملازمة والماحكة وسارا يأخذان تارة فى الميمنة وتارة فى الميسرة وتارة تجرى بهم الخيل جنبا وتارة قهقرة وبقى الحر بينهما أشد من النار

المسعرة وقد اختلفا بينهما الطعن والضرب حتى تقطعت من أيديهما الدرق ولمع صارم المنايا فى أكفهم وبرق وكثر منهما الاضطراب والقلق وذابت القلوب بنيران الحرق وسبحت الجوادين فى بحرين من العرق وقد نشطوا فى جريهما حتى صارا كالعلق هذا والعسكرين قد فتحا لها فى الحرب ميدان المجال وقد حارت أبصار الأبطال وانزهلت أعين الفريقين وزادت بهما الأهوال من تلك الأعمال إلا انهما لم يزالا على ذلك الحال إلى أن حمى عليهما النهار وزد الانهار وصارت الشمس فى قبة الفلك وزاديهما العطش والظما وتلهفت الاكباد على شربة من الماء وقد أرموا من أيديهما الأسياف وقد أيقنا بالويل والتلاف وفى عاجل الحال فى حال تقابضتهما تعلق طود الأطواد بأكتاف عنتر بن شداد وقد جذبه اليه وأظهر الصبر والجلد فانشب مخالبه فى الدرع الذى عليه والزرد فوصلت أظافره إلى جلد عنتر فاحرقت جلده واحلت به النكد فلما أحس عنتر بالألم الذى قد نزل عليه تجرد وقبض بيده اليسرى على رقبة طود الأطواد ونادى وقال يا محمد يا محمد النبى الممجد وقبض عليه بقوة ساعده وزنده وكان بقدرة الله تعالى ومشيئته وبركة النبى الذى استنجد به ثم انه جذبه فكاد من شدة الجذبة أن يخلع رأسه ويخمد أنفاسه ثم انه تمطا وكبس يده اليمنى ولكمه فى صدره فكسره وألقاه إلى الأرض على ظهره (قال الراوى) لقد أخبرنى من أثق به وأعتمد فى كلام الصدق عليه وكان كلامه عندى محقق إنه لما لكم طود الأطواد ودخلت يده إلى خد المرفق وقد حلت بهمن تلك اللطمة الآفات وعظمت به البليات وفى عاجل الحال طلعت روحه ومات وكان ذلك ببركة استنجادة بصاحب الآيات المعجزات الظاهرات ثم انه قفز عنه لما وقع وعلم انه قلت فيه القوات وابصرح بجعل عنتر ينادى يا لعبس يا لعدنان لا شقيت أبدا على طول المدا ولا أشمت الله بى أحدا من العدا ثم انه عاد إلى ظهر جواده وحمل وغاص فى وسط العسكر هذا وقد علت من بنى عبس الزعقات وقد رفعت الصيحات وحملوا حملة واحده وقد تبعتهم عساكر الملك يكسوم كانت لهم مساعده وهم من فعال عنتر متعجبين وبقتل طود الأطواد مستبشرين قال لما نظرت عساكر طود الأطواد إلى ملكهم قتيل وهو على وجه الأرض معفر جديل زاديهما الويل والذل والتنكيل فوطنت على الموت أرواحها وعولت أن تكون ثابتة على حربها وكفاحها فما كان ذلك إلا بمقدار ثلاثة ساعات من النهار فلم يجدوا لهم على حرب بنى عبس طاقة ولا اصطبار فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وطلبوا إلى ناحية بمنازلهم والديار فتبعهم عنتر ورجاله ساعة زمانيه إلى وقت الاصفرار والعصر فعاد عنتر عنهم وقد أنزل بهم الحصر ولما عادوا من خلف المنهزمين جمعوا الاسلاب واحتووا على

الأموال والأسلاب وقال عنتر لابـــد لى أطلب بلاد الأعادى حتى أخلص صديق عروة وأولادى فعند ذلك تقدم أبو دحروج وقال له يامولاى ومن هو الذى يمنعك عن ذلك وكل من عارضك فى هذا الأمر أنزلت به المهالك وها أنا معك فى أول الجيش والعساكر أضرب بين يديك بهذا الحسام الباتر وأنا أشكر الرب القديم الذى أرحتنى من ذلك الكلب الزنيم قال فلما سمع عنتر كلامه وخرافاته فقال له ياويلك ياشيخ السوء أما كنت البارحة تقول لطود الأطواد أناغلامك أبودحروج قد أشرت عليهم أن يقاتلوك فما قبلوا منى فبالله عليك إذاهلكتهم لاتهلكنى وفى قصتهم لاتشركنى واعطف على من دونهم واجرفى ورق وارحمنى لانى مارحت اليهم قال الراوى فلما فرغ عنتر قال لأبى دحروج فأنا أريد أن أنتف منك السبال وأدورك على اليمين والشمال جزاء على هذا المقال بين الرجال فلما سمع العربان عن أبودحروج من عنتر ذلك الكلام أيس من روحه وأيقن بشرب كاس الحمام فتأوه وبكا وزاد فى الانين والاشتكا باهتمام وقال يامولاى وحياة راسك والبيت العتيق أيها البطل الهمام ماكنت الامستهزئا بذلك الكلب الزنديق ابن اللئام فلاتؤ اخذنى بحياة رأسك فى هذا الكلام واعف عنى فى هذه النوبة لعل برحمتك على فى تلك الطريق لانى لك رفيق وأنا معك مساعد قال فضحك عنتر ثم قام عنتر فى لك المقام إلى ان اصبح الله بالصباح واضاء بنـوره ولاح امر العسا كر بالمسير والرواح فساروا طالبين جزيرة قيصر وهو قدامهم وقلبه على اولاده يكاد ان ينفطر وقد تذكر محبوبته عبلة وجيرانه فجاش الشعر بخاطره فباح وكنت عليه ضمائره ثم انه انشد وجعل يقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول

طال لعبـــلة بالحجاز مقيم	شرفى لساكنه القـــديم قديم
مكانه معرفة الزمان تقادمت	عهدا وقلبى فى الديار مقيم
وإذا اتوا كل المشيرة لم ازل	بـــالنصر منى مسرور حميم
قسو به وبقل جمع اعدائنا	حتى يعود فى التخوم رسوم
سلى بنى كنده وقحطان وقـد	وافى على بجميعهم يكسوم
فقدوا هزايم الديار وقد ستهم	بكتـــايب على القى معلوم
من آل عامر مع هوازن قاتلوا	عنى وقد كثرت على خصوم
وكذلك فى حصن العقاب لقيتهم	ورجعت فى سيل الدما ماعوم

وردت أعدايا وعــدت مويدا … بغنائم لم يحوها التقويم
وشبيط قــد خلفته يوم الوغا … مني عــديم وجيشه مهزوم
وكذلك طود الأطواد قد خلفته … من لكمتي ملقى وهو مرغوم
تنهشه العقبان من جــو السما … وكذلك الغربان وهى تحوم
فأنا من بني عبس الكرام وهمتي … تعلو الأنام فمن لذلك يروم

قال الراوى هذا وعنتر لما فرغ من شعره سار يقطع البرارى والقفار مدة سبعة أيام وهم يقطعون ذلك البر الأقفر وفى اليوم الثامن أشرفوا على الجزيرة المسمية بجزيرة قيصر فلما قاربوا منها أشهروا العدد وأظهروا السلاح والزرد وقد تقدموا إلى البلد قال وبما وقع من الاتفاق قبل هذا الكلام ان طود الأطواد قبل رحيله من تلك البلاد كان قد ولى على
وقع من الاتفاق قبل هذا الكلام أن طود الأطواد قبل رحيله من تلك البلاد كان قد ولى على
جزيرة قيصر بطل همام يقال له الشامخ بن سعيد وكان رجلا شديدا وبطلا صنديد وهو عاقل مقدام وليث قمقام وكان له رأى مصيب وهو شجاع نحرير وبنوايب الدهر خبير وكان قد تخلف معه فى الجزيرة من العسكر خمسة آلاف فارس وسار طود الأطواد وتركه مكانه فى تلك البلاد ولما جرى له ما جرى ورجعت المنهزمين اليه واعلموه بما قد تم على طود الأطواد وعساكره وهلاكهم على يد عنتر بن شداد قال فلما سمع بذلك الخبر علم أن العساكر لا بد لها من المجيء إلى الجزيرة فجمع أهل البلد ومن يليهم من العساكر قال لهم يا بنى عمى انتم تعلمون بما كان من طود الاطواد من الشجاعة والبراعه وقد بلغنى أنه قتله هذا الذى يسمى عنتر بن شداد وقد علمت أن هذا الاسود لا بد له من القدوم علينا وقد خطر لى رأى من الصواب والامر الذى لا يعاب وهو انى من وقتى هذا اطلق أسراه وأخلع عليهم فى هذه الساعة وأخرجهم وأخرج معهم من بناتنا ونسائنا جماعة ونطلب منهم أن يعفوا عنا وتحسن اليهم ونعطيهم الطاعة فأنا أعلم أننا إذا فعلنا ذلك تدوم علينا بلدتنا بحسن الرأى وجودة القناعة لاننا قد سمعنا ما فعل مع الملك يكسوم بعد ما أساء اليه وكيف حامى عنه بعد ما اخذ بلده اليه فقالوا له أصحابه نعم الرأى الذى دبرته فلا أحد منا يخالفك فى المقال ثم انهم أمروا باحضار الاسارى وقد خلعوا عليهم الخلع الملاح الثقال واركبوهم على الخيول العوال وهم لا يعلموا الاى شىء فعلوا معهم تلك الفعال قال فبينما هم على هذا الحال وإذا قد تقدمت اليهم الرجال وقالوا للشامخ أيها الامير المفضال اعلم أننا قد وصلت الينا الأخبار بقدوم العساكر والابطال وهذا غبارهم قد ارتفع وملا الارض والجبال فقدمهم أهل الحصن

لاجل أن يروا ماذكروا من هذه الأمور وإذا هو بغبار عساكر الملك يكسوم وعنتر ومواكبهم قد طلعت وأعلامهم قد ظهرت وراياتهم قد انتشرت وفرسانهم قد هدرت وخودهم وزرديا تهم فى ضوء الشمس قد برقت ولمعت وأشرقت قال فلما نظر الشامخ إلى هذا الحال تقدم إلى ميسره وأخوه عروة وأحسن فى المقال وطلب منهم أن يزمون له على نفسه وبلاده وما عنده من جميع الأموال فازموا له على البلد ومافيها من الأموال والنساء والرجال وماعندهم من المال والرجال والعبيد والأموال قال فعند ذلك أخرجوهم من البلد وهم الثلاثة ركاب وعليهم الخلع وهى تلمع بما فيها من الذهب وتلتهب التهاب لانهاية لها من ذهب معلمة وهى من افخر الثياب هذا وأهل البلد كلهم مشاة قدامهم المشايخ منهم والشبان وهم فرحون بخلاص أنفسهم من الهلاك والذهاب وأهل الجزيرة وا كابر الدولة كلهم فى خدمتهم وبين أيديهم وأيضا أخذوا بصحبتهم خمسين أمراة ماشيات والجميع سائرات وهن من البلاد معلنين ومولولات وعلى أنفسهم مستجارات فلما نظر عنتر إلى النساء وهن حافيات حاسرات وأهل الجزيرة كلهم ماشين على تلك الحالات ونظر إلى أولاده وصديقه عروة وكلا منهم قد حضر فى ركبته أطنب فى حضرته تعجب من تلك الأمور أخذه الفرح والسرور ولما وقعت أعينهم عليه ترجلوا وسعوا إلى خدمته وقال غصوب ياأبتاه لاتترك احمد من العسكر يتعرض لاهل هذه الجزيرة فى حال من أحوالهم لا ننا قد رأينا منهم الاحسان وحسن السيرة فقال عنتر ياولدى وكيف بقت أيدينا تمتد اليهم بسوء او بحال من الأحوال وقد حلوا القيود والأعتقال وفعلوا معكم هذه الفعال وقد استقبلونا بهذا الاستقبال وفعلوا فعل أولاد الحلال ثم أن عنتر رد النساء ونهاهم عن ذلك الحال وأمر برجوعهم من بين الرجال وسار هو وأولاده وهم ركاب من دون كل أحد وسارت بهم المشايخ وهم راجعين إلى ناحية البلد وكانوا قد أستعدوا لهم بالضيافات والإقامات وقد نزلت العساكر على ظاهر المدينة وباتوا تلك الليلة باكرم مبيت هذا وقد جمع عنتر أولاده وأجلسهم من حوله كذلك أصحابه هذا وقد قضى تلك الليلة بالفرح والسرور ودارت كاسات الخمور إلى أن صار وقت السحر وخف المجلس من الناس بمن كان معهم فى تلك المقام حضر وهم عنتر بالمنام وقد سمع صديقه عروه وهو يبكى من فؤاد موجوع ويتنهد من قلب مصدرع يدل على أنه من شيء ممنوع وهو مع ذلك ينشد ويقول

قد كنت من لان الغرام به ... وأحسب العشق أنواعا من الفقد
حتى رمانى الهوى عمدا ببارقة ... منه فاطرح نار الشوق فى كبد
عاينت سلطانه فى أهل دولته ... من عظم صولته يستأسر الأسد
ورمت كياته فى كل جارحة ... فكان دمعى سال على خدى

فلما سمع عنتر هذه الأبيات قال أطلعنى على قصتك لعلى أن شاء الله أن أبلغك أرادتك فأعلمنى بأمورك وأشرح عن سبب بكاك فقال له يا أبا الفوارس ماهو إلا أننا لما كنا فى الجزيرة مأسورين ونحن فى الأصفاد وكانت الحجرة التى كنا فيها إلى جانب قصر الملك طود الأطواد فكان له أخت جميلة يقال لها ودعه وكانت تطل علينا فى أكثر الاوقات وتحادثنا باحسن المقالات وكنت أبصر منها يابن العم فصاحه وحسن زايد وملاحه فملكت بحسنها قلبى وأحتوت بجمالها على خاطرى ولبى وكنت أنا يابن العم أستحى من أولادك أن أشكوا اليهم وأحدثهم مافى قلبى من وجدى وبلبالى خوفا أن يستقلوا عقلى ويعاتبونى على مقال لاننا كنا تحت الاسر والاعتقال وكان لنا شغل عن العشق والبلبال والآن ياحامية عبس وحق خالق اليوم والامس الذى أطلع الشمس أنى كلما ذكرتها وذكرت رحيلنا يذوب جسدى ويتفتت كبدى وأغيب عن نفسى ولا أعلم يومى من أمسى قال الراوى فلما سمع عنتر منه ذلك قال له ياأبيض طب نفسا وقر عينا وطيب قلبك ولا تضيق صدرك ولا يلحقك من ذلك عرض فانا أن شاء الله أزيل عنك هذا المرض وفى غداة غداد بهذا الأمر بمعرفتى وتطلب من الامور أيسرها وآخذ لك هذه الجارية باختيارها ورضاها لاننا قد ذممنا لهم على أنفسهم وأموالهم وما نفعل شيء يضر بحالهم فطاب قلب عروة وخف عنه ما كان قد أعتراه وقام من منامه وهو لا يصدق أن يصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أتت مشايخ البلد ورؤساء قومهم إلى عند عنتر فسلموا عليه وقد فرحوا بما زال عنهم من الضرر وقالوا ياأبا الفوارس أعلم أننا عملنا وليمة نريد أن تحضر فيها أنت وسادات قومك لتجبر بحضورك قلوبنا فاجابهم إلى ذلك ومن جود خاطره لم يتمنع وقد ركب هو وأولاده وأخذ معه خمسين فارس من أجناده وساروا إلى أن دخلوا إلى المدينة وجعلوا يخترقون أزقتها والمشايخ بين أيديهم وهم يتعجبون من بهجتها وكان عنتر قد أخذ فى صحبته مجيد بن مالك وصار يعظم قدره ويبجلة لانه كان عنده أعز من ولده هذا وأهل البلد قد أصطفو على الاسطحة والجدران ينظرون إلى عنتر وهم يتعجبون من عظم خلقته وكبر هيكله ذلك الشان وماهو

فيمن من قوة الأمكان ولم يزالوا إلى أن وصلوا إلى قصر الملك طود الأطواد وكان يشرف على البحر من ثلاثة أميال قال ولما رأى عنتر وبنو عبس إلى ذلك المكان تعجبوا بما رأوا فيه من حسن ذلك البنيان ثم أنهم جلسوا وقد أجلس وقد عنتر مجيد فى صدر المكان جلس هو دونه وكل ذلك مجازاة لأبيه وأحتراما وخوفا عليه من غدرات الزمان وقد أوقف جماعة من أصحابه فى باب المجلس بالسيوف المنجدبة وهم على أجسادهم ثياب الزرد وهم ممتدين بسائر العدد هذا وعنتر قد سل سيفه الضامى ووضعه على ركبته أحتياطا من أذية بوصلوها اليه وما فيهم إلا من هو مستمكثر من العدد مستيقظ لما يجرى من الشدة والنكد وما زالوا كذلك حتى نقلت اليهم الموايد وعليها من أنواع الطعامات المفتخرة الألوان وقد وقعت جميع مشايخ قيمر مشدودين الأساط يخدموا الرجال ويقدموا لهم من الطعام ودارت عليهم بعد ذلك آنيه المدام قال الراوى فبينما هم يشربون المدام وهم فى أطيب عيش وقد طاب لهم المقام وإذا بخمسين مركب من البحر قــد أقبلت كانها الحمام وهى مقبلة من لجة البحر موثوقه كلها رجال ولما قربت من الساحل طلبت المينا باهتمام وطلعت منها الأبطال وهم يسوقون جماعة من الأسارى بالذل والارغام وقد أتوا بهم قاصدين إلى ذلك القصر ولما نظرت المشايخ إلى تلك الأحكام أنفذوا بعض الغلمان يكشفوا لهم الخبر فغابوا ساعة وعادوا وهم مستبشرين فسالوهم عن ذلك الخبر فقالوا لهم أعلموا أن هذا المركب من عمان أما تلك الأسارى فهو يكسوم وأهله وأصحابه وفرحنا به وقد ذكروا ان الملك سهم النزال أم طود الأطواد قد فتحت عمان وقتلت كل من فيها من الفرسان وهد أسرت الملك يكسوم ووجوه قومه وأرسلتهم معنا وقد ذكرت أنها ما تأتى حتى تفتح ما بين يديها من البلاد وهى مقيمة فى مدينه عمان تنتظر ولدها طود الأطواد أن يأتى من البر ويسيرون جملة إلى ساير البلاد فيملكوها ويقتلوا أهل العباد فلما سمعت المشايخ منه ذلك الايراد أمروا باحضار الملك يكسوم إلى بين يدى عنتر بن شداد فلم تكن إلا ساعة حتى حضر هو وأصحابه وهم مقيدين فى الشان عاشت أرواحهم وأيقنوا بصلاحهم فقام عنتر إلى يكسوم وأعتنقه وقبله فى صدره وبين عينيه وهناه بالسلامة فقال ياأبا الفوارس وأى سلامة وقد ملكت بلادى وسلبت نعمتى وما أملكه من مال ونوال وسبيت الحريم والعيال وملكت الصبيان والأطفال فقال له عنتر فكيف كان ذلك الأمر يا ملك الزمان فقال له أعلم أنى لما أنفذت معك العساكر وسرته

تطالب بهم خلاص أولادك من هذه الجزيرة بقيت أنا بعدك أربعة أيام لم أذق فيها منام من حذري على العساكر أمسى طول الليل ساهر وأنا حاير وفى الأمور فاكر ولما كان فى اليوم الرابع أشرفت علينا مراكب سهم النزال وهى قد ملأت البحر بكثر قلوعها ومراكبها ولما أصطفت المراكب على المينا وقد خرج منها عساكر بعدد الرمال والحصى وسهم النزال فى أوائلهم مثل اللبوة الشمطا والحية الرقطا وكانت عمان خالية من الرجال ومافيها أحد من الشجعان الذى أعتمد عليهم عند اللقى فغلقت الأبواب وطلعت مع الرجال على الاسوار وأقامت علينا الحصار وأنا خايف على البلد غاية الخوف لاجل خلوها من الابطال ماحسبت وفى الليلة الرابعة إلا والصياح معى فى القصر وسهم النزال قد طلعت ومعها صحابها فاحترقوا البلد وفى أيديهم العمد وقد ملكوا البلد وأخذونى أنا ومن معى وقد أنفذونا إلى هذه البلاد وأتينا إلى هذا المكان وأقامت سهم النزال تنظر قدوم ولدها إلى أن يأتى اليها ببقية العساكر قال الراوى فلما سمع عنتر كلامه قال له أيها الملك أما طود الاطواد فقد الحقته بقوم ثمود وعاد والفراعنة وأما أولادى فقد تخلصوا بلا قتال ولا حرب ولا نزال بل أطلقهم هذا السيد المفضال ثم أنه حدث الملك يكسوم بكل ما جرى وما تم فاقبلوا عند ذلك إلى مشايخ عنتر والملك شامخ أيضا وقال له يامولاى عبدك أنا وغلامك والبلاد بلادك فقال له عنتر اعلم أن البلد تبقى عليك وذمامنا قد سبق اليك وأنك تكون من تحت طاعة الملك يكسوم أعلم أنا فى غداة غد راحل وما بقى لى عندك الا قراد حاجة فقال الشامخ ماهى يامولاى لو أنها روحى التى هى بين جانبى لما بخلت بها عليك فقال له عنتر حاجتنا نريد منك أن تعاوننا على ودعة أخت طود الاطواد حتى أننى أزوجها باخى وصديقى عروة قال الراوى فلما سمع الشامخ من عنتر هذا الكلام قام من عنده ودخل عليها وأعلمها بما قال عنتر وأستأذنها فى الزواج فقالت والله ياشامخ ما كان هذا فى نيتى إلا أرمى روحى فى البحر بعدما قتل اخى ولا علكنى صاحب جزيرة صافور أبن الشام وكان هذا صاحب صافور ملك عظيم له قلب أقوى من الحجر الجلمود وهو رجل جبار من الجبابرة أسمه سمور وهو متنمرد كفرة قد طمنى وبغى وكان عنيا على جزاير وقلاع وله مراكب تسافر فى البحر وكان بينه وبين طود الاطواد صداقة ومودة وكان هذا ملك البر وهذا ملك البحر وقد بلغت بينهم المودة والصداقة حتى أنه خطب منه أخته فاجابه إلى ذلك ووعده بزواجها فبكت ودعة لما علمت وقد صرخت فى وجه امها وقالت أنا ما أريد هذا الشيطان الاسود وأن غصبونى على نفسى

قتلت زوجي قال الراوي فلما سمع طود الأطواد من أخته ذلك الكلام أنفذ مع الرسول يخبره بما جرى ويقول ما أقدر أنا أغصبها وأنفذ يعتذر له قال الراوي فقبل عذره وصبره على مضض ولما جرى لطود الأطواد مع عنتر ما جرى أنفذ له خمسين ألف فارس وهي التي سارت بها سهم النزال في المراكب ولما هلك طود الأطواد على يد عنتر بن شداد وملك البلد خافت ودعه من الملك مسمور على نفسها بعد أخيها الأجل ما رد نه خائب وصارت فزعانة حيرانة فما صدقت أن تسمع كلام الشامخ حتى أجابته وقد كانت رأت عروة وسمعت فصاحته فأجابته وأجابت الشامخ إلى الزواج وقد أتاها الأمر كما تريد وقالت للشامخ زوجني ودعني أعيش عند هؤلاء القوم أحسن من ذلك الشيطان المارق وهو سمور قال الراوي فلما سمع الشامخ ذلك الكلام رانسر خاطره وخرج من عندها وهو بادي السلام والإبتسام وأتى إلى عنتر وأخبره بما قالت ودعة ففرح عنتر فرحا وزاد في الإهتمام وقد ودعة لعروة وما مضت تلك الليلة وقد زفت عليه ودخل بها فرأى منهما جنة الخلود ودنيا مقبلة على قوم فقراء ولما كان من الغد خرج عنتر والملك يكسوم إلى خيامه وقد رأته عساكره وتباشروا برؤيته وسألوه عن حاله فاخبرهم بما جرى له وعلى حريمهم فتباكوا أعيالهم وأولادهم وقد دعوا الشوامخ وساروا بعد ما أخرجت ودعه جوارها ورجالها وأموالها وذخائرها وجميع ما تملكه فكانت نعم عظيمة وأموال جسيمة ففرح عنتر بذلك لعروة وقد هنأه بما وصل إليه فشكره عروة وقال له يا أبا الفوارس بك قد بلغت المراد وحصل لي ميسرة الفؤاد فلا زلت يا ابن العم في الارتقا قال الراوي فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من سهم النزال فإنها لما طال عليها إطال وملكت عياق أقامت تنتظر ولدها كل هذه الأيام فما بان فسألت أهل البلد تحت عساكرهم وقالت لهم اين مضوا فرسانكم فقالوا لها اعلمي ان الملك ارسلهم مع رجل من الحجاز يقال له عنتر بن شداد العبسي لأن اولاده اسرهم خزاعة قال الراوي وكان السبب في ذلك انهم قتلوا ابن الملك يكسوم فارسل اليهم عساكر فكسوها وقد ملكوا المكان الذي هو حصن العقاب واخلوه من رجاله ثم انهم اعادوا عليها كيف انفذ الملك ابن عمه شريط بوصول خزاعة المجنون واخيه ثم انهم قد ذكروا لها جميع ما جرى من اوله إلى آخره واسر غصوب وميسرة وعروة بعد صاحبهم مع الملك يكسوم ولولا انهم كانوا كسروا عساكرنا كانوا املكوا بلادنا ولما انا اسروهم واخذوهم اصحابكم سار وابهم في المراكب إلى جزيرة قيمر وبعد مسير جهز الملك يكسوم عساكر مع عنتر وسار بهم يطلب خلاصهم من ولدك طود الأطواد وقد

أخبرناك بما جرى وقد علمناك بما كان وماجرى فدبرى نفسك كما تعلمين وتعرفين لأننا وحق ذات الذوائب من يوم ساروا ماسمعنا لهم خبر إلى اليوم وما تدرى ما كان منهم وماجرى لهم فلما سمعت سهم النزال منهم ذلك قالت وحق ذات الذوائب أن هذا حديث عجيب وماهم إلا قد أهلكهم ولدى وما يأتى إلا ورؤسهم معه على أسنة الرماح وأما ماذا كرتم من أمر أولاده فصحيح أنهم أسارى عندنا وقد أراد ولدى أن يقتلهم فمنعته أنا من ذلك قال الراوى فبينما هم فى الكلام إذا هى بغبار وقد ثار وقد علا وملا الأقطار بعد ساعة مزقته الرياح وانكشف وبان من تحته عساكر كرام وقد ملأت الأقطار فلما رأت سهم النزال إلى ذلك الاحكام أنكرته فانفذت عشرة من الرجال يكشفون لها الأخبار على جليتها لأن قلبها قد اشتغل بعنتر وشجاعته فمضوا وقد غابوا ساعة وعادوا وهم يدعون بالويل والثبور فلما رأتهم سهم النزال قالت ياويلكم ما وراءكم فقالوا لها أيتها المليكة على أن عنتر بن شداد قد ملك البلاد وأهلك العباد وقتل ولدك طود الأطواد وقتل رجاله الأجواد وفتح جزيرة قيمر وقد جعل عليها الملك الشامخ من تحت يد الملك يكسوم وفك أولاده من القيد والأصفاد وملك الرجال والأموال واتى كنتى انفذته يكسوم اليهم لخصلوه وعلى سرير ولدك طود لاطواد اقعدوه وقد ملكوا جميع مافى البلد وعادوا وهذا الغبار غبارهم فابصرى الآن ما تعملان كفتى تميولى على النزول إلى المراكب وتسيرى فيها إلى قيمر وتقابلى الشامخ على مافعل وترجع تكاتب أخاولدك سمور وتطلى منه نجدة بعد ما تنعمى له بزواج ودعه وتدعيه يلتى هؤلاء الأشرار وأنت تعدى أنه رجل جبار وله عساكر مثل أمواج البحار فلما سمعت سهم النزال كلام، قومها قالت لهم صدقتم وقالت أنا مثل من يستنجد بالملك سمور وأزوجه بنتى فهـ لا يكون أبدو لو شربت كاس الردى ولا أنا عاجزة ولا محتاجه إلى نجدة وأما قولكم من جهة ولدى، وملاقاته لعنتر ابن شداد فالحرب له غلبات والدنيا كثيرة الآفات وأنتم تعلمون أن ولدى كان فيما كنت أنا فيه سوف ترون هؤلاء ما يجرى عليهم وما يكون إذا أتوا نحوى. وقربوا إلى عندى فوحق ذات الذوائب لا تركن الأول يلحق بالاخر ولا خذ بثأر ولدى، منهم ولا تركنهم مثلا بين البوادى والحضر ولا تركنكم تنهبون أموالهم وأسلابهم، بغير قتال ولا نوال ولا تعب والا فما أنا بسهم النزال وان لم أفعل ذلك سقطت حرمتى. وقد حارت فيما تفعل ووقع بها الخبال وأبدت الأعوال وقد شقت أثوابها وعلا بكاؤها وانتحا بها وهى فى أرو قومها تنشد وتقول ونحن نصلى على النبى الرسول

أرى الدهر لا يصفو لمن كان عاتب ... ولا ساخط من عاتبته النوائب
زمان كثير الغدر فى كل حالة ... مصائبها لا تلتقيها المصايب
سلام على الأيام من بعد ساعة ... خلت منهم الدنيا وكانوا أطايب
فلو علمت أرض تقيم بعدهم ... بكت لفقدهم اطلالها والكواعب
وناحت على من كان سيد قومه ... تشير اليه بالسلام الكتائب
ولا بدلى فى الحرب من أخذ ثاره ... ولو قصدت نحوى القنا والقواضب
وأتوك طلولا لعنتر صفصفا ... تنوح عليه بالعويل النوائب
وأنى أنا سهم النزال ومن لها ... من السحر فهلا سابت منه الذوائب
كذلك أتانى الدهر منه عجائبا ... مصائبه لا تلتقى بالغوالب
فقد ونكم ذا اليوم من لبوة ... تخوض لظا الهيجاء والموت غالب
فقدتم الينا سيدا كان بيننا ... كمثل القمر والعالمين كواكب
وجئتم ترجو اليوم من قتل قدمها ... وفى اليوم ترى أن ظنك خائب
أما سمعت أذناك قول الذى مضى ... مصائب الدهر تورى العجائب

ولما فرغت سهم النزال من شعرها أمرت العساكر بدخول البلد وأغلقت الأبواب وطلعت فوق الأسوار واستعدت للحصار ثم انها لما صارت فوق الاسوار صارت كأنها اللبوة التى عدمت اشبالها هذا وعساكر الملك يكسوم قد قربت من البيد وضربوا المضارب والخيام ونزلوا فيها وقد أظلم الظلام وقعد الملك يكسوم على سرير ملكه ودعا بأرباب دولته وأنفذ خلف عنتر وأولاده فحضروا عنده وأقامت بنو عمه تصحبه وهم متقلدين بسيوفهم كأنهم السباع وجيد ابن مالك إلى جانب الملك يكسوم فقال لهم ياوجوه العرب أى شيء عندكم من الرأى لأن هذا البلد حصين وأخاف أن يطول بنا الحصار فقال عنتر يا ملك أرجو من الله أن يخرجوا الينا فى غدة غد وان خرجوا ملكت البلدان شاء الله تعالى فلما سمع الملك يكسوم من عنتر ذلك الكلام قال له ما زن الاما يشاء الملك العلام ثم انهم قضوا نهارهم جميعهم فى الفرح والابتسام إلى أن أقبل الليل بالظلام فطلبوا المنام فناموا وجل من لا ينام ولا يغفل ولما أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أمر الملك يكسوم ان ينادى فى العسكر بالركوب فركبت الفرسان عن بكرة أبيها وقلوبهم محترقة على حريمهم وأولادهم ولا يدرون ما كان منوم وركب عنتر وأولاده فى بنى عمه وكلهم غائصين بالسلاح وآلة الحرب والكفاح واذا بباب البلد قد فتح وخرج منه ستة آلاف فارس كلهم غائصين فى الحديد والزرد النضيد وهم متقلدين بالسيوف الهندية ومعتقلين بالرماح الخطية فتقدمت الخيالة وتأخرت الرجالة وترتبت

بنيار شمال وسهم النزال على الأسوار فى خمسين الف فارس بالحجارة والحرب يحمون الحصن. ولما نظر عنتر إلى ذلك الأمر حار وأخذه الانبهار وقد تعجب كيف ان الف فارس وخمسه آلاف. ولأجل انهم يخرجوا إلى لقاء عنتر وأصحابه وعساكر الملك يكسوم فاراد أن يبين هيبته فى العساكر الذين بين يديه وأراد أن يهجم ويصل إلى باب البلد ويفتحه ثم انه حمل وحملت أولاد عمه واتصل الحرب انهم فصبرت الفرسان وقاتلت فلما تضاحى النار وإذا بغمامة قد ظهرت وظهر من تحتها رمى أحجار وشهب نار نزلت على عساكر الملك يكسوم وبنى عبس الأخيار ولما نظر عنتر إلى هذا الأمر حار وأخذه الانبهار ورجع هو وبنى عبس إلى وراءه وكذلك الملك يكسوم وعلم أن ما بقى للعسكر قائمة تقوم وتعجب من خروج هذه العجوز فى تلك العصابة اليسيرة. وما فعلت ذلك إلا لأجل أخذ ثار ولدها ولأجل ذلك كانت ملوك الأرض تخافها وتفزع من سحرها وتتقى شرها وتراسها لما يعلموا من سحرها ومكرها ولما نشأ لها طود الأطواد كثر أرها وزاد شرها لأنها كانت اكنفت فى ملكها وقلت عن ما كانت تفعله إلا فى هذه النوبة فانها قالت إن لم رجع أوقع هيبتى عند الملوك وإلا قلت حرمتى وانحطت مرتبتى ثم انها فعلت هذه الفعال التى تشيب رؤس الأطفال والخيل تخرج من تحت السود غابرة وهى خالية من الركاب وتهج فى رؤس الروابى والشعاب والصياح من تحت الغمام علا والصراخ نمو النيران مثل النجوم إذا زرقت والدخان قد خيم الأقطار وانطبق انطباق الأمطار ولم يزل الأمر على مثل هذا الحال حتى صار آخر النهار وقد بدت الغمامة عند ذلك أن تذهب وحارت السالمين من عساكر الملك يكسوم وهم يخرجون واحدا أو اثنين وهم مجروحين لا يصدقون بالنجاة وقد أمسى المساء على الناس وانقطع ذلك الغمام ونزلوا فى الخيام وكان قد قتل من عسكر يكسوم فى ذلك النهار عشرة آلاف فارس والباقون من حوله وهم يبكون على من قتل لهم من الأقارب. وبما لاقوا من النيران والعجايب ومن ذلك السحر وما حل بهم من المصايب فقال الملك يكسوم يابنى عمى ولولا تفعل هذه الأفعال ما كانت تها بها الملوك ولم تتقيها وأنا ما كنت أدفع لها الخراج إلا خوفا من شرها واهيها وكنت أمشيهم بالمال من كثرة مكرها وأعمالها بالرجال ثم انه قال وحق ذات الذوايب لقد حرت فى أمرى وانقطع ظهرى من فعال هذه الشيطانة التى ليست من الانس (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عنتر ابن شداد فانه لما عاين تلك الأمور تعجب وزاد به المصايب والكروب وما صدق وبالانفصال من الحرب والقتال خوفا على من معه من الابطال الا أنه لما عاد ونزل فى خيامه

جميع أولاده وبنى عمه من حواليه وجعلوا يتذاكرون ما عاينوا فى ذلك النهار والغضبان يقول لابيه والله يا أبتاه يهون على أن ألتقى عشرة آلاف فارس ولا أرى ما رأيت فى هذا اليوم فقال عنتر يا بنى ما هذا إلا أمر صعب لان قتال السحرة والجن فعل عظيم لاننا نقاتل من لا نراه وما كنا نريد اليوم إلا أننا ننجز أمر هذه البلد حتى إننا نمضى إلى أهلنا فقد طال شوقنا إلى أرضنا وقد بلينا بهذه الشيطانة فى آخر سفرتنا هذا وعنتر قد زاد به الخطر وعظم به الضجر فانشد يقول .

ألا مبلغا عنا سراة الاعارب ... وقيس الذى نسل الكرام الاطايب
بأنى قد لاقيت فى أرض قيصر ... وفى حصن يكسوم فنون العجائب
سرت إلى عمان فى خير عصبة ... لتخليص أولادى ونيل مآرب
فوافيت جيشا طبق الأرض والفلا ... بسمر القنا والمرهفات القواضب
فجلت عليهم جولة عنترية ... ففرقتهم فى شرقها والمغارب
ولما رأى يكسوم فعلى بجمعهم ... فجاد على بفعل قوم أطايب
وأطلق أولادى رفاقل معهموا ... وسر فؤادى باجتماع حبائب
وخزاعة قد جندلته الآن بعد أسره ... لأولادى الغراء الكرام النجائب
وأعاننى يكسوم منـــه بجيشه ... وسرت إلى قيصر أخو السباسب
لاقيت طود الاطواد فى وسطه قفرة ... وجندلته من لكنى فى التراثب
وخلصت أولادى وزوجه عروة ... بنت مليك من حسان كواعب
وخلصت يكسوما وقد جاء مصفدا ... وعدت بجيش جحافلا ومواكب
إلى حصن عمان لننجز أمره ... فلاقيت من سهم النزال العجائب
رمتنا بارهاط من الجن صورة ... ونار ودخان وشهب ثواقب
فيارب بالمختار من نسل هاشم ... وخير الورى المبعوث من آل غالب
ترد عليها كيدها أنت قادر ... وقضاؤك حتما للخلائق غالب

قال الراوى ولما فرغ عنتر من هذا الكلام إلا وعروة قد دخل عليه وهو يضحك فلما رآه عنتر على تلك الحالة اغتاظ من ضحكه وقال له أنت تضحك وما على قلبك هم لانك قد اشتغلت بنفسك وما تدرى ما قد وقعنا فيه من الغم وضيق الصدر فقال له عروة والله يا أبا الفوارس ما ضحكى مما تقول وإنما ضحكى على الذى جرى علينا مع هذه العجوز وأنا عندى من يفتح لنا البلد من غير قتال فانسر عنتر وقد أعجبه ذلك المقال وقال له كيف ذلك فقال له اعلم أنى دخلت على زوجتى وذعة بنت هذه العجوز سهم النزال وأنا ضيق الصدر كثير الفكر والهم لاجل

ما جرى لنا فى ذلك النهار وكيف تعسر علينا فتح البلد فقالت لى ودعة ما بالك مشغول القلب فاعدت عليها ما جرى علينا فى يومنا فقالت لا تشغل قلبك فأنا أفتح لك البلد من غير قتال ونعود بعد ذلك نعول على الإرتحال ثم أنها قالت لى أنها تعرف تعمل مثل هذه الصنعة وقالت لى لا تعرف فتح البلد وفتح الباب إلا منى وفى غداة غد ننجز الأمر وتسيروا إلى بلادكم قد أتيتك اليك أعلمك بذلك الخبر وهذا كان سبب ضحكى قال فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام أخذه الضحك والإبتسام وقال له والله لقد بطلت الشجاعة عند هؤلاء الأقوام ولو لم يتفق فى سفرتنا هذه الفرجة بمثل هذه الصنعه على ما رأينا مثل هذه الصنعة بطول عمرنا فهذه فائدة عظيمة فقال الأمير الغضبان والله يا أبتاه أن كانت هذه البنت الفاجرة تعرف مثل ذلك وهى مثل أمها ساحرة لا أمكنها تصعد معنا إلى أهلنا لأنها ربما حصل لها شره يؤلمها فتمكر بنا كل يوم وتظهر لنا مثل ذلك ويأتينا الأذى وربما خوجوا الجن منها ودخلوا فينا قال الراوى فضحك عنتر والجماعة من كلامه فقال له عروة أسكت أنت يا غضبان ولا تتحدث فى حريم الناس بمثل هذا الكلام فسوف نتقوى بها بهذه الصنعة هذا وأبو الفوارس قال له بالله عليك يا أبا الأبيض قوم عند الملك يكسوم حتى تعرفه بهذه القضية حتى يبيت الليلة وهو طيب القلب فقد هلكت اليوم من عساكره خلق كثير ثم أن عنتر قام هو وأولاده وعروة بن الورد ودخلوا على الملك يكسوم فوجدوه من أصحابه فى المشورة فقام لما رآه وأجلسه وقد جلس عنتر إلى جانبه وقد شرح له كل ما جرى على أصحابه فقال له عنتر يا ويلك طيب قلبك فقد جرى من القضية ما هو كذا وكذا وإذ ودعة قد ضمنت لنا ذلك قال الراوى فلما سمع الملك يكسوم من عنتر ذلك الخطاب طاب قلبه وقال له أن كانت ودعة قادرة على شىء مثل ذلك فانها قادرة عليه وما يقدر على هلاك العجوز إلا ودعة ثم إنهم تحدثوا ساعة من الليل وأقام كل واحد منهما إلى خيمته وقد طاب الملك يكسوم بذلك فلما كان من الغد وقد أصبح الله بالصباح أمر الملك يكسوم عساكره بالركوب فركبت وتقدمت للحرب وقويت قلوبكم بما سمعوا فتقدموا يطلبون الحرب وهم خائفين أن يتم عليهم مثل ما تم بالأمس من الكرب قال الراوى هذا وقد ركب عنتر وبنى عبس وقد تقدم عروة بن الورد إلى زوجته ودعة وقال لها بعمرى ما الذى تعلميه فقد رهنت لسانى بما ضمنتيه لنا من فتح البلد فقالت له طيب قلبك واشرح صدرك واضرب لى خيمة مقابل باب المدينة حتى أركب وأسير اليها وإذا رأيتم البلد قد تزلزلت فلا يوهمكم ذلك واطلبوا الباب وادخلوا البلد فاجتهدوا فيها

أحدا يمنعكم عن الدخول اليها فقال عروة أحسن الله بدنك يا حبيبه القلب هذا الذي نريده منك ثم أنه أتى إلى عند عنتر وأخبره بما قالت زوجته ثم أنه لبس آلة حربه من وقته وساعته ونصب خيمة مقابل باب المدينة ثم أن ودعة قدر كبت وقد ضيقت الشام وهى مثل بدر التمام هذا وعروة ينظر اليها وقد سلبت عقله ولم تزل سائرة إلى أن وصلت إلى الخيمة وترجلت ودخلت اليها وأمر عروة أنه يسبل عليها أذيال الخيمة هذا وعنتر وبنى عبس تعجبوا من هذا الأمر قال فاتمت أعمالها الأول وباب عمل قد فتح وخرج منه أكثر من خمسين فارس وبقية الخلق قد طلعوا على الأسوار وشرايف الابراج وسهم النزال خرجت فى ذلك اليوم تطلب القتال وهى مثل اللبوة الشمطاء التى فقدت أشبالها وقد داخلها الطمع فى عساكر الملك يكسوم وقد علمت أنهم قد فنى أكثرهم وكانت فى تلك الليلة قد باتت وهى تقول كنت أريد فى الساعة أننى حتى تكون من فوق الأسوار وأنا من خارج الباب وقد أنقضت الأشغال لأنها كانت تعادلنى بالسحر وأنا أبادرهم بالقتال ولكن أن طال المطال فما لا بد ان أرسل إلى جزرة قيصر وآتى بها وأن تأخرت ولم تأتنى أمرت هؤلاء القوم أن يكسروا عساكر الملك يكسوم وتكون عليهم أبشم السفرات ثم أنها رتبت الرجال يمينا وشمال وكانت العرب ورجال الملك يكسوم أرادوا أن يرجعوا إلى البلد ويطلبون القتال وإذا بسهم النزل خرجت بينهم ونادت وطلبت المبارزة فارس لفارس أو عشرة لفارس أو مائة لفارس أو الف لفارس أو أخرجوا إلى بجمعكم وأن كنتم خفتم من براز فليخرج إلى قاتل ولدى طود الطواد لاحقة بقوم ثمود وعاد فلما سمع عنتر الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وأراد أن يبرز اليها فمنعه من ذلك ولده الغضبان وقال له يا أبتاه ومن هى هذه الملعونة حتى تبرز اليها أنت بنفسك ولكن أنا أبرز اليها وآتيك بها أن شاء الله الملك العلام ثم أن الغضبان برز اليها وأشار لها برأس السنان وقال هذه الاوزان

أنا الموصوف فى كل الأنام ... بطعن الرمح مع ضرب الحسام
أنا مردى الفوارس يوم حربى ... إذا أشتبك القنا تحت القيام
ركوبى عند ملتقى الاعادى ... يشيب لهوله طفل الفطام
شربت دما الرجال وكنت طفلا ... يغذونى به قبل الفطام
وفى ذات اليوم أصدق فى كلامى ... إذا جرت الدماء حول الخيام
واجعل دارك منك قفارا ... خلاة لا ترى فيها كلام

ويضحى جسمكى فى الأرض ملقى طريحا ودمكى على التراب سجام

قال الراوى فلما فرغ الغضبان من شعره وسمعته سهم النزال أجابته على شعره تقول صلوا على طه الرسول

لقد أطمعتك نفسك بالمحال وقلت مقال أولاد اللئام
جهلت موافق فى كل أرض وأرض العرب والبيت الحرام
وما لك بعد هذا من جواب ولا عندى سوى ضرب الحسام
لأن الجهل فى الانسان نقص يقود الجاهلين إلى الحمام
وهذا موقف لاشك فيه يبين الحر من نسل اللئام
ويندم من يكون العجب فيه ويختار الرحيل عن المقام

قال الراوى ثم صالت عليه فتلقاها الغضبان بفؤاد ملآن وارتفعت عليهما الضجات وشخصت اليهما الأعين الناظرات وتلوت الرماح فى أيديهما مثل الحيات واصطدموا اصطدام الجبال الراسيات وما فى الصفوف الامن هاله فعلهما حتى كادت الاكباد تذوب عند حملاتهما فقال عنتر لعروة والله يا أبا الأبيض ماهذه الاشيطانة عظيمة الخطر ولولا أن مثلها لا يوجد فى هذا الزمان ما أقامت قدام ولدى الغضبان والله يا بنو تهامن أبواب الحرب باب فقال عروة هكذا الدهر ما يبقى على حال هذا والصياح من الفريقين قد ارتفع حتى أقلب الفلا وبهتت اليهما الاعين وخفق قلب عنتر من خوفه على الغضبان وجعل ينظر إلى نحوهم وإذا بالاثنين قد تطاعنا طعنتين الأان واحدة بطلت والاخرى عملت فاما الذى بطلت طعنة سهم النزال فانها صلصلت فى الزرد وأما طعنة الغضبان فانها وقعت فى صدرها وقد ذكرنا ما عليها من الزرد الذى كانت قد ورثته من عهد عاد فقال فانقصف الرمح فيها ولم يعمل شيئا وبطلت الرماح وعادوا إلى ضرب الصفاح فلما رأى عنتر إلى ذلك أشار إلى ولده الغضبان بالحملة واشار إلى العسكر أن تحمل إلى نحو البلد فالتقتهم عساكر سهم النزال برأرموهم من فوق الاسوار بالاحجار وأظلمت الاقطار واسود النهار وحل بعسكر سهم النزال وبالحلة وسالت دماها من أوداجها وقد ارتفع من وسط الميدان دخان عظيم وتزلزلت الأرض والاسوار بالزلازل ووقعت الرجال من المعاقل وصاحت ودعة لعروة من وسط الخيمة احمل وقل لاصحابك يطلبون أبواب البلد وأبذل من فيها الصوارم ولا تفزعوا بما تنظرون فعندها صاح عروة وخاض العجاج فى طلب عنتر حتى أدركه فى وسط القتال وهو ينثر الرجال

وقال له يا أبا الفوارس احمل بنا حتى نملك البلد كما ذكرت قال الراوي وعروة مع عنتر في الكلام وإذا بزعقة من خلفهم مثل الرعد القاصف والقائل يقول يا العبس لا شقيت فالتفت عنتر ينظر الصياح وإذا به ولده الغضبان وقد أطبق على سهم النزال عند دهشتها بالبلد وضربها بالصارم المهند فوقع على صدرها انقطع الزرد وتم السيف يهوي حتى خرج من ظهرها فازعق عنتر لا شلت يداك يا ولدي ثم انه حمل وطلب البلد وتبعه عروة ورجاله أصحاب الصرخات فادركوا الباب وملكوه ووضعوا السيف في الرجال وقد انقطع عنهم رمي الأحجار من فوق الأسوار ومار أوائل المدا أكثر من عشرة آلاف فارس من أصحاب يكسوم بني عبس قدأ بادوا الأبطال ونثروا الرجال ولم يزل السيف يعمل حتى فنوا اصحاب سهم النزال وصاحوا أهل البلد ليكسوم بالامان فعندها رفع السيف وقد صار وقت العصر ودعة عنهم الغمام وانجلت البلد ولم يمس المساء إلا والملك يكسوم على سرير ملكه في بلاد عمان وفرحوا ابنى عبس أيضا بانجاز الحال وعلموا أن ما كان في ذلك اليوم كان من ودعة فشكروها على ذلك ثم قال عروة لعنتر يا أبا الفوارس ما نمضي من ههنا إلا بشيء أعجب من ودعة ولا بد ما أتركها تسحر لنا الأمير عمارة وتربطه في بعض الخنازير فضحك عنتر من كلامه ثم باتوا تلك الليلة ولما كان عند الصباح طلبوا دستورا من الملك يكسوم في الرواح والعودة إلى بلادهم فقال الملك يكسوم يعز علي وحق الرب العظيم فراقكم ثم فتح خزائنه بين أيديهم وأعطاهم من الهدايا والاموال ما يقصر عن الوصف ويحير فيه الطرف وخرج لوداعهم وعشيرته وعساكره ذلك والثاني وسأله عنتر في الرجوع فرجع وسارت بنى عبس طالبة ديارها ومريتذكرون ما جرى لهم في هذه السفرة وعنتر شديد الشوق إلى عبلة لا يصدق بالوصول ويتمنى أن يطير إلى نحو الطلول وهو مع ذلك ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

سرى لك طيف زار من أم سالم ... فاحييت به من زائر الطيف قادم
فبت قرير العين أهوى خريدة ... طويلة عظم الجيدر بالمعاصم
فيالك حسنـــا من زيارة طيفها ... ويا حسرة لو زرتني غير نائم
ضربنا رجالا صناديــد فوارسا ... باسيافنا فاستغرقت في الجماجم
وسقنا جياد الصافنات على الدجــا ... طوال العنق لبنات الشـــكايم
تدور بها أرض الجزاير وتبتغى ... لقى ملك نافـــذ الأمر حاكم
له خلقــة يرتاع من كان ناظرا ... اليه كمثـــل الموت والله عالم
يد بمخـــلاب عظيم تخاله ... لحـــدته زرق الرماح الهـــازم

فاردیته وسط الفلا بجندلا — وكان عظيم الامر وافى العزايم
كذا أمه سهم النزال تركتها — ينهش لها وحش الفلا القشاعم
فوارسنا تدعى بعبس بن غالب — لهم همم عند اللقا والتلاحم
وجار حميناه فعز جنابه — فنام وما جار الذليل بنايم
علوت بنجمى السماك محله — مقام اليها والمشترى والنعام
علوت على الفضل الذى نحن أهله — على العرب أقصاها ملوك الأعاجم

ولما فرغ عنتر من شعره سار حتى وصل إلى بعد الطريق وإذا هو بزوال قد أقبل عليه فتبينه وإذا هو أخيه شيبوب فقال ويحك يا ابن الأمم ما حالك فقال له يا أخى أخبرك أنه قد أتى إلى البيت الحرام لاجل وحط قصيدتك إلى الأرض وسجد إلى الستة المعلقين فلما رآه الشيخ عبد المطلب ورأى فعاله قال يا هذا أخشى عليك من صاحبها عنتر فلم يسمع كلامه فلما سمع الغضبان ذلك اغتاظ وقال وحق ذمة العرب ما أعلقها الا فوق الجميع وان لم يسجد لها الوضيع والرفيع طيرت جماجم الجميع فقال عنتر يا ولدى على هذا كنت معول قال لا بد لنا من الدخول الى بنى عمنا نأخذ رأى الملك قيس فى هذا الامر ثم ساروا الى أن قرب الى أرض الشربة والعلم السعدى وأنفذ أخاه شيبوب يبشرهم بقدوم أخيه ولما وصل شيبوب الى بنى عبس واذا هى مختبطة فى بعضها البعض وهى بالسلاح الكامل ومن الخوف بغاية الفكر وشيبوب وصل الحى والقى البشير بوصول عنتر ففرح الملك قيس وفرحت الاماء والعبيد والنساء والصبيان وخرجت الفقراء تطلب من عنتر الهدايا التى جرت بها العادات إذا قدم من الغزوات فلما التقى الملك قيس بعنتر اعتنقا وبكيا من شدة الفرح وعادوا الى الخيل وعنتر يوعده بالنصر وبعد ذلك فرق الاموال والخلع على أهلها وكان معه شىء لا يحصى وأعلم الملك قيس بزواج عروة بن الورد بأخت طود الأطواد الأطواد وودعة فهناه بذلك وبعد ذلك وصل كل فريق الى خيامه ووصل عنتر الى ابنة عمه عبلة وهى قد هاجت من فرحتها هذا وشيبوب قد أدى الأموال وكذلك دعدا زوجة الغضبان وزوجة ميسرة وزوجة غصوب وزوجة مازن وما فيهم إلا من فرح قلبه بأهله وأصحابه هذا وعنتر قد أخبر الملك قيس عن الرجل الذى حط القصيدة على البيت الحرام فقال له يا أبا الفوارس هذا مرجل عزيز المكان كثير الرجال والفرسان وله أقطاع وبلدان يقال له المسوعر ابن ربيعة البارق تخفق على رأسه البنود وتطيعه العساكر والجنود وتفزع من شدة بأسه الأطفال فى المهود قال الراوى فلما سمع هذا الكلام من الملك قيس قال بك يا ملك

تصنعه فلعن الله أست أمه الذى خلقته أيها الملك أنا لقيت ملوك اليمن فى الحرام وأسرت منهم أربعين ملك وفتكت فيهم كما يفتك الذئب فى الغنم وعلقت قصيدتى رغما عنهم وما خشيت كثرة عددهم فكيف أبالى بكثرة هذا الوغد اللئيم (قال الراوى) ثم أنه نهض ونهضوا أولاده وتعجبوا من كلامه وسار حتى دخل إلى الأبيات الذى له ومضى كل إنسان إلى أبياته والتقى بزوجته وفرحوا بالهدايا متى وصلت معهم هذا وعبلة صارت تقبل عنتر وتبكى من شدة شوكها اليه وما لاقت بعده وبات الملك قيس تلك الليلة ولما كان الغد أمر عنتر لأخيه شيبوب أن يقدم له الأبجر وأنفذ إلى أولاده فركبوا وركبت أعمامه وآل قراد جميعا وركب أخوة قيس وفرسان بنى عبس يردكل واحد منهم برأسه الف فارس وأرسل أخيه شيبوب إلى بنى غطفان ومن الغد وصلت اليه الرجال وهم ثلاثمائة فارس ورحل عنتر عن أرض الشربة والعلم السعدى وما بعد عن البيوت حتى لحقه الربيع ابن زياد وقال له يا ابن العم بأنفسنا نفديك وبأرواحنا نقيك فشكره عنتر وسار يطوى القفار وأوصل سير الليل بسير النهار حتى قارب مكة وقلبه على المستوعر الجر وكان السبب فى مجيء المستوعر وحط القصيدة لما أن سمع بأسر ملوك اليمن وتعليق القصيدة وكان المستوعر بطل من الأبطال تهابه الفرسان وكانت خلقته كأنها خلقة الجان وقد روى الأصمعى وأبو عبيدة أنه لم يكن فى زمن الجاهلية أعظم خلقة منه ولم يكن فى عرب العرباء والسادات والأقران أفرس منه فى الميدان وكان قد اتخذ له هجينا يجاريه ويعودها على المجالد وكان إذا التقى خصمه ورجال عليه وضايقه وفتح يده ليضربه يبرك الهجين مع الضربة فتقع وما ضرب قط فارس إلا وقطعه وكان قد أذل العرب وأخذ الجزية من ذوى الرتب والأبطال تفزع منه وتتقى شره والأبطال تحذر منه فتهاديه ولما وصل اليه حديث عنتر وتعليقه القصيدة وأسره للملوك الصناديد نالة قلبه نخوة الرجال ونادى بالعرب إن هذا أعظم مايكون من المصائب والنوائب إذا كان عبد من عبيد الرناة قد أذل الأبطال الأماجيد فأى حياة بعد هذا تطيب ومن يصبر على البغضه والشنار وأى عار يكون أعظم من هذا العار وأنا وحق الإله والأصنام الاسير إلى مكة وأحط قصيدته عن البيت الحرام وأقيم هناك الى أن يصل الخبر اليه ويصل الاخبار الى مسامع أذانيه وألمو بنى عبس وعدنان واجعلهم كأمس مضى ما له عودة أبدا ولا اترك منهم من يخبر بخبر حتى تعلم الملوك انى ملك الزمان وسيد بنى قحطان (قال الراوى) ثم امر عبيده ان تركب النجب

وتتفرق فى قبايل العرب من بنى قحطان فبعد أيام وصلت إلى المستوعر خيل بعد خيل وكل من أتى إليه يرحب به ويكرمه بما عول عليه فيزيد فرحه قال الراوى ومازال كذلك إلى أن اكتمل عنده خمسون ألف ويقولوا ياملك إن لنا عند عنتر ثارات قديمة ثم أنه رحل بهم الملك المستوعر يطلب مكة والبيت الحرام وهم غائصون فى الحديد لا يبان وبين ايديهم المستوعر بن ربيعة البارقى كانه الفيل العظيم وهو فى سرجه كالعامود الحديد وهو يزف الرجال زفا ويحثها حثا وصدره يغلى على عنتر فانشد يقول صلوا على سيدنا محمد الرسول من شدت اليه الحمول

تقيم الرجال الأغنياء بأرضهم ... شربت بكاس فى السنين الخواليا
ولو أنى اشاء نقمت منه ... إذا مابدا للعين بالبنا والبيا
ونحن سفحنا آل عبس لدى الوغا ... بابيض حداد ثم سمر عواليا
حللت لهم والخيل تبغى قتالنا ... بانى اريد الخيل تعلوا الدواليا
وقلت وقد كان القول منى صادقا ... وفرقتها فى كل شعب وواديا
وسمر القنا كرها يبيح نجمهم ... وبيض والمواضى فى رؤوس الاعاديا
سمعت إلى العلياء بالسمر والقنا ... وبالمشر فى الغضب بان فعاليا
الم تعلموا أن الأسنه اجزرت ... حاربيهما الطعن للقوم فانيا
فما وجـــدنا فى القتال وإذلة ... بل وجدنا أسد غاب ضراريا
فقولوا لمن يدارى فى الدهر حاله ... ارى الدهر لاينحو من الموت ناجيا

قال الراوى ولم يزالوا سايرين إلى أن وصلوا إلى مكة المشرفة شرفها الله تعالى ونزلوا بظاهرها كل قوم لهم محل معروف من قديم الزمان وهذه سنة العرب إلى يومنا هذا ولما نزل المستوعر فى ظاهر الحرم تقدمت خواص قومه وسادات عشيرته جماعة وسار طالبا بازة عبد المطلب جد رسول الله ﷺ وكان يجلس على كرسى له تحت مزوات الذهب القصايد معلقة على البيت الحرام فوق راسه وإذا بزعقة الذى بين يديه وهو خلفهم فى سادات قومه ورجلاه تخط فى الأرض من عظم جثته وطول قامته ولم يزل ساير إلى أن وصل إلى الشيخ عبد المطلب ووقف بين يديه وسنة العرب إذا وطئوا الحرم واشرفوا على البيت الحرام ونظروا إلى القصايد المعلقة يسجدوا لها ويطوفوا بالبيت سبعا ثم يعودوا ويسلموا على الشيخ عبد المطلب لما وصل المستوعر إلى عبد الشيخ عبد المطلب سلم عليه وقبل يديه فرد

عليه السلام وقد حار من طول قامته ولما أبداه بالسلام ماطاف بالبيت سبعا ولا سجد القاصد فقال له الشيخ عبد المطلب مالى أراك قد عدلت عن سنة العرب وابناء الملوك من ذوى الرتب وتركت طوافك البيت الحرام وتسجد للاصنام ولا تسجد للقصائد فقال المستوعر ايها السيد انفت أن اسجد لقصيدة عبد زنيم يريد أن يذل بها ملوك الاقيال والسادات والابطال فقال الشيخ عبد المطلب أيها الملك أعلم أن عنتر قد اجتمعت عليه فى هذا المكان سائر الملوك والفرسان من سائر الاقطار وكانوا بعدد موجات البحار ومنعوه من تعليق القصيدة عن البيت الحرام فقال لهم ياسادات العرب وأصحاب الرتب انتم ملوك وفرسان وابطال وشجعان تدعون الحسب والنسب وكثر المال من الفضة والذهب ومافيكم إلا من هو من الملوك وانا كما زعمتم فقير وصعلوك وقد منعتمونى ان أعلق قصيدتى على البيت الحرام وانا لابدلى من تعليقها ولا يقدر يردنى عن ذلك إلا من يقهرنى فى الميدان ومحل الضرب والطعان فان طلبتم الانصاف فهو من شيم الكرام فابرزوا فارس فارس وان شئتم ابرزوا إلى باجمعكم فانا القاكم والتى جموعكم واغلب بغيكم عليكم قال الراوى فلما سمعت العرب كلامه انتخب وركبت الفرسان وبارزته الملوك والشجعان فنكس الفرسان وأذل الاقران واسر الملوك واسرفى يوم واحد اربعين ملك وعفى عنهم وعن دماهم ولو اراد ضرب رقابهم لفعل ولكنهم لما رأوا انفسهم تحت الاذلال اقروا له بالاذعان فاطلقهم وخلع عليهم بعد مارغم آنافهم واشهر سيفه واغمد اسيافهم قال الراوى فلما سمع المستوعر كلام الشيخ عبد المطلب حار فى امره واندهش واعمى عليه مما دخل على قلبه من الغيظ ساعة قال الراوى ثم أمر عبيده أن تحط القصيدة التى عن لعنتر عن البيت الحرام فحطوها واستلمها عبد المطلب وبعد ذلك سجد الملك المستوعر للقصايد الستة وقال له الشيخ عبد المطلب أنت أيها الملك قد حطيت القصيدة وتجرأت على أن عنتر الذى قد قهر الملوك وأذل كل غنى وصعلوك فلابد انه يسمع ذلك الخبر فيأتى اليك ويردها إلى مكانها وكانك أنت مافعلت شىء فقال المستوعر وكانى ما ابرح من هنا ولو بقيت عشر سنين حتى يجىء صاحبها من بنى عبس واضرم عمرة واكفى الناس شره وإن كان ما ياتى وقد سمع بفعالى وخاف منى فانا اسير إلى ديار بنى عبس واقلع آثارهم وابيدهم وابيد نبارتهم وآخذ رأسه واخمد انفاسه واعود

فقال له الشيخ عبد المطلب هذه فعال الملوك والسادات الاقيال وأراد الشيخ عبد المطلب بهذه الاقوال مكة حتى يأتى عنتر ويهلكه وكتب من وقته كتاب إلى الملك قيس يعلمه بما جرى من أوله إلى آخره وأعلمه أنه فى خلق عظيم وهو من ملوك قحطان وفرسانها فكاتبوا حلفاءهم وفرسانكم وأنفذوا خلف عنتر إلى البلاد لعله أن يقدم ويهزم عسكر هذا الجبار قال الراوى وكان عبد المطلب قد علم بما جرى لعنتر مع الملك يكسوم على حصن العقاب وعلى عمان وكيف دخل فتل طود الأطواد وكيف جزيرة قمرة وبعد ذلك انقطع خبره عنه ولم يعلم ما كان منه وأخذ الكتاب وسار إلى أن وصل إلى الملك قيس ورأى عنتر والفرسان كما ذكرنا عن كتاب عبد المطلب وكيف المستوعر حط القصيدة فلما سمع عنتر انفذ الجميع كما قدمنا وسار بهم وهم ستة آلاف فارس يريد أن يلقى بهم المستوعر قال الراوى ولم يزل سائر إلى أن وصل مكة المشرفة شرفها الله تعالى وبان غباره وارتفع وتزوبع وبان من تحته بريق صفاحهم ولمعان أسنة رماحهم وكان عنتر فى أوائلهم وأولاده الثلاثة من حوله وأخوة مازن وعروه بين يديه فعندها ركب الشيخ عبد المطلب وسادات بنى هاشم وكبار مكة والتقوا عنتر وبنى عبس قال الراوى ولما بصر عنتر لعبد المطلب وترجل له وغدا إليه وقبل يديه ورجليه فدعا له عبد المطلب ورده إلى سرحه وشكره ومازحه وساله وعنتر عن الذى حط القصيدة وقال ومن هو الذى تهجم على إنزل قصدتى من الملوك أرغم أنفه فقال له الشيخ عبد المطلب يا حامية عبس حطها رجل بن شداد ثم سار حتى وصل إلى وادى والحرم وتولته قبيلته فيه وهو من لهم المعروف بطول الزمان بعد طافوا بالبيت الحرام وسجدوا القصايد وعادوا إلى الخيام واخذوا الراحة للمنام قال الراوى ولما أصبح الله بالصباح وأخاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رءوس الروابى البطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح ﷺ وعلى آله وأصحابه ما طلع نجم فى السماء ولاح وقد جلس الشيخ عبد المطلب جد رسول الله ﷺ وعلى دكة الحكم وتقدمت اليه الملوك من كل جانب ومكان ان إمتلات البطاح يمينا وشمال وما فيهم الآمن طاف وسجد ولم تزل الخلق ويهرعون اليه حتى ضاق بهم المكان واتى المستوعر فى سادات قومه وابطاله وعشيرته اقلبوا الأرض من الصياح فسأل الشيخ عبد المطلب عن ذلك فقالوا ريا سيدا الحرم هذا الملك المستوعر قد أقبل اليك فلما سمع الملوك والأبطال ذكره نهضوا والتقوه ومشوا إلى أن اقعدوه بجانب الشيخ عبد المطلب بعد ان طاف بالبيت

سيما وسجد للقصائد السته وما استقر به القرار وأخذ فى الحديث مع الأبطال وإذا بزعقة قدار تفمت وضجة قد علت والرجال قد انقلبت واقبلت يدق بعضها بعض فقال الشيخ عبد المطلب والمستوعر ماهذا الصياح فقالو أيها السيد قد أتى عنتر الفارس الغضنفر قال الراوى فضحك المستوعر من كلامهم وقال إذا كان هذا الخوف من نظرة فكيف يكون عند قتاله وقال فى نفسه ماهذا إلا الأمر عظيم ووصل عنتر إلى دكة القضاء وبنى عمه ورآه فوقف بالابطح كانه الجبل والموت يلوح من بين عينيه ونادى بملو صوته المعروف بأرباب المناصب من ذوى الرتب من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى انا أعرفه بنفسى أنا عنتر بن شداد حاوى قصب الرهان ومذل الشجعان ومنزل الملوك من على مراتبها ومنكس الأبطال فى مواكبها ومقامى فى هذه البلد معروف وقد أسرت فيها أربعين ملك وعلت قصيدتى على رغم الانوف وصنعت بهم أقبح صنيع ومافيكم إلا من يعرف ثيابى وما أحد منكم إلا لحمته فى عمه واباه وأخاه وأولاده وها أنتم حضور وهذا الذى يقال له المستوعر قد تعدى على وحط قصيدتى وأنا غائب وماهذه فعال الملوك السادات وقد أتيت أقابله على ماصنع وأجرعه الموت جرع وأعيد القصيدة إلى مكانها على رغم أنفه وحق اللات والعزى ماأضعها إلا فى أول القصائد ومن منعنى أرغمت أنفه وطيرت قحفه وإن كنت يا مستوعر تمنعنى وتكون لى معاند فدونك والميدان ومحل الضرب الطعان حتى ألبسك حلة من الأرجوان وأهلك من جمته إلى فى هذا الكلام حتى تأركانه من بعض العار وزعق فى عبيده وبنى عمه وأقاربه والعرب ولبس ميصة عادية ملمنمة بحلية وتقلد بصفيحة هندية ومتقل بقناة خطية عليها السنان يدنى المنية وركب نجيب من النجب البجاوية يسبق غزلان البرية لايدرك الريح قوائمة وهو أبيض اللون كانة الصباح إذا انفجرا والقمر إذا بدر يبلغ بصاحبه الغرض أن حبسته انحبس وإن أطلقة انطلق كما قيل فى المعنى شعر

نجيب كالصباح له بهاء   مليح القد وضاح المحيا
إذا مال فارسه عليه   ينال بجريه فلك الثريا

قال الراوى وركبت لركوبه ملوك العرب وفرسانها وأبطالها ودارت حواليه من سائر الاقطار ونشرت على رأسه الرايات ودارت به من جميع الجهات وقدحت صوافى السلاح والرياح وترتبوا ميمنة وميسرة وقلب وجناحين ووقف الملك المستوعر تحت الرايات والاعلام ودارت به الرجال وأما عنتر فانه نادى فى بنى عمه وفرسانه وشجعانه ودار ابه

أولاده كأنهم السباع الضارية وكل واحدمنهم يرد برأسه الف فرنان وكذلك عروة بن الورد وفرسانه داروا بمترو هم غائصون فى الحديد وعنتر فى أوائلهم إلى ان قابلوا عساكر المستوعر فلما تعدلت الصفوف برزعنتر إلى الميدان بعدما أرادت فرسان بنى عبس أن تحمل فردها فتقدموا أولاده يطلبون معاونته فقال لا وحق اللات والعزى مايشفى غليلى غير يدى ولعل يبرز هذا الوغد حتى أعجل حمامه وصال وجال فرمقته العرب بالعيون وخابت فيه الظنون وهم المستوعر أن يبرز اليه فهانت المنية عليه (قال الراوى) فتقدم له فارس من بنى بارق يقال له الملكان بن ماجل وهو فارس جبار لا يصطلى بنار شرد العربان عن المناهل والانهار وأخذ جزية الملوك من سائر الفرسان فى الأقطار وصارت الملوك تخافه وتهادنه فتقدم إلى المستوعر وقال له اتركنى لهذ العبد الزنيم حتى انى أتركه قتيل أو آتيك به ذليل ولا يكون هذا العبد يقاتل مثلك ملك جليل قال الراوى فلما أذن له المستوعر حمل على عنتر وظن أن كل الأمور ترجح ثم خرج بين الصفين وطلب البراز من عنتر فعندما سمع الامير عنتر كلامه قفز وصار قدامه ثم بأنه قال له ويلك ياردىء الأصل ماكفاك ماعليك من الدما والثارات حتى تطلب من أصحاب القصائد المعلقات وهل يشبه ولد الزنا إلى السادات واليوم آخذ ثارى وأكشف عارى فقال له عنتر لاخير فيمن ذكرت لانك لئيم والدليل على ذلك أنى أطلقت سبيلك بعد أسرك وافتضاحك وعدت اليوم تطلب حربى وقتالى قال الاصمعى وكان عنتر أسره سابقا لما أراد أن يعلق قصيدته وأطلقه ومازال فى قلبه حرارة إلى ذلك اليوم قال الراوى ثم ان عنتر طلبه وفاجأه وطعنه بعقب الرمح ارماه عن جواده فاركه شيبوب وكتفه واستحسنت فرسان بنى قحطان فعاله فانسقته فى برازه حتى لا تمايرها فرسان بنى عدنان بقلة الانصاف وخرج اليه فارس موصوف بالشجاعة يقال له طارقة بن نايع النهاش الملقب بعفريت السواحل وكان عنتر قد اسره فى بلاد اليمن لما أن دخل اليها وقت غضب النعمان عليهم وقد ذكرنا برازه فى جبل الدخان فخرج اليه ذلك اليوم وحمل على عنتر ولما قاربه بانت الشجاعة على عطفيه فقال له عنتر من تكون ياغلام من فرسان اليمن فقال له انا طارقة الملقب بعفريت السواحل المسمى بغياح بن النهاس وها قد خرجت اليك استوفى منك دينى واقر بقتلك عينى فقال له عنتر كذبت والله آمالك وحمل عليه والتقى عنتر الغلام فرآه نار لا تطفأ فندم الغلام على خروجه اليه فطول عنتر روحه وجاوله فرأى عنتر منه التقصير

وعرف ذلك منه معرفة خبير هذا والمستوعر قد تفتت كبده فجاهدة مجاهدة الأسد وطعنه بعقب الرمح أرماه عن جواده فادركه شيبوب وشدوثاق وكان شيبوب كل مايكتف فارس يقوله ياويلك أما سمعت بقتال أخي عنتر أما أنهاك عن قتاله وقدسرتم أسراته وبعد ذلك بسوقه قدمه (قال الراوي) ثم أن عنتر طلب الحرب والبراز وسأل الانجاز ونادى بالقحطان أحملوا إلى بجمعكم وإلا أبرزوا في مقام الطعان هذا والمستوعر قد تفتت جسده وذاب كبده وكل ماأراد أن يبرز إلى عنتر تكبر نفسه عليه أن يبرز اليه فما يمكنوه قومه ولمارأى الأمر قد طال ترجل وركب بعض هجنه وأراد الخروج إلى عنتر فتقدم اليه المتغطرس بن ربيعة الحميري (قال الراوي) وان المتغطرس تقدم إلى المستوعر وقال له أيها الملك أنا أكفيك شره ومؤنة هذا الشيطان وأبيد كل من معه من الفرسان ولا نلبس أنت ثوب العار ببرازة فانا له ولغيره (قال الراوي) ففرح المستوعر بذلك وخرج المستوعر على جواد أشقر كانه موج البحر إذا زخر وفي يده حسام أبتر وعليه زردية لاتدخل فيها الابرو على رأسه تاج يحير فيه النظر وهو برمح أسمر وحمل عنتر كما ذكرنا وكان فارسا شجاعا كما قدمنا غير أنه بخيل الطبع يأكل الزاد وحده ويظلم عبده ويمنع رفيقه وهو كثير الغدر ماله ذمام لانه خال الحارث الخائن الناكث وقد صاحبه مرارا وتعلم من غدره ومكره وحمل على عنتر حتى قاربه فقال له عنتر من تكون من الفرسان فقال له أنا خال سيده بن الحارث فارس الاقطار ومشبع الوحش والاطيار واليوم آخذ منك بالثار وأخليك مطروحا في القفار (قال الراوي) ثم حملا على بعضهما بعض وكانوا تارة ميمنة وتارة ميسرة والحرب بينهما كالنار المسعرة والطوائف قد تعجب من ذلك وأهل اليمن قد أملوا النصر على يد المتغطرس والمستوعر يقول مايكون النصر إلا للمتغطرس لانه أصبر وأخبر بالحرب هذا والفارسان في طلب إتلاف الارواح وقد زاد الصياح من كل جانب وفي تلك الساعة بان لعنتر منه التقصير وعرف ذلك منه معرفة خبير فتمطأ في كعوب الرمح وطعنه في صدره فطلع نصف الرمح من ظهره وتركه معتدلا فيه ولما نظر المستوعر إلى هذه الطعنة أنذعر وتفتت فؤاده وتخبل وكذلك فرسان قحطان ومازالت الابطال تتبادر اليه وعنتر يقتل ويأسر حتى قرب نصف النهار وأحس من فرسه بالتقصير فعاد لبني عبس ونزل عنه وركب مهره كوكب بن الحجرة سكاب وقد وصفناها قال فيه من قوة الاعصاب وأخذ بيده رمح معتدل القوام والكعوب وتقدم ولده الغضبان وكذلك شيبوب وعروة والمطال الربيع بن زياد وأخيه عمارة وقالوا له ياأبا الفوارس قد تعبت وشقيت فخذ لك الراحة إلى غد فقال والله لا

الايبارزهم أحد غيري إلا أن يحملون على بهذا الجمع فدونكم وإياهم حتى لا أكون ضيعت نخوة الشجعان ويقولون عاونته الفرسان حتى وصل إلى تعليق القصيده وما أريد اترك لاحد على كلام وانا مابيني وبين هلاك فرسانهم الاشيء يسير وكل مابرز فارس منهم اقطع رقبته على مقدار مايلفظ ولما يرون ذلك بوقته يكونوا قد ذلوا وضمحلوا ويخرج هذا القرنان المستوعر اقطع رقبته فينفصل الحال فتركوه وعاد عنتر إلى بين الصفين ر رمقته الفريقين وصال وجال طالب البراز وسال الانجاز ثم أنه ثم وانشد ويقول صلوا على طه الرسول

ألا سادات الابطال من آل بارق	بلوغ الاماني من شقار البواتر
تهيأوا إلى طعن القنا من يد عنتر	على كل جواد من الخيل ضامر
أنا عنتر العبسي ذو البأس الندا	أقول مقال الطيبين العناصر
فدونك يامستوعر اليوم همتي	وحربي ياابن العاهرات العواجر
ولا بدلي بسـا أخليك ثاويا	وتبقى حديثا بين باد وحاضر
ويبقى حديثي بعد موتي مؤرخا	إلى أن يريد الله مبلى السرائر

ثم نادى شعر ه معاشر القبائل كل من له على ثار يطلب منازل العز والفخار يبرز إلى محل الأخطار لاخمد أنفاسه بهذا السيف هذا والفرسان ترمقه حذرا وتنظره شذرا وكانوا كل ماهموا أن يحملوا عليها يمنعهم ويخوفهم من العار وماجرى عليه مزق أطواقة (قال الراوى) ثم نادى اين السادات وصحاب المزوقت فاتم كلامه حتى قدمت أبطالهم وشجعانهم وفي أوائلهم عتبة بن شهاب اليربوعي وكانت العرب تعده بألف فارس في الميدان وكان عنتر قد تلقاه في أول منتشاه وقهر وأسر حاتم طي وزوجته مارية بنت قابص النظيرى ومن معه الفرسان وأطلقهم عنتر من يديه وخلع عليهم لانه طيب إلا قاله من قتاله ولما نظر ذلك اليوم توقيف الرجال عن عنتر اشتهى أن يحرب روحه معه في المجال وينظر أن كان تغيرت أحواله أو زادات فخرج حتى قاربه وناداه عنتر دونك والقتال ليبان لك مقاومة الابطال فاجابة شهاب اليربوعي وقال ياأبا الفوارس إن ظفرت بك مننت عليك بروحك وأن انصرت منك الغلبه قربت لك بالعجز واعتز ولا ينكر أصحاب الفضل الاكل لئيم (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه أخذته الشفقة عليه وتمنى أن يصل اليه حتى يمن روحه عليه فقال له عنتر من أنت من الفرسان وإلى من تنتسب من العربان فقال ياسيد الفرسان أنا عتبة بن شهاب اليربوعي الذى لقيتني وأطلقت من بدى حاتم طي وزوجته ماريه وعطاف ومننت على بروحي وخلعت على وكان أبي قد أصدق بذلك وقال لي إذا

بليت بقتال عنتر فاطلب الاقالة منه فقدامت فقدامه الذى أعرفى به ورأيت رأيه سديد فقال له عنتر ولاى شيء عدت إلى قتالى وقد شاهدت فى الحرب فمالى فقال له ياخامية عبس ماخرجت اليك فى زى عدو ولكن فى زى صديق لانى لما رأيت قتالك أشتهيت أن أجرب نفسى معك وأعود شاكر وأشهر محاسنك فى سائر القبائل والعشاير قال فلما سمع عنتر كلامه أجابه إلى ما طلب وجعل كل منهم على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه ويطاوله وزادت احوال عنتر وعجايبه وحار عتبة وأنبهر فى فروسيته وقال والله فروسيته طائلة ويده فى الشجاعة فاصله قال ثم أنهما صرخا صرختين كادت السماء والأرض أن ينطبقا على بعضهما بعض من شدة القتال والركض وتمنى كل واحد منهما أن يكون هو الغالب وأسودت المشارق والمغارب وصار كل واحد منهما يطلب صاحبة وقد خار عتبة من عنتر ورأى منه ما يحير الفكر وقد خابت ظنونه لان عتبه كل مافتح بابا من الحرب سده عليه وأيقن انه بصير فى يديه وأبصر عنتر فارسا لا يطلق فطاوله وجاوله ولو أراد قتله لقتله ولكن عفى عنه لاجل ماذكر وهجم عليه عنتر وسل سيفه وضرب رمحه أبراه وأثنى عليه بضربه ثانية صفحا كادأن يطير أعلاه هذا وعتبه قد نظر ما أهاله فترجل عن جواده ورمى سلاحه وطلب عنتر وهو يقول ياويلك من فارس مكين فانت ليث الفرسان وصاحب الكرم الصادق والضرب الخارق والطعن الماحق وأنت فارس الفرسان وحاوى قصب الرهان أطيب العرب تجاد وأثبتها جلاد صاحب الكرم ثم أنه أشار يقول صلوا على سيدنا محمد الرسول

مازال دمعى عزيز عند فرقتكم	سجايا دمعها سيا من الدرر
وقلت للعين لما جاد وابلها	ماشجانى من الأحزان والسهر
كانه سحابا ماطرا أمطر على كبدى	فانها كبد حرا لم تنكر
أيقنت لما بلانى الدهر وأتصلت	لى الخطوب وأوهى الدهر مصطبر
يابن شداد حامى الجمع كلهم	فكن غياثى وكن عونى وكن ذخر
أراحنى الدهر من هم ومن ضرر	بعنتر ذى العلا والبأس والخطر

قال الراوى لهذا الحديث والنظام ونحن نصلى على البدر التمام فلما سمع عنتر بن شداد كلامه وشعره ونظامه فقال عنتر والله ياعتبه مثلك قليل فى هذا الزمان وأنت فريد عصرك لانك تتيجه ذلك الشيخ النحرير الذى يجمع فرسان الأقطار خبير سيد بنى يربوع الذى تخافه كثرة الجموع وكان هذا شهاب اليربوعى رجل كبير الاسم فى العرب تخافه الملوك من ذوى

الرتب وكان أيضاً من المعمرين يقارب دريد بن الصمة وقال أسير الى المستوعر وانصحه ولما وصل اليه وقال له أيها السيد الجليل الرأى عندى أن تصالح عنترة ذا الباع الطويل وتدخل تحت ما يريد من تعليق القصيد ولا تحمل نفسك ما لا تطيق لأن عنتر شيطان مريد وإن كنت ما تسمع مشورتى وإلا فاعلم أيها السيد أنه يملك فرسان قحطان ويلتقطها كما يلتقط الحب الغربان وبعد ذلك تحتاج تبرز اليه بين الفرسان وما تكون معه على أمان وأنا ورلا البيت خائف عليك قال فلما سمع المستوعر قال ياعتبة وحق ذمة العرب لابد لى ما أقلع شأفته وأبيد غبارته وأفنى عشيرته هذا كله يجرى من القول وعنتر يصول ويجول وينشد ويقول صلوا محمد الرسول المرسول من شدة اليه الحول .

ابرزوا الى ضرب الصوارم ... والطعن بالسمهرى الهادم

وتيقنــوا أن المنيــة قــدرت ... تحت الأسنــة والصــوارم

لم يبــق ذر سن صغــير ... ولا كبــير السن هارم

يا عبلة لو نظرت عيناك ... الى الخيــل الجمــاجم

وأنا كليث الغاب كالبــسان ... افترس العدا مثــل القشاعم

وإذا رأيت مهنــدى ... ناديت يا ابن الأكارم

فى يــوم معــترك القنـا ... لم يلقنى أبــداً مقـاوم

ولما فرغ عنتر من شعره يطلب البراز وسال الانجاز ونادى هل من مبارز هل من مناجز احملوا بجمعكم يا سادات القبائل ودعوا المطال فلما سمعت الفرسان هذا المقال قالوا ياويلك من عبد ما أبلغك فى الفصاحة والله العظيم لو أمك عربية لافتخرت على ساير البرية ولكن اسم العبودية ردية ولما طال بعنتر المطال وأبصر الأبطال تنظر اليه الصفوف لا تجسر تخرج اليه لعب على جواده فى الحال وحمل وطالب الميمنة فقتل ستة فوارس أبطال وعاد الى الميسرة قتل ذلك المقدار ونكس رايات بنى قحطان وطلب القلب فخارت من أعماله العربان ولم تكن إلا ساعة حتى حارت الفرسان ونكس رايات المستوعر وتقهرت الى ورائهم ثم تنحت الشجعان وحملت أبطال بنى قحطان فردها لمستوعر عن الحملة خوفاً من العار أن يقال أنه حمل على رجل واحد خمسون الف فارس ثم ضمن لأصحابه هلاك عنتر فى غدو دعنى ألبس العار وعاد عنتر بعدما قتل عشرين فارس من بنى تميم وكان الوقت قد ضاق وأمسى المساء وعنتر ما مضى عليه ذلك اليوم حتى أسر سبعين فارس وقتل

مائة وعشرين سوى من انجرح وانهزم وعادوهو مثل شقيقة الأرجوان فالتقوه أولاده وعروة والربيع بن زياد وعمارة وهم يتمنون أكل لحمه وشرب دمه ويهنوه بالسلامة ويبشروه بالنصر فشكرهم عنتر على ذلك وقال له الربيع يا ابن العم لا زلت فى العلو والارتفاع مادام الصبح مشرقا والغصن مائس مهارقا فلقد أشفيت الغليل قال فشكره عنتر على كلامه وهنوه أولاده الملك زهير بالسلامة وقال لحارث يا أبا الفوارس اعلم ما بقى يمسك العرب عن الهزيمة إلا المستوعر فان قتل وأسر نمسك عليهم الطريق فقال له عنتر صدقت فيما ذكرت وأنا فى غداة غداد عوه إلى البراز فان خرج إلى فهو المطلوب وإلا حملت أنا عليه وطلبت الاعلام وأحوجته يخرج إلى قتالى إذ أبصر فى نفسه الهوان فان حملت بنى قحطان فاحملوا أنتم من خلفى فهى تكون وقعة الانفصال فقالوا بنو عبس وأولاده هذا هو الصواب وفرح الغضبان بذلك وأعجبه هذا الكلام لأنه كان يريد أن يريح أبيه عنتر من القتال وعنتر لا يكلفه بذلك شفقة منه عليه وعادت بنو عبس إلى وادى الحرم ونزلوا بعد ما سار عنتر إلى خدمة الشيخ عبد المطلب فهناه عبد المطلب بالنصر والسلامة وقال له يا أبا الفوارس افعل بهم غد مثل ما فعلت فى هذا اليوم وقد هان أمر القوم فقال عنتر أى وأبيك يا مولاى ثم رتب الحرس على أولاده وأقام تلك الليلة واستراح ولما كان عند الصباح ركب عنتر وأولاده وبنى عمه كذلك ركبت بنى قحطان وفرسانها والملك المستوعر فى أوائلهم كأنه البرج المشيد وهو مسربل بالحديد وكانه قد عزم على قتال عنتر قال لرجاله ما بقى لى قعود عن قتال هذا العبد ولد الزنا ودع العار يا لومنة لأن ما بقى لى فارس يلقاه غيرى ونحن كل يوم فى نقصان وهم وزيادة ولا بد لى من الخروج اليه فقال له أكابر قومه وقد خافوا عليه من عنتر وحق ذمة العرب وشهر رجب أنا فارس لا يطاق ولا يقاومه فارس عند ضرب الحسام وما تم بينهم كلام حتى ضجت القبايل والجنود فبرز اليه فارس مثل العقاب وأخذ فى الطعان والضراب ولكن ما قام إلا القليل وأخذه عنتر أسير وقال لقومه لا تمكنوا أحد يخرج اليه فقلبى عليه قد امتلأ غيظا ولا يعرف حرارة النار إلا من اصطلاها وما بقى يحملها أحد غيرى إلا أنا فلا يلومنى لائم ولا يعتب على عاتب فاذا قتلت عنتر والغضبان فقد سهل الأمر وهان وقال ولما طلع عليهم الصباح تبادرت الابطال على الجرد القداح واعتدوا بالسيوف الرماح واصطفت رجالها وطلبت الأهبة لقتالها وركب عنتر بن شداد وبنى عبس الأجواد وكان الغضبان ينادى بأخيه غصوب بالأخى دونك وهؤلاء الأوغاد حتى نتحمل عن أبينا الأمور الشداد ولما تعدلت الصفوف وترتبت الألوف

برز عنتر بن شداد لأجل ما فى قلبه من الأحقاد لأنه علم أن القبائل ما تدخل تحت أمره مثل ما تريد وتصير له أطوع من العبيد إلا أن يقيل المستوعر أو يأسره فبرز بين الصفين وصال وجال يمينا وشمال ونادى يا آل قحطان دونكم وإياى فى القتال (قال الراوى) فلما سمعت بنو قحطان ذلك فما أمهلت دون أن حملت بأجمعها وكان المستوعر فى مقدمتهم وقد اتصل الضرب والطعن وقد لاقوهم بنو عبس بضرب مثل الصواعق ولما دام ذلك قل القوى من بنى قحطان والخيل تنافرت نفور القطا واستوى عندها الصواب والخطأ وانكشف الستر والغطاء وانقلبت جبال البيت الحرام وأخرست الأصوات والأسماع من وقع السلاح وتقعقعت الرايات قال كل هذا عنتر مرتكز يتفرج على القتال وكان الغضبان قد لاقاه المستوعر وهو يصول على الفرسان فعارضه الغضبان وأخذ معه الفى القتال وقد وصل الخبر إلى عنتر وقيل له الحق ولدك الغضبان فانه التقى بالمستوعر وسط الميدان واقتلا قتالا شديدا يا أمير الأقران فحمل عنتر فى تلك الساعة على العساكر حتى انه أدرك ولده الغضبان عند المسا وهو راجع من القتال والمستوعر كما شرفنا فى هذا الديوان فهناه عنتر بالسلامة وقال له ياولدى ماتقول فى خصمك فقال ياأبت لعن الله الكاذب ماهوال فى حومة المجال ولولا حملت فلما رجع ولده الغضبان أخبر أباه بما شاهد من الأهوال فى حومة المجال ولولا حملت أنطاله لما فارقلة فى الصدام حتى آخذ روحه عن جنبيه فصدقه عنتر فى أقواله وقال له ياولدى أنه ولا مثاله ثم أن عنتر شق الصفوف وفرق الالوف وهو فى طلب المستوعر حتى يلقاه فرأى العساكر هاجت وزادت فى الحروب وذابت الكبود وعظمت الكروب وصاروا بين غالب ومغلوب وطالب ومطلوب وناهب ومنهوب وباك ومنكوب وسالب ومسلوب وهذا ذبيح وهذا طريح وشردت الخيل والجنائب وبانت من عنتر وأولاده العجايب حتى عول الليل على الارتحال وهو فى حرب وطعن ونزال فركب الشيخ عبد المطلب بن هاشم وسادات مكة الا كادبر ونادى ما هذا البغى والاسراف وقلة الإنصاف يا حاكم العرب تأمرنا نسجد لقصيدة عبد من عبيد العرب فقال انصفوه فى الحرب والصدام إن كنتم من العرب الكرام فقال المستوعر أنا أنزل اليه فصملت تلك الطوائف بغير اختيارى فقال الشيخ عبد المطلب إذا لم تنصفوه وإلا فارحلوا من هذا المكان وقاتلوه ثم إنهم اتفقوا على المبارزة والإنصاف وترك الجور والإسراف ونزلوا الراحة مما قاسوا فى تلك الليلة

ساعة من النهار وركب العرب والفرسان من قحطان وعدنان راصطفت الصفاز وإذا بعنتر قد تحضر وظهر وهو على ظهر جواده الابجر وصال وجال وانشد وقال

يا عبله قومى وانظرى للطاها ... وتمرضى للنار حين أطاها
وأزيدها من نار حربى شعلة ... بين الورى حتى تدور رحاها
بمهند عضب جسام ابتر ... يفرى شعور الرؤس عند مياها
والخيل تعلم اننى لا أنثنى ... عما اروم ولو يكون فناها
طعنا وضربا يهدم رؤس العدا ... حتى يفوز بذكرها وثناها
ولقد اتتنى حمير فوق خيولهم ... برهف بارق تحت ظل قناها
ولما لقيت الجيش ولى هاربا ... تحت الغبار ولا يجيب نداها
وأنا المقرى للفوارس فى الوغا ... يوم الحروب شبابها وكهاها

قال الراوى فلما فرغ عنتر من ذلك الكلام انحدر اليه فارس همام واسد ضرغام وهجم عليه فتلقاه وجال معه ساعة واخذه أسير فخرج إليه ثانى فتركه على الارض عفير ونزل اليه ثالث نركه اسير ولم يزل على ذلك حتى اسر عشرين وقتل ثلاثين فصرخ المستوعر ويلكم يا بنى عمى لا تمكنوا أحدا ينزل إلى الميدان ثم أنه صرخ على عبيده أحضروا له آلات الحرب والجلاد فلبس زردية متضاعفة العدد سليمانية وجعل على رأسه بيضة عادية وانقض على عنتر إنقضاض البلاء والقدر واشار ويقول صلوا على طه الرسول

زعمت عزمت لبنية انى أول هاربا ... من نسل عبس أو اكن مجانبا
فاجبتها انى معود فى اللقا ... قتل العداه ولم أولى هاربا
حتى اروى السيف من دم العدا ... ومن الدما اكون أول شاربا
فاستبشرى منى بقتل سراتهم ... وتبقنى مقى بطعن صايبا
فوحرمة الأصنام أفنى جمعهم ... وكرن فى يوم الكريهة غالبا
وابيد اسودهم بجد مفند ... وافنى بنى عبس وبضرب قواضبا
كى يعلمون باننى الأسد الذى ... لا أخشى يوم القتال محاربا

قال الراوى فلما فرغ المستوعر من شعره ونثره فصرخ عليه عنتر وتلقاه بقلب مثل الحجر واجابه على عروض شعره يقول هذه الابيات صدا على صاحب المعجزات

اثيت اتاك لدى الكريهة ضيغما ... كم اباد من الكماة معاتبا
والكيلكان أذقته كاس الردا ... وتركته وسط الربا وسباسبا

وكذا بنى شيبان أبدت كاتهم ما زلت فى يوم الجال محاربا
وكذا بنى فهذا الكرام لقيتهم وسقيتهم كاس الردا ومصائبا
وكذا بنى خطبولو فى يوم القا أفنيت جمعهم بطعن صائبا
وكذا المستوعز النذل الذى حط القصيدة سوف يمضى خايبا
وأبيد أفرسهم بحد مهند وأسقيهم كاس البلا نوائبا
وانثنى قبائله وأقطع رأسه وتعود عسكره بوسع كتائبا
إنى لعنترة إذا اشتبك القنا وقواضبا وذوابلا وسلاهبا
لا أنثنى من فارس متقترم حتى أدعه للمنية شاربا

قال الراوى فلما فرغ عنتر من شعره ونثره حمل عليه وانطبق كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضربه ويقوله ويحاربه وزعقاز عقتين عظيمتين تفتت الأكباد وتطاعنا بالرماح المداد وتضاربا بالسيوف الحداد حتى ارتجت من تحتهما الأرض والمهاد ولم يزالا فى قرب وابعاد حتى ماد بياض النهار سواد وتشمتت فيهما الاعداء والحساد واشتد بينهما الأمر وزاد الغبار سوادا على سواد وصاق بهما الميدان بعد الاتساع وانصمت الأسماع وكثرت الآلام والأوجاع وتفرق الشمل بعد الاجتماع هذا وعمارة يقول لأخيه الربيع وحق رب البشر لقد كان حنق عنتر فقال أخوه دعنا من هذا المقال حتى ينفصل ما بينهما من الحرب والقتال لانى أعرف أن عنتر هو الظافر بجميع الاعارب لان له وجه تتخطاه المصائب هذا وقد دام الحرب بينهما إلى أن أمسى المساء بالظلام وولى النهار بالابتسام وقال المستوعر لعنتر ارجع إلى مضاربك والخيام واستريح بأكل الطعام إلى أن يصبح الصباح فتعود الحرب والكفاح فقال عنتر لا وحق فالق الاصباح لم يكن بيننا انفصال إلا ببلوغ الآمال وأما الراحة فهى لك مباحة فانزل قبالى وأنا أنزل قبالك لان الليل أسود وأنا أسود وجوادى أسود وأحب ما على قتالى فى الظلام الاسود فلما سمع المستوعر ذلك الكلام ترجل عن الهجين ونزل كذلك عنتر وهما يدمدمان كانهما أسدان ولما رأت الطوايف اليهما وقد نزلا انهما يريدان المبايتة فى الميدان فلما علم الغضبان أناه بايت مع خصمه صار طالبه حتى نصل اليه وهنأه بالسلامة وسأله عن خصمه فقال وحق ذمة العرب وشهر رجب أنه فارس ورايت اليوم منه قتال الغضبان يا ابتاه انت رجل قد كبرت وتغيرت همتك وتل حيلك شديد فقال وقوتك عما لاقيت من الاهوال والحرب والقتا وفاركنى أنا لقتال المستوعر القرنان وأنا

أسقيه كأس الهوان فقال له عنتر ياولدى ما أنت إلا من أصحاب الفعال والقتال ولكن ما أنت قياس هذا البسل الحرام فاغتاظ الغضبان من كلامه فاخذ بخاطره وقال له لا يصعب عليك هذا المقال فانت الاسد الريبال وكنت أحوج لك بلقاه ولكن أبقى معيرة بين العربان إلى آخر الزمان لأنهم يقولون لما ذاق حربه استعان بولده الغضبان عليه حتى عرف يأخذ روحه من بين جنبيه ثم انه أشار يقول صلوا على طه الرسول

تعنفنى بما ترى من شراستى	وشدة أقدامى زبيبة لو تدر
فقلت لها أن الكريم إذا اختلا	فيصبر على حال أمر من الصبر
وفى الشيب ضعف والشرائس هيبته	ومركبها صعب على المركب الوعر
ويعذلنى من ليس يعرف همتى	وإنى على الأعسار تنظر اليسر
أنا فارس لا أخشى سطوة العدا	أنا ليث غاب لا أبالو بما يجرى
أغضبان لا تفزع من الموت إنه	قضا ملك يحى الانام وما تدر
أغضبان شهامتى فى ملتقى العدا	حتى تنال الشمس من غاية الفخر
أغضبان لا تخشى على إذا جرت	سيول الدما حتى تسيل على الوعر
أغضبان هذا المرت قدحان وقته	فقدت جميع الأهل حتى أتى عمرى

قال الراوى ولما سمع الغضبان كلام أبيه سكت لابدا ولا عاد وعنتر يقول ياولدى أنا ما منعتك عن قتال هذا الجبار إلا شفقة عليك ثم إنهما باتوا حتى أصبح الله بالصباح فتقدمت العساكر حتى يتفرجان على الحرب والكفاح وقام عنتر وركب على ظهر الجواد كذلك المستوعر ركب على عهر نجيبة وهما على ذلك الحال حتى أيقن كل واحد انهما بالصفاح وهما فى مصادمه ومهاجة وهما على ذلك الحال حتى أيقن كل واحد منهما بالزوال وكل منهما يظن أنه هالك حتى تحكمت الشمس فى قبة الملك واختلاف بينهما طعنتين سابقتين واصلتين فاما طعنه المستوعر فانه أبطلها عنتر بحسن صناعته وأما طعنة عنتر فانها وقعت فى واصدر المستوعر خرج الرمح يلمع من ظهره فوقع قتيل وفى دمه جديل فلما رأوه قومه قتيل انطبقوا على عنتر وقالوا اشلت يداك وشمتت بك أعداك فتلقاهم عنتر بقلب مثل الحجر وحلت أبطال بنى عبس وعدنان وبنى قراد وبنى زياد فرسان الحرب والجلاد والتقت الرجال بالرجال وجاء الحق وزهق المحال وحمى الوطيس وتكردست الرجال كراديس وبان الشجاع النفيس من الجبان التعيس وفرت أبطال الجن كافر إبليس وطلع الغبار إلى العنان

وأحمى الميدان عنتر فارس الزمان وأخذ الأرواح من الأبدان وحصدهم الغضبان وتبعة غصوب وميسرة وعروة كأنهم فروخ الجان وذلت الرجال وخابت الآمال وايقنوا بالوبال وارادوا أن يطلبوا الأمان وإذاهم بغبار قد ثار وعلا وسد الأقطار وأظلم منه النهار فاحدقوا اليه بالأبصار وأنفذوا لهم الأخبار فسار ورجع لهم على الآثار وقال لهم هذا فارس الزمان الملك الزبرقان ومعه الفارس الشديد المسمى بالصنديد وكان خلقته عجيبة لأن عظامه كانت صماء بلا مخ وأضلاعة صف صف واحد وهو على جانب عظيم من القوة والشجاعة والفروسية وكان قد أتى فى صحبة الزبرقان لأنه صديقه وكان أرسل له رسول أنه ينجده على قتال عنتر وبنى عبس وعدنان وكان غائب عن الحلة فى بعض غزواته فاجاء إلى الحلة إلا بعد الرسول بثلاثه أيام فقام وكاتب الصنديد ولم الفرسان وسار قاصد البيت الحرام وهو يطوى البرارى والآكام وفى صحبته ثلاثين الف فارس من كل مدرع ولابس حتى أشرفوا على مكة فى اليوم الذى قتل فيه المستوعر كما وصفنا وأرسلوا الفرسان يكشفوا الأخبار ويطلبوا الحرب والقتال حتى رجعت الفرسان وأخبوهم أنه الملك الزبرقان معه صديقة الصنديد ففرحت بنو قحطان فرحا شديدا ماعليه من مزيد وظنوا أن الزبرقان يأخذ لهم بالثأر ويكشف عنهم العاقاتوا اليه وتقدموا بين يديه ونموا على الملك المستوعر وعلى من قتل لهم من الفرسان فوعدهم بأخذ الثأر ثم إنهم باتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وركبت الفرسان واصطفت الفرقتان وكان عنتر لما رأى العساكر القادمة زاد به الغيظ والغضب لأنهم أعاقوه عن بلوغ مراده وإلا كان بعد قتل المستوعر كسر أجناده ولكن علم أن بقدوم الزبرقان والصنديد يزيد الحرب بينهم ويتعب التعب الشديد فما كان له دواء غير الصبر وأما الزبرقان فانه سار عند الصباح لأجل السلام على الشيخ عبد المطلب فاستقبله وسأله عن قدومه فقال ياسيد بيت الحرام كان سبب قدومى لأجل أخذ ثارى وكشف عارى من هذا السيد الزنيم والوغد اللئيم فأشار الشيخ عبد المطلب بترك القتال . قال له ياولدى أنت أخبر بشجاعة صهرك ومن كان معه من القبائل فقاتلوهم وأفنوهم وقتل المستوعر وكان معه أربعين الف عنان غير النجدات وهم أوفى من ثلاثين الف فذل الجميع ولولا قدومك فى هذا النهار وإلا ما كان بقى منهم ديار ولا نافخ نار وإن أردت أن تصون دماء الفرسان وترفع السيف عن قبائل العربان وترجع إلى ديارك بأمان فدخل تحت طاعته وتكتفى شره وبراعته فلما سمع الزبرقان ما تكلم به الشيخ عبد المطلب أخذه الغيظ والغضب وقال الزبرقان فوحق الذى أنشأ

الخلائق والأمم ما أرجع عن هذا النسل الحرام فقال له الشيخ عبد المطلب دونك وما تريد أيها الفارس الشديد والقرم العنيد فقام الزبرقان ورجع إلى فرسانه وطائفة بنى قحطان وهو يوعدهم بهلاك عنتر وبنى عبس وعدنان حتى أقبل الليل وباتوا حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وما اتفق ان الغضبان فرح بمجىء الزبرقان وبالنكد الذى حصل لأبيه عنتر لأنه كان معتمدا على برازه ويقول لعروة والله يا أبا الأبيض لا بدلى من قتاله فقال والله والله يا غضبان أبو لاماله نظير فى هذا الزمان وما ردك عن قتال المستوعر إلا شفقة عليك وأنت أخبر بشفقة الوالدين فقال الغضبان ويلك يا جبان أنت ما كنت معه فى أول ظهورى ومبيته على القيعان ولا قدر على حتى عصر على البيضان فسكت عروة ولم يرد عليه كلام وراح وخلاه والغضبان فى نار لا تطفى ولهيب لا يخفى حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وركبت الفرسان تريد الحرب والكفاح وركب الزبرقان وجميع بنى قحطان وركبت بنى عبس وعدنان وبين أيديهم عنتر وأولاده وعنتر يقعطف بخاطر الغضبان لان عروة كان حكى له على ماجرى منه والغضبان يقول يا أبتاه وحق الحنان المنان لا بدلى ما أبارزك فى الميدان وهو يتبسم من قوله وهم أن ينزل إلى الميدان وإذا بفارس سبقه وهو مثل الشيطان وهو على حصان كانه البرق اليمان كما قال فيه بعض واصفيه

سبقت الريح لما سار تحتى حصان لا يقاس له حصان قوائمه الرياح إذا تخطى
يقول البرق كان له عنان تضيق الأرض إذا تبدى ولا يدنوا لراكبه سنان

قال وكان عليه درع زرد مضاعف العدد لا يخرقه الرمح المسدد كما قيل

وفاضـــلة ماهـــومة متناضة مضاعفة لا تحتويها الانامل
دلاس كظهر النوق لا يستطيعها حسام ولا روس الرماح الدوابل

ومعتقل بقناة سمهرية من عمل سمهر عليها سنان كانه البرق فى اللمعان ومتقلد بسيف مشرف إذا دب عليه النمل خفى كما قيل فيه هذه الأبيات

يبيد ولا يزول عن العيان ويقطع حده قبل التدانى
كأن الموت واخاه قديما وأودعـــه المنيــــة بالامان

قال ثم ان الفارس صال وجال وقال يا معشر العربان من كان يعرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا الفارس الشديد المسمى بالصنديد ثم انه أشار يقول

دونكم حربى أنا الصنديد ليث شجاع بطل شديد
أقطع الهـــامات والوريد بأبيض وأسمـــر مـــديد

أردى العدا وسط الفلا فى البوادى فعل همام بطل وحيد
وقلبه أقوى من الحديد من سطوتى وقوتى فى البيد
تركته ملقى على الصعيد ورأينا رأى فتى سديد
لا طائش القلب ولا رعديد تخافنى أسود الفلا الاسود

قال فلما فرغ الصنديد من كلامه نادى يا بنى عبس هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز إلا قار سكم الاسود فما تم كلامه حتى سار عنتر قدامه وهو على ظهر جواده الابجر وأشار يقول

ابشر فقد وافاك ليث البيدا لجندل الابطال فى الصعيد
بطعن صدر الفارس العنيد بضرب قد صيغ من حديد
وصارم يقطع فى الجلمود ويبرى الهام مع الوريد
ويلتقى الطعن ولا يحيد فعل همام بطل مجيد
لا بد من قتلك يا صنديد تحت غبار النقع فى الصعيد
أوصى لعرسك يا أخا ذا الجيد تكثر عليك النوح والتعديد
فاليوم ألقيك بقفر البيد معفر الخدين والوريد

قال ثم انه حمل عليه حملة بطل شديد وقرم عنيد وتهاجما وانطبقا واجتمعا وافترقا وسال العرق منه فقا وبدلا بعد النعيم بالشقا وازورت منها الحدق وهما تارة فى الميسرة وتارة فى الميمنه وتارة تجرى بهما الخيل خببا وتارة قهقرة وهما فى حراب وطعان حتى عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال فاغتاظ عنتر من ذلك وهاجمه وضايقه وطعنه بالرمح فى صدره أخرج الرمح يلمع من ظهره اثنى عشر أنبوب فتلقح على الارض قتيل وفى دماه جديل فاحتار الزبرقان لما رأى ذلك الامر والشأن وانحدر إلى الميدان وهو محروق القلب والجسمان فأشار ويقول

يا لقومى قد زاد همى وغمى واعترانى الاسا وعم غرام
ومصابى إذا تفكرت فيه خاب جسمى وزال عنى منام
فقدت الشجاع والفارس الندب ومفنى العداة يوم الرمام
قد بكت الرماح فى ملتقى الحرب وقامت عليه بيض الحمام
عجبنى كيف غوت مثله الارض وقد كان سيدا فى الصدام
وفى المستوعر عدمت رشادى وجفانى الكرا وزاد غرام
وكذا الفارس الكريم الحيا صاحب الكرامات فى كل عام

فارس تخضع له الفوارس فى الحرب   لديه من قبل سل الحسام
الهمام الصنديد من كان قرما   سوف آخذه لثاره فى الصدام
إننى الزبرقان ليث شجاع   سوف أبلغ من الجميع المرام

قال الراوى فلما فرغ الزبرقان من كلامه وأتم شعره اتقاه عنتر باهتمامه وأجابه على شعره ونظامه يقول :

ويلك أقصر يا نسل قوم لئام   والتقيا فى الحروب تحت القتام
واترك الفخر لا تطيل جدالى   ثم بادر الحرب ليث همام
إننى جمرة الحروب وقرن   ومبيد الأقران عند الصدام
كم شجاع تركته بدماه   وهو ملقى مجندل فى الآكام
كم مليكا أضحى صريعاً   تنهب الوحش لحمه والعظام
لى حنان أجرى من البحر حقا   وبنان فى الحرب يحمل سهام
وسنان وعدتى وجوارى   يسمعونى يوم الوغى وحسام
كم ملوك أذلتها بعد عز   وجيوش أذلتها فى المقام
سل ملوك الأعجام عنى وما قد   نلت منها يوم اللقا والزحام
وليوث العربان سل عن فعالى   حيث رأوا غلبهم نهار الصدام
وبلاد العراق كم خضت فيها   من جيوش وفارس مقدام
لم يرى فى الزمان مثل شجاع   وهمام قرن منيع المرام
وكذا أنت سوف تبقى طريحا   عافر الخد لا تجيب كلام

قال الراوى ثم حمل عنتر عليه فالتقاه الزبرقان بقلب لا يخاف وتحيرت منه الفرسان وهما يتهامزان فى طابق الجولان ولا يأخذهما ضجر ولا ملل وكان الزبرقان جبار لا يصطلى بناره ولكن عنتر أثقل منه عيار فرجع الدرهم عليه دينار فهاجمه ولازمه وسد عليه طرقه وطرائقه وتعلق بجلابيب درعه وجذبه ذليل حقير فأخذه شيبوب وشده كتوف. وقد انسدل الظلام وخفت مواقع الأقدام وتباشرت بنو عبس بالنصر والظفر وزال عنهم الهم والفكر ورجعوا وتلوا فى الخيام وأحضروا الطعام وافتقد عنتر أولاده فاوجد الغضبان فأرسل شيبوب لى مضربه فما وجد فضاق صدره من ذلك فقال له عروة أنا أعلمك بما هو معول عليه لا شك أنه راح إلى بنى قحطان فقال عنتر والله أنا ما منعته عن

المستوعر إلا خوفا عليه وشفقة لايسطر عليه وكان الغضبان خلا أباه لما أسر الزبرقان والعرب ملتهين اليه بالظر ودخل الليل واعتكر فانشل من بين الفرسان وقصد إلى بنى قحطان فوجد وهم قدعولوا على الانهزام فادركهم ووعدهم بالنصر والظفر وأن يقتل لهم بنى عبس وعنتر ففرحو الأنهم رأوا الله وسية لانحه عليه فقالوا له من أنت من الفرسان ومن أى قبيلة يارين الفتيان فقال لهم أناما أقول لكم على عربى ونسبى حتى اقتل لكم عنتر بن شداد ثم انهم باتوا حتى أصبح الله بالصباح فما صدق الغضبان بذلك حتى قفز إلى الميدان ونادى وين الفرسان الأماجيد وين الذى يريد تعليق القصيدة دعوه ينزل إلى حومة الميدان حتى يبان الشجاع من الجبان فقفز اليه عنتر وهو ضاحك من مقاله وقال ياولدى وحرمة البيت الحرام ما كان كلامى اليك إلا شفقة عليك فقال الغضبان وحق من أوسع الفلاة لابد لى من القتال وياك وإن أبيت فلا نامن منى أنا أغدرك وأقتلك فقال له عنتر أرجع عن الكلام فقال له لاتطيل الخطاب فلا بد لى من الطعان والضراب وحمل عليه وهو ينشد ويقول

إنى أنا الغضبان ليث مشتهر	أصبر على هول العجاج المعتكر
أعلى على الأبطال والحرب دائر	أجندل الأعداء بالقضب الذكر
هناك تلقـــانى بقلب كالحجر	أقــــد هامات الأسود بابتر

قال الراوى فلما فرغ من شعره وسمع عنتر كلامه أجابه يقول

دونك حربى أيها الهمام فانى ليث الوغى المقدام أضرب الأعادى بالحسام ولا أخاف الموت الحمام وأنت أخبر أيها المقدام وحلتى ابوم اللقا ءاضام

قال الراوى فعند ذلك حملا على بعضهما وأخذا فى الميدان وهم فى ذكر وفر وحركة ومستقر وصدود إلى أن أمسى المساء فقال عنتر يغضبان وما تقول على الرواح فقال لاوحق مسخر الرياح لا يكون بيننا انفصال إلا بالاتصال ثم انه ذل عن الجواد وفعل عنتر مثل فعاله وكل طائفة طلعت إلى صاحبها بزاده حتى أصبح الصباح وطلب الحرب والكفاح وأشار الغضبان ينشد ويقول

قد علمت ذات القبايل والحلل	والـكلل الحمر واطراف الأسل
أنى أخوض الحرب فى الوغى	وأقهر الفرسان ما عندى ملل
وأهجم صفوف العدا وسط الوغا	لاأرهب الماعت إذا الموت نزل

قال الراوى فلما سمع منه هذا الكلام وما أبداه من النغام ضحك عنتر من مقاله

وأجابه على أقواله يقول

اليوم تعلم فرسان الهياج إذا دار الحرب والأبطال تنطرد
وسوف تنظر فعلى فى مواقفها بانني أسد الحروب مجتهد
وأنني بطل فى يوم معركة أردى السكال ونار الحرب تتقد
واليوم يعلم ذكرى فى مجالسهم فخر جزيل وفعل له مدد

قال الراوى ثم أنهم حملوا على بعضهم البعض وتطاعنا بالرماح وتضاربنا بالصفاح وصار تارة يجمعان وتارة يفترقان وكان إذا تضاربنا بالسيفين وإذا تباعدا اتطاعنا بالرمحين هذا وعنتر يتعجب من قتال الغضبان وطول روحه عليه فى الميدان حتى أمسى المساقباتا حتى أصبح الصباح وبزق الفجر ولاح فقام الغضبان وركب الحصان وأشار يقول

فخرت بأسراك الفرسان قدما وأنك فى الوغا بطل مهول
ستعلم أننى أرديك شلوا تخر على الثرى ملقى قتيل
تنوح عبيلة ونساء عبس بديع فى الخدود لها ذليل
عليك وأنت فوق الأرض ملقا طريحا ممددا راغما ذليل
أنا الغضبان ليث بنى معد عزيز ضيغم بطل أصول
وقد جريت حربى من قديم وأنت بوسط قفر جديل
ولكن القضاء له احتكام لايفقدك من حرابى وأنت تميل
فهرت سراتكم وقتلت فيكم ودم وجراحكم منكم يسيل
وهذا اليوم تنظر من قتالى وطعنى بالمثقفة الذبولى

قال الراوى فلما فرغ الغضبان من شعره وأتم نظمه ونثره فجال عليه عنتر وصال وأجابه على كلامه وأنشد وقال :

ألا أيها الغضبان دونك صابر لأنك فى يوم السكريهة فاخر
ودونك منى فى الوغاليث غابة سجيها وفى اللقا ليس بنافر
تعود ضرب السيف والطعن بالقنا وحملاته مذكورة فى العساكر
أنا عنتر العبسى حامى عشيرتى فى وفارسها يوم اللقا والتشاجر

قال الراوى ولما فرغ من كلامه حملا بعضهما الاثنين كأنهما جبلين متقابلين أو كبشين متناطحين أو ديكين متنافرين ولايزالا فى عراك وشباك لأنهما كانا فارسين لم يفزعا من الهلاك

فقال عنتر لولده الغضبان ارجع ياولدى ودع عنك الهذيان ولاتعطى النفس حقها فما كل وقت يملك الإنسان نفسه فقال دع عنك هذا الكلام وخذ فى الحرب والصدام فلما سمع عنتر منه ذلك الكلام احمرت عينيه وتفصلت شفتيه وطلع الزبد على شدقيه وانتقل من حال إلى حال وما بقى يعرف مابين يديه وصرخ صرخة ارتج لها الميدان وارتعبت قلوب الأقران وهجم على الغضبان وقام يده بالضامى وهو نازل به عليه فصاح الغضبان لاتفعل بأبناه فإن تخت يد عنتر بالضربة فوقعت على عنق الحصان فابراه فوقع الغضبان من عليه وقام على الاقدام وجرى على الأرض والتراب وقبل رجل أبيه فى الركاب فرد عنتر سيفه إلى القراب وقال له وحق زمزم والحطيم ومقام الخليل إبراهيم ماكان هذا الكلام منى اليك إلاشفقة عليك هذا وعروة قد أقبل عو الغضبان وقال له كيف رأيت خصمك وقولى اليك فقال الغضبان ياعروة كان الذى كان وظهر الحق وخفى الزور والبهتان هذا وبنى قحطان لماراوا ذلك الأمر والشأن وكيف اصطلح عنتر مع الغضبان قالوا بعضهم لبعض لايكون هذا الأمر أبدا ولا ننكل فى أخذ ثارنا على أحد ثم جمعوا أمرهم على الحملة فحملوا بجمعهم على بنى عبس وعدنان والتقت الرجال بالرجال والأبطال وعمل بينهم الضرب بالسيوف الصقال والرماح الطوال هذا وقد نثرت بنى قحطان نثرا عبروا عبرا ولم يزل السيف يعمل والدم يبدل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى آخر النهار تفرقت بنى قحطان وولت الأدبار وركنت إلى الفرار وصاحت الباقون الأمان فقدأجبنا عنتر إلى مايريد من تعليق القصيدة فعند ذلك أمر عنتر بالرجوع ورفع الحسام ورجع إلى المضارب والخيام هذا والشيخ عبد المطلب وأكابر مكة أتوا إلى عنتر وهنوه بالنصر والظفر ففرح به عنتر وقبل يديه وقال ياسيدى أريد أن أعيد القصيدة مكانها ولكن أريد من فضلك أن تكاتب العربان حتى يحضروا وأعمهم قصيدة غيرها فيهما جميع ماجرى لى من عهد ماكنت صغيرا إلى ملتقى المستوعر وأذكر لهم فيها عدد ماقتلته وعدد من أسرته فاجابه الشيخ عبد المطلب إلى ذلك وكتب الكتب وأنفذ للقبائل وأصحاب القصائد المعلقات وفى نسخة الكتب باسمك اللهم وبحمدك الذى تعلم به سادات العرب ونزلت قصائد. نصائحهم ولاأدع على البيت الحرام لاشعر ولا نظام ثم أنه أرسل العبيد بالكتب القبائل فما وصل كتاب إلى قبيلة الا وتركب وتقصد الكعبة المشرفة فما مضت الأيام قلائل حتى أشرفت القبائل على مكة وكان أول قبيلة وصلت بنى جشم وهوازن وبنى سليم وهمدان وبنى غزية يقدمهم شيخ العرب دريد بن الصمة وخفاف بن ندبة ودثار يروق والعباس

ابن مرداس فركب عنتر وأولاده وبنو عمه إلى ملتقاه وترجل له وترجلت أمراء القبايل ورؤساء الجحافل وسلموا على بعضها بعض وقال دريد يا أبا الفوارس كيف تنحط قصيدتك عن البيت الحرام ولم ترسل تعلمني بهذا الكلام فقبل عنتر يده وشكره وأثنى عليه وقال يامولاى هان المسير ولما كان من الغد قدمت أبطال بنى عامر وغنى وكلاب الأكابر يقدمهم عامر بن الطفيل وغشيم بن مالك والاخوص بن جعفر فركب عنتر وتلقاهم وسلم عليهم وحياهم وعتب عامر على عنتر فقال له عنتر ما كان هذا شيئا يستحق تعبك وعناك وفى عبدكم كفايه ثم أنه أمر لهم بالعلوفات والضيافات وإلى ثانى يوم ظهر غبرة ويتبعها غبرة ثانية وغبرة ثالثة فاما الغبرة الأولى فكانت بانى عبس وقراد وغطفان والغبرة الثانية بنى زبيد وخشعم ومراد يقدمهم بن معد يكرب والثالثة بنى كنده وبنى يربوع يقدمهم حجار بن عامر وعتبه بن شهاب فالتقى عنتر الجميع وسلم عليهم وأكرمهم الاكرام الزايد ومن بعد ذلك تتابعت القبايل من كل بر وواد وهم بنى طى وبنى سليم وبنى جزام وبنى لخم وبنى شيبان وبنى عطبول وبنى العنقا وبنى باهلة وبنى خولان وبنى زهم وبنى دارهم وبنى خدعان وبنى أسد دردان وبنى دمير وبنى قشير وبنى غيلان وبنى الأسد وبنى العاملة وبنى بجيله وبنى سعد وبنى تميم وبنى وبنى فهد وبنى القيان وبنى كلب بن وبره وبنى صارخ وبنى رياح دميط وبنى دهل وبنى عناب وبنى سحاب ولولا الاطالة لوضعت لكم قبايل العرب التى اجتمعت ومن عصر سيدنا اسماعيل بن سيدنا ابرهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليهما وعلى جميع الانبياء والمرسلين وهمامايه وستون قبيلة حجازيه وعدنانيه ومايه وستون قبيلة يمانية وقطحانيه والحجازية أربعماية وثمانون قبيلة غير البطون والصعوب فسبحان من خلقهم ورزقهم هذا ولما اكتملت القبايل فى البيت الحرام وضاق بهم البر والآكام لأجل الصداقة ومنهم من أتى طالب الفرجة والزيارة ومنهم من أتى للفرجة وتبركا بالحطيم وزمزم وكان أحر من أتى يسطام وأبيه الملك قيس بن مسعود وهانىء ابن مسعود وكان مثل عنتر بن شداد شبه نار خرجت من زناد فمهد الله به الأرض والبلاد لقدوم سيد العباد الهادى إلى طريق الرشاد سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الرشاد هذا ولما اكتملت العرب العربه وفرسانها وسادانها وأعليانها أمر السيد عبد المطلب المنادية أن تنادى فى سائر قبائل العرب سادات من أهل الرتب أنهم يجتمعوا من

جميع القضاة غد عند دكة القضاه (قال الراوى) فاجابوه بالسمع والطاعة وتفرقت العبيد ذلك الوقت والساعة ونادوا فى جميع الجهات باجتماع الناس والسادات كما أمرهم الشيخ عبد المطلب فلما سمعت العربان إلى ذلك الامر والشان فاجابه جميع العربان من قحطان وعدنان ثم انهم باتوا حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح فقاموا الجميع وقصدوا إلى دكة القضاء وإزدحموا بعضهم على بعض حتى ضاقت بهم الارض وبقى على القدم الف قدم من كثرة الخلق والامم وبعد إجتماعهم أقبل عنتر بن شداد ومن ورائه بنى عبس وبنى قراد وبنى زياد وحلفاهم وهم صفوف ألوف وكان هذا من تدبير الشيخ عبد المطلب لانه كان أرسل إلى عنتر بن شداد فى الليل يقول له لا تحضر غدا إلى دكة القضاء إلا وحلفاك بنى عمك وقبيلتك أصدقائك جميعا بالعدة الكاملة والخوذ والزرد حتى يقع الرعب فى قلوب بنى قحطان لان العرب كثير وعددهم غزير لفرح عنتر وشكر فضل الشيخ عبد المطلب وركب كما أمره بقومه وأخذ أحبابه وأصدقائه وفى أوائلهم دريد بن الصمة وحجار وعامر وزيد الخيل بن المهلهل وعامر بن الطفيل وملاعب الاسنة خثيم إبن مالك والاخوص بن جعفر وعمرو إبن معديكرب والامير مشاجع سيد خولان وهانىء بن مسعود والامير بسطام ومن يتبعهم من أكابر العرب وفرسان الحجاز أهل الحسب والنسب فلما وصلوا إلى دكة القضاء شاهر بن السلاح فنهض الشيخ عبد المطلب وقائما على أقدامه واستقبل ومن معه من الفرسان وأكابر العربان ثم أنه أجلسهم بين القبائل ومن حضر من الجحافل بعد ذلك نادى برفيع صوته يا بنى عدنان ويا بنى قحطان وجميع من حضر من الاكابر العربان اعتبروا بمن مضى وسلف من العربان ومن الملوك أصحاب التيجان وكم أفنى هذا الزمان وكم قهر عنتر هنا من الشجعان فاحقنوا دماء الفرسان وأجيبوه إلى طلب من الامر والشأن واعتبروا بمن قتله من وأبقى نساءهم أرامل وأولادهم أيتام فان السعيد لمن اعتبر بغيره وكف شره تجبره وما يحتاج أنى أعلمكم بعنتر وحربه وقوة طعنة وضربه وقدر أيتم لما حط المستوعر القصيدة فاتاه إلى هنا وأباد وأهلك وأفنى أجناد وكان وحده فى بنى عبس وعدنان وما كان خلفه مثل هؤلاء الفرسان مثل دريد بن الصمة ومقادم العربان ومثل العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة ودثار بن دروق ونعمة بن الاشتر وبسطام بن مسعود وهانى مسعود صاحب الخيل وملاعب الاسنة والاخوص بن جعفر وغيرهم ممن تروهم بين ايديكم ولا تخفى شجاعتهم عليكم فقالت جميع العربان عن فرد لسان نحن له طايعين وإلى قوله سامعين وأجبناه إلى ما يريد من تعليق القصيدة وما من أحد إلا أحد يعرف شجاعته وقوته سماحته فقال عنتر بن شداد يا شيخ الحرم والحطيم وزمزم ومالك رقاب الامم أننى مقسم باعظم

قسم وحق رب هذا البيت الحرام والركن والملتزم والإله الذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الاعلى لأعلق قصيدتي إلا في أولهم لأنها كانت في آخرهم فاني هذا النذل وحطها فاتيت وقتلته على وجه الأرض جندلته وربما يقولوا العربان انحط قدرها بانحطاطها فانا أزيدها قدراً بارتفاعها في أولهم ومن أبى ذلك قدرته والميدان والضرب والطعان فقالت القبائل عن بكرة أبيها لما سمعوا كلامه وما اقسم من أقسامه لا والله يا أبا الفوارس ويا زين المجالس لا عدنا قاتلناك ولا حاربناك ولا فينا من يبدي اليك هزمة وقبحا بل انها تكون لك على مدا الدهر صلحا أفردها وعلقها في المكان الذي تريد نحن أطوع لك من العبيد فشكرهم عنتر على كلامهم وما أبدوه من مراماهم ولكن أعلموا أيها السادات الاماجيد والفرسان الصناديد أزال الله عنكم كل شر وتنكيد انني أريد أسمعكم قصيدة ما أحد سمع مثله ولا حاز فكره الشعر منا ومعانيه بليغة والفاظه مضيقة ومن بعد ذلك أخبار ما جرى على من قديم المصغر وأذكر من قتلته ومن أسرته ومن جزيت لناصيته ومن جرحته وأنا أريد أسمعكم إياه ولكن بشريطان لا احد ينطق بكلام ولا يبدي بسلام ولا يشير حرفا ولا لخصا لاتكم ما تعرفوا قصيدتي ما فيها ولا ذكر معانيها لأنني سميها العقيقة ذات الاثمدي طلل لعبلة مستهول المعهدي وفي آخرها أشهرت مقالي وحسنت أقوالي من كان ينكر في الحروب فعالي فقصيدتي في البيت غاية مقصدي أدلك جميع العالمين بقولها فسجدوا الهاركمتين عند تعليقها وليس لها في هذا الزمان مقاوم فقالوا العربان سمعنا أياها حتى أننا نسجد لها ونعرف معناها ولو كنت تذكر فيها أباءنا وأولادنا أو إخواننا فقال عنتر يا سادات العرب وأهل المفاخر والرتب ما بقى عليكم ملام ولا كلام ثم أنه أعاد قصيدته الميمية على البيت الحرام جعلها في أول القصائد كما تكلم أولى الكلام وسجدوا الجميع الفرسان القاصي منهم والدان وقالوا له أسمعنا ما وعدتنا به من القصيد الثاني فعندها أخرجها عنتر وثناها في وسط ذلك الجميع والمحضر ما بين ملوك العربان وشجعان الزمان وهي مكتوبة سطراً بالفضة وسطراً بالذهب وهي من أعجب فلما رآها الفرسان تاهت نواظرهم وحارت أفكارهم وخواطرهم فعند ذلك أمر عبد المطلب إلى القاضي بن وائل السهمي أن يدق العرنوس ويقرأ المعلقة حتى يسمعها إلى العربان وتعاين ما فيها من المعاني ورقة الألفاظ قد أشتهرت بالفصاحة والفخر ويسمونه في هذا الزمان المنبر ثم أنه رقاه وصار في أعلاه وقد أستفتح بصوت أندى من وابل المطر وحمدا الله سبحانه وتعالى وله شكر وقال الحمد لله الواحد القهار العزيز الجبار ذي الملك والملكوت والاقتدار خالق الليل والنهار ومدبر الفلك الدوار

الذى أوسع الفلوات والاقطار وخالق الخلق والبشر وخالف بينهم فى الصور وحكم عليهم بما قضى وقدر فسبحانه وتعالى لا شريك له ولا نظير ولا شبيه ولا راد لأمره أحمده وأشكره حمد من حمد وشكر ثم أنه أحمى بعد ذلك فى الكلام وأسفر عن وجهه اللثام وقال يا معاشر العرب الكرام أعلموا أن هذا عنتر بن شداد الذى أذل الملوك الشداد والأبطال فى حومة الحرب والجلاد فاسمعوا مقاله كما قد نظر ثم فعاله وقتاله فى مجاله فهذه قصدته العقيقه ومعانيها البهية التى تضمنت السيرة المروية الحجازية ثم أنه أشار ينشد ويقول

﴿ وهذه القصيدة العقيقة لعنتر بن شداد المعلقة على البيت الحرام

من غير تبديل محفوظة بتاريخ عرف الموررود ﴾

بين العقيق وبين برقة تمهد ... طلل لعبلة مستهل المعهد
فيه من المعلمين دروس معالم ... أوهى بها جلدى وبان تجلد
يا مسرح الغيدات من وادى الحما ... كم فيك من شجن يروح ويغتدى
من كل فاتنة تلفت جيدها ... مرحا كتلفيت الغزال الأغيد
يا عبلة كم يشجى فؤادى بالنيا ... ويروعنى صوت الغراب الأسود
كيف السلو وما سمعت حمائما ... هتفت إلا وكنت أول منشد
ولقد حبست الدمع لا بخلا به ... يوم الوداع رسوم المعهد
وأسأله عن طير شجانى فى الدجا ... بحنينة وأنينــــة المتردد
ناديته ومدامعى منهلة ... أنى الخلى من الحزن المفرد
لوكنت مثلى ما لبثت ملونا ... وهتفت فى غصن النقا المتأود
رفعوا القباب على نجوم أشرقت ... عنى وغابت عن بقيع الفرقد
وعبيلة بالحسن يحكى وجهها ... بدر تكامل بالدجا غصن ند
والشمس بين مرهج ومورد ... والغصن بين موشح ومقلد
والقد مثل قضيب بان حركت ... إعطافه ريح الصبا الوارد
والبطن ذو طى وخصر ناحل ... والردف منها كالثقيل المرعد
ولطافة الأقدام تنقل حسنها ... قلب الشجى ولم يكن بالمهتد
قالوا اللقا غدا بمنعرج اللوى ... وأطول شوق المستهام إلى غد
وإذا تكاثفت الصفاح لوامع ... مثل الصواعق فى القفار الفدفد
هذا وكم حرب عوان خضته ... بجواد صلب الدعائم أجرد

لطم البنات على الخدود تأسفا   وتنادبوا ندب الحبيب المنجد
لو كان قلبي حاضرا يوم النيا   لقطعته وعظمت فيه تجلدي
أو كان طرفي ناظرا لرحيلهم   لبركت دمعي موردا كالمورد
من فيض أجفاني وكان تحجب   منه البنات وشاب شعري الاسود
وبقية لجهولة نازلتها   وملكت منها فدفدا في فدفد
وتخامدت أبطال المعارك في اللقا   كالنار تعلو في الفلاة وتخمد
تخفق الرايات وعدا في الوغا   وتمارج الفرسان بحر مزبد
فهناك تنظر آل عبس في اللقا   يؤد حق السيف ضربا في اليد
هذا وكم حرب عوان خضته   بسموم صلب الدعائم أجرد
والخيل تقتحم الغبار غوابسا   وتخوض بحرا من نجيع مزبد
وبوارق البيض الرقاق لوامع   في عارض مثل الغمام المرعد
وأسنة السمر الدقاق كأنها   تحت القتام نجوم ليل أسود
وحوافر الخيل العتاق على الصفا   مثل الصواعق في قفار الفدفد
فقحمت قسطها وخضمت عجاجها   وطفيت جمر لهيبها المتوقد
وكررت والأبطال بين مصادم   ومهاجم ومحاور ومشرد
وفوارس الهيجاء بين ممانع   ومدافع ومخادع ومتصل
والسيف يعمل والرماح خوارق   والناس بين مكتف ومقيد
وموسد تحت الغبار وآخر   فوق التراب يئنوا غير موسد
والمحل بين مخاطب ومحارب   ومضارب ومقارب ومباعد
وسنان رمحي في العجاج مشرقا   ومهربا مثل الشهاب الموقد
والناس بين مكابس ومدعس   ومخالس ومطاعن ومهدد
ومقطب ومعبس ومنكس   ومهرول ومهول وموعد
والخيل بين تجاول وتطارد   وتلاحم وتصادم وتردد
ومفارق ومشابك ومماحك   ومعارك وسط العجاج الأسود
ومقحم ومدمدم ومهاجم   وغشمشم شبه الهزبر الأصيد
والحرب يعمل والرماح تنوشهم   والخيل تعفر بالوشيج الأجرد
والجو معتم والنجوم مضيئة   والنقع مدلهم الجوانب أسود
فقحمت مهري وسط بحر عجاجها   بسنان رمح ذابل ومهند

ولقد لقيت من الفوارس فى الوغا   وتركتهم صرعى فى المهاد الفدفد
وأيضا كم من جحفل فرقته   وسط القفار هزايما لم ترشد
وتركت أبطال المسامع كلما   سمعوا لذكرى لا يعون المنشد
وكذا الملوك إذا سمعن بصولتى   يخشون من رمحى وضرب مهند
وكذا الأسود تزاهموا فى غابهم   مستخفين لدى الدحال وشرد
وأنا الذى لحم الفوارس ماكلى   أبدا وشربى بجردم مزبد
قد كان فى منشاى اعظم قصة   فيمن طرقت من العدا والحسد
لما قتلت الذئب فى وسط الفلا   إذا رام كبش أغنامى فى الفدفد
قد قتلت العبد شاسر وبعده   عبد الربيع ابن اللئام الأنكد
وقتلت للاسد المهول وقد اتوا   يبغون اعمامى لقتلى فى غد
وكذا بنو قحطان لما ان اتوا   يسبوا النساء وكل بكر خود
وقتلت فاتك ابن محجوب الذى   دهم البيوت بقوة وتمرد
وقتلت غالب ابن وثاب الذى   اكمن لنا فى وسط بيد وفدفد
سبعين كانوا بالسيوف وبالقنا   فغدوا وكل فى الفلاة عدد
وجليدم بسطام يطلب قتلتى   لاقاهم الجبار فعلهم الردى
لما دعتنا مروة لولية   ودعوا الرجال مع النساء السؤدد
واتانى المتطرس المذل الذى   حليته فى القاع يبحث باليد
وأخذت مهرى واحتويت أميمة   وقتلت نافذ نسل ليث أنجد
وكسرت طيا والجريش وكندة   لما أتوا كالعاوض المتردد
وقتلت أيضا نجل ظبيان الذى   تبعوه أعمامى بعزمة أمجد
وحديث حصن المازنى لما شكا   انجدته مع مالك ومساعد
ولقيت أخرين أخرت أحدهما   وقتلت الآخر حين أضحى معتد
ونزلت فى وسط الرمال لحاجة   فلقيت هذا الضامى المتجرد
وقتلت الفيداق لما أن أتى   فى نجدة المساف وهو مهدد
وكذلك المساف قد أسقيته   كاس المنون وكان ندلا معتد
وخطبت عمارة بنت عمى عبلة   ست النساء الفاتنات الخود
ولقيته من عند أبيها عائدا   نشوان يمشى بين فرح زائد
ولحقت بالسب الذى ما ناله   غيرى وقد نلت العلا بمهند

وهزمت شراب الدما لما أتى ... يبغى خلاص أميمة فى مشهد
وقتلت فياضا وحزت سلاحه ... لما سبا عبلة بفعل معتد
وأسرت عروة لما أتانى مكمنا ... يبغى لقتلى صار رهنا فى يد
وقتلت للهجام لاجــــل عمارة ... معه الربيع وشاس نسل الأمجد
وسعيت نحو النوق أبغى أخذها ... فكبا الجواد قضاء رب واحد
وقتلت ليثا أشدقا متغشرما ... هزم الجيوش وقيد رجلى مصفد
والمنذر الملك الهمام أجزته ... وكسرت جيش الفرس ذاك المعتد
والخسروان هشمته بعموده ... وتركته فى القاع يبحث باليد
وبرزت البطريق لما أن أتى ... فتركته قدام كسرى مرتد
وتركت رأس البطرموت على الثرى ... متدحرجا كالحنظل المتبدد
جندلته وعفرت عنه وغدا أتى ... يبغى لقتلى جارعا مترصــــد
وأخذت التاج الرفيع وقية ... طبقت لكسرى من لجين وعسجد
وقتلت رستم فى الصراع وقد أتى ... فتركته قــــدام كسرى مرتد
وقتلت سبعا بعده متغشرما ... يدعى خميسا خر ملقى من يد
وأخذت مال المرزبان وقد أتى ... يبغى لقتلى ذا السفية المعتد
وأخذت النوق العصافير التى ... شحطت على فعال ليث أنجد
أحماها من كل نوع فاخر ... من مال كسرى والخلائق تشهد
ولقيت عبلة فى الطريق سبية ... خلصتهــــا بسعادة وتســــدد
وكذلك طارقة الزمان طرفتة ... بسنان رمح ذابل ومهند
لما أباد كنانه وعبيــــدها ... وهو ابن مسعد المسمى وافد
وعمارة لمــــا سبا لعبيــــلة ... مع ابن همام غدا متصفــــد
خطارقتهم بالليل لأجــــل عبيلة ... وكبستهم فى جنح ليل أسود
ومفرجا أرديته مــــع جابر ... ووتركتهم طعم الوحوش الشرد
وأتت بنو قحطان تطلب ثارهم ... أورثتهم فى الحرب هول المورد
وقتلت للصـــــدام لما أن أتى ... يسبى البنات الكاعبات الخرد
ولقيت روضة فى الطريق وقدأتى ... لزواج عبلة قاصدا متعمـــــد
خاسرعة قهرا وعدت عتقته ... لأجل العجوز من البنات الخرد
وأسرت الجيداء بنــــة زاهر ... والخالد خليت غير غفــــله

وبقى مراد مع زيد وقومهم ... جندلتهم وسط القفار الفدفد
وأسرت بسطام الكريم وقدأتى ... يبغى القتل عامدا متعمد
ورحمته من أجل سبى حريمه ... ورعيته منى بحسن تودد
وجعلته من بعد ذلك صاحبا ... أرجوه فى النوب العدائم منجد
وقتلت قنعب بالها من قتله ... لما أتى بتجبر وتمرد
وخرجت أكمن فى الرمال لعروة ... كى أشتفى منه وأبلغ مقصد
فرأيت سلمى تستغيث بذلة ... يا آل عبس هل لنا من مسعد
فتركت حقدى وأحتملت لاجلها ... وقتلت قيس بن وغد مفسد
وأرسل لنا بسطام لاجل عبيلة ... فضيت أطلبها وحيدا مفرد
لما سلكت البر جانى عروة ... يبغى معاونتى ويبقى منجد
وسلك بنا شيبوب برا أقفرا ... ما فيه من داع ولا من مرشد
وتركت عروة فى مفلا برجاله ... وسميت أطلب مابه أزود
فلقيت مثلى عنترا وربيبة ... وعبيلة فى أسر ليث معتد
فقتلت أبا الأشبال مع أشباله ... وملكت عبلة بنت عم الأسود
وعبر بنا شيبوب حلة كندة ... كى يعرف الأخبار والفعل الردى
وقتلت مسحل وأستبحت حريمه ... وتركته فى البر يبحث باليد
وبعدت عن قومى وصرت عدوهم ... وصحبت بسطام الهمام الأمجد
وللمالك خلصت من تصفيده ... وتركته فياضا قتيلا مرقد
ولقيت عمى فى القفار بجرحا ... يبدى الأنين بذله المتفقد
ولا بن مدركة تركت مجندلا ... لما أستباح لحريمنا يتعمد
ومفرج ابن هلال لما أن حوى ... أموال علقة والربيع الانكد
فأسرتهم وقهرتهم لما أتوا ... بكتائب مثل السحاب المرعد
وأسرت ظالم مع حذيفة قره ... لما سبوا قومى بفعلهم الردى
وقطعت ناصية الظالم بعدنا ... جرعته مر المذاقة من يد
مفرج وسنان أضحوا عندنا ... مستأسرين بوسط كهف أصلد
والامنود الملك الهمام أسرته ... قهرا لأجل زهير ذاك السيد
وأسرت مقر فى الجبال وقد ته ... فى ذله قود البعير المفرد
والوردخان تركته متجندلا ... فى وسط وواى السيل يبحث باليد

وقتال النعمان يذكر فضله ... طول السنين وكم أسرت لسيد
ولما أتانى فى الجبال محاصر ... يبغى لقتلى قوة بتعمد
وأسرت حجار الكريم وبعده ... جندلت غاسق ذا المحل الانكد
وتركت فى وادى الرمان بهمتى ... كم من شجاع فى الحديد مقيد
وعدد الذى القيته عن سرجه ... يوم الجبال وقدتهم بتجلد
وهزمت فرسان القبائل بعدما ... أضحت ملوكهم أسارى فى يد
أيضاوكم ملكت يدى من ماجد ... عرب أعجام ملوك السودد
وأسرت حجار بن عامر بعد ... ولى حذيفة والربيع الانكد
وأجاره شيبوب لما أن بكى ... فقبلته وجعلته لى مسعد
واسأل خداوند وقد وافا إلى ... وجاء سلما بالعسكر يجتد
ولكم قتلت وكم أسرت مجدا ... يوم الجبال ويوم أسر الأسود
أيضا وكم ملكت يدى من فارس ... حاز الشجاعة والعطاء السرمد
وخلاصنا النعمان ثم رحيلنا ... لما اصطلحنا صلحة المتزود
وخيولنا ضاعت لاجل رقادنا ... ولقيت الابجر فى القفار مشرد
والخيشعور تركته متجندلا ... لما لقيت أخى أسير مصفدا
ومسيرنا فى البر نطلب عامدا ... الحارث بن زهير ذاك السيد
وأسرت نازح حين أضحى مالكا ... لبنى جذيمة فعل ندب أمجد
ونصرت نعمة فى المسارح بعدما ... جندلت نقمة فى قفار الفدفد
أنسيتموا فعلى بخالد والذى ... شهد المضيق على المسارح فى غد
والحارث المروى أصبح فى يدى ... ومن ينكر قوة وتعمد
قابلته حقا برمح مكسر ... بفرس هزيل كنت حال ردى
واسأل لعامر مع غنى وقد غدوا ... منى هزائم فى الفلا شرد
وأسر عامر وافتدته أمه ... منى يقر بذاك الهمام الامجد
وخلاصى المطال ليس نسيته ... فى أرض دارم من القيط الانكد
وبنى مشاجع قد أبدت سرانهم ... ولقيط سيد دارم يمهد
ولقيت خثم والربيع وعامر ... والاحوصين وعدت عود مؤيد
وكذا بنولان صنت حريمهم ... ورجعت فى بيدى وعظم تشدد
لما رواتى قد أبدت عداتهم ... عرفوا الجميل وسارعوا لتودد

ولقيت قومى فى قتال هائل ... فرجعت كرابتهم بحد مهنـد
ودخلت مع شيبوب حلة رامح ... وقتلته قهرا بضرب أصلد
وسباقنا الخيل يذكر قومه ... يا لهـا من سبقة لم تجحد
وبغت فزارة مرة فى مرة ... والحق يرميهم بذل مكمـد
قتلوا المالك واستباحوا دمـه ... وبغى حذيفة صاحب الفعل الردى
وقتلت عوف أخى حذيفة بعده ... عن أجل مالك صاحب الكف الندى
أسرت جراح بن صائل إذا أتى ... يضمن هلاكى للملك الأسـود
وأسرت أسود مع لقيط وكدتهما ... وأطلقهما الندل ابن ظالم من يد
وأخذ نساءنا فاتبعت طريقهم ... خلصتهم وذاك أخذت الأسود
وبعث لنا النعمان جيشا كاملا ... وبنى فزارة كلهم لى حسـد
يا مقربا الوحش زدت لحسرتى ... طفى عليه هوى بقاع الفـدفد
وقد كان فى اقياه ما يعنى لمن ... جحد الفعال من الورى فى مشهد
وحذيفة وأخوه لاقوا حتفهم ... يوم الهباء وجابر مع مرشـد
وصنعت عرسى واحتويت لعبلة ... وبلغت سؤلى بالزواج ومقصـد
والعوتبان تركته مع قومه ... رزق الطيور مع الوحوش الشرد
وقتلت بدر النصرانية مذ طغى ... وأخذ مسيكة قوة يتمرد
ورجعت أطلب فوجدتهم ... أخلو الديار بخفـة وتنكد
خلصتهم وبنى حذيفة قد بغوا ... وتركت الأخيل فى الفيافى مرتد
وكذا معاوية أتانا قاصدا ... وأتت بنى سعد بجيش مرعـد
وبدرا بظلمهم فعاد عليهم ... والظلم يفعـل هكذا بالمفسـد
وبنى تميم وكندة مع قينة ... ضربت عمرو بالحسام الاجرد
واسأل الواقعات الفروق وقد غدوا ... ابناء تميم وجابر فى محشـد
ولخال مسعود فقد أوردته ... كاس المنون فياله من مورد
وشفيت قلبى إذ قتلت مليكهم ... مسعود صاحب عراعر من يد
وشيبت يا جبل الغمام مفارقى ... ويتجمع العربان للحرب الرد
وبنى هلال مع تميم ووبرة ... جندلتهم بسنان رمح أصلد
وقهرت وعفريت السواحل إذا أتى ... بكتائب من شرها لم تهتد
وأتى لنا عمرو بن هند وردنا ... نحو الحجاز ونارنا لم تخمد

وحميد لما أن بغى فى فعــله / وأخذ لعروة قوة وتبلد
وبعثت أبا شيبوب ينظر ما جرى / خوفا عليه وغاية مقصد
وتبعته ألقى حميد وقد حما / نارا لعروة خر ملقى من يد
لما حمى الصخر يبغى حرقه / فقسمته بالسيف عند الموقد
واسأل الجار حين أتانى مقبلا / نحوى بــكل غضنفر مستأسد
إذخر ملقى فى الفلاة بطعنة / عــدم الحياة وحاله من مسعد
وراحلت من قوى ثلثة خيلم / بنزاح عروة مع عمارة الانكد
وأتى لنا عامر يروم قتالنا / فاسرته لما رأيته معتد
وعفوت لما أن قدرت عليهم / فعل الكريم الماجد المتسدد
طلب برازى فامتثلت مقاله / وأورثته فى الحرب هول المرعد
ورحلت معه إلى منازل قومه / وفعل معى فعل الصديق المسعد
وخرجت فى طلب المدام لاشترى / فلقيت عمرو بن ود المسعد
وجرى لنا فى الحرب كل عجيبة / ثم اصطلحنا صلحة بتودد
ولقيت فى وسط الطريق خطئة / الشاعر الندب الذى لم يجحد
وذكر فعالى فى قصيد قالها / وشكر لزيد الخيل نعم السيد
واطلقت عامر من شديد وثاقه / وملكت خيلا مثلها لم يوجد
ودريد قــد بارزته وقهرته / لما أتوا لسوان قوم فى الفد
وأسرت يد الخيل لما ان بغى / فى أرض عامر قوة وتجلد
وقهرت حميرا مع هوازن كلهم / وأسرت معهم ذا الخمار الانكد
وقصة السلال إن أتى / وسرق جوادى خدعة بترصد
خلصت مهرى احتوت عروشهم / وتركتهم فى ذلة وتنكد
كذاك صامر لما أتى فى جحفل / مع جيش غسان بكل مهند
وكسرت جيش الشام لما أن أتى / بعساكر مثل الغمام المرعد
عطش لناقيس النياق وساقها / بين الجبال فعال ندب أمجــد
وقهرت جيشهم وقد زعمنا / يفتح البلاد تعمدا وتمرد
ومضيت اطلب عروة ورجاله / فوجدت عمر ومع سليك المفسد
وخلصت عمرومن قيس بصارمى / وغدا السليك مشردا الفدفد
ودعا كبشة كان فيه آية / لما عطشنا لم نجد من مورد

وأغاثنا رب العباد برحمة　　ولقد نجانا من عظيم الجهد
فأتى السحاب وطم أرض فلاتها　　من عند رب واحد متوحد
وأضافنا ذاك الغلام وأمه　　وأجرته لما غدا بى يقتد
وحديث حصن مع نوار عروسه　　مشهور بين الورى لم تجحد
وبنى الجريش تركتهم وسط الفلا　　من أجل عبلة مع معاويه الرد
ونزلت عند دريد فى أوطانه　　وتركت جيرانى وأهل توادد
وأسرت غمرة مع ابيها فائزا　　وقتلت أخاها قتلة لم تحمد
وجرى لناسع ذى الخمار عجايب　　وطلب هلاكى خدعة بتمرد
وسبت بنى عبس حريمى واعتدوا　　وبنى فزاره يالهم من حسد
ودخلت مع دريد نبغى حربهم　　فاستقبلونا بالخداع تغشد
لما رجعنا سار قيس خلفنا　　وبغى علينا بالمليك الأسود
و لقيت قيس و الربيع وجمعها　　يبكون من أجل الحريم الخرد
فخمدت حقودى وانجلت لما شكوا　　وفعلت فعل الاكرمين السودد
و لقيت جيش الروم عايد نحونا　　فاذقته طعم المنية من يد
وقتلت الخيلجان بطريق لما طغى　　وسعى إلى أخذ القرى بتعمد
طلب الاقالة قيصر من حربنا　　وأعى الرهائن صاغرا بتنكد
ولقد كشفت عن الاعاجم غمة　　زحت العلوج عن النساء الخود
ولذو الخمار ضربت ضربة قادر　　يرجى مودة سيد سمح اليد
فهوى إلى نحو الصعيد مفقرا　　وعموت عنه قارا تقسدد
وأجرت عطافا وحاتم بعد ما　　أوريت عنبه هول المورد
وسعيت نحو مجيد ابغى أخذه　　وقتلت حسان بن مسعود الرد
وأسرت ميسرة ورمت هلاكه　　لما أرهق دم الصديق والمسعد
وامرت فى وسط الطراق بحيلة　　وعبرت جلق الحديد مصفد
وأتت جنيدة تستجير اجرتها　　وقتلت أبا الدوج الزنيم المفسد
والحارث الوهاب لما جرته　　وكسرت جيش يوم المحشد الفرس
كذا الاعاجم قد ابدت حماتها　　وكذا المرازبه القمام النجد
ولقيت أخى شيبوب فى وسط الفلا　　ودريد من أجلى يسير بمجهد

{ تم الجزء الحادى والاربعون ويليه الثانى والاربعون }